











# تَفْصِيحُ الْأَصُولِ

الْجُمُعَةُ السَّابِعُ

تَقْرِيرُ أَجْحَادِ الْأُسْتَاذِ الْعَظِيمِ الْعَلَامِ الْمُفَضَّلِ  
آيَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ السَّيِّدِ رُوحِ اللَّهِ الْمُسَوِّمِ

الْأَمِيرِ الْخَمِينِيِّ

تَأْلِيفُ

آيَةِ اللَّهِ الْهَيَّ السَّيِّدِ حُسَيْنِ الْهَقَوِيِّ الْهَلَبِيِّ

مُسَيَّسَةِ وَتَنْظِيمِ نَشْرِ أَنْوَارِ الْأَطَامِ الْخَمِينِيِّ

### هوية الكتاب

- |                |   |
|----------------|---|
| * اسم الكتاب : | * تنقيح الأصول / ج ٤ *  |
| * المؤلف :     | * حسين التقوي الإشتহারدي *  |
| * تحقيق ونشر : | * مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني <small>عليه السلام</small> * |
| * سنة الطبع :  | * مهر ١٣٧٧ - جمادى الثاني ١٤١٩ *                                    |
| * الطبعة :     | * الأولى *  |
| * المطبعة :    | * مطبعة مؤسسة العروج *  |
| * الكمية :     | * ٣٠٠٠ نسخة *   |
| * السعر :      | * ١٤١٠ توماناً *  |

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة  
لمؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# الاستصحاب

هذا من تقارير مباحث الأستاذ الأعظم آية الله العظمى  
الخميني أدام الله أيام إفاضاته في الاستصحاب، وهو من المباحث  
المهمّة في الأصول؛ لترتب فوائد خطيرة عليه في مقام استنباط  
الأحكام الفرعية.



## فصل

### في تعريف الاستصحاب

قد عُرِّف بتعاريف لا تخلو كلها أو جلّها عن المناقشة والإشكال، ولا تخلو  
كلماتهم في هذا المقام عن المناقضة، كما سيظهر إن شاء الله تعالى.

#### الاحتمالات التي في الباب

فاعلم أنّ في الاستصحاب في مقام التّصوّر والثبوت احتمالاتٍ ينبغي التنبيه  
عليها:

الأول : أنّه من الأمارات العقلانيّة إلى الواقع.

الثاني : أنّه أمانة شرعيّة إليه.

الثالث : أنّه أصل شرعيّ مجعول لحفظ الواقع، لا أنّه أمانة إليه.

الرابع : أنّه أصل عمليّ عقلائيّ، نظير أصالة الصّحّة في فعل الغير.

الخامس : أنّه من الأحكام العقلية الغير المستقلّة؛ لأنّ إحدى مقدّماته حكم

شرعيّ مع دعوى الملازمة بين الكون السابق واللاحق.

فعلى الاحتمال الأوّل والثالث والخامس إطلاق الحجّة عليه صحيح، فهو حينئذٍ

من المسائل الأصولية، لكن لا يصحّ تعريفه بإبقاء ما كان ؛ سواء أريد منه حكم الشارع بالإبقاء، كما عليه الشيخ الأعظم رحمته <sup>(١)</sup>، أم البناء العملي عليه، كما يظهر من شيخنا الحائري رحمته <sup>(٢)</sup>.

أمّا صحة إطلاق الحجّة عليه فلأنّ الحجّة : عبارة عن المنجز للواقع، وما يصحّ العقوبة على مخالفة الواقع الذي أدّى إليه ، والاستصحاب بناء على الوجوه الثلاثة كذلك.

وأمّا أنّه من المسائل الأصولية فلأنّ المناط فيها هو البحث عمّا هو كاشف عن الواقع، والبحث في الاستصحاب - بناء على هذه الوجوه - كذلك.

وأمّا عدم صحة تعريفه حينئذٍ بإبقاء ما كان، فلأنّ الأمانة بناء على هذه الوجوه هي نفس الاستصحاب، وهو غير إيجاب الشارع العمل به، أو عمل المكلف به، كما أنّ نفس خبر الواحد حجّة، وهو غير إيجاب الشارع العمل به، وغير عمل المكلف به، فإنّ إيجاب الشارع العمل به، أو نفس عمل المكلف، ليس حجّة وأمانة إلى الواقع، فلا يصحّ تعريف الاستصحاب الذي هو حجّة وأمانة: بأنّه إيجاب الشارع للعمل به، أو البناء العملي من المكلف على البقاء.

فالحقّ في تعريفه بناء على هذه الوجوه أن يقال : إنّ الأمانة إمّا هو الكون السابق؛ حيث إنّ ملازم للبقاء نوعاً، وإنّ ما ثبت يدوم، وإمّا اليقين السابق.

فعلى الأوّل : لا بدّ أن يُعرّف الاستصحاب : بأنّه الكون السابق الملحق بالشكّ في البقاء، الكاشف عن الكون في الزمان اللاحق؛ أي زمان الشكّ.

وعلى الثاني : بأنّه اليقين السابق الكاشف عن الواقع في زمان الشكّ. و أمّا بناء على أنّه مثل إيجاب الاحتياط لحفظ الواقع لا بدّ أن يُعرف: بأنّه اليقين

١ - فرائد الأصول : ٣٢٠ سطر ١٨ .

٢ - درر الفوائد : ٥٠٩ .



السابق الغير الكاشف عن الواقع.

وحينئذٍ فما جعله الشيخ الأعظم رحمته (١) أسدّ التعاريف - بناء على ما اختاره من أن الاستصحاب أمانة (٢) - هو أزيد التعاريف، وما جعله أزيد التعاريف هو أسدّها؛ سواء أريد من الإبقاء الحكم الشرعي بالبقاء، كما صنعه الشيخ رحمته، أم أريد منه الإبقاء العملي، كما صنعه شيخنا الحائري رحمته.

هذا كله بناء على أنه أمانة عقلائية، وأما بناء على أنه أمانة شرعية فكذلك، لكن باعتبار أن الملازمة بين الكون السابق واللاحق شرعية يتميم الكشف. وأما بناء على أنه ليس أمانة مطلقاً، ولا مثل إيجاب الاحتياط، بل مجرد وظيفة عملية شرعية أو عقلائية في صورة الشك مع اليقين السابق، لا للتحقق عن الواقع، فتعريفه: بـ «إبقاء ما كان» صحيح، لكن لا يصح إطلاق الحجّة عليه؛ لأنّ الحجّة: عبارة عما هو أمانة على الواقع ومنجز له، أو المجعول للتحقق على الواقع، كاحتمال التكليف في مورد وجوب الاحتياط، فإنّ الاحتمال المذكور فيه منجز للواقع المحتمل، ومعنى الحجّة: هو أن للشارع أن يحتجّ به على العبد على مخالفته عند قيام الحجّة عليه، والأصول العملية ليست كذلك، بل مجرد وظيفة عملية وترتيب الآثار. مضافاً إلى أنه بناء على ذلك فهو من المسائل الفرعية حتى في مورد استصحاب الأحكام، لا من المسائل الأصولية.

فتحصّل من جميع ما ذكرنا: أنه لا يمكن الجمع بين جميع الاحتمالات في تعريف الاستصحاب، وليس في الأخبار وغيرها من الأدلة لفظ «الاستصحاب» حتى يبحث عن معناه اللغوي، ويستظهر من سائر مشتقاته أنه فعل المكلف، كما في «الدّر» (٣)

١ - فرائد الأصول: ٣١٨ سطر ١٢.

٢ - نفس المصدر سطر ١٥.

٣ - درر الفوائد: ٥٠٩.

وغيره<sup>(١)</sup>.

ثمّ اعلم: إنّ القائل بأماريّة الاستصحاب يمكن أن يتمسك لذلك بالأخبار، كما يمكنه التشبّث له ببناء العقلاء أو حكم العقل. والقائل بأنّه أصل عمليّ يمكنه الاستناد لإثباته إلى بناء العقلاء، كما يمكنه الاستناد له إلى الأخبار؛ سواء كان لحفظ الواقع، مثل وجوب الاحتياط، أم لا مثل البراءة الشرعيّة.

فما يظهر من خلال كلام الشيخ الأعظم رحمته من أنّه إن كان أصلاً لا بدّ أن يستند فيه إلى الأخبار، وإن كان أمانة فستنده بناء العقلاء أو العقل ليس إلّا<sup>(٢)</sup>، لا وجه له.

### الاستصحاب ليس من الأدلّة الأربعة

نعم بناءً على أنّه مستفاد من الأخبار - كما هو الحقّ - فالبحث عن حجّيته ليس من المسائل الأصوليّة؛ سواء قلنا باستفادة أماريّته منها أم لا، نظير إيجاب الاحتياط لحفظ الواقع؛ لأنّه يبحث في الأصول عن الأدلّة التي يُستفاد منها الحكم الفرعي - أي الكتاب والسنة والعقل - لأنّ الأدلّة التي يُبحث عنها في الأصول هي التي يستدلّ بها على الفروع، مثل خبر الواحد القائم على حكم من الأحكام، وهو من السنّة، وأمّا الدليل على حجّية خبر الواحد - مثل آية النّبأ - فهو ليس من الأدلّة الأربعة؛ لعدم استفادة حكم فرعيّ منه، بل الدليل على الحكم الفرعي هو نفس خبر الواحد، وآية النّبأ دليل على الدليل، وكذلك الاستصحاب، فإنّ قوله: (لا تنقض اليقين بالشكّ) دليل على الدليل، وهو الاستصحاب، ولا يستفاد من الحديث نفس الحكم

١ - نهاية الدراية ٣: ٢ سطر ١٩.

٢ - فرائد الأصول: ٣١٩ سطر ١٤.

الشرعي، بل المستفاد منه هو نفس الاستصحاب الذي هو دليل على الحكم الفرعي،  
وحينئذٍ فالبحث عن حجّة الاستصحاب ليس من المسائل الأصوليّة؛ بناءً على أنّ  
موضوع علم الأصول هي الأدلّة الأربعة بذاتها، أو بوصف دليليّتها.

فظهر من ذلك ما في ردّ الشيخ الأعظم رحمته على ما نقل عن بعض الفحول - هو  
السيد بحر العلوم على ما نقل - : من أنّ الاستصحاب دليل على الحكم الفرعي  
الشرعي، وأنّ قوله عليه السلام : (لاتنقض اليقين بالشك) دليل على الدليل <sup>(١)</sup>؛ حيث ذكر رحمته؛  
أنّ معنى الاستصحاب الجزئي في مورد خاصّ - كاستصحاب نجاسة الماء المتغيّر بعد  
زوال التغيّر بنفسه - ليس إلّا الحكم ببقاء نجاسته، وهل هذا إلّا نفس الحكم  
الشرعي؟! وهل الدليل عليه إلّا قوله عليه السلام : (لاتنقض اليقين بالشك) <sup>(٢)</sup>؟! انتهى.

والسرّ في جعل المتقدّمين الاستصحاب من الأدلّة الأربعة، هو توهمهم أنّه من  
الأحكام العقلية <sup>(٣)</sup> - كالقياس والاستحسانات عند العامّة - إلى زمان والد الشيخ  
البهائي رحمته، ولم يستندوا فيه إلى الأخبار.

وأما عدّ المتأخّرين إياه مع تشبّههم له بالأخبار <sup>(٤)</sup>، فلعلّه لأجل عدم كون  
موضوع علم الأصول عندهم هو الأدلّة الأربعة بذاتها أو بوصف دليليّتها <sup>(٥)</sup>.

١ - فوائد بحر العلوم : ١١٦ الفائدة ٣٥ سطر ٦ .

٢ - فوائد الأصول : ٣٢٠ سطر ١٤ .

٣ - وقد استظهر ذلك الشيخ الأنصاري من كلمات الشيخ الطوسي والسيد والفاضلين  
والشهيدين وصاحب المعالم. فوائد الأصول : ٣١٩ سطر ٧ .

٤ - فوائد الأصول : ٣٢٩ سطر ١٩ ، كفاية الأصول : ٤٤٠ ، درر الفوائد : ٥١٨ ، فوائد الأصول  
٤ : ٣٣٤ ، نهاية الأفكار (القسم الأوّل) ٤ : ٣٧ .

٥ - كفاية الأصول : ٢٢ ، درر الفوائد : ٣٤ ، فوائد الأصول ١ : ٢٩ ، نهاية الأفكار ١ : ١٨ - ١٩ .

ضابط المسألة الأصولية في كلام الشيخ الأعظم رحمته ونقدها

ثم إنه يظهر من تضاعف كلام الشيخ الأعظم في أنه من المسائل الأصولية أو لا: أن المناط في المسألة الأصولية هو اختصاص إجراءاتها في موردها بالمجتهد، ولم يكن من وظيفة المقلد، والاستصحاب كذلك؛ لأن إجراءه في مورده - أعني صورة الشك في بقاء الحكم الشرعي - مختص بالمجتهد، ولا حظ للمقلد فيه، فإن المسائل الأصولية حيث إنها مهيأة لاستنباط الأحكام من الأدلة، اختص البحث فيها بالمجتهد، ولا حظ لغيره فيها.

ثم أورد على نفسه: بأن اختصاص هذه المسألة بالمجتهد إنما هو لأجل أن موضوعها - وهو الشك في بقاء الحكم الشرعي وعدم قيام الدليل الاجتهادي عليه - لا يتشخص إلا للمجتهد، وإلا فضمونه - وهو الدليل على طبق الحالة السابقة وترتيب آثارها - مشترك بين المجتهد والمقلد.

وأجاب عنه: بأن جميع المسائل الأصولية كذلك، فإن وجوب العمل بخبر الواحد وترتيب آثار الصدق عليه لا يختص بالمجتهد. نعم تشخيص مورد خبر الواحد وتعيين مدلوله مختص به؛ لتمكّنه من ذلك وعجز المكلف المقلد عنه، فكأن المجتهد نائب عنه في ذلك<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: هذا المناط والملاك غير مطرد ولا منعكس، فإن كثيراً من القواعد الفقهية كذلك، مثل قاعدة اليد، واستفادة ضمان الأيادي المتعاقبة منها، ومثل قاعدة «ما يضمن بصحيحه يضمن بفاسده» وبالعكس، فإن المكلف المقلد لا يتمكّن من حفظ حدودها وتشخيص مواردّها، وكثير من المسائل الأصولية بما يتمكّن المقلد من دركها، ولهذا يرجع فيها إلى العرف والعقلاء.

## فصل

### التفصيل بين الحكم الثابت بالدليل الشرعي والعقلي

وكيف كان فقد ذكر الشيخ في الاستصحاب تفصيلين :  
أحدهما : التفصيل بين استصحاب الأحكام العقلية والأحكام الشرعية  
المستفادة من حكم العقل وبين الأحكام الشرعية، بجران الاستصحاب في الثاني دون  
الأول.

ثانيهما : التفصيل بين الشك في المقتضي والشك في الرفع وجريانه في الثاني  
دون الأول.

أما التفصيل الأول : فخلاصة بيانه : هو أن الأحكام العقلية كلها مبنية على  
المناط والملاك، ولا يحكم العقل إلا مع تبين موضوعها مفصلاً، ففيما لم يتبين العنوان  
الذي هو موضوع حكمه لا يحكم عليه، وبعد تبينه ووضوحه فحكمه دائم لا يزول  
عنه، والشك في بقاء حكمه لابد أن يرجع إلى الشك في بقاء موضوعه؛ لأن الجهات  
المقتضية للحكم العقلي بالحسن والقبح، كلها راجعة إلى قيود الموضوع الذي هو فعل  
المكلف، فالشك في حكم العقل مرجعه إلى الشك في موضوعه حتى الشك في الرفع،  
ويشترط في الاستصحاب إحراز بقاء الموضوع والعلم ببقائه.

بخلاف الأحكام الشرعية، فإنَّ المناط الواقعي فيها غير معلوم، ولهذا يشكُّ في بقائها وعدمه في الزمان اللاحق، فتستصحب؛ لأنَّ موضوع الاستصحاب فيها عرفيٌّ يمكن صدق بقاءه عرفاً مع انتفاء بعض الحالات السابقة<sup>(١)</sup>. انتهى.

### الإشكالات الواردة على الشيخ الأنصاري وجوابها

وأورد عليه بوجوه :

الأول : أنَّ دعوى دَخُلَ كُلِّ خصوصية مأخوذة في موضوع حكم العقل في مناط حكمه واقعاً، ممنوعة؛ بداهة أنَّه ربَّما لا يدرك العقل دَخُلَ خصوصية في مناط الحسن والقبح، وإنما أخذها لمكان أنَّ الموضوع الواحد لتلك الخصوصية هو المتيقن من قيام مناط الحسن والقبح فيه، مع احتماله عدم دَخُلها واقعاً في المناط، كحكمه بقبح الكذب الضار الذي لا نفع فيه لأحد، فإنه يمكن أن يكون حكمه فيه بذلك لأجل أنَّ الكذب المشتمل على هذه الخصوصيات هو القدر المتيقن من قيام مناط القبح فيه، مع احتمال عدم دَخُل خصوصية عدم نفعه لأحد في قبحه، فمع انتفاء تلك الخصوصية - وإن لم يحكم العقل بالقبح - لكن يستصحب الحكم الشرعي المستكشف منه؛ لاحتمال بقاءه<sup>(٢)</sup>.

الثاني : سلَّمنا أنَّه لا بدَّ أن يكون موضوع حكم العقل مبيَّناً، وأنَّه لا بدَّ أن يدرك دَخُل جميع الخصوصيات المأخوذة فيه في مناط حكمه، ولها قوام الموضوع في نظر العقل ، لكنَّ الملازمة بين حكم العقل والشرع إنما هي في مقام الكشف والدلالة والإثبات، وأما في مقام الثبوت فيمكن قيام حكم الشرع فيه بلاك آخر، مثلاً: الكذب

١ - فرائد الأصول : ٣٢٥ سطر ٢ و ٣٧٨ سطر ٧ .

٢ - كفاية الأصول: ٤٣٨، فوائد الأصول ٤ : ٣٢١ - ٣٢٢، درر الفوائد: ٥١٦ .

مع جميع الخصوصيات المتقدمة تمام الملاك للحكم العقلي بالقبح، وأن لجميع الخصوصيات دخلاً فيه في نظر العقل، فيستكشف منه الحكم الشرعي، لكن يمكن أن يكون هناك ملاك آخر لحكم الشرع بالحرمة يقوم مقامه فاقد الخصوصيات، وحينئذ فيشك في بقاء ذلك الحكم الشرعي المستكشف منه، فيستصحب عند فقدها<sup>١١</sup>.

الثالث : مع قطع النظر عن ذلك أيضاً، لكن يمكن قيام ملاك الحكم الشرعي بالأعم من الواحد لبعض الخصوصيات والفاقد لها، فإنه ليس للحكم العقلي مفهوم ينفي الملاك عما عداه يستقل به، فيمكن أن يقال: إن لخصوصية الضرر دخلاً في مناط حكم العقل بقبح الكذب مع عدم دخله في مناط الحكم الشرعي بحرمة، وأن يكون موضوع الحكم الشرعي المستكشف من الحكم العقلي، أوسع من موضوع الحكم العقلي، فيحتمل بقاؤه مع انتفاء بعض الخصوصيات، فيستصحب<sup>١٢</sup>.

أقول : على فرض تسليم أنه لابد من تبين موضوع حكم العقل، وأنه لا يحكم إلا بعد ذلك دخالة جميع الخصوصيات المأخوذة في الموضوع، فلايرادان الأخيران غير متوجهين إلى ما ذكره الشيخ رحمه الله:

أمّا الأوّل منهما : فلأنّه بعد تسليم ما ذكر، وتسليم ثبوت الملازمة بين حكم العقل والشرع، كما هو المفروض، فيه : أن معنى الملازمة المذكورة: هو أن القيود المأخوذة في موضوع حكم العقل لو كانت دخيلة في حكم العقل بالحسن والقبح وملاكها، فهي دخيلة في الحكم الشرعي المستكشف من حكم العقل بذلك، فهناك ملاك واحد تامّ قائم بموضوع واحد مع تلك الخصوصيات، فهذا الشخص من الحكم الشرعي قائم بهذا الموضوع الواحد لتلك الخصوصيات ، ولا يمكن بقاؤه مع انتفاء

١ - حاشية فرائد الأصول، المحقق الخراساني: ١٧٧ سطر ٩، كفاية الأصول: ٤٣٨، فوائد الأصول ٤: ٣٢٢.

٢ - كفاية الأصول: ٤٣٨، فوائد الأصول ٤: ٣٢٢-٣٢٣، حاشية الكفاية للبروجردي ٢: ٣٤٣.

بعضها، اللهم إلا أن يكون هناك حكم آخر قائم بفاقدها، ومعه فاستصحاب شخص هذا الحكم لا معنى له؛ للقطع بزواله بزوال بعض الخصوصيات وإن احتمل وجود شخص آخر منه.

وأما استصحاب الجامع بينهما، وهو استصحاب الكلّي من القسم الثالث، ففيه: أن هذا الاستصحاب - على فرض تسليمه - لا يصحّ في الأحكام الشرعية - كما تقدّم - لأنه يعتبر في الاستصحابات الموضوعية ترتّب أثر شرعيّ على مستصحاباتها، وإن لم يعتبر ذلك في استصحاب نفس الحكم الشرعي، لكن الجامع بين الحكمين الشرعيين - مثل حرمة الكذب وحرمة الكذب الضارّ - المنطبق عليهما، ليس من الأحكام الشرعية، ولا ممّا يترتّب عليه أثر شرعيّ، ومع انتفائها لا يصحّ استصحابه.

وأما الثاني منهما: - أي الإيرادين الأخيرين على الشيخ رحمته - ففيه: بعد تسليم ما ذكر، أن معنى أعنيّة موضوع حكم الشرع: هو أن للموضوع له - أي طبيعة الكذب - ملاكاً واحداً، وأنّ له - مقيداً بقيد الضارّ - ملاكاً آخر، وأنّ هناك حكماً شرعياً تبعاً لحكم العقل؛ لأنّه لا يعقل عدمه مع تسليم الملازمة بين حكم العقل والشرع، وإنكاره إنكاراً للملازمة بينهما المفروض وجودها، وحينئذٍ فجميع القيود التي لها دُخُل في حكم العقل على هذا الموضوع المقيّد، دخيلة في موضوع حكم الشرع المستفاد من حكم العقل أيضاً، فله حكم خاصّ شخصيّ قائم به.

فقولكم: إنّه يمكن أن يكون للأعمّ حكم شرعيّ؛ إن أُريد به هذا الحكم الشرعي المستفاد من حكم العقل المتعلّق بهذا الموضوع المقيّد، فلا يعقل بقاؤه بعد انتفاء بعض القيود التي فرض دُخُلها فيه وانتفاء الحكم العقلي. وإن أُريد به انتفاؤه وثبوت حكم شخصيّ شرعيّ آخر، يرد عليه ما أوردناه على الوجه الأوّل.

فهذان الإيرانان لا يتوجّهان على ما أفاده الشيخ الأعظم رحمته، بعد تسليم اعتبار



تبين موضوع حكم العقل مفصلاً.

وإنما الكلام في الإيراد الأول، وهو أنه هل يمكن الإجمال والإيهام في موضوعات الأحكام العقلية؛ بأن يحكم العقل بحكم على مركب من أجزاء لا يدرك دُخْلَ جميعها في حكمه، ويحتمل عدم دُخْل بعضها في حسن الشيء وقبحه، فيحكم عليه من باب أنه القدر المتيقن دُخْلُه فيه، أو لا يمكن ذلك، بل لا بد أن يكون موضوع حكمه مبيّناً مفصلاً، وأنه لا يحكم إلا بعد دُخْل جميع القيود أو بعضها المعين؟ وجهان:

من أن عالم العقل عالم التجرّد والتجزئة، فلا يمكن الإجمال والإيهام في أحكامه على موضوعاتها، فإنه لو أدرك قبح مطلق الكذب، فهو يدرك أن قيد المضريّة لا دُخْل له في هذا الحكم، وإن أدرك دُخْل قيد المضريّة وأنه حيث إنه مضرّ قبيح، فهو يدرك دُخْل هذا القيد في موضوع حكمه - أي الكذب - وأن الموضوع هو المقيد بهذا القيد. نعم قد يطرأ الشكّ بسبب طُرُو بعض الخصوصيات الخارجية، وإلا فلا إجمال ولا إهمال في موضوع حكمه؛ أي العنوان الكلي.

ومن حيث إنه يمكن أن يقال: إنه ليس للعقل نورانية بها يدرك جميع الحقائق تفصيلاً بما هي عليها، ولذلك اختلف أرباب المعقول في المباحث العقلية والمطالب الكلامية، فيمكن تصوّر الإجمال والإيهام في موضوعات الأحكام العقلية. وبالجملّة: ما أفاده الشيخ رحمته - من دعوى إدراك العقل جميع مناطات حكمه وملاكاته وقيود موضوع حكمه مفصلاً ومبيّناً، ومع عدمه لا يحكم بحكم - محلّ تأمل وإشكال.

### تحقيق الحال في المقام

ثمّ على فرض تسليم ذلك لكن لا يخل بذلك استصحاب الأحكام الشرعية

المستفادة من الأحكام العقلية؛ حيث إن موضوعها غير موضوعات الأحكام العقلية. توضيح ذلك : إن العناوين الكلية المتعلقة للأحكام الشرعية الابتدائية؛ الغير المستندة إلى الأحكام العقلية، وكذلك المستكشفة من الأحكام العقلية، تتغير بسبب تغير بعض الخصوصيات والقيود المأخوذة فيها؛ حيث إنها ليست من الحالات الطارئة عليها لثلاث تتغير بتغيرها، بل جميعها مقومات للموضوع، ويتغير عنوان الموضوع بتغيرها، فإن الإنسان الأبيض مغاير للإنسان المطلق بدون هذا القيد، واستصحاب حكم أحدهما إلى الآخر إسرائ حكم من موضوع إلى موضوع آخر، لكن لو تعلّق حكم شرعيّ بعنوان من العناوين، كما لو فرض استكشاف حكم شرعيّ من حكم عقليّ - مثل حرمة العصير العنبي إذا غلا - فصاديق هذا العنوان -وهي هذا العصير وذاك - محكومة بهذا الحكم التعليقي بعد انطباق العنوان الكليّ -المحكوم بهذا الحكم الكليّ - عليها، فيسري الحكم إلى مصاديق هذا العنوان، فيقال: هذا العصير - الموجود في الخارج المشار إليه - إذا غلا يجرم، فإذا جفّ وصار زيبياً يشكّ في بقاء ذاك الحكم الشخصي على هذا الموضوع الخارجي المشار إليه وعدمه، فلا مانع من استصحابه؛ لبقاء الموضوع بشخصه وعينه.

وكما لو فرض حكم العقل بإنقاذ كلّ غريق مؤمن، واستكشف منه حكم الشرع بذلك، وفُرض أن زيداً أحد مصاديق ذلك العنوان، فهو محكوم بوجوب إنقاذه، فلو شكّ في وجوب إنقاذه بعد ذلك من جهة الشكّ في زوال إيمانه وعدمه، فإنّه لا مانع من استصحاب وجوب إنقاذه الثابت قبل هذا الشكّ مع بقاء الموضوع بالحسّ والعيان.

وبالجملة : موضوع حكم العقل غير موضوع الاستصحاب، فإنّ موضوع حكم العقل عنوان كليّ ومفهوم عامّ، وموضوع الاستصحاب مصداقه، وتختلف

العناوين باختلاف قيودها وتغيّرها، بخلاف المصاديق<sup>(١)</sup>.

وحينئذٍ فإن أراد الشيخ عليه السلام منع استصحاب الأحكام الكلية الشرعية المستكشفة من الأحكام العقلية المتعلقة بعناوينها الكلية فهو صحيح لا غبار عليه. وإن أراد منع استصحاب الأحكام المذكورة المتعلقة بالمصاديق بعد انطباق العناوين الكلية - المتعلقة للحكم الكلي - عليها وانحلاله فهو ممنوع؛ لما عرفت من عدم الإشكال في استصحاب أحكام المصاديق لبقاء موضوعها عرفاً واتّحاد القضية المتيقّنة والمشكوكة فيه واستصحاب الحكم فيها ليس إساءة له من موضوع إلى آخر.

---

١ - وكان بعض الأعظم عليه السلام - الميرزا الكبير - يسأل من بعض الطلبة عن مورد الاستصحاب، فإنّ الأحكام الشرعية متعلّقة بالموضوعات العرفيّة ، فإن كان الموضوع باقياً عرفاً كفي الدليل الأوّل في ثبوت الحكم عليه، ولا يفتقر إلى الاستصحاب، وإلا فلا يصحّ الاستصحاب أيضاً؛ لاشتراط بقاء الموضوع فيه عرفاً.

ويمكن الجواب عنه بما ذكرناه، فإنّ العناوين الكلية تتغيّر بتغيّر قيودها، ومعه فلا تشملها الأدلّة، ولا يجري الاستصحاب أيضاً، بخلاف مصاديقها، فإنّه يشكّ بتغيّر قيودها، فيجري الاستصحاب فيها مع تغيّر بعض قيودها. منه دام ظلّه.



## فصل

### حول التفصيل بين الشك في الرفع والمقتضي

وأما الكلام في التفصيل الثاني الذي اختاره الشيخ الأعظم رحمته <sup>(١)</sup>، وتبعه جمع من الأعظم كالميرزا النائيني <sup>(٢)</sup> والمحقق العراقي <sup>(٣)</sup>، ونقله <sup>(٤)</sup> عن المحقق في «المعارج» <sup>(٥)</sup>، وهو التفصيل بين الشك في الرفع وبين الشك في المقتضي، وجريان الاستصحاب في الأول دون الثاني.

فلا بد أولاً من بيان المراد من المقتضي، ثم الكلام حول هذا التفصيل. فنقول: المراد من المقتضي - كما يظهر منه رحمته في التنبيهات - هو كون المستصحب ممّا له استعداد البقاء إلى زمان الشك، ولكن احتمال حدوث الرفع له، فالشك فيه إنّما هو لأجل احتمال وجود الرفع له؛ بحيث لو علم بعدمه كان باقياً قطعاً،

---

١ - فرائد الأصول : ٣٢٨ سطر ١٢ .

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٣٣١ .

٣ - نهاية الأفكار (القسم الثاني) ٤ : ٧٥ - ٧٦ .

٤ - فرائد الأصول : ٣٢٨ سطر ١٣ .

٥ - معارج الأصول : ٢٠٦ .

في قبال ما إذا لم يحرز استعداد بقائه إلى ذلك الزمان، فيشكّ في بقائه ولو مع العلم بعدم الرافع<sup>(١)</sup>.

والظاهر أنّ هذا غير ما نقله عن المحقّق رحمته في ضمن كلامه في مقام الاحتجاج للقول التاسع<sup>(٢)</sup>، فإنّه قال - على ما حكى عنه - : والذي نختاره أن ننظر في دليل ذلك الحكم، فإن كان يقتضيه مطلقاً، وجب الحكم باستمراره كعقد النكاح، فإنّه يوجب حلّ الوطي مطلقاً، فإذا وقع الخلاف في الألفاظ التي يقع بها الطلاق، فالمستدلّ على أنّ الطلاق لا يقع بها لو قال : حلّ الوطي ثابت قبل النطق بهذه الألفاظ فكذا بعده كان صحيحاً؛ لأنّ المقتضي للتحليل - وهو العقد - اقتضاه مطلقاً، ولا يعلم أنّ الألفاظ المذكورة رافعة لذلك الاقتضاء أو لا، فيثبت الحكم عملاً بالمقتضي<sup>(٣)</sup>. انتهى.

فإنّ ظاهره كما ترى : أنّه رحمته فرض كون الدليل مقتضياً للحكم في الزمان الثاني، وهو غير ما ذكره الشيخ رحمته من التفصيل وتفسير الاقتضاء بما له استعداد البقاء واقتضاؤه من غير فرق بين الأحكام والموضوعات، فتأمّل جيّداً.

## ذكر أخبار الاستصحاب

وكيف كان لابدّ في المقام من ملاحظة الأخبار ومضامينها؛ وأنّ الاستفادة منها حجّية الاستصحاب مطلقاً أو في خصوص الشكّ في الرافع، وأنّه هل يستفاد منها الكلّيّة وحجّية الاستصحاب حتّى في غير موردّها مطلقاً في الأحكام والموضوعات، أو لا؟

١ - أنظر فرائد الأصول : ٣٢٧ سطر ١٩ .

٢ - نفس المصدر : ٣٦٠ سطر ١٨ .

٣ - معارج الأصول : ٢٠٩ - ٢١٠ .

### فمنها : الصحيحة الأولى لزارة

رواها الشيخ بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن حماد، عن حريز، عن زارة، قال :

قلت له : الرجل ينام وهو على وضوء أتوجب الخفقة والخفقتان عليه الوضوء؟ فقال : ( يازارة قد تنام العين، ولا ينام القلب والأذن، فإذا نامت العين والأذن والقلب فقد وجب الوضوء).

قلت : فإن حُرِّك إلى جنبه شيء ولم يعلم به؟ قال : (لا، حتى يستيقن أنه قد نام، حتى يجيء من ذلك أمر بيّن، وإلا فإنه على يقين من وضوئه، ولا ينقض اليقين أبداً بالشك ، وإنما ينقضه بيقين آخر<sup>(١)</sup>).

ولا يضرّها الإضمار؛ لأنّ راويها زارة، وهو لا يسأل إلا عن الإمام عليه السلام.

والظاهر أنّ شبهة زارة حكميّة مفهوميّة، وإجمال مفهوم النوم عنده مع علمه بأنّ النوم ناقض للوضوء، وشكّه في أنّ الخفقة نوم أو لا، فالسؤال إنّما هو عن ناقضيّة الخفقة والخفقتين مع العلم بتحققها.

أو لأجل أنّ للنوم مراتباً مع علمه بناقضيّة بعض مراتبه، وهو ما لو استولى على القلب والأذن، وشكّه في ناقضيّة بعض آخر منها، وهو ما لو استولى على العين فقط.

أو لأجل أنّه كان يعلم بأنّ الخفقة ليست نوماً، لكن احتمل ناقضيّةه أيضاً مستقلاً، وحينئذٍ فالمراد من قوله : (الرجل ينام) هو تهيوّه للنوم والإتيان بمقدّماته من

١ - تهذيب الأحكام ١ : ٨ / ١١، وسائل الشيعة ١ : ١٧٤، كتاب الطهارة، أبواب نوااض

الوضوء، الباب ١، الحديث ١.

مدّ الرجلين ونحوه، فإنّه يُطلق عليه النوم أيضاً.  
ويظهر من جواب الإمام عليه السلام : أنّ النوم قسمان : أحدهما: المستولي على العين فقط. الثاني: المستولي على القلب والأذن أيضاً.  
ويُستفاد من قوله: (فإن حُرِّك في جنبه شيء) أنّ الشبهة فيه موضوعيّة، والسؤال إنّما هو عن المشخّص لغلبة النوم على القلب والأذن وعلامته.  
ومحلّ الاستشهاد هو قوله: (لا، حتّى يستيقن...) إلى آخره.

### بيان الاحتمالات التي في الرواية

وفي قوله: (وإلاّ فإنّه على يقين) احتمالات :  
الأول: ما ذكره الشيخ الأعظم رحمه الله: من أنّ الجزء محذوف : أي: وإن لم يستيقن أنّه قد نام فهو باقٍ على وضوئه، وقوله: (فإنّه على يقين من وضوئه) علّة للجزاء قامت مقامه، نظير قوله تعالى: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ﴾<sup>(١)</sup> ونظائره التي ذكرها في «الفرائد»<sup>(٢)</sup>، ويستفاد منه قاعدة كليّة، وهي عدم جواز نقض اليقين بالشكّ مطلقاً، وإنّما ذكر الوضوء لأجل أنّ السؤال عنه، وأنّه أحد المصاديق، فقوله: (فإنّه على يقين) صغرى القياس، والكبرى هي (ولا ينقض اليقين بالشكّ أبداً).

وعلى فرض الشكّ في أنّ الوضوء قيد أم لا، يمكن رفعه بظهور اللام في الجنس وظهور الطبيعة في الإطلاق، إلّا أن يدلّ دليل على خلافه، ولهذا يقال : إنّ القيد الوارد مورد الغالب، لا يوجب صرف ظهور المطلق في الإطلاق؛ لعدم إحراز قيديّته، وما نحن فيه من هذا القبيل، إلّا أن يقال: إنّ الأخذ بالظواهر إنّما هو لبناء العقلاء عليه، ومع وجود ما يصلح للقرينيّة لصرف الكلام عن ظهوره، لم يُحرز هذا البناء، فإنّه على

١ - يوسف (١٢) : ٧٧.

٢ - فرائد الأصول : ٣٢٩ سطر ٢٢.



فرض عدم استفادة القيدية لا يُستفاد منه الإطلاق أيضاً، فلاتدل الرواية على الاستصحاب في غير الوضوء.

ولا مناص عن هذا الإشكال إلا بإلغاء قيدية الوضوء - كما هو الظاهر - لأن تعليق النقض باليقين في قوله <sup>عليه السلام</sup>: (لا تنقض اليقين) في المفاهيم العرفي العقلاني، ظاهر في أن تمام الموضوع لحرمة النقض هو نفس اليقين، لا اليقين بالوضوء، وأنه لا دخل للوضوء في الحكم، فاليقين من حيث إنه أمرٌ مبرمٌ مستحكم، لا يجوز نقضه بالشك، ولا يختلف الحكم فيه باختلاف متعلّقه.

مضافاً إلى منع ظهور قوله: (من وضوئه) في القيدية بحيث لا يمكن رفع اليد عنه؛ لما عرفت من أن ذكره إنما هو لأجل أنه مورد السؤال؛ مع ظهور الكبرى المذكورة في الكلية.

نعم هنا إشكال آخر - بناء على ما ذكره الشيخ <sup>عليه السلام</sup> من قيام العلة مقام المعلول -: وهو أن ظاهر الرواية، استصحاب الوضوء، ولاريب أن الشك في بقاء الوضوء مسبب عن الشك في النوم، ومقتضى ما ذكره من عدم جريان الأصل المسببي مع جريانه في السبب<sup>(١)</sup>، هو استصحاب عدم تحقق النوم، فالمقام مقام جريان أصالة عدم وقوع النوم، لا الوضوء<sup>(٢)</sup>.

ويمكن الذب عنه بوجهين:

أحدهما: أن ذلك إنما هو مع جريان الأصل السببي الغير الجاري في المقام؛ لعدم ترتب أثر شرعي عليه، فإن التضاد بين النوم والوضوء وإن كان شرعياً ويجعل الشارع، لكن استصحاب عدم أحد الضدين، لا يثبت وجود الضد الآخر، وليس له أثر شرعي يترتب عليه؛ لأن بقاء الوضوء من الآثار واللوازم العقلية لعدم أحد

١ - فرائد الأصول : ٤٢٤ سطر ٢٢، كفاية الأصول : ٤٩٠، فوائد الأصول ٤ : ٤١٥ .

٢ - نهاية الأفكار (القسم الأول) ٤ : ٣٩ .

الأحداث ونواقض الوضوء.

وثانيهما: أن الإمام عليه السلام ليس في المقام بصدد الجواب عن المطالب العلميّة، وأنّ بقاء الوضوء مترتب على أيّ شيء، بل بصدد بيان جواب السؤال عن الوظيفة والحكم الشرعي، كالفقيه إذا سئل عن حكم من الأحكام؛ لأنّه مورد ابتلائه، فإنّه إنّما يجب وبيّن له ما هو وظيفته في مقام العمل والحكم الشرعي، لا المطالب العلميّة.

الثاني من الاحتمالات: هو أنّه قوله: (فإن حُرِّك في جنبه شيء...) إلى آخره، سؤال عن وجوب الوضوء وعدمه عند ذلك، وقوله عليه السلام: (لا) يعني لا يجب عليه الوضوء حتى يستيقن أنّه قد نام، وقوله عليه السلام: (والأ...) راجع إلى قوله عليه السلام: (لا، حتى يستيقن)؛ أي: وإن لم يكن كذلك - وحكم بوجوب الوضوء عليه - يلزم نقض اليقين بالشك، ولا يجوز ذلك، وحينئذٍ فلا يحتاج إلى تقدير الجزاء، كما ذكره الشيخ قده، ومعه فاستفادة الكلّيّة - بحيث تعمّ غير باب الوضوء - أسهل وأظهر، وهذا الاحتمال لم أره في كلمات القوم.

الثالث من الاحتمالات: ما ذكره الشيخ الأعظم قده أيضاً، وهو أن قوله عليه السلام: (والأ) يعني: وإن لم يستيقن أنّه قد نام، وقوله عليه السلام: (فإنّه على يقين) هو الجزاء نفسه، لا أن الجزاء محذوف قامت علته مقامه، ومعنى قوله: (فإنّه على يقين) هو أنّه لا يجب عليه الوضوء ليصحّ جعله جزاء للشرط<sup>(١)</sup>، لكن بناء على هذا الاحتمال لا يستفاد منه القاعدة الكلّيّة؛ لأنّ قوله: (ولا ينقض اليقين بالشك) - بناء على هذا الاحتمال - عطف على الجزاء، وليس بصورة القياس ليستفاد منه الكلّيّة.

الرابع من الاحتمالات: ما اختاره الميرزا النائيني قده، ونفى عنه الشبهة، وهو أن الجزاء هو قوله عليه السلام: (فإنّه على يقين) بتأويله إلى الجملة الإنشائيّة، وأنّ المعنى:

وإن لم يستيقن أنه قد نام، يجب عليه البناء على طبق اليقين بالوضوء والعمل به، واحتمال أنه علة للجزاء المقدّر قام مقامه ضعيف غاية الضعف، وإن قوّاه الشيخ رحمته؛ بداهة أنه على هذا يلزم التكرار في الجواب؛ وبيان حكم السؤال مرتين بلا فائدة فيه، فإنّ قوله عليه السلام: (لا، حتى يستيقن) يراد به: أنه لا يجب عليه الوضوء، فلو قدّر جزء قوله عليه السلام: (والأ... ) بمثل ما أجاب به أولاً، يلزم التكرار في الجواب بدون أن يتكرّر السؤال، وهو لا يخلو عن حزازة<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: ذكر الجملة الخبرية في مقام الإنشاء، مثل (يعيد الصلاة)<sup>(٢)</sup> أمّا هو أبلغ في الحثّ على الإتيان بالمأمور به؛ لأنه فرض وجوده قطعاً، فذكر الجملة الخبرية حينئذٍ بداعي الإنشاء لذلك.

فما ذكره رحمته من تأويل قوله: (فإنه على يقين) - الذي هو جملة إخبارية - إلى جملة إنشائية: إن أراد أنه إنشاء لتحقق اليقين وحصوله في هذا الطرف من الزمان، وأنه على يقين تعبداً، فهو لا يناسب المقام وإن صحّ في نفسه؛ لأنه لا معنى للتعبّد بحصول اليقين بالوضوء وإنشاء تحقّقه وعدم الشكّ فيه.

وإن أراد منه أنه بعث إلى تحصيل اليقين، مثل قوله: (لا ضرر ولا ضرار)<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿ما جعلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٤)</sup> بناءً على المشهور من أنه إنشاء<sup>(٥)</sup>،

١ - فوائد الأصول ٤ : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

٢ - تهذيب الأحكام ١ : ٤٥ / ١٢٧ ، الاستبصار ١ : ٨٨ / ٨ ، وسائل الشيعة ١ : ١٩٣ ، كتاب

الطهارة ، أبواب نواقض الوضوء ، الباب ٩ ، الحديث ١٠ .

٣ - الكافي ٥ : ٢٩٢ / ٢ ، تهذيب الأحكام ٧ : ١٤٦ / ٦٥١ ، الفقيه ٣ : ١٤٧ / ٦٤٨ .

٤ - الحج (٢٢) : ٧٨ .

٥ - نهاية الدراية ٢ : ٣٢١ السطر الأخير ، قاعدة لا ضرر ، شيخ الشريعة الأصفهاني : ١٨ السطر

الأخير .

ومثل قوله عليه السلام: (يعيد) في مقام الأمر بالإعادة، وحينئذٍ فقوله: (فإنه على يقين من وضوئه) إنشاءً وبعثٌ إلى تحصيل اليقين، لا البناء على اليقين، فهو يُنتج خلاف المراد؛ لأنَّ مرجعه إلى الأمر بالوضوء لتحصيل اليقين به.

وإن أراد أنه يستفاد الأمر بالبناء على اليقين والعمل على طبقه فهو لا يصحُّ إلا مع التقدير.

ثمَّ إنَّ ما ذكره تقيُّمٌ مستلزمٌ للتكرار الذي يوجب الحزازة، لا ما ذكره الشيخ تقيُّمٌ<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ قوله عليه السلام: (لا) - بناءً على ما ذكره الشيخ - إنما ذكر توطئةً وتمهيداً لما ذكره بعد ذلك، ولا حزازة فيه، بخلافه بناءً على ما ذكره، فإنه عليه السلام ذكر أولاً عدم وجوب الوضوء بقوله: (لا)، فلا وجه لتكراره بقوله: (فإنه على يقين).

ثمَّ إنه يظهر من صدر كلامه عليه السلام في التقريرات: أنَّ قوله عليه السلام: (فإنه على يقين من وضوئه) صغرى لقوله: (ولا ينقض اليقين بالشك)، وأنه بصورة القياس<sup>(٢)</sup>، وهو يناهض جعله جزاءً وإنشاءً؛ لأنَّه قد تتقدَّم المقدمتان - أي الصغرى والكبرى - في القياس على النتيجة، وقد يعكس، فبناءً على ما ذكره فهو من هذا القبيل؛ أي تقدَّم النتيجة على المقدمتين، مثل «لا تشرب الخمر لأنَّه مسكر، وكلُّ مسكر حرام»، مع أنَّه لا يمكن جعله من قبيل ذلك؛ لاحتياجه إلى دخول الفاء أو اللام في قوله: (لا تنقض اليقين بالشك).

وعلى أيِّ تقدير فبناءً على هذا الاحتمال لا يُستفاد منها الكليَّة أيضاً؛ لأنَّ الكليَّة إنما تستفاد إذا كان قوله: (لا) قد ذكر توطئةً وتمهيداً مع دخول الفاء أو اللام على قوله: (ولا ينقض اليقين بالشك)؛ ليصير من باب تقدُّم نتيجة البرهان، والأوَّل خلاف الظاهر، والثاني منتفٍ.

١ - فرائد الأصول : ٣٢٩ سطر ٢٢ .

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٣٣٥ - ٣٣٦ .

وأما بناء على الاحتمال الأول والثاني فيستفاد منه الكليّة.  
ثمّ على فرض عدم دلالة الرواية بنفسها على الكليّة يمكن استفادتها منها بإلغاء الخصوصيّة للوضوء، فإنّه نظير قول زرارة في الرواية الأخرى: (أصاب ثوبي دم رعاف)<sup>(١)</sup>، فإنّه لا ريب في عدم دخالة ثوب زرارة وكون الدم، دم رعاف وكذا الدم في الحكم عرفاً، فكذلك الوضوء، وأنّ المتبادر منها عرفاً هو أنّ تمام الموضوع للاستصحاب هو اليقين السابق، فتعمّ كلّ يقين سابق وشك لاحق، ولا فرق في ذلك بين الاحتمالات المذكورة في مفاد الرواية ومعناها.

### تقريبات الأعلام في اختصاص حجّة الاستصحاب بالشك في الرفع

نعم هنا كلام آخر هو: أنّ الشيخ الأعظم رحمته قال: استدلل المتأخرون بالعمومات الواردة في الباب لحجّة الاستصحاب مطلقاً؛ سواء كان الشك في الرفع أو المقتضي، واختار هو رحمته حجّيته في خصوص الشك في الرفع تبعاً للمحقّق رحمته<sup>(٢)</sup>، ونزّل العمومات عليه<sup>(٣)</sup>، ومن القائلين بحجّيته مطلقاً الميرزا الشيرازي والسيد الأستاذ محمد الفشاركي<sup>(٤)</sup> وشيخنا الحائري<sup>(٥)</sup> قدّس الله أسرارهم.  
فلابدّ من ملاحظة الأخبار، وأنّه هل يُستفاد منها حجّيته مطلقاً؛ حتّى في صورة الشك في المقتضي أو لا؟

- 
- ١ - تهذيب الأحكام ١ : ٤٢١ / ١٣٣٥ ، وسائل الشيعة ٢ : ١٠٥٣ ، كتاب الطهارة، أبواب النجاسات ، الباب ٣٧ ، الحديث ١ .
  - ٢ - معارج الأصول : ٢٠٩ - ٢١٠ .
  - ٣ - فرائد الأصول : ٣٣٦ سطر ٩ .
  - ٤ - أنظر ما نقله عنهما المحقّق الحائري في درر الفوائد : ٥٢٢ .
  - ٥ - درر الفوائد : ٥٢٠ .

فنقول : لا ريب في أن المصحح في إطلاق النقض وتعليقه باليقين هنا، ليس هو جهة قيامه بالشخص من حيث إنه صفة خاصة قائمة به لافتقار إسناد النقض إلى شيء أن يكون هذا الشيء أمراً مبرماً، وقيام اليقين بصاحبه ليس أبرم من قيام الظن والشك بالظان والشاك، بل قيام الشك به أبرم وأسد كما في الشكّاء، وليس المصحح له إضافة اليقين إلى المتيقن أيضاً؛ لعدم الفرق فيه بين كون المتيقن أمراً ممتدداً أو لا، بل المصحح له - الذي به امتاز اليقين عن أخويه في صحة استعمال النقض فيه دونها - هو نفس اليقين، فإنه في نظر العرف أمر مبرم مستحكم، حتى استعير له لفظ الحبل، فكأنه حبل مستحكم، كما أن استعمال النقض وإطلاقه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك العهد، إنما هو لأجل أن اليمين والعهد أمران مبرمان كالحبل، كما قال ابن التيهان لرسول الله ﷺ : (إن للقوم علينا أجبلاً هل تنقضوها)<sup>(٢)</sup>؟ ومن الواضح عدم دخل الجري العملي والبناء على طيق اليقين في ذلك أيضاً، كما ذكره الميرزا النائيني رحمه الله<sup>(٣)</sup>.

وبالجملة : نسبة النقض إلى اليقين إنما هو بملاحظة أن إضافة اليقين إلى متعلّقه، إضافة مبرمة مستحكمة، بخلاف إضافة الظن والشك إلى متعلّقيها، فإنها إضافة ضعيفة، خصوصاً في الشك، فإن إضافته ترددية، ولا فرق في صحة إسناد النقض إلى اليقين بين ما كان للمتيقن دوام واستمرار لولا الرافع والمانع أو لا، والتفصيل بين الشك في المقتضي والشك في الرافع مبني على الفرق بينهما.

ومما ذكرنا يظهر ما في التفصيل - الذي اختاره الشيخ رحمه الله تبعاً للمحقق رحمه الله - بين صورة الشك في المقتضي والشك في الرافع مع إحراز استعداد بقاء المستصحب باعتبار

١ - النحل (١٦) : ٩١ .

٢ - السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٨٥ .

٣ - فوائد الأصول ٤ : ٣٣٦ .

الاستصحاب في الثاني دون الأول، فإنه وَيَكُونُ قال في بيان ذلك: ووجهه أن النقص: عبارة عن رفع الأمر المستمر في نفسه وقطع الشيء المتصل كذلك، فلا بد أن يكون متعلّقه ما له استمرار واتصال، وليس هو نفس اليقين؛ لانتقاضه بالشك بدون اختيار المكلف، فلا يقع في حيز التحريم ولا أحكام اليقين من حيث إنه وصف من الأوصاف، لارتفاعها بارتفاعه قطعاً، بل المراد منه بدلالة الاقتضاء الأحكام الثابتة للمتيقّن بواسطة اليقين؛ لأنّ نقض اليقين بعد ارتفاعه لا يعقل له معنى سوى ذلك، وحينئذٍ فلا بد أن يكون أحكام المتيقّن كنفسه ممّا له استمرار في نفسه لولا الناقض<sup>(١)</sup>. انتهى.

ومحصل الإشكال فيه: أننا لا نُسَلِّم أن إطلاق النقص هنا إنما هو باعتبار المتيقّن، وليس المراد به مطلق ترك العمل وترتيب الآثار أيضاً، وليس الأمر دائراً بينها.

بل هنا وجه ثالث: هو أن إسناد النقص إلى اليقين إنما هو باعتبار نفسه وذاته؛ حيث إنّ له نحو إبرام واستحكام، بل لا معنى لما ذكره في بعض الأمثلة، كما لو فرض أن المتيقّن حياة زيد، ولا معنى للحكم بجرمة نقض حياة زيد بالشك فيها. وذكر الميرزا النائيني رحمته - في بيان اختصاص حجّة الاستصحاب في خصوص الشك في الرفع - تقرّيبين:

أحدهما: أنّه ليس المراد باليقين في الخبر نفس اليقين بما أنّه صفة نفسانيّة؛ لعدم إمكان إضافة النقص إليه بهذا المعنى، ولا بلحاظ آثاره؛ لعدم ترتّب أثر شرعيّ عليه، بل إنّما هو بلحاظ ما يستتبع من الجري على ما يقتضيه المتيقّن حكماً كان أو موضوعاً، لا باستعمال اليقين في المتيقّن، كما صنعه الشيخ رحمته، بل المراد نقض اليقين بما أنّه يستتبع

الحركة على وفق المتيقّن، فأخذه في الأخبار إنّما هو باعتبار أنّه كاشف وطريق إلى المتيقّن، بل يمكن أن يقال: شيوع إضافة النقض إلى اليقين دون العلم والقطع إنّما هو بهذا الاعتبار، فلا يقال: «انتقض العلم والقطع»، وليس ذلك إلّا لأجل أنّ العلم والقطع يُطلقان غالباً في مقابل الظنّ والشكّ، ويُراد منها الصفة النفسانيّة، وحينئذٍ فأخبار الباب تختصّ بما إذا كان المتيقّن ممّا يقتضي الجري العملي على طبقه؛ بحيث لو خُلّي وطبعه يبقى على العمل على وفق اليقين بقاء المتيقّن، وهذا المعنى يتوقّف على أن يكون المتيقّن ممّا فيه اقتضاء البقاء في عمود الزمان؛ ليتحقّق الجري العملي على طبقه، بخلاف ما إذا لم يكن للمتيقّن اقتضاء البقاء في سلسلة الزمان، فإنّ الجري العملي بنفسه ينتقض، ولا يصحّ ورود النقض على اليقين بعناية أنّه المتيقّن؛ لعدم اقتضائه الجري العملي حتّى يكون رفع اليد عنه نقضاً لليقين<sup>(١)</sup>. انتهى ملخصاً.

أقول: أمّا الفرق بين اليقين وبين العلم والقطع بما تقدّم من كلامه في إرادة الطريقي من الأوّل، بخلاف الثانيين، فلم يسبقه إليه أحد، ولا يساعده عليه العرف ولا اللغة، ولم نظفر في الإطلاقات ما يشهد له.

وأما ما ذكره: من أنّ المصحّح لإسناد النقض إلى اليقين إنّما هو بلحاظ الجري العملي على طبق المتيقّن، فإن أراد به أنّ العاقل إذا حصل له اليقين بشيء يستتبعه الجري العملي على طبق اقتضاء المتيقّن، وهذا الاعتبار أسند النقض إلى اليقين.

ففيه: أنّه مجرّد دعوى لا شاهد عليها.

وإن أراد أنّ إضافة النقض إلى اليقين، إنّما يصحّ فيما لو كان لمتعلّقه اقتضاء البقاء

والاستمرار.

فيرد عليه :



أولاً: النقص بما لو صرح بإضافة اليقين إلى ما ليس لمتعلقه اقتضاء البقاء والاستمرار، كقولنا: لا تنقض اليقين بوجود الليل أو النهار بالشك فيها، فإنه لا ريب في صحته وعدم كونه غلطاً في الاستعمال.

وثانياً: بالحل بأن المصحح للإضافة المذكورة نفس اليقين، كما تقدم بيانه، ولذلك لا يتبادر ما ذكره في أذهان العرف والعقلاء.

وقال الفقيه الهمداني في حاشيته على «الفرائد»: إن ما يتعلق به النقص لا بد أن يكون له إبرام واستحكام، فإنه عبارة عن رفع الهيئة الاتصالية للشيء، وتعلقه باليقين إنما هو باعتبار إبرامه واستحكامه، وحينئذٍ، فإن أريد من قوله: (لا تنقض...) نقض اليقين السابق بتبدله إلى الشك فيه، فهو ينطبق على قاعدة الشك الساري وقاعدة اليقين، فلا يصلح دليلاً على الاستصحاب؛ لاعتبار بقاء اليقين بالوجود السابق في ظرف الشك في الاستصحاب، فلو أريد شموله للاستصحاب لزم أن يُقدَّر اليقين، ويفرض وجوده في زمان الشك؛ ليصح الحكم بعدم نقضه، وإلا فرفع اليد عن آثار اليقين السابق ليس نقضاً له، وعدمه ليس عملاً به.

وبالجملة: لا يصح الحكم بالنقض إلا بعد تقدير اليقين في زمان الشك وفرض وجوده فيه، وحينئذٍ فإن كان للمتيقن السابق اقتضاء للوجود واستعداد للبقاء إلى زمان الشك، صح تقدير اليقين من حيث اقتضاؤه للوجود في زمان الشك أيضاً، كما هو كذلك في العرف والعادة. بخلاف ما إذا لم يحرز استعداده للبقاء في زمان الشك، فإنه لا مصحح لتقدير اليقين حينئذٍ<sup>(١)</sup>. انتهى ملخصاً.

أقول: يرد عليه:

أولاً: النقص بما لو صرح بالحكم بعدم النقص في صورة الشك في المقتضي، كما

١ - حاشية المحقق الهمداني على الفرائد: ٨١ سطر ١٧.

لو قال: «إذا كنت على يقين من حياة زيد، فشككت فيه بعد مدة طويلة، لم يحرز استعداد بقاته فيها، فلا تنقض اليقين بالشك»، فإنه لا ريب في صحته عند العرف والعقلاء.

وثانياً بالحل: بأن قوله: (لا تنقض اليقين بالشك) كبرى كلية لقوله: (فإنه على يقين من وضوئه)، ومقتضى انطباق تلك الكبرى على الصغرى المذكورة، هو أن المراد باليقين في الكبرى هو اليقين السابق؛ لينطبق على اليقين المذكور في الصغرى، ولا ريب في أن المراد منه هو اليقين السابق بالوضوء، فلو أريد من اليقين في الكبرى اليقين التقديري لم ينطبق على الصغرى المذكورة.

لا يقال: إن قوله عليه السلام: (فإنه على يقين) إنشاءً لحصول اليقين في ظرف الاعتبار في زمان الشك.

فإنه يقال: إنه لو كان كذلك لم يصح الحكم بعدم نقض اليقين بالشك؛ لعدم الشك حينئذٍ اعتباراً وتعبدًا، فلا ريب في أن قوله عليه السلام: (فإنه على يقين) إخبار بأنه على يقين من وضوئه السابق، لا أنه إنشاءً لحصول اليقين تعبدًا.

وثالثاً: أنه في قوله عليه السلام: (أبدأً) احتمالان:

الأول: أن المراد منه تعميم الحكم لجميع أفراد اليقين في جميع الموضوعات والأحكام.

الثاني: - وهو الظاهر - أن المراد منه تأييد الحكم بعدم النقض في جميع الأزمنة إلى أن يحصل اليقين بالخلاف، وهو المناسب لقوله عليه السلام: (ولكن تنقضه بيقين آخر).

وعليه فيستفاد من قوله: (لا تنقض) حكم حرمة النقض، ومن قوله عليه السلام: (أبدأً) تأييده، وحينئذٍ فإن أراد الله تعالى تقدير اليقين في جميع زمان الشك، فلامعنى للتأييد حينئذٍ المستفاد من قوله عليه السلام: (أبدأً)؛ لأن الحكم حينئذٍ مؤيد في نفسه.

وإن أراد الله تعالى تقديره في الجزء الأول من زمان الشك، لا في جميع أزمنته، فتأييد

الحكم بعدم النقض في الأجزاء الآخر من أزمته الشك، لا يصح بناء على مبناه <sup>١</sup>؛ لعدم تقدير اليقين فيها.

ورابعاً: لا ريب في أن قوله <sup>٢</sup>؛ (ولكن تنقضه بيقين آخر) ليس تعبدًا بالعمل على طبق اليقين؛ لأن حجتيه ذاتية غير قابلة للجعل، بل هو بيان لحد الحكم بعدم نقض اليقين بالشك، فلو حظ فيه ظرف اليقين بالحكم وظرف الشك فيه وظرف اليقين بالخلاف، فمع ذلك كيف يمكن تقدير أنه على يقين في زمان الشك مع لحاظه واعتباره الشك فيه؟!

ومن هنا يظهر ما في التقريب الثاني الذي ذكره الميرزا النائيني <sup>٣</sup>؛ حيث إنه ذكر ما ملخصه :

إن صدق نقض اليقين بالشك متوقف على أن يكون زمان الشك مما تعلق به اليقين به في زمان حدوثه، وهذا إنما يتحقق إذا كان المتيقن مرسلاً بحسب الزمان؛ كي لا يكون اليقين بوجوده من أول الأمر محدوداً بزمان خاص ووقت مخصوص، وإلا ففيما بعد ذلك الحد والوقت يكون المتيقن مشكوك الوجود من أول الأمر، ولا يكون رفع اليد عن آثار وجود المتيقن من نقض اليقين بالشك؛ ألا ترى أنه لو علم أن المتيقن لا يبقى أزيد من ثلاثة أيام في اليوم الرابع لا يقال: انتقض اليقين بالوجود بيقين آخر بالعدم، فإن اليوم الرابع لم يكن متعلق اليقين بالوجود من أول الأمر <sup>(١)</sup>. انتهى.

وفيه: أولاً؛ أنه ليس مقتضى ما ذكره التفصيل بين الشك في الرفع وبينه في المقتضي، بل مقتضاه التفصيل بين ما لو كان المتيقن مرسلاً وممتداً وبين عدمه؛ بجرى الاستصحاب في الأول وإن فرض أن يقينه خلاف الواقع وكان الشك في المقتضي. وثانياً؛ ما ذكره: من أن كل ما له استعداد البقاء فهو متيقن البقاء إلى أن يعلم

بوجود الرافع وإن احتمل وجوده، كما ترى، وكيف يمكن الجمع بين اليقين بوجود شيء وبين احتمال وجود الرافع له؟! بل اليقين إنما يحصل بوجود المقتضي مع إحراز عدم المانع وعدم احتمال وجوده في الزمان الثاني.

سَلَّمنا إمكان ذلك، لكن المفروض أنه قد شكَّ فيه في الزمان اللاحق، ولا يقول هوَ مَن يُنْقِصُ اليقين، فكيف يصحَّ الحكم بعدم النقص بناء على ما ذكره؟!

بقي الكلام فيما ذكره الفقيه الهمداني والميرزا النائيني: من دعوى بناء العقلاء على حجّة الاستصحاب في خصوص الشكّ في الرافع دون الشكّ في المقتضي وتنزيل الأخبار عليه، قال في «مصباح الفقيه» في مسألة الشكّ في مانعيّة الموجود وحاجبيّته في باب الوضوء ما حاصله :

إذا راجعت أهل العرف والعقلاء، وجدتهم لا يعتنون باحتمال وجود ما يقتضي خلاف الحالة السابقة ممّا بأيديهم، ويزعمون أن الاعتناء بالشكّ، نقض لليقين بالشكّ؛ ألا ترى أن من قلّد مجتهداً لا يرفع اليد عن تقليده بمجرد احتمال موته، وكذلك سائر أرباب الملل والأديان؛ لا يعتنون باحتمال نسخ دينهم أو نسخ حكم خاصّ في شريعتهم ما لم يثبت ذلك لهم، ومن كان وكيلاً عن شخص غائب، قائماً مقامه، ملتزماً بالعمل بوظائفه، لا يعتزل عن وكالته وعمله بمجرد احتمال ما لم يثبت ذلك له إلى غير ذلك من الموارد.

هذا فيما احتمل رفع الحكم الثابت .

وأما لو احتمل صدور حكم ابتداءً من مواليه لا يجب عليه الاعتناء به؛ لحكم العرف والعقلاء بذلك، وهذا هو الذي نسمّيه بـ«البراءة الأصلية».

ثمّ ذكر : أن بناءهم على اعتبار الحالة السابقة وبقائها ليس لأجل إفادتها الظنّ؛ لأنّ العمل بالظنّ عندهم بذاته من المنكرات.

ثمّ قال : ولا يخفى أن مقتضى ما ذكرناه هو حجّة الاستصحاب عند العرف

والعقلاء فيما عدا الشك في المقتضي، وأمّا فيه فقتضاه عدم الحجّة؛ لأنّ مرجع ما ذكرنا إلى عدم اعتناء العقلاء بمشكوك الوجود أصلاً، فلو كان المشكوك مؤثراً في زوال شيء، فقتضى عدم الاعتناء بالشك ترتيب آثار الموضوع الذي يشك في زواله، وأمّا إذا تعلّق الشك أولاً وبالذات بنفس الموضوع - كما هو الشأن في الشك في المقتضي - فقتضى عدم الاعتناء بالشك فيه عدم الالتفات إلى وجوده في الزمان الثاني؛ لأنّ وجوده فيه أيضاً ممّا لا بدّ من إحرازه في مقام ترتيب الأثر عليه، وليس وجوده السابق طريقاً إليه، فالمستصحب في صورة الشك في الرفع - حيث إنّ له وجوداً تقديرياً، كأنّه أمر محقّق بالفعل - بخلافه في الشك في المقتضي.

ثمّ ذكر عدم حجّة المثبت من الاستصحابات عند العقلاء أيضاً<sup>(١)</sup>. انتهى ملخصاً.

وإلى ما ذكره يرجع ما أفاده الميرزا النائيني رحمته؛ من أنّه لولا حجّة الاستصحاب، لزم اختلال نظام الناس في معاشهم وسوقهم ومراسلاتهم، وليس ذلك من جهة رجاء البقاء؛ لأنّه لو كان كذلك لم يُقدّموا على إرسال البضائع ولا الأموال التجاريّة وغيرها إلى شركائهم مع احتمال موتهم. ثمّ ذكر: أنّ بناءهم على ذلك إنّما هو مع إحراز المقتضي، وأمّا مع الشك فيه فبناؤهم فيه على الاحتياط<sup>(٢)</sup>. انتهى.

أقول: لا ريب في أنّ بناء العقلاء على ذلك كما ذكرناه في الجملة، ولكن الإشكال في أنّ بناءهم عليه للاعتماد على الحالة السابقة، وأنّ ترتيبهم الأثر لأجل أنّه نقض لليقين بالشك، أو أنّه لأجل حصول الاطمئنان بالبقاء وضعف احتمال الخلاف، فإنّ الظاهر هو الثاني، فإنّ إرسالهم البضائع وأموال التجارة إلى شركائهم، ليس للاعتماد

١ - مصباح الفقيه، الطهارة: ١٨٣ سطر ١٤.

٢ - فوائد الأصول ٤: ٣٣٢ - ٣٣٣.

على أصالة بقاء الحالة السابقة ووجودهم سابقاً، وأنّ عدم ترتيب الأثر على احتمال موتهم لاستصحاب بقاء ما كان ، وأنّ ترتيب الأثر، نقض لليقين بالشك، بل لأجل ضعف احتمال موتهم والاطمئنان ببقائهم، نظير بنائهم على أصالة السلامة؛ ولذا يُقدّمون على التجارة أو الزراعة ، مع أنّ ظهور فائدته بعد مدّة طويلة، مع احتمال عدم بقاءه إلى تلك المدّة، وليس ذلك إلّا لأجل حصول الاطمئنان لهم بالبقاء إلى تلك المدّة، ولم يثبت بناؤهم وإقدامهم على ذلك مع الاحتمال والشكّ المتساوي الطرفين في البقاء. ثمّ إنّ ما ذكره من الأمثلة لا تنطبق على مدّعه، فإنّ استصحاب المقلّد بقاء مجتهد، لا يثبت أنّ تقليده هذا للحيّ، وأمّا استصحاب تقليده الحيّ فالشكّ فيه في المقتضي لا الرافع؛ لأنّ الحيّ هو الذي فيه اقتضاء التقليد، لا الميّت.

وأما استصحاب عدم النسخ فالشكّ فيه دائماً في المقتضي؛ لاستحالة الشكّ في الرافع فيه، ولو سلّم إمكان فرض الشكّ في الرافع فيه؛ بإحراز استعداد بقاء المنسوخ لما بعد النسخ، فهو في غاية التدرّة.

وأما مثال الوكيل فإن أراد استصحاب حياة الموكل فهو مثبت؛ لأنّ وكالته عن الحيّ - التي يراد إثباتها باستصحاب حياته - من الآثار الغير الشرعيّة.

وإن أراد استصحاب وكالته عن الحيّ فهو شكّ في المقتضي.

والحقّ: أنّ بناء العقلاء على ما ذكر في هذه الأمثلة ليس لاستصحاب الحالة السابقة، بل لاطمئنانهم بذلك وضعف احتمال الخلاف؛ بحيث لا يعتني به العقلاء، أو لقاعدة «أنّ ما ثبت يدوم»، فإنّ مرجعها أيضاً إلى ضعف احتمال الخلاف، لا لأنّه نقض لليقين بالشكّ، فلا يمكن تنزيل الأخبار على ما عليه العرف والعقلاء فيها، فإنّ لسانها لسان عدم جواز نقض اليقين بالشكّ الذي لم يثبت بناء العقلاء عليه - كما عرفت - لعدم كاشفيّة الكون السابق عن الكون في زمان الشكّ عندهم إلّا مع الاطمئنان بالبقاء.

ولا يتوهم : أنَّ قوله عليه السلام في الصحيحه الآتية لزراعة : (لا ينبغي لك أن تنقض...) إلى آخره ظاهرٌ في أنه أمر عقلائي، وأنَّ نقض اليقين بالشك عندهم من المنكرات؛ إذ ليس معناه : لا ينبغي ذلك عند العرف والعقلاء، كما يشهد له موردها الذي فرض في السؤال : أنه ظنَّ إصابة الدم للثوب، وأنه في مظانِّ الإصابة، ومع ذلك لم يثبت بناؤهم على ترتيب الأثر على الحالة السابقة في زمان الشك، وإلا لم يسأل عن ذلك، فالقول بتنزيل الروايات على ما عليه العرف والعقلاء غير مستقيم.

فظهر من جميع ما ذكرناه : شمول الروايات للشك في المقتضي أيضاً وجميع أفراد اليقين السابق.

### هل الاستصحاب أمانة شرعية أم أصل عملي ؟

ثمَّ إنَّه لا ريب في أنَّ مستند الاستصحاب هو الأخبار والأدلة الشرعية، لكن هل هو أمانة شرعية وطريق إلى الواقع ؛ بأن يقال: إنَّ المستفاد من قوله عليه السلام: (لا تنقض اليقين بالشك) هو الحكم بإطالة عمر اليقين السابق إلى زمان الشك، وإلحاق زمان الشك بزمان اليقين تعبُّداً بنحو تتميم الكشف، أو أنه أصل عملي ووظيفة شرعية في صورة الشك في البقاء، نظير أصالة البراءة والطهارة؛ بدعوى أنَّ المستفاد من الأخبار جعل حكم ظاهريٍّ مماثلٍ للحكم السابق الواقعي، أو أنه لا ذا ولا ذاك، بل هو مثل إيجاب الاحتياط، مجعول للتحفُّظ على الواقع؟ وجوه :

فمن ذهب إلى أنه أمانة شرعية<sup>(١)</sup> لابدَّ وأنَّ يثبت أموراً، كما في كلِّ أمانة شرعية، فإنَّها تتوقَّف على هذه الأمور :

الأول : إثبات أنَّ صالح للأمارية والكشف عن الواقع، فكما أنَّ القطع لا يمكن

جعله أمانة على خلاف المقطوع، كذلك الشك فإنه غير صالح للأمارية؛ لعدم الكاشفية له عن الواقع أصلاً، بخلاف الظن، فإنه صالح لذلك، ولهذا التزم من ذهب إلى أن خبر الواحد أمانة شرعية بتتبع الكشف؛ وأن مفاد أدلته إلغاء احتمال الخلاف، مع ثبوت الكاشفية الناقصة له، لا أنه جعل الكاشفية له مع عدمها له أصلاً.

الثاني: إثبات أن لسان الدليل عليه ومفاده وجوب متابعتة بما أنه أمانة وكاشف ناقص عن الواقع.

الثالث: إثبات عدم الكاشفية التامة له ذاتاً كالقطع، وإلا فلا معنى لجعل الأمارية له، بل يكفي عدم ردع الشارع عن متابعتة.

فالقائل بأن الاستصحاب أمانة شرعية لابد أن يثبت هذه الأمور الثلاثة. وكنتم معتقداً في سابق الزمان: أن لليقين السابق والحالة السابقة كاشفية ضعيفة عن الوجود في ظرف الشك؛ للفرق عند العقلاء بين الشك المسبوق باليقين السابق وبين الشك البدوي، وعدم الكاشفية التامة له، وأن لسان (لاتنقض...) إلى آخره هو أن اليقين مما لا يصلح أن ينقضه الشك، ومعناه إطالة عمر اليقين السابق إلى زمان الشك.

لكن الذي يبدو للنظر فعلاً عدم تمامية ذلك؛ لأنه لا معنى لكاشفية اليقين السابق عن البقاء في زمان الشك؛ لأن متعلقه المتيقن في زمانه، لا في زمان الشك. نعم قد يحصل منه الظن بالبقاء، وهو غير كونه كاشفاً عنه، ولذا يحصل من اليقين بطلوع الشمس، اليقين بوجود النهار؛ لمكان الملازمة بينهما، وهو غير كاشفية اليقين بأحدهما عن وجود الآخر؛ لعدم معقولية كاشفية اليقين عن غير متعلقه.

وعلى فرض الإغماض عن ذلك، لكن لسان (لاتنقض...) ليس الحكم بإطالة عمر اليقين تعبدًا؛ لأنه لو كان كذلك فلا بد أن لا يتعرض لفرض الشك فيه، بل لابد أن يقول: إنه على يقين، مثل قوله <sup>الشيخ</sup> في أدلة حجبة خبر الواحد: (العمرى ثقة ما



يُؤدِّي عَنِّي فَعَنِّي يُوَدِّي<sup>(١)</sup>، فَإِنَّ الْمَرَادَ مِنَ الْيَقِينِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَإِنَّهُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ وَضُوئِهِ) وَهُوَ الْيَقِينُ التَّكْوِينِيُّ السَّابِقُ، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (وَلَا يَنْقُضُ الْيَقِينَ أَبَدًا بِالشَّكِّ)، لَا يَقِينٌ آخَرَ تَعَبُّدِيٍّ، وَحِينَئِذٍ فَلَا يَصَحُّ جَعْلُ الْإِسْتِصْحَابِ مِنَ الْأَمَارَاتِ الشَّرْعِيَّةِ: لِعَدَمِ تَمَامِيَّةِ أَمْرَيْنِ مِنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

وَلَيْسَ هُوَ وَظِيفَةٌ عَمَلِيَّةٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمَرَادُ مِنْ عَدَمِ نَقْضِ الْيَقِينِ بَيَانُ حَرَمَتِهِ التَّكْلِيفِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ جَعَلَ الْعَنَاوِينَ الْأَوَّلِيَّةَ الْمَرَاتِيَّةَ مُتَعَلِّقًا لِحُكْمِ كَالْيَقِينِ، لَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ بَيَانُ حُكْمِ ذَاتِهَا؛ أَيِ ذَاتِ الْيَقِينِ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ صِفَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ؛ وَإِنْ جَعَلَهَا الْحَاكِمَ مُتَعَلِّقًا لِحُكْمِهِ، لَكُنْهَا عَنَاوِينَ لِأَفْرَادِ الْيَقِينِ الْحَاصِلَةِ لِلْمُكَلَّفِينَ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهَا طَرِيقِيَّةٌ.

وَبِالْجُمْلَةِ: لَا يَتَبَادَرُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لَا تَنْقُضُ الْيَقِينَ) حَرَمَتُهُ تَكْلِيفًا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ صِفَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ، بَلِ الْمَتَبَادَرُ مِنْهُ تَرْتِيبُ آثَارِ الْمُتَيَقِّنِ.

وَلَيْسَ الْمَرَادُ مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُ الْخُرَاسَانِي: مِنْ أَنَّهُ لَوْ حِظَّ الْيَقِينُ فِي الْأَخْبَارِ بِنَحْوِ الْآلِيَّةِ وَالْمَرَاتِيَّةِ، وَأَنَّهُ كُنَايَةٌ عَنْ لَزُومِ الْبِنَاءِ الْعَمَلِيِّ وَالْإِلْتِزَامِ بِحُكْمِ مِمَّا ثَلَّ لِلْمُتَيَقِّنِ تَعَبُّدًا إِذَا كَانَ حُكْمًا، وَلِحُكْمِهِ إِذَا كَانَ مَوْضُوعًا<sup>(٢)</sup>، بَلِ الْمَرَادُ مَا ذَكَرْنَاهُ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمِيرْزَا النَّائِنِي رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنْ أَنَّهُ رُبَّمَا يَجْرِي الْإِسْتِصْحَابُ فِي الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَلَا مَعْنَى لِحُرْمَةِ النِّقْضِ فِيهَا، وَحِينَئِذٍ فَلَيْسَ مَفَادُ (لَا تَنْقُضُ) حُرْمَةَ النِّقْضِ تَكْلِيفًا<sup>(٣)</sup>.

١ - الكافي ١ : ٢٦٥ / ١، وسائل الشيعة ١٨ : ١٠٠، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي،

الباب ١١، الحديث ٤.

٢ - كفاية الأصول : ٤٤٤ - ٤٤٥.

٣ - فوائد الأصول ٤ : ٣٧٥.

ففيه : أنه لا مانع من الالتزام بجرمة النقص في المندوبات أيضاً؛ بمعنى المعاملة معها معاملة غير المندوب، والحكم بعدم استحبابها، فليس الوجه فيه ذلك، بل هو ما يبتاه.

وبالجملة : ليس الاستصحاب مجرد وظيفة عملية وحكماً ظاهرياً، ولهذا لو خالف المكلف، ولم يرتب آثار المتيقن، فإن صادفت مخالفته الواقع، استحق العقوبة لمخالفة الواقع، وإلا فلا. نعم يُعدّ متجربياً، لكنّه لم يخالف حكماً آخر.

وحينئذٍ فالاستصحاب أصل شرعيّ، جعله الشارع لحفظ الواقع الذي كان اليقين السابق طريقاً إليه وكاشفاً عنه، وأنّ مفاد الأخبار، وجوب المعاملة مع الشكّ المسبوق باليقين معاملة اليقين؛ من غير فرق بين الأحكام والموضوعات، وهو في الموضوعات ممّا ينقّح به موضوعات الأحكام، وليس مفادها جعل الحكم المائل للحكم الواقعي، وليس معناها وجوب ترتيب الأثر؛ لأنّها حينئذٍ لا تشمل الأحكام، ويلزم خروجها عن مورد الاستصحاب؛ لأنّها نفس الأثر، ولا أثر شرعيّ يترتب عليها.

### ومنها : الصحيحة الثانية لزراعة

وهي ما رواها الشيخ عليه السلام بإسناده إلى الحسين بن سعيد، عن حماد، عن حريز، عن زرارة، قال: قلتُ : أصاب ثوبي دم رعاف أو غيره أو شيء من مَنِيٍّ، فعَلِمْتُ أثره إلى أن أصيب له من الماء، فأصبتُ وحضرت الصلاة، ونسيتُ أنْ بثوبي شيئاً وصلّيت، ثمّ إنّي ذكرتُ بعد ذلك؟

قال: (تُعِيد الصلاة وتغسله).

قال: قلتُ : فإنّي لم أكن رأيت موضعه، وعلمتُ أنّه أصابه، فطلبتُهُ فلم أقدر

عليه، فلما صليت وجدته؟

قال: (تغسله وتعيد).

قلت: فإن ظننت أنه قد أصابه، ولم أتيقن ذلك، فنظرت فلم أر شيئاً، ثم صليت فرأيت فيه؟

قال: (تغسله ولا تعيد الصلاة).

قلت: لم ذلك؟

قال: (لأنك كنت على يقين من طهارتك، ثم شككت، فليس ينبغي لك أن تنقض اليقين بالشك أبداً).

قلت: فإني قد علمت أنه أصابه، ولم أدري أين هو فأغسله؟

قال: (تغسل من ثوبك الناحية التي ترى أنه قد أصابها حتى تكون على يقين من طهارتك).

قلت: فهل علي إن شككت أنه أصابه شيء أن أنظر فيه؟

قال: (لا)، ولكنك إنما تريد أن تذهب بالشك الذي وقع في نفسك).

قلت: إن رأيته في ثوبي وأنا في الصلاة؟

قال: (تنقض الصلاة وتعيد إذا شككت في موضع منه ثم رأيته، وإن لم تشك ثم رأيته رطباً قطعت الصلاة وغسلته، ثم بنيت على الصلاة؛ لأنك لا تدري لعله شيء أوقع عليك، فليس ينبغي لك أن تنقض اليقين بالشك<sup>(١)</sup>).

١ - تهذيب الأحكام ١: ٤٢١ / ١٣٣٥، وقد وزع صاحب الوسائل هذا الحديث على عدة أبواب من أبواب النجاسات في وسائل الشيعة ٢: ١٠٠٦، كتاب الطهارة، أبواب النجاسات، الباب ٧، الحديث ٢ و ١٠٥٣، الباب ٣٧، الحديث ١ و ١٠٦١، الباب ٤١، الحديث ١ و

ورواها الصدوق في «العلل» عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام <sup>(١)</sup>.

### مورد الاستدلال بالرواية واحتمالاته

ومورد الاستدلال فيها، وهو قوله : (قلت: فإن ظننتُ أنه قد أصابه...) إلى آخره، يحتمل وجوهاً:

أحدها: أنه ظن الإصابة، فنظر فيه ولم يحصل له العلم بها ولا بعدمها، وقوله: (فأريت فيه) معناه أنه فهم أنها التي قد خفيت عليه قبل الصلاة.

وثانيها: أن مراده أنه رأى نجاسة يحتمل وقوعها بعد الصلاة، كما يحتمل أنها هي التي خفيت عليه قبل الصلاة.

ثالثها: أن يريد أنه طلب النجاسة قبل الصلاة مع ظن الإصابة، فعلم بعدمها، وهذا على وجهين :

أحدهما: أن يريد من قوله : (فأريت فيه) أنه علم بخطائه في علمه بالعدم قبل الصلاة، وأنه أصابته النجاسة واقعاً.

وثانيهما: أنه لم يحصل له العلم بالعدم قبل الصلاة، بل يحتمل وقوعها قبل الصلاة، ويحتمل وقوعها بعد الصلاة أيضاً، فهذه أربعة احتمالات :

فبناء على الاحتمالين الأخيرين لاتصلح الرواية للاستدلال بها للاستصحاب.

نعم بناءً على الاحتمالين الأولين فهي ينطبق على الاستصحاب، فالمتمسك بها

---

→ ١٠٦٥، الباب ٤٤، الحديث ١. ومتن الحديث مطابق لما هو منقول عن التهذيب مع اختلاف يسير لما هو منقول عن الوسائل .

١ - علل الشرائع : ٣٦١ / ١. لكنّها منقولة باختلاف يسير مع رواية التهذيب.

للاستصحاب لابد أن يسدّ باب الاحتمالين الأخيرين.

فنقول : لا يمكن إرادة الوجه الثالث : لأنّ المفروض فيه أنّه علم بعدم النجاسة قبل الصلاة فصلّى، ثمّ علم بوقوع الصلاة مع النجاسة ولم يكن شاكاً؛ لينطبق عليه قوله: (وليس لك أن تنقض اليقين بالشك)، فهو ينافي جواب الإمام عليه السلام الذي فرض فيه الشك فيها.

وأما الاحتمال الرابع - الذي ينطبق الخبر بناءً عليه على قاعدة اليقين - فهو أيضاً مرجوح جداً؛ لوجوه :

الأول : أنّ قوله : (فرايت فيه)، ظاهر في أنّه علم بأنّها هي التي قد خفيت عليه قبل الصلاة بعد فرض أنّه ظنّ الإصابة قبل الصلاة.

الثاني : أنّه لو أراد حصول اليقين بعدم قبل الصلاة بعد الطلب، لم يترك مثل زرارة ذكره؛ لوضوح دخله في موضوع الحكم واحتمال غفلة زرارة عن ذكره وإهماله لا عن عمد، خلاف القاعدة، فتركه ظاهرٌ في بقاءه على الشك قبل الصلاة، لا أنّه حصل له اليقين بالخلاف.

الثالث : أنّه سيأتي - إن شاء الله - أنّ قوله عليه السلام في ذيل هذه الصحيحة: (ولا ينبغي لك أن تنقض اليقين بالشك) لا ينطبق إلّا على الاستصحاب، ولا يتطرق فيه هذا الاحتمال، والإمام عليه السلام في كلّ واحدة من الجملتين في مقام بيان حكم واحد، فهما متحدتان، ولا مجال لهذا الاحتمال في الجملة الأخيرة، فكذلك الأولى لاتّحادهما.

الرابع : الظاهر أنّ المراد من الشكّ واليقين في قوله عليه السلام : (ولا ينبغي ...) إلى آخره، هو اليقين والشكّ الفعليان الموجودان فعلاً، كما في أحد الوجهين الأولين، وعلى كلّ واحد منهما، يمكن الاستدلال به للاستصحاب، لكنّ الأرجح في النظر هو الاحتمال الأوّل، وعليه يتّجه هنا الإشكال المشهور: وهو أنّ زرارة سأل عن علّة الحكم بعدم وجوب الإعادة بقوله : (ولمّ ذلك؟) فأجاب الإمام عليه السلام : (بأنّك كنت على يقين من

طهارتك فشككت، ولا ينبغي لك أن تنقض اليقين بالشك)، وهذا التعليل بظاهرة لا ينطبق على مورد السؤال؛ لأنّ المفروض أنّه علم بوقوع الصلاة مع النجاسة، فالإعادة ليست نقضاً لليقين بالشك، بل باليقين<sup>(١)</sup>.

وأجابوا عنه : بأنّ التعليل المذكور مبنيّ على أنّ الشرط هو إحراز الطهارة، أو إحراز عدم النجاسة التي هي مانعة<sup>(٢)</sup>، أو على أنّ الأمر الظاهري يقتضي الإجزاء<sup>(٣)</sup>. ويظهر في بادي النظر عدم استقامة هذا الجواب من حيث إنّ ظاهر الرواية، أنّ نفس الإعادة نقض لليقين بالشك بدون واسطة، لكن التحقيق صحّة هذا الجواب؛ بناء على أنّ الطهارة شرط للصلاة، لا أنّ النجاسة مانعة عنها.

توضيح ذلك : أنّ عدم تعرّض زرارة للسؤال عن علّة الحكم بالإعادة في الفرضين الأوّلين، وتعرّضه في الفرض الثالث للسؤال عن علّة الحكم بعدم وجوب الإعادة؛ إنّما هو لأجل أنّ الحكم بالإعادة في الأوّلين كان موافقاً للقاعدة في نظره، دون الثالث لأجل عدم موافقة المأثريّ به للمأمور به؛ للإخلال بشرطه؛ أي الطهارة التي هي شرط للصلاة، ومقتضاه وجوب الإعادة لا عدمها، فأجاب عليه السلام بما يرجع إلى أنّ المأثريّ به في الفرض موافق للمأمور به، وأنّ الصلاة المأثريّ بها مصداق للمأمور بها؛ لأنّه عليه السلام قال: (لأنّك كنت على يقين من طهارتك فشككت)، ومن أحكام الله تعالى حرمة نقض اليقين بالشك، وكنت في تلك الحال مأموراً بالصلاة، ومعنى أنّها مأمور بها

١ - أنظر فرائد الأصول : ٣٣١ سطر ١، كفاية الأصول : ٤٤٧، فوائد الأصول ٤ : ٣٤١، نهاية الأفكار (القسم الأوّل) ٤ : ٤٦، درر الفوائد : ٥٢٣.

٢ - أنظر ما قرّره في كفاية الأصول : ٤٤٨.

٣ - إشارة إلى ما ذكره الشيخ رحمته الله بقوله: «وربّما يتخيل حسن التعليل لعدم الإعادة بملاحظة امتثال الأمر الظاهري للإجزاء الخ» فرائد الأصول : ٥٦٦ وقال المحشي التنكابني رحمته الله: «قد نسب ذلك إلى المحقّق الشريف رحمته الله» إيضاح الفرائد ٢ : ٥٣٧.

هو إجزاء الإتيان بها، ومرجعه أن الطهارة التي هي شرط للصلاة أعم من الواقعية والظاهرية المحرزة بالاستصحاب، وأن الاستصحاب يوجب التوسعة في الطهارة التي هي شرط للصلاة، فالصلاة مع الطهارة المستصعبة مصداق حقيقيّ للمأمور بها، فقلوله عليه السلام : (ولا ينبغي ...) وإن لم يكن علة لنفس عدم وجوب الإعادة، لكنه علة لمنشأ الحكم بعدمه، وهو أنه كان واجداً للشرط.

وبعبارة أخرى : وجوب الإعادة وعدمه ليس من الأحكام الشرعية، بل هما من الأحكام العقلية، فقلوه في الفرضين الأولين : (يعيد) إرشاد إلى بيان عدم تحقق مصداق المأمور به.

وقوله عليه السلام : (لا يعيد) في الفرض الثالث إرشاد إلى تحققه؛ لعدم معقولية الحكم بعدم الإعادة مع عدم التصرف في الموضوع ، ولا يعقل الحكم به مع شرطية الطهارة الواقعية؛ لأن مقتضى شرطية الطهارة الواقعية هو الإعادة، ومقتضى عدم وجوب الإعادة مطلوبيتها، وهو محال ، فلا بد أن يكون قوله عليه السلام : (لا يعيد) إرشاداً إلى عدم شرطية خصوص الطهارة الواقعية، وأن الشرط هو الأعم منها ومن الظاهرية، كما أن قوله عليه السلام في خبر (لأتعاد الصلاة إلا من خمس)<sup>(١)</sup> كذلك، فإنه إرشاد إلى عدم جزئية ما سوى الخمس حال النسيان - مثلاً - ليستقيم الحكم بعدم وجوب الإعادة، وإلا يلزم الجمع بين النقيضين، فقول زرارة: «ولم»، سؤال عن علة كون ذلك مصداقاً للمأمور به، فأجاب عليه السلام بما يرجع إلى أن مقتضى الاستصحاب، أن الشرط أعم من الطهارة الواقعية والظاهرية، وأن هذه الصلاة أيضاً واجدة للشرط فتصح.

هذا كله بناء على أن الطهارة شرط للصلاة.

وأما بناء على أن النجاسة مانعة عنها، فقد أعجب الميرزا النائيني رحمته الله نفسه الزكية

١ - الهداية، الصدوق : ٣٨، مستدرک الوسائل ٤ : ٤٢٩ كتاب الصلاة، أبواب الركوع، الباب ٩،

الحديث ١.

في مقام الجواب عن الإشكال على كلا التقديرين، وأطال الكلام في ذلك، واحتمل في المقام وجوهاً :

الأول : أن الشرط للصلاة هي الطهارة المحرزة.

الثاني : أن العلم بالنجاسة مانع بما أنه طريق إليها.

الثالث : أن العلم بها بما أنه منجز للواقع ولأحكام النجاسة مانع.

ثم أخذ في توضيح انطباق العلة المذكورة في الرواية على السؤال عن علة عدم الإعادة؛ بناء على شرطية الطهارة، وكذلك بناء على مانعية النجاسة المعلومة بسأحد الوجهين، سواء جعل العلة مجموع المورد والاستصحاب، أم خصوص قوله عليه السلام : (لا تنقض)، وقوله عليه السلام : (فإنك كنت على يقين) توطئة له.

ومحصل ما أفاده عليه السلام : هو أن مرجع هذا التعليل إلى أن للعلم دخلاً في المانعية، وأن المانع هو النجس المعلوم، ومعنى قوله عليه السلام : (لأنك كنت...) إلى آخره؛ هو أنه حيث لم يكن هناك مُحَرِّزٌ للنجاسة - وهو العلم - فلم يتحقق ما هو مانع، ومعنى (لا تنقض اليقين بالشك) أن الشك ملغى شرعاً<sup>(١)</sup>. انتهى ملخصه.

أقول : يرد عليه :

أولاً : أن المانع بناءً على ما ذكره معلوم العدم في صورة الشك؛ لأن المانع - على ما ذكره - هو النجس المعلوم، فله جزآن لا يكفي وجود أحدهما في المانعية، وبانتفاء أحدهما ينتفي المانع، فع الشك يعلم عدمه، وحينئذ لا يرتبط قوله : (لا تنقض اليقين بالشك) به؛ لعدم الشك في المانع حينئذ، ولا يحتاج إلى الحكم بإلغاء الشك.

وثانياً : بناء على ما ذكره ليس عدم وجوب الإعادة لأجل حرمة نقض اليقين بالشك، بل لإتيانه بما هو مصداق حقيقي للصلاة، ويكفي حينئذ أن يقول عليه السلام : لأنك



كنت شاكاً في النجاسة من دون احتياج إلى ذكر الكبرى الكلية.  
والعجب أنه قال: لافرق في ذلك بين جعل العلة مجموع قوله عليه السلام: (لأنك...) إلى آخره، وقوله عليه السلام: (لا تنقض...) إلى آخره، وبين جعل العلة خصوص قوله عليه السلام: (لا تنقض...) إلى آخره، وأن قوله عليه السلام: (لأنك كنت...) ذكر توطئة له، مع أن جعله توطئة، يستلزم عدم ارتباطه بأصل المطلب، ولم يتم التعليل أيضاً؛ لعدم الشك في المانع حينئذ. وإن جعل التعليل مجموعها يرد عليه: أن الجملة الأولى حينئذ كافية في الجواب، ولا يحتاج إلى الجملة الثانية فيه.

وتوهم: أنه قد وقع في مقام دفع احتمال منجزية الشك - كما ذهب إليه الأخباريون<sup>(١)</sup> - وأن قوله عليه السلام: (لا تنقض اليقين بالشك) معناه أن الشك ليس منجزاً للواقع رداً على احتمال منجزيته، وأن قوله عليه السلام: (لأنك...) توطئة له، ويؤيده عنايته عليه السلام من أول كلامه إلى آخره إلى أن العلم بما أنه منجز موضوع للبانعة. مدفوع: بأن ذلك لا يصح ما هو بصدده، فإنه عليه السلام<sup>(٢)</sup> وغيره<sup>(٣)</sup> معترف بأن الاستصحاب أصل محرز للواقع، فتحرز به الطهارة في المقام في زمان الشك، ففاد الاستصحاب حينئذ هو أنه واجد للطهارة، سوى الحكم بعدم الاعتناء بالشك، وقوله: (لا تنقض...) يفيد هذا المعنى، مع أنه لا يحتاج إلى إثبات أنه على الطهارة - بناءً على مذهبه - لعدم دخله في الحكم.

مضافاً إلى أنه لو أراد ذلك فهو منافٍ لما ذكره من عدم الفرق في اندفاع

١ - وسائل الشريعة ١٨ : ١١٩، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١٢، ذيل الحديث

٢٨، الدرر النجفية : ١١٥ سطر ٥، الفوائد المدنية : ١٠٦ سطر ١٢ .

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٣٠٦ و ٦٨٠، أجود التقريرات ٢ : ٣٤٢ .

٣ - فرائد الأصول : ٤٠٨ سطر ١٨، كفاية الأصول : ٣٠٥، نهاية الأفكار (القسم الثاني) ٤ :

١٠٩، درر الفوائد : ٣٣١ .

الإشكال بين أخذ العلم بالنجاسة بما أنه طريق مانعاً ، أو بما أنه منجز ، فإنه بناء على مذكوره هذا المتوهم لا يصح أخذه بما أنه طريق مانعاً في دفع الإشكال.

وغاية ما يمكن أن يقال في المقام بناءً على أن العلم بالنجاسة موضوع للمانعية: أن العلم جزء الموضوع؛ لأن المانع حينئذ هو النجس المعلوم، فمع انتفاء العلم تصح الصلاة وإن وقعت في النجس في نفس الأمر، كما ورد في الأخبار<sup>(١)</sup>، كما أنه لو اعتقد وجود النجاسة فصلّي وانكشف عدمها، صحّت أيضاً، كما عليه الفتوى، وحينئذ فلا مانع من القول: بأن المراد من قوله عليه السلام: (لأنك كنت على يقين) أن أحد الجزءين مني بالوجدان، وهو العلم، ومن قوله عليه السلام: (ولا ينقض...) أن الجزء الآخر - وهو النجاسة - مني بالاستصحاب، فالمراد من كلتا الجملتين: أن المانع في الفرض منتفٍ بكلا جزئيه مع كفاية انتفاء أحدهما في الصحة، وإلا فإشكال عدم انطباق التعليل على المورد باقي مجاله، بناء على أن النجاسة مانعة عن الصلاة، ولا يختصّ هذا الإشكال بالاحتمال الأول من الاحتمالات الأربعة المتقدمة في الرواية، بل يجري بناءً على الاحتمال الثاني منها أيضاً.

هذا كله بالنسبة إلى الجملة الأولى من الرواية.

### الاستدلال بالجملة الواقعة في ذيل الرواية

وأما الجملة الأخرى الواقعة في ذيل الرواية المستشهد بها للاستصحاب، فتفصيل الكلام فيها: هو أن زرارة قال: فهل عليّ إن شككتُ أنه أصابه شيء أن أنظر فيه؟

١ - وسائل الشريعة ٢: ١٠٥٣، كتاب الطهارة، أبواب النجاسات، الباب ٣٧، الحديث ١،

و: ١٠٥٩، الباب ٤٠ - ٤١.

قال: (لا، ولكنك إنما تريد أن تذهب بالشك الذي وقع في نفسك).  
قلت: إن رأيته وأنا في الصلاة؟  
فأجاب عليه السلام بما يرجع إلى أن هذا على قسمين؛ يجب استئناف الصلاة في أحدهما دون الآخر:

فالأول: هو ما إذا علم في أثناء الصلاة بأنه الذي شك فيه قبل الصلاة.  
والثاني: ما إذا لم يعلم بذلك، بل احتمل وقوعه في أثناء الصلاة، فلا ينقض الصلاة، بل يغسله ويبني على صلاته، ويستأنف الصلاة في الأول.  
وفي قوله عليه السلام: (وإن لم تشك...) فيه احتمالان أيضاً:  
أحدهما: أن المراد: صورة علمه بعدم النجاسة قبل الصلاة.  
ثانيهما: أن المراد: إن لم ينقدح الشك في ذهنك، بل أخذت في الصلاة على غفلة من ذلك.

فعلى الأول: فهو منطبق على قاعدة الفراغ، لكن الظاهر هو الثاني، كما أنه كثيراً ما يتفق ذلك للمصلي.  
إذا عرفت ذلك فهنا إشكالان بناء على الاحتمال الأول من الاحتمالات المتقدمة في الخبر:

أحدهما: أنه ما الفرق بين ما لو علم بوقوع تمام الصلاة في النجاسة، وبين وقوع بعضها فيها؛ حيث حكم عليه السلام بعدم وجوب الإعادة في الأول، وبوجوبها في الثاني في القسم الأول من الجملة الثانية؟

ثانيهما: ما الفرق بين القسمين الأخيرين؟ حيث حكم الإمام عليه السلام بنقض الصلاة ووجوب الإعادة في الأول منها دون الثاني، مع جريان الاستصحاب بالنسبة إلى ما مضى من الصلاة في القسم الأول، وأما بالنسبة إلى ما بقي منها بعد العلم

بالنجاسة، فيمكن تصحيحه بالأخبار الواردة في الرُّعاف العارض في أثناء الصلاة<sup>(١)</sup>، الدالّة على أنّه لا يقطع الصلاة، بل يغسله ويبنى عليها.

وبعبارة أخرى: الاستصحاب إنّما يجري بالنسبة إلى ما مضى من صلاته حال الجهل بالنجاسة في كلا القسمين المذكورين في الجملة الأخيرة، وأمّا بالنسبة إلى ما بقي بعد علمه بالنجاسة، فلا يجري الاستصحاب في القسم الثاني أيضاً، وللحكم بصحة الصلاة بالنسبة إليه، دليل آخر موجود في القسم الأوّل منها، وهو أخبار الرُّعاف، فكيف حَكَمَ عليه السلام بوجوب الإعادة في الأوّل دون الثاني؟ ولذا قد يرّجح الاحتمال الأوّل من الاحتمالات الأربعة المذكورة؛ لعدم ورود هذين الإشكالين بناءً عليه. ويؤيّده أنّه قال: (قلت: إن رأيته...) بالضمير المشار به إلى ما شكّ فيه أولاً، ولم يأت بالضمير في الجملة الأولى.

هذا، ولكن التحقيق: عدم ورود هذين الإشكالين، وتوضيحه يحتاج إلى تقديم أمر: هو أنّه لا ريب في أنّ للصلاة هيئةً اتّصاليّة، كما هو المرتكز في أذهان المتشرّعة، فيعدّ المصلّي بعد الشروع في الصلاة بتكبيرة الاحرام داخلًا فيها إلى أن يفرغ عنها بالتسليم؛ من غير فرق بين حال الذكر والقراءة وبين حال اشتغاله بأفعالها وبين الأكوان المتخلّلة، فهي أمر ممتدّ إلى أن يقع الفراغ منها، ولذلك عبّر في الأخبار: بأنّ الكلام ونحوه قاطع أو ناقض<sup>(٢)</sup>، فلولا أنّها أمر ممتدّ لم يناسب هذا التعبير، وحينئذٍ فإن اعتبر شيء في الصلاة كالطهارة من الحدث والستر والاستقبال، فهو معتبر في جميع أكوانها حتى المتخلّلة بين الأفعال والأذكار إلّا أن يدلّ دليل خاصّ على خلاف

١- وسائل الشيعة ٤: ١٢٤٤، كتاب الصلاة، أبواب قواطع الصلاة، الباب ٢.

٢- وسائل الشيعة ٤: ١٢٤٠، كتاب الصلاة، أبواب قواطع الصلاة، الباب ١، الحديث ٢، والباب ٢، الحديث ٧ و ١٧، إلى غير ذلك من الأحاديث المذكورة في أبواب مختلفة من أبواب قواطع الصلاة.

ذلك، وورد في خصوص الرُّعاف أخبار تدلُّ على أنَّه لو عرض الحدث في أثناء الصلاة يغسله، ويبني على صلاته ولا ينقضها، ولكنَّها في خصوص العارض في أثناء الصلاة، وأمَّا لو علم في أثناء الصلاة بالنجاسة التي عرضت قبل الصلاة فلا تعمه هذه الأخبار، وكذا لو أرفع نفسه بالاختيار.

ودعوى إلغاء الخصوصية<sup>(١)</sup> ممنوعة، نعم يمكن دعواه بالنسبة إلى غير الرُّعاف من النجاسات لو وقعت في أثناء الصلاة.

إذا عرفت ذلك نقول: أمَّا صحَّة الصلاة فيما لو انكشف بعدها وقوعها بتامها في الجنس، فلا تُنقض مقتضى الاستصحاب بالنسبة إلى تمام الصلاة، وهو ممَّا يحرز به المصداق: لما سيأتي - إن شاء الله - وتقدَّم في مسألة الإجزاء: أنَّ الأوامر الظاهرية تقتضي الإجزاء.

وأما الفرق بين القسم الأوَّل من الفرعين الأخيرين وبين الفرض الأوَّل وبينهما في أنفسهما: فهو أنَّ الاستصحاب وإن كان جارياً بالنسبة إلى ما مضى من الصلاة في كلِّ واحد من الفرعين الأخيرين، لكنَّه لا يفيد بالنسبة إلى ما بقي من الصلاة حتَّى في الفرع الأخير منها؛ لأنَّه لا يثبت عروض النجاسة في أثناء الصلاة لتشمله أخبار الرُّعاف؛ للشكِّ في عروضها في الأثناء - كما هو المفروض - المستلزم للشكِّ في مانعيَّة الموجود على أظهر الوجهين من أنَّ النجاسة مانعة، لا أنَّ الطهارة شرط، فحال الصلاة بالنسبة إلى ما بقي منها حالها مع اللباس المشكوك أنَّه من مأكول اللحم أو لا؛ لأنَّ هذه مانعة على تقدير وجودها قبل الصلاة وغير مانعة على تقدير عروضها في الأثناء لاخبار الرُّعاف، وحيثُ أنَّ فلا مانع من جريان الأصل العقلي فيه، كما هو المختار في اللباس المشكوك، فالاستصحاب مصحَّح بالنسبة إلى ما مضى من الصلاة.

وأما بالنسبة إلى ما بقي فلاستصحاب المذكور وإن لا يثبت عروض النجاسة في الأثناء، ولا تشمله أخبار الرُّعاف أيضاً؛ لأنَّه شبهة مصداقيَّة لها، لكن أصالة عدم المانع جارية بالنسبة إلى ما بقي، بخلاف الفرع الأوَّل منها؛ لمكان العلم بمانعيَّتها. مضافاً إلى أنَّه لم يصرَّح في الذيل : بأنَّ المراد من الاستصحاب، هو استصحاب عدم النجاسة، فلعلَّ المراد به استصحاب بقاء الهيئة الاتِّصاليَّة للصلاة الثابتة قبل رؤية النجاسة؛ لما عرفت من أنَّ الصلاة أمر ممتدَّ يوجد متدرِّجاً.

ويمكن أن يقال مجريان استصحاب عدم المانع للعلم بعدمه قبل الأخذ في الصلاة وقبل الرؤية، على إشكال في جريان الاستصحاب بالنسبة إلى عدم المانع وإن كان جارياً بالنسبة إلى وجوده.

وبالجملة : لا مصحِّح للصلاة في الفرع الأوَّل من الفرعين الأخيرين، بخلاف الثاني منها، فإنَّه يمكن تصحيحها بأحد الوجوه الثلاثة المذكورة، وبذلك ينحلُّ الإشكالان المذكوران.

### ومنها: الصحيحة الثالثة لزارة

رواها الكليني رحمته الله عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمَّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زارة، عن أحدهما رحمتهما الله، قال: قلت له: من لم يدر في أربع هو أم في ثنتين وقد أحرز الثنتين؟ قال: (يركع ركعتين وأربع سجعات وهو قائم بفاتحة الكتاب ويتشهد، ولا شيء عليه، وإذا لم يدر في ثلاث هو أو في أربع وقد أحرز الثلاث، قام فأضاف إليها أخرى، ولا شيء عليه، ولا ينقض اليقين بالشك، ولا يدخل الشك في اليقين، ولا يخلط أحدهما بالآخر، ولكنَّه ينقض الشك باليقين، ويتم على اليقين، فيبني

عليه، ولا يعتد بالشك في حال من الحالات<sup>(١)</sup>.

فنقول : ظاهر الرواية - مع قطع النظر عن القرائن الخارجيّة والاحتالات الآتية التي ذكروها - أنّه يأتي بالركعتين الأخيرتين متّصلتين.

وذكر بعضهم : أنّ قوله : (بفاتحة الكتاب) ظاهر في إرادة الانفصال، وأنّه ليس مورد النقيّة<sup>(٢)</sup>.

وفيه : أنّه ليس في العامّة من يقول بتعيّن التسبيحات في الأخيرتين، بل ذهب بعضهم إلى تعيّن الفاتحة فيها كالشافعي والأوزاعي<sup>(٣)</sup>، والإمام الصادق عليه السلام وإن لم يتّق منها لتأخّر زمانها عن زمانه عليه السلام، لكن الظاهر أنّ هذه الفتوى منهم كانت قبلها أيضاً<sup>(٤)</sup>.

مضافاً إلى عدم تعيّن الفاتحة فيها عندنا أيضاً، فلعلّ ذكرها من جهة أنّها الأفضل من التسبيحات.

وبالجملة : ذكر الفاتحة لا ينافي النقيّة.

وكذلك في الفرض الثاني قوله عليه السلام : (قام فأضاف إليها ركعة) ظاهر في الاتصال، لكنّه خلاف ما استقرّ عليه المذهب.

ويظهر من قوله عليه السلام - في الجمل المتعدّدة في ذيلها - : (لا ينقض اليقين

١ - الكافي ٣ : ٣٥١ / ٣، تهذيب الأحكام ٢ : ١٨٦ / ٧٤٠، الاستبصار ١ : ٣٧٣ / ٣،

وسائل الشيعة ٥ : ٣٢٣، كتاب الصلاة، أبواب الخلل الواقع في الصلاة، الباب ١١،

الحديث ٣.

٢ - درر الفوائد : ٥٢٥.

٣ - المغني والشرح الكبير ١ : ٥٢٤ - ٥٢٥، فتح العزيز ٣ : ٣١٣ - ٣١٤.

٤ - المجموع ٣ : ٣٦١، قال فيه : (وبه قال أكثر العلماء وبه قال أصحابنا) وهو ظاهر في أنّ هذا

القول مشهور بينهم ومعروف قبلهما أيضاً.

بالشك...) إلى آخره أنّ له عليه السلام عناية في المطلب الذي أرادته، وأنّ المراد عدم ضمّ الاحتياط إلى أصل الصلاة ولزوم الإتيان بصلاة الاحتياط منفصلاً. هذا بحسب بدو النظر ، لكن ذكروا في مفاد الرواية احتمالات :

### الاحتمالات التي في مفاد الرواية

الأول : ما ذكره الفيض الكاشاني رحمته الله، وهو أنّ معنى (لا ينقض اليقين بالشك)؛ أنّه لا يرفع اليد عن الركعتين المحرّزتين بسبب وقوع الشكّ في الإتيان بالباقي؛ بأن يستأنف الصلاة.

وأنّ معنى قوله : (لا يدخل الشكّ في اليقين) هو أنّ الشكّ بين الاثنتين والأربع وبين الثلاث والأربع، لا يدخل اليقين؛ بأن يضي ويكتفي بالأولتين، بل يأتي بالأخيرتين أيضاً ، وكذلك قوله عليه السلام : (لا يخلط أحدهما بالآخر). وقوله عليه السلام : (ولكنّه ينقض الشكّ باليقين) معناه: أنّه يأتي بالركعتين أو الركعة؛ ليرتفع الشكّ ، ولا يكتفي بالأولتين. ولا تعرّض في الرواية بالإتيان منفصلاً أو متّصلاً؛ بناء على هذا الاحتمال، وعليه فلا ارتباط للرواية بالاستصحاب.

ثمّ ذكر رحمته الله : أنّه لا مانع من الإتيان بصلاة الاحتياط متّصلة أو منفصلة<sup>(١)</sup>. الثاني : أنّ معنى (لا تنقض) هو ما ذكر في الأول ، لكن المقصود من قوله: (لا يدخل الشكّ في اليقين، ولا يخلط أحدهما بالآخر)، أنّه لا يضمّ صلاة الاحتياط بالمتيقّن؛ بأن يأتي بها متّصلة، بل يأتي بها منفصلة؛ دفعاً لما هو ظاهر الجملة الأولى



من الإتيان بالاحتياط متصلة، فإنه لو أتى بها متصلة فقد أدخل المشكوك في المتيقن وخلط أحدهما بالآخر؛ لأنه مع الاتصال يحتمل الإتيان بست ركعات، فإن الخلط لغة<sup>(١)</sup>؛ إما الضم، أو الامتزاج<sup>(٢)</sup>.

وهذا الاحتمال أقرب من الأول؛ حيث إن متعلق النهي فيه أمر اختياري، وهو ضم المشكوك من الصلاة إلى المتيقن منها، بخلافه على الأول، فإنه غير اختياري؛ لأنه لا يخلو؛ إما أن يكون قد صلى أربعاً في الواقع فقد اختلط المشكوك بالمتيقن، أو لا، وعلى أي تقدير فهو أمر غير اختياري، لكن بناء على هذا الاحتمال لا يرتبط الخبر بالاستصحاب أيضاً.

الثالث: أن المراد من قوله عليه السلام: (لا ينقض...) إلى آخره، عدم نقض اليقين بالاكْتفاء بالركعتين وعدم الإتيان بالأخيرتين بالشك فيها. وقوله عليه السلام: (لا يدخل الشك...) يحتمل ما ذكره الفيض<sup>(٣)</sup>، ويحتمل ما ذكر في الاحتمال الثاني.

وحاصل المعنى: أنه يبيّن على عدم الإتيان بالركعتين الأخيرتين، ويأتي بهما منفصلتين، فقد ذكر عليه السلام ما هو المذهب الحق على وجه لا ينافي التقيّة. الرابع: ما ذكره المحقق الخراساني والميرزا النائيني<sup>(٤)</sup>: من أن قوله: (لا ينقض...) إلى آخره، مطلق بالنسبة إلى الاتصال والانفصال، فيمكن تقييده بالانفصال بدليل آخر<sup>(٥)</sup>، وزاد الميرزا النائيني<sup>(٦)</sup>: أن هذا منه عليه السلام ليس في مقام بيان

١ - مجمع البحرين ٤ : ٢٤٦ .

٢ - مصباح الفقيه، الصلاة : ٥٦٥ سطر ١٦ .

٣ - كفاية الأصول : ٤٥٠ .

الوظيفة، بل معنى (لا ينقض): أنه يبيّن على اليقين وعدم الإتيان بالمشكوك<sup>(١)</sup>. وفيهما: أن قوله عليه السلام: (لا ينقض) ظاهر في الاتصال، لكنّه ظهور تصوّري لا تصديقي، وقوله عليه السلام: (لا يدخل الشكّ في اليقين) مانع عن الظهور التصديقي، فإنّ للمتكلّم أن يلحق بكلامه ما شاء مادام لم يتحقّق الفراغ منه، فليس ذلك من قبيل تقييد المطلق، ومقتضى استصحاب عدم الإتيان بالمشكوك هو وجوب الإتيان به، فهو عليه السلام في مقام بيان الوظيفة.

الخامس: ما اختاره الشيخ الأعظم رحمه الله: من أن المراد باليقين، هو اليقين بالبراءة بالبناء على الأكثر والإتيان بما يحتمل نقصه منفصلاً، وتدلّ عليه أخبار مذكورة في أحكام الشكوك، مثل قوله عليه السلام: (إذا شككت فابنِ على اليقين)<sup>(٢)</sup>، وفسّره السيّد المرتضى رحمه الله باليقين بالبراءة بما ذكر، وغيره من الأخبار<sup>(٣)</sup>، والأمر دائر بين حملها على التقيّة وبين هذا الاحتمال، والتقيّة خلاف الظاهر، وهذا الاحتمال وإن كان بعيداً في نفسه لكنّه أولى من الحمل على التقيّة.

السادس: أن المقصود من هذه الجمل بيان قواعد كليّة، والاستصحاب منها وبعض مصاديقها، وأن معنى (لا ينقض) أن حقيقة اليقين لا بدّ أن لا ينقض بالشكّ، فيعمّ نقضه بمعنى رفع اليد عنه وإبطاله واستثناؤه الصلاة، ونقض اليقين بالاكْتفاء به وعدم الإتيان بالمشكوك، فإنّ كلّ واحد منهما نقض لليقين بالشكّ، والثاني هو الاستصحاب. وأمّا قوله عليه السلام: (لا يدخل...) إلى آخره، و(لا يخلط...) إلى آخره، فإن قلنا:

١ - فوائد الأصول ٤ : ٣٦٢ - ٣٦٣ .

٢ - الفقيه ١ : ٢٣١ / ١٠٢٥ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣١٨ ، كتاب الصلاة ، أبواب الخلل الواقع في

الصلاة ، الباب ٨ ، الحديث ٢ .

٣ - فوائد الأصول : ٣٣١ السطر الأخير .

بأنه لا بد أن يكون متعلق النهي أمراً اختيارياً ، فعناه عدم ضمّ المشكوك إلى المتيقن والإتيان به متصلاً ، بل يأتي به منفصلاً ، وإلا فالمستفاد منها أيضاً قاعدة كليّة ، وهذا المورد بعض مصاديقها ، وهو عدم ضمّ المشكوك إلى المتيقن ، وما ذكره الفيض رحمته من المعنى مصادق آخر لها .

وقوله عليه السلام : ( لكنّه ينقض الشك باليقين ) معناه : أنه لا بد أن يأتي بما يحتمل نقضه ؛ ليحصل اليقين ، وعلى هذا الاحتمال فالرواية تدلّ على الاستصحاب .  
ويمكن ترجيح هذا الاحتمال على الاحتمالات الأخرى : بأنّ اليقين والشك مستعملان في معناهما الحقيقي على هذا الاحتمال في جميع الجمل ، بخلافهما على احتمال الفيض ، فإنّ الشك في قوله عليه السلام : ( لا يعتدّ بالشك في حال من الحالات ) يراد منه المشكوك على الاحتمال الذي ذكره الفيض رحمته ، وكذا اليقين والشك في ( لا ينقض اليقين بالشك ) أريد بهما المتيقن والمشكوك .

لكن يمكن أن يقال : إنّ المراد من قوله عليه السلام : ( لا ينقض اليقين بالشك ) هو خصوص الاستصحاب وعدم شموله للاحتمال الآخر من حيث اتّحاد سياقها مع روايته الأخرى التي لا ريب في أنّ المراد بها الاستصحاب ، إلّا أن يمنع ذلك بدعوى إمكان إرادتهما فيها أيضاً .

وأورد على الاستدلال بهذه الرواية على الاستصحاب : بأنّ الاستصحاب متروك لا يعمل به في ركعات الصلاة ، وهو ملغى فيها عند الأئمّة عليهم السلام ، وإلا فلا وجه للإتيان بالمشكوك بعد الصلاة منفصلاً من باب الاحتياط ، كما عبّر عنه به في لسان الفقهاء<sup>(١)</sup> ، المأخوذ من الأخبار الدالّة على أنّ الإتيان به إنّما هو لأجل جبران النقص

١ - أنظر شرائع الإسلام ١ : ١٠٨ ، وقواعد الأحكام ٢ : ٤٣ سطر ٩ .

المحتمل في الصلاة واقعاً، وأنه على تقدير تمامية أصل الصلاة يُعدّ نافلة<sup>(١)</sup>، فلو كان ذلك لأجل الاستصحاب فهو لا يناسب التعبير بالاحتياط منفصلاً، بل يجب الإتيان بها جزماً، كما في الاستصحاب في باب الوضوء ونحوه، وحينئذٍ فالاستدلال بهذه الرواية للاستصحاب غير مستقيم، خصوصاً مع تطرُّق الاحتمالات الكثيرة المتقدمة فيها مع احتمال التقيّة<sup>(٢)</sup>.

ومنها : رواية إسحاق بن عمّار

رواها الصدوق بإسناده عن إسحاق بن عمّار، قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: (إذا شككت فابنِ على اليقين).

قلت : هذا أصل؟

قال : (نعم)<sup>(٣)</sup>.

والمضبوط في نُسَخ «الفرائد» موثقة عمّار<sup>(٤)</sup>، ولكنه اشتباه، بل هي لإسحاق بن عمّار، ولعلّ الشيخ عليه السلام أخذ السند من الرواية التي قبلها في الوسائل، وكيف كان فهي لإسحاق بن عمّار.

ثمّ إنّها ليست موثقة؛ لوقوع عليّ بن السندي في سند الصدوق إلى إسحاق بن

١ - وسائل الشيعة ٥ : ٣٢٢، كتاب الصلاة، أبواب الخلل الواقع في الصلاة، الباب ٨٠،

الحديث ٨، و ٣٣٣، الباب ١٩، الحديث ٧.

٢ - فرائد الأصول : ٣٣١ السطر الأخير.

٣ - الفقيه ١ : ٢٣١ / ١٠٢٥، وسائل الشيعة ٥ : ٣١٨، كتاب الصلاة، أبواب الخلل الواقع في

الصلاة، الباب ٨، الحديث ٢.

٤ - فرائد الأصول : ٣٣٢ السطر الأخير.

عمار، ولم يوثقه إلا نصر بن صباح<sup>(١)</sup>، ونصر أيضاً لم يوثقه غير نفسه؛ حيث روى ما يتضمن مدح نفسه<sup>(٢)</sup>، ولا يعتمد على ذلك، ولعله لكفاية ذلك في التوثيق عند الشيخ عليه السلام عبر عنها بالموثقة.

وعلى أي تقدير : اختلفوا في فقه الرواية وأن المراد من الشك فيها هو في خصوص الركعات للصلاة، أو أن المراد إفادة قاعدة كلية حكم فيها بالبناء على اليقين في كل ما شك فيه، إلا أنها خُصّصت بغير الشك في ركعات الصلاة.

وعلى الثاني فلا إشكال في دلالتها على الاستصحاب، ولكن لا يبعد الأول، كما يشهد له التعبير بذلك في كثير من الروايات الواردة في الشك في الركعات، مثل رواية ابن الحجاج وعلي، عن أبي إبراهيم في السهو في الصلاة، قال عليه السلام فيها: (تبني على اليقين، وتأخذ بالجزم، وتحاط بالصلوات كلها)<sup>(٣)</sup>.

ورواية العلاء، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : رجل صلى ركعتين وشك في

الثالثة؟

قال: (يبني على اليقين، فإذا فرغ تشهد وقام قائماً فصلّى ركعة بفاتحة

القرآن)<sup>(٤)</sup>.

ورواية محمد بن سهل بن اليسع عن أبيه، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل

لا يدري أثلاثاً صلى أم اثنتين؟

١ - راجع : جامع الرواة ١ : ٥٥٧ .

٢ - كمال الدين : ٤٨٨ / ٩ و ١٠ .

٣ - تهذيب الأحكام ٢ : ٣٤٤ / ١٤٢٧ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣١٨ ، كتاب الصلاة ، أبواب الخلل

الواقع في الصلاة ، الباب ٨ ، الحديث ٥ .

٤ - قرب الإسناد ١٦ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣١٩ ، كتاب الصلاة ، أبواب الخلل الواقع في الصلاة ،

الباب ٩ ، الحديث ٢ .

قال : (يبني على النقصان، ويأخذ بالجزم، ويتشهد بعد انصرافه تشهداً خفيفاً كذلك في أوّل الصلاة وآخرها)<sup>(١)</sup>.

ورواية الحسن بن عليّ بن يقطين عن أخيه الحسين ، عن أبيه، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الرجل لا يدري كم صلى ، واحدة أم اثنتين أم ثلاثاً؟ قال : (يبني على الجزم)<sup>(٢)</sup>.

والصحيحة الثالثة<sup>(٣)</sup> لزراعة، ورواية «دعائم الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

ويمكن الجمع بين الروايات : بأنّ الروايات الدالة على البناء على الأكثر يراد منه البناء العملي عليه، أي يعمل عمل من صلى الأكثر، وأنه يأتي بما يحتمل نقصه منفصلاً، والروايات الدالة على البناء على النقصان واليقين ظاهرة في البناء على الأقلّ والإتيان بالمشكوك متصلاً، والفرقة الأولى أظهر في وجوب الإتيان بما يحتمل نقصه منفصلاً، فيقدّم الأظهر على الظاهر.

وحاصل مفاد الروايات : استصحاب عدم الإتيان بالمشكوك، لكن يأتي به منفصلاً.

لكن يرد عليه : أن مقتضى الاستصحاب هو الإتيان بالركعات المشكوكه جزماً، لا من باب الاحتياط من جهة احتمال النقصان، كما يدلّ عليه بعض الروايات

١ - تهذيب الأحكام ٢ : ١٩٣ / ٧٦١، الاستبصار ١ : ٣٧٥ / ٣، وسائل الشيعة ٥ : ٣١٨، كتاب

الصلاة، أبواب الخلل الواقع في الصلاة، الباب ٨، الحديث ٦.

٢ - تهذيب الأحكام ٢ : ١٨٧ / ٧٤٥، الاستبصار ١ : ٣٧٤ / ٣، وسائل الشيعة ٥ : ٣٢٨،

كتاب الصلاة، أبواب الخلل الواقع في الصلاة، الباب ١٥، الحديث ٦.

٣ - الكافي ٣ : ٣٥٢ / ٣، وسائل الشيعة ٥ : ٣٢١، كتاب الصلاة، أبواب الخلل الواقع في

الصلاة، الباب ١٠، الحديث ٣.

٤ - دعائم الإسلام ١ : ١٨٨ في ذكر السهو في الصلاة، مستدرك الوسائل ٦ : ٤٠٨، كتاب

الصلاة، أبواب الخلل الواقع في الصلاة، الباب ٩، الحديث ١.

الدالة على أنّها على تقدير تمامية أصل الصلاة، تُعد نافلة<sup>(١)</sup>.

فلعلّ الوجه في عدم العمل بالاستصحاب في الشك في ركعات الصلاة: هو أنّ الواجب هو الإتيان بالصلاة أربع ركعات، ولا يثبت ذلك بالاستصحاب والإتيان بالمشكوك متصلاً؛ لاحتمال الزيادة على الأربع حينئذٍ، وكيف كان فهذه الروايات لا تصلح للاستدلال بها على الاستصحاب سنداً ودلالة.

ومنها: رواية محمد بن مسلم

رواها الصدوق في الخصال بإسناده عن محمد بن مسلم في حديث الأربعمئة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: مَنْ كان على يقين فشكّ فليمض على يقينه، فإنّ الشكّ لا ينقض اليقين)<sup>(٢)</sup>.

وهذه الرواية أيضاً ضعيفة السند؛ لعدم وثاقة حسن بن راشد وقاسم بن يحيى الواقعيين في سند الصدوق عليه السلام إلى محمد بن مسلم.

وأما دلالتها على الاستصحاب فهي مبنية على عدم أخذ الزمان السابق قيماً لليقين ولا المتيقن، وإلا فهي منطبقة على الشكّ الساري؛ لأنّه يصير المعنى حينئذٍ: مَنْ كان على يقين من عدالة زيد في الزمان السابق، ثمّ شكّ في عدالته في ذلك الزمان، فليمض على يقينه، لكن الأظهر هو الأول؛ لوجوه:

الأول: أنّ الظاهر عدم قيديّة الزمان لليقين والشكّ وعدم لحاظه في متعلّقيهما، بل الظاهر أنّه أخذ ظرفاً، كما هو المرتكز في الأذهان والمتبادر عرفاً، وهذا التعبير في

١- الكافي ٣: ٣٥٢ / ٤، تهذيب الأحكام ٢: ١٨٦ / ٧٣٩، وسائل الشيعة ٥: ٣٢٢، كتاب

الصلاة، أبواب الخلل الواقع في الصلاة، الباب ١١، الحديث ٢.

٢- الخصال: ٦١٩ في حديث الأربعمئة، وسائل الشيعة ١: ١٧٥، كتاب الطهارة، أبواب

نواقض الوضوء، الباب ١، الحديث ٦.

الرواية إنما هو لأجل أنّ الغالب تقدّم زمان اليقين على زمان الشكّ في الاستصحاب، مضافاً إلى ندرة موارد قاعدة اليقين بالنسبة إلى موارد الاستصحاب؛ لندرة حصول اليقين بشيء أولاً ثمّ تبدّله بالشكّ، فعنى الرواية: مَنْ كان على يقين من عدالة زيد - مثلاً - في زمان سابق، ثمّ شكّ في بقاء عدالته في الزمان اللاحق، فلم يضمن على يقينه. الثاني: اتّحاد سياقها مع الصحيحة الأولى لزرارة، التي لا ريب في أنّ مفادها الاستصحاب، وظهور أنّ المراد منها واحد.

الثالث: أنّ الظاهر أنّ المراد من اليقين والشكّ فيها هما الفعليان، كما في الاستصحاب، لكن الإشكال إنّما هو في سندها.

### ومنها: مكاتبة علي بن محمّد القاساني

قال: كتبت إليه وأنا بالمدينة عن اليوم الذي يشكّ فيه من شهر رمضان هل يصام أم لا؟

فكتب عليه السلام: (اليقين لا يدخل فيه الشكّ، صُم للرؤية، وأفطر للرؤية)<sup>(١)</sup>. وهذه الرواية أيضاً لم يثبت اعتبار سندها؛ لاشتراك «محمّد»<sup>(٢)</sup> بين الثقة والضعيف، وكلاهما من أصحاب الهادي عليه السلام، وفي طبقة واحدة، لا يمتاز أحدهما عن

١ - تهذيب الأحكام ٤: ١٥٩ / ٤٤٥، الاستبصار ٢: ٦٤ / ١٢، وسائل الشيعة ٧: ١٨٤، كتاب الصوم، أبواب أحكام رمضان، الباب ٣، الحديث ١٣.

٢ - وهو محمّد بن الحسن الصفار وقد ذكر في سند هذه الرواية وهو باعتراف ابن داود في رجاله، مشترك بين اثنين؛ لأنّه ذكرهما بفاصلة صفحة واحدة ممّا يدلّ على تعدّدهما برأيه. راجع رجال ابن داود: ١٦٩ - ١٧٠، إلّا أنّ الكثير من الكتب الرجالية التي بأيدينا لم يتعرّضوا لهذا التعدّد بل صرّح المامقاني في رجاله بأنّهما غير متعدّدين وأنّ ابن داود وقع في الاشتباه. راجع رجال المامقاني ٣: ١٠٣ سطر ٢٨.



الآخر، لكن قال الشيخ الأعظم رحمته : إنها أظهر ما في الباب في الاستصحاب<sup>(١)</sup>. وقال بعضهم: إنها لا تدل عليه أصلاً<sup>(٢)</sup>، والأقوى أنها ظاهرة في الاستصحاب، وليست أظهر من الصحيحة الأولى لزرارة.

توضيح ذلك: أن في السؤال احتمالات :

أحدها: أن المراد من يوم الشك فيه : هو في أول رمضان المردّد صومه بين الواجب والمندوب.

ثانيها: أن يريد يوم الشك من آخره، المردّد صومه بين الواجب والحرام.

ثالثها: أن المراد هما معاً، وقوله عليه السلام : (صُمُّ للرؤية) وإن كان يؤيد الأول، لكن الاحتمال الآخر أيضاً قريب في نفسه؛ لأجل أهمية تردّد الصوم فيه بين الواجب والحرام، وينبغي السؤال عنه.

وعلى أي حال فقوله عليه السلام : (صُمُّ للرؤية...) إلى آخره، ليس أجنبيّاً عما ذكره أولاً، بل يناسبه ومرتبطة به، ومفاده: أنه لا ترفع اليد عن الحالة السابقة وعما هو عليه إلا بروية الهلال، وذكرها فيها احتمالات أخرى:

الأول: ما ذكره الميرزا النائيني رحمته مؤرداً على الشيخ رحمته : أن المراد أنه يعتبر في الصوم بعنوان شهر رمضان اليقين والعلم به، وأنه لا يجوز أن يصوم بعنوان رمضان مع الشك فيه، فهذه الرواية مساوقة للروايات الدالة على أنه يصوم الشك بقصد أنه من شعبان، لا بقصد رمضان<sup>(٣)</sup>. انتهى.

أقول: غير خفي أن ما أفاده غير متبادر من الرواية عرفاً، وأن إرادة هذا المعنى من الرواية، لا ينسب إلى الأذهان في المستفاهم العرفي والمحاورات العقلانية، فهو

١ - فرائد الأصول : ٣٣٤ سطر ٧.

٢ - فرائد الأصول ٤ : ٣٦٦.

٣ - نفس المصدر .

مرجوح جداً، مضافاً إلى انه يستلزم عدم ارتباط قوله عليه السلام : (أفطر للرؤية) بما قبله؛ لعدم ترتبه عليه حينئذٍ، مع ظهورها في ارتباطه به، بل هو منافٍ لما قبله ؛ لأنه يدلّ على وجوب يوم الشكّ من آخره، فيلزم دخول الشكّ في اليقين بالمعنى الذي ذكره.

الثاني ؛ ما احتمله الشيخ الأعظم رحمته ، وهو أنّ المراد : أنّ الاشتغال اليقيني بوجوب صوم شهر رمضان، يقتضي البراءة اليقينية، فتدلّ على استصحاب الاشتغال<sup>(١)</sup>.

وفيه : أيضاً أنّه منافٍ لقوله عليه السلام : (صُمّ للرؤية)، فإنّ مقتضى العلم باشتغال الذمّة بصوم شهر رمضان، هو وجوب صوم يوم الشكّ من أول شهر رمضان أيضاً.

الثالث : أنّ المراد : أنّه لا بدّ في وجوب الصوم بعنوان أنّه من شهر رمضان من إحراز كلّ يوم أنّه منه؛ والعلم بأنّه شهر رمضان.

وفيه : أنّه منافٍ لقوله عليه السلام : (صُمّ للرؤية، وأفطر للرؤية).

إذا عرفت ذلك يظهر لك صحّة الاستدلال بهذه الرواية على الاستصحاب لولا ضعف سندها.

### ومنها : صحيحة عبدالله بن سنان

قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام وأنا حاضر: أني أعير الذميّ الثوب وأنا أعلم أنّه يشرب الخمر، ويأكل لحم الخنزير، فيردّه عليّ، فأغسله قبل أن أصليّ فيه؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام : (صلّ فيه ولا تغسله من أجل ذلك؛ فإنّك أعرتّه إيّاه وهو طاهر، ولم تستيقن أنّه نجّسه، فلا بأس أن تصليّ فيه حتّى تستيقن أنّه نجّسه)<sup>(٢)</sup>.

١ - فرائد الأصول : ٣٣٤ سطر ٥ .

٢ - تهذيب الأحكام ٢ : ٣٦١ / ١٤٩٥ ، الاستبصار ١ : ٣٩٢ / ١ ، وسائل الشيعة ٢ : ١٠٩٥ ،

كتاب الطهارة، أبواب النجاسات ، الباب ٧٤ ، الحديث ١ .

ولا إشكال في دلالتها على الاستصحاب بملاحظة التعليل الذي ذكره عليه السلام بقوله عليه السلام: (لأنك أعترته إياه وهو طاهر)، واحتمال إرادة قاعدة الطهارة منافٍ للتعليل المذكور؛ لعدم دخل الحالة السابقة في القاعدة، لكنها إنما تدلّ على الاستصحاب في خصوص باب الطهارة والنجاسة، واستفادة الكلية منها بإلغاء الخصوصية مشكلة.

### ومنها: روايات الحلّ والطهارة

روى الشيخ تقي بإسناده عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن أحمد بن يحيى، عن أحمد بن الحسن، عن عمرو بن سعيد، عن مصدق بن صدقة، عن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: (كلّ شيء نظيف حتّى تعلم أنّه قدر فإذا علمت فقد قدر، وما لم تعلم فليس عليك)<sup>(١)</sup>.

والكلام في هذه الرواية يقع في مقامين :

الأوّل : في أنّه هل يمكن إرادة القواعد الثلاث؛ أي: قاعدة الطهارة للأشياء بعناوينها الأوّليّة، وقاعدة الطهارة الظاهريّة للأشياء بعناوينها الثانويّة؛ أي المشكوكة طهارتها ونجاستها، واستصحاب الحالة السابقة من قوله عليه السلام: (حتّى تعلم) أو لا يمكن إرادة جميعها؟

الثاني : على فرض إمكان ذلك هل الرواية ظاهرة في جميعها، أو لا؟

أمّا المقام الأوّل : فذهب المحقّق الخراساني إلى إمكان إرادة قاعدة الطهارة الواقعيّة للأشياء بعناوينها الأوّليّة والاستصحاب معاً<sup>(٢)</sup>.

١ - تهذيب الأحكام ١ : ٢٨٤ / ٨٣٢ ، وسائل الشيعة ١ : ١٠٥٤ ، كتاب الطهارة، أبواب

النجاسات، الباب ٣٧ ، الحديث ٤ .

٢ - كفاية الأصول : ٤٥٢ - ٤٥٣ .

وزهب في «الحاشية على الفرائد» إلى إمكان إرادة القواعد الثلاث منها. وحاصل ما أفاده في بيان ذلك : هو أنّ قوله عليه السلام : (كلّ شيء نظيف) مع قطع النظر عن الغاية، يدلّ بعمومه على طهارة الأشياء بعناوينها الواقعيّة، وبإطلاقه الشامل لجميع حالات الشيء - التي منها حالة الشكّ في طهارته ونجاسته - على قاعدة الطهارة في المشتبه طهارته ونجاسته.

وإنّ أبيت عن شمول إطلاقه لمثل هذه الحالة - التي هي من حالات المكلف لا الشيء - فهو بعمومه يشمل ما إذا اشتبهت طهارته بشبهة لازمة غير منفكة منه أبداً، وبضميمة عدم القول بالفصل بينه وبين سائر المشتبهات الغير اللّازمة يدلّ على طهارتها كلّها، ولا خير في اختلاف الحكم بالنسبة إلى أفراد العامّ وصيروه ظاهرياً بالنسبة إلى بعضها وواقعياً بالإضافة إلى بعضها الآخر، وهذا بدون استلزامه لاستعمال اللفظ في أكثر من معنًى واحد واجتماع اللحاظين ، وبملاحظة الغاية يدلّ على الاستصحاب؛ لأنّ مقتضى جعل العلم بالقذارة غايةً للطهارة هو بقاءها واستمرارها ما لم يعلم بالقذارة، ولا نعي بالاستصحاب إلّا هذا<sup>(١)</sup>. انتهى ملخصاً.

أقول : لا إشكال في أنّ الطهارة الواقعيّة للأشياء بعناوينها الأوّليّة ليست من الأمور المجعولة في ارتكاز التشريع؛ ليستفاد ذلك من قوله عليه السلام : (كلّ شيء نظيف) و(طاهر) أنّ بعض الأشياء طاهر واقعاً، وبعضها قدر كذلك، ولا تخلو من أحدهما؛ بأن يكون هناك مالميس بطاهر ولا قدر، لكن بعض ما ليس بقدر عند العرف، استقذر الشارع؛ ليجتنب عنه المكلفون لمصلحة سياسيّة اقتضت ذلك كنجاسة الكفار، وإلّا فذات طبيعة الكافر والمسلم لا تختلفان في الحقيقة، ولا الإقرار

١ - حاشية فرائد الأصول، المحقّق الخراساني : ١٨٥ - ١٨٦ سطر ٢٥.

بالشهادتين مؤثّر في التكوين، وبعض الأشياء قدر شرعاً بحسب الواقع، لكن بعض المصالح يقتضي الحكم بطهارته إلى زمان ظهور وليّ العصر - عجلّ الله تعالى فرجه - كبعض فرق المسلمين .

بل يمكن أن يقال : إنّ الحليّة والحرمه أيضاً كذلك، وإنّ المجهول هو الحرمة لا الحليّة، فجعل الخمر حراماً لئلا يشربه الناس، وقدرراً لئلا يباشرها؛ لمصلحة اقتضت ذلك، وما لا يترتب عليه مصلحة ولا مفسدة فهو مباح إباحتها لا اقتضائية غير مجعولة، نعم الحليّة الاقتضائية مجعولة.

إذا عرفت ذلك نقول : قوله عليه السلام : (كلّ شيء طاهر)<sup>(١)</sup> أو (حلال)<sup>(٢)</sup> بالنسبة إلى الطهارة والحليّة الواقعتين، إخبار عن الواقع؛ لما عرفت من عدم مجعوليّتهما حتى يكون إنشاءً للحكم بهما، وبالنسبة إلى الطهارة والحليّة الظاهريّتين إنشاءً للحكم بهما لا إخبار، ولا يمكن الجمع بينهما في كلام واحد.

لا يقال : إنّ في كلّ واحد منهما إخبار لا إنشاء، لكن الإخبار المذكور بالنسبة إلى الطهارة والحليّة الواقعتين إنّما هو بداعي الحكاية عن الواقع، وبالنسبة إلى الظاهريّتين منهما بداعي الإنشاء، ولا محذور فيه.

لأنّه يقال : إنّ ذلك أيضاً ممتنع ، خصوصاً على مذهبهم عليهم السلام : من امتناع استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد<sup>(٣)</sup>، كالجمع بين معنيي الحقيقي والكنائي في إطلاق واحد؛ ضرورة أنّ الإخبار حينئذٍ بالنسبة إلى الطهارة الواقعيّة مستعمل في معناه الحقيقي.

١ - مستدرک الوسائل ٢ : ٥٨٣ ، کتاب الطهارة، أبواب النجاسات والأواني ، الباب ٣٠ ،

الحديث ٤.

٢ - الكافي ٦ : ٣٣٩ / ٢ ، وسائل الشيعة ١٧ : ٩١ ، کتاب الأطعمة والأشربة، أبواب الأطعمة

المباحة، الباب ٦١ ، الحديث ٢. والحديث هكذا «كل شيء لك حلال ...» .

٣ - كفاية الأصول : ٥٣ .

وبالنسبة إلى الظاهريّة في معناه الكنائي .

مضافاً إلى أنّ معنى الطهارة الظاهريّة هو ترتيب آثار الطاهر على المشكوك طهارته والبناء على أنّه طاهر، لا جعل الطهارة الحقيقيّة الواقعيّة على المشكوك؛ لاستلزامه طهارة المشكوك واقعاً، وانحصار النجاسات الواقعيّة في صورة العلم بها، ولا يلتزم به أحد، وكذلك الحليّة الظاهريّة معناها ترتيب آثارها على المشكوك، لا جعل الحليّة الواقعيّة كي يلزم المحذور المذكور، وحيثُ كيف يمكن الجمع بين هذين المعنيين في إطلاق واحد، مع أنّ معنى الإطلاق هو جعل الطبيعة المطلقة بنفسها متعلّقة للحكم بدون اعتبار قيد فيها، بخلاف المقيّد، فإنّ الموضوع للحكم فيه هو الطبيعة المقيّدة كالرقبة المؤمنة؟! وحيثُ فعلى فرض أنّ الشيء في قوله <sup>عليه</sup> : (كلّ شيء نظيف) كناية عن العناوين الأوّليّة بإطلاقها، فعناه : أنّ هذا الحكم ثابت لها مجرّدة عن القيد في جميع حالاتها التي منها حالة المشكوكيّة، لكن لا بما أنّها مشكوكة؛ بأن يكون للشكّ دخل في الحكم ويكون قيداً للموضوع؛ لاستحالة اقتضاء إطلاق الحكم موضوعاً مضاداً لموضوع نفسه؛ لأنّ مرجعه إلى تغيير الإطلاق موضوع نفسه - وهو نفس الطبيعة لا بشرط - إلى موضوع آخر؛ أي الطبيعة المشكوكة.

وبالجملة : الإطلاق كالعموم، فكما أنّ الحكم في العامّ متعلّق بالعناوين الأوّليّة للأشياء، كذلك الإطلاق، فإنّ الحكم في المطلق متعلّق بنفس الطبيعة بعنوانها الأوّلي. وأما الحكم الظاهري فموضوعه المشكوك بوصف أنّه مشكوك، فما ذكره <sup>عليه</sup> من أنّ قوله <sup>عليه</sup> : (كل شيء نظيف) بإطلاقه يشمل المشكوك الذي يكون الحكم عليه ظاهريّاً غير مستقيم؛ لعدم قيد الشكّ في متعلّق الحكم فيه.

فإن قلت : سلّمنا عدم شمول لفظ الشيء للشيء المشكوك بوصف أنّه مشكوك، لكن لا مانع من لحاظ الحكم على العناوين الأوّليّة المطلقة ولحاظها بوصف أنّها مشكوكة.

قلت : لا يمكن الجمع بين اللحاظين المذكورين في إطلاق واحد - أي لحاظ عدم القيد ولحاظ وجوده - لتنافيها.

ومما ذكرنا يظهر ما في التقريب الآخر الذي ذكره هـ : من أنه على فرض منع الإطلاق فلفظ الشيء بعمومه يعمّ الموضوع الذي يلزمه الشك، ولا ينفك عنه ... إلى آخره؛ لما عرفت من أنه لو كان الموضوع هو العناوين الأولية للأشياء بدون دخل قيد من القيود فيه، فهو وإن يشمل بعمومه العناوين المشكوكة أيضاً، لكن لا بوصف أنها مشكوكة، بل بعناوينها الأولية، والموضوع للحكم الظاهري هو العناوين بما هي مشكوكة، وإلا فهو ليس حكماً ظاهرياً.

هذا كل الكلام في صدر الرواية، وخلاصته : عدم إمكان إرادة الحكم الواقعي والظاهري معاً منه.

وأما الكلام في استفادة الاستصحاب من الغاية : أي قوله عليه السلام : (حتى تعلم أنه قدر)؛ بأن يقال : إن قوله عليه السلام : (حتى تعلم) يساق قوله عليه السلام : (لا تنقض اليقين بالشك) فهو أيضاً مع قطع النظر عن المغيبي ممنوع، بل لابد من ملاحظة المغيبي. فنقول : مع قطع النظر عن الإشكالات المتقدمة - على القول بإرادة الحكم الظاهري والواقعي معاً منه - إن الغاية : إما قيد للموضوع وغاية له، ففيه : أن مفاد مجموع الرواية حينئذٍ صدرأً وذيلاً، هو بيان قاعدة الطهارة، ولا يستفاد منها الاستصحاب.

وإن جعلت الغاية قيداً للحكم الظاهري المتعلق بالمشكوك، فهو قيد توضيحي لا يفيد الاستمرار؛ لأن مرجع المعنى حينئذٍ : أن الأشياء المشكوكة طهارتها ظاهرة ظاهراً حتى يعلم نجاستها، ومن المعلوم أن هذا القيد غير محتاج إليه؛ لأنه حينئذٍ بيان وتوضيح لموضوع الحكم.

وإن كانت غايةً للحكم الواقعي فهو غير معقول؛ لاستحالة تقييد الأحكام

الواقعية بعدم العلم على الخلاف وإن أمكن ذلك في الموضوعات.  
وبالجملة : استفادة الاستمرار للمعنى من قوله <sup>الثاني</sup> : (حتى تعلم) مشكلة جداً.  
وأما المقام الثاني: فإنه على فرض إمكان ذلك بإعمال الدقائق العقلية، لكن  
لاريب في عدم استفادته في المتفاهات العرفية والمحاورات العقلانية، بل الاستفادة  
والمبادر منه عرفاً الظاهر منه عندهم هو قاعدة الطهارة؛ وأن كل ما شك في طهارته  
طاهر ما دام الشك باقياً.



## فصل

### الأحكام الوضعية وتحقيق ماهيتها

لا بأس بصرف عنان الكلام إلى بيان الأحكام الوضعية، وأنها مجعولة مستقلاً، أو لا؛ تبعاً للأعلام، ولا بدّ فيه من تقديم أمور:

#### الأمر الأوّل: تقسم الحكم إلى التكليفي والوضعي

لا ريب في أنّ المجعولات الشرعية على قسمين: أحدهما: الأحكام التكليفية، وثانيهما: الأحكام الوضعية.

ونعني بالأوّل المجعول الذي يتضمّن بعثاً أو زجراً، وبالثاني ما لا يتضمّن ذلك كالسببية والشرطيّة والإباحة، فإنّها أيضاً من الأحكام الوضعية لا التكليفية، والبحث في إطلاق الحكم عليها وعدمه، بحث لغويّ غير مربوط بالمقام، وإن أمكن إطلاقه عليها ببعض معانيه دون بعض.

والحقّ: أنّ الأحكام الوضعية لا تنحصر في عدد خاصّ، بل كلّ مجعول شرعيّ اعتبره الشارع سوى الأحكام التكليفية الخمسة، من الأحكام الوضعية؛ حتى الولاية والنبوة ومنصب القضاء والنيابة، فإنّ نبوة الأنبياء ﷺ وولاية الأولياء،

ليست من الأمور التكوينية، نعم شموخ مقامها من الأمور التكوينية المحققة قبل الجعل، كما أنّ وجوب صلاة الجمعة من المجعولات الشرعية، مع أنّ المصلحة الكامنة فيها من الأمور التكوينية الغير المجعولة.

نعم الحجية والطريقة والصحة والفساد من الأحكام العقلية، لا الوضعية المجعولة شرعاً.

ويدلّ على ما ذكرنا كثير من الآيات الشريفة، مثل قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾<sup>(١)</sup> ومن الواضح أنّه ليس المراد منه الجعل التكويني، وكذلك نبوة هارون، فإنّها من المجعولات الشرعية؛ لسؤال موسى عليه السلام وطلبه ذلك له من الله تعالى<sup>(٢)</sup>، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾<sup>(٣)</sup> الآية، وغيرها من الآيات<sup>(٤)</sup>.

ومّا ذكرنا يظهر ما في كلام الميرزا النائيني رحمه الله من إنكاره كون الولاية ونحوها من الأحكام الوضعية<sup>(٥)</sup>.

كما أنّ ما ذكره : من أنّ جميع المجعولات الشرعية - تكليفية أو وضعية - من قبيل القضايا الحقيقية، لا من قبيل القضايا الخارجية الشخصية<sup>(٦)</sup>، غير سديد، فإنّ كثيراً من الأحكام الوضعية مجعولة بنحو القضايا الشخصية، مثل جعل مكان خاص عرفات ومشعراً ومكان خاص حراماً والكعبة بيت الله تعالى والصفة والمروة من

١ - ص (٣٨) : ٢٦ .

٢ - طه (٢٠) : ٢٩ .

٣ - البقرة (٢) : ١٢٣ .

٤ - أنظر سورة القصص (٢٨) : ٥ ، مريم (١٩) : ٣٠ ، والزخرف (٤٣) : ٥٩ ، والشعراء (٢٦) : ٢١ .

٥ - فوائد الأصول ٤ : ٣٨٥ .

٦ - نفس المصدر ٤ : ٣٨٨ .

شعائر الله، فإنّ هذه كلّها من الأمور المَجْعولة الاعتباريّة لا التكوينيّة، بل يمكن أن يكون بعض الأحكام التكليفيّة من هذا القبيل، مثل وجوب صلاة الليل والشفع والوتر على نبيّنا ﷺ.

وأما الماهيات المخترعة الشرعيّة كالصلاة والصوم، فهي أيضاً من المَجْعولات الوضعيّة، والتشنيع على من عدّها منها في غير محلّه، ولا يفتقر إلى توجيه الميرزا النائيني رحمه الله ذلك؛ من أنّه باعتبار أنّ الصلاة مركّبة من أجزاء وشرائط وموانع، وحيث إنّ الجزئيّة والشرطيّة والمانيّة من الأحكام الوضعيّة، صحّ عدّ مجموع المركّب منها من الأحكام الوضعيّة أيضاً، وإلاّ فعّد ماهيّة الصلاة من حيث هي منها، لا يرضى المنصف نسبته إلى أهل العلم<sup>(١)</sup>. انتهى.

وذلك فإنّ الملاك الذي باعتباره يوصف الجزء أو الشرط بالجزئيّة والشرطيّة، وتعدّ من الأحكام الوضعيّة، متحقّق في الكلّ والمجموع المركّب منها أيضاً، فكما أنّه يُنتزع من الأمر بالأجزاء والشرائط عنوان الجزئيّة والشرطيّة للأجزاء والشرائط، كذلك يُنتزع منه كليّة المجموع، فإنّ الصلاة ليس إلاّ عبارة عن مجموع الأجزاء باعتبارها شيئاً واحداً.

### الأمر الثاني: أنّ وعاء وجود الأشياء إمّا الخارج أو الذهن

وعاء وجود الأشياء وظرفه: إمّا هو الخارج كالأعيان الموجودة في الخارج، وإمّا الذهن كالانتزاعات والاعتباريات، ولا ثالث لهما؛ بأن يكون شيء ليس وعاءه الذهن ولا الخارج.

فما ذكره الميرزا النائيني رحمه الله: من أنّ الانتزاعات كذلك، وأنّ وعاء وجودها

الاعتبار، لا الذهن ولا الخارج<sup>(١)</sup>، كما ترى، فإنّ وعاء وجودها الذهن، ووعاء الأمر المنتزع منه هو الخارج.

نعم ذكر بعض المتكلمين القائلين بالأعيان الثابتة : أنّ وعاءها الثبوت<sup>(٢)</sup>، لكن لا يفهم ولا يُصوّر لما ذكره معنى محض.

ثمّ إنّ ما صنعه أيضاً : من عدّه الملكيّة من مقولة الجِدّة، وأنّ الجِدّة؛ عبارة عن الواجديّة والسلطة والإحاطة بشيء، وأنّها ذات مراتب أقواها وأتمّها ملكيّة السماوات والأرضين وما بينهما وما فوقها وما تحتها له تعالى، فإنّها من أقوى مراتب الواجديّة، وأيّ واجديّة أقوى من واجديّة العلّة لمعلولها، الذي وجوده من مراتب وجودها؟! ثمّ دون ذلك واجديّة أولى الأمر الذين هم أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأموالهم، ثمّ دون ذلك الواجديّة الحاصلة من إحاطة شيء بشيء، كالقميص المحيط بالبدن<sup>(٣)</sup>.

ففيه أيضاً مواضع للإشكال :

أما أولاً : فلأنّ الملكيّة من المفاهيم الإضافيّة، والمفاهيم ليست من المقولات؛ لأنّ المقولات من الأمور الحقيقيّة، والمفاهيم ليست كذلك.  
وثانياً : على فرض أنّ الملكيّة من المقولات فهي بمقولة الإضافة أشبه من مقولة الجِدّة.

وثالثاً : ما ذكره في بيان أنّ ملكيّته تعالى من مقولة الجِدّة؛ من أنّ المعلول من مراتب العلّة، فيه : أنّه ليس لذاته تعالى مراتب حتّى يكون من مراتبه، فلو عبّر بأنّ الموجودات مظاهر له تعالى، كان له وجه، ومقولة الجِدّة التي ذكرها الحكماء<sup>(٤)</sup> ليس

١ - فوائد الأصول ٤ : ٣٨١ .

٢ - أنظر شرح المواقف ٢ : ١٩٠ و ٣ : ٢ ، المباحث المشرقية ١ : ٤٥ .

٣ - فوائد الأصول ٤ : ٣٨٣ .

٤ - الشفاء (قسم المنطق) ١ : ٢٣٥ ، الأسفار ٤ : ٢٢٣ ، شرح المنظومة (قسم

معناها ما ذكره، فإنها عبارة عن إحاطة شيء بشيء؛ بحيث يلزم من حركة المحاط حركة المحيط، وأن مقولة الجدة من الموجودات الخارجيّة؛ لعدم انحصار الموجودات الخارجيّة في الأجسام.

### الأمر الثالث : في جعل الجزئية والشرطية والسببية استقلالاً

ذهب بعض الأصوليين إلى أنه لا يمكن جعل الجزئية والشرطية والمانيّة لما هو جزء وشرط ومانع استقلالاً؛ بدون التصرف في المأمور به بنسخه، ثم الأمر بالمجموع من هذا الجزء وسائر الأجزاء متقيداً بهذا الشرط أو عدم المانع، وأنه لو أريد إضافة جزء أو شرط أو مانع للمأمور به، أو إسقاط جزء أو شرط أو مانع عن الجزئية والشرطية والمانيّة، لا بد وأن ينسخ وجوب المأمور به أولاً ثم الأمر بالواجد لها أو الفاقد لها<sup>(١)</sup>.

وأظن أنهم قاسوا الانتزاعات الشرعية والاعتبارية بالانتزاعات التكوينية، وأنه كما لا يمكن جعل الفوقية والتحتية ونحوها من الانتزاعات التكوينية بدون التصرف والتغيير في منشأ انتزاعها؛ أي الجسم الذي هو أقرب إلى المركز بالنسبة إلى ماهو الأبعد منه، فلا بد أن ينقل كلّ منهما إلى مكان الآخر، وإلا لم يمكن جعلها، فكذلك الانتزاعات الشرعية والاعتبارية لا يمكن جعلها واعتبارها بدون التصرف في المأمور به بنسخه أولاً، ثم الأمر بالمجموع الواجد للجزء والشرط أو الفاقد لها؛ لينتزع منه الشرطية والجزئية، وإن لم يصرحوا بهذه المقايسة.

ولكن القياس في غير محله كما عرفت؛ لعدم المانع من ذلك؛ لعدم قيام دليل ولا

→ الفلسفة: ١٤٣ - ١٤٥.

١ - أنظر فوائد الأصول ٤: ٣٩٣.

برهان على امتناعه، ولا يحتاج في الاعتباريات إلى أزيد من الاعتبار؛ فلا مانع من جعل الاستقبال إلى القبلة شرطاً للصلاة بعد ما لم يكن شرطاً؛ بدون التصرف في المأمور به بنسخه لمصلحة في ذلك، وكذلك إسقاطه شرطية استقبال بيت المقدس؛ لاستدعاء النبي ﷺ وطلبه ﷺ منه تعالى، أو لأجل مصلحة سياسية، ولا يعد ذلك من النسخ بالضرورة.

وكذلك الكلام في إسقاط الجزء.

نعم قد يستشكل في ذلك في جعل الجزئية لشيء للمأمور به بعدما لم يكن جزءاً له؛ حيث إن الجزئية إنما تنتزع باعتبار تعلق الأمر بمجموع يكون هذا بعضه، فإذا لم يلاحظ شيء في متعلق الأمر، وأريد جعل الجزئية له بعد ذلك، فلا بد أولاً من نسخ الأمر الأول، ثم الأمر بالواجد له لينتزع منه الجزئية، وإلا فلا يمكن جعلها ابتداءً<sup>(١)</sup>. لكنه أيضاً مدفوع: بأن الأمر متعلق بعنوان الصلاة، وامتناله إنما يتحقق بالإتيان بالأجزاء والشرائط المقررة لها، كالأمر ببناء المسجد، فإن امتناله إنما يحصل بتحصيل الأجزاء وترتيبها بنحو خاص، وليس لكل واحد من الأجزاء أمر مستقل؛ بانحلال الأمر المتعلق بالكل إلى أوامر متعددة بعدد الأجزاء والشرائط، أو بانسباط الأمر بالكل على جميع الأجزاء، بل الأمر متعلق بعنوان الصلاة لا الأجزاء، فليس معنى «صل» قم واركع واسجد - مثلاً - غاية الأمر أن كيفية الامتنال وتحقيقه يتوقف على الإتيان بالأجزاء والشرائط، كما في مثال الأمر ببناء المسجد، فراجع إضافة جزء إليها إلى تغير كيفية الامتنال بإتيان هذا الجزء أيضاً.

وبالجملة: لا ريب ولا إشكال في إمكان جعل جزئية شيء أو شرطية أو مانعية للمأمور به استقلالاً بعدما لم تكن كذلك، وكذلك إسقاط شيء عن الجزئية أو

١ - أنظر نهاية الأفكار (القسم الأول) ٤ : ٩٠ .

الشرطيّة أو المانعيّة، بدون نسخ الحكم الأوّل بل قوله <sup>(١)</sup> : (لاتعاد الصلاة إلا من خمس) <sup>(١)</sup> معناه إسقاط جزئيّة ماعدا الخمس أو شرطيّته حال النسيان، وليس معناه نسخ الحكم الأوّل، ثمّ الأمر بالفاقد لها.

هذا كلّه بالنسبة إلى جزئيّة شيء للمأمور به أو شرطيّته له. وأما السببيّة والشرطيّة لما هو سبب للتكليف أو شرطه، فذكر الميرزا النائيني <sup>(٢)</sup> لامتناع مجعوليّتها أصلاً - لا استقلالاً ولا تبعاً، ولا تكويناً ولا تشريعاً - وجهين :

الوجه الأوّل : أنّ ما هو قابل للجعل هو ذات السبب والشرط ووجودهما العيني، وأما السببيّة فهي من لوازم ذاته كزوجيّة الأربعة، فإنّ السببيّة عبارة عن الرّشّح والإفاضة القائمة بذات السبب التي تقتضي المسبّب؛ وهذا الرّشّح من لوازم الذات التي لا يمكن أن تنالها يد الجعل التكويني، فضلاً عن التشريعي، بل هي كسائر لوازم الماهيّة التي تكوينها إنّما هو بتكوين الماهيّة، وإفاضة الوجود على الذات والسببيّة إنّما تنزع عن مقام الذات، وليس لها ما يحذاء في الخارج، ولا في وعاء الاعتبار، فهي من خارج المحمول، فهي لا تقبل الإيجاد التكويني <sup>(٣)</sup>. انتهى.

وفيما ذكره <sup>(٤)</sup> وجوه من الإشكال :

الأوّل : أنّ الرّشّح والإفاضة عبارة عن الإيجاد الحقيقي، فلا مناسبة بينهما وبين لوازم الماهيّة، فإنّ لازم الماهيّة أمر اعتباريّ لا حقيقة له مجعول بالجعل العرضي تبعاً للماهيّة، ومعنى عدم مجعوليّة الماهيّة ولازمها ذاتاً أنّها دون مرتبة الجعل ومقامه، فتتظير <sup>(٥)</sup> الإفاضة والرّشّح للمسبّب من السبب بلزوم الزوجيّة للأربعة، لا وجه له،

١ - الهداية، ضمن الجوامع الفقهيّة : ٥٣ سطر ٢٠، مستدرك الوسائل ٤ : ٤٢٩، كتاب الصلاة،

أبواب الركوع، الباب ٩، الحديث ١.

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٣٩٤ - ٣٩٥.

وكذلك تنظيره عليه السلام ذلك بوجوب الواجب وامتناع الممتنع؛ لما عرفت من أن عدم مجعوليّة الماهيّة ولوازمها إنّما هو لأجل أنّها دون مرتبة الجعل، وعدم مجعوليّة وجوب الواجب - وامتناع الممتنع إنّما هو لأنّها فوق مرتبة الجعل، ولا مشابهة بينهما.

الثاني : أنّ الجمع بين الرّشح والإفاضة للمسبّب من السبب، وبين اقتضاء السبب للمسبّب في عبارته عليه السلام، غيرٌ شديد، فإنّ الإيجاد الذي هو معنى الرّشح غير المقتضي.

الثالث : أنّ سببيّة السبب وعلّيّة العلّة ليست من خارج المحمول، كما ذكره عليه السلام، بل هي من المحمول بالضميمة؛ لأنّ المراد من خارج المحمول هو المنتزع من حاقّ الشيء بدون اعتبار انضمام أمر وجودي حقيقيّ، ولا اعتباريّ ولا عديميّ معه، كانتزاع الإنسانيّة من الإنسان والحجريّة من الحجر، والمحمول بالضميمة هو ما ينتزع عن الشيء بلحاظ انضمام أمر معه، ولا يلزم أن يكون هذا الأمر المنضمّ إليه من الحقائق أو الأجسام ، بل يكفي فيه انضمام الأمر العدمي أو الاعتباري أيضاً، فانتزاع المقابلة من جسم إنّما هو باعتبار أنّ له وضعاً خاصّاً مع الجسم الآخر، ليس من مرتبة الذات ليكون من خارج المحمول، بل هي من المحمولات بالضميمة، والسببيّة والعلّيّة من هذا القبيل، لا من قبيل انتزاع الإنسانيّة من الإنسان.

الرابع - وهو العمدة - : قد عرفت أنّ قياس الأمور الانتزاعيّة الشرعيّة على المنتزعات التكوينيّة في غير محلّه، فإنّ السبب من لوازم ذات المسبّب في التكوينيّات، ولا يمكن التفكيك بينها أصلاً، بخلاف السببيّة الشرعيّة كسببيّة الدلوك لوجوب صلاة الظهر، أو طلوع الفجر لوجوب صلاة الصبح؛ لإمكان انفكاكها ؛ ضرورة أنّ هذا النحو من السببيّة اعتباريّة يمكن جعلها وسلبها، ولو كانت سببيّة الدلوك ذاتيّة للوجوب لزم أن تكون كذلك قبل الإسلام أيضاً، ولو كان للشرط الشرعي اقتضاء ذاتيّ لا بدّ أن يكون كذلك أزلاً وأبداً، ويلزمه امتناع إسقاط شرطيّة الشرط، مثل



استقبال بيت المقدس، وهو كما ترى.

فالحق: أن السببية لما هو سبب للتكليف، وكذلك الشرطية لما هو شرط للتكليف والمكلف به، قابلة للجعل استقلاً؛ لأنه مجرد اعتبار لأجل جهة عامة ومصلحة مقتضية لذلك، كما أن الأحكام التكليفية أيضاً مجعولة لمكان مصلحة في ذلك، كحلية البيع وحرمة الربا لمصلحة سياسية أو اقتصادية مقتضية لذلك، وكما أنه يمكن جعل السببية للسبب يمكن جعل المسبب أيضاً، لكن الأوفق بالاعتبار هو جعل السببية.

الوجه الثاني الذي ذكره الميرزا النائيني رحمته: وهو أنه لو امكن جعل السببية للدلوك - مثلاً - لوجوب صلاة الظهر، لزم عدم كون الوجوب أمراً اختيارياً للشارع، بل من الوضعيات والتكاليف التي تحصل قهراً بلا إنشاء من الشارع، فإن ترتب المسبب على السبب قهري لا يعقل فيه التخلف، ولا يمكن أن يدخله الإرادة والاختيار، وهو كما ترى لا يمكن الالتزام به<sup>(١)</sup>. انتهى.

وفيه: أنه إن أراد أنه يلزم من مجعولية السبب حصول إرادة غير اختيارية أو بعث غير اختياري من الشارع.

ففيه: أنه لا يستلزم ذلك، بل كما أنه يستفاد الوجوب من الأمر مع عدم وضعه له، بل بضميمة أصول خارجية، مثل كشفه عن إرادة المولى ذلك ومطلوبته عنده، وأن ذلك حجة على العبد يفتقر إلى الجواب عنه، فكذلك يستفاد الوجوب من جعل الدلوك سبباً للوجوب، فإنه بعد تحقق السبب يستفاد منه الوجوب، فهو أيضاً أحد طرق إنشاء الوجوب، ولا يلزم منه حصول الوجوب قهراً، وبلا اختيار؛ كيف وقد جعلت سببته للوجوب بالإرادة والاختيار؟! ومعه كيف يصير المسبب قهرياً وبلا

اختيار؟! وهو واضح<sup>(١)</sup>.

إذا عرفت ذلك فنقول : الأمور المقررة شرعاً تُصوّر على وجهين ونحوين : أحدهما : ماهو مجعول ابتداءً واستقلالاً؛ بدون لحاظ تعقبه لشيء تكويني أو تشريعي، كجعل سببية الدلوک للوجوب، أو سببية اليد للضمان، وسببية صيغ النكاح والطلاق؛ لتحقيق الزوجية وزوالها ونحو ذلك.

ثانيهما : ماهو المجعول هو الواقع عقيب شيء تكويناً أو تشريعاً، كجعل الضمان عقيب تحقق اليد العادية ، والزوجية عقيب وقوع صيغتها، وزوالها عند وقوع صيغة الطلاق، وجعل ثبوت حق التحجير عقيب التحجير، وكذلك سائر الحقوق المالية وغيرها، بل جميع الجزائيات، كجعل وجوب قطع يد السارق عقيب تحقق السرقة، وحق القصاص والدية بعد القتل الخارجي، وجميع أقسام الحدود والديات، فإنها من الأحكام الوضعية لا التكليفية، فإن جعل وجوب الثمانين جلدة لشرب الخمر - مثلاً - من الأحكام الوضعية.

وبالجملة، يمكن أن يقال : إن المجعول في جميع تلك الموارد هو السببية للسبب، كسببية اليد للضمان، وسببية السرقة لقطع اليد، وهكذا.

كما أنه يمكن أن يقال فيها : إن المجعول هو الضمان عقيب اليد وثبوت الحق بعد التحجير، لكن الأوفق - كما تقدّم - هو الأول، والمتبع هو لسان الدليل في هذه الموارد، وأما مثل جزئية شيء أو شرطية أو مانعية للأمر به، فكما أنه يمكن انتزاعها من التكليف والأمر المتعلق بالكل ذي الأجزاء بلحاظها لا بشرط أو بشرط لا، كذلك يمكن جعلها استقلالاً كما عرفت.

لكن فصل المحقق العراقي<sup>(٢)</sup> بين الجزئية وبين الشرطية والمانعية والقاطعية

١ - مضافاً إلى أنه يلزم على ما ذكره<sup>(٣)</sup> أن يكون جميع الأفعال التوليدية قهرية وبلا اختيار.  
(المقرر حفظه الله).

وعنوان المقدمة الجامعة لجميع تلك العناوين، وقال: إن جزئية شيء للمأثور به في مرتبة متأخرة عن تعلّق الحكم بالطبيعة، فهي منتزعة عن الحكم التكليفي، ويستحيل انتزاعها قبل تعلّق الأمر بالطبيعة، بخلاف شرطية شيء أو مانعته أو قاطعته التي هي مقدّمات الطبيعة؛ فإنّه إمّا أن يكون بينها وبين الطبيعة ارتباط تكويني أو لا، فالأوّل كنصب السّلم للكون على السطح، فهو خارج عن المقام، ومحلّ الكلام هو الثاني، فأمر دخلها وارتباطها في موضوع وجوبه في رتبة سابقة على وجوبه؛ للحاظ الأمر هذا الربط في رتبة سابقة على التكليف في مقام تصوّره، نعم إضافة ذلك الربط إلى الوجوب متأخرة عنه، كإضافة المكان إليه، لا ربط له بنفس حقيقة الشرطية المنتزعة عن الربط المعروض للتكليف، وحينئذٍ فكم فرق بين الشرطية المنتزعة عن مثل ذلك الربط، وبين الجزئية المنتزعة عن الوحدة الطارئة على المتعدّدات من قبل وحدة الوجوب؛ إذ مثل تلك الارتباطات بحسب مرتبة ذاتها متأخرة عن الوجوب، بخلاف منشأ انتزاع الشرطية - التي هي عبارة عن الربط - المأخوذة في موضوع الوجوب، وهكذا المانع.

وتوهم: أنّه لا يمكن انتزاع الشرطية وأمثالها إلّا بعد تعلّق الحكم بالموضوع، كانتزاع وصف الموضوعية المتأخّرة عنه وإن كان بنفس ذاتها في رتبة سابقة. مدفوع: بأنّ هذه الدعوى لا يمكن ادّعاؤها؛ ألا ترى أنّ المضاف إليه قيد للمضاف، كان في العالم حكم أم لا، فهو شاهد على أنّ منشأ انتزاع القيدية نفس الإضافة في رتبة سابقة على التكليف<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: يرد عليه: أنّ التفكيك بين الجزئية والشرطية ونحوها ممّا لا وجه له؛ لأنّه إن كان لحاظ الربط وتصوره في مرتبة سابقة على الحكم، كافياً في انتزاع هذه

١ - أنظر نهاية الأفكار (القسم الأول) ٤ : ٩٠ - ٩٣.

العناوين بدون الاحتياج إلى تعلّق الحكم بالموضوع، فليكن الأمر في الجزئية أيضاً كذلك، وإن لم يكن مجرّد اللحاظ والتصور كافياً فيه في الشرطية ونحوها أيضاً كذلك، فلا وجه للتفصيل بينهما<sup>(١)</sup>.

والتحقيق: أنّ مجرّد تصور الربط ولحاظه ليس كافياً في الانتزاع في الجميع؛ لأنّ الوضع عبارة عن الجعل التصديقي، ولا يكفي مجرّد تصور الربط، فإنّه ربط تصوّري لا تصديقي، والتصديقي منه لا يتحقّق إلّا بعد تعلّق الحكم بموضوعه، وتقدّم أنّ المجهول في الوضعيات على نحوين متقدّمين، فلا بدّ من ملاحظة الأدلّة الدالّة على الوضع، فإن كان لسانها جعل السببية للأسباب، كجعل اليد سبباً للضمان، فلا مجال للاستصحاب في ذلك، فإنّ السببية وإن كانت مجعولة حينئذٍ إلّا أنّ ترتّب المسبّب على السبب عقليّ، وكذلك لو قلنا: إنّ المجهول هو سببية الغليان للحرمة أو النجاسة في العصير العنبي، وإن كان لسانها جعل المسببات عقيب أمر تكوينيّ، كجعل الضمان عقيب اليد، أو جعل النجاسة والحرمة عقيب الغليان، فلجريان الاستصحاب فيه مجال بعد فرض تحقّق هذه الأمور التكوينية.

١ - أقول والسّر في الفرق بينهما - كما أشار هو رحمته إليه - : أنّ انتزاع الجزئية متوقّف على طريان الوحدة على الأجزاء المتعدّدة، وإنّما تطرأ بسبب وحدة الحكم، فما لم يتعلّق الحكم بالموضوع لم يمكن انتزاع الجزئية؛ لعدم وحدة المتعدّدات إلّا به، ولا يكفي في طروها مجرّد تصوّرها شيئاً واحداً، بخلاف الشرطية ونحوها؛ حيث إنّ انتزاعها لا يتوقّف على طرو الوحدة؛ حتّى يتوقّف على تعلّق الحكم، بل يكفي فيه تصوّر الربط ولحاظها واحدة، ويكفي ذلك في عروض الوحدة الاعتبارية. [المقرّر حفظه الله].

## تنبيهات

وينبغي التنبيه على أمور :

### التنبيه الأول

اعتبار فعلية اليقين والشك وأخذهما بنحو الموضوعية

إنّ اليقين والشك هل هما ركنان للاستصحاب وأخذا موضوعيين، أولاً بل  
المناطق واقع المتيقّن والمشكوك، أو أنّ اليقين مأخوذ فيه بنحو الموضوعية دون الشك،  
أو بالعكس؟ وجوه :

الوجه الأول - وهو أقرب الوجوه - : هو أنّ الظاهر من قوله <sup>(١)</sup> : (لا ينقض  
اليقين بالشك) بمناسبة الحكم والموضوع، هو أنّ اليقين والشك مقومان للاستصحاب،  
وأنّ اليقين - حيث إنه مبرّم مستحكم - لا ينقض بالشك الذي ليس كذلك، لا جعل  
الملازمة بين المتيقّن والمشكوك، كما اختاره المحقّق الخراساني <sup>(١)</sup>، ولانعني بذلك عدم  
طريقة اليقين في الاستصحاب، بل المراد أنّ الاستصحاب متقوم باليقين الطريقي، ولا

يتحقق بدونه.

الوجه الثاني : أنَّ اليقين في قوله <sup>الشيء</sup> (لا تنقض...) إلى آخره من العناوين المراتبية، يتبادر المرئي والمتيقن منه في مقام التخاطب في ذهن المخاطب؛ أي الواقع الذي تعلق به اليقين.

وأما الشك فهو وإن لم يكن فيه جهة مراتبية حتى ينتقل منه إلى المشكوك، لكن حيث إنه أريد من قوله : (لا تنقض اليقين بالشك) إسقاطه وإلغاؤه تعبدًا، لا إثبات حكم عليه كالطهارة، فلا موضوعية له حينئذٍ.

الوجه الثالث : مركّب من الأولين، وكذلك الوجه الرابع.

وحينئذٍ يقع الكلام في أنّه هل يعتبر في الاستصحاب فعلية اليقين والشك أولاً؟ وهو متفرّع على القول بالوجه الأوّل من الوجوه الأربعة، وهو القول بأخذهما في الاستصحاب بنحو الموضوعية، وإلا فعلى القول بعدم أخذهما فيه كذلك أو أحدهما؛ - يعني عدم اعتبارهما في الاستصحاب - فلا وقع لهذا البحث ؛ لأنّ ما هو المعقول من هذا البحث هو أن يراد بالفعلي منها ما يلتفت ويتوجّه إليه المكلف غير غافل عنه، ويراد بعدم اعتبار الفعلية عدم اعتبار التفاته إليهما وغفلته عنهما مع وجودهما في خزانة النفس، وإلا فلو أريد من الغير الفعلي عدم وجوده أصلاً حتى في خزانة النفس، ومن الفعلي ما يقابل المعدوم حتى في خزانة النفس، فهو غير معقول.

ومما ذكرنا يظهر التهاافت والتناقض بين ما في التنبيه الأوّل والثاني المذكورين في «الكفاية»؛ حيث إنه صرّح في التنبيه الثاني بعدم ركنية اليقين والشك للاستصحاب، وأنّ مفاد (لا تنقض) جعل الملازمة بين ثبوت الشيء وبقائه، وفرّع عليه جريان الاستصحاب في مؤدّى الأمارات؛ لعدم اعتبار اليقين والشك حينئذٍ<sup>(١)</sup>، ومع

ذلك ذكر في التنبيه الأول: أنه هل يعتبر فعلية اليقين والشك أو لا؟ واختار اعتبار فعليتها<sup>(١)</sup>.

وكذلك يرد على الشيخ الأعظم رحمته؛ حيث إنه مع اختياره الوجه الرابع - أي عدم موضوعية اليقين وموضوعية الشك<sup>(٢)</sup> - ذهب إلى اعتبار فعلية اليقين والشك فيه<sup>(٣)</sup>.

وبالجملة: بناء على مختارهما - من عدم اعتبار اليقين في الاستصحاب، وأنه عبارة عن جعل الملازمة بين ثبوت شيء وبقائه، كما ذهب إليه في «الكفاية» أو ترتيب آثار المتيقن على الشك، كما ذهب إليه الشيخ رحمته - لا وقع للبحث في أنه هل يعتبر فيه فعلية اليقين والشك ووجودهما بالفعل والاتفات إليهما، أو يكفي وجودهما في خزانة النفس وإن لم يلتفت إليهما بالفعل، كما أن كثيراً من المعلومات كذلك موجودة في خزانة النفس، لكن يغفل عنها الإنسان؟

هذا مضافاً إلى أن الظاهر من كلام شيخنا الحائري رحمته في «الدرر» وكذلك الشيخ رحمته: أن المراد من الفعلية وعدمها وجودهما وعدمها أصلاً حتى في خزانة النفس - الذي ذكرنا أن البحث فيه غير معقول - حيث قال في «الدرر»: إن الاعتبار هو تحققهما فعلاً، ولا يكفي وجودهما الشائي بمعنى أن المكلف بحيث لو التفت لكان متيقناً بالحدث شاكاً في البقاء<sup>(٤)</sup>.

وأما أن المستفاد من كلام الشيخ رحمته ذلك أيضاً، فلا أنه رحمته فرق بين ما لو شك بعد تيقنه بالحدث ثم غفل عنه وصلى، وبين ما لو غفل عنه بالكيفية بعد تيقنه بالحدث.

١ - نفس المصدر: ٤٥٩.

٢ - فرائد الأصول: ٣٣٦ سطر ١٨.

٣ - نفس المصدر: ٣٢١ سطر ٢١.

٤ - درر الفوائد: ٥١١ - ٥١٢.

فحكم ببطلان الصلاة في الأوّل؛ لسبق الأمر بالطهارة فيه، فلا يجري قاعدة الفراق حينئذٍ، بخلاف الثاني وجريان القاعدة فيه<sup>(١)</sup>.

فيظهر منه : أنّ عدم جريان الاستصحاب في الثاني وجريان القاعدة فيه، إنّما هو لعدم وجود الشكّ واليقين فيه أصلاً حتّى في خزانة النفس، بخلاف الأوّل؛ لأنّه وإن كان غافلاً حين الشروع في الصلاة، لكن هذه الغفلة لا تضرّ في فعليّة الشكّ واليقين؛ لوجودهما بالفعل قبل الصلاة وقبل عروض الغفلة، وهو كافٍ في جريان الاستصحاب، وإلاّ فلو أراد من الفعليّة، وجودهما ولو في خزانة النفس وصقّعها، لزم الحكم ببطلان الصلاة في الفرعين معاً؛ لجريان استصحاب الحدث، لفعليّة اليقين والشكّ بهذا المعنى فيها، في قبال عدمهما بالكلّيّة حتّى في صقّع النفس، فيستفاد من التفصيل بين الفرعين - مجريان الاستصحاب في الأوّل وعدمه في الثاني - أنّ مراده من الفعليّة هو وجودهما بالفعل في قبال وجودهما في صقّع النفس فقط، مع الغفلة عنهما بالفعل.

وبالجملة : المستفاد من كلامه ﷺ وتفصيله بين الفرعين : أنّ المراد والمعتبر هو وجودهما بالفعل وعدم الغفلة عنهما، فمع الغفلة عنهما رأساً لا يجري الاستصحاب ولو مع وجودهما في صقّع النفس وخزانتها.

وكيف كان فالتحقيق : هو أنّه إن قلنا : بأنّ مفاد الاستصحاب هو جعل حكم مماثل للحكم الواقعي المتيقّن سابقاً في زمان الشكّ في البقاء، فهوّدَى استصحاب الطهارة حينئذٍ، طهارة ظاهريّة مجعولة في زمان الشكّ كالطهارة الواقعيّة.

أمّكن أن يقال : بعدم اعتبار فعليّة الشكّ واليقين في جريانه، فيجري مع الغفلة عنهما فعلاً أيضاً، مع وجودهما في صقّع النفس، كما أنّ الأحكام الواقعيّة موجودة؛



سواء قامت عليها الأمانة أم لا، وصلت إلى المكلف أم لا. وإن قلنا: بأن الاستصحاب إنما هو للتحفظ عن الواقع وتنجزه على فرض الإصابة، والعذر على فرض عدمها، كما أن الأمارات كذلك، وأن الواقع يتنجز على فرض الإصابة وبقاء الحالة السابقة واقعاً، وإلا فلا، لكن المكلف معذور في المخالفة، فلا إشكال في اعتبار فعلية اليقين والشك فيه، وفي تنجزه للواقع عند الإصابة، والعذر عند عدمها، وعدم كفاية وجودهما في صُغ النفس وخزانتها مع الغفلة عنها فعلاً في المنجزية والمعدورية؛ لعدم صحة احتجاج المولى على العبد - ولا العبد على المولى - بوجود هذا النحو من العلم والشك، كما تقدّم نظير ذلك في باب الطرق والآمارات. وبعبارة أخرى: ليس للعذر والتنجز واقع؛ كي يبحث في أنه هل يكفي وجودهما الواقعي أو لا؟ بل التنجز والتعذر إنما يتحققان مع الالتفات إلى اليقين والشك في الاستصحاب، فلا يصح احتجاج المولى على العبد فيما لم يلتفت العبد إلى اليقين والشك، ولم يلتفت إلى اليقين السابق بوجوب صلاة الجمعة والشك اللاحق به، فتركها، وإن كانا موجودين في خزانة النفس، وحينئذٍ فالحق مع المشايخ العظام في اعتبار فعلية اليقين والشك في الاستصحاب<sup>(١)</sup>.



## التنبيه الثاني

### حول جريان الاستصحاب في مؤدّى الأمارات

لا إشكال في عدم جريان الاستصحاب في مؤدّى الأمارات، لو قلنا بموضوعيّة اليقين والشكّ الوجدانيّين وركنيتيّهما في الاستصحاب.

وفي جريانه فيها لو قلنا بعدم موضوعيّتهما فيه، وأنّ مؤدّى الاستصحاب هو جعل الملازمة بين ثبوت الشيء وبقائه، وأنّ مع ثبوت الشيء تعبّداً بقيام الأمانة المعتمدة عليه يحكم عليه بالبقاء أو لا، وجهان.

وذكر الميرزا النائيني والمحقّق العراقي رحمتهما: أنّه لا إشكال في جريانه في مؤدّى الأمارات؛ لأنّ المأخوذ من اليقين في موضوع الاستصحاب هو اليقين الطريقي لا الوصفي، وأنّه قد تقدّم في مبحث القطع قيام الطرق والأمارات مقام القطع الطريقي، وحينئذٍ فلا إشكال في المقام<sup>(١)</sup>. انتهى ملخصاً.

أقول: هذا مبنيّ على القول بأنّ حجّيّة الأمارات مجعولة من الشارع تأسيساً، وأنّها من مخترعات الشارع ومجعولاته، وقد تقدّم مراراً: أنّ مثل حجّيّة خبر الواحد

---

١ - فوائد الأصول ٤ : ٤٠٣ - ٤٠٤ ، نهاية الأفكار (القسم الأوّل) ٤ : ١٠٥ - ١٠٦ .

واليد وغيرهما من الأمارات، إنما هي لاستقرار بناء العقلاء عليها والعمل بها وإمضاء الشارع له، فهي إمضائية، لا تأسيسية من الشارع؛ لعدم قيام دليل على ذلك من الآيات والروايات، فإن مفاد مثل قوله عليه السلام: (العمرى ثقني) أو (ما أدنى إليك عنّي فعنّي يؤدّي)<sup>(١)</sup>، هو توثيقه، لا جعل حجّة خبره، وحينئذ فلا بدّ من ملاحظة بناء العقلاء، وأنّه هل استقرّ بناؤهم على تنزيل مؤدّي الأمارات منزلة الواقع أولاً، ثمّ العلم بها، أو أنّه ليس كذلك؟ لا إشكال في أنّه ليس في التنزيل المذكور بينهم رسم ولا أثر، بل الثابت عندهم هو عملهم بها، وهذا ممّا لا ريب فيه ولا إشكال، والعجب أنّه قد صرّح في غير موضع بأنّ حجّة الأمارات إنما هي لبناء العقلاء وإمضاء الشارع له، وليست تأسيسية من الشارع<sup>(٢)</sup>.

ولكن الوجه في جريان الاستصحاب في مؤدّي الأمارات هو ما تقدّم منّا سابقاً، وهو أنّه ليس المراد من اليقين في قوله عليه السلام: (لا تنقض اليقين) هو اليقين الوجداني، بل الظاهر أنّ المراد به الحجّة، كما أنّ المراد من الشكّ هو اللاجّة، ففاده النهي عن نقض الحجّة باللاّ حجّة، والأمارات أيضاً حجج، فتعّمها الأخبار. ويشهد لذلك وجوه:

الأول: الصحيحة الأولى لزرارة<sup>(٣)</sup>؛ حيث إنّّه لا يريد بالوضوء المستصحب فيها هو الوضوء القطعي الجزمي؛ لندرته جدّاً، بل الغالب في الاحكام وإحراز صحتها الاعتماد على الأصول والقواعد الجارية فيها كإطلاق الماء الذي يتوضّأ منه وطهارته

---

١ - الكافي ١ : ٢٦٥ / ١ ، كتاب الغيبة : ٢٤٣ / ٢٠٩ ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٠٠ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ١١ ، الحديث ٤ .  
 ٢ - فوائد الأصول ٣ : ٣٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٩٤ .  
 ٣ - تهذيب الأحكام ١ : ٨ / ١١ ، وسائل الشيعة ١ : ١٧٤ ، كتاب الطهارة ، أبواب نواقض الوضوء ، الباب ١ ، الحديث ١ .

ونحوه.

الثاني : الصحيحة الثانية له<sup>(١)</sup>؛ لأنه لا ريب في أنه لا يراد من طهارة الثوب، هي الطهارة القطعية الواقعية باليقين الوجداني، لا أقول: إن المراد منها الطهارة الظاهرية، ليرد عليه: أنه لا معنى لاستصحابها؛ لتقومها بالشك المأخوذ في موضوعها، فمع وجوده فهي باقية قطعاً وإلا فترتفع قطعاً، بل المراد الطهارة الواقعية المحرزة بالأمارات؛ لندرة القطعية منها وجداناً.

الثالث : ما رواه الكليني عليه السلام عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس، عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يكون في داره، ثم يغيب عنها ثلاثين سنة، ويدع فيها عياله، ثم يأتيها هلاكه، ونحن لا ندري ما أحدث في داره، ولا ندري ما أحدث له من الولد، إلا أنا لانعلم أنه أحدث في داره شيئاً، ولا حدث له ولد، ولا تقسم هذه الدار على ورثته الذين ترك في الدار، حتى يشهد شاهداً عدلي: أن هذه الدار دار فلان بن فلان مات وتركها ميراثاً بين فلان وفلان، أو نشهد على هذا؟

قال : (نعم) .

قلت : الرجل يكون له العبد والأمة، فيقول : أبقي غلامي أو أبقت أمتي، فيوجد بالبلد، فيكلفه القاضي البيئنة أن هذا غلام فلان لم يبعه ولم يهبه، أفنشهد على هذا إذا كلفناه، ونحن لم نعلم أنه أحدث شيئاً؟

فقال : (كلما غاب من يد المرء المسلم غلامه أو أمته أو غاب عنك، لم

١ - تهذيب الأحكام ١ : ٤٢١ / ١٣٣٥ ، علل الشرائع ١ : ٣٦١ / ١ ، وسائل الشيعة ٢ : ١٠٥٣ ،

كتاب الطهارة، أبواب النجاسات، الباب ٣٧، الحديث ١ والباب ٤١، الحديث ١، والباب ٤٢،

الحديث ٢.

تشهد عليه<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أنَّ المستند في هذه الشهادة هو استصحاب ملكية داره وعبدته  
الثابتة باليد، لا باليقين الوجداني.  
مضافاً إلى عدم الفرق بين الثبوت تعبدًا وبينه وجداناً عند العرف والعقلاء؛  
لأنَّه لا خصوصية عندهم لما ثبت باليقين الوجداني ولذا يعدُّون الظنَّ المعتمد من  
الأدلة ، دون الظنَّ الغير المعتمد<sup>(٢)</sup>.

---

١ - الكافي ٧ : ٣٨٧ / ٤ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٢٤٦ ، كتاب الشهادات ، أبواب الشهادات ،  
الباب ١٧ ، الحديث ٢ .

٢ - الوافية : ١٦٥ ، فرائد الأصول : ٣٠ سطر ٢٢ ، كفاية الأصول : ٣٢٢ ، فوائد الأصول ٣ :  
١١٩ ، نهاية الأفكار ٣ : ٨٠ .

## التنبيه الثالث

### في أقسام استصحاب الكلي

قسّموا الاستصحاب باعتبار المستصحب على قسمين: استصحاب الفرد، واستصحاب الكلي.

أمّا الأوّل: فهو إمّا فرد معيّن كاستصحاب وجود زيد أو وجوب إكرامه، وإمّا فرد مرّدّد<sup>(١)</sup>.

لا إشكال في صحّة استصحاب الفرد المعيّن إذا كان حكماً شرعياً أو موضوعاً ذا حكم شرعيّ؛ لتحقّق أركانه من اليقين السابق والشكّ اللاحق.

وأمّا استصحاب الفرد المرّدّد، والمراد هو المرّدّد عند المكلف، المعيّن في الواقع، كما لو علم بوجود زيد أو عمرو في الدار سابقاً، وشكّ في بقائه لاحقاً.

فقد يقال بعدم جريان الاستصحاب فيه؛ بمعنى جعل الحكم على المرّدّد بين زيد وعمرو؛ لعدم إمكان انقداح الإرادة على الحكم بالمرّدّد؛ لأنّ الحكم يقتضي موضوعاً معيّناً<sup>(٢)</sup>.

---

١ - فرائد الأصول : ٣٧١ سطر ٤ ، كفاية الأصول : ٤٦١ ، فوائد الأصول ٤ : ٤١١ .

٢ - أجود التقريرات ٢ : ٣٩٤ .

أقول : هذا الإشكال بعينه هو الإشكال الذي أوردوه على تصوير الواجب التخييري<sup>(١)</sup> الذي تقدّم دفعه بما تقدّم في محله، فراجع، وهو مختصّ باستصحاب الحكم المرّد ، وأمّا الموضوع المرّد عند المكلف المعين في الواقع، فلا إشكال في جريان استصحابه لو ترتّب أثر مشترك بينهما عليه، فيترتب عليه ذلك الأثر. نعم لا يترتب عليه الأثر المختصّ بكل واحد منهما؛ لعدم جريان الاستصحاب في خصوص كلّ واحد منهما.

وأما ما يترأى من بعضهم من عدّ استصحاب الفرد المنتشر من أقسام استصحاب الفرد، وأنّ في الخارج فرداً منتشراً بين الأفراد الذي سمّوه بـ«الكلّي في المعين» كصاع من صبرة أو أحد غلمان زيد، وقد سمّاه شيخنا الحائري رحمته بـ«الكلّي الخارجيّ»<sup>(٢)</sup>، وهو غير الفرد المعين، كهذا الصاع<sup>(٣)</sup>.

ففيه: أنّا لم نتحقّقه إلى الآن؛ بأن يكون هناك شيء قابل للصدق على كثيرين مع عدم كونه كلياً.

والتحقيق: أنّ مثل «صاع من الصبرة» أو «أحد الغلمان» كلّي أيضاً، غاية الأمر أنّه مقيد بوجوده في هذه الصبرة؛ لأنّه قابل للصدق على كثيرين، والقيّد لا يخرجّه عن الكليّة كالإنسان الأبيض، نعم تضيق دائرة وجوده بالقيّد، وإلا فلا يعقل تردّد فرد في الواقع بين اثنين أو أكثر؛ للتنافي بين الفرديّة والترديد الواقعي.

وأما الثاني : - وهو استصحاب الكلّي - فهو على ثلاثة أقسام؛ لأنّ المستصحب: إمّا هو الكلّي الموجود في ضمن فرد خاصّ منه علم بوجوده في الزمان السابق، وشكّ في بقائه لأجل الشكّ في بقاء ذلك الفرد، فالشكّ في بقاء الكلّي حينئذٍ مسبّب عن

١ - فوائد الأصول ١ : ٢٣٢ ، أجود التقريرات : ١٨١ .

٢ - درر الفوائد : ١٥٨ .

٣ - أنظر فوائد الأصول ٤ : ٤١٣ ، نهاية الأفكار (القسم الأوّل) ٤ : ١١٥ ، حقائق الأصول ٢ : ٤٥٧ .



الشك في بقاء ذلك الفرد.

وإما لوجوده في ضمن فرد مرّد بين قصير العمر وطويله كالبق والفيل؛ فإن كان الأوّل فهو مقطوع الارتفاع، وإن كان الثاني فهو مقطوع البقاء. وإما للشك في حدوث فرد آخر مقارناً لارتفاع الفرد الأوّل المقطوع ارتفاعه وبقاء الكلّي الموجود في ضمن الفرد الأوّل المقطوع ارتفاعه في ضمن الفرد الثاني المحتمل الوجود والحدوث.

### القسم الأوّل: من استصحاب الكلّي

أما القسم الأوّل : فالمستصحب الكلّي : إمّا من الأحكام، وإمّا من الموضوعات؛ أمّا في الموضوعات : فلا إشكال في جريان استصحاب الكلّي فيما لو ترتّب عليه أثر شرعيّ على نفس الطبيعة لتحقيق أركانه وإن كان الشك في بقاء الكلّي فيه مسبباً عن الشك في بقاء الفرد، كما لا إشكال في جريان استصحاب الفرد أيضاً؛ لأنّ هنا قضيتين مشكوكتين : إحداهما بالنسبة إلى الفرد، والثانية بالنسبة إلى الكلّي والطبيعة، فلا إشكال في جريانه في كلّ واحد منهما على فرض ترتّب الأثر الشرعيّ عليهما.

وإنما الإشكال في أنّ استصحاب الفرد هل هو حاكم على استصحاب الكلّي؛ لأنّ الشك في بقائه - أي الكلّي - مسبّب عن الشك في بقاء الفرد. أو أنّ استصحاب أحدهما يُغني عن استصحاب الآخر؛ لترتّب أثر الكلّي على الفرد وبالعكس.

أو التفصيل بأنّ استصحاب الفرد يُغني عن استصحاب الكلّي، واستصحاب الكلّي لا يغني عن استصحاب الفرد.

أو التفصيل بين ما لو كان الموضوع صرّف الوجود، فيغني استصحاب الفرد

عن استصحاب الكلّي، وبين كونه بنحو الوجود الساري بنحو القضية الحقيقيّة، فلا يُعني استصحاب الفرد عنه.

أو التفصيل بين الاستصحابات الموضوعيّة، فيُعني أحدهما عن الآخر، وبين الحكيمّة، فلا يُعني.

أو التفصيل بين ما لو كان الكلّي نوعاً من الأنواع والفرد مصداقه، فيُعني استصحاب أحدهما عن الآخر، وبين كونه جنساً والفرد مصداقه، فلا يُعني ؟ وجوه. والتحقيق: جريانه في كلّ واحد منها وعدم كفايته عن الآخر؛ وذلك لأنّه قد تتصادق عناوين مختلفة على مصداق خارجيّ، كالإنسان والحيوان والأبيض وابن عمرو المتصادقة على زيد، وهذه العناوين بذاتها مختلفة في عالم العنوان، متّحدة في الخارج، متحقّقة بعين وجود زيد، كما تقدّم في باب المشتقّ: من أنّ العناوين الانتزاعيّة المشتقة موجودة في الخارج بعين وجود منشأ انتزاعها، وعلى فرض عدم اتّحادها عقلاً في الخارج فهي متّحدة فيه عرفاً، وكما أنّ هذه العناوين مختلفة في عالم العنوان كلّ مع الآخر، فكلّ واحدة منها أيضاً غير المصداق الخارجي في عالم العنوان، وإن اتّحدت معه في الخارج وموجودة بوجود واحد، وهو زيد الذي له هويّة واحدة شخصيّة هي مجمع العناوين، والطبيعي موجود في الخارج بعين وجود فردّه، متكرّر فيه بتكرّر الأفراد، فعني ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾<sup>(١)</sup> أنّه تعالى أحلّ طبيعة البيع المتكرّرة في الخارج، وإذا دخل عليها لفظة «كلّ» يفيد عموم أفرادها، فيُكرّرها لا بغير نفسها، بل يكرّر نفس الطبيعة بلا لحاظ الخصوصيّات الفرديّة.

فإذا قيل : «كلّ نار حارّة»، فعناه بنحو تعدّد الدالّ والمدلول: كلّ فرد من أفراد طبيعة النار بما أنّها نار، لا بما أنّه كرويّ الشكل - مثلاً - كذلك، وإنشاء الأحكام أيضاً

كذلك، مثل «أكرم كلَّ عالم»، فالحكم متعلّق - بنحو شبه القضية الحقيقيّة - بكلِّ فرد من أفراد العالم بما أنّه عالم، لا بما أنّه فقير أو قرشيّ ونحوهما.

وحينئذٍ فسواء أنشأ الحكم على صرف وجود الطبيعة، أم على وجودها المتكرّر في الخارج، أم بنحو العموم، فموضوع الحكم هو نفس الطبيعة بدون سرائته إلى حيثيّات أخرى، فإذا ثبت لإنسان - مثلاً - حكم، ولأبيض حكم آخر، وكنا موجودين بوجود واحد في الخارج، وكان متيقّناً سابقاً، ثمّ شكّ في بقاءه، فهنا قضيتان متيقّتان ومشكوكتان: إحداها بالنسبة إلى الإنسان، والأخرى بالنسبة إلى الأبيض، فلكلّ واحد منهما استصحاب خاصّ؛ لشمول (لاتنقض) لكلّ واحد منهما، وتصادقهما على واحد لا يوجب وحدة الحكم، فكما أنّ العنوانين كذلك، كذلك عنوان الطبيعي وعنوان فردّه ومصادقه، مثل عنوان الإنسان وعنوان زيد، لتغايرهما في عالم العنوان، فإنّ عنوان هذه الهوية الشخصية غير عنوان الإنسان، والأحكام أيضاً متعلّقة بالعناوين، فإذا كان على يقين من وجود الإنسان المتحقّق في ضمن زيد الموجود، فشكّ في بقاءه لأجل الشكّ في بقاء زيد، فهنا قضيتان متيقّتان ومشكوكتان: إحداها بالنسبة إلى زيد، والأخرى بالنسبة إلى الإنسان، فلا مانع من جريان الاستصحاب في كلّ واحد منهما؛ لوجود أركانه من اليقين السابق والشكّ اللاحق فيهما لو ترتّب على كلّ واحد منهما أثر شرعيّ يخصّه، ومجرّد اتّحادهما في الخارج لا يوجب كفاية استصحاب كلّ منهما عن الآخر بترتيب أثره. وهذا واضح لا غبار عليه.

لكن ذهب بعضهم: إلى أنّ استصحاب الفرد مُعني عن استصحاب الكلّي، فيترتّب أثر الكلّي أيضاً باستصحاب الفرد، ولا يفتقر إلى استصحاب الكلّي؛ لأنّ الكلّي في الخارج عين الفرد، فالتعبّد ببقاء الفرد عين التعبّد ببقاء الكلّي<sup>(١)</sup>.

١ - أنظر حاشية فرائد الأصول، المحقّق الخراساني: ٢٠٢ سطر ٨.

وفيه : أنه إن أراد أن استصحاب عنوان الفرد مُعْنِي عن استصحاب عنوان الكلّي، ففيه: أن التعبّد بوجود عنوان وموضوع بلحاظ أثر يخصّه، غيرُ التعبّد بعنوان آخر بلحاظ أثره الخاصّ به، وعنوانا الكلّي والفرد متغايران في عالم العنوانيّة، ولكلّ واحد منهما أثر يخصّه على الفرض، ولا يترتّب هذا الأثر بتحقيق عنوان آخر تعبّداً. وإن أراد غير ذلك فلا يفيد استصحاب الفرد ترتّب أثر الكلّي، ولا يُعْنِي عنه. نعم هنا إشكال في استصحاب الكلّي في الأحكام : هو أن الأحكام كلّها جزئيّة لا كليّة، والكلّي هو متعلّقاتها، فإنّ قولنا : «أكرم» في «أكرم زيداً» هو بعينه في قولنا: «أكرم الإنسان» لا فرق بينهما، وإنّما الفرق بين متعلّقهما. ويدلّ على ذلك: أنه لو قال : «أكرم» قاصداً ابتداءً تعليقه بزيد، فبدا له وعلقه بطبيعة الإنسان، صحّ بدون الاحتياج إلى تكراره.

### القسم الثاني: من استصحاب الكلّي

وأما القسم الثاني من أقسام استصحاب الكلّي فهو على قسمين :  
أحدهما : ما لو كان الشكّ فيه في المقتضي، كاستصحاب الحيوان المرّدّد بين كونه في ضمن مقطوع الارتفاع كالبقّ ومقطوع البقاء كالفيل.  
ثانيهما : ما لو كان الشكّ فيه في الرافع مع إحراز استعداد المقتضي للبقاء، كما لو علم بالحدث المرّدّد بين الأكبر والأصغر بعد التوضؤ، فهو مشكوك البقاء.  
وذكروا في المقام ثلاثة أمثلة :  
أحدها : ما ذكرناه أولاً، وهو من الموضوعات الصّرفة التي تترتّب عليه الأثر.  
ثانيها : مثال الحدث المذكور.  
ثالثها : ما لو علم إمّا بوجوب الظهر يوم الجمعة أو صلاة الجمعة، ثمّ صلّى

الجمعة<sup>(١)</sup> فالوجوب حينئذٍ مشكوك البقاء من جهة تردّد الواجب بين الجمعة المقطوعة ارتفاعها وبين الظهر المقطوع بقاءه، لكن في المثالين الأخيرين لما نحن فيه إشكال، وإن كان المناقشة في المثال ليست من دأب المحصلين من حيث إنّ المشكوك معلوم إجمالاً؛ أي أحد هذين، لا الكلّي.

### اعتراضات وأجوبة

وكيف كان ففي جريان الاستصحاب في هذا القسم وجوه من الإشكال:

الأوّل: - وهو العدة الذي يصعب الذبّ عنه -: أنّه لا ريب في اعتبار اتحاد القضية المتيقّنة والمشكوكة في الاستصحاب، بل الاستصحاب متقوم بذلك، وهو ركن فيه، وهو مفقود هنا؛ وذلك لأنّ ما هو المتيقّن هو الطبيعة المتكرّرة في الخارج، لا الطبيعة الواحدة الجامعة بين الأفراد المشتركة بينها؛ لأنّ ما في الخارج عبارة عن البقّ والفيل في المثال المعروف، وليس في الخارج شيء واحد موجود سواهما مشترك بينهما؛ أي الحيوان الكلّي الواحد، فإنّ الطبيعي في الخارج هو نفس الأفراد، وكلّ فرد عين الطبيعي بتمامه، فالطبيعة في الخارج متكرّرة بتكرّر أفرادها، وليست واحدة موجودة في الخارج مشتركة بين الأفراد؛ حتّى تكون متعلّق العلم سابقاً، فما هو المتيقّن والمتعلّق للعلم السابق في المثال هو وجود البقّ أو الفيل - أي أحدهما المرّد بينهما - والمشكوك هو أنّ الموجود سابقاً هل هو هذا الحيوان المستعّين بهذا التعيّن، أو ذاك المتعيّن بذاك التعيّن؟ فعلى الأوّل فهو باقي قطعاً، وعلى الآخر فهو مرتفع قطعاً، فالمتيقّن السابق ليس كليّاً، بل إمّا هذا الفرد أو ذاك، فلا معنى لاستصحابه.

نعم بناء على ما ذهب إليه الرجل الهمداني من وجود الطبيعي في الخارج بنعت

الوحدة والاشترار ، وأنّ الوجود في مثل طبيعة الإنسان - مثلاً - طبيعة واحد توجد بوجود فرد واحد، وتعدم بانعدام جميع الأفراد<sup>(١)</sup>، لا يرد عليه الإشكال المذكور؛ حيث إنّ يعلم بوجود الكلّي سابقاً بنعت الوحدة تفصيلاً، ويشكّ في بقائه في الزمان اللاحق؛ لاحتمال أنّ الموجود سابقاً هو الفيل، ومع احتمال بقاء الفرد يحتمل بقاء الكلّي أيضاً بناء على ذلك المذهب.

ولكن مبناه فاسد، فإنّ الطبيعي - على ما هو التحقيق - متكثّر في الخارج بعين تكثّر أفراد، وأنّ في الخارج أناسيّ متعدّدة، وليس فيه إنسان كلّي بنعت الوحدة مشترك بين الأفراد.

وليس المراد وجود الحصص منه؛ إذ لا معنى لها، بل المراد أنّ الطبيعي نفسه موجود في ضمن كلّ فرد بتمامه، فزيد تمام طبيعة الإنسان وكذلك عمرو وغيرهما من الأفراد.

وأما ما ذهب إليه الرجل الهمداني، فإنّ أراد أنّ للطبيعي وجوداً في الخارج سوى وجوده بعين وجود الأفراد، يلزم أن يكون جميع الأفراد مع وصف كثرتها واحدة، وهو خلاف الضرورة.

وإنّ أراد أنّه ليس له وجود خاصّ في الخارج سوى وجود الأفراد، ومع ذلك فهو مشترك بين الأفراد الخارجيّة، فهو أيضاً غير صحيح، إلّا على القول بوحدة الوجود خارجاً، فيلزم وحدة جميع أفراد الإنسان، وهو أيضاً خلاف الضرورة، وحينئذٍ فلا يبقى لما ذكره معنى إلّا أن يدّعى أصالة الماهيّة مضافاً إلى أصالة الوجود، ويقول بأنّ في عالم التحقق أصليين : الماهيّة والوجود، كما ذهب إليه الشيخ أحمد الإحسائي، وقد برهن على امتناعه في محله<sup>(٢)</sup>.

١ - أنظر رسائل ابن سينا ١ : ٤٦٦ ، الأسفار ١ : ٢٧٣ - ٢٧٤ .

٢ - شرح المنظومة (قسم الفلسفة) : ١٠ - ١١ .

والعجب من بعض أعظم أهل النظر - الشيخ محمد حسين - مع ذهابه إلى ما هو الحق والتحقيق - من أن الطبيعة عين الفرد في الخارج - قال ما حاصله: إن الطبيعي قد يلاحظ بما أنه متعين بلحاظ حصّة من هذا الطبيعي الوجداني متعيّناً بتعيّن الزيدية - مثلاً - فذات الحصّة المخوفة بذلك التعيّن - لا مجموع التعيّنات - هي الماهية المتشخّصة بتشخص ماهويّ، وقد لا يلاحظ بما أنه لا متعين، بل بذاته؛ بحيث يقصر النظر على ذاته وذاتيّاته، ومن المعلوم أن الطبيعي - بما هو - لا وجود له في نظام الوجود، بل لا يوجد إلاّ متعيّناً بأحد أنحاء التعيّنات، لكن اللامتعيّن بذاته موجود في ضمن المتعيّن، وحينئذٍ فالقدر المشترك - المعبر عنه بالطبيعي بحسب وجوده الواقعي - له نحو تعيّن، إلاّ أنه ربما يكون معلوماً بما له من التعيّن، وربما يكون معلوماً بذاته، وما نحن فيه من قبيل الثاني، وأن المعلوم فيه ليس إلاّ ذات الطبيعي المتعيّن، لا معلوميّة تعيّن، ولا ملازمة بين معلوميّة ذاته وبين معلوميّة تعيّن، فبعد زوال أحد التعيّنات الذي فرض تردّد المعلوم بينهما، يكون بقاء ذات الطبيعي وذات المتعيّن مشكوكاً؛ لاحتمال كون تعيّن هو الباقي أو الزائل، فيستصحب<sup>(١)</sup>، انتهى.

أقول: هذا الذي ذكره رحمته لا يدفع الإشكال المذكور؛ لأنّه إن أراد أن في الخارج موجوداً واحداً في كلّ واحد من الأفراد، لكن لا بنحو التعيّن، فهو ممنوع؛ لأنّ الطبيعي متكثّر بذاته في الخارج - كما تقدّم - ففي الخارج أناسيّ كثيرة، لا إنسان واحد، والاختلاف إنّما في الخصوصيّات واللواحق، ولذا قال الشيخ أبو علي ابن سينا: إنّ إنسانيّة هذا الفرد غير إنسانيّة ذاك الفرد الآخر<sup>(٢)</sup>، فالبقّ تمام طبيعة الحيوان، والقليل طبيعة أخرى منه تامّة، والمعلوم هو وجود هذه الطبيعة سابقاً أو تلك الطبيعة، لا الطبيعة المشتركة بينهما، والمشكوك الذي يراد استصحابه ليس ذا ولا ذاك، بل هو

١ - نهاية الدراية ٣: ٧٢ سطر ٢١.

٢ - رسائل ابن سينا ١: ٤٧١.

نفس الكلّي الطبيعي، فالإشكال باقي بحاله، إلّا أن يلتزم بمقالة الرجل الهمداني التي عرفت فسادها، وما نحن فيه نظير ما لو علم بوجود «كم» أو «كيف» في الخارج، وشكّ في بقاءه، فكما لاجامع مشترك بينهما موجود في الخارج حتّى يتعلّق العلم به تفصيلاً، فكذلك ما نحن فيه.

وبعبارة أخرى: إن أريد من استصحاب الكلّي القسم الثاني، نفس الطبيعة اللابشرط المجردة من الخصوصيّات والتعيّنات الصادقة على كثيرين.

ففيه أنّه يعلم بعدم وجودها في السابق، فكيف تستصحب؟! لا أنّه لا يعلم بوجودها في السابق؛ لامتناع تحقّق الطبيعة في الخارج معرّة عن الخصوصيّات المفردة والتعيّنات المشخّصة.

وإن أريد به الطبيعة الموجودة في الخارج المتعيّنة واقعاً، لكن مع قطع النظر عن الخصوصيّات الفردية.

ففيه: ما عرفت من عدم وجود جامع مشترك بين الأفراد في الخارج، بل كلّ واحد من الأفراد، نفس الطبيعي، فالفيل والبقّ حيوانان في الخارج، لا حيوان واحد حتّى يكون معلوم الوجود سابقاً تفصيلاً، فكما أنّ العلم إنّما بوجود البقّ أو الفيل في الخارج علم إجمالي لا تفصيلي، كذلك هذا الحيوان أو ذاك.

نعم لو قلنا: إنّ حيوانيّة الفيل عين حيوانيّة البقّ، أمكن تصحيح ما ذكره، لكنّه ضروريّ الفساد.

وأما تنظير ذلك بصاعٍ من الصُّبْرة وبمتعلّقات الأحكام؛ حيث إنّها طبائع خارجيّة موجودة في الخارج؛ مع قطع النظر عن الخصوصيّات وعدم لحاظها.

ففيه: أنّ في المثالين أيضاً إشكالاً؛ حيث إنّ صاعاً من الصُّبْرة كلّّي طبيعيّ يوجد بعين وجود الأفراد، وكذلك متعلّقات الأحكام، فإنّها أيضاً طبائع.

وإن أريد استصحاب أحد مصاديق الحيوان المعلوم وجوده، لكن بما أنّه



حيوان، لا بما أنّه بقّ أو فيل؛ أي الحيوان المتعيّن بالخصوصيّات. فهو أيضاً فاسد؛ لأنّه استصحب للفرد المرّدّ المعلوم وجوده إجمالاً في الزمان السابق لا تفصيلاً، وليس المراد عدم صحّة استصحاب الفرد المرّدّ المعلوم بالإجمال، كاستصحاب الوجوب المرّدّ تعلّقه بالظهر أو الجمعة، بل المراد هو أنّ ما نحن فيه ليس كذلك؛ لأنّ المراد فيما نحن فيه هو استصحاب الكلّي لا الفرد المرّدّ، وحينئذٍ فالإشكال باقٍ بحاله.

والذي يمكن أن يقال في التفصّي عنه : أنّ العرف والفهم العقلائي لا يوافقان على هذه المطالب العقليّة الدقيقة، وأنّ الطبيعي عندهم موجود في الخارج، ووجوده بوجود أحد الأفراد، وعدمه بانعدام جميعها، كما ذهب إليه الرجل الهمداني. والشاهد على أنّ ما ذكرناه من المطالب لا يدرك إلّا بعد التأمل الدقيق والتعمّل العقلي العميق، ما ذهب إليه كثير من الأصوليّين - كما ذكره الرجل الهمداني - من وجود الطبيعي في الخارج بنعت الاشتراك، وحيث إنّ الملاك والمناطق في اتّحاد القضيّة المتيقّنة والمشكوكة هو نظر العرف وفهم العقلاء، يرتفع الإشكال؛ لاتّحادهما في المتفاهم العرفي.

الثاني من وجوه الإشكال : أنّ القدر المشترك بين الأفراد يدور بحسب البقاء وعدمه، مدار وجود الأفراد وعدمها، والمفروض أنّ الفرد القصير العمر، مقطوع الارتفاع، والطويل مشكوك الحدوث، وهو محكوم بالانتفاء بالأصل، فالكلّي مقطوع الارتفاع بالوجدان والأصل<sup>(١)</sup>.

وفيه : أنّ ترتّب عدم الكلّي على أصالة عدم حدوث طويل العمر، عقليّ لا شرعيّ، ولا يترتّب عليه إلّا الآثار الشرعيّة بلا واسطة، نظير عدم ترتّب عدم وجود

١ - أنظر فرائد الأصول : ٣٧١ سطر ١٢، كفاية الأصول : ٤٦١، فوائد الأصول ٤ : ٤١٣.

النهار على أصالة عدم طلوع الشمس.

الثالث من وجوه الإشكال : أنه لاشك في البقاء هنا؛ لأن ما نحن فيه - نظير الشبهة في تحقق المغرب لأجل الشك في تحقق الليل بسقوط الشمس أو زوال الحمرة - شبهة مفهومية، فإن استصحاب النهار فيما بين سقوط الشمس وزوال الحمرة ممّا لا مجال له؛ لأن غروب الشمس وسقوطها في الخارج معلوم، وكذلك عدم زوال الحمرة، ومنشأ الشك إنما هو في مفهوم الليل، وأن مفهومه إمّا غروب الشمس، وعليه فالنهار مقطوع الارتفاع، أو زوال الحمرة، فالنهار مقطوع البقاء، فالشك في انطباق عنوان الليل أو النهار، شبهة مفهومية، ومن الواضح عدم جريان الاستصحاب فيه، بل المرجع في ذلك هو اللغة، ففيما نحن فيه إن كان الموجود هو البقّ فهو مقطوع الارتفاع، وإن كان هو الفيل فهو مقطوع البقاء، فالشك إنما هو في انطباق الحيوان الذي علم بوجوده في السابق على الفرد المقطوع بقاءه أو الفرد المقطوع ارتفاعه، ففي الحقيقة لاشك في البقاء، بل فيه شبهة الشك وتخيّله<sup>(١)</sup>.

وفيه : أنه فرق بين ما نحن فيه ومسألة الغروب، فإن الشبهة في المثال لغوية، وأن النهار موضوع لهذا أو ذاك، والمرجع فيه اللغة، وليس الشك فيها في بقاء ما كان، بخلاف ما نحن فيه، فإن الشك إنما هو في بقاء الحيوان الذي كان موجوداً قطعاً في ضمن الفيل أو البقّ، فعدم صحّة الاستصحاب في المثال لما ذكر، لا يستلزم عدمها فيما نحن فيه، مضافاً إلى أن في عدم جريان استصحاب النهار في المثال تأملاً.

الرابع من وجوه الإشكال : ما ذكره الشيخ الأعظم رحمته، وهو أن الشك في بقاء الكلي مسبّب عن الشك في حدوث طويل العمر، فتجري فيه أصالة عدم حدوثه ويترتب عليها ارتفاع القدر المشترك ؛ لأنه من آثاره.

١ - أنظر نهاية الأفكار (القسم الأول) ٤ : ١٥٤ ، حقائق الأصول ٢ : ٤٥٨ .

وأجاب رحمه الله عنه : بأن ارتفاع القدر المشترك من لوازم كون الحادث ذلك المقطوع الارتفاع، لامن لوازم عدم حدوث المقطوع البقاء<sup>(١)</sup>. انتهى.

وهذا الجواب صحيح، فإن بقاء الكلّي من لوازم كون الحادث هو الفيل في المثال، لا من لوازم عدم البق، ومنشأ هذا الشك هو الشك في أن الموجود هل هو هذا الحيوان الباقي قطعاً، أو ذلك الزائل قطعاً؟ ولا أصل هنا ينفي وجود الطويل ؛ ليحكم - بسبب جريانه - بارتفاع الشك في البقاء؛ لعدم جريان أصل العدم الأزلي.

وعلى فرض جريانه بالإشارة إلى ماهيّة الطويل - كما ذكره شيخنا الحائري رحمه الله - فيقال: هذه لم تكن موجودة في الأزل قطعاً، فالآن كما كانت، وعدم معارضة ذلك بالأصل في القصير؛ لعدم ترتّب أثر شرعي عليه، فهو لا يثبت عدم بقاء الكلّي وزواله<sup>(٢)</sup>.

الجواب عن الشبهة العبائيّة : تقدّم أن الاستصحابات الموضوعيّة منقّحة لموضوع الأدلّة الاجتهاديّة، فإذا ثبت حكم في الشريعة لعنوان من العناوين فباستصحاب ذلك العنوان يترتّب عليه هذا الحكم الشرعي، لكن لا تثبت بذلك اللوازم الغير الشرعيّة - من العقليّة والعاديّة - لذلك العنوان، وكذلك اللوازم الشرعيّة بواسطة أمر عقليّ أو عاديّ إلّا مع خفاء الوسطة؛ بحيث يعدّ في المتفاهم العرفي أثراً له بلا واسطة كما سيأتي إن شاء الله، وكذا لا تثبت به ملزوماته، فلا يثبت الكلّي باستصحاب مصادقه وبالعكس.

وبذلك ينحلّ الإشكال في الشبهة العبائيّة المشهورة - المنقولة عن الحاج السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله - وهو ما لو علم بنجاسة أحد طرفي العباء إجمالاً - الأسفل منه أو الأعلى - وغسل أحد الطرفين، وليكن الأسفل، فشك في بقاء النجاسة؛ للشك في أن

١ - فرائد الأصول : ٣٧١ سطر ١٤ .

٢ - درر الفوائد : ٥٤٢ .

النجس هو الطرف المغسول فتزول، أو الطرف الآخر - أي الأعلى - فتكون باقية، فيجري استصحاب النجاسة، ويلزم من ذلك أنه لو لاقى شيء الطرف الآخر؛ أي الأعلى، لم يُحكم بنجاسته، وإن لاقى معه الطرف الأسفل الطاهر قطعاً حكم بنجاسته، مع أن ضم الطاهر قطعاً إلى المشكوك، لا يؤثر في نجاسة الملاقي لهما، مع كون مقتضى الاستصحاب نجاسته<sup>(١)</sup>.

والحل: أن الحكم بنجاسة الملاقي لجميع الأطراف عقلياً، لا يترتب على استصحاب النجاسة في العباء، فإنه ليس في الأدلة ما يدل على أن كل ما لاقى جميع أطراف المعلوم نجاسة أحدها بالإجمال نحس حتى يترتب عليه، ولأجل عدم ترتب الآثار العقلية ذكروا: أنه لو أقر أحد بأن ثوباً عارية عنده لزيد، ومات المقر وليس عنده إلا ثوب واحد، فاستصحاب بقائه عنده لا يثبت أن هذا الثوب لزيد؛ لأن استصحاب الكلّي لا يثبت الفرد، والحكم بنجاسة الملاقي لجميع أطراف العباء أيضاً، كذلك من الآثار العقلية لاستصحاب النجاسة، فلا يترتب عليه<sup>(٢)</sup>.

لا يقال: إن الملاقة أمر وجداني، فيترتب الحكم بنجاسة الملاقي على

١ - أنظر فوائد الأصول ٤: ٤٢٢.

٢ - ولا يخفى أن عدم ترتب الملزومات مطلقاً واللوازم العقلية والعادية، إنما هو فيما لو كان المستصحب من الموضوعات الخارجية، التي لاتنالها يد الوضع والرفع، وأما لو كان نفس المستصحب من المجعولات الشرعية، فإنه يترتب عليها جميع الآثار حتى العقلية والعادية، والنجاسة من هذا القبيل؛ لأنها من الأحكام الوضعية المجعولة شرعاً. فما أفاده دام ظلّه محلّ تأمل، بل منع.

ويمكن الجواب عن الشبهة: بأن العلم الإجمالي إنما يكون منجزاً إذا كان جميع الأطراف باقياً على ما هي عليه من الاشتباه واحتمال النجاسة، ومع العلم بطهارة أحد الأطراف معيّناً في المثال لا يؤثر العلم الإجمالي في التنجيز، فاستصحابه أيضاً لا أثر له في ثبوت النجاسة. [المقرّر حفظه الله].

استصحاب النجاسة في العباء، وإلا لم يستقم أمر الاستصحاب في شيء من الموارد.  
لأنّه يقال: ماهو الأمر الوجداني هو الملاقاة للعباء، لا الملاقاة للنجس المقصود  
إثباتها تعبدًا.

لا يقال: لو علم بنجاسة هذا أو ذاك، وشكّ في بقائها من جهة الشكّ في التطهير،  
فباستصحاب النجاسة يترتب عليه الحكم بنجاسة ملاقيها.  
فإنّه يقال: لانسلم ذلك، فإنّه مع وجود العلم الإجمالي بنجاسة أحد شيئين،  
لاترديد في أصل النجاسة واقعاً، وإنّما الترديد في أنّ النجس ذا أو ذاك لجهل المكلف  
به؛ ولذا يحكم بنجاسة ملاقيها، وأمّا لو زال العلم الإجمالي بالشكّ في التطهير،  
فاستصحاب النجاسة المعلومة إجمالاً قبل زمان الشكّ، لا يثبت نجاسة ملاقي كلا  
الطرفين؛ لعدم العلم الوجداني بها حينئذٍ، بل يراد إثباتها تعبدًا بالاستصحاب، نعم  
يترتب عليه عدم جواز الصلاة فيها.

وأجاب الميرزا النائيني رحمته عن الشبهة العبايية بمنع جريان استصحاب  
النجاسة في العباء.

وحاصل ما أفاده في وجهه: أنّ محلّ الكلام في استصحاب الكلّي: إنّما هو فيما إذا  
كان نفس اليقين السابق بهويّته وحقيقته مردّداً بين ماهو مقطوع البقاء وماهو مقطوع  
الارتفاع، وأمّا لو كان الإجمال والترديد في محلّ المتيقّن وموضوعه؛ لا في نفسه  
وحقيقته، فهذا لا يكون من استصحاب الكلّي، بل هو كاستصحاب الفرد المرّد، الذي  
قد تقدّم المنع عن جريان الاستصحاب فيه عند ارتفاع أحد طرفي الترديد.

فلو علم بوجود الحيوان الخارجي في الدار، وتردّد بين وجوده في الجانب  
الشرقي منها أو الغربي، ثمّ انهدم الجانب الغربي منها، واحتمل تلف الحيوان بانهدامه  
لكونه فيه.

أو علم بوجود درهم خاصّ فيما بين هذه الدراهم العشرة ثمّ ضاع أحدها،

واحتمل أن يكون هو درهم زيد.

أو علم بإصابة العباء نجاسةً خاصة، وتردّد محلّها بين الطرف الأسفل منه أو الأعلى، ثمّ طهر طرفها الأسفل.

ففي جميع هذه الأمثلة لايجري استصحاب بقاء المتيقّن، ولا يكون من استصحاب الكلّي؛ لأنّ المتيقّن السابق أمر جزئيّ لا ترديد فيه، وإنّما الترديد في محله وموضوعه، فهو أشبه باستصحاب الفرد المرّدّد عند ارتفاع أحد فردي الترديد، ومنه يظهر الجواب عن الشبهة العبائيّة<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول : يمكن تصوير استصحاب النجاسة في العباء بوجوه:

أحدها: أنّ النجاسة التي أصابت العباء قد تلاحظ بهويّتها الشخصيّة الخارجيّة.

ثانيها: قد تلاحظ بما أنّها مصداق للكلّي، فإنّ الطبيعي يوجد بوجود فرد.

ثالثها: قد يلاحظ وجودها المعلوم إجمالاً إمّا في هذا الموضع أو ذاك.

فإن أريد استصحاب شخص النجاسة بهويّتها الخارجيّة، فلا إشكال في

جريانه في الشبهة العبائيّة مع فرض ترتّب أثر شرعيّ عليها.

وإن أريد استصحاب المعلوم بالإجمال سابقاً على سبيل الترديد فهو ممنوع،

فإنّه وإن كان معلوماً بالإجمال سابقاً، لكن بعد تطهير أحد الطرفين المعيّن، زالت صفة

الترديد؛ لعدم احتمال نجاسة ذاك الطرف المعيّن المغسول، وأمّا الطرف الآخر فهو محتمل

النجاسة في الابتداء، فلا يتحقّق أركان الاستصحاب فيه.

مضافاً إلى عدم ترتّب أثر شرعيّ عليه، لكن لا ينحصر استصحاب النجاسة

في العباء بذلك؛ لما عرفت من جريان استصحاب شخص النجاسة، وكذلك

استصحاب كلّها وطبيعتها، والأثر أيضاً مترتب عليها، لا على الطبيعة المرّدّد

وجودها في هذا الطرف أو ذاك، فليس الاستصحاب في الشبهة العبائية من قبيل القسم الثاني من أقسام استصحاب الكلّي، بل من قبيل القسم الأول الذي تقدّم جريان استصحاب الفرد والكلّي فيه معاً، ولذا لا يجوز الصلاة في العباءة المذكورة؛ لأنّ هذا الأثر مترتب على وجود النجاسة بنحو الإطلاق، لا على النجاسة الخاصة.

ونظير ذلك ما لو علم بوجود زيد : إمّا في الطرف الشرقي من البيت، أو في طرفه الغربي، وعلم بخراب الطرف الشرقي منه على وجه لو كان زيد فيه هلك، فشكّ في بقائه، فمع ترتّب الأثر على وجود زيد بشخصه في البيت، أو على وجود طبيعة الإنسان كذلك، فاستصحاب بقاء الشخص أو الكلّي بمكان من الإمكان؛ لوجود أركانه وترتب الأثر الشرعي عليه على الفرض.

بخلاف ما لو ترتّب الأثر على وجود زيد في الطرف الشرقي فقط، أو الغربي فقط، لا على وجود زيد مطلقاً، أو على وجود طبيعة الإنسان فيه، فلا يجري فيه الاستصحاب؛ للعلم بعدم بقائه حينئذٍ في الطرف الشرقي لهلاكه بخرابه، وكونه في الطرف الغربي محتمل الحدوث، والشبهة العبائية من هذا القبيل، وحيث إنّ الأثر الشرعي فيها - أي عدم جواز الصلاة في العباءة - مترتب على الوجود العام للنجاسة في العباءة، لا على وجودها في الطرف الأعلى فقط، ولا على وجودها في الطرف الأسفل فقط، فاستصحاب شخص النجاسة - مثلاً وجودها العام وطبيعتها - ممّا لا إشكال فيه؛ لوجود أركانه وشرائطه، لكنّه من القسم الأول من أقسام استصحاب الكلّي.

فالحقّ في دفع الشبهة العبائية : هو أنّ الاستصحاب فيها مثبت بالنسبة إلى ترتّب نجاسة الملاقي لطرفها مع وجود أركانه، لا أنّه غير جارٍ لعدم تحقّق أركانه،

كما أفاده قوله (١).

### القسم الثالث: من استصحاب الكلّي

وهو ما لو شكّ في بقاءه لأجل احتمال قيام فرد آخر مقام الفرد الذي كان الكلّي سابقاً موجوداً في ضمنه مع القطع بارتفاعه، وهو على نحوين:

أحدهما: أن يعلم بوجود مصداق من الكلّي في السابق - مثل زيد - وعلم بارتفاع هذا المصداق، لكن احتمال وجود مصداق آخر منه - كعمرو - مقارناً لوجود المصداق الأوّل، فإنّه على فرض وجوده فالكلّي - أي طبيعة الإنسان - باقٍ في ضمنه، لكنّه محتمل، فالكلّي محتمل البقاء.

ثانيهما: أن يشكّ في بقاء الكلّي من جهة احتمال وجود فرد آخر منه مقارناً لارتفاع الأوّل، وهو أيضاً على وجهين:

الأوّل: أن يكون الفردان متباينين، كما لو احتمال دخول عمرو في الدار مقارناً لخروج زيد منها، فيشكّ في بقاء الكلّي.

الثاني: أن يكونا مرتبتين لطبيعة واحدة، وعلم بوجود مرتبة منها سابقاً وعلم بارتفاعها، لكن احتمال بقاء الطبيعة لاحتمال حدوث مرتبة أخرى منها حين ارتفاع الأولى، مثل السواد الشديد والضعيف، فإنّ هذا القسم من الاستصحاب كما يتصوّر في الجواهر يتصوّر في الأعراض أيضاً.

١ - وهذا إنّما يتم لو قلنا: إنّ النجاسة غير مجعولة شرعاً، وأمّا لو قلنا: بأنّها من الأحكام الوضعيّة المجعولة شرعاً فلا. [المقرّر حفظه الله].



نقل كلمات بعض الأعظم عليه السلام وما فيها

ذهب الشيخ الأعظم إلى جريان الاستصحاب في هذا القسم الأخير، فلو شك في بقاء طبيعة السواد الموجودة في ضمن السواد الشديد سابقاً، وعلم بارتفاعه وزوال تلك المرتبة منه، واحتمل بقاء تلك الطبيعة؛ باحتمال حدوث مرتبة أخرى منه، أمكن استصحاب تلك الطبيعة؛ لوجود أركانه من العلم السابق والشك اللاحق<sup>(١)</sup>.

لكن مرجع ذلك إلى القسم الأول من أقسام استصحاب الكلّي؛ لأنّ العقل والعرف متطابقان ومتفقان على أنّ الطبيعة التي لها عرض عريض إذا وجدت في الخارج فالموجود منها مصداق واحد ذو مراتب وإن تبدّل بعض مراتبه إلى أخرى، لا أنّ كلّ مرتبة منها مصداق غير الآخر من باب تجدد الأمثال، كما أنّ الحركة ليست عبارة عن ضمّ أجزاء لا تتجزّى، بل هي وجود واحد شخصي متدرّج الوجود، والشك في بقائها إنّما هو من قبيل الشك في بقاء الكلّي القسم الأول، فالفاكهة الحمراء إذا اشتدّت حمرتها فالعقل والعرف حاكمان بأنّ ذلك من تبادل الحالات، كما أنّ جميع الاشتدادات كذلك.

نعم لو تبدّل لونها الأحمر إلى الأصفر ونحوهما، فهما مصداقان من اللون لامصداق واحد.

وبالجملة : ما يعدّ من تبادل الحالات فهو من قبيل القسم الأول، وما ليس كذلك، بل يعدّ من انعدام العرض الأول، مع احتمال وجود فرد آخر من العرض، فهو من قبيل القسم الثالث.

وكيف كان، ففي جريان استصحاب الكلّي من القسم الثالث مطلقاً، أو عدمه

مطلقاً، أو التفصيل بين الفرض الأول منه وبين النحو الثاني؛ فيجري في الأول دون الثاني، أو التفصيل بين ما لو كان الشك في بقاءه من جهة احتمال بقاء الكلي في ضمن مرتبة أخرى منه، وبين غيره؛ فيجري في الأول دون غيره، وجوه .

وأورد عليه الميرزا النائيني رحمته : بأن المنشأ لتوهم جريان الاستصحاب هنا : هو أن العلم بوجود فردٍ خاصٍّ منه في الخارج يلزم العلم بحدوث الكلي في الخارج، فبارتفاع الفرد الخاص، واحتمال قيام الكلي في فرد آخر، محتمل الحدوث حين وجود الفرد الأول المعلوم حدوثه وارتفاعه؛ يشك في بقاء الكلي في الزمان اللاحق، فلم يحتل ركننا الاستصحاب من اليقين السابق والشك اللاحق بالنسبة إلى الكلي، فيجري الاستصحاب كالقسم الثاني من أقسام استصحابه.

ولكن الإنصاف : أن ذلك واضح الفساد؛ بداهة أن العلم بوجود الفرد الخاص في الخارج، إنما يلزم العلم بوجود حصّة من الكلي في ضمن الفرد الخاص، لا الكلي بما هو هو، بل للفرد الخاص دخل في وجود الحصّة حدوثاً وبقاءً، والحصّة الموجودة في ضمن فرد خاص، تغاير الحصّة الموجودة في ضمن فرد آخر، والحصّة التي تعلق بها اليقين سابقاً إنما هي الحصّة التي كانت في ضمن الفرد الذي علم بارتفاعه، ويلزمه العلم بارتفاع الحصّة التي تخصّه أيضاً، ولا علم بوجود حصّة أخرى في ضمن فرد آخر، فالمشكوك بقاءه غير المتيقّن سابقاً.

ومنه يظهر الفرق بين هذا القسم وبين القسم الثاني؛ حيث إنه في القسم الثاني يشك في بقاء نفس الحصّة من الكلي التي علم بحدوثها في ضمن الفرد المرّد، بخلاف ما نحن فيه، كما عرفت، فما بينها أبعد ممّا بين المشرق والمغرب<sup>(١)</sup>. انتهى ملخصاً.

أقول : نفس الطبيعة كذلك في هذا القسم أيضاً، فإن المقصود استصحاب نفس

الكلّي الموجود سابقاً، لا الحصّة المعيّنة منه؛ لأنّ وجود الطبيعة والكلّي في فرد خاص قد علم به سابقاً وقد شكّ في بقاءه، فالطبيعي كان معلوم الوجود سابقاً في ضمن زيد فيما نحن فيه، وشكّ في بقاءه لأجل احتمال وجود فرد آخر وبقاء الكلّي في ضمنه، مع العلم بارتفاع الفرد الأوّل، فإنّ الطبيعي الموجود في ضمن زيد هو بعينه الموجود في ضمن عمرو، وضمّ بعض الأفراد إلى بعض آخر، لا يفيد ولا يوجب كثرة الطبيعي بحسب النوع، وإلاّ يلزم عدم جريانه في القسم الثاني منه أيضاً، ومنشأ الاشتباه هنا هو الخلط بين ما هو الواقع وما هو المعلوم، فإنّ المستصحب المشكوك بقاءه هو المعلوم الوجود سابقاً، لا الواقعي.

وأورد في «الكفاية» على الاستصحاب في هذا القسم: بأنّ وجود الطبيعي وإن كان بوجود فرد، إلاّ أنّ وجوده في ضمن المتعدّد من أفراد ليس من نحو وجود واحد له، بل متعدّد حسب تعدّدها، فلو قطع بارتفاع وجوده منها لقطع بارتفاع وجوده، وإن شكّ في وجود فرد آخر مقارناً لوجود ذاك الفرد<sup>(١)</sup>. انتهى.

وفيه: أنّه على ما ذكره يلزم عدم جريانه في القسم الثاني أيضاً، مع أنّه لا يلتزم به، ولكنّه غير صحيح.

واختار الشيخ الأعظم: التفصيل بين ما لو كان الشكّ في بقاء الكلّي مستنداً إلى احتمال وجود فرد آخر مع الفرد المعلوم حدوثه وارتفاعه، وبين ما يحتمل حدوثه بعده؛ أي بين القسم الأوّل والثاني من القسم الثالث؛ بجريان الاستصحاب في الأوّل؛ نظراً إلى تيقّن وجود الكلّي سابقاً وعدم العلم بارتفاعه، وإن علم بارتفاع بعض وجوداته وعدم جريانه في الثاني؛ لأنّ بقاء الكلّي في الخارج عبارة عن استمرار وجوده الخارجي المتيقّن سابقاً، وهو معلوم عدم، وهو الفارق بين ما نحن فيه والقسم

الثاني؛ حيث إنّ الباقي في الآن اللاحق بالاستصحاب هو عين الوجود المتيقّن سابقاً<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول : هنا قضيتان مسلّتان :

إحداهما : أنّ العقل والعرف متطابقان ومتفقان على أنّ الطبيعة متكثّرة الأفراد. ثانيتهما : أنّ العرف لا يوافق العقل في بعض الموارد، فإنّ نوع الإنسان غير باقٍ عند العقل بتبدّل الأفراد وانعدام فرد منه ووجود فرد آخر، فإنّ هذا المفهوم الذهني الصادق على الأفراد الكثيرة وإن كان واحداً، ولكن أفراده الخارجيّة التدريجيّة الوجود - بالانوجاد والتحقق والانعدام - لا بقاء لها، بل كلّ فرد منها يوجد وينعدم، وحينئذٍ فليس المراد استصحاب مفهوم الإنسان الموجود في الذهن، وأمّا في الخارج فليس فيه إلّا الأفراد التي لا بقاء لها وإن قلنا بعدم تناهيها، وليس فيه معنى واحد جامع بين الأفراد بنعت الاشتراك، كما تقدّم بيانه.

هذا بحسب نظر العقل الدقّي.

وأما في المتفاهم العرفي فليس الأمر كذلك ، فإنّ نوع الإنسان في محيط العرف باقٍ مع تبدّل الأفراد ووجود بعضها بعد انعدام البعض الآخر، فالعقل والعرف مختلفان في ذلك مع اتّفاقهما في القضية الأولى.

والسرّ في ذلك : أنّ العرف قد يلاحظ الأفراد في بعض الموارد بخصوصيّاتها الفرديّة، كما في ملاحظة أنّ زيداً في الدار، فإنّ طبيعيّ الإنسان وإن كان موجوداً فيها بوجود زيد، لكنّه مغفول عنه.

وقد يلاحظ نفس الكلّي بدون الالتفات إلى الأفراد بخصوصيّاتها المفردة ، كما إذا كانت الخصوصيّات الفرديّة مهمة في الخارج غير معلومة، كما إذا علم بوجود

الإنسان في الدار، ولم يعلم أنه زيد أو عمرو، فإنّ المعلوم المتوجّه إليه هو الكلّي، وكما إذا رأى الفوج، فإنّ الملتفت إليه ابتداءً هو النوع، لا الأفراد إلّا بلحاظ ثانويّ، فلو تردّد الفوج بين الأقلّ والأكثر، وعلم بأنّه لو كان الأقلّ لما بقي إلى الآن، ولو كان الأكثر فهو باقي، يحكم بالبقاء للاستصحاب.

فكلّما يقصر النظر فيه من هذا القسم على نفس الطبيعة والكلّي في المتفاهم العرفي جرى فيه الاستصحاب، وكلّما كان الملحوظ والملتفت إليه هو الأفراد فإنّه لا يصدق فيه البقاء والإبقاء، وقضيّة ذلك عدم انضباط القسم الثالث من أقسام استصحاب الكلّي.

فالقسم الأوّل - الذي ذهب الشيخ الأعظم رحمته إلى جريان الاستصحاب فيه <sup>(١)</sup> - فهو ليس كذلك دائماً؛ لأنّه لو كان الملتفت إليه والملاحظ هي الخصوصيّات الشخصية عند العرف، لا الجامع الكلّي، فالمعلوم وجوده هو مصداق وفرد قد علم بارتفاعه، والمصداق الآخر مشكوك الحدوث، فليس الشكّ فيه في بقاء ما علم وجوده.

ولو كان الملحوظ هو نفس الطبيعة بدون الالتفات إلى الخصوصيّات جرى فيه الاستصحاب.

وكذلك القسم الثاني منه - الذي ذهب إلى عدم جريانه فيه <sup>(٢)</sup> - ليس كما ذكره رحمته بنحو الإطلاق، فإنّ التكلّم مع أنّه من هذا القبيل - يوجد وينعدم، فيوجد الجزء الثاني منه... وهكذا - يجري فيه الاستصحاب؛ حيث إنّ الملتفت إليه في المتفاهم العرفي هي سلسلة الألفاظ، وهي باقية عندهم، فمع الشكّ في بقائه يستصحب.

وكذلك المطر النازل من السماء مع دوام زوال القطرات النازلة، فإنّه لا يلاحظ

١ - فرائد الأصول: ٣٧٢ سطر ١٤.

٢ - نفس المصدر.

القطرات الخاصة فيه.

وكذلك الصُّبْرَة من البُرِّ - مثلاً - ونحوه؛ حيث إنّ الملحوظ فيها ليس هي الحَبَّات الخاصة.

ففي جميع هذه الأمثلة يجري الاستصحاب لتحقيق أركانه من اليقين السابق، والشكّ اللاحق في بقاء ما كان على يقين منه، مع أنّها من القسم الثاني من القسم الثالث.

ثمّ إنّ في المقام إشكالاً: وهو أنّه - بناء على جريان الاستصحاب في القسم الثالث - لو احتمل المكلف حدوث الاحتلام حال النوم، وتوضّأ بعد الانتباه، لزم عدم جواز الصلاة بهذا الوضوء، وكذلك مسّ كتابة القرآن؛ ما لم يغتسل؛ لاستصحاب كلّ الحدث، فإنّ الحدث المسبّب عن النوم وإن كان مقطوع الارتفاع بالوضوء، لكن حيث إنّّه يحتمل حدوث الجنابة حال النوم فهو يحتمل بقاء كلّ الحدث، ويترتّب عليه ما ذكرنا، مع أنّ الفتوى على خلاف ذلك<sup>(١)</sup>.

والتحقيق في حلّه: هو أنّ كلّ واحد من النوم والجنابة حدث، لكن لم يقم دليل في الشريعة على أنّ الجامع بين الأصغر والأكبر أيضاً حدث، فإنّه وإن كان هناك أثر مشترك بين الجنابة والنوم - مضافاً إلى الآثار المختصّة بكلّ واحد منها - لكنّه لا يدلّ على أنّ الجامع بينهما أيضاً حدث، وقولهم: «الواحد لا يصدر إلّا من الواحد»<sup>(٢)</sup> غير مرتبط بما نحن فيه، كما أشرنا إليه غير مرّة.

ويدلّ على ما ذكرناه ما ورد: من أنّه (لا ينقض الوضوء إلّا أربع)<sup>(٣)</sup>، فلو أنّ الجامع بين الأربع أيضاً حدث فالناقض له واحد - وهو الجامع، وهو ذو أفراد -

١ - فوائد الأصول ٤ : ٤٢٦ .

٢ - الأسفار ٧ : ٢٠٤ - ٢١٢ ، شرح المنظومة (قسم الفلسفة) : ١٣٢ سطر ١٤ .

٣ - وسائل الشيعة ١ : ١٧٧ ، كتاب الطهارة، أبواب نواقض الوضوء، الباب ٢ .

لامتعدد، وتقدّم: أنّ الجامع بين وجوب الظهر وجوب الجمعة ليس من الأحكام، بل المجعول هو كلّ واحد منهما.

وبالجملة: الجامع بين الحديثين ليس من المجعولات الشرعية، ولا من الموضوعات التي يترتب عليها الآثار الشرعية، فلا يصحّ استصحابه.

وقال الميرزا النائيني رحمته: إنّ في هذا المثال خصوصيّة توجب عدم إيجاب الغسل، لا لأنّ المثال ليس من القسم الثالث، بل لأجل أنّ قوله تعالى: ﴿إِذَا قُضِيَتْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾<sup>(١)</sup> من حيث إنّ التفصيل قاطع للشركة، يدلّ على وجوب الوضوء على من نام ولم يكن جنباً، فقد أخذ في موضوع وجوب الوضوء قيد وجوديّ، وهو النوم، وقيد عدميّ، وهو عدم الجنابة، فإنّ هذا القيد وإن لم يذكر في الآية الشريفة صريحاً إلاّ أنّه يُستفاد منها ذلك؛ حيث إنّ جعل الوضوء فيها مقابلاً للغسل، فإنّ التفصيل بينها قاطع للشركة؛ بمعنى أنّه لا يشارك الوضوء الغسل، ولا الغسل الوضوء، كما يستفاد نظير ذلك من آية الوضوء والتميم، فإنّ قوله تعالى: ﴿قَلَمَ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً﴾ يدلّ على أنّ وجدان الماء قيد في موضوع وجوب الوضوء، وإن لم يذكر في آية الوضوء صريحاً، إلاّ أنّ من مقابلة الوضوء بالتميم يستفاد ذلك؛ لأنّ التفصيل قاطع للشركة، ومن هنا نقول: إنّ شرطيّة القدرة على الماء في باب الوضوء شرعيّة، وحينئذٍ فإذا وجب على النائم المذكور الوضوء لا يجب عليه الغسل؛ لما عرفت من أنّه لا يجتمع على المكلف وجوب الوضوء والغسل معاً؛ لأنّ سبب الوضوء لا يمكن أن يجتمع مع سبب الغسل، فإنّ من أجزاء سبب الوضوء عدم الجنابة، فلا يعقل أن يجتمع مع الجنابة التي هي سبب وجوب الغسل، فإنّه يستلزم اجتماع النقيضين<sup>(٢)</sup>. انتهى ملخصاً.

١ - المائدة (٥) : ٦ .

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٤٢٦ - ٤٢٧ .

وفيه أولاً: أنه إن أراد من قوله: «التفصيل قاطع للشركة» أن في مثل «إن جاءك زيد فأكرمه، وإن جاءك عمرو فأهنه» يختص وجوب الإكرام بما إذا جاء زيد منفرداً، ووجوب الإهانة بما إذا جاء عمرو منفرداً، وأنه لا يجب الإكرام ولا الإهانة عند مجيئها معاً.

وبالجملة: معناه أن أحدهما لا يجتمع مع الآخر، وأن المراد من الآية الشريفة: أن النوم مع عدم الجنابة سبب للوضوء وأن لعدم الجنابة أيضاً سببية لوجوب الوضوء.

فهذا مما لا يلتزم به أحد.

وإن أراد أن معناه: أن النوم موجب للوضوء، والجنابة موجبة للغسل، ومع اجتماعها يترتب على واحد منها مسببه ويغني عن الثاني، فهو خلاف ما ذكره؛ لأنه لا يستفاد من الآية كفاية الغسل عن الوضوء، وأن النوم مع عدم الجنابة موجب للوضوء، وأن لعدم الجنابة دخلاً في وجوب الوضوء.

وبالجملة: ما ذكره: من استفادة القيدية الشرعية لوجدان الماء لوجوب الوضوء، ممنوع؛ لعدم ذكر هذا القيد فيها، وعلى فرض ذكره لا يستفاد من مثله القيدية؛ لأنه مما لا يمكن الامتثال إلا به؛ لعدم إمكان الوضوء بدون الماء حتى يقيد به، مضافاً إلى أنه لو كان الماء قيداً شرعياً فهو يستلزم جواز إراقة الماء بعد دخول الوقت، ولا أظن أن يلتزم هو به.

وثانياً: سلمنا جميع ذلك، لكنه لا ينتج ما هو بصدده، فإنه لا يلزم منه مجعولية عدم وجوب الوضوء عند تحقق سبب الغسل، أو عدم وجوب الغسل عند تحقق موجب الوضوء شرعاً، بل العقل هو الحاكم بعدم وجود المسبب عند عدم سببه.

مضافاً إلى أن ما ذكره: من أنه يلزم من اجتماع سبب الوضوء مع الجنابة اجتماع

المتناقضين.



فيه : أنه إن أراد لزومه بحسب الواقع ونفس الأمر فهو مسلم، لكنّه لا يضّرّ صحّته في الظاهر ومقام العمل.

وإن أراد لزومه في الظاهر ومقام العمل والإتيان بالوظيفة فلا مانع منه، ولذا يستصحب الكلّي، وصحّ استصحابه مع عدم جريانه بالنسبة إلى أفرادهِ؛ يعني في القسم الثاني والثالث من أقسام استصحاب الكلّي.

فتلخّص من جميع ما ذكرنا : أنّ المناط في جريان استصحاب الكلّي في القسم الأوّل والثاني ومن قسمي الكلّي القسم الثالث، تابعٌ لصدق الشكّ في البقاء وعدمه عرفاً.

وأما القسم الثالث منه - كالسواد الضعيف - فهو إمّا من القسم الأوّل من أقسام استصحاب الكلّي، لو كان الملحوظ بمجموع المراتب، ولحاظ أنّها وجود واحد متدرّج، كما استظهرناه في مثل التكلم والمطر، فيجري فيه استصحاب الكلّي والفرد جميعاً، وإمّا ممّا لا يجري فيه الاستصحاب من القسم الثالث وقد عرفت بما لا مزيد عليه .

### تذييل: حول أصالة عدم التذكية

نقل الشيخ الأعظم كلاماً عن الفاضل التوني - في مقام الردّ على تمسك المشهور على نجاسة الجلد المطروح باستصحاب عدم التذكية - : بأنّ عدم المذبوحية لازم لأمرين : أحدهما الحيوان حال حياته، الثاني هو حال موته حتف الأنف، فهو لازم أعمّ لموجب النجاسة، فعدم المذبوحية اللازمة للحيوان الحيّ، مغاير لعدم المذبوحية العارض للموت حتف أنفه، والمعلوم ثبوته في الزمان السابق هو الأوّل لا الثاني، واستصحاب الأعمّ لا يثبت الأخصّ؛ يعني استصحاب عدم المذبوحية المطلقة لا يثبت عدم المذبوحية العارض للحيوان حال الموت حتف الأنف، كما أنّ استصحاب

الضاحك المتحقق بوجود زيد في الدار في السابق، لا يثبت وجود عمرو فيها.  
وفساده واضح<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر: أن ما ذكره من عدم جريان الاستصحاب المذكور صحيح، لكن نظر المشهور في تمسكهم على النجاسة ليس إلى ذلك، بل إلى أن النجاسة مترتبة في الشرع على مجرد عدم التذكية، كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ﴾<sup>(٢)</sup> الظاهر في أن المحرم إنما هو لحم الحيوان الذي لم يُذَكَّ واقعاً أو بطريق شرعي، ونحو ذلك من الآيات.

فما هو السبب للحل هو التذكية، فأصالة عدمها مع الشك حاکمة على أصالتي الطهارة والحل<sup>(٣)</sup>. انتهى محصله.

وذهب الميرزا النائيني - بعد نقل كلام الفاضل التوني والإشكال عليه - إلى جريان الاستصحاب هنا، وأن موضوع الحرمة والنجاسة هو الميتة، لا الموت حتف الأنف<sup>(٤)</sup>.

أقول: المهم في المقام هو بيان مقتضى القواعد الأصولية، لا تحقيق ما هو الحق في المسألة الفرعية، وأن موضوعهما في الشرع هل هذا أو ذاك؟ فإنه موكول إلى محله في الفقه.

### بيان أنحاء الشبهة في المقام

وتحقيق الحق في المقام يحتاج إلى بسط الكلام في ذلك، فنقول:

١ - الوافية، الفاضل التوني: ٢١٠.

٢ - المائدة (٥): ٣.

٣ - فرائد الأصول: ٣٧٢ سطر ٢٣.

٤ - فوائد الأصول ٤: ٤٣٠ - ٤٣١.

إنّ الشكّ فيه يتصوّر على وجوه :

الأوّل : أنّ تُفرض الشبهة حكميّة ، وأنّ هذا الحيوان قابل للتذكية في الشرع أو لا ؟

الثاني : أنّ تُفرض موضوعيّة؛ لاشتباه الأمور الخارجيّة.

والشكّ في الأوّل أيضاً : إمّا في أصل قبول الحيوان للتذكية، كما لو شكّ في أنّ الأرنب قابل لها أو لا؟

وليعلم أنّ حرمة اللحم غير عدم القبول للتذكية، فإنّ السباع محرّمة اللحم مع قبولها للتذكية.

وهو أيضاً : إمّا لأجل الشبهة المفهوميّة، كما لو علم أنّ الكلب غير قابل لها، والأسد قابل، لكن لم يعلم أنّ المتولّد منها يصدق عليه عنوان «الكلب» أو لا؛ لعدم العلم بمفهوم «الكلب» و «الأسد» ، وأنّ معنى «الكلب» هو ما يشمل ذلك ، أو لا. وإمّا لأجل الشكّ في انطباق عنوان «الكلب أو الأسد» على المتولّد منها وعدمه، أو انه عنوان ثالث، مع معلوميّة مفهوم «الكلب» و «الأسد».

وإمّا لأجل الشكّ في شرطيّة شيء في التذكية شرعاً، كبلوغ الذابح ونحوه، مع عدم الشكّ في قابليّة الحيوان للتذكية، وكذلك لو شكّ في مانعيّة شيء لازم كالمسوخيّة، أو مفارق كالجَلَل.

والشكّ في الشبهة الموضوعيّة أيضاً : إمّا لأجل الشكّ في أنّ هذا الحيوان كلب أو ذئب؛ لأجل مانع عن رؤيته كظلمة أو عمى ونحوهما، وإمّا لأجل عدم تشخيصه للكلب، وإمّا للشكّ في أنّ هذا اللحم المطروح من هذا المذكّي، أو من ذاك الغير المذكّي، أو من مشكوك التذكية، أو من معلومها كالجلود المجلوبة من بلاد الكفر التي تُجبي إليها الجلود المذكّاة وغيرها، فيشكّ في أنّها من المذكّي أو من غيرها. وإمّا للشكّ في وجود المانع عن التذكية، كالجلل مع العلم بمانعيّته.

وإما لعدم العلم بأصل وقوع التذكية وتحققها.  
فعلى فرض عدم استفادة حكم هذه الصور من الأدلة الاجتهادية، فالمرجع فيها هو الأصول والقواعد الشرعية الموضوعية منها والحكمية:  
فن الأصول الموضوعية أصالة عدم قابلية الحيوان للتذكية، فقد يُدعى أنَّ القابلية لها وعدمها من الأمور الشرعية المجعولة<sup>(١)</sup>.

وقد يقال: إنها من الأمور التكوينية الثابتة للحيوان كشف عنها الشارع<sup>(٢)</sup>.  
فعلى الأول: لا مانع من جريان أصالة عدمها؛ للعلم بعدم جعلها لعنوان الأرنب - مثلاً - سابقاً، فع الشك فيه يستصحب عدمه.

وعلى الثاني: أي أنها من الأمور التكوينية الثابتة لذات الحيوان، فذهب بعضهم إلى جريان أصالة عدم القابلية لها؛ أي أصل عدم الأزلي، نظير أصالة عدم القرشية، واختاره شيخنا الحائري رحمته كما تقدّم سابقاً؛ وذكره رحمته في وجهه: أنَّ العوارض على قسمين: عارض الوجود، وعارض الماهية، وعلى التقديرين: فهي إما لازمة، أو مفارقة؛ فالعارض اللازم للماهية كالزوجة للأربعة - أي ماهيتها - والعارض المفارق لها كعروض الوجود للماهية بحسب التحليل، والعارض اللازم للوجود، كالمبدئية للآثار، واللازم المفارق له كثير كالأبيضية والأسودية ونحوهما.

والقابلية للتذكية ليست من عوارض الماهية، بل من العوارض اللازمة للوجود في ابتداء تحققه، فإنَّ وجود الحيوان القابل لها ملازم لها لا ينفك عنها، فع الشك في حيوان خاصَّ أنَّه قابل للتذكية أو لا، يمكن الإشارة إلى ماهيته، فيقال: إنها لم تكن - قبل تلبسها بالوجود - قابلة للتذكية، فالآن كما كانت، على ما تقدّم في أصالة عدم القرشية، فلا يرد حينئذٍ: أنَّه إن أريد استصحاب عدم الرابط فلا حالة سابقة له،

١ - فرائد الأصول : ٣٧٣ سطر ١٢ .

٢ - الحاشية على الكفاية للبروجردى ٢ : ٢٤٢ .

وإن أريد استصحاب العدم المحمولى فهو لا يثبت أن هذا الحيوان كذلك<sup>(١)</sup>. انتهى.  
أقول : تقدّم تحقيق ماهو الحقّ في استصحاب الأعدام الأزليّة في باب العامّ والخاصّ مفصّلاً، ولا بأس بالإشارة إليه هنا أيضاً.

### بحث : حول استصحاب العدم الأزلي

وهو يستدعي رسم أمور :

#### الأمر الأوّل : النسبة في القضايا

إنّ القضايا باعتبارٍ على قسمين: الأوّل الحملات المؤوّلة، الثاني الحملات الغير المؤوّلة، كما اصطّلحنا عليه؛ ونعني بالثانية القضايا التي مفادها الهوويّة، وتحكي عن الاتّحاد في الخارج، مثل «الإنسان إنسان، أو حيوان، أو ناطق»، ونحو ذلك من الحملات الأوّليّة، ومثل «زيد إنسان، أو قائم»، ونحوهما من الحملات الشائعة الصناعيّة، فإنّ جميع هذه تحكي عن الاتّحاد والهوويّة الخارجيّة، لاثبت شيء لشيء، فمعنى «زيد زيد» و «الله تعالى موجود»: أنّه هو، لا أنّ ذاك ثابت لهذا، فإنّه غلط. فما يقال من أنّ ثبوت الشيء لنفسه ضروري<sup>(٢)</sup>، فاسد بل غلط، وهذه القضايا مركّبة من جزءين؛ لا نسبة فيها أصلاً. فقولهم : «إنّ الكلام إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، فهو خبر، وإلاّ فإنشاء»<sup>(٣)</sup> غير صحيح، لا في الخبر، ولا في الإنشاء؛ لعدم النسبة في هذه القضايا؛ كي تطابق الخارج أو لا تطابقه.

١ - لم نعر عليه ولعلّه ذكره في مجلس بحثه.

٢ - أنظر شرح المنظومة (قسم المنطق) : ٥٥ سطر ١١.

٣ - المطول : ٣٧، شروح التلخيص ١ : ١٦٥.

وكذلك القضية المعقولة منها والقضية الملفوظة المحاكية عن الخارج، وإلا يلزم لغوية النسبة في القضية الملفوظة؛ لعدم حكايتها عن الخارج لعدم النسبة فيه. وأظنّ أنّ منشأ التوهم في قولهم : «القضايا مركّبة من ثلاثة أجزاء»<sup>(١)</sup> هو الاغترار من لفظ الحمل المقتضي للحامل والمحمول المتغايرين.

لكنّه توهم فاسد، فإنّ المناط هو الواقع، فإن كانت النسبة متحققة في الواقع والخارج، فالقضية اللفظية المحاكية عنه لابدّ أن تشتمل على النسبة، وإلا فلا، ولا فرق في ذلك بين الهيئات المركّبة والبسيطة.

فما عن بعض الأعظم : من اختصاص الكون الرابط بالهيئات المركّبة<sup>(٢)</sup>.

فيه : أنّ جميعها ليس كذلك، بل بعضها.

ونعني بالقضايا المؤولة المشتملة على الكون الرابط المحاكية عنه - لا الهويّة - مثل «زيد على السطح» و «زيد له القيام، أو في الدار»؛ ضرورة عدم حكاية هذه عن الهويّة والاتّحاد الخارجي، بل عن النسبة الخارجيّة، فقولنا : «زيد على السطح» يحكي عن ثلاثة أشياء: الموضوع، والمحمول، والنسبة بينهما، ولعلّه أشار إلى ذلك في «المطول» في باب الإسناد بقوله: للفرق الظاهر بين قولنا : «القيام حاصل لزيد في الخارج» و «حصول القيام له أمرٌ متحقّق موجود في الخارج»<sup>(٣)</sup>.

ولا فرق فيما ذكرناه بين الموجبة المحصّلة والمعدولة والموجبة المعدولة المحمول.

هذا في الموجبات.

١ - شرح الشمسية : ٦٨ سطر ١٤، الجواهر النضيد : ٣٩، حاشية المولى عبدالله : ٦٢ - ٦٥ سطر ١٢.

٢ - فوائد الأصول ٢ : ٥٣٠ - ٥٣٢.

٣ - المطول : ٣٩.

وأما السوالب : فذهب المتأخرون إلى أنها مشتملة على النسبة السلبية<sup>(١)</sup>. ولكنه خلاف التحقيق، بل التحقيق : أنها لا تشتمل على النسبة أصلاً؛ لأن مفادها سلب الربط والنسبة ، أو سلب الهويّة، فإنّ القضية المفلوطة منها إنما تحكي عمّا هو في الخارج، وليس فيه نسبة سلبية حتى تحكي عنها القضية المفلوطة. نعم لا بدّ في القضايا المؤولة منها من ذكر ما يحكي عن النسبة، مثل لفظة «على» في «زيد ليس على السطح»، لكنّه إنّما هو لأجل إفادة سلبها. والحاصل : أنّ السوالب من القضايا لا تشتمل على النسبة أصلاً.

### الأمر الثاني : مناط الصدق والكذب في القضايا

إنّهم قالوا : إنّ القول إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه فهو خبر، وإلاّ فإنشاء<sup>(٢)</sup>، وقد عرفت عدم اشتغال كثير من القضايا على النسبة. وعلى ما ذكرنا فالمناط في احتمال الصدق والكذب هو الحكاية التصديقية عن الواقع، فإن أفاد الكلام ذلك فهو خبر يحتمل الصدق والكذب؛ سواء كان مفاده الهويّة التصديقية، مثل «زيد قائم»، أو النسبة التصديقية، مثل «زيد على السطح»، لا الحكاية تصوّريّة مثل «غلام زيد» أو «زيد القائم» بنحو النعتيّة، والسوالب من القضايا كلّها محتملة الصدق والكذب، مع عدم اشتغال شيء منها على النسبة، كما عرفت.

وأما المناط في نفس الصدق والكذب : فهو أنّه إن كانت الحكاية التصديقية موافقة للواقع فهو صدق، وإلاّ فكذب، فلا بدّ من ملاحظة الواقع ونفس الأمر المحكيّ

١ - أنظر شرح المنظومة (قسم المنطق) : ٥٤ سطر ٢، الأسفار ١ : ٣٦٧؛ حيث قال بأنّه «شاع بين المتأخرين المتفلسفين من أنّ في السالبة نسبة...».

٢ - شروح التلخيص ١ : ١٦٥، المطول : ٣٧.

عنه، فإن وافقته القضية اللفظية فهو صدق، مثل : «الله تعالى موجود»، فإنه يحكي عن الهويّة التصديقية المطابقة للواقع، وكذلك مثل قولنا: «شريك الباري ليس بموجود البتّة» بنحو السالبة المحصّلة، ولو قيل: «الله تعالى له الوجود» فهو كذب؛ لعدم موافقة الحكاية لما في نفس الأمر، وكذلك قولنا: «شريك الباري لا موجود» بنحو المعدولة؛ لاقتضائه ثبوت الموضوع.

ولا فرق فيما ذكرنا بين الموجبات والسوالب، فلا ارتباط للصدق والكذب بالنسبة؛ كي يستشكل ذلك في السوالب من حيث عدم اشتغالها على النسبة. وأما الحمل الأولي - مثل «الإنسان حيوان، أو ناطق، أو إنسان» ونحو ذلك - فهو وإن كان ما لم يوجد الموضوع فيه في الذهن لا يصحّ الحمل عليه؛ بأنّه حيوان أو ناطق؛ لأنّ الماهيّة مع قطع النظر عن الوجود ليست شيئاً حتّى يحكم عليها؛ بأنّها حيوان، أو ناطق.

لا أقول: للوجود دَخل في حيوانيته أو ناطقيته، بل المراد أنّ الماهيّة مع عدم تحليها بالوجود ولو ذهنياً، ليست شيئاً حتّى يحكم عليها بشيء، لكن تصوّرها الذهني - للحكم عليها بالحيوانيّة مثلاً - تحلية لها بالوجود الذهني وإن كان ذلك الوجود مغفولاً عنه.

وبالجملة: ليس للماهيّة تقرّر مع قطع النظر عن الوجود، لكن مجرد تصوّرها وجود ذهنيّ لها، فالحمل الأولي أيضاً يحكي عن الهويّة والاتّحاد.

### الأمر الثالث: وجود الموضوع في القضايا

القضايا الموجبات على ثلاثة أقسام:

الأول: الموجبة المحصّلة، نحو «زيد قائم».

الثاني: المعدولة، مثل «زيد لا قائم» ونحوه ممّا حكم فيه بثبوت أمر



عدمي لموضوع.

الثالث : القضية السالبة المحمول ، وهي التي يكون المحمول فيها قضية سالبة مثل «زيد هو الذي ليس بقائم»، فإنها ليست محصلة؛ لأن المحمول فيها سلبي، ولا معدولة؛ لأن المحمول في المعدولة ليس بنحو القضية السلبية. ولا إشكال في أنه لابد في القضية الموجبة بأقسامها الثلاثة، من ثبوت الموضوع ووجوده في الطرف الذي يُراد فيه إثبات الحكم عليه والإخبار به عنه، ففي القضايا المؤولة مثل «زيد على السطح»؛ لقاعدة الفرعية: وهي أن ثبوت شيء لشيء فرع ثبوت المثبت له.

وفي القضايا الغير المؤولة التي تحكي عن الهوية، مثل «زيد قائم»؛ لقاعدة الاستلزام: وهي أن اتحاد الشئين مستلزم لوجودهما بنحو من أنحاء الوجودات، ولا تجري في هذا القسم من القضايا القاعدة الفرعية؛ لعدم الحكم فيها بثبوت شيء لشيء، بل مفادها الاتحاد والحكم بالهوية، وهو ليس فرع ثبوت الموضوع. وبالجمله : لابد في الموجبات مطلقاً من وجود الموضوع، بخلاف السوالب المحصلة، فإنها تصدق مع انتفاء الموضوع أيضاً، مثل «شريك الباري ليس بوجود»، ولكن قد يتفق فيها وجود الموضوع، فيسلب عنه المحمول، فبناء على مذهب المتأخرين من المنطقيين - من اشتال السوالب على النسبة السلبية<sup>(١)</sup> - لابد أن لاتصدق السالبة بانتفاء الموضوع .

الأمر الرابع: عدم رجوع السالبة إلى المعدولة

الموضوع في القضية الإخبارية لابد أن يكون مفرداً أو في حكم المفرد، ففي

١ - تقدّم تخريجه .

قولنا: «زيد قائم غير عمرو قاعد»، يكون فيه الحكم بمغايرة هذا لذلك وهو الذي يحتمل الصدق والكذب، لا الإخبار عن «زيد» بأنه قائم، فلا يمكن جعل الموضوع قضية تامة، لكن على فرض الإخبار عنها بالمعنى المذكور فهي موجبة محصلة، كما أن قولنا: «زيد اللاقائم عادل» قضية معدولة الموضوع، ومثل «زيد الذي ليس بقائم عادل» قضية سالبة الموضوع، وأما جعل الموضوع سالبة محصلة على فرض الإخبار عنها، مثل «زيد إذا لم يكن عادلاً عالم»، فيمكن فرضه وصحته أيضاً لو لم يرجع إلى معدولة الموضوع.

والوجه في عدم رجوعها إلى المعدولة : هو أن الموضوع في المعدولة متّصف بالعدم النعتي، فلا بد من وجود الموضوع فيها، بخلاف السالبة المحصلة، فإن مفادها سلب الاتّصاف، فلا تفتقر إلى وجود الموضوع.

ففي مثل : «المرأة الغير القرشيّة ترى الدم إلى خمسين» يمكن أن يكون الموضوع فيها موجبة معدولة الموضوع على فرض الإخبار عنه، وبنحو السالبة المحمول وبنحو السالبة المحصلة مع فرض وجود الموضوع.

فالأوّل : مثل «الامرأة الغير القرشيّة ترى الدم إلى خمسين».

والثاني : «الامرأة التي ليست بقرشيّة كذا».

الثالث : «الامرأة إذا لم تكن قرشيّة كذا» مع فرض وجودها، ولا يتصوّر فيها الايجاب التحصيلي.

والحاصل : أن الموضوع للنجاسة والحرمة في الحيوان الغير القابل للتذكية، لا يخلو عن أحد الأنحاء الثلاثة المتقدمة :

الأوّل : أن يكون بنحو القضية المعدولة؛ أي الحيوان الغير القابل لها.

الثاني : بنحو السالبة المحمول.

الثالث : بنحو السالبة المحصلة مع فرض وجود الموضوع.

وأما مع انتفاء الموضوع فلا يمكن جعلها موضوعاً للحكم أصلاً، وكذلك الحكم برؤية الدم إلى خمسين على المرأة الغير القرشية.

### تحقيق المقام

إذا عرفت هذه الأمور فنقول: يرد على ما أفاده الأستاذ الحائري رحمته (١) في بيان جريان استصحاب عدم القرشية أو عدم التذكية ونحوهما: أنك قد عرفت أن الموضوع للحكم الشرعي هنا لا يخلو عن أحد الأنحاء الثلاثة، فلا بد من ملاحظة الأدلة: فإن جعل الموضوع فيها بنحو الموجبة المعدولة، أو بنحو السالبة المحمول، مع وجود الموضوع، فلا حالة سابقة للمستصحب؛ لأنه بناء عليهما فالموضوع للحكم هي المرأة المتصفة بعدم القرشية بالعدم النعتي أو المحمولي وهي في الأزل لم تكن متصفة بهذه الصفة؛ لعدم وجودها في الأزل لتتصف بهذه الصفة أو يحكم عليها بها، وإلا يلزم تقررها حال عدمها؛ لاحتياج الصفة إلى ثبوت الموصوف.

وبالجملة: لا حالة سابقة للمرأة المتصفة بعدم القرشية لتستصحب.

وأما لو أخذ الموضوع بنحو السالبة المحصلة، فلعدم إمكان جعلها موضوعاً للحكم مع انتفاء الموضوع، فعلى فرض جعلها موضوعاً لحكم لا بد أن تفرض مع وجود الموضوع، وحينئذ فإن أريد استصحاب عدم القابلية للتذكية كذلك - أي الحيوان الموجود مسلوباً عنه القابلية - فلا حالة سابقة متيقنة له.

وإن أريد استصحاب سلبها الصادق مع عدم الحيوان، فهو لا يثبت أن هذا الحيوان الموجود مسلوب عنه القبول للتذكية.

وإن أريد عدمها بنحو السلب التحصيلي الأعم - أي الصادق مع عدم الموضوع

١ - أنظر درر الفوائد: ٢١٩ - ٢٢٠ مع مراجعة الهامش من الصفحة ٢٢٠.

وجوده مع سلب المحمول - فلاريب أنه ليس موضوعاً للحكم بالنجاسة والحرمة، بل الموضوع فردٌ منه؛ - أي الحيوان الموجود مسلوباً عنه القابليّة للتذكية -، واستصحاب الأعم لا يثبت الأخصّ الذي هو الموضوع لهما.

مضافاً إلى عدم الحالة السابقة للأعم، بل الذي له حالة سابقة متيقّنة هو عدم القابليّة من جهة عدم وجود الحيوان؛ - أي السالبة بانتفاء الموضوع - فاستصحابه لإثبات القسم الآخر للأعمّ القسيم له - أي السالبة بانتفاء المحمول مع وجود الموضوع - من قبيل استصحاب أحد أفراد الكلّي كزيد لإثبات الفرد الآخر منه كعمرو وهو أسوء حالاً من استصحاب الكلّي وإثبات فردة.

نعم هنا تقريب ووجه آخر لاستصحاب عدم القابليّة ذكره بعض الأعظم<sup>(١)</sup>؛ هو أنّ موضوع النجاسة والحرمة هنا مركّب من الحيوان وعدم القابليّة عدماً محموليّاً، لا بنحو التقييد؛ بأن يكون بين الجزئين ارتباط، بل بنحو التركيب، وحينئذٍ فأحد جزئي الموضوع مُحَرَز بالوجدان، وهو الحيوان، والآخر يحرز بالاستصحاب؛ لأنّه مسبوق بالعدم، ويكفي مجرّد استصحابه من دون افتقار إلى إثبات الارتباط بين الجزئين<sup>(١)</sup>. انتهى.

وفيه: أنّ تصوّر هذا القبيل من الموضوعات مُشكِـل، وعلى فرض تسليمه نقول: هل المراد من عدم القابليّة - الذي هو أحد جزئي الموضوع المركّب - هو عدم القابليّة بنحو الإطلاق الصادق مع عدم وجود الحيوان؛ أي عدمها الأعمّ الصادق مع عدم وجود الحيوان، أو المراد هو عدم قابليّة هذا الحيوان الموجود؟

فعلى الأوّل فن الواضحات أنّ الموضوع للحرمة والنجاسة ليس هذا المعنى الأعمّ الصادق مع عدم الموضوع أيضاً بالضرورة، بل الموضوع لهما الحيوان الموجود

١ - أنظر نهاية الأفكار (القسم الأوّل) ٤ : ١٤٤ .

مع عدم قبوله للتذكية، فاستصحاب هذا المعنى الأعم لا يثبت أن هذا الحيوان غير قابل لها الذي هو الموضوع الخاصّ لها.

مضافاً إلى أنه لو أُريد من عدم القابليّة المعنى الأعمّ الصادق مع عدم الحيوان، يلزم التناقض في الموضوع لمنافاته للجزء الآخر له، وهو الحيوان، فلا بدّ أن يُراد عدم قابليّة هذا الحيوان، ولا حالة سابقة له لتستصحب.

فهذا الوجه أيضاً فاسد.

هذا كلّّه بالنسبة إلى استصحاب عدم القابليّة، وقد عرفت عدم جريانه.

لكن على فرض صحّة هذا الاستصحاب فهو مقدّم على أصالة عدم التذكية وكافٍ عنها لو قلنا: بأنّ التذكية أمر مركّب من قابليّة المحلّ لها وفّرّي الأوداج مع الشرائط الأخرى؛ لأنّ الشكّ في التذكية وعدمها مسبّب عن الشكّ في القبول للتذكية وعدمه، والأصل الجاري في السبب حاكم على الأصل المسبّي.

وإن قلنا: بأنّ التذكية عنوان بسيط، وفّرّي الأوداج بالكيفيّة الخاصّة مع القابليّة للتذكية من المحصّلات الشرعيّة، وقلنا: بأنّ استصحاب بقاء المحصّلات الشرعيّة يثبت العنوان المحصّل، فلا إشكال أيضاً في جريان أصالة عدم القابليّة على الفرض، وحكومتها على أصالة عدم التذكية.

وإلا فإن قلنا: إنّ المجعول في الأسباب والمسبّبات الشرعيّة هو المسبّب عقيب وجود السبب، فاستصحاب عدم القابليّة أيضاً جارٍ، ولا تصل النوبة إلى أصالة عدم التذكية.

وإن قلنا: بأنّ المجعول فيها هو السببيّة فلا مجال لاستصحاب عدم القابليّة، فإنّ السببيّة حينئذٍ وإن كانت شرعيّة مجعولة، لكن ترتّب المسبّب على السبب الشرعي عقليّ غير مجعول شرعاً، فلا يترتّب على استصحاب وجود السبب وجود المسبّب، ولا على استصحاب عدمه عدمه، وحينئذٍ فتصل النوبة إلى أصالة عدم التذكية.

## المختار في أصالة عدم التذكية

وأما الكلام في أصالة عدم التذكية فتوضيحه: أن في معنى التذكية احتمالات: أحدها: أنها عبارة عن معنى محصل من أمور ستة: فري الأوداج الأربعة، وقابلية المحل، وإسلام الذابح، والذبح بالحديد، والتسمية، والاستقبال. ثانيها: أنها مركبة من نفس هذه الأمور الستة. ثالثها: أنها عبارة عن إزهاق الروح مع هذه الشرائط الخاصة. رابعها: أنها عبارة عن إزهاق الروح حال وجود هذه الأمور الستة. فهذه أربعة احتمالات في معنى التذكية، والظاهر هو الثالث. وكيف كان لا إشكال في أن الموضوع للنجاسة والحرمة ليس هو عدم إزهاق الروح أو عدم التذكية - الصادق مع عدم وجود الحيوان أو مع وجوده وحياته - بلا ريب ولا إشكال؛ لعدم قيام دليل على ذلك، بل لا يمكن ذلك أيضاً. بل الموضوع للحلية والطهارة هو إزهاق الروح مع الشرائط الخاصة المعتبرة شرعاً، أو الموضوع للطهارة والحلية هو إزهاق الروح بكيفية خاصة معتبرة في الشرع، وموضوع النجاسة والحرمة هو إزهاق الروح لا بكيفية خاصة، المتحقق بانتفاء أحد هذه الأمور الستة؛ المذكورة بنحو المعدولة أو السالبة المحمول أو السالبة المحصلة مع فرض وجود الموضوع؛ أي إزهاق الروح، وحينئذ فلا حالة سابقة له حتى يستصحب؛ لأنه لم يكن سابقاً زمان زهق فيه روح هذا الحيوان بدون الكيفية الخاصة، وشك في بقاءه؛ حتى يستصحب بأحد الاعتبارات الثلاثة؛ أي الحيوان الذي زهق روحه لا بكيفية خاصة، أو الذي لم يتحقق معه الكيفية الخاصة، أو مسلوباً عنه الكيفية الخاصة، أو مع نقيض الكيفية الخاصة. والذي له حالة سابقة هو عدم التذكية بالمعنى الأعم؛ الصادق مع عدم الحيوان،

أو خصوص عدمها بانتفاء الحيوان.

ولكن قد عرفت أنّ موضوعها ليس هذا المعنى العام أو الخاص ، بل عدم التذكية مع وجود الحيوان وإزهاق روحه لا مع الكيفية الخاصة، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

فإنّ المستفاد من جميعها : أنّ موضوعَ الحرمة الحيوانُ الذي زهق روحه لا بكيفية خاصة، وكذلك الروايات<sup>(٤)</sup>، وحينئذٍ فاستصحاب عدم التذكية بالمعنى العام الصادقة مع انتفاء الموضوع، لا يثبت هذا المعنى الخاصّ الموضوع للحكم، كما ذكر الفاضل التوحيّديّ: من أنّه من قبيل استصحاب الضاحك لإثبات وجود زيد<sup>(٥)</sup>.

وإن أريد استصحاب خصوص عدم التذكية مع عدم الحيوان لإثبات قسم آخر، وهو عدم التذكية مع وجود الحيوان المزهوق روحه، فهو أسوء حالاً من استصحاب الكلّي لإثبات الفرد، وأنّه مثل استصحاب وجود زيد لإثبات وجود عمرو، وفساده غنيّ عن البيان.

فتلخّص من ذلك : أنّ مقتضى القواعد الأصوليّة عدم جريان أصالة عدم التذكية، ولا غيرها من الأعدام الأزلّيّة.

١ - الأنعام (٦) : ١١٨ .

٢ - الأنعام (٦) : ١٢١ .

٣ - المائدة (٥) : ٣ .

٤ - وسائل الشيعة ١٦ : ٣٠٧ - ٣٧٣، كتاب الصيد والذبائح، أبواب الذبائح، الباب ١ إلى ٣٨ .

٥ - الوافية : ٢١٠ .

## نقل كلمات الأعلام عليه السلام وما فيها

ومما ذكرنا ظهر الإشكال فيما ذكره الشيخ الأعظم عليه السلام: من أنَّ العدم الأزلي مستمرٌّ مع حياة الحيوان وموته حتف أنفه، فلا مانع من استصحابه وترتّب أحكامه عليه عند الشكِّ وإن قطع بتبادل الوجودات المقارنة له<sup>(١)</sup>.

وكذا في ما ذكره في «الكفاية» ممّا يقرب ممّا ذكره، إلّا أنّه قال: وإن لم يترتّب أثر شرعيّ على عدم التذكية في الحال السابق، لكنّه يترتّب عليه في ظرف الشكِّ، وهو كافٍ في جريان الاستصحاب<sup>(٢)</sup>. انتهى محصله.

وذلك لما عرفت من أنَّ الموضوع ليس عدم التذكية بنحو العامّ أو المطلق، بل عدم التذكية مع إزهاق الروح، ولا يمكن أن تشمل القضية المتيقّنة بحيث تشمل عمومها أو إطلاقها حال الشكِّ، وإلّا لم يقع شكٌّ، فلا بدّ أن يُراد من عدم التذكية المتيقّنة ما يقابل عدمها حال الموت المشكوك فيه، أي لا بدّ أن يراد من المتيقّنة ما ينطبق على حال الحياة فقط، وحينئذٍ فاستصحابها لإثبات عدم التذكية مع إزهاق الروح، مثل استصحاب فرد لإثبات فرد آخر، فهذا الذي ذكره عليه السلام خلط بين واقع الأمر والقضية المتيقّنة.

وكذا يظهر الإشكال فيما ذكره الميرزا النائيني عليه السلام، فإنّه ذكر في المقام احتمالين لما ذكره الفاضل التوحي:

الأوّل: أنَّ الموضوع لحرمة لحم الحيوان هو الميتة، وهي عبارة عن الحيوان الذي مات حتف أنفه، ولا يثبت ذلك بأصالة عدم التذكية.

١ - أنظر فرائد الأصول: ٣٧٣ سطر ١٣.

٢ - أنظر كفاية الأصول: ٣٩٧.



الثاني : أنّ موضوعها هو عدم التذكية لا مطلقاً، بل في حال خروج الروح، وعدم التذكية في هذا الحال لا حالة سابقة له حتّى تستصحب.

ثمّ أورد على الاحتمال الأوّل: بأنّ الموضوع للحرمة والنجاسة ليس هو الموت حتف الأنف؛ لعدم دلالة آية ولا رواية على ذلك، بل الموضوع هو الميتة، وليس معناها الموت حتف الأنف، بل هي عبارة عن الغير المذكّي، فاستصحب عدم التذكية محرز للموضوع.

وأورد على الاحتمال الثاني بما حاصله : أنّ دعوى التغير بين عدم التذكية في حال الحياة وبينها في حال زهوق روحه، واضحة الفساد؛ بداهة أنّ نفس عدم التذكية في حال الحياة مستمرة إلى حال خروج الروح، وليس حال الحياة وحال زهوق الروح قيداً للعدم؛ لينقلب العدم في حال الحياة إلى عدم آخر، بل هما من حالات الموضوع، فعروض عدم التذكية هو الجسم، وهو باقٍ في كلا الحالين.

والحاصل : أنّ تذكية الحيوان من الأمور الحادثة المسبوقة بالعدم الأزلي، وهي مستمرة إلى زمان زهوق الروح، غاية الأمر أنّ عدم التذكية قبل وجود الحيوان نحو العدم الحمولي، وبعد وجوده نحو العدم النعتي موضوع الحرمة والنجاسة، فاستمرار العدم الأزلي إلى زمان وجود الحيوان يوجب انقلاب العدم من الحمولي إلى النعتي، ومن مفاد «ليس» التامّة إلى «ليس» الناقصة، لا أنّ العدم الأزلي يتبدّل إلى عدم آخر فإنّه واضح الفساد... إلى أن ذكر:

أنّه سيجيء أن الموضوع المركّب من عَرَضَيْنِ لمحلّ واحد أو من جوهرين أو من جوهر وعرض لمحلّ آخر كوجود زيد وقيام عمرو، لا يعتبر فيه الأزيد من الاجتماع في الزمان، ولا يحتاج إلى الإضافة والارتباط بينهما إلّا أن يدلّ دليل على ذلك، بخلاف ما لو كان الموضوع مركّباً من العرض ومحله، فإنّه لا يكفي مجرد اجتماعهما

ما لم يثبت قيام الوصف بالمحل<sup>(١)</sup>. انتهى ملخصاً.

أقول : يرد عليه :

أولاً: أن ما ذكره في الجواب عن الاحتمال الأول من أن الميتة عبارة عن الغير المذكي، مع ما ذكره في ضمن الجواب عن الاحتمال الثاني من أن عدم التذكية حال حياة الحيوان، عين عدم التذكية في حال الزهوق، ووضوح دعوى فساد التغاير، ينتج أن الحيوان حال حياته ميتة؛ وذلك لأن الغير المذكي في حال الموت حنف أنه ميتة، فإذا كان عدم التذكية حال الموت عين عدمها في حال الحياة يلزم ما ذكرناه، وهو كما ترى.

فيعلم من ذلك : أن موضوع النجاسة ليس عدم التذكية، ومعه لا يستقيم الجواب عن الاحتمال الثاني؛ لما ذكره الفاضل التوني.

والحل : أن الغير المذكي في زمان الحياة عبارة عن عدم زهوق الروح، والغير المذكي الذي يطلق عليه الميتة هو الحيوان المزهوق روحه لا بكيفية خاصة، وكم فرق بين عدم زهاق الروح وبين زهوقه لا بكيفية خاصة، والأول يصدق مع عدم الحيوان، والثاني لا يصدق إلا مع وجوده وزهوق روحه، والذي هو موضوع الحرمة والنجاسة في لسان الأدلة والفقهاء هو الثاني، لا الأول، وأن المزهوق روحه بكيفية خاصة طاهر وحلال، ولا بهذه الكيفية الخاصة فهو نجس وحرام.

وثانياً: ما ذكره من أن عدم المحمولي ينقلب إلى النعي، لا أنه ينقلب إلى عدم آخر، فهو أوضح فساداً من انقلاب عدم إلى عدم آخر؛ لأن عدم المحمولي عبارة عن مفاد «ليس» التامة؛ أي عدم تحقق عدم التذكية، والنعي هو مفاد «ليس» الناقصة مع وجود الموضوع، فاستصحاب الأول لا يثبت اتصاف الحيوان بهذا عدم النعي؛ لأن

الاتّصاف أثر عقلي.

نعم يمكن أن يتوهّم أنّ الحيوان حال الحياة كان غير مذكّي بنحو العدم النعني، فيستصحب ذلك حال زهوق روحه.

ولكنّه أيضاً فاسد؛ لما عرفت من أنّ الغير المذكّي في حال حياة الحيوان عبارة عن الحيوان الذي لم يزهق روحه، والغير المذكّي حال الموت هو المزهوق روحه لا بكيفيّة خاصّة، واستصحاب الأوّل لا يثبت الثاني وإن كان الأوّل أيضاً نعتياً، لكن الثاني مغاير له.

وثالثاً: ما ذكره من أنّه لو كان الموضوع مركّباً من عَرَضين محلّ وموضوع واحد، لا يحتاج إلى اثبات الارتباط بينهما، إلّا أن يدلّ دليل على ذلك... إلى آخره.

فيه - مع قطع النظر عن الإشكال فيه - : أنّ ما نحن فيه ليس كذلك، فإنّ العَرَضين فيه ليسا في عَرَض واحد، بل عَرَضٌ وَعَرَضُ العَرَض، فإنّ زهوق الروح عرض للحيوان بكيفيّة خاصّة في المذكّي، وبلا كيفيّة خاصّة في الغير المذكّي - مع استقبال القبلّة أو عدمه مع التسمية وعدمها - عرضٌ للزهوق، فكما أنّ زهوق الروح بالحديد مع التسمية مع الشرائط الأخر، موضوعٌ للجليّة والطهارة، كذلك زهوق روحه بغير الحديد أو التسمية موضوع للنجاسة والحرمة، فالموضوع الذي ذكره مركّب من الموضوع والعَرَض ، ويُعتبر في جميع الموضوعات المركّبة من الموضوع والصفة الارتباط بينهما.

ثم إنّ الفقيه الهمداني رحمته الله فصل في «الحاشية على الفرائد» و «مصباح الفقيه» بين الأحكام المترتبة على عدم التذكية: من الأحكام العدميّة، كعدم حلّيته، وعدم جواز الصلاة فيه، وعدم طهارته، وغيرها من الأحكام العدميّة المنتزعة من الوجوديّات، التي تكون التذكية شرطاً في ثبوتها، فهي مترتبة على استصحاب عدم التذكية، وبين الأحكام الوجوديّة المترتبة على كون الحيوان غير مذكّي، كحرمة أكله ونجاسته

ونحو ذلك من الأحكام المتعلقة بعنوان الميتة أو الغير المذكى، فإنها لا تترتب على استصحاب عدم التذكية؛ لأن أصله عدم التذكية لا تثبت كون الحيوان غير مذكى أو ميتة.

وأما ترتب القسم الأول - أي الأحكام العدمية - فلأن الحلية والطهارة وجواز الأكل مترتبة على سبب حادث؛ أي إزهاق الروح المقرون بالشرائط الخاصة، وهو مسبوق بالعدم، فباستصحاب عدمه يترتب عدم هذه<sup>(١)</sup>. انتهى ملخصه.

أقول : ما أفاده - من عدم إثبات كون الحيوان غير مذكى بأصالة عدم التذكية - صحيح.

لكن يرد عليه :

أولاً : أنه كما أن استصحاب الوجود المحمولى لا يثبت الوجود الرابط، كذلك استصحاب العدم المحمولى لا يثبت العدم الرابط، فكما أنه لا يثبت باستصحاب العدالة أن زيدا عادلاً، فلا يترتب عليه آثار عدالته، بل يترتب عليه ما هو من آثار نفس العدالة، لا عدالة زيد، كذلك لا يترتب على استصحاب عدم التذكية إلا ما يترتب على نفس هذا العدم المحمولى من آثاره الشرعية، لا الآثار الشرعية المترتبة على العدم النعتي؛ يعني الحيوان الذي ليس مذكى، والموضوع لجميع الأحكام - حتى العدميات المذكورة - هو الحيوان الغير المذكى بنحو العدم النعتي مع زهوق روحه، فاستصحاب العدم المحمولى لا يثبت ذلك الموضوع.

وثانياً : سلّمنا أن العلة الخاصة سبب للأحكام الوجودية المذكورة، لكن لأنسلم أن لعدمها علة أخرى هي عدم التذكية، بل العقل يحكم بانتفاء المعلول الوجودي عند انتفاء علته.

١ - مصباح الفقيه، الطهارة : ٦٥٣ سطر ٢٠، حاشية المحقق الهمداني على الفرائد : ٩١

وحينئذٍ فإن قلنا : بأن المَجْعُول في الأسباب والمسببات الشرعية هي السببية. فقد تقدّم أنّه لا يترتب على استصحاب عدم السبب عدم المسبب، كما أنّه لا يترتب على استصحاب وجوده وجود المسبب.

نعم لو قلنا : بأن المَجْعُول هو المسبب عقيب وجود السبب يترتب على استصحاب عدم السبب عدم المسبب.

وثالثاً : ما ذكره : من أنّ التذكية سبب للحليّة ونحوها، يمكن منعه؛ لأنّ الحيوان حال حياته طاهر يجوز الصلاة معه، بل وكذلك أكله؛ لعدم الدليل على حرمة أكله حال حياته، كما اعترف به بَيِّنٌ.

وحينئذٍ فإن أراد أنّ التذكية سبب للطهارة المتحققة في حال الحياة، فهو كما ترى.

وإن أراد أنّها سبب لطهارة أخرى بعد ارتفاع طهارته الأولى حال الحياة شرعاً، فهو أيضاً ممّا لا يمكن الالتزام به، فإنّه من المحتمل قريباً كون التذكية مانعة عن الموت حتف الأنف الذي هو الموضوع للنجاسة؛ للمضاة بين التذكية وبين الموت حتف الأنف، وبمجرد تحقّق المانع عن الموت حتف الأنف تبقى طهارته السابقة حال الحياة.

بل التحقيق : أنّ الطهارة والحليّة لا تفتقران إلى السبب، فإنّ الأشياء كلّها طاهرة وحلال إلا أن يمنع مانع، والمفتقر إلى السبب هي الحرمة والنجاسة، خصوصاً فيما نحن فيه الذي يكون الحيوان مسبوقاً بعدم النجاسة والحرمة، وحينئذٍ فلا معنى لاستصحاب عدم السبب، بل التذكية مانعة عن تحقّق موضوع الحرمة.

ورابعاً : سلّمنا أنّ التذكية سبب للطهارة والحليّة، فلا بدّ أن يكون للطهارة والحليّة حال حياته سبب أيضاً، لكن السبب لهما في حال حياته غير السبب لهما حال موته، فكما يستصحب عدم وجود سبب الطهارة والحليّة المخصوصتين بحال الموت،

كذلك استصحاب الجامع بين السببين؛ بناءً على ما اختاره فقيه من جريان استصحاب الكلّي القسم الثالث للعلم بتحقيق كلّي السبب سابقاً؛ لوجوده في ضمن الخاصّ في زمان الحياة، ويشكّ في بقاءه؛ لاحتمال وجود سبب آخر مقارناً لزهوق روحه وحين ارتفاع السبب الخاصّ الأوّل؛ إذ لا يثبت باستصحاب خصوص عدم السبب الثاني عدم بقاء الكلّي.

هذا كله في الشبهات الحكميّة.

وأما الشبهات الموضوعيّة؛ فيرد على استصحاب عدم التذكية فيها جميع ما أوردناه في الشبهات الحكميّة، مضافاً إلى إشكالات أخر واردة على الاستصحاب المذكور في الشبهات الموضوعيّة، لكن لا طائل لإيرادها بعدما عرفت الحال فيها.

## التنبية الرابع

### جريان الاستصحاب في الأمور التدريجية

#### استصحاب الزمان والحركة

لو كان المستصحب من الأمور والحقائق المتدرّجة الوجود المتصرّمة ففي جريان الاستصحاب فيها إشكال : هو أنّ الأمور المتصرّمة - كالزمان والحركة ونحوهما - لا بقاء لها؛ لأنّ البقاء إنّما يتصوّر في الأمور القارّة التي بهويّتها موجودة في جميع الحدود، مثل زيد، فإنّه بعينه وهويّته باقي وموجود في جميع الحدود، ولا تتبادل وجوداته وإنّ تتبادل حالاته وأعراضه، والزمان ونحوه من المتصرّمات ليس كذلك، فإنّه في كلّ حدّ يوجد وينعدم، فحقيقته الانوجد والانعدام، وكلّ ماهو كذلك لا يصدق عليه البقاء، مع أنّه يعتبر في الاستصحاب الشكّ في البقاء، كما يستفاد ذلك من أخباره، وحينئذٍ فلا مجال لجريان الاستصحاب في الزمان ونحوه؛ لأنّ ماهو المتيقّن منه مرتفع قطعاً، والمشكوك هو حدوث جزء آخر منه.

ويستفاد من الشيخ الأعظم رحمته وأستاذنا الحائري في مقام دفع هذا الإشكال ما حاصله: أنّه لا يعتبر الشكّ في البقاء في الاستصحاب ؛ لعدم استفادة ذلك من أخباره،

بل المعتبر اتحاد المتيقّن والمشكوك، فيكفي فيه صدق نقض اليقين<sup>(١)</sup>.  
أقول : يحتمل أن يكون مراد الشيخ رحمته : هو أن المعتبر في صدق البقاء هو الأعمّ من البقاء الحقيقي والمسامحي العرفي.  
وعلى أيّ تقدير لا شبهة في اعتبار الشكّ في البقاء في الاستصحاب؛ وذلك لأنّ قوله لا ينقض اليقين بالشكّ (لا ينقض اليقين بالشكّ) ظاهر في اعتبار اليقين والشكّ الفعليين فيه، ولا ريب في أنّ صدق نقض اليقين الفعلي بالشكّ الفعلي، يتوقّف على أن يكون هناك شيء متيقّن الوجود في السابق مشكوك البقاء في اللاحق، وليس البقاء إلّا ذلك، ولا يتصوّر وجود اليقين والشكّ الفعليين مع عدم تعلّق الشكّ ببقاء ما كان موجوداً، وإلّا فلو شكّ في الوجود الأوّل فهو من الشكّ الساري، وليس اليقين فيه فعلياً.  
وبالجملة : لا يحيص عن القول باعتبار الشكّ في البقاء؛ لعدم صدق نقض اليقين بالشكّ الفعليين إلّا معه.  
فحقيقة البقاء مأخوذ ومعتبر في الاستصحاب وإن لم يؤخذ بمفهومه فيه في لسان الأخبار.

ثم إنّ المشهور بين الحكماء : أنّ ما هو الموجود المتحقّق من الحركة هي الحركة التوسّطية، وهو عنوان كون الشيء بين المبدأ والمنتهى، فما دام المتحرّك فيها بينهما، يصدق عليه هذا العنوان صدق الكليّ على جزئياته، وأنها في الخارج وفي كلّ حدّ توجد وتعدم، وليس هي في الخارج أمراً ممتدّاً.  
نعم هي أمر مستمرّ ممتدّ في الخيال من جهة وجود جزء آخر في الحسّ المشترك قبل زوال الصورة الأولى منه، نظير شعاع الجوّالة؛ حيث إنّها في الخيال أمر ممتدّ مستمرّ، مع عدم كونها كذلك حقيقة وفي الخارج، فهذا الأمر المستمرّ الخيالي



المتدرّج هي الحركة القطعية، وهي غير موجودة في الخارج، بل الموجود فيه راسمها؛ أي الحركة التوسّطية<sup>(١)</sup>.

لكن محققوهم : على أنّ وجود التوسّطية بدون القطعية في الخارج مستحيل، بل القطعية - أي الأمر المستمرّ منها - موجودة ومحقّقة في الخارج؛ وذلك لأنّ الموجودات الخارجية مختلفة في أنحاء الوجودات، فوجود الجواهر نحو من الوجود مغاير لنحو وجود الأعراض، ووجود الحقائق القارّة نحو آخر منه يغير نحو وجود الموجودات الغير القارّة بالذات كالزمان، فإنّ وجودها عبارة عن تدرّجها وتصرّمها وتقضيها، لا أنّها توجد وتتعدم وإلا يلزم تنالي الآنات<sup>(٢)</sup>.

والدليل على وجود الحركة القطعية في الخارج : هو أنّ البرهان قائم على بطلان تحقّق الجزء الذي لا يتجزّأ في الخارج، فالحركة الموجودة في كلّ حدّ قابلة للقسم، وحينئذٍ مع قبوله للتجزية فله بقاء، فالحركة وإن ليس لها وجود ثابت قار، لكنّها موجودة بنحو التصرّم والتدرّج، فهي هويّة واحدة متصرّمة موجودة فيه باقية حقيقة، بل ذكروا: أنّ الأمور القارّة أيضاً متدرّجة متصرّمة بناء على الحركة الجوهرية<sup>(٣)</sup>.

هذا بحسب حكم العقل.

وأما العرف فلا ريب في موافقته لهذا الحكم العقلي، ولهذا يقال : إنّ هذا اليوم طويل أو قصير أو باقي بعد.

وبالجملة : لا إشكال في صدق البقاء في الأمور المتدرّجة عقلاً وعرفاً حقيقة. وأما استصحاب مثل عنوان الليل واليوم والنهار والشهر والسنة، فأورد عليه

١ - الشفاء (الطبيعيات) ١: ٨٣ - ٨٤، شرح المنظومة (قسم الفلسفة): ٢٤٠ - ٢٤١ سطر ١٤.  
٢ - المباحث المشرقية ١: ٥٥١ - ٥٥٢، القبسات: ٢٠٩ - ٢١١، الأسفار ٣: ٣٣.  
٣ - الأسفار ٣: ٦٦ - ٦٤ و ١٠١ - ١٠٤، شرح المنظومة (قسم الفلسفة): ٢٤٩ - ٢٥٠ سطر ٩.

بوجوه:

الأول : أن اليوم - مثلاً - اسم لمجموع أجزاء الزمان من أول الطلوع إلى الغروب، فما دام لم يتحقق الجزء الأخير منه لم يتحقق بعدُ حتى يستصحب، ومع تحققه لاشك في عدم بقاءه حتى يستصحب، فعلى أي تقدير لا مجال لاستصحابه.

ويظهر من الشيخ الأعظم رحمته في الجواب عن الإشكال : أن اليوم وإن كان اسماً لمجموع ذلك، لكن حيث إن الأجزاء متصلة، فبمجرد وجود الجزء الأول يكون متحققاً عند العرف والعقلاء مسامحة، فهو باقٍ ما لم يتحقق الجزء الأخير، فلو شك في تحقق الجزء الأخير يستصحب عنوان النهار<sup>(١)</sup>.

ووافقه في ذلك المحقق العراقي<sup>(٢)</sup>.

ولكن الحق في الجواب عن الإيراد ما أشار إليه شيخنا الحائري رحمته : وهو أنه إن قلنا: بأن اليوم عبارة عن مجموع تلك الأجزاء عرفاً، وأن إطلاقه على جزء منها مجاز ومسامحة في الإطلاق، فلاريب في عدم صحة استصحابه؛ إذ ليس المراد من التسامح العرفي في موضوع الاستصحاب ، هو التسامح عندهم وفي محيط العقلاء وفي نظرهم مع عدم بقاءه عندهم حقيقةً ، بل المراد التسامح بنظر العقل مع بقاءه حقيقة بنظر العرف.

وأما لو لم يكن كذلك، بل هو مثل الحجر والخشب وغيرهما من أسماء الأجناس، يطلق على مجموع تلك القطعات من الزمان، وعلى بعضها حقيقةً، إلا أنه اعتبر وجعل له حدّ محدود معيّن، فالحقّ جريان الاستصحاب فيه؛ لصدق نقض اليقين بالشك فيما لو علم بتحقيق النهار وشك في بقاءه من دون الاحتياج إلى دعوى التسامح في صدق البقاء، ولا إشكال في أن اليوم والليل عند العقل والعرف، هو هذا

١ - فرائد الأصول : ٣٧٤ سطر ٢٠.

٢ - نهاية الأفكار (القسم الأول) ٤ : ١٤٥ - ١٤٦.

المعنى الذي له استمرار؛ كيف ولو كان شهر رمضان اسماً لمجموع ثلاثين يوماً، فهو يستلزم عدم صدقه إلا بعد تحقق الجزء الأخير منه؛ أي من اليوم الآخر منه، وعدم صدقه على كل يوم منه، وهو واضح الفساد، وحينئذٍ فهذا الإيراد غير متوجّه<sup>(١)</sup>.

الثاني : أن الأفعال التي أخذ الزمان ظرفاً لها، كالصلاة بالنسبة إلى زوال الشمس إلى غسق الليل، والإمساك من الطلوع إلى الغروب، ونحو ذلك، فلظرف الزمان فيها دخل في المطلوب، فالمطلوب هو الصلاة من الدلوك إلى غسق الليل، ولاريب أن استصحاب النهار لا يثبت وقوع الصلاة في هذا الزمان، وكذلك الإمساك. وهذا الإشكال بمكان من الوهن، وإن كان ظاهر صدر عبارة الميرزا النائيني<sup>(٢)</sup> وذيل عبارة الشيخ<sup>(٣)</sup> لا يخلوان عن ظهور في ذلك، لكن لا ينبغي نسبته إليهما؛ وذلك لأنه بناء على هذا الإشكال يلزم عدم صحة الاستصحاب في شيء من الموارد، فإن استصحاب عدالة زيد لا يثبت أنه عادل في الحال؛ حتى تنفذ شهادته مثلاً، وكذلك استصحاب الوضوء لا يثبت أنه على وضوء في الزمان الحاضر، وأن الصلاة وقعت مع الطهارة، مع أنه مورد رواية زرارة<sup>(٤)</sup>.

والحل : أنه لا يراد من استصحاب النهار إثبات أن الصلاة واقعة فيما بين الدلوك والغروب، فإن أصل وجود الصلاة والإمساك أمر وجداني لا يحتاج إلى الاستصحاب، فيكفي مجرد استصحاب اليوم، ويترتب عليه آثاره الشرعية، كما أن باستصحاب النجاسة يحكم بنجاسة ملاقيها؛ لأن الملاقة أمر وجداني لا يفترق إلى الاستصحاب.

١ - درر الفوائد : ٥٣٩ - ٥٤٠ .

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٤٣٦ - ٤٣٧ .

٣ - فرائد الأصول : ٣٧٤ السطر الأخير .

٤ - تهذيب الأحكام ١ : ٨ / ١١ ، وسائل الشيعة ١ : ١٧٤ ، كتاب الطهارة، أبواب نواقض

الوضوء، الباب ١ ، الحديث ١ .

الثالث من الإيرادات - وهو العمدة - ما أشار إليه الشيخ رحمته : وهو أن استصحاب النهار لا يثبت أن هذا الجزء من الزمان الحاضر المشكوك فيه متّصف بالنهارية؛ ليرتب عليه آثاره<sup>(١)</sup>.

توضيحه : أنه إن أُريد استصحاب وجود النهار بنحو مفاد «كان» التامة - أي وجوده - فهو لا يثبت أن هذا الجزء المشكوك متّصف بالنهارية، مضافاً إلى عدم الحالة السابقة لهذا الجزء المشكوك، فإنّ الموجود سابقاً هو الجزء السابق.

وإن أُريد استصحابه بنحو «كان» الناقصة - أي كونه نهراً - فلا حالة سابقة له. والجواب عن هذا الإشكال : أنه مبنيّ على أن اليوم عبارة عن مجموع القطعات من الزمان من طلوع الشمس إلى الغروب، وقد عرفت عدم مساعدة العقل ولا العرف على ذلك؛ لما عرفت من أن اليوم عقلاً وعرفاً عبارة عن هويّة واحدة مستمرة من طلوع الشمس إلى الغروب؛ تتحقّق تلك الهويّة بتحقيق أول جزء من النهار، وحينئذٍ فيقال: هذه الهويّة كانت متّصفة بالنهارية سابقاً، والآن كما كانت

ويمكن دفع الإشكال بوجه آخر : هو أن التعبد بوجود النهار بقوله عليه السلام : (لا تنقض...) إلى آخره، عين التعبد بأنّ هذا الجزء من الزمان نهراً في نظر العرف، لا أنّه مستلزم له، نظير استصحاب الكلّي لإثبات الفرد، فعلى فرض ثبوت الوسطة بينها، فهي خفيّة لا يدركها العرف.

هذا كلّّه بالنسبة إلى استصحاب الزمان والحركة.

## استصحاب الزمانيات

وأما الكلام في استصحاب الزمانيات من الأمور المتصرّمة فهي على أقسام:

١ - فرائد الأصول : ٣٧٤ السطر الأخير.

منها : ما لا يُعدّ في المفاهيم العرفي من المتصرّات؛ لعدم التفات أهل العرف إلى تصرّمها إلّا بعناية أخرى، كشعلة السراج وشعاع الشمس المنعكس في الجدار مثلاً. فإنّه متصرّم دائماً لا بقاء له حقيقة أصلاً عند العقل، لكن لا يعدّ متصرّماً عند العرف. ومنها : ما يعدّ من المتصرّات عرفاً، لكنّه مثل الحركة في أنّها حقيقة واحدة وهويّة شخصيّة متصرّمة عرفاً، كالصوت الممتدّ الحاصل من النفخ في آلات اللّهو، ولعلّ نبع الماء ودوام الحيض والاستحاضة من هذا القبيل. ومنها : ماهو متصرّم بحسب النظر العرفي، لكن له نحو كثرة أيضاً، كقرعات النبض وقرعات القلب، وتكلّم المتكلّم، ونحوهما ممّا يُدرك العرف لها نحو كثرة. أمّا القسم الأوّل : فلا إشكال في أصل جريان الاستصحاب فيه؛ سواء قلنا بجريانه في نفس الزمان، أم لا.

وكذلك القسم الثاني بناء على جريانه في الزمان والحركة. أمّا القسم الثالث : فلا إشكال أيضاً في أصل جريانه فيه في الجملة، إنّما الإشكال في أنّه من أيّ قسم من أقسام الاستصحاب وأنّه من قبيل القسم الأوّل من أقسام استصحاب الكلّي الذي يجري فيه استصحاب الكلّي والفرد، أو أنّه من قبيل القسم الثاني من استصحاب الكلّي من القسم الثالث أو القسم الثالث منه. ذهب الشيخ الأعظم رحمته - وتبعه الميرزا النائيني رحمته <sup>(١)</sup> - إلى أنّه من قبيل القسم الأوّل من أقسام استصحاب الكلّي، وقال في وجهه ما حاصله: إنّ قطعاً الكلام وإن تعدّدت، لكن ليس نسبتهما إلى أصل الكلام نسبة الكلّي إلى مصداقه، بل نسبة الجزء إلى الكلّ، وهو يوجد بوجود أوّل أجزائه ويبقى إلى أن يوجد آخر أجزائه.

ثم قال : وعلى فرض عدم كونه من القسم الأول، فهو من قبيل القسم الثالث من القسم الثالث من أقسام استصحاب الكلي، كالسواد الضعيف والشديد ونحوهما؛ ممّا لا يعدّ الفرد اللاحق على تقدير وجوده موجوداً آخر مغايراً للموجود الأول.

ثم ذكر : أنّ المناط في الوحدة في هذه الأمور وكثرتها هو وحدة الداعي لها وكثرته، فإذا كان للمتكلّم دافع واحد، فلا إشكال في أنّ مجموع كلامه يُعدّ واحداً يصدق فيه البقاء، فيستصحب مع الشكّ فيه؛ سواء كان الشكّ في حدوث الصارف، أم من جهة الشكّ في مقدار اقتضاء الداعي.

أمّا لو تكلّم لدافع أو دواعٍ، ثمّ شكّ في بقائه على صفة التكلّم، فالأصل عدم حدوث الزائد عن المتيقّن<sup>(١)</sup>. انتهى محصل ما أفاده تقيّد.

أقول : ما أفاده ممّا لا يساعد عليه العرف، فإنّ الخطيب - مثلاً - إذا خطب لدافع فاشتغل بالثناء، ثمّ شكّ في بقائه على الاشتغال بالثناء أو أخذ في الوعظ والنصيحة - مثلاً - فإنّ المتيقّن السابق غير المشكوك اللاحق، فليس ذلك من القسم الأول من استصحاب الكلي؛ لأنّ الاعتبار فيه الشكّ في بقاء ما كان موجوداً في السابق بعينه في الزمان اللاحق، وليس المفروض كذلك؛ للعلم بعدم اشتغاله بالثناء المتيقّن سابقاً، وكذلك قرع النبض، فإنّ الموجود منه حال الصبا غير الموجود منه حال الشيخوخة، وليس مجموع القرعات أيام الحياة، مثل الصوت الممتدّ الحاصل من النفخ في كونه هويّة واحدة؛ لأنّ الكثرات ملحوظة في قرعات النبض عرفاً، وقد عرفت أنّه ليس المراد بالمساحة في بقاء الموضوع المساحة في محيط العرف وعندهم، بل المراد هي المساحة عند العقل.

فما ذكره تقيّد : من أنّ مجموع ما يقع في الخارج من الأجزاء، يوجد في الزمان

الأول بوجود أول جزء منه، ووجوده في الزمان اللاحق بوجود آخر جزء منه.  
فيه ما عرفت : من أن ما يقع في الزمان الأول جزء من المجموع لا مجموعه، فإن  
قرع النبض زمن الصبا غير قرعه حال الشيخوخة.  
فظهر من ذلك : أنه لا وجه لجعل هذا الاستصحاب من قبيل القسم الأول من  
استصحاب الكلّي، وكذا القسم الثاني منه.  
وأما القسم الثالث من القسم الثالث من استصحاب الكلّي ، فلأريب في أنه  
ليس منه أيضاً؛ لعدم كون التكلّم وقرعات النبض من قبيل تبادل الحالات، كما في  
تبدّل السواد الشديد إلى الضعيف ونحوه، فهو من قبيل القسم الثاني من القسم  
الثالث منه.

وأما ما أفاده : من أن المناط في وحدة الكلام وكثرته هو وحدة الداعي وكثرته،  
وأتمها تدوران مدارهما.

ففيه : أن وحدة كل شيء بنفسه لا بغيره، فإن الخطيب يمكن أن يكون له دواع  
متعدّدة ، مع أنه يعدّ مجموع كلامه خطبة واحدة، فعلى فرض تسليم وحدة مجموع  
كلامه، لا مانع من استصحابه مع احتمال وجود داعٍ آخر، باختلاف الدواعي وتبادلها  
نظير تبديل دعامة السقف إلى دعامة أخرى، فإن وحدة السقف محفوظة مع تبدّل  
أركانها ودعائمه ، فكذلك الدواعي بالنسبة إلى التكلّم.

هذا كله بالنسبة إلى الزمانيات المتصرّمة.

وأما الأمور والأفعال المقيّدة بالزمان، فالذي يناسب المقام من الإشكالات في  
استصحابها، هو الإشكال الذي أورده على خصوص استصحاب الزمان  
والمتصرّمات، وهو أنه كما يورد على استصحاب الزمان ونحوه من الأمور المتدرّجة  
الوجود، بعدم صدق البقاء عليها المعتر في الاستصحاب، كذلك يرد على استصحاب  
الفعل المقيّد بالزمان المتصرّم بما أنه مقيّد به، كصوم يوم رمضان؛ بأنّه لا بقاء له

ليستصحب<sup>(١)</sup>.

وأما الإشكالات الأخر - مثل ما يظهر من الشيخ الأعظم رحمته من أن الشيء إذا كان مقيداً بقيد لا يجري فيه الاستصحاب بعد زوال القيد<sup>(٢)</sup> - فغير مربوطة بالمقام، فإنه بحث آخر وإشكال يرد على استصحاب مطلق المقيدات، حتى مثل الماء المتقيد بالتغير ونحوه.

وكذلك لا ارتباط للتفصيل بين أخذ الزمان قيداً وأخذه ظرفاً؛ بعدم جريانه في الأول دون الثاني<sup>(٣)</sup>.

والتعرض لما ذكره النراقي رحمته - من تعارض الاستصحابين - انحراف عن طريق البحث في المقام وقع في كلماتهم<sup>(٤)</sup>.

### شبهة المحقق النراقي رحمته

وكيف كان نقول تبعاً للقوم : ذكر النراقي رحمته : أن جميع الاستصحابات الحكيمية - تكليفية ووضعية - معارضة باستصحاب العدم الأزلي، كما لو وجب الجلوس يوم الجمعة إلى الزوال، وشك في بقاء الوجوب بعد الزوال، فإن استصحاب بقاء وجوبه بعد الزوال معارض باستصحاب عدم الوجوب الأزلي، فإنه يعلم بعدم وجوب

١ - أنظر فرائد الأصول : ٣٧٤ سطر ١٥، و بحر الفوائد : ١٠٥ سطر ٣٠ من بحث الاستصحاب، فوائد الأصول ٤ : ٤٣٤ - ٤٣٥، ونهاية الدراية ٣ : ٧٩ سطر ٥، ونهاية الأفكار (القسم الأول) ٤ : ١٤٥.

٢ - فرائد الأصول : ٣٧٦ سطر ٤.

٣ - نفس المصدر : ٣٧٧ سطر ١٤.

٤ - نفس المصدر : ٣٧٦ سطر ٨، كفاية الأصول : ٤٦٦، فوائد الأصول ٤ : ٤٤٢، نهاية الأفكار (القسم الأول) ٤ : ١٥٧، درر الفوائد : ٥٤١.



الجلوس يوم الخميس، وكذلك يوم الجمعة قبل الزوال وبعده قبل جعل الوجوب، فعلم بعد الجعل بوجوبه قبل الزوال يوم الجمعة إلى الزوال، وأما بعد الزوال فكما يستصحب وجوب الجلوس فيه الثابت قبله، كذلك يستصحب عدمه الأزلي.

ثم أورد على نفسه : بأن اتصال زمان الشك بزمان اليقين المعتبر في الاستصحاب، مفقود بالنسبة إلى استصحاب عدم الأزلي، فيبقى استصحاب الوجوب بلا معارض؛ وذلك لأن أصل وجوب الجلوس قد ثبت قبل الزوال يوم الجمعة، فانقلب عدم الأزلي إلى الوجود، فالشك اللاحق متصل بوجوب الجلوس الفاصل بين عدم الأزلي والشك، فلا مجال فيه لاستصحاب عدم الأزلي، فيبقى استصحاب الجلوس بلا معارض.

وأجاب عنه بما حاصله توضيحاً مّا : أن هذا الإشكال إنما يرد لو أريد استصحاب عدم طبيعة الوجوب بنحو الإطلاق، فإنه انتقض بإيجاب الجلوس قبل الزوال، لكن ليس المراد ذلك، بل المراد استصحاب عدم وجوب الجلوس المقيّد بما بعد الزوال، فالمستصحب هو عدم وجوب الجلوس المقيّد بما بعد الزوال، فإن هذا الوجوب المقيّد لم يكن في الأزل، ولم ينتقض ذلك، واليقين به متصل بزمان الشك، فهنا شك ويقينان، ويتعارض استصحابهما<sup>(١)</sup>. انتهى حاصل كلامه المحكيّ بَيِّنْهُ.

والتحقيق في حلّ الإشكال : أنه إن أخذت نفس طبيعة الجلوس موضوعاً للوجوب، وكذلك في عدم وجوبه، فعلى فرض جريان الاستصحابين فهما متعارضان؛ لأنّ اتحاد موضوعهما، لكن لا مجال حينئذٍ لاستصحاب عدم وجوب الجلوس الأزلي؛ لانتقاضه بوجوبه قبل الزوال، فيجري استصحاب وجوبه بلا معارض.

وإن أخذت نفس طبيعة الجلوس موضوعاً لوجوب الجلوس قبل الزوال،

والجلوس المقيّد بما بعد الزوال موضوعاً لعدم الوجوب - فإنّه لم يكن في الأزل - فالاستصحابان جاريان، لكن لا معارضة بينهما؛ لعدم اتّحاد موضوعيهما المعتبر في التعارض، فإنّ الدليلين إنّما يتعارضان إذا كان بينهما مناقضة ومدافعة، وهي متوقّفة على وحدة موضوعيهما، وليس ما نحن فيه كذلك؛ كيف ويمكن القطع بوجوب طبيعة الجلوس قبل الزوال، والقطع بعدم وجوب الجلوس بعد الزوال، فضلاً عن استصحابيهما، نظير القطع بمطهّريّة طبيعة الماء وعدم مطهّريّة الماء المضاف أو ما في الكوز<sup>(١)</sup>.

### أجوبة الأعلام عن شبهة المحقّق النراقي

وأجاب الشيخ الأعظم رحمته عن ذلك بما حاصله : أنّه لو أخذ الزمان قيّداً للوجوب أو متعلّقه فلا مجال لاستصحاب الوجوب؛ للقطع بارتفاع ما علّم بوجوبه بعد الزوال.

وإن أخذ ظرفاً له فلا مجال لاستصحاب العدم؛ لانقلابه إلى الوجوب. ففي الأوّل يجري استصحاب العدم بلا معارض، وفي الثاني يجري استصحاب الوجوب بلا معارض.

ثمّ قال : وما ذكره رحمته : من أنّ الشكّ في وجوب الجلوس بعد الزوال كان ثابتاً حال اليقين بالعدم يوم الخميس.

مدفوع أيضاً بأنّ ذلك - حيث كان مفروضاً بعد اليقين بوجوب الجلوس إلى الزوال - مهمل بحكم الشارع بإبقاء كلّ حادث لا يعلم مدّة بقائه، كما لو شكّ قبل

١ - فد أجاب المصنّف رحمته تمام صور المسألة في الجواب عن الشبهة، وأشبع الكلام فيه، راجع

الاستصحاب، الإمام الخميني رحمته : ١٣٠ .

حدوث حادث في مدّة بقاءه.

إلى أن قال: وكأنّ المتوهم ينظر في دعوى استصحاب الوجوب إلى أنّ الموجود أمر واحد قابل للاستمرار بعد زمان الشكّ، وفي دعوى جريان العدم إلى تقطيع وجودات ذلك الموجود، وجعل كلّ واحد منها بملاحظة تحقّقه في زمان مغايراً للآخر، فيؤخذ بالمتيقّن منها، ويحكم على المشكوك منها بالعدم<sup>(١)</sup>. انتهى.

وقال أستاذنا الحائري رحمه الله: يمكن أن يوجّه كلام المعاصر المذكور على نحو يسلم عن هذا الإيراد؛ بأن يقال: إنّ الزمان يؤخذ بنحو القيدية، لكنّه وإن أخذ قيداً في الموضوع الذي تعلّق به الوجوب، إلّا أنّ نسبة الوجوب إلى الموضوع مهملة عن اعتبار الزمان؛ لأنّ اتحاد المهملة مع الأقسام، وحينئذٍ نقول: لو وجب الجلوس المقيّد بما قبل الزوال، فبعد انقضاء الزوال يمكن أن يقال: ذات الجلوس كان واجباً قبل الزوال، ويشكّ في بقاءه، فيحكم ببقاء الوجوب لأصل الجلوس بالاستصحاب، ويعارض باستصحاب عدم وجوب الجلوس المقيّد بما بعد الزوال<sup>(٢)</sup>. انتهى.

أقول: وفيما ذكره رحمه الله إشكال: هو أنّه إن أراد بقوله - إنّ نسبة الوجوب إلى الموضوع مهملة - أنّ الموضوع هو طبيعة الجلوس وإن كان الحكم متعلّقاً بالمقيّد فهو كما ترى خلاف المفروض.

وإن أراد من المهملة ما لا تنطبق إلّا على المقيّد، فهو صحيح، لكن لا مجال حينئذٍ لاستصحاب وجوب الجلوس، فيصير استصحاب العدم بلا معارض.

لكن ما أفاده الشيخ الأعظم رحمه الله أيضاً لا يخلو عن الإشكال؛ لأنّه لو فرض جريان استصحاب الوجوب فلا بدّ أن يؤخذ الزمان بنحو الظرفيّة لدى الشارع، فلنا أن نستصحب عدم وجوب الجلوس المقيّد بما بعد الزوال بنحو التقييد؛ لأنّه تحت

١ - فرائد الأصول: ٣٧٧ سطر ١.

٢ - درر الفوائد: ٥٤٢.

الاختيار، وهو مسبوق بالعدم، فيعارض الأول.  
وأما ما ذكره ص : من أنّ وجوب الجلوس فيما بعد الزوال مهمل ... إلى آخره،  
ففيه: إن أراد به الحكومة - أي حكومة استصحاب الوجوب على استصحاب العدم -  
فسيجيء ما فيه.

وإن أراد أنّه مع جريان استصحاب الوجوب لا مجال لاستصحاب العدم،  
فجزّد جريانه لا يوجب عدم جريان الثاني.

وقال المحقّق الخراساني ص في الجواب عن إشكال المعارضة : إنّ لا يمكن  
شمول أخبار الاستصحاب لهذين؛ لكمال المنافرة بين فرض الطبيعة بلا قيد وأخذ  
الزمان ظرفاً، وبين فرضها مقيّدة بالزمان، وليس في أخبار الباب ما يفهمه يشمل  
كلا النظريين، فلا يكون هناك إلّا استصحاب واحد، وهو استصحاب الوجوب لو أخذ  
الزمان ظرفاً، واستصحاب العدم فيما لو أخذ قيداً<sup>(١)</sup>.

أقول : ليت شعري<sup>(٢)</sup> إذا لم يكن في أخبار الباب ما يشمل النظريين لتنافيها،  
فكيف يقول: بأنّه ليس هنا إلّا استصحاب واحد إمّا هذا أو ذاك، فلا بدّ أن تشمل  
اللاحظين؟! كي يقال المراد منها إمّا هذا أو ذاك.

والحلّ : هو أنّه لا بدّ من ملاحظة الأخبار ومدلولها ومفادها فنقول: قوله ص :  
(لاتنقض اليقين بالشك)<sup>(٣)</sup> إمّا مطلق ، أو عامّ.

١ - كفاية الأصول : ٤٦٦ .

٢ - من المعلوم أنّ مراده ص عدم إمكان اجتماع كلا النظريين معاً بل في مقام إنشاء الحكم لا بد  
أن يكون الملحوظ أحدهما فلا يمكن شموله للاستصحابين المذكورين بل أحدهما فيرتفع  
التعارض. المقرّر حفظه الله.

٣ - الكافي ٣ : ٣٥١ / ٣، وسائل الشيعة ٥ : ٣٢١، كتاب الصلاة، أبواب الخلل الواقع في  
الصلاة، الباب ١٠، الحديث ٣.

فعلى الأول : فعنى المطلق هو أن الموضوع نفس الطبيعة المطلقة، فعناء لا تنقض طبيعة اليقين بطبيعة الشك من دون لحاظ الخصوصيات الواقعية، لكنها تنطبق على الموضوعات والخصوصيات قهراً من دون لحاظها في المطلق، فإن المطلق لا يجكي إلا عن نفس الطبيعة وحينئذ فيشمل إطلاق قوله عليه السلام : (لا تنقض) استصحاب وجوب الجلوس قبل الزوال؛ لأن فيه يقين سابق وشك لاحق وكذلك استصحاب عدم وجوب الجلوس؛ لأنه أيضاً ذو شك ويقين سابق، ولا يستلزم الجمع بين لحاظين متنافيين. بل هو قهري الانطباق على الاستصحابين.

والحاصل : أن الملاحظ في قوله عليه السلام : (لا تنقض) عدم نقض طبيعة اليقين بطبيعة الشك، ولم يلاحظ فيه الخصوصيات الواقعية، فقد يكون المتيقن وجودياً وقد يكون عديمياً.

وإن كان قوله عليه السلام : (لا تنقض) عاماً كلياً فالأمر فيه أيضاً كذلك؛ لأن لفظ «كل» ليس لتكثير ما هو في تلوه ومدخوله مع جميع الخصوصيات، بل هو لتكثير مدخوله بعنوان نفسه، مثل «كل عالم»، فإنه لتكثير العالم بعنوانه من دون لحاظ الخصوصيات الخارجية، وعليه ففاد (لا تنقض) حرمة نقض كل واحد من أفراد اليقين بالشك بما أتمها يقين وشك، وهو شامل للوجوديات والعدميات بدون استلزامه المحذور الذي ذكره عليه السلام<sup>(١)</sup>.

ثم إنه ذكر شيخنا الحائري رحمه الله في بحثه : أن استصحاب وجوب الجلوس في المثال حاكم على استصحاب عدمه بعد الزوال؛ لأن الشك في وجوب الجلوس وعدمه بعد الزوال، مسبب عن الشك في بقاء الوجوب الثابت قبل الزوال فيما بعد الزوال، فباستصحاب وجوبه يرتفع الشك في وجوبه بعده.

١ - وهذا البيان وإن يدفع إشكال الجمع بين اللحاظين في مقام إنشاء حرمة نقض اليقين بالشك

لكن لا يرتفع به إشكال الفاضل التراقي رحمه الله. [المقرر حفظه الله].

وأما استصحاب عدم وجوب الجلوس فهو وإن يرفع الشك، لكنه محكوم باستصحاب وجوبه بعد الزوال<sup>(١)</sup>.

أقول : يرد عليه :

أولاً : أننا لا نسلّم أنّ الشكّ في وجوب الجلوس بعد الزوال وعدمه مسبّب عن الشكّ في بقاء الوجوب الثابت قبل الزوال ، بل هو ناشئ عن أحد أمرين :  
إما عن الشكّ في جعل الشارع له ابتداءً ، وأنّه جعل الوجوب لخصوص الجلوس قبل الزوال بنحو التقييد ، أو أنّه جعل الوجوب يوم الجمعة بنحو الإطلاق الشامل لما بعد الزوال أيضاً ، فإنّ الاستصحاب ليس مشرّعاً ، بل هو حكم بإبقاء ما جعله الشارع.

وإما عن احتمال جعل آخر لوجوبه بعد الزوال ، وأنّ هناك جعلين لوجوب الجلوس : تعلّق أحدهما بالوجوب قبل الزوال ، والآخر لما بعد الزوال .  
وثانياً : سلّمنا لكن استصحاب وجوب الجلوس المطلق لا يثبت وجوبه المقيّد بما بعد الزوال ؛ لعدم الملازمة بين وجوب الجلوس المطلق وبينه مقيّداً بما بعد الزوال أصلاً ، فهو أسوأ حالاً من الأصول المثبتة .

وقال الميرزا النائيني رحمته في الجواب عن إشكال المعارضة ما حاصله : إنّه لا مجال لاستصحاب عدم الأزلي في المقام ولو مع جعل الزمان قيداً لا ظرفاً ، وذلك فإنّ عدم الأزلي ؛ عبارة عن عدم المطلق ، وهو ينتقض بالوجود ، فإذا فرض أنّ عدمه الثاني غير عدم الأوّل ، فإنّه عدم مقيّد ، والأوّل عدم مطلق ، ولا تحقّق لهذا عدم المقيّد قبل تحقّق القيد ، كما أنّ الوجود المقيّد لا تحقّق له قبل وجود القيد ، وحينئذٍ فإنّ أريد هنا استصحاب عدم المطلق فهو منتقض بالوجود لا يصحّ استصحابه .

وإن أُريد استصحاب عدم المقيّد بما بعد الزوال فلا حالة سابقة له إلا إذا آن وقت الزوال، وكان عدم وجوب الجلوس المقيّد بما بعد الزوال متحقّقاً.  
نعم جعل الوجوب وإنشاؤه إنما يكون أزليّاً كعدم الجعل والإنشاء، فإنّ إنشاء الأحكام الشرعيّة أزليّ، فيجري استصحاب عدم جعل الوجوب بعد الزوال؛ لكونه مسبوقاً بعدم.

ولعلّ هذا مراد الشيخ رحمته من استصحاب عدم الأزلي على فرض القيدية.  
لكن قد تقدّم في مباحث الأقلّ والأكثر: أنّ استصحاب عدم الجعل لا يثبت عدم المجعول.

مضافاً إلى أنّ البراءة الأصليّة - المعبر عنها باستصحاب حال العقل - لا تجري مطلقاً؛ لأنّ عدم الأزلي ليس إلا عبارة عن اللاحكيّة واللاحرجيّة، وهذا المعنى بعد وجود المكلف واجتماع شرائط التكليف فيه، قد انتقض قطعاً ولو إلى الإباحة، فإنّ اللاحرجيّة في الإباحة بعد اجتماع شرائط التكليف غير اللاحرجيّة قبل وجود المكلف؛ إذ الأولى تستند إلى الشارع والثانية لا تستند إليه<sup>(١)</sup>. انتهى حاصله.

وفي كلامه رحمته مواقع للنظر والإشكال :

الأول : فلاّنه وقع الخلط في كلامه رحمته الناشئ من عدم مراعاة القيود؛ لأنّه ليس مراد الفاضل النراقي أنّ عدم - في عدم وجوب الجلوس - مقيّد بما بعد الزوال، بل القيد إمّا للوجوب أو للجلوس - وبعبارة أخرى : إمّا هو قيد للهيئة أو للمادة - فإن كان قيداً للجلوس فعدمه مطلق لا مقيّد، فإنّ عدم المطلق قد يضاف إلى المقيّد، فيقال: وجوب الجلوس بعد الزوال «ليس»، فليس مراد الفاضل النراقي أنّ عدم مقيّد، بل المقيّد هو الوجوب المسلوب، أو الجلوس المتعلّق له، وحينئذٍ فهذا عدم

مطلق أزيّ يمكن استصحابه ، ولم ينتقض هذا العدم؛ لأن وجوب الجلوس قبل الزوال إنما نقض عدم وجوب طبيعة الجلوس؛ وعدم وجوب الجلوس قبل الزوال، لا عدم وجوب الجلوس المقيّد بما بعد الزوال، فنشأ الاشتباه إرجاع القيد إلى العدم، مع أنّه قد لم يُرد ذلك.

وحينئذٍ فهذا العدم المطلق لوجوب الجلوس بعد الزوال أزيّ فيستصحب، وليس هذا الاستصحاب مثبّثاً أيضاً؛ لترتب الأثر على العدم المحمولي المستصحب، نظير استصحاب عدم وجوب صلاة الجمعة.

الثاني : ما ذكره : - من أن استصحاب عدم الجعل لا يثبت عدم المحمول - صحيح، لكن لو كان عدم الجعل المطلق غير عدم جعل المقيّد، لزم تغاير الوجوب المحمول المتعلّق بالأوّل مع المحمول للمقيّد - أي الثاني - وحينئذٍ فالجعل المتعلّق بالمطلق غير الجعل المتعلّق بالمقيّد، فوجوب الجلوس المطلق غير وجوب الجلوس المقيّد بما بعد الزوال، ومع تغايرهما كيف ينتقض هذا بذلك، كما ذكره أولاً؟!

الثالث : ما ذكره : من عدم جريان استصحاب اللاّحرجيّة؛ لانتقاضها بعد وجود المكلف... إلى آخره.

فيه : أنّه إن أراد أنّها منتقضة بالعلم بالخرجيّة، فهو ممنوع.

وإن أراد أن عدم الحكم تبدّل إلى حكم آخر يحتمل كونه حرجياً وحرمة، كما يحتمل أيضاً غيره، فلا مانع حينئذٍ من استصحاب عدم الوجوب مع ترتّب الأثر الشرعي عليه، وحينئذٍ تتبدّل اللاّحكميّة إلى الحكم، لا اللاّحرجيّة إلى الحرجيّة، فلأمانع من استصحاب عدم الوجوب أو الحرمة.

وأما ما هو المعروف بينهم من : «أنّه ما من واقعة إلّا وقد جعل الشارع لها



حكماً من الأحكام الخمسة»<sup>(١)</sup> فهو غير ثابت؛ لأنّ الموضوعات مختلفة؛ ففي بعضها اقتضاء الوجوب، وفي بعضها اقتضاء الحرمة، وفي بعضها اقتضاء لرجحان الفعل لا مع المنع من الترك، وفي بعضها اقتضاء الترك - أي رجحانه - لا على حدّ الإلزام، وفي بعضها اقتضاء الإباحة المتساوية الطرفين من المصالح والمفاسد، وهي الإباحة الاقتضائية التي اقتضتها المصلحة، ولا يلزم وجود المصلحة في الموضوع؛ ليرد عليه أنّه لا يمكن اجتماع مقتضى الوجود والعدم في شيء واحد بل يمكن أن تكون المصلحة خارجة عنه سياسيّة كالمصلحة السياسيّة في نجاسة الكفّار.

لكن من الموضوعات ما لا اقتضاء فيه أصلاً حتى الإباحة، وهي الإباحة المسمّاة بالإباحة اللاقتضائية، ومعناها عدم الحكم له، وحينئذٍ فكلّ مورد لم يعلم فيه بتبدّل العدم الأزلي واللاحرجيّة إلى الحرجيّة، فإنّه لامانع من استصحاب هذا العدم.

١ - كفاية الأصول : ١٦٤، تعلية المحقّق القوجاني على الكفاية : ١١٦ الرقم ٢٣٤.



## التنبيه الخامس

### الاستصحاب التعليقي

اختلفوا في جريان الاستصحاب التعليقي مطلقاً، أو عدمه مطلقاً، أو التفصيل بين التعليق في الأحكام وبينه في الموضوعات، أو التفصيل بين التعليق الشرعي وبين العقلي على أقوال.

توضيح الكلام على وجه يتضح ماهو الحق في المقام يتوقف على تقديم أمور:  
الأمر الأول: لابد من بيان محط البحث والكلام: وما يناسب المقام من الإشكال، وهو أن تعليق الحكم أو الموضوع هل يمنع عن جريان الاستصحاب أو لا؟  
وأما إشكال عدم بقاء الموضوع هنا؛ لأن الزيبب غير العنب في المثال المعروف، مع اعتباره في الاستصحاب<sup>(١)</sup>، فهو خارج عن محط البحث هنا؛ لعدم اختصاصه بالاستصحاب التعليقي، وكذلك ما صنعه الشيخ الأعظم رحمته: من إرجاع الاستصحاب التعليقي إلى الاستصحاب التنجيزي، وهو استصحاب سببية الغليان للنجاسة والحرمة<sup>(٢)</sup>، فإنه خروج عن محل الكلام هنا؛ لأن الكلام هنا في صحة الاستصحاب

---

١ - المناهل : ٦٥٢ سطر ٣٦ .

٢ - فرائد الأصول : ٣٨٠ سطر ١٥ .

التعليقي لا التنجيزي.

الأمر الثاني : أن في القضايا التعليقية الواردة في الشرع المقدس - مثل : (إذا بلغ الماء قدر كُرْ لا ينجسه شيء)<sup>(١)</sup>، أو (أن العنب إذا غلى أو نشَّ يحرم)<sup>(٢)</sup>، ونحو ذلك - احتمالات بحسب مقام الثبوت، مع قطع النظر عن مقام الإثبات والاستظهار من الدليل:

أحدها : أن المجعول هو الحرمة - مثلاً - على تقدير الغليان، فهنا حكم وموضوع وواسطة لثبوت الحكم على ذلك الموضوع.

ثانيها : أن المجعول هو سببية الغليان للحرمة أو الكرية للاعتصام.

ثالثها : أن المجعول هو الملازمة بين غليان العنب والحرمة، لا نفس الحرمة ولا السببية.

رابعها : أن المجعول هو الحرمة على موضوع مركّب من العنب والغليان، فالمراد من قوله : «العنب إذا غلى يحرم» أن المغليّ منه يحرم، أو الماء المتغيّر نجس. هذا بحسب مقام الثبوت.

وأما بحسب مقام الإثبات فلا ريب أن المتبادر من مثل قوله : (العنب إذا غلى يحرم) هو الاحتمال الأول.

الأمر الثالث : التعليق إمّا هو في الحكم وضعياً أو تكليفاً بتعليقه على أمر في لسان الدليل، وإمّا في الموضوع؛ أي تحقّقه في لسان الدليل، وقد لا يكون في لسان الدليل تعليق أصلاً؛ لا في الحكم، ولا في الموضوع، بل جعل الحكم فيه على موضوع مركّب، لكن العقل يحكم بتعليق ثبوت الحكم لأحد جزئيه على تحقّق الجزء الآخر،

١ - وسائل الشيعة ١ : ١١٧، كتاب الطهارة، أبواب الماء المطلق، الباب ٩.

٢ - الكافي ٦ : ٤١٩ / ٤، ووسائل الشيعة ١٧ : ٢٢٩، كتاب الأطعمة والأشربة، أبواب الأشربة

المحرمة، الباب ٣، الحديث ٤.

كما لو قال: «أكرم الرجل العالم»، فإنَّ العقل يحكم بوجوب إكرام هذا لو كان عالماً.  
 الأمر الرابع: لابدّ من ملاحظة قوله: (لاتنقض اليقين بالشكّ) في مقدار شموله  
 للموارد والموضوعات، لا ملاحظة الموضوعات الخارجية التي تنطبق تلك القضية  
 عليها فنقول: الظاهر من اليقين والشكّ اللذين تعلّق بهما حرمة النقض في تلك  
 القضية هما الفعليتان، كما أنّ جميع العناوين المتعلقة للأحكام كذلك، فكلّ مورد يكون  
 اليقين والشكّ فيه فعليّين، وترتب أثر شرعيّ على المستصحب الذي تعلّق به اليقين  
 السابق والشكّ اللاحق، لا مانع من جريان الاستصحاب فيه وإن لم يكن المتيقّن  
 فعليّاً؛ ضرورة أنّ المناط هو فعلية نفس اليقين والشكّ، وإلّا فالمتيقّن: إمّا أمر وجوديّ  
 أو عدميّ، وإمّا حكم تنجيزيّ، أو تعليليّ.

### تحقيق المقام

إذا تمّهت هذه المقدمات فنقول لو حكم على شيء بحكم، وعُلّق الحكم على  
 شيء آخر، ثمّ عرض لهذا الشيء حالة - قبل تحقّق ذلك الأمر المعلق عليه - فشكّ  
 معها في ثبوت ذلك الحكم بعد تحقّق المعلق عليه، مثل المثال المعروف، وهو تعليل  
 الحكم بجرمة العصير العنبي على تقدير الغليان، فإنّه لو تغيّر حاله، مثل أنّه تبدّل لونه  
 إلى لون آخر مع كونه عنباً، فشكّ في ثبوت الحرمة على تقدير غليانه أيضاً، لاحتمال  
 اختصاصه بالحالة الأولى، فهل يمنع مجرّد التعليق عن جريان الاستصحاب، أو لا؟  
 الحقّ: أنّه لا يمنع عن جريانه؛ لتحقّق أركانه من اليقين الفعلي بهذا الحكم  
 التعليقي سابقاً قبل عروض تلك الحالة، والشكّ الفعلي في بقائه بعد عروضها؛ لاحتمال  
 تغيير حكمه بتبدّل الحالات مع حفظ بقاء الموضوع، والمستصحب أيضاً من الأمور  
 الشرعيّة، فلا مانع من جريان الاستصحاب فيه، والحكم المذكور وإن لم يكن فعليّاً،  
 لكن قد عرفت عدم اعتبار فعلية المتيقّن، فلا فرق بينه وبين استصحاب الحكم

التنجيزي أصلاً.

ومن هنا يظهر الإشكال على من منع من جريان هذا الاستصحاب ؛ لعدم اليقين السابق بالحكم حتى يستصحب؛ لأنه إن أراد أن الحكم التعليقي وجوده كالعدم؛ ليس شيئاً حتى يستصحب، فلا أظن أن يلتزم به.

وإن أراد أنه وإن كان أمراً محققاً، لكنه ليس حكماً فعلياً، فقد عرفت أن الاعتبار في الاستصحاب هو فعلية اليقين والشك - وإن كان اليقين طريقيّاً - لا فعلية المتيقن، فإن المراد استصحاب الحكم المعلق على نحو وجوده السابق، وهو على يقين فعليّ بالحكم المعلق.

وإن أراد أنه لا يترتب عليه أثر شرعيّ فالمفروض ترتبه، فإنه بعد تحقق المعلق عليه يصير حكماً منجزاً.

### كلام بعض الأعظم وما يرد عليه

ثم إنه منع بعض الأعظم - الميرزا النائيني رحمته - عن جريان استصحاب الحكم التعليقي، وأطال الكلام فيه، والمربوط بالمقام منه هو أنه قوله قال - بعد تقسيم الحكم إلى الكلّي والجزئيّ وبيان الفرق بينهما وتقسيم استصحاب الكلّي إلى أقسام ثلاثة - ما حاصله: إنه لو شك في بقاء الحكم الكلّي، المترتب على موضوع مركّب من جزءين؛ عند فرض وجود أحد جزءيه، وتبدّل بعض حالاته قبل فرض وجود الجزء الآخر. وبعبارة أوضح: نعي بالاستصحاب التعليقي الحكم الثابت على الموضوع بشرط ما يلحقه من التقادير، فيستصحب الحكم بعد فرض وجود المشروط وتبدّل بعض حالاته قبل وجود الشرط، كمثال حرمة العنب المعروف.

وفي جريان استصحاب الحكم فيه وعدمه قولان؛ أقواهما عدم الجريان؛ لأن الحكم المترتب على الموضوع المركّب إنما يكون وجوده وتقرّره بوجود الموضوع بما له

من الأجزاء والشرائط؛ لأنَّ نسبة الموضوع إلى الحكم نسبة العلة إلى المعلول، ولا يعقل تقدّم الحكم على موضوعه، والموضوع للنجاسة والحرمة في مثال العنب مركّب من جزئين: العنب والغليان؛ من غير فرق بين أخذ الغليان وصفاً للعنب، كقوله: «العنب المغليّ يجرم»، أو أخذه شرطاً له كقوله: (العنب إذا غلى يجرم)؛ لأنَّ الشرط يرجع إلى الموضوع، وهو من قيوده لا محالة، فقبل فرض غليان العنب لا يمكن فرض وجود الحكم، ومع عدم فرض وجود الحكم لا معنى لاستصحابه، فإنَّ وجود أحد جزئي المركّب كعدمه لا يترتب عليه الأثر الشرعي ما لم ينضمَّ إليه الجزء الآخر.

نعم الأثر المترتب على أحد جزئي المركّب هو أنّه لو انضمَّ إليه الجزء الآخر، ترتّب عليه الأثر الشرعي، وهذا المعنى - مع أنّه عقليّ - مقطوع البقاء في كلّ مركّب وجد أحد جزئيه، ولا شكّ فيه حتّى يستصحب.

ثمّ أورد على نفسه: بأنَّ الحرمة والنجاسة قبل تحقّق الغليان وإن لم يكونا فعليّين، لكن التقديرية منهما متحقّقان؛ لأنّه يصدق على العنب - عند وجوده وقبل غليانه - أنّه حرام ونجس على تقدير الغليان، فبعد صيرورة العنب زيبياً يشكّ في بقاء النجاسة والحرمة التقديريتين فيستصحب.

وأجاب عنه: بأنّ ذلك واضح الفساد؛ لأنّه لا معنى لاستصحاب الحرمة التقديرية؛ إذ ليست الحرمة الفرضية في العنب الغير المغليّ، إلّا عبارة عن أنّ العنب لو انضمَّ إليه الغليان لترتّب عليه الحرمة، وهذه القضية التعليقية - مضافاً إلى أنّها عقلية؛ لأنّها لازم جعل الحكم على الموضوع المركّب الذي وجد أحد جزئيه - مقطوعة البقاء لا معنى لاستصحابها، كما تقدّم<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: يرد عليه أولاً: أنّ المفروض في المقام هو صدور الحكم من الشارع

معلقاً، فلا وجه لإرجاعه إلى جعل الحكم على موضوع مركّب حتى يقال: إنّ استصحابه مع فرض أحد جزئيه مثبت؛ لأنّ التعليقيّة عقليّة، فما ذكره: من أنّ القيود والشروط ترجع إلى الموضوع، لا يصحّ عند العرف؛ للفرق عندهم بين قوله: «العنب المعليّ يحرم» وبين قوله: «العنب إذا غلى يحرم»، فإنّ الموضوع في الأوّل مركّب، بخلاف الثاني، فإنّ الموضوع فيه هو العنب، والغليان قيد للحكم، نعم ما ذكره صحيح بحسب الدقائق العقلية الدقيقة، لا بحسب الانفهمات العرفيّة.

والحاصل: أنّ المفروض في المقام أنّ الحكم معلق في لسان الشرع والدليل، لا أنّه مجعول على موضوع مركّب ينتزع العقل منه التعليقيّة عند وجود جزئيه، فلا إشكال في استصحابه.

واتّضح بذلك فساد ما ذكره أيضاً: من أنّ الحكم قبل فرض وجود الجزء الآخر غير مفروض الوجود حتى يستصحب، فإنّه وَيُزَيَّبُ إن أراد عدم الحكم الفعلي قبل وجود الغليان فهو مسلم، لكن ليس المراد استصحابه. وإن أراد أنّه معدوم مطلقاً فهو ممنوع، بل هو بنحو التعليق متحقّق، فيستصحب.

وثانياً: ما ذكره من أنّه بعد تحقّق الجزء الآخر يقطع بالحكم، فهذه القضية التعليقيّة - أي الحرمة على تقدير الغليان - لاشكّ فيها حتى تستصحب، فهو من الأعاجيب؛ وذلك لأنّ المفروض أنّه تبدّل بعض حالات الموضوع التي احتمل تغيير الحكم باختلافها، وإلاّ فع بقاء العنب على حاله الأوّل، ولم يعرض عليه ما يوجب الشكّ، فهو خارج عن مورد الكلام، بل المفروض أنّه صار زيبياً، فصار ذلك سبباً للشكّ في بقاء الحكم المعلق عليه قبل طرؤ الحالة الزبيبيّة.

وليعلم أنّ هذا الاستصحاب في مثال العنب استصحاب للحكم الجزئي بعد وجود العنب في الخارج لا الكلي، كما يظهر من كلامه وَيُزَيَّبُ. نعم يمكن فرضه في الحكم



الكلّي أيضاً.

بقي الكلام فيما أجاب به الشيخ الأعظم رحمته ثانياً عن الإشكال في الاستصحاب التعليقي، فإنه رحمته - بعد إيراد ما ذكرناه من التقرير لجريان هذا الاستصحاب دفعاً للإشكال فيه - ذكر: أنه يمكن استصحاب الملازمة الثابتة بين الحرمة والغليان أو سببية الغليان للحرمة، فإنها فعلية متحققة قبل وجود الملازم والسبب أيضاً؛ لأنّ صدق الشرطية لا يتوقف على وجود الشرط، فباستصحاب الملازمة أو السببية يترتب الملزوم الآخر أو المسبب؛ أي الحرمة<sup>(١)</sup>.

هذا، ولا يخفى ما فيه؛ وذلك لأنه لا يخلو: إمّا أن يكون المجعول في المثال هي الحرمة والنجاسة عقيب الغليان، أو أنّ المجعول هو سببية الغليان لها ابتداءً، أو بتبع جعل الحكم:

فعلى الأوّل صحّ استصحاب الحكم التعليقي كما ذكرناه، وبعد تحقّق الغليان يصير فعلياً، لكن مرجع ذلك إلى إنكار جعل السببية والملازمة فلا وجه لاستصحابها.

وعلى الثاني: أي بناء على جعل الملازمة بين الغليان والحرمة، أو سببية الغليان لها، فاستصحاب الملازمة لا يثبت وجود الملازم الآخر؛ أي الحرمة، فإنه حكم عقليّ، وكذلك استصحاب السببية وإن كانت شرعية لا يترتب عليها وجود المسبب<sup>(٢)</sup>؛ لأنه عقليّ، كما تقدّم.

والحاصل: أنّ الأمر دائر بين القول بجعل المسبب عقيب السبب، وإنكار جعل

١ - فرائد الأصول : ٣٨٠ سطر ١٥ .

٢ - لا يخفى أنّ المستصحب الشرعي يترتب عليه جميع الآثار شرعية كانت أم عقلية أم عادية، كاستصحاب الوجوب والحرمة، فإنه يترتب عليها جميع الآثار حتّى الغير الشرعية، نعم الاستصحابات الموضوعية كذلك. [المقرّر حفظه الله].

السببية المستلزم لمخالفة الظاهر في كثير من الموارد الفقهيّة، كالضمانات والقصاص ونحوهما، وبين القول بجعل السببية: فعلى الأوّل لا معنى ولا مجال لاستصحاب السببية، وعلى الثاني يكون الاستصحاب مُثَبِّتاً.

نعم لو كان لنفس الملازمة والسببية أثر شرعيّ ترتّب عليها بالاستصحاب، لكن المراد إثبات المسبّب والملازم الآخر عليه.

ثمّ إنّهُ أورد الميرزا النائينيّ رحمته على ما أفاده الشيخ رحمته من استصحاب الملازمة والسببية بوجهين:

الأوّل: قال: والعجب من الشيخ رحمته؛ حيث إنّهُ شدّد النكير على من قال بجعل السببية والملازمة، ومع ذلك ذهب إلى جريان استصحابها في المقام.

الثاني: أنّ الملازمة على تقدير تسليم كونها من المجعولات الشرعيّة، إنّما هي مجعولة بين تمام الموضوع والحكم؛ بمعنى أنّ الشارع جعل الملازمة بين العنب المغليّ وبين نجاسته وحرمته، والشكّ في بقاء الملازمة بين تمام الموضوع والحكم لا يعقل إلّا بالشكّ في نسخ الملازمة، فيرجع إلى استصحاب عدم التّسخ، ولا إشكال فيه، وهو غير الاستصحاب التعليقي<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: مع قطع النظر عمّا ذكرناه سابقاً - من عدم المانع والإشكال على القول بجعل السببية والإغماض عنه - لا دليل على أنّ المستصحب: لا بدّ إمّا أن يكون من الأحكام الشرعيّة، أو من الموضوعات الخارجيّة التي ترتّب عليها الآثار الشرعيّة، بل المعتبر أن لا يكون الاستصحاب لغواً لا يترتّب عليه أثر، وحينئذٍ فلو شكّ في أنّ الملازمة الأزليّة المنزعة من الجعل الشرعي - بناءً على ما ذكره - هل هي باقية بعد عروض حالة الزيبيّة أو لا؛ لأجل الشكّ في أنّ وصف العنبيّة واسطة في عروض

الحكم أو ثبوته، فلا مانع من استصحابها؟

وبعبارة أخرى؛ لو شك في أنه هل جعل الحرمة للعنب بنحو يدور مدار وصف العنبيّة وجوداً وعدمًا أو لا؟ فكما يصحّ استصحاب هذا الحكم يصحّ استصحاب الملازمة، فإنّها وإن لم تكن مجعولة بالذات؛ بناء على ما ذكره، لكنّها مجعولة بالعرض، فمجرد عدم مجعوليّتها بالذات لا يمنع عن جريان الاستصحاب فيها، لكن لا يترتب على استصحابها وجود الملازم الآخر، كما هو المقصود؛ لما عرفت من أنّه ترتّب عقليّ لا شرعيّ.

فما أورده عليه أولاً غير وارد عليه.

وأما ما أورده عليه ثانياً فهو من الأعاجيب منه عليه السلام، فإنّ الشكّ ليس في بقاء الملازمة مع بقاء العنب بحاله كما كان، بل الشكّ إنّما هو بعد عروض حالة الزبيبيّة في بقاء الملازمة، فإنّ ماهو المتيقّن هو ثبوت الملازمة بين العنب المغلي والحرمة، لا بين الزبيب المغلي والحرمة.

هذا كلّه إذا كان التعليق شرعيّاً مأخوذاً من لسان الدليل.

وأما لو كان عقليّاً، كما لو جعل الحكم في لسان الدليل متعلّقاً على موضوع مركّب من جزءين، فإنّ العقل بعد وجود أحد جزئيه يحكم بتحقيق الحكم على تقدير وجود الجزء الآخر، فالظاهر أنّ الاستصحاب فيه - كما ذكره الميرزا النائيني عليه السلام - غير مفيد؛ سواء كان التعليق في الحكم أم في الموضوع، فإنّ استصحاب هذا الحكم التعليقي - لتحقيقه سابقاً - عند عدم عروض الحالة، لا يثبت الحرمة بعد تحقّق الغليان إلاّ على القول باعتبار الأصل المثبت؛ لأنّ نفس المستصحب ليس شرعيّاً، بل المفروض أنّه حكم عقليّ تعليقيّ، فلا تثبت به الحرمة العقليّة بعد تحقّق الغليان،

وكذلك التعليق في الموضوع لو كان عقلياً، كما لو قال الشارع: «إذا غُسل النجس بالكرّ يطهر» فإذا وجد ماء أقلّ من الكرّ بصاع - مثلاً - فالعقل يحكم بأنه لو صبّ عليه صاع صار كرّاً، فإذا عرضت عليه حالة شكّ معها في بقاء هذا الحكم التعليقي العقلي، فلا يترتب على استصحابه طهارة ما غُسل فيه بعد صبّ هذا المقدار عليه، فإنه ترتّب عقليّ على الكرّ، وحينئذٍ ففرق بين التعليقات الشرعية وبين العقلية، وجريان الاستصحاب في الأولى دون الثانية.

### تذنيب: في معارضة الاستصحاب التعليقي مع التنجيزي

أورد على الاستصحابات التعليقية: بأنه لا يترتب عليها أثر عمليّ لابتلائها دائماً باستصحاب الخلاف، كاستصحاب الحليّة في مثال العنب المعارض بعد الجفاف لاستصحاب الحرمة التعليقية، فيتساقطان، فيرجع إلى العمومات الدالة على حليّة الأشياء وطهارتها.

وأجاب الشيخ الأعظم رحمته عن الإشكال بنحو الإجمال بحكومة استصحاب الحرمة التعليقية على استصحاب الحليّة<sup>(١)</sup>، ولم يبيّن وجهها.

وقال صاحب الكفاية في «الحاشية على الفرائد» ما حاصله: إنه قد يقال: الإباحة بعد الغليان وعدمها ليسا من آثار الحرمة على تقديره وعدمها بدونه؛ كي يكون الشكّ فيها ناشئاً من الشكّ فيها، وبدونه لا يكاد يكون بينها حكومة أصلاً، بل يكونان على تقديره متضادين وإن لم يكن بينهما تضادّ بدونه.

وأجاب عنه: بأن الإباحة وإن لم تكن من آثار عدم حرمة العصير بعد غليانه، إلا أنّها من آثار عدم حرمة قبله المعلّقة عليه؛ ضرورة توقّف إباحته على عدم

حرمة كذلك قبله، فيكون الشك في الإباحة بعده ناشئاً من الشك في حرمة قبله، المحكومة بالبقاء بالاستصحاب المستلزمة للحكم بعدم الإباحة بعده<sup>(١)</sup>.  
فإن قلت : نعم لكن هذا الاستلزام والتوقف عقلي لا شرعي، ولا حكومة ما لم يكن المرتب الشرعي في البين.

قلت : نعم، لو لم يكن الطرف الحقيقي للتوقف العقلي أعم من الواقعي المستصحب، والظاهري الناشئ من الاستصحاب - كما في المقام - فالحرمة الفعلية بعد الغليان من آثار الحرمة التعليقية قبل الغليان، فالشك في الإباحة بعده ناشئ من الشك في ثبوت هذه الحرمة التعليقية قبله، فلا مجال لاستصحاب الإباحة مع استصحابها.  
وقال في «الكفاية» في صدر كلامه ما حاصله: كما أنه ليس بين الحلية المُنَيّة بالغليان وبين الحرمة المعلقة عليه منافاة قبل عروض الحالة الزبينية، بل يمكن حصول القطع بهما، كذلك لا منافاة بين استصحابيهما، وقضية هذين الاستصحابين هو الحكم بالحرمة الفعلية بعد الغليان<sup>(٢)</sup>. انتهى.

وهو يُدْرِكُ لم يصرّح هنا بالحكومة، لكن مراده ذلك، كما صرّح بذلك في «الحاشية على الفرائد»؛ أي حكومة استصحاب الحرمة التعليقية على استصحاب الحلية المطلقة بعد الغليان لأجل المدافعة بينها؛ لأنّ تلك المدافعة لازم للأعم من الحرمة التعليقية الواقعية والظاهرية بالاستصحاب.

وكيف كان، ما ذكره يُدْرِكُ لا يصحّ الحكومة؛ لأنّه يعتبر فيها مسببة الشك في المحكوم عن الشك في الحاكم ورفع استصحاب الحاكم الشك في المحكوم فالاستصحاب السببي في الاستصحابات الموضوعية حاكم على الاستصحاب في الشك السببي ورافع للشك فيه ومنقح لموضوع الأدلة الاجتهادية، والأدلة الاجتهادية حاکمة على

١ - حاشية فرائد الأصول، المحقق الخراساني : ٢٠٨ سطر ٢٠.

٢ - كفاية الأصول : ٤٦٨ - ٤٦٩.

الاستصحابات الحكمية، ورافعة للشك عنها، مثل استصحاب الكُرَيَّة المنقَّح لموضوع قوله: «الكُرَّ مطهر» الدالّ على طهارة الثوب النجس المغسول به، والرافع للشك في نجاسته، وأمّا فيما نحن فيه فلازم استصحاب الحرمة التعليقية قبل الغليان وإن كان هي الحرمة الفعلية بعده وعدم حلّيته، لكنّه لا يرفع الشك في الحلّية وعدمها، وحينئذٍ فلاحد أن يدّعي جريان استصحاب الحلّية المطلقة، ويلزمه عدم الحرمة الفعلية بعد الغليان، فإنّها وإن كانت بحكم العقل، لكنّها لازم للأعمّ من الحلّية الواقعية والظاهرية بالاستصحاب؛ لمكان المضادة بينهما، فما ذكره من حكومة استصحاب الحرمة التعليقية على استصحاب الحلّية المطلقة بعد الغليان يمكن دعوى عكسه.

وأما ما أفاده في «الكفاية»: من جريان استصحاب الحلّية المُغيّاة بالغليان، وعدم منافاتها لاستصحاب الحرمة المعلّقة عليه.

ففيه: أنّه إن أراد استصحابها قبل الغليان يرد عليه: أنّ الحلّية قبله مقطوع بها، لا تفتقر إلى الاستصحاب.

وإن أراد استصحابها لإثباتها بعد الغليان فهو مثبت؛ لأنّه استصحاب لأحد الضدّين لنفي الضدّ الآخر.

فحاصل الإشكال: أنّه لا يكفي في الحكومة مجرد اللزوم العقلي، بل لابدّ فيها من رفع الدليل الحاكم للشك عن المحكوم، ففي الاستصحابات الموضوعية - كما عرفت - لابدّ أن يرفع الاستصحاب الحاكم للشك في المحكوم كاستصحاب الكُرَيَّة المتقدم ذكره. وأمّا الاستصحابات الحكمية - كما فيها نحن فيه - فلا بدّ في تحقّق الحكومة فيها أن يرفع الاستصحاب الحاكم للشك في المحكوم، ولم يكن مجال لاستصحاب المحكوم مع جريان الاستصحاب الحاكم، وهو يتوقّف على انطباق أدلّة الاستصحاب على استصحاب الحاكم دون المحكوم، ومجرد سببية الشك في أحدهما الآخر، غير كافٍ في الحكومة ما لم يكن أحدهما مُزيلاً ورافعاً للشك في الآخر، وحيث إنّ استصحاب

الحرمة المعلقة لا يزول الشك في الحليّة وعدمها، فلا مجال لدعوى حكومته على استصحاب الحليّة، بل يمكن دعوى العكس، كما تقدّم.

### حكومة الاستصحاب التعليقي على التنجيزي

والتحقيق في الجواب عن الإشكال : أنّه وإن أمكن تعدّد الشك في المقام؛ أي الشك في الحرمة التعليقيّة وعدمها، والشك في الحليّة المطلقة وعدمها، لكن مرجعها إلى شك واحد، وهو أنّ العصير الزبيبي بعد الغليان حلال أو حرام، وحيث إنّ الشك عبارة عن التردد المتقوّم بالطرفين، فإذا تُعبّد بأحد الطرفين فلا محالة يزول الشك والترديد، وحينئذٍ فدلّيل هذا التعبّد حاكم على الآخر، فإذا تعبّدنا باستصحاب الحرمة المعلقة، والحكم بالحرمة الفعلية بعد الغليان، وتعيّن أحد طرفي الشك والترديد، يزول الشك في الحليّة لا محالة، ولا يبقى مجال لاستصحابها، وهو معنى الحكومة.

لا يقال : كما أنّه يزول الشك المزبور باستصحاب الحرمة المعلقة، كذلك يزول باستصحاب الحليّة المطلقة بعد الغليان؛ لتعيّن أحد طرفي التردد والشك تعبّداً وزواله، فلا وجه لجعل استصحاب الحرمة المعلقة حاكماً على استصحاب الحليّة المطلقة، بل يمكن العكس.

لأنّا نقول : إنّ الاستصحاب متقوّم بالشكّ الفعلي في بقاء ما كان سابقاً، وظرف هذا الشكّ في استصحاب الحرمة المعلقة، قبل تحقّق الغليان، وإلاّ فبعد حصوله لا شكّ في بقاء ما كان سابقاً - أي الحرمة المعلقة - بل يكون الشكّ في حرمة الفعلية وظرف الشكّ في حليّة المطلقة إنّما هو بعد تحقّق الغليان، وإلاّ فهي مقطوع بها قبله، لا تفترق إلى الاستصحاب، فقبل حصول الغليان يجري استصحاب الحرمة المعلقة لتحقّق أركانها من البقين السابق بها والشكّ اللاحق الفعلين، ومفاد هذا الاستصحاب حرمة هذا العصير بعد الغليان تعبّداً، والحكم بأنّ هذا حرام، وحينئذٍ يزول الشكّ في الحليّة

والحرمة بذلك الاستصحاب تعبدًا، فلا يبقى مجال لاستصحاب الحليّة المطلقة بعده، لتقومه بالشكّ الفعلي فيها، والمفروض انتفاؤه تعبدًا بجريان استصحاب الحرمة المعلّقة قبل تحقّق الغليان، وهو معنى الحكومة .

وبالجملة : بعد تحقّق الغليان فهو محكوم بالحرمة والنجاسة الفعليتين تعبدًا؛ لأنّه نتيجة استصحاب الحرمة المعلّقة، وحينئذٍ فلا يبقى شكّ في الحليّة حتّى تستصحب.



## التنبيه السادس

### استصحاب أحكام الشرائع السابقة

اختلفوا في جريان استصحاب أحكام الشرائع السابقة وعدمه على قولين، والإشكال فيه من وجهين :  
أحدهما : عدم اتحاد الموضوع المعتبر في الاستصحاب؛ لأنّ الموضوع في القضية المتيقّنة هو الموجودون في ذلك الزمان، وفي المشكوكة الموجودون في هذا الزمان، فاستصحاب أحكامهم إسرء حكم من موضوع إلى موضوع آخر<sup>(١)</sup>.  
وأجيب عنه : بأنّ هذا الإشكال إنّما يتوجّه لو كانت الأحكام مجعولة بنحو القضية الخارجيّة، وليس كذلك، بل هي مجعولة بنحو القضية الحقيقيّة، أو أنّ الحكم مجعول على العناوين الكلّيّة<sup>(٢)</sup>، وحينئذٍ فلا فرق بينها وبين أحكام هذه الشريعة المقدّسة لو احتمل نسخها.

ثانيهما : لأحد أن يقول : لعلّ مراد معاصر الشيخ الأعظم<sup>عليه السلام</sup> إشكال آخر وشبهة أخرى لا تندفع بما ذكر : وهو أنّه لو أخذ الموضوع في الشرائع السابقة عنوان

---

١ - أنظر ما نقله الشيخ عن بعض معاصريه في فرائد الأصول : ٣٨١ سطر ٤ .

٢ - أنظر فرائد الأصول : ٣٨١ سطر ٩ ، فوائد الأصول ٤ : ٤٧٩ .

ولو بنحو القضية الحقيقية، ولم نكن نحن معنوين بهذا العنوان، كعنوان اليهود أو النصارى، مع الشك في بقاء حكمهم بالنسبة إلينا، فاستصحابه إسرائ حكم من موضوع إلى آخر.

لا يقال : هذا مثل عنوان العنبيّة والزبيبيّة؛ يعني من قبيل تبدّل حالات موضوع واحد، فهذا الإشكال يستلزم الإشكال في استصحاب الحرمة التعليقيّة في المثال المعروف.

فإنّه يقال : فرق بينهما؛ حيث إنّ كلّ زبيب مسبوق بالعنبيّة المحكومة بالحكم المذكور، فبعد صيرورته زيباً يشكّ في بقاء الحكم التعليقي، فيستصحب، بخلاف ما نحن فيه، إلّا إذا كان المسلمون مسبوقين بالنصرانيّة - مثلاً - ثمّ أسلموا، لكن ليس كذلك، ولهذا لو وجد زبيب بنحو خلق الساعة غير مسبوق بالعنبيّة لما جرى فيه الاستصحاب المذكور.

وحيث إنّنا لا نعلم كيفيّة تعلّق أحكامهم بالموضوعات، وعدم وصول التوراة والإنجيل الغير المحرّفين إلينا، وعدم بيان ذلك في القرآن المجيد إلّا عدّة محدودة من أحكامهم؛ من دون بيان كيفيّة جعلها عليهم، لا مجال لاستصحابها، فلا يصحّ الاستدلال لضمان ما لم يجب ولجواز الجهالة في مال الجعالة، بقوله تعالى في قصّة يوسف: ﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وبقوله: ﴿خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾<sup>(٢)</sup> على برّ اليمين بضرب المستحقّ مائة ضربة بالضغث، ونحو ذلك.

١ - يوسف (١٢) : ٧٢.

٢ - ص (٣٨) : ٤٤.

## التنبية السابع

### في الأصول المثبتة

اختلفوا في وجه حجّة مثبتات الأمارات دون الأصول ؛ أي لوازمها العقلية والعادية والشرعية ولوازم لوازمها وملزوماتها وملازماتها، فإنّ هذه كلّها مترتبة تثبت بقيام الأمانة، بخلاف الأصول؛ فإنّه لا يترتب عليها إلّا اللّوازم الشرعية بلا واسطة، دون العقلية والعادية كذا والشرعية بواسطة العادية والعقلية وملزوماتها وملازماتها.

فقال الشيخ الأعظم رحمته : إنّ الوجه في ذلك : هو أنّ اللّوازم العقلية والعادية غير قابلة لأن تنالها يد الجعل والتعبّد، والتعبّد بها إنّما يمكن ويصحّ بلحاظ آثارها الشرعية، ونبات اللحية وبياضها ونحوها من الأمور التكوينية ليست كذلك حتى تثبت باستصحاب بقاء زيد<sup>(١)</sup>.

ويظهر من المحقّق الخراساني رحمته في الحاشية على الفرائد: أنّ الوجه في ذلك عدم تمامية الإطلاقات، وأنّ القدر المتيقّن هو جعل الأصول بلحاظ الآثار الشرعية

بلا واسطة<sup>(١)</sup>.

وقال شيخنا الحائري رحمته : إن وجهه انصراف أدلة الأصول إلى ما يترتب عليها الآثار الشرعية بلا واسطة<sup>(٢)</sup>.

وقال الميرزا النائيني رحمته : إن الوجه في ذلك اختلاف المجعول في الأمارات والأصول، وأن المجعول في الأمارات هو الطريقة، فثبتتها حجة، بخلاف الأصول فإن المجعول فيها هو تطبيق العمل على مؤداها<sup>(٣)</sup>.

أقول : هنا مقامات من البحث :

الأول : في بيان الوجه في حجّة مثبتات الأمارات من الملزومات والملازمات واللوازم مطلقاً بلا واسطة أو مع الواسطة.

الثاني : في بيان الوجه في عدم حجّة مثبتات الأصول.

الثالث : في البحث عن الآثار الشرعية المترتبة على الأصول بواسطة أثر شرعي آخر.

### حول مثبتات الأمارات

أمّا الكلام في المقام الأول : فهو أنّه قد تقدّم مراراً أنّ الأمارات كلّها عرفيّة عقلائيّة أمضاها الشارع، ولم يردع عن بنائهم على العمل بها، وليست تأسيسيّة، مثل خبر الواحد، والظواهر، وحجّة قول أهل الخبرة في كلّ فنّ، وأصالة الصحة في أفعال المسلمين، واليد، ونحو ذلك؛ لعدم نهوض دليل من الآيات والروايات على جعل الحجّة في شيء من هذه، فإنّ آية النّبأ تدلّ على الردع عن العمل بخبر الفاسق، أو في

١ - حاشية فرائد الأصول ، المحقّق الخراساني : ٢١٠ - ٢١١ ، كفاية الأصول : ٤٧٢ .

٢ - درر الفوائد : ٥٥٥ .

٣ - فوائد الأصول : ٤٨٧ .

مقام التنبيه على فسق الوليد، وكذلك مثل قوله عليه السلام: (العمري ثقني)<sup>(١)</sup> ونحوه<sup>(٢)</sup>، فإنه في مقام توثيقه، لا جعل حجة خبره، وحينئذ فلا بد من ملاحظة بناء العقلاء في عملهم بها، والوجه في عملهم بها: هو إفادتها الظن والثوق النوعي بمؤداها وبملزوماتها وملازماتها ولوازمها مطلقاً؛ عقلياً أو عادياً أو شرعياً، بلا واسطة أو مع الواسطة، وليس المراد أنها تثبت بحصول الوثوق على مؤداها فقط، بل المراد أنه إذا أخبر الثقة بطلوع الشمس مثلاً - يحصل بالوثوق الحاصل من خبره بطلوع الشمس - وثوق آخر بإضاءة العالم من جهة الملازمة بينها، وهكذا وثوق آخر بالنسبة إلى ملزوماته وملازماته، والمفروض عدم ردع الشارع عن ذلك البناء، فالجميع حجة.

### حال مثبتات الأصول

وأما الكلام في المقام الثاني: فتوضيحه يحتاج إلى بيان أمرين:  
الأول: أنه لو فرض حصول اليقين بشيء له ملزوم ولازم وملازم، يتحقق بتبع اليقين المذكور يقين آخر بالملزوم، وثالث بلازمه، ورابع بملازمه، بعد الالتفات إلى الملازمة بينها، فليس هنا يقين واحد، بل أربع يقينات، غاية الأمر أن ثلاثة منها حصلت بتبع اليقين الأول، وحكم العقل بتحقق كل واحد منها إنما هو لأجل أن لكل واحد منها يقيناً يخصه متعلقاً به، لا لأجل اليقين الأول.  
الثاني: أن قوله عليه السلام: (لا ينقض اليقين بالشك)<sup>(٣)</sup> كبرى كلية: إما أن يراد بها

١ - الكافي ١: ٢٦٥ / ١، وسائل الشيعة ١٨: ٩٩، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ٤.

٢ - كقوله عليه السلام: «العمري وابنه ثقتان فما أديا إليك عني فعني يؤديان...»، نفس المصدر.

٣ - الكافي ٣: ٣٥١ / ٣، وسائل الشيعة ٥: ٣٢١، كتاب الصلاة، أبواب الخلل الواقع في الصلاة، الباب ١٠، الحديث ٣.

إقامة المشكوك مقام المتيقن بلحاظ الآثار تعبدًا، أو المراد هو الأمر بالبناء العملي على حصول اليقين والعمل على طبقه في عالم التعبد.

وعلى كلا الاحتمالين لا يشمل الآثار مع الواسطة بتقريبين:

التقريب الأول: أنه قد عرفت أن اليقين إذا حصل، وتعلق بشيء له ملزوم ولازم وملازم يتبعه حصول يقين آخر بلازمه، وثالث بملزومه، ورابع بملازمه، وأن لكل واحد منها يقيناً يخصه حاصلًا يتبع اليقين الأول، فلو شك في بقاءه يتبعه ثلاثة شكوك آخر؛ كل واحد منها مسبوق باليقين؛ لأن الشك في شيء يستتبع الشك في لوازمه وملزوماته وملازماته؛ لمكان الملازمة العقلية بينها وبين ذلك الشيء، وحينئذٍ فلا ريب أن قوله: (لا ينقض اليقين بالشك) يعم كل واحد منها؛ لأن كل واحد منها مصداق له، فهنا مصاديق، لا مصداق واحد يشمله قوله: (لا ينقض)، ويستلزمه التعبد بالباقي من اللازم والملزوم والملازم.

هذا إذا كان كل واحد من هذه الشكوك مسبوقاً باليقين، وأما إذا لم يكن كذلك؛ بأن لم تتحقق الملازمة في حال اليقين الأول، بل حدثت بعد زوال اليقين بهذا الشيء وشك في بقاءه، كنبات اللحية وبياضها أو فرض حدوث العلم الإجمالي بين هذا الشيء وشيء آخر كالعلم بحياة زيد أو عمرو، فلا تعمه هذه الكبرى الكلية، بل تشمل كل ما كان على يقين منه وشك في بقاءه، وهو الشيء المذكور بلحاظ آثاره الشرعية المترتبة عليه، وأما الآثار العقلية والعادية والشرعية، المترتبة على ذلك الشيء - بواسطة تلك الآثار العقلية والعادية - فلا؛ لأن المفروض عدم مسبوقية الشك فيها باليقين لتعمه تلك الكبرى الكلية، وهي لا تشمل إلا موضوع نفسها، وهو ذلك الشيء بلحاظ أثره الشرعي، لا الآثار التي تترتب على موضوع آخر، أي الواسطة العقلية أو العادية.

وبعبارة أخرى: شمول قوله **عَلَيْهِ** : (لا ينقض...) إلى آخره للموضوعات؛ إما هو

بلحاظ الآثار الشرعية لليقين الطريقي، أو بلحاظ آثار المتيقن، لا بلحاظ آثار موضوع آخر.

نعم لو كان الشك في كل واحد من اللازم الغير الشرعي والملزوم والملازم مسبقاً باليقين، لشمله قوله **الشيء** : (لا ينقض)، فلكل واحد منها استصحاب خاص به لو ترتب أثر شرعي عليه، لكن هذا الفرض خارج عن محل الكلام؛ لأن محط البحث هو ما لم يكن الشك فيها مسبقاً باليقين بها، وأريد إثباتها باستصحاب ذلك الشيء. فائقح بذلك : أن الوجه في عدم حجية مثبتات الأصول ليس هو انصراف أدلتها؛ لعدم الموجب له، ولا عدم تمامية إطلاقها فيها وتاميتها في الأمارات؛ لعدم الفرق بين أدلة الأصول والأمارات في ذلك، ولا لأجل أن المجعول في الأمارات هو الطريقة، وفي الأصول هو تطبيق العمل على مؤداه، بل لو فرض حجية خبر الواحد بالتعبد والجعل الشرعي، لما قلنا بحجية مثبتاته؛ لأن التعبد حينئذ إنما يكون بمؤدى الخبر، كما لو أخبر بمجيء الأمير المستلزم لمجيء الجند، فإنه إخبار واحد، لا أخبار متعددة بعدد أفراد الجند، ولذا لو بان كذب الخبر وعدم مطابقته للواقع، فهو كذب واحد، لا أكاذيب متعددة، وحينئذ فيحكم بحجية هذا الخبر وصدوره تعبداً وثبوت الخبر به، لا ثبوت لوازم المخبر به؛ لأن المجعول حينئذ هو طريقته إلى مؤداه لا غيره، لكن قد تقدم أن حجية الأمارات عقلائية إمضائية، لا تأسيسية.

التقريب الثاني : أن أدلة الاستصحاب قاصرة عن إثبات اللوازم الغير الشرعية أو الشرعية مع الوسطة وإن كانت الوسطة شرعية؛ وذلك لأن المستفاد من قوله **الشيء** : (لا ينقض) هو ترتيب الآثار الشرعية للعدالة - مثلاً - في استصحابها، وأما أثر الأثر فهو يفتقر إلى تعبد آخر، ولا يمكن استفادة ذلك التعبد من قوله **الشيء** : (لا ينقض...).

وبعبارة أخرى : الإشكال المشهور في دلالة أدلة حجية خبر الواحد على

حجّة الأخبار مع الوساطة، كإخبار الشيخ عليه السلام عن المفيد عليه السلام، عن الصدوق، عن أبيه، عن الصفار - مثلاً - من أنّه يستلزم إثبات الموضوع بالحكم بالنسبة إلى الوسائط؛ لعدم إحرازها بالوجدان، بل إنّما يراد إثباتها بالتعبد، ثمّ الحكم بتصديقه، فيلزم أن يكون قوله: «صدّق العادل» مثبتاً لموضوع نفسه<sup>(١)</sup>، جارٍ هنا أيضاً، فإنّ قوله عليه السلام: (لا ينقض) إنّما يشمل العدالة المشكوك بقاؤها؛ لسبقها باليقين بها، فيترتب عليها آثارها، وأمّا الآثار المترتبة عليها بواسطة فوضوعها - أي تلك الوساطة - ليس محرّزاً بالوجدان، بل إنّما يراد إثباته بقوله: (لا ينقض)، ثمّ الحكم عليه بـ«لا ينقض»، والموضوع لا يثبت بحكم نفسه.

وأما ما يجاب به عن هذا الإشكال في الأخبار مع الوساطة: بأنّه لا مانع من شمول «صدّق العادل» للوسائط؛ لأنّه بنحو القضية الحقيقية، والوسائط أيضاً أخبار تعبداً أو بإلغاء الخصوصية<sup>(٢)</sup>.

فهو لا يجري في المقام؛ لأنّ المفروض أنّ الشكّ في الوساطة غير مسبوق باليقين حتّى يصير مصداقاً له، ولا يثبت سبقه باليقين تعبداً بقوله عليه السلام: (لا ينقض)؛ لأنّ مفاده: أنّ من كان على يقين فشكّ فهو على يقين تعبداً، لا أنّه على يقين في عالم التعبد وإن لم يكن شكّه مسبوقاً باليقين الوجداني.

وبعبارة أخرى: قوله: (لا ينقض) إنّما يشمل الشكوك المسبوقة باليقين الوجداني، لا الشكوك الغير المسبوقة به حتّى يصيرها مصداقاً تعبدياً لنفسه ويشمله بنحو القضية الحقيقية.

فتلخص: أنّ التعبد بموضوع بلحاظ آثاره الشرعيّة لا يثبت به الآثار الغير

١ - أنظر فرائد الأصول: ٧٥ سطر ١٠، كفاية الأصول: ٣٤١، فوائد الأصول ٣: ١٧٨ - ١٧٩.

نهاية الأفكار ٣: ١٢١، درر الفوائد: ٣٨٧ - ٣٨٨، نهاية الأصول: ٤٩٥.

٢ - أنظر فرائد الأصول: ٧٦ سطر ١، كفاية الأصول: ٣٤١، فوائد الأصول ٣: ١٧٩.



الشرعية والشرعية المترتبة عليه بواسطة ذلك الأثر الشرعي، ومقتضى ذلك عدم ترتب غير الآثار الشرعية للعدالة - مثلاً - بلا واسطة، بل يترتب عليها الآثار الشرعية فقط، كالانتماء به وصحة الطلاق عنده، لا الآثار المترتبة على صحة الطلاق عنده، كوجوب العدة على تلك المرأة، وجواز التزويج بعد العدة المترتب على انقضاء العدة، وكذلك آثار التزويج من وجوب إطاعتها للزوج الثاني ونحوه وهكذا، فإن ترتب جميع هذه الآثار يتوقف على شمول (لا ينقض) لجميع هذه الوسائط، التي كل واحدة منها موضوع للأثر المتأخر عنه، وجعلها مصداقاً تعبدياً لنفسه، كما ذكرناه في الأخبار مع الوسطة، لكن قد عرفت أنه يمكن ذلك في الأخبار مع الوسطة، ولا يجري فيما نحن فيه هذا، ولكن التحقيق هو ترتب الآثار الشرعية بواسطة الأثر الشرعي، لا الوسطة العقلية والعادية، وهو المقام الثالث الذي ذكرنا سابقاً.

توضيحه: أن قوله <sup>الطلاق</sup> (لا ينقض) ليس له إلا مفاد واحد، وهو التعبد ببقاء ما كان من اليقين أو المتيقن في الموضوعات أو الأحكام، وليس مفاده في الأحكام هو جعل المماثل للحكم السابق، وفي الموضوعات جعل المماثل لحكم موضوعه، فمقتضاه في الأحكام هو ترتيب آثاره، وهو وجوب الامتثال، وفي الموضوعات وجوب ترتيب الآثار المترتبة على ذلك الموضوع وامتنال ما له من الأحكام الثابتة بالأدلة الاجتهادية، فدليل الاستصحاب في الموضوعات حاكم على أدلة الأحكام، ومنفح لموضوعها، ولا يفتقر بعد استصحاب الموضوع إلى جعل الحكم ثانياً، بل هو لغو، لثبوته له بالأدلة الاجتهادية، فعنى استصحاب العدالة هو الحكم ببقائها، وأما جواز الاقتداء ونفوذ الشهادة وصحة الطلاق فهي ثابتة للعدال بالأدلة الاجتهادية، فمفاد الاستصحاب هو الحكم ببقاء نفس العدالة، ولا يراد إثبات آثارها بالاستصحاب، بل هي مترتبة على العدالة بعد إحرازها بالاستصحاب بالأدلة الاجتهادية، ويثبت بهذا الدليل الاجتهادي موضوع الأثر الشرعي الثاني، كوجوب العدة على المطلقة عنده

وجواز تزويجها بعد العدة الثابت بدليل اجتهادي آخر، فباستصحاب العدالة يترتب جميع تلك الآثار كلّ بدليله الاجتهادي، لا بالاستصحاب، فإن الاستصحاب منقح لموضوع الأثر الأول، وأمّا الموضوع للآثار المتأخرة فإنما هو بالدليل الاجتهادي. نعم لو كانت الوسطة أمراً عقلياً أو عادياً له أثر شرعي لا يثبت هذا الأثر الشرعي وما بعده.

فظهر بذلك السر في عدم حجّة استصحاب الموضوعات لإثبات ملزوماتها مطلقاً؛ شرعياً كان أم غيره، وكذلك ملازماته ولوازمه العقلية والعادية، والآثار المترتبة عليها بواسطة عقلية أو عادية وإن كانت شرعية، وترتيب الآثار الشرعية بلاواسطة أو بواسطة شرعية لتنقيحه موضوع هذه دون تلك، فلا يحتاج في بيان وجه ترتب هذه دون تلك إلى التشبّث بما لا يخلو عن الإشكال بل المنع، كما أتعّب المحقّق العراقي نفسه الزكيّة في «المقالات»<sup>(١)</sup> لذلك.

### تذييل : حول الوسائط الخفية

ذكر جماعة كالشيخ الأعظم<sup>(٢)</sup> والمحقّق الخراساني<sup>(٣)</sup> وغيرهما<sup>(٤)</sup>؛ أن عدم حجّة المثبت من الاستصحاب فيما لو ترتّب الأثر الشرعي على المستصحب بواسطة عقلية أو عادية، إنّما هو فيما إذا لم تكن الوسطة خفية؛ بحيث لا يرى العرف واسطة في البين، ويعدّ ذلك الأثر أثر المستصحب عندهم.

وقال في «الكفاية» : إنّ الأمر كذلك حتّى في الوسطة الجليّة بوساطة ما

١ - مقالات الأصول ٢ : ١٦٢ سطر ٢ .

٢ - فرائد الأصول : ٣٨٦ سطر ١٧ .

٣ - كفاية الأصول : ٤٧٣ .

٤ - درر الفوائد : ٥٥٧ ، نهاية الأفكار (القسم الأول) ٤ : ١٨٨ .

لا يمكن التفكيك عرفاً بينه وبين المستصحب تنزيلاً؛ لأجل وضوح لزومه له أو ملازمته معه بمثابة يعدّ أثره أثراً له<sup>(١)</sup>.

والتحقيق: أنه إن أريد من خفاء الواسطة عدم ذلك العرف لها ولو بالنظر الدقي، ويرون أن الأثر هو للمستصحب حقيقة، وإنما يُدركها العقل بالبراهين، فالحق جريان الاستصحاب فيه وعدم عدّه مثبتاً، مثل أن الموضوع للحرمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ - إِلَى قَوْلِهِ - رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾<sup>(٢)</sup> هو عنوان الخمر عرفاً لا غير، لكن العقل حيث إنّه يميّز بين الجهات والحيثيات التعليلية للحكم، وأنّ للخمر عناوين، وأنّه مائع ملوّن بلون كذا، وأنّه مُسكر، ونحو ذلك، ويدرك أنّ الحكم بالحرمة إنّما هو لأجل الإسكار، وأنّه لا دخل للون والمائعية في الموضوعية للحرمة؛ فإنّ الماء - مثلاً - أيضاً مائع وليس بحرام، يفهم ويحكم بأنّ تمام الموضوع للحرمة هو الإسكار، وأنّ الجهة التعليلية هي موضوع الحرمة.

فلو علم بأنّ هذا المائع كان خمرأً، وشكّ في بقاء خمريته، فحيث إنّ تمام الموضوع عند العرف هو الخمر لا الإسكار، فلا إشكال في جريان الاستصحاب وترتب الحرمة عليه؛ لاتّحاد القضية المتيقّنة مع المشكوكة عرفاً، وترتب الأثر عليه وإن لم يكن كذلك عقلاً؛ لأنّ الموضوع عند العقل هو الإسكار، ولا يثبت ذلك باستصحاب عنوان الخمر، لكن هذه الواسطة خفية لا يراها العرف ولو بنظره الدقيّ الغير المسامحي، وأنّ الإسكار واسطة في ثبوت الحكم للخمر، لا تمام الموضوع، فلا إشكال في جريان الاستصحاب فيه وعدم عدّه مثبتاً.

وإن أريد من خفاء الواسطة ما يُدركه العقل بالنظر الدقيّ، لكن ينتسب الأثر إلى المستصحب في محيط العرف بالنظر المسامحي، فالحقّ عدم جريان الاستصحاب

١ - كفاية الأصول : ٤٧٣ .

٢ - المائدة (٥) : ٩٠ .

فيه، وأنه مثبت؛ لأنّ الملاك في اتحاد الموضوع وترتب الأثر على المستصحب، هو النظر العرفي الدقّي، لا المسامحي في محيط العرف؛ بحيث يُعدّ مسامحة لديهم، وذلك مثل الدم، فإنّه لا يطلق على لونه الباقي بعد زوال عينه عند العرف، إلّا مسامحة وإن كان باقياً بنظر العقل من جهة استحالة انتقال العرض من موضوعه إلى موضوع آخر، فلا يجري الاستصحاب فيه بعد زوال عينه مع بقاء لونه؛ لعدم اتحاد القضيّة المتيقّنة مع المشكوكَة عرفاً إلّا مسامحة عندهم.

### حال الأمثلة التي ذكرها الشيخ الأعظم رحمته

وانقذ بذلك: أنّ الأمثلة التي ذكرها الشيخ الأعظم رحمته لخفاء الواسطة <sup>(١)</sup> محلّ إشكال بل منع:

مثل استصحاب بقاء رطوبة النجس الذي لاقاه جسم جافّ، فإنّ الحكم بنجاسة الملاقي إنّما هو من آثار السراية من النجس الرطب إليه، لا الرطوبة، والعرف أيضاً يدرك هذه الواسطة، وأنّ الحكم بنجاسة الملاقي للنجس الرطب إنّما هو لأجل السراية والتأثير والتأثر بانتقال أجزاء النجاسة منه إليه، فمجرد استصحاب بقاء الرطوبة لا يفيد ولا يثبت السراية التي هي الموضوع لدى العرف.

ومثل استصحاب عدم المانع والحاجب لو شكّ في وجودهما في محلّ الغسل والمسح؛ لإثبات غسل البشرة ومسحها المأمور بهما في الوضوء.

وجه الإشكال: أنّ الموضوع للحكم هو غسل البدن عند العرف، ولا يثبت ذلك باستصحاب عدم المانع.

نعم يمكن أن يقال: إنّ عدم الاعتناء باحتمال وجود المانع من الأمور التي

استقرّ بناؤهم عليه، فهو خارج عما نحن فيه.

ومنها : استصحاب عدم دخول هلال شوال يوم الشك، المثبت لكونه يوم الثلاثين من شهر رمضان، وإثبات أن غده يوم الفطر، فيترتب عليه أحكامه، وأن غد الغد، اليوم الثاني من شوال، وهكذا إلى اليوم الثامن من ذي الحجة - أي يوم التروية - والتاسع وعيد الأضحى وغير ذلك.

وجه الإشكال في المثال : أن هذا الاستصحاب لا يثبت هذه، إلا أن يقال: إن أول الشهر مركّب من اليوم الذي من شوال ولم يسبق بمثله، أو اليوم الذي منه المسبوق بضده، فإن أحد الجزئين محرز بالوجدان - أي كونه يوماً منه - والآخر بالاستصحاب؛ أي استصحاب عدم هلال شوال، أو استصحاب بقاء الضد - أي شهر رمضان - يوم الشك، فالغد أول شوال، ولأنه يوم مسبق بعدم مثله وبعده ثانيه... وهكذا، فيترتب عليه أحكامه.

لكن فيه أولاً : أن أول الشهر ليس مركّباً، بل عنوان وجودي بسيط، وهو مقابل الوسط والآخر منه، فإن الشهر نظير سلسلة لها أول ووسط وآخر، ولا يثبت هذا العنوان الوجودي باستصحاب عدم هلال شوال؛ ليرتب عليه أحكامه. وثانياً : سلّمنا أنه مركّب من أمرين : يحرز أحدهما بالوجدان، والآخر بالأصل، فيثبت أنه أول شوال، ويدرّب عليه أحكامه، لكن لا يثبت بذلك أن ما بعده ثاني شوال، وهكذا، ولا يثبت يوم التروية وعرفة والأضحى بذلك؛ ليرتب عليها أحكامها، كما ذكره بعض الأعظم رحمته (١).

لكن يبقى هنا إشكال : وهو أن بناء المسلمين على العمل بذلك وإثبات يوم التروية وعرفة والأضحى به، فلو لم يعتبر هذا الاستصحاب يلزم تعطيل أحكامها في

صورة الشك في أول الشهر.

وأجاب عنه بعض الأعظم رحمهم الله - الميرزا النائيني -: بأن الموضوع لأحكام أول الشهر، هو يوم رؤية الهلال، أو اليوم الذي انقضى قبله من الشهر الماضي ثلاثون يوماً، وكذا المراد من ثامن ذي الحجة : هو اليوم الذي انقضى من رؤية هلال ذي الحجة ثمانية أيام، لا الأول والثامن الواقعيان<sup>(١)</sup>.

وفيه : أنه خلاف ما يستفاد من الأدلة ، ولما هو المرتكز في الأذهان؛ إذ ليس للرؤية مصداقان : أحدهما الواقعي، وثانيها الشرعي، وكذلك أول الشهر وغيره، ولو كان الموضوع للحكم ما ذكره رحمهم الله لزم عدم وجوب قضاء صوم اليوم الذي حكم بعدم كونه من رمضان، فأفطر، ثم بان الخلاف، وأنه من رمضان، وهو كما ترى.

والذي تنحسم به مادة الإشكال : هو أنه استقرّ بناء المسلمين من صدر الإسلام إلى زماننا هذا على ذلك، وورد به أيضاً روايات دالة على أن شهر رمضان كسائر الشهور يزيد وينقص<sup>(٢)</sup>، وأمر فيها بصوم ثلاثين يوماً مع الشك في آخره<sup>(٣)</sup>، وعدم وجوب صوم يوم الشك في أوله<sup>(٤)</sup>، ووجوب صوم ما بعد الثلاثين من شعبان<sup>(٥)</sup>، وحينئذٍ فلا إشكال.

١ - نفس المصدر : ٤٩٩ - ٥٠٠ .

٢ - تهذيب الأحكام ٤ : ١٥٦ و ١٥٧ و ١٦٦ / ٤٣٢ و ٤٣٥ و ٤٧٤ ، وسائل الشيعة ٧ : ١٩٠ و ١٩١ ، كتاب الصوم، أبواب أحكام شهر رمضان، الباب ٥ ، الحديث ٦ و ٧ و ١٠ .

٣ - تهذيب الأحكام ٤ : ١٥٨ / ٤٤٠ ، الاستبصار ٢ : ٦٤ / ٩ ، وسائل الشيعة ٧ : ٢٠١ ، كتاب الصوم، أبواب أحكام شهر رمضان، الباب ٨ ، الحديث ١ .

٤ - وسائل الشيعة ٧ : ١٥ ، كتاب الصوم، أبواب وجوب الصوم وبنيته، الباب ٦ .

٥ - تهذيب الأحكام ٤ : ١٦١ / ٤٥٤ ، وسائل الشيعة ٧ : ١٨٥ ، كتاب الصوم، أبواب أحكام شهر رمضان، الباب ٣ ، الحديث ١٧ .

## تذنيب

حول ما أفاده صاحب الكفاية في تنبيهه الثامن  
يذكر فيه أمور:

الأمر الأول: إن استصحاب العنوان المنطبق على الخارج ليس بمثبت  
تقدّم أن استصحاب كلّ من الكلّي والفرد لا يُغني عن استصحاب الآخر، ولا  
يترتب عليه إلا آثار نفس المستصحب، فإن كان الموضوع للحكم هو الكلّي  
فاستصحاب فردّه لا يفيد في ترتّب ذلك الحكم، فإنّها وإن اتّحدت في الخارج، لكنّها  
متغايران ومتمايزان بحسب العنوان وفي عالم تعلّق الأحكام بهما، ومجرّد اتّحادهما في  
الخارج لا يكفي في ترتّب أحكام الكلّي باستصحاب الفرد؛ لما عرفت من أن المناط في  
جريان الاستصحابات الموضوعيّة هو تنقيحها لموضوع الأدلّة الاجتهادية، فإن كان  
للمستصحب أثر شرعيّ صحّ استصحابه، وإلا فلا؛ من غير فرق بين أن يكون الكلّي  
من العناوين الانتزاعيّة - المنتزع عن مرتبة ذاته، أو بملاحظة أمر آخر في منشأ انتزاعه  
مما هو المحمول بالضميمة - وبين العناوين الذاتيّة.

فما يظهر من «الكفاية»: من الفرق بين خارج المحمول والمحمول بالضميمة  
- بترتيب آثار الكلّي؛ باستصحاب منشأ الانتزاع في الأوّل دون الثاني<sup>(١)</sup> - غير  
مستقيم؛ لعدم الفرق بينهما، إلا توهم: أن العنوان في المحمول بالضميمة كأثمة أمر زائد

على ذلك الوجود الخارجي فباستصحاب البياض - مثلاً - لا يثبت عنوان الأبيض ليرتّب عليه آثاره، بخلاف خارج المحمول، فإنّه عين وجود الفرد المنشأ لانتزاعه. ولكنه غير فارق، فإنّ وجود المنتزع في المحمول بالضميمة أيضاً بعين وجود منشأ انتزاعه في الخارج، ولا وجود له فيه سوى وجوده، لكن قد عرفت أنّ مجرد الاتحاد في الخارج، لا يكفي في ذلك مع تغايرهما في عالم الموضوعيّة للأحكام، فالمنتزع في عالم العنوان غير المنتزع عنه، فاستصحاب أحدهما لا يغني عن الآخر، كما لو فرض ثبوت حكم لعنوان الفوقيّة أو التحتيّة ونحوهما من الانتزاعات، فإنّها وإن اتّحدت في الخارج مع منشأ انتزاعها، لكن منشأ انتزاعها - وهو الجسم الخارجي الذي هو فوق المركز أو تحته - ليس متعلّق ذلك الحكم وموضوعه، فاستصحابه لا يفيد في ترتّب ذلك الحكم.

نعم بعد وجود هذا العنوان في الخارج وانطباقه عليه وسريان الحكم إلى الخارج، يحكم العرف بأنّ هذا الوجود في الخارج موضوع للحكم، كما لو وجد فرد من العالم الذي تعلّق به الحكم بوجوب الإكرام، فلو شكّ في بقاء علمه يستصحب بقاء علمه واتّصافه بعنوان العالم، ويترتّب عليه الحكم بوجوب إكرامه، لكن الحكم بوجوب إكرامه إنّما هو من جهة أنّه عالم، مع احتمال كون هذا العنوان واسطة في ثبوت الحكم لا العروض.

وبعبارة أخرى: الموضوع المأخوذ في الدليل الاجتهادي وإن كان هو عنوان العالم بنحو الكلّي، لكن بعد وجوده في الخارج فهو واجب الإكرام، ولا مانع من استصحاب عالميّته وترتّب ذلك الحكم عليه لاتّحاد القضيّة المتيقّنة مع المشكوكة؛ لأنّ الموضوع هو هذا الشخص الخارجي، وهو باقٍ بعد، ولا يراد هنا استصحاب الفرد وإثبات الكلّي، ولا فرق في ذلك بين كون الكلّي المنطبق عليه من العناوين الذاتيّة لهذا



المصداق؛ ممّا هو من قبيل خارج المحمول، وبين غيره من المحمول بالضميمة، ولا وجه للفرق بينها.

فتلخص: أنّ ما في «الكفاية» من الفرق المذكور غير مستقيم؛ سواء أريد استصحاب الفرد المنتزع عنه وإثبات الكلّي أم لا.

### الأمر الثاني: استصحاب الأحكام الوضعيّة

ثمّ إنّهُ يُذكر في الكفاية: أنّه لا فرق في الأثر الشرعي المستصحب أو المترتب على الموضوع المستصحب؛ بين كونه من الأحكام التكليفيّة والوضعية، ولا بين المجعولة مستقلاً وغيرها<sup>(١)</sup>.

وهو صحيح، غير أنّنا ذكرنا سابقاً: أنّ جميع الأحكام الوضعيّة قابلة للجعل المستقلّ أيضاً، ولا يمتنع ذلك في شيء منها.

لكن هنا عويصة يصعب الذبّ عنها: وهي أنّ الأمر متعلّق بالصلاة المتقيّدة بالطهارة وعدم المانع، واستصحاب الطهارة من الحدث والخبث وسائر الشرائط، لا يثبت أنّ هذه الصلاة المأثريّ بها مع استصحاب الطهارة متقيّدة بالطهارة، وهكذا بالنسبة إلى استصحاب عدم المانع. نعم يترتب على استصحاب الطهارة الآثار الشرعيّة المترتبة على نفس الطهارة، مع أنّ استصحاب الطهارة من الحدث والخبث مورداً روايتي زرارة<sup>(٢)</sup>.

١ - كفاية الأصول: ٤٧٤.

٢ - تهذيب الأحكام ١: ٨ و ٤٢١ / ١١ و ١٣٣٥، وسائل الشيعة ١: ١٧٤، كتاب الطهارة، أبواب نواقض الوضوء، الباب ١، الحديث ١، و ٢: ١٠٥٣ و ١٠٦٥، كتاب الطهارة، أبواب النجاسات، الباب ٣٧ و ٤٣، الحديث ١.

وتوهم: أنَّ الصلاة ليست متقيّدة بالطهارة، بل الطهارة والظهور من الأوصاف  
المعتبرة في المصلي<sup>(١)</sup>.

مدفوع: بأنّه يستلزم عدم وجوب الصلاة على من ليس على طهارة، ولا يجب  
عليه حينئذٍ تحصيلها أيضاً؛ لأنّ مرجعه إلى أنّها شرط التكليف لا المكلف به،  
كلاستطاعة بالنسبة إلى وجوب الحجّ.

وتوهم: أنّ هنا واجبين وتكليفين: أحدهما الوضوء مثلاً، وثانيها الصلاة.  
مدفوع أيضاً: بأنّه يستلزم صحّة الصلاة والخروج عن العهدة بالإتيان بها  
بدون الطهارة وإن عصى بترك الطهارة والوضوء على هذا التقدير.  
وتوهم: أنّهما مترتبان.

مدفوع أيضاً: بأنّه إن أُريد تقييد الأوّل - أي الطهارة الواجبة - بتحقيق الصلاة،  
ووقوعها بعدها، يلزم عدم صحّة الوضوء مع عدم الإتيان بالصلاة بعده.  
وإن أُريد تقييد الصلاة بوقوعها عقيب الوضوء فهو معنى تقييد الصلاة به،  
ولا يثبت ذلك التقييد باستصحاب الوضوء من الفاعل، والإشكال كما ترى لا يختصّ  
باستصحاب المانع وعدمه، بل الشروط أيضاً كذلك، فلا وجه لتخصيصه بالأوّل.  
وأما التمسك بروايتي زرارة بالنسبة إلى استصحاب الطهارة من الحدث والخبث  
لخروج الشرائط عن محطّ البحث والكلام، بخلاف الموانع.

ففيه: أنّه قد تقدّم عدم اختصاص الأخبار بموردها؛ أي استصحاب الطهارة  
من الحدث والخبث؛ لأنّ المستفاد من أخباره: أنّ المناط نقض اليقين بالشكّ،  
ولا دخل لخصوصيّة موردها، وأنّ الخصوصية ملغاة عرفاً، فلو قلنا باعتبار المشيئة

١ - الرسائل الفشاركية: ٣٩٤، منية الطالب ٢: ٢٩٣ سطر ٧، مستمسك العروة الوثقى ٥:

من الاستصحاب في خصوص الطهارة من الحدث والخبث، فغيرها أيضاً كذلك بإلغاء الخصوصية، ومقتضاه حجّة المثبت من الاستصحاب مطلقاً، وهو ممّا لا يمكن الالتزام به.

هذا، ولكن يمكن دفع الإشكال: بأنّ المستفاد من الآيات والروايات الواردة في باب الوضوء، وكذا الإجماع وقوله عليه السلام: (لا صلاة إلا بطهور)<sup>(١)</sup> هو أنّ الصلاة مشروطة بصدورها من المتطهر لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، فإنّ هيئة الأمر فيها وإن استعملت في معناها - أي البعث والطلب - لكن يستفاد منها أنّ الصلاة إذا صدرت عن فاعل غير متطهر فهي فاسدة، وإذا صدرت من المتطهر فهي صحيحة، وليس معنى ذلك إلا اشتراط الصلاة بصدورها من المتطهر، وكذا قوله عليه السلام: (لا صلاة إلا بطهور)، فإنّ معناه: أنّ الصلاة الصادرة من المتطهر صحيحة، ومن الغير المتطهر فاسدة، فيستفاد منه اشتراطها بصدورها من الفاعل المتطهر، وحينئذٍ إذا كان المكلف متطهراً سابقاً، وشكّ في بقاءه على الطهارة، فصلّى باستصحاب الطهارة، فالصلاة الصادرة منه بالوجدان صادرة عن المتطهر تعبدّاً، فهي واجدة للشرط؛ أي صدورها من المتطهر، وهو كذلك تعبدّاً.

وكذا الكلام بالنسبة إلى الموانع فإنّ المستفاد من قوله عليه السلام في رواية ابن بكير: (لا تُصلّ في وبرّ ما لا يؤكل لحمه)<sup>(٣)</sup> أنّها إذا صدرت من اللابس لغير المأكول فهي

١ - تهذيب الأحكام ١: ٤٩ / ١٤٤، الاستبصار ١: ٥٥ / ١٥، وسائل الشيعة ١: ٢٥٦،

كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، الباب ١، الحديث ١ و ٢ و ٦.

٢ - المائدة (٥): ٦.

٣ - الكافي ٣: ٣٩٧ / ١، تهذيب الأحكام ٢: ٢٠٩ / ٨١٨، وسائل الشيعة ٣: ٢٥٠، كتاب

فاسدة، فع استصحاب كونه لابساً لغير المأكول، تصير الصلاة الصادرة منه وجداناً متّصفة بصدورها من اللّابس لغير المأكول تعبّداً، فهي فاسدة.

نعم يشكل الأمر بالنسبة إلى استصحاب عدم المانع وعدم الشرط لإحراز صحّة الصلاة ووقوعها صحيحة في الأوّل وعدم وقوعها صحيحة في الثاني؛ حيث إنّ ليس هناك كبرى كئيّة شرعيّة تدلّ على صحّة الصلاة الصادرة من الفاعل الغير اللّابس لغير المأكول ، أو على عدم صحّة الصلاة الصادرة من الفاعل الغير الواجد للشرط، بل هو حكم عقليّ، والصادر من الشارع عدم صحّة الصلاة الصادرة من اللّابس لغير المأكول، وصحّة الصلاة الصادرة من المتطهّر، وحينئذٍ فلا تثبت صحّة الصلاة وتحققها باستصحاب عدم لبسه لغير المأكول، وعدم صحّة الصلاة باستصحاب عدم كونه متطهّراً.

وتوهّم : أنّ مرجع مانعيّة شيء للصلاة إلى اشتراط الصلاة بصدورها من الغير اللّابس لما لا يؤكل لحمه؛ لعدم تصوّر المانعيّة فيما نحن فيه؛ لعدم الضديّة التكوينيّة بين الصلاة وبين لبس ما لا يؤكل ، فلا بدّ أن يكون عدمه قيداً للصلاة.

ففيه : أنّ ذلك حكم عقليّ لا يساعده فهم العرف المحكّم فهمه في المقام؛ لوضوح أنّه لا يفهم العرف من قوله لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ ؛ (لَا تُصَلُّ فِي وَبَرٍ مَا لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ) إِلَّا مَانِعِيَّتُهُ للصلاة، لا شرطيّة عدمه لها، كما أنّ المتبادر عرفاً من قوله لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ ؛ (اغسل ثوبك من أبوال ما لا يؤكل لحمه)<sup>(١)</sup> هو شرطيّة الطهارة من الخبث للصلاة، كتبادر شرطيّة

---

→ الصلاة، أبواب لباس المصلّي، الباب ٢، الحديث ١، وهو منقول بالمعنى ولم نثر عليه بالنص في مصادرنا .

١ - الكافي ٣ : ٥٧ / ٣، تهذيب الأحكام ١ : ٢٦٤ / ٧٧٠، وسائل الشيعة ٢ : ١٠٠٨، كتاب الطهارة، أبواب النجاسات، الباب ٨، الحديث ٢ .

الطهارة من الحدث من قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾<sup>(١)</sup> الآية،  
وحينئذٍ فاستصحاب عدم المانع لا يثبت وقوع الصلاة مع عدم المانع وصحتها؛ لما  
عرفت أنه أثر عقلي لا شرعي.

قال في «الكفاية»: لا فرق في المستصحب أو المترتب عليه بين وجود الأثر  
وعدمه؛ ضرورة أن أمر نفيه بيد الشارع كنبوته<sup>(٢)</sup>.

توضيح ذلك وتحقيقه: هو أنه ليس مفاد (لا ينقض...) إلى آخره، الحكم بالبناء  
العملي على بقاء المتيقن، بل معناه الأمر بعدم تقض اليقين السابق، والتعبد بأنه على  
يقين، ويعتبر في استصحاب الموضوعات أن لا يكون التعبد بذلك لغواً، ولا يعتبر  
ترتب الأثر العملي عليه، فقد يكون الشيء مسبوقاً بالوجوب، فباستصحابه يجب  
الامتنال، وقد يكون مسبوقاً بالعدم، فباستصحابه يكون المكلف في السعة، وليس  
مفاد (لا ينقض) جعل المائل؛ كي يرد عليه: أن العدم غير مجعول.

والحاصل: أنه كما أن للشارع رفع الأحكام بمثل (رُفع ... ما استُكرهوا  
عليه)<sup>(٣)</sup> ونحوه، كذلك له الحكم تعبدًا ببقاء عدم الوجوب، خصوصاً على القول  
بوجوب الاحتياط في الشبهات، كما ذهب إليه الأخبارية<sup>(٤)</sup>.

وفائدة هذه الاستصحاب: أن المكلف في سعة من وجوب الامتنال، وهكذا

١ - المائدة (٥) : ٦ .

٢ - كفاية الأصول : ٤٧٥ .

٣ - التوحيد : ٣٥٣ / ٢٤ ، الخصال : ٤١٧ / ٩ ، وسائل الشيعة ١١ : ٢٩٥ ، كتاب الجهاد، أبواب  
جهاد النفس، الباب ٥٦ ، الحديث ١ .

٤ - وسائل الشيعة ١٨ : ١١٩ ، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١٢ ، الحديث ٢٨ ،  
الدرر النجفية : ١١٥ سطر ٥ ، الفوائد المدنية : ١٠٦ سطر ١٢ .

الكلام في الموضوعات، فكما يصح استصحاب العالمية لزيد، وبه ينقح موضوع دليل وجوب إكرام العلماء، ويكون ذلك توسعة لموضوعه، كذلك يصح استصحاب عدم عالميته، فيتضيّق به موضوع وجوب إكرام العالم، وفائدته أنّ المكلف في سعة من وجوب إكرامه.

وتوهّم: أنّه مثبت؛ حيث إنّ المجعول هو وجوب إكرام العالم، وأمّا عدم وجوب إكرام غير العالم فهو حكم عقلي لا شرعي، فلا يترتب على استصحاب عدم العالمية. فيه: أنّه ليس المقصود إثبات عدم وجوب الإكرام، بل المقصود أنّه يكفي عدم ثبوته لأجل انتفاء موضوعه، ومرجعه أيضاً إلى تنقيح موضوع الدليل الاجتهادي، كما في استصحاب العالمية.

أقول: لكن استصحاب عدم المانع ليس من هذا القبيل؛ حيث أنّه لا يثبت باستصحاب عدم كون المصليّ لابساً له وقوع الصلاة وصحتها، كما عرفت توضيحه بما لا مزيد عليه.

نعم لو كان هناك أثر شرعي مترتب على نفس عدم وجود المانع فلا إشكال في ترتبه باستصحاب عدمه.

فتلخص: أنّه لا مجال لاستصحاب عدم الشرط والمانع، بخلاف استصحاب وجودهما.

### الأمر الثالث: في الأثر المترتب على الأعم من الوجود الواقعي

#### والظاهري

قال في «الكفاية»: إنّ الأثر الشرعي الذي يترتب على واقع المستصحب يترتب على المستصحب، وكذلك الآثار الشرعية التي تترتب عليه بواسطة الأثر

الشرعي، وأما الآثار العقلية أو الشرعية المترتبة على المستصحب بواسطة الأثر العقلي فلا تترتب عليه.

وما يترتب على الحكم الشرعي الأعم من الواقعي والظاهري، فهو أيضاً مترتب على استصحابه وإن كان عقلياً، مثل صحة العقوبة على المخالفة وجوب الموافقة وحرمة المخالفة العقليتين؛ لأن موضوع تلك الأحكام العقلية محرز بالاستصحاب حينئذ قطعاً، فكما تترتب هذه الآثار على حكم الله الواقعي، كذلك تترتب على حكم الله الظاهري أيضاً<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول : ما ذكره - من عدم كون الاستصحاب مثبتاً بالنسبة إلى هذه الأحكام العقلية - صحيح، لكن لا لما ذكره رحمته، فإن الأحكام الظاهرية كالثابتة بالاستصحاب وخبر الواحد ونحوه أحكام طريقتة عقلائية، أو من قبيل وجوب الاحتياط للحفاظ على الواقع وإحرازه؛ ليس لها - بما هي - وموافقة واستحقاق عقوبة، بل وجوب موافقتها وحرمة مخالفتها عقلاً إنما هو لأجل كشفها عن الواقع وعدم العذر في مخالفة الواقع بترك العمل بها مع إصابتها للواقع؛ بحيث لولا أصليته له، لا وجوب للموافقة ولا حرمة للمخالفة، ولا استحقاق للعقوبة، فالواجب في الحقيقة هو موافقة الحكم الواقعي الذي يحرم مخالفته بلا عذر، ويستحق العقوبة عليها، نظير وجوب الاحتياط شرعاً أو عقلاً في موارد الشبهة المقرونة بالعلم الإجمالي، فإن وجوب الموافقة في جميع تلك الموارد، إنما هو لقيام الحجة والبيان وانقطاع العذر وعدم جريان البراءة الشرعية والعقلية، فعدم كون الاستصحاب مثبتاً بالنسبة إلى المذكورات إنما هو لما ذكرناه، لا لما ذكره: من أن تلك الآثار للأعم من الحكم الظاهري والواقعي، فتدبر.





## التنبيه الثامن

### في أصالة تأخر الحادث

كما لا إشكال في جريان الاستصحاب فيما لو شك في بقاء شيء - كحياة زيد - في جميع أجزاء الزمان، كذلك لا إشكال في جريانه فيما لو شك في بعض أجزاء الزمان مع العلم بعدمه في جزء آخر منه، كما لو شك في بقاء زيد يوم الخميس مع العلم بموته يوم الجمعة فإنه لا إشكال في جريان استصحاب عدم موته يوم الخميس لو ترتب لأثر الشرعي على عدم موته يومه، وكذلك استصحاب حياته، نعم لا يثبت به حدوث موته يوم الجمعة، أو عنوان تأخر موته عن الخميس، فلا يترتب آثارهما. هذا مما لا إشكال فيه.

وأما لو لوحظ ذلك بالنسبة إلى حادث آخر، كما لو علم بموت زيد وعمره، أو حدوث الكريّة للماء القليل وملاقاته للشوب النجس، وشك في المتقدّم والمتأخّر منها وفي تقارنهما، فلا إشكال أيضاً في جريان عدم التقدّم والتأخّر والمقارنة بنحو الكون لتأمّ، مع ترتب الأثر الشرعي على تلك العناوين، فإن كلّ واحد من عناوين تقدّم لكريّة وتأخرها عن الملاقاة، أو تقدّم الملاقاة أو تأخرها عن الكريّة والمقارنة، لم يكن متحققاً سابقاً بنحو الكون التأمّ، فالآن كما كان، فيترتب عليها آثارها، ويتعارضان

على فرض ترتب أثر شرعيّ عليها.

وكذلك لا إشكال في جريان عدم هذه العناوين بنحو السلب الناقص البسيط مع ترتب أثر شرعيّ عليه، فيقال: لم يكن كرتية هذا الماء متقدمة على الملاقاة، ويشكّ في ذلك، فيستصحب، نظير استصحاب عدم عدالة زيد كذلك، فيقال: زيد لم يكن عادلاً سابقاً، فالآن كما كان، وأمثال ذلك ممّا كان هناك شيء يسلب عنه صفة في السابق، ويشكّ فيه بعد ذلك، مثل ما لو علم أنّ زيداً لم يكن متقدماً على عمرو في دخول البيت، وشكّ فيه بعد ذلك، فيستصحب عدم تقدّمه عليه لو ترتّب أثر شرعيّ على هذا العدم، وكذلك استصحاب عدم تأخّره ومقارنته.

نعم مع عدم أثر شرعيّ مترتب على هذا العدم؛ أي الموضوع الذي سلبت عنه صفة، بل يترتب على موضوع حادث آخر متّصف بأمر وجودي أو عدمي، كعنوان تقدّم دخول عمرو في البيت على زيد أو تأخّر دخوله، فلا حالة سابقة لهذا العنوان؛ لأنّه لم يتحقّق الدخول في البيت متّصفاً بالتقدّم أو التأخّر، وشكّ فيه بعد ذلك؛ حتّى يستصحب، ولا يثبت هذا العنوان الموضوع للأثر الشرعي باستصحاب عدم تقدّم زيد على عمرو في الدخول وإن كان له حالة سابقة.

هذا لو ترتّب الأثر على وجود أحدهما بنحو خاصّ من التقدّم والتأخّر. وأمّا لو ترتّب على عدم أحدهما في زمان الآخر، كنفوذ عقد الأب الواقع في زمان عدم وجود عقد الجدّ أو بالعكس، فهل يجري استصحاب عدم حدوثه إلى زمان حدوث عقد الآخر وبالعكس، فيتساقطان بالمعارضة، أو لايجريان أصلاً؟ قولان:

اختار أولهما الشيخ الأعظم رحمته، فذهب إلى جريانها<sup>(١)</sup>، وثانيهما المحقق

الخراساني رحمته، واستدلّ على ذلك بعدم إحراز اتصال زمان الشكّ باليقين المعبر في الاستصحاب<sup>(١)</sup>.

### ضابط اتصال زمان الشكّ باليقين

أقول: المراد باتّصال زمان الشكّ باليقين المستفاد من الأدلة هو عدم تخلّل يقين آخر بالخلاف بين اليقين السابق والشكّ اللاحق، فإنّه حينئذٍ لا يجري استصحاب اليقين السابق، كما لو علم بعدالة زيد عند الطلوع، وعلم بفسقه عند الزوال وشكّ في عدالته وفسقه عند الغروب، فإنّه لا ريب في عدم انطباق قوله عليه السلام: (لا ينقض اليقين بالشكّ) على استصحاب عدالته؛ لانتقاض العلم بها بالعلم بفسقه عند الزوال، والشكّ إنّما هو في حدوث عدالته عند الغروب، بل يشمله قوله عليه السلام في ذيل الصحيحة: (بل ينقضه يقين آخر) وإن قلنا بأنّه ليس حكماً آخر، بل بيان لحكم الصدر، بل هو مورد استصحاب الفسق، ويشمله قوله: (لا ينقض)، فإنّ الشكّ بالنسبة إليه شكّ في البقاء، وأمّا بالنسبة إلى العدالة فهو شكّ في الحدوث.

ثمّ إنّ هل يمكن تصوير الشكّ في اتّصال زمان الشكّ باليقين وعدمه أو لا؟ فإنّ تصوير الشبهة المصداقيّة لقوله عليه السلام: (لا ينقض) إلى آخره فرع تصوير ذلك:

فقد يقال: إنّهُ يمكن تصويره، كما ذهب إليه الميرزا النائيني رحمته ومثّل له بأمثلة، منها: ما ادّعى ظهورها أو وضوحها، وهو ما إذا كان إناء من الماء في الجانب الشرقي من البيت، وآخر في الغربيّ منه، وعلم بنجاستها تفصيلاً، لكن أصاب المطر ما في الجانب الشرقي بمرءٍ منه ومنظره، فطهره، ثم اشتبّه بالآخر، فإنّه يعلم بأنّ كلّ واحد منهما كان نجساً سابقاً، وشكّ في طهارته، لكن لا يتصل الشكّ فيها باليقين؛ لتخلّل

اليقين بالخلاف في أحدهما، ومع الاشتباه يشكّ في الاتّصال في كلّ واحد منها<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: لا ريب في أنّ المعبر عدم تخلّل العلم بالخلاف حال الاستصحاب، لا مطلق عدم تخلّله حتى مع زواله حين الاستصحاب؛ لعدم الدليل على ذلك، فلو كان على يقين من عدالة زيد لدى الطلوع، وعلم بفسقه لدى الزوال، وزال هذا العلم عند الغروب، فلا علم بانتقاض العلم بالعدالة.

وحينئذٍ وفيما ذكره من المثال لا علم تفصيلي بالخلاف حال الاستصحاب، مع اشتباه أحد الإناءين بالآخر؛ حيث يصدق على كلّ واحد منها أنّه كان على يقين من نجاسته، وشكّ في بقائها؛ لاحتمال إصابة المطر للآخر، فالشكّ في كلّ واحد منها متّصل باليقين.

وقد يقال: بإمكانه بتقريب آخر لعدم إحراز اتّصال زمان الشكّ باليقين، كما لو علم بالجنابة عند الطلوع، وعلم بأنّه اغتسل بعدها، وأنّه ارتفعت تلك الجنابة، لكنّ يحتمل حدوث جنابة أخرى، فلو رأى في ثوبه أثر الجنابة، وشكّ في أنّه من الأولى المعلوم وجودها وارتفاعها، أو أنّه من الثانية المحتمل وجودها وبقاؤها.

فهنا شبهة وإشكال: وهو أنّه يمكن جريان الاستصحاب فيه، فيقال: الجنابة التي هذا الأثر منها كانت معلومة الوجود، ويشكّ في بقائها وارتفاعها، فالآن كما كانت، ويترتب عليه وجوب الغسل، مع أنّه لا يمكن الالتزام به؛ لأنّ الجنابة المعلومة قد ارتفعت قطعاً بالاغتسال بعدها، والمحتملة لا توجب الغسل؛ لعدم إحرازها.

فأجيب عن الإشكال: بعدم جريان الاستصحاب المذكور؛ لعدم إحراز اتّصال زمان الشكّ باليقين؛ لتردّد الجنابة المتيقّنة - التي هذا الأثر منها - بين مقطوعة الزوال

وبين محتملة الحدوث والبقاء، وحيث إنَّها مرَدَّةٌ بينها يحتمل تخلُّ اليقين بالخلاف في البين، فتصير شبهة مصداقية لقوله عليه السلام: (لا ينقض...) إلى آخره، وليس مرجعه إلى الشكِّ في الأمر الوجداني - أي نفس الشكِّ واليقين - كي يقال بعدم إمكانه، بل الشكُّ إنَّما هو في إضافة اليقين إلى هذا الفرد من الجنابة المعلوم حدوثها وزوالها، أو إلى الفرد الآخر المحتمل الحدوث والبقاء، فالإجمال إنَّما هو في إضافة اليقين إلى هذا أو إلى ذاك، لا في نفسه<sup>(١)</sup>.

أقول: عدم جريان الاستصحاب المذكور ليس لما ذكر، بل لعدم ترتُّب أثرٍ شرعيٍّ على المستصحب المذكور؛ لأنَّ موضوع الأثر الشرعي - كوجوب الاغتسال ونحوه - هي الجنابة، لا الجنابة التي هذا الأثر لها؛ بأن تكون الجنابة جزء الموضوع للأثر، والجزء الآخر اتَّصافها بأنَّ هذا الأثر لها، ولا مجال لاستصحاب الجنابة بدون هذه الإضافة؛ لأنَّ المفروض أنَّه اغتسل بعدها، والشكُّ إنَّما هو في حدوث جنابة أخرى، ومجرَّد احتيالها لا يوجب الغسل.

وأما الجنابة التي هذا الأثر لها بنحو التركيب، فهي وإن كانت متبيِّنة الحدوث ومشكوكة البقاء، لكن ليس لها كذلك أثر شرعيٍّ يترتَّب عليها باستصحابها. مضافاً إلى أنَّه إن أريد استصحاب شخص الجنابة، فشحها مردد بين مقطوع الزوال ومحتمل الحدوث، فالشخص الأوَّل منها مقطوع الزوال، فلا يتمُّ فيه أركان الاستصحاب، والشخص الثاني منها محتمل الحدوث، ولا يقين سابق به، فعدم جريان الاستصحاب في الفرض لعدم تمامية أركان الاستصحاب، لا لعدم إحراز اتِّصال زمان الشكِّ باليقين.

وإن أريد استصحاب الكلِّي فلا مجال لجريانه أيضاً؛ لأنَّه لا بدَّ أن يكون من

القسم الثالث من أقسام استصحاب الكلي، وليس منه؛ لأنّه لا بدّ فيه من احتمال وجود فرد من الكليّ مقارناً لارتفاع الفرد الأول منه أو مقارناً لزمانه، والمحتمل فيما نحن فيه حدوث جنابة بعد زمان ارتفاع الأولى بالاغتسال لا مقارناً لارتفاعها، فلو اغتسل من الأولى عند الطلوع، واحتمل حدوث جنابة أخرى عند الزوال - كما هو المفروض فيما نحن فيه - فهو ليس من قبيل القسم الثالث من أقسام استصحاب الكليّ؛ لما عرفت، فعدم اتّصال زمان الشكّ باليقين معلوم فيه، لا أنّه مشكوك.

### إشكال المحقّق الخراساني في مجهولي التاريخ وجوابه

إذا عرفت ذلك فنقول: ذهب المحقّق الخراساني رحمه الله إلى عدم جريان الاستصحاب في مجهولي التاريخ في واحد من طرفيه، لا أنّه يجري في كلّ واحد من الطرفين، ويتساقطان بالمعارضة؛ حيث قال ما حاصله: إنّ الأثر لو كان مترتباً على عدم هذا إلى زمان ذاك وبالعكس، فلا يجري الاستصحابان؛ لعدم إحراز اتّصال زمان الشكّ باليقين فيهما؛ وذلك لأنّ المفروض هنا ثلاثة أزمنة:

أحدها: زمان العلم بعدم حدوث واحد منهما.

ثانيها: زمان العلم بحدوث أحدهما الغير المعيّن.

ثالثها: زمان العلم بحدوث الآخر أيضاً - كالصبح والزوال والمغرب - فال موضوع للأثر: إمّا هو عدم حدوث أحدهما في عمود الزمان وأجزائه، فاستصحاب عدمه جارٍ في الزمان الثاني للشكّ في الوجود فيه.

وأما لو كان موضوع الأثر هو عدم حدوث هذا في زمان حدوث الآخر، فهذا الشكّ لا يتحقّق في الزمان الثاني؛ حيث إنّ ما لم يوجد الآخر لا يمكن تحقّق إضافة عدم هذا إلى زمان وجود الآخر.

وأما الزمان الثالث فهذا الشكّ متحقّق فيه، لكنّه يعلم إجمالاً فيه بعدم اتّصال

أحد الشكّين بزمان اليقين - أي الزمان الأوّل - للعلم بوجود أحدهما المتخلّل بين هذا الزمان وبينه، ويحتمل أن يكون المتخلّل الموجود في الزمان الثاني كلّ واحد منهما<sup>١١</sup>. انتهى.

أقول : فيما ذكره هـ احتمالات :

الأوّل : أن مراده أن المانع من جريان الاستصحاب هنا هو العلم الإجمالي بحدوث أحدهما في الزمان الثاني، والآخر في الزمان الثالث؛ أي العلم الإجمالي الطولي في عمود الزمان بتقدّم وجود هذا أو ذاك، كما هو الظاهر من عبارته هـ.

وفيه : أن اتّصالَ زمان الشكّ بزمان اليقين - المعتبر في الاستصحاب - عبارة عن عدم تخلّل العلم التفصيلي بالخلاف بينها، وأمّا العلم الإجمالي بتقدّم هذا أو ذاك فهو محقّق للشكّ، ومرجعه إلى احتمال عدم اتّصاله؛ لاحتمال تقدّم هذا أو ذاك، لا اليقين بذلك، ولا فرق بين ذلك وبين سائر موارد العلم الإجمالي وأطرافه، إلّا أن العلم الإجمالي هنا طوليّ.

وبالجملة : إن أراد هـ أن المانع عن جريان الاستصحاب هنا هو العلم الإجمالي بالخلاف فهو خارج عمّا نحن فيه. وإن أراد أن عدم جريانه لعدم إحراز الاتّصال، واحتمال تخلّل اليقين بالخلاف، فهو ممنوع.

الثاني من الاحتمالات على بُعد هو: أن مراده هـ أن الزمان الثاني وإن كان زمان الشكّ في وجوده بالنسبة إلى عمود الزمان وأجزائه، لكنّه ليس ظرفاً للشكّ في عدمه في زمان وجود الآخر؛ أي العدم المضاف إلى زمان وجود الآخر؛ حيث إنّه لم يُعلم وجوده، وما لم يعلم وجوده يمتنع الشكّ المذكور؛ أي المضاف إلى زمان وجود

الآخر ولا ظرفاً لليقين بوجوده ولا عدمه؛ لأن المفروض تردّد الموجود فيه بين هذا وذاك، نعم الزمان الثالث ظرف للشكّ في تقدّم هذا أو ذاك، فهو شاكّ فيه في عدم وجود هذا في زمان وجود الآخر وبالعكس، لكن حيث إنّ الزمان الثاني الذي ليس ظرفاً للشكّ في عدمه المضاف إلى زمان وجود الآخر، ولا ظرفاً للعلم بوجوده أو عدمه، فهو فاصل بين الزمان الأوّل الذي هو ظرف لليقين بعدم كلّ واحد منهما، وبين الزمان الثالث الذي هو ظرف للشكّ المذكور، فلا مجال لجريان الاستصحاب المذكور في الزمان الثالث.

ففيه أولاً: أنّ هذا الشكّ الإضافي متحقّق في الزمان الثالث وإن لم يكن حاصلاً في الزمان الثاني، وهو متّصل بزمان اليقين، فإنّه لو رجع بنحو القهقري إلى هذا الزمان، كان الشكّ متحقّقاً في أجزاء تلك الأزمنة المتخلّلة؛ لأنّه شاكّ في ظرف الزمان الثالث في أنّ الموجود في الزمان الثاني هذا أو ذاك، والمعتبر في الاستصحاب ملاحظة اليقين والشكّ واتّصالهما في حاله، لا في الحال الذي قبله وحينئذٍ، فلا إشكال في جريان الاستصحاب في الزمان الثالث.

وإن أراد اعتبار اتّصال زمان الشكّ بزمان اليقين حين الاستصحاب، فهو متحقّق.

وثانياً: سلّمنا أنّه لا يقين ولا شكّ في الزمان الثاني، لكن لا دليل على اعتبار عدم تخلّل ذلك بين زمان الشكّ واليقين، فإنّ الاستفادة من أدلّة الاستصحاب اعتبار عدم تخلّل اليقين بالخلاف في البين فقط، فكما يحكم بالبقاء إلى زمان الشكّ يحكم بالبقاء إلى زمان لا يقين ولا شكّ فيه.

وثالثاً: سلّمنا ذلك، لكنّه إنّما يصحّ فيما لو التفت في الزمان الأوّل إلى العلم بعدم وجود أحدهما، وفي الزمان الثاني إلى العلم بوجود أحدهما، وفي الزمان الثالث إلى العلم بوجود الآخر، وأمّا لو غفل عن ذلك في الزمان الأوّل والثاني، والتفت في الزمان



الثالث إلى ذلك، فعلم بعدم وجود واحد منها في الزمان الأول، ووجود أحدهما الغير المعين في الزمان الثاني، وبوجود الآخر كذلك في الثالث الذي هو فيه. وشك في المتقدم والمتأخر منها، فإن ما أفاده في وجه عدم جريان الاستصحاب لا يتم ولا يجري في هذه الصورة، فمقتضى ما ذكره هو التفصيل بين هذين الفرضين.

الاحتمال الثالث في عبارته **ثالثاً** : ما ذكره شيخنا الحائري **رحمته** في درسه، وهو أن عدم جريان الاستصحاب في المقام ليس لأجل عدم اتصال زمان الشك بزمان اليقين، بل لأنه شبهة مصداقية لقوله **عليه السلام** : (لا ينقض...) إلى آخره، وذلك لأن الحادثين اللذين علم بعدم تحققهما في الزمان الأول وبتحقق أحدهما في الزمان الثاني، وبتحقق الآخر في الزمان الثالث، وشك في المتقدم منها والمتأخر حدوثاً يعلم بتحققهما الأعم من الحدوث والبقاء في الزمان الثالث، لكن يشك في أن ظرف حدوث هذا هو الزمان الثاني أو الثالث، وكذلك الآخر، وحيث إن الزمان الواقعي لكل واحد منها مردد بين الزمان الثاني والثالث، فاستصحاب عدم الآخر إلى الزمان الواقعي لوجود ذلك، مردد بين كونه من نقض اليقين باليقين إن كان ظرف وجوده الواقعي هو الزمان الثاني، وبين كونه من نقض اليقين بالشك إن كان ظرف وجوده الواقعي هو الزمان الثالث، ومع الشك في ذلك لا يصح التمسك له بقوله **عليه السلام** : (لا ينقض)، بل لابد فيه من إحراز كونه من نقض اليقين بالشك.

وأما استصحاب ذلك في الزمان الثالث وترتيب الآثار عليه فيه، فلا معنى له؛ لأنه ظرف العلم بتحققهما.

أقول؛ حل الإشكال؛ هو أنه إن أريد استصحاب عدم أحدهما في عمود الزمان إلى زمان وجود الآخر، فلا مجال لاستصحابه؛ لأنه نقض اليقين باليقين للعلم بوجودهما فيه.

وأما إذا لوحظ استصحابه لا في عمود الزمان إلى زمان وجود الآخر، بل

بالنسبة إلى زمان وجود الآخر، فإنه نقض لليقين بالشك لا باليقين، فلو فرض قيام البيّنة على عدم حدوث هذا إلى الزمان الثالث فلا بدّ من تكذيبها؛ لمكان العلم بتحققها فيه.

وأما لو قامت البيّنة على عدم حدوث عقد الأب إلى زمان حدوث عقد الجدّ، فليس لنا تكذيبها؛ لعدم العلم بخلافها، ويلزمه تقدّم عقد الجدّ على عقد الأب؛ لحجّة المثبتات من الأمارات، وحيث إنّ محتمل نأخذ به.

فلو قلنا بحجّة مثبتات الأصول أيضاً، فاستصحاب عدم وقوع عقد الأب إلى الزمان الواقعي لحدوث عقد الجدّ يثبت تقدّم عقد الجدّ على عقد الأب، ويترتب عليه آثاره.

نعم هذا الاستصحاب معارض مع استصحاب عدم حدوث عقد الجدّ إلى الزمان الواقعي لحدوث عقد الأب، فيتساقطان بالمعارضة، وحيث إنّ الحقّ عدم حجّة مثبتات الأصول، فالاستصحاب المذكور لا يثبت تقدّم هذا على ذاك، ولا يترتب عليه آثار نفس التقدّم والتأخّر، لكن يترتب عليه آثار نفس العدم في زمان الآخر.

ثم إنّ العناوين : إمّا واقعيّة مثل عنوان «العالم» في «أكرم العالم»، فلا يصحّ التمسك بالعالم في الفرد المرّدّد بين كونه عالماً وغير عالم؛ لأنّه تمسك به في الشبهة المصداقيّة، وقد لا يكون كذلك، كالشك واليقين المأخوذ في (لا ينقض اليقين بالشك)، فالشبهة المصداقيّة فيه هو المرّدّد بين كونه من نقض اليقين بالشك أو من نقض اليقين باليقين، لا المرّدّد بين كونه من نقض اليقين بالشك أو من نقض اليقين بالواقع، ففي أطراف العلم الإجمالي - كما في المقام - لا يحتمل نقض اليقين باليقين في الزمان الثاني، وإن احتمل كونه من نقض اليقين بالواقع، لكن هذا الاحتمال - كما عرفت - لا يوجب كونه شبهة مصداقيّة لقوله عليه السلام: (لا ينقض... ) إلى آخره.

فتلخص : أنه إن أريد استصحاب عدمه إلى الزمان الثالث فهو من نقض اليقين باليقين، وإن أريد استصحابه إلى زمان الوجود الواقعي للآخر فهو من قبيل نقض اليقين بالشك. هذا كله في مجهولي التاريخ.

### حول ما كان أحدهما معلوم التاريخ

وأما لو علم تأريخ حدوث أحدهما المعين وجهل تاريخ الآخر، كما لو علم بوقوع عقد الجذ أول الزوال، وعلم إجمالاً بوقوع عقد الأب إما قبل أول الزوال أو بعده، فذكر في «الكفاية» التفصيلات المتقدمة : من استصحاب عدم أحدهما بالنسبة إلى أجزاء الزمان، وذهب إلى جريان استصحاب عدم مجهول التاريخ إلى زمان حدوث معلوم التاريخ، مع منعه عن ذلك في مجهولي التاريخ؛ لإحراز اتصال زمان الشك بزمان اليقين هنا، بخلافه هناك<sup>(١)</sup>.

وفيه : أنه إن أراد من عدم إحراز اتصال زمانيهما في مجهولي التاريخ؛ لأجل العلم الإجمالي بوجود أحدهما في الزمان الثاني، فهذا العلم الإجمالي متحقق في ما نحن فيه أيضاً؛ للعلم بتحقيق عقد الأب إما قبل الزوال أو بعده.

وإن أراد الاحتمال الثاني الذي احتملناه من عبارته.

ففيه : أنه جارٍ فيما نحن فيه أيضاً؛ لأنه ما لم يتحقق الزمان الثالث لا يتحقق

الشك الإضافي المذكور بناءً على مسلكه.

نعم إن أراد الاحتمال الثالث الذي ذكره شيخنا الحائري قدس سره فهو مختص بمجهولي التاريخ، ولا يتأتى فيما نحن فيه؛ لأن الزمان الواقعي لأحدهما المعين معين، ويحتمل تحقق الآخر بعده، فيستصحب عدمه إلى زمان حدوثه المعين تأريخه.

ومحصل الكلام: هو أن الحق جريان الاستصحاب في مجهولي التاريخ؛ أي استصحاب عدم أحدهما إلى زمان حدوث الآخر، ويترتب عليه الآثار المترتبة على نفس هذا العدم، فلو ترتب على عدم كل واحد منهما في زمان حدوث الآخر أثر شرعيّ تعارض الاستصحابان وتساقطا، وكذا فيما لو علم بتأريخ حدوث أحدهما المعين، فإنه يستصحب عدم الآخر إلى زمان حدوث معلوم التأريخ مع ترتب الأثر على نفس هذا العدم.

ثمّ هنا فرعان :

### الفرع الأول: في تعاقب النجاسة والطهارة

لو علم بطهارة وحدث، وشك في المتقدم منها والمتأخر: فالمنقول عن المشهور في خصوص هذا الفرع: أنه يجب عليه الطهارة؛ لقاعدة الاشتغال وتعارض الاستصحابين<sup>(١)</sup>.

ونقل عن المحقق أنه يأخذ بضد الحالة السابقة عليها، فإن كانت هي الطهارة فهو محدث يجب عليه الطهارة، وإن كانت هي الحدث فهو متطهر<sup>(٢)</sup>.

وحكي تبعة المتأخرون عنه<sup>(٣)</sup>.

ومحققوا متأخري المتأخرين، كالشيخ الأعظم<sup>(٤)</sup> والفقهاء الهمداني<sup>(٥)</sup> والميرزا

١ - أنظر المقنعة : ٥٠، المبسوط : ١، السرائر : ١، ١٠٤، مفتاح الكرامة : ١، ٢٨٩، جواهر الكلام : ٢، ٣٥٠ - ٣٥١.

٢ - التنقيح الرائع : ١، ٨٩، المعتبر : ٤٥ سطر ١٩.

٣ - أنظر جامع المقاصد : ١، ٢٣٦.

٤ - الطهارة، الشيخ الأنصاري : ١٥٨ سطر ٩.

٥ - مصباح الفقيه، الطهارة : ٢٠٢ سطر ١٦.

النائبني<sup>(١)</sup> قدّست أسرارهم وافقوا المشهور.

والحقّ: هو التفصيل بين مجهولي التأريخ وبين المعلوم تأريخ أحدهما؛ وذلك لأنّ الحالة السابقة للحادثين: إمّا معلومة أو لا، وعلى الأوّل: فإمّا أن يكون الأثر المترتب على الحالة السابقة مثل الأثر المترتب على أحدهما، كما لو كان الثوب سابقاً متنجساً بالبول، ثمّ علم بعروض طهارة ونجاسة بالبول عليه بعد ذلك، أو زائد عليه، كما لو علم في المثال بعروض طهارة ونجاسة بالدم عليه؛ بناءً على وجوب الغسل مرّتين في الدم، ومن البول مرّة واحدة.

وعلى أيّ تقدير: إمّا أن يكونا مجهولي التأريخ، أو يعلم تأريخ أحدهما، فعلى الأوّل - مع عدم العلم بالحالة السابقة - فلا إشكال في جريان الاستصحاب في كلّ منهما وتساقطهما بالمعارضة.

وعلى الثاني فالمحكي عن بعض: أنّ استصحاب عدم حدوث مجهول التأريخ إلى زمان المعلوم التأريخ يثبت تأخّره عنه<sup>(٢)</sup>، لكن قد عرفت عدم حجّية المثبت من الأصول.

ومع ترتّب الأثر في مجهولي التأريخ على أحدهما فقط، فلا إشكال في جريان استصحابه بلا معارض.

وإنّما الكلام فيما لو علمت الحالة السابقة عليهما، كما لو فرض كونه محدثاً بالحدث الأصغر، ثمّ علم بعروض طهارة وحدث أصغر آخر، وشكّ في المتقدّم والمتأخّر منهما مع الجهل بتأريخهما، فذهب المحقّق<sup>(٣)</sup> إلى أنّ الحدث السابق مرتفع قطعاً بالطهارة المعلوم وقوعها بعده، ولم يعلم انتقاض تلك الطهارة؛ لجواز تعاقب الحدثين.

١ - فوائد الأصول ٤: ٥٢٤ - ٥٢٥.

٢ - جواهر الكلام ٢: ٣٥٣، الدرّة النجفيّة: ٢٣.

فتستصحب، وكذلك العكس<sup>(١)</sup>.

وأورد عليه : بأنّه يعلم إجمالاً بحدوث حدث آخر أيضاً لم يعلم ارتفاعه، والمعلوم ارتفاعه هو الحدث الأوّل، فكما أنّه يعلم بارتفاع الحدث الأوّل، كذلك يعلم بحدوث حدث آخر لا يعلم ارتفاعه، فيستصحب أيضاً<sup>(٢)</sup>.

أقول : توضيح الكلام في المقام على وجه يندفع به هذا الإشكال يحتاج إلى تقديم مقدّمة : هي أنّ الأسباب الشرعيّة - كسببيّة النوم لانتقاض الوضوء وأمثالها كأسباب الطهارة كلّها - أسباب اقتضائيّة وفعلية متوقّفة على عدم مسبوقيتها بالمثل، فالسببيّة الفعلية للنوم بالنسبة للحدث إنّما هي فيما لو عرض للمتطهر، فأما المسبوق بحدث آخر مثله فليس مسبباً فعلياً للحدث وانتقاض الطهارة، فإنّه لا معنى للحدث بعد الحدث، وكذا الانتقاض بعد الانتقاض، وكذلك سائر الأسباب الشرعيّة، كالنجاسة والطهارة، وحينئذٍ ففيما نحن فيه وإن علم المكلف بحدوث البول - مثلاً - بعد الحدث الأوّل أيضاً، لكنّه إنّما يؤثّر لو وقع بعد الطهارة المعلوم حصولها إجمالاً، وأما النوم أو البول الصادر منه قبلها فلا أثر له؛ لما عرفت، لكنّه حيث يعلم بحصول طهارة منه فلا إشكال في صحّة استصحابها، بخلاف الحدث؛ لعدم العلم بالمؤثّر منه بالحدث الثاني، فرجعه إلى ضمّ احتمال الحدث بعد الطهارة إلى العلم التفصيلي بالطهارة.

وقال الفقيه الهمداني ما حاصله : إنّّه - بعد حدوث البول الثاني مثلاً - عالم بصدور الحدث منه؛ إمّا من السبب السابق إن تأخّرت الطهارة عن الحدث واقعاً، أو من السبب الثاني لو تقدّمت عليه، فهو شاكّ في ارتفاعه، فيستصحب أيضاً<sup>(٣)</sup>.

وفيه : أنّه وقع الخلط في كلامه **فَيُؤْثِّرُ** ؛ لأنّ ما ذكره **فَيُؤْثِّرُ** عبارة أخرى عن العلم

١ - المعتبر : ٤٥ سطر ١٩ .

٢ - أنظر مدارك الأحكام : ١ : ٢٥٥ .

٣ - مصباح الفقيه ، الطهارة : ٢٠٤ سطر ٢٤ .

الإجمالي بحدوث النوم إما قبل الوضوء، وإما بعده، وقد عرفت أنه غير مؤثر لو صدر قبل الوضوء، فهو نظير العلم الإجمالي إما بوقوع العطسة قبل الوضوء أو بعده، فكما أن ضم العطسة إلى العلم بالوضوء من قبيل ضم الحجر إلى جنب الإنسان لا يؤثر شيئاً، كذلك العلم بالنوم الثاني، فالمعلوم بالإجمال هو حدوث النوم لا الحدث، والمقصود استصحاب الحدث المسبب عن النوم، لا استصحاب السبب، فهذا الشخص يعلم بالحدث تفصيلاً قبل الوضوء، وشاك في حدوث حدث آخر بعد الوضوء بعد ارتفاع الحدث الأول قطعاً، فهو نظير ما تقدّم في شبهة استصحاب الجنابة فيمن رأى في ثوبه أثر الجنابة على التفصيل المتقدّم.

وبعبارة أخرى: وقع الخلط في كلامه عليه السلام بين العلم الإجمالي وبين العلم التفصيلي المنضم إلى الشك البدوي، واشتبه الأمر بينهما، فإن العلم الإجمالي إنما هو فيما لو كان هناك إجمال في النفس وترديد بين الأطراف، كالنجاسة المعلومة بين هذا الإناء أو ذاك؛ بحيث لو لم يكن النجس أحدهما فالآخر هو النجس، وأما لو علم بأن هذا الإناء نجس تفصيلاً، وعلم بوقوع قطرة من البول إما فيه أو في طاهر، فإنه يعلم بوقوع قطرة منه في أحدهما، لكنه لا يؤثر في وجوب الاجتناب عن الطاهر؛ لأن المفروض أنه يعلم بنجاسة أحدهما المعين تفصيلاً لا إجمال فيه، ويشكّ بدوياً في نجاسة الآخر لاحتمال وقوع القطرة فيه، وكذلك لو علم بالجنابة تفصيلاً، ثم علم بحصول جنابة أخرى واغتسال من جنابة، ولم يعلم المتقدّم منها والمتأخّر، فإنه وإن يعلم بحدوث جنابة أخرى إجمالاً، لكن لا إجمال بالنسبة إلى الجنابة الأولى، ويشكّ في حصول جنابة مؤثرة في وجوب الاغتسال أولاً؛ لجواز تعاقب الجنابتين، فكذا فيما نحن فيه، فإن المعلوم بالإجمال إنما هو حدوث السبب، كالنوم إما قبل الوضوء أو بعده، وأما الحدث الذي هو مسبب عن النوم فهو معلوم بالتفصيل قبل الوضوء، ويحتمل حدوث حدث آخر بعد الوضوء.

مضافاً إلى أنه إن أريد استصحاب شخص الحدث فيما لو كانت الحالة السابقة، الحدث، فالمفروض تردده بين مقطوع الارتفاع ومحتمل الحدوث والبقاء، ولا مجال لاستصحاب واحد منهما لاختلال أركانه.

وإن أريد استصحاب كليّه فهو إنّما يصحّ إذا احتمل وجود جنابة أخرى مقارناً لارتفاع الشخص الأوّل منها؛ ليكون من القسم الثالث من أقسام استصحاب الكليّ، ومحل الكلام ليس كذلك، وحينئذٍ فلا يحتمل بقاء الكليّ؛ للعلم بعدم اتّصال زمان الشكّ بزمان اليقين.

ومن هنا يظهر ما في كلام الميرزا النائيني، فإنّه قال ما حاصله:  
إنّه فرق في جريان الاستصحاب بين أن يكون التردد في مصداق طبيعة الحدث، وبين التردد في أجزاء الزمان، وما نحن فيه من قبيل الثاني<sup>(١)</sup>.  
وفيه: أنّ التردد فيما نحن فيه ليس في عمود الزمان؛ لأنّ التردد فيه في تقدّم طبيعة الحدث على الطهارة وعدمه، والمفروض فيه أنّه يعلم بالحدث قبل الوضوء، ويشكّ في صدور الحدث - مثلاً - بعد الوضوء، فلا مجال لاستصحابه؛ لأنّ الشخص الأوّل منه قد ارتفع قطعاً، والمصداق الثاني منه مشكوك الحدوث. هذا كلّ في مجهولي التاريخ.

وأما لو علم تأريخ أحدهما وجهل الآخر، فالحقّ فيه التفصيل بين ما لو كان المعلوم تأريخه مثل الحالة السابقة عليها أو نقيضه، ولكن كان أثره أنقص من الأثر المترتب على الحالة السابقة، وبين ما لو كان ضده أو مثله، ولكن له أثر زائد على أثر الحالة السابقة، ففي الأوّل يجري استصحاب كلّ واحد منهما، ويتعارضان، كما هو المشهور، بخلاف الثاني فيجري استصحاب المعلوم التأريخ فيه بلا معارض.



أما جريانها في الأول فلائنه لو فرض كونه محدثاً عند الطلوع، وعلم بحدوث سبب آخر لهذا الحدث عند الزوال، وعلم بصدور طهارة منه إما قبل الزوال أو بعده، فهو بعد الزوال شاك في أنه محدث أو متطهر؛ من جهة تردد الطهارة بين وقوعها قبل الزوال أو بعده، فهو عالم بكونه محدثاً عند الزوال؛ إما بسبب النوم الأول - مثلاً - عند الطلوع على فرض وقوع الطهارة بعد الزوال، أو بسبب النوم الثاني لدى الزوال على فرض وقوع الطهارة قبل الزوال، وشاك في بقاءه على الحدث، فيستصحب كليّ الحدث بهذا السبب أو بذاك، وكذلك هو عالم بصدور طهارة منه رافعة وإن لم يعلم أنها قبل الزوال أو بعده، وشاك في بقاءها، فتستصحب، ويتعارضان ويتساقطان، فيجب عليه الطهارة للمشروط بها.

وتوهم: عدم جريان استصحاب الطهارة فيه؛ لعدم إحراز اتصال زماني الشك واليقين؛ لاحتمال وقوعها قبل الزوال<sup>(١)</sup>.

مدفوع: بأنه لا يعتبر في الاستصحاب إلا احتمال البقاء مع اليقين السابق، وهو متحقق هنا مع الشك في الاتصال، فلا يلزم فيه إحراز الاتصال، بل يكفي عدم تخلل اليقين بالخلاف.

وكذلك فيما لو كان أثر الثاني أنقص وأقل من الحالة السابقة، كما لو علم بتنجس ثوبه بالبول عند الطلوع، وعلم بإصابة الدم له عند الزوال؛ بناء على وجوب غسل المنتجس بالبول مرتين وبالدم مرة، وعلم بتطهير الثوب إما قبل الزوال أو بعده، فإن الاستصحابين يجريان ويتساقطان؛ أمّا استصحاب الطهارة فلعلمه بها سابقاً وشكّه في بقاءها، وأمّا استصحاب النجاسة فكذلك لعلمه بها سابقاً وشكّه في بقاءها.

وأما لو كان معلوم التأريخ ضد الحالة السابقة فيجري استصحابه بلا معارض؛

لأنّه لو كان محدثاً عند الطلوع، وعلم بطهارته عند الزوال، وعلم بصدور حدث منه إمّا قبل الزوال أو بعده، فإنّ استصحاب الطهارة المتيقّنة لدى الزوال جارٍ بلا معارض؛ للعلم بها لدى الزوال والشكّ في بقائها، ولا مجال فيه لاستصحاب الحدث؛ لا بالنسبة إلى شخصه ولا إلى كليّه: أمّا شخصه فلأنّ الشخص الأوّل منه عند الطلوع مقطوع الارتفاع عند الزوال بمحصول الطهارة المتيقّنة، والشخص الآخر منه محتمل الحدوث بعد الزوال، فلا يتمّ فيه ركنا الاستصحاب.

وأما بالنسبة إلى كليّه فلا بدّ أن يكون من القسم الثالث من استصحاب الكليّ، وليس منه؛ لأنّه لا بدّ في استصحاب الكليّ المذكور من احتمال وجود فرد آخر من الحدث مقارناً لارتفاع الشخص الأوّل منه، وما نحن فيه ليس كذلك.

وكذلك لو كان معلومُ التأريخ مثل الحالة السابقة، لكن أثره أزيد من أثر الحالة السابقة، كما لو تنجّس ثوبه بالدم عند الطلوع وعلم بتنجّسه عند الزوال بالبول؛ بناءً على ما تقدّم؛ من وجوب غسل المتنجّس بالبول مرّتين وبالدم مرّة، وعلم بتطهيره الثوب إمّا قبل الزوال أو بعده، وشكّ في البقاء، فإنّ استصحاب النجاسة فيه جارٍ بلا معارض؛ للعلم بها عند الزوال والشكّ في بقائها بعده، وأمّا الطهارة؛ فالمحتمل وجودها قبل الزوال مرتفع قطعاً، وأمّا التي بعد الزوال فهي غير متيقّنة، فلم تتحقّق فيها أركان الاستصحاب حتّى يعارض استصحاب النجاسة، وأمّا استصحاب كليّهما فقد عرفت الحال فيه.

والسرّ في جميع ما ذكرناه في مجهولي التأريخ والمعلوم تأريخ أحدهما أمران؛ أحدهما: أنّ المعتبر في الاستصحاب هو عدم تخلّل العلم التفصيلي بالخلاف بين زماني الشكّ واليقين، ولا يضرّ في جريانه تخلّل العلم الإجمالي بالخلاف بينهما، فإنّه محقّق للشكّ والترديد بينه وبين الطرف الآخر، ولذا لا إشكال في جريان الأصل في أطراف العلم الإجمالي، لكن يسقط بالمعارضة.

ثانيهما - وهو الأهم - : أنه لابد في جميع فروض الحادتين وصورهما من مجهولي التاريخ والمعلوم تأريخ أحدهما - سواء علمت الحالة السابقة عليهما أم لا - من ملاحظة أنه هل يتحقق في البين مصداقان للمستصحب: أحدهما معلوم الحدوث والارتفاع، والآخر محتمل الوجود، أو مصداق واحد والترديد إنما هو في محله، فلا مجال للاستصحاب في الأول لا كلياً ولا شخصياً، بخلاف الثاني، ففيما إذا علم بالحدث عند الطلوع، ثم علم بحدوث طهارة وحدث، ولم يعلم المتقدم منها والمتأخر، فليس للطهارة فيه إلا مصداق واحد علم بتحقيقه إجمالاً؛ إما قبل الحدث الثاني أو بعده، والترديد إنما هو في محله، واحتمل بقاءه، فيستصحب، وأما الحدث فله في المثال مصداقان: أحدهما الحادث عند الطلوع قبل الحادتين المعلوم وجوده وزواله، والثاني محتمل الوجود والبقاء، وإن علم بتحقيق سببه، لكن حيث إنه مرّد بين حدوثه قبل الطهارة عقيب الحدث الأول، فلا يؤثر حينئذٍ في صيرورته محدثاً، وبين حدوثه بعد الطهارة، فيؤثر فيها، فهو غير متيقن، بل هو محتمل الحدوث، وليس واحد منها مجرى للاستصحاب لا كلياً ولا شخصياً، كما عرفت ذلك مفصلاً، وحينئذٍ فاستصحاب الطهارة بلا معارض، ولذا قلنا: إنه لابد من الأخذ بضد الحالة السابقة في مجهولي التاريخ، وهو الطهارة في المثال؛ للعلم بتحقيق مصداق منها إجمالاً، ولا يضره الترديد في محلّها من وقوعها قبل الحدث أو بعده؛ لأنّه محقق للشكّ المعبر في الاستصحاب، وأما نفس الحالة السابقة فلها مصداقان في المثال: أحدهما معلوم التحقق والارتفاع، والآخر محتمل الحدوث، لا مصداق واحد، فلا مجال للاستصحاب فيه.

وكذلك الكلام في المعلوم تأريخ أحدهما مع كونه ضدّ الحالة السابقة، أو كان أثره أزيد من الأول الذي هو مثله، فإنّه لا مجال فيها إلا لاستصحاب المعلوم تأريخه، بخلاف ما لو كان المعلوم تأريخه مثل الحالة السابقة، أو كان أثره أنقص، كما لو علم عند الطلوع بالحدث، وعلم بحدوث سبب الحدث عند الزوال، وعلم بوقوع الطهارة

إمّا قبل الزوال أو بعده، وشكّ في بقائها فتستصحب، وكذلك الحدث؛ للعلم بكونه محدثاً عند الزوال تفصيلاً؛ إمّا بالسبب الأوّل عند الطلوع، أو بالسبب الثاني لدى الزوال، فيستصحب كليّ الحدث.

### الفرع الثاني : في تعاقب الكريّة والملاقاة

ذكر الميرزا النائيني في الفرض الثالث من الفروض الثلاثة التي ذكرها للمعلوم تأريخ أحد الحادثين: أنّ الاستصحاب في مجهول التأريخ، غير جارٍ أصلاً، سواء كان الآخر معلوم التأريخ أم لا، كما لو علم بكريّة الماء وملاقاته للنجاسة، وشكّ في المتقدّم منها والمتأخّر؛ فإنّه لا مجال لاستصحاب عدم الملاقاة إلى زمان حصول الكريّة؛ ولو مع العلم بزمان حصول الكريّة والجهل بتأريخ الملاقاة<sup>(١)</sup>.

ويظهر منه : أنّ السرّ في عدوله عمّا اختاره سابقاً - من جريان استصحاب عدم الملاقاة إلى زمان حصول الكريّة وطهارة الماء مع العلم بتأريخ الكريّة - إلى القول بعدم جريانه ونجاسة الماء المذكور، أمران :

الأمر الأوّل : أنّ الظاهر من قوله عليه السلام : (إذا بلغ الماء قدر كُرٍّ لا ينجسه شيء)<sup>(٢)</sup> أنّه يعتبر في العاصميّة وعدم تأثير الملاقاة في نجاسة الماء، سبق الكريّة على الماء ولو آناءً، فإنّ الظاهر منه: أنّ الكريّة موضوعة للحكم بعدم تنجيس الملاقاة، وكلّ موضوع لابدّ وأن يتقدّم على حكمه، فيعتبر في الحكم بعدم تأثير الملاقاة للنجاسة من سبق الكريّة، ولذلك بنينا على نجاسة المتمّم كراً بالنجس؛ لأنّه يتحد فيه زمان الكريّة والملاقاة، فلا محيص عن القول بنجاسة الماء مطلقاً؛ سواء جهل تأريخ

١ - فوائد الأصول ٤ : ٥٢٨ - ٥٣٠ .

٢ - الكافي ٣ : ٢ / ١ و ٢، وسائل الشيعة ١ : ١١٧ و ١١٨، كتاب الطهارة، أبواب الماء

المطلق، الباب ٩، الحديث ١ و ٢ و ٥ و ٦ . وفي المصدر: (إذا كان الماء ...).

الملاقاة والكرّية، أو علم تأريخ أحدهما :  
 أمّا في صورة الجهل بتأريخها فلأنّ أصالة عدم كلّ منهما في زمان الآخر  
 لا تقتضي سبق الكرّية، وكذا إذا علم تأريخ الملاقاة، فإنّ أصالة عدم الكرّية إلى زمان  
 الملاقاة لا تقتضي عدم تحقّق الكرّية قبل الملاقاة.  
 وأمّا إذا علم تأريخ الكرّية فأصالة عدم الملاقاة إلى زمان الكرّية لا تثبت تأخّر  
 الملاقاة عن الكرّية، وقد عرفت اعتباره في الطهارة.  
 الأمر الثاني : أنّه لو علّق شيء على أمر وجودي، فالحكم به متفرّع على  
 إحراز ذلك.

وكان شيخنا الحائري رحمته يذكر ذلك في بعض الموارد، فإنّ الحلّة في قوله عليه السلام :  
 (لا يحلّ مال امرئ مسلم إلّا بطيب نفسه) <sup>(١)</sup> علّقت على طيب نفس المالك، فمع الشكّ  
 في الطيب فهو شبهة مصداقيّة لا يجوز التمسك لجوازه فيه بذلك <sup>(٢)</sup>.  
 ففيما نحن فيه : الحكم بطهارة الماء الملاقى للنجس معلّق على إحراز كرّيته،  
 فلا يحكم بطهارته مع عدم إحراز الكرّية، واستصحاب عدم الملاقاة إلى زمان الكرّية  
 قد عرفت أنّه لا يثبت سبق الكرّية على الملاقاة.

أقول : موضوع الحكم بالطهارة هو الماء البالغ حدّ الكرّية في الفرض، لكن  
 موضوع الحكم بانفعال الماء أيضاً هو الماء القليل الغير البالغ حدّ الكرّية، الذي ذكر  
 بعضهم: أنّ فيه مأني رواية <sup>(٣)</sup> أو ثلاثمائة <sup>(٤)</sup>، فالماء البالغ حدّ الكرّية موضوع للحكم  
 بالطهارة مع ملاقاته للنجس، والماء الغير البالغ حدّها موضوع للحكم بنجاسته

١ - عوالي اللآلي ١ : ٢٢٢ / ٩٨ .

٢ - أنظر كتاب البيع (تقارير المحقّق الحائري)، الشيخ الأراكي ١ : ٧٩ .

٣ - راجع رياض المسائل ١ : ٥ سطر ٨، فقد ذكر: بأنّ بعض الأصحاب جمع منها مئتي رواية.

٤ - أنظر مستمسك العروة الوثقى ١ : ١٤٢ .

بملاقاته له، وبناء على ما ذكره من اعتبار تقدّم كلّ موضوع على حكمه، فكما أنّه لا تثبت الكرّيّة الموضوعية للطهارة بالاستصحاب، لا يثبت به عدمها الموضوع للانفعال، فلا يشمل أدلّة انفعال الماء القليل بملاقاته النجس، وكذا دليل عاصميته وعدم انفعاله، والمرجع حينئذٍ هو قاعدة الطهارة.

وأما ما ذكره: من أنّ أصالة عدم الملاقاة إلى زمان الكرّيّة لا تثبت تأخّر الملاقاة عنها، فهو صحيح، لكن لا يفتقر إلى إثبات ذلك في الحكم بالطهارة، بل يكفي استصحاب عدم الملاقاة إلى زمان الكرّيّة.

وعلى فرض الإشكال على ذلك فاستصحاب طهارة الماء لا إشكال فيه، مع عدم إحراز نجاسته.

وأما الأمر الثاني الذي ذكره فليس له مستند صحيح وركن وثيق يعتمد عليه، نعم هو كذلك عند العرف والعقلاء في بعض الموارد؛ لأنّهم يحترزون عن الشبهة المصداقية، مثل أكل مال الغير مع عدم إحراز طيب نفس مالكة، ولعلّه لجهات أخرى، وإلا فلا دليل على لزوم الحكم بضدّ الحكم المعلق على شيء مع عدم إحراز المعلق عليه. نعم لا يحكم حينئذٍ بالحكم المعلق عليه.

## التنبية التاسع

### في موارد التمسك بالعموم واستصحاب حكم المخصّص

إذا ورد عامٌ استغراقيّ، وخُصّص وأُخرج عنه فرد منه في زمان، مع إهماله أو إجماله بالنسبة إلى مابعدّه من الأزمنة كقوله: «أكرم العلماء، ولا تكرم زيداَ يوم الجمعة»، وشكّ في يوم السبت في أنّه هل يجب إكرام زيد أو يحرم، ففيه اختلاف بين الأعلام في أنّه مورد التمسك بالعام، أو استصحاب حكم المخصّص مطلقاً، أو التفصيل بين ما أخذ الزمان في الخاصّ بنحو الظرفيّة أو القيدية، كما ذهب إليه الشيخ الأعظم<sup>(١)</sup> والمحقّق الخراساني<sup>(٢)</sup>، مع عدم تقطيع الزمان من الابتداء، وكذلك الميرزا النائيني ببيان آخر<sup>(٣)</sup>، وشيخنا الحائري<sup>(٤)</sup> في درسه، وإن لم يفصل بينهما في دُرره<sup>(٥)</sup>.

ولتوضيح المطلب وتحقيقه لابدّ من تقديم أمور :

الأمر الأوّل : عموم العامّ الأفرادي الصادر من المولى بالنسبة إلى الأزمان

١ - فرائد الأصول : ٣٩٥ سطر ١٢ .

٢ - كفاية الأصول : ٤٨٣ - ٤٨٤ .

٣ - فرائد الأصول ٤ : ٥٣٢ .

٤ - درر الفوائد : ٥٦٨ .

يتصوّر على وجوه:

الأول : جعل كلّ زمان موضوعاً للحكم؛ بتقطيع أجزاء الزمان وإدخال لفظة مثل «كلّ» عليه. مثل «أكرم العلماء في كلّ يوم».

الثاني : أن يجعل مجموع الأزمنة موضوعاً واحداً، مثل «أكرم العلماء في مجموع شهر رمضان».

الثالث : أن يصرّح في الكلام بالاستمرار والدوام، مثل «أكرم العلماء دائماً أو مستمراً»، فإنّ هذا الفرض غير الأوّلين، فإنّ المطلوب فيه واحد مستمرّ في عمود الزمان، كقيام الرقيب والمحافظ في باب السلطان دائماً، فإنّه مطلوب واحد مستمرّ من ابتداء اليوم إلى انتهائه مثلاً، لكن لو خالف في جزء من الزمان فالباقى منه أيضاً مطلوب بالطلب الأوّل، لا بطلب آخر، فليس له إلّا مثوبة واحدة بامتنال ذلك في هذا الظرف من الزمان.

الرابع : أن لا يصرّح بذلك أيضاً، لكن استفيد الاستمرار والدوام من إطلاق طلبه وكلامه وجريان مقدّمات الحكمة، كما ذكره المحقّق الكرّكي صاحب «جامع المقاصد»<sup>(١)</sup>؛ إذ لولا إرادة الاستمرار والدوام من قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(٢)</sup> للزم اللّغويّة؛ لكفاية الوفاء به حينئذٍ في الجملة ولو في الزمان الأوّل، وإن لم يف به في الزمان الثاني.

ثمّ إنّ الزمان المأخوذ في الكلام بأيّ وجه من الوجوه المتقدّمة سوى الوجه الأخير، مثل «أكرم العلماء في كلّ يوم» مثلاً؛ إمّا أن يكون قيداً للموضوع - أي العلماء - أو قيداً للمادة - أي الإكرام - أو قيداً للحكم - أي الوجوب - أو قيداً للنسبة. لكن الأوّل واضح البطلان، والثاني خلاف الظاهر، فهو مردّد بين الأخيرين.

١ - جامع المقاصد ٤ : ٢٨ .

٢ - المائدة (٥) : ١ .



الأمر الثاني : أن مثل قوله : «أكرم العلماء» في كل يوم وغيره من الاعتبارات ينحلّ عرفاً إلى عامّين : عامّ استغراقي ، وعامّ زماني عند العرف والعقلاء، وحينئذٍ ففاده: أكرم كلّ عالم، وليكن إكرامك إياهم في كلّ يوم، والعامّ الأوّل فوقاني، والثاني تحتاني.

وإن شئت قلت : عموم الأوّل أصليّ، والثاني فرعيّ، وكيف كان ليس هذان العامان في عرض واحد، بل الثاني في طول الأوّل ومتفرّع عليه، ولا فرق في ذلك بين العموم الاستغراقي والمجموعي، أو مع التصريح بالاستمرار أو استفادته من الإطلاق، بل في الأخير ذلك أوضح، فإنّ جريان مقدّمات الحكمة واقتضاء الإطلاق، الاستمرار والدوام - للزوم اللغويّة بدون إرادته - في مرتبة متأخّرة عن تحقّق العموم الأوّل مع متعلّقاته، وكذلك فيما لو صرّح بالاستمرار، فإنّ الموضوع للحكم الثاني هو الحكم في العامّ الأوّل، وليس مفاد العامّ الثاني إفادة وجوب الإكرام، بل تكثيره.

الأمر الثالث : تفرّع العامّ الثاني على الأوّل وكونه في طوله، يقتضي رفع موضوع الثاني وانعدامه بتخصيص الأوّل وإخراج فردٍ منه، فإذا خُصّص بـ «لا تكرم زيدا» فهو تخصيص للعامّ الأوّل لا الثاني، فلا يوجب إلّا المخالفة في ظاهر الأوّل. نعم يرتفع به موضوع العامّ الثاني؛ أي وجوب إكرام زيد.

وبعبارة أخرى : التخصيص في العموم الأفرادي تصرّف في ظاهره فقط، لا في ظاهر العموم الأزماني أيضاً، فإنّ التصرّف فيه إنّما هو بإخراج فرد منه مع أنّه من أفراد الموضوع، نظير إخراج زيد العالم عن وجوب الإكرام في العامّ الأوّل، وأمّا خروجه لكونه جاهلاً فليس ذلك تصرّفاً فيه، فلو فرض استقلالهما، مثل «أكرم كلّ عالم، وليكن إكرامك لهم في كلّ يوم»، فكما أنّه لا تعرّض في الأوّل لموضوعه، وأنّ هذا عالم أو لا، كذلك الثاني لا تعرّض فيه لموضوعه، وأنّ وجوب الإكرام فيماذا، بل مفاده استمرار وجوب الإكرام فيما يجب، فمع تخصيص العامّ الأوّل يخرج بعض موضوع العامّ

الثاني عن الموضوعية له؛ أي وجوب إكرام زيد، فكذلك في الجملة الواحدة المنحلة إليهما عرفاً كما في المقام، كما أنّ تخصيص الثاني إنّما يوجب التصرف فيه، لا في العام الأول، ولا فرق في ذلك أيضاً بين كون العام الثاني استغراقياً، أو مجموعياً، أو صرح فيه بالاستمرار والدوام، أو استفيد الاستمرار منه بمعونة مقدّمات الحكمة وإطلاقه، كما ذكره المحقق المذكور في مثل قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ الدالّ بإطلاقه على استمرار وجوب الوفاء بها؛ بحيث صار كأنّه لازم ماهية العقود.

### تحقيق في المقام

إذا عرفت هذه المقدّمات فنقول: لو ورد عامٌ فردي، وخُصّص ذلك بإخراج فرد منه أو جميعهم في زمان خاص، مثل «لا تكرمهم يوم الجمعة» مع إجمال المخصّص أو إهماله بالنسبة إلى ما بعد ذلك الزمان الخاص، كقيام الإجماع على خروج زمان ظهور الغبن في البيع، المخصّص لقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، ففقتضى ما ذكرناه في المقدّمات هو جواز التمسك بالعام فيما بعد ذلك الزمان مطلقاً، ولا يجري فيه استصحاب حكم المخصّص؛ وذلك لما عرفت من أنّ هنا عمومين: أحدهما العموم الفردي، وثانيهما العموم الأزماني، والموضوع في كلّ منهما غير موضوع الآخر، فإنّ موضوع الأوّل كلّ فرد فرد، وموضوع الثاني كلّ يوم، وتخصيص الأوّل عبارة عن إخراج مثل زيد العالم، وتخصيص الثاني عبارة عن إخراج بعض الأيام، كيوم الجمعة، فكما لا يضرّ إخراج فرد - بتخصيص العموم الأوّل - بالفرد الآخر وبقائه تحت العموم؛ لأنّه مصداق مستقلّ للعموم وفي عرض المصداق المخرّج منه، كذلك إخراج يوم الجمعة - مثلاً - عن العموم الثاني، لا يضرّ يوم السبت في بقائه تحته؛ لأنّه مصداق مستقلّ له وفي عرض المخرّج؛ وإن كان الزمان متدرّج الوجود بحسب الذات، لكن المفروض أنّ المتكلّم لاحظ كلّ يوم أو كلّ قطعة منه موضوعاً في عرض اليوم الآخر والقطعات

الأخرى، بإخراج بعض الأيام أو القطعات تصرف فيه خاصة، لا في العموم  
الأفرادى، وهكذا لو قال: «أكرم كلَّ عالم مستمراً أو دائماً» أو استفيد الدوام من  
مقدمات الحكمة، فإذا خرج يوم الجمعة عن ذلك الحكم بتقييد الاستمرار بغير يوم  
الجمعة، يتمسك بالإطلاق المستفاد منه الاستمرار بالنسبة إلى يوم السبت، فكما أنه لو  
خُصَّص العموم الأفرادى - مثل «أكرم العلماء» - بإخراج فرد منه يتمسك بالعموم  
بالنسبة إلى سائر الأفراد، كذلك في العموم الأزمانى، ولو دار الأمر في تخصيص العموم  
الأفرادى بين الأقل والأكثر، يتمسك بالعموم بالنسبة إلى غير المعلوم الخروج - الذي  
هو الأقل - أي الأكثر، كذلك في العموم الأزمانى، ويتمسك بإطلاق قوله تعالى:  
﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(١)</sup> على الاستمرار عند دوران المخصص بين الأقل والأكثر؛ لأنَّ  
الأقلَّ معلوم الخروج، والأكثر مشكوكه، فيتمسك بإطلاقه بالنسبة إليه.

واتضح بذلك: أنَّ ذلك ليس تخصيصاً لعموم الاستمرار، كما ذكره الشيخ  
الأعظم رحمته<sup>(٢)</sup>، بل هو تقييد لإطلاقه، وأنَّه يؤخذ بالقدر المتيقن من التقييد، ويتمسك  
بالإطلاق بالنسبة إلى الأكثر، كما في العام والخاص، فلا فرق بينها من هذه الجهة، لأنَّ  
التقييد الزائد يحتاج إلى الدليل، كما أنَّ التخصيص الزائد يحتاج إلى الدليل.  
ولافرق في ذلك بين أخذ الزمان بنحو الاستمرار تصريحاً، أو بمعونة مقدمات  
الحكمة، أو بنحو العموم الاستغراقي، نعم لو أخذ بنحو العموم المجموعى، فبالتخصيص  
يستكشف عدم وجوب الإكرام في غير المخرج من الأزمنة أيضاً، لكن المفروض في  
البحث هو أخذه بأحد النحويين الأولين.

وظهر أيضاً؛ أنَّه لا فرق فيما ذكرنا بين أخذ الزمان قيماً أو ظرفاً.

١ - المائدة (٥) : ١ .

٢ - فرائد الأصول : ٣٩٥ سطر ١٨ .

وذكر الميرزا النائيني رحمته لتفسير تفصيل الشيخ الأعظم رحمته في المقام مقدّمات، وقال في المقدمة الرابعة منها ما حاصله: إنّ مصبّ العموم الزماني: تارة هو متعلّق الحكم، وأخرى هو نفس الحكم؛ بمعنى أنّه يلاحظ الزمان تارة في ناحية متعلّق الحكم كالوفاء والإكرام ونحو ذلك، فأناات الزمان قيد للوفاء والإكرام فيهما في كلّ آين معروضان للحكم.

وأخرى في ناحية نفس الحكم الشرعي كالوجوب، وحينئذٍ فالحكم الشرعي ثابت في كلّ آين من آناات الزمان، فعلى الأوّل يصير العموم الزماني داخل في دائرة الحكم، ويرد الحكم عليه، وعلى الثاني يصير العموم الزماني خارجاً عن دائرة الحكم ووارداً عليه، وهذان الوجهان وإن اتّحدا بحسب النتيجة، إلّا أنّهما يفترقان فيما هو المهمّ بالبحث في المقام<sup>(١)</sup>.

وقال في المقدّمة الخامسة منها: إنّ الفرق بينهما من وجهين :

الأوّل : أنّه لو أخذ العموم الزماني قيداً للمتعلّق، أمكن أن يتكفّل اعتباره نفس دليل الحكم، مثل أن يقول: «أكرم العلماء في كلّ زمان، أو دائماً»، بخلاف ما لو أخذ قيداً للحكم، فإنّه لا يمكن أن يتكفّل نفس دليل الحكم لبيانه، بل لابدّ في بيانه من دليل منفصل ؛ لأنّ استمرار الحكم أو دوامه فرع ثبوت الحكم ووجوده، فنسبة الحكم إلى عموم أزمنة وجوده، نسبة الموضوع إلى محموله، ففي قولنا: «الحكم مستمرّ» يكون «الحكم» موضوعاً، و «مستمّر» محمولاً، فلا يمكن أن يتكفّل الحكم ببيان أزمنة وجوده.

الثاني : لو جعل مصبّ العموم الزماني متعلّق الحكم، فعند الشكّ في التخصيص وخروج بعض الأزمنة وعدمه، يصحّ التمسك بالعموم الزماني الذي دلّ

دليل الحكم عليه، فلو قال : «أكرم العلماء في كلِّ زمان، أو مستمراً»، ثمَّ شكَّ في وجوب إكرام العالم في قطعة من الزمان، فالمرجع هو الدليل الاجتهادي الذي تكفَّل العموم الزماني به، ولا تصل النوبة إلى استصحاب وجوب الإكرام من غير فرق بين الألفاظ الدالَّة على العموم، ولا يصحَّ استصحاب حكم الجزء السابق من الزمان؛ لأنَّه إسراءٌ حكمٍ من موضوع إلى موضوع آخر، فالاستصحاب في هذا القسم ساقط من أصله؛ بحيث لو فرض عدم العموم للدليل الاجتهادي بالنسبة إلى جميع الأزمنة، كان المرجع في زمان الشكِّ هو سائر الأصول؛ من غير فرق بين الشكِّ في أصل التخصيص أو في مقداره، فلو علم بعدم وجوب إكرام زيد يوم الجمعة، وشكَّ فيه في يوم السبت فإنَّه يرجع إلى العموم، لا إلى استصحاب حكم الخاص، بخلاف ما لو جعل مصبَّ العموم الزماني نفس الحكم، فإنَّه لا مجال للتمسك فيه به إذا شكَّ في التخصيص أو في مقداره، بل لابدَّ فيه من الرجوع إلى الاستصحاب، على عكس ما لو جعل مصبَّ العموم الزماني متعلِّق الحكم.

والسرُّ في ذلك : هو أنَّ الشكَّ فيه يرجع إلى الشكِّ في الحكم، وقد تقدَّم أنَّ الحكم يصير بمنزلة الموضوع للعموم الزماني في هذا القسم، ولا يمكن أن يتكفَّل العمومُ الزماني وجودَ الحكم مع الشكِّ فيه؛ لأنَّه حينئذٍ يصير من قبيل إثبات الموضوع بالحكم، وهو غير صحيح، بل لابدَّ من الرجوع إلى الاستصحاب من غير فرق بين الشكِّ في أصل التخصيص أو في مقداره<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول : أمَّا الجهة الأولى للفرق بينهما فهي غير فارقة؛ فإنَّ استمرار الحكم وإن كان متفرعاً على ثبوت الحكم، لكنَّه لا يستلزم انفصال الدليل المتكفَّل لبيان الاستمرار عن المتكفَّل لبيان نفس الحكم وإن جعل الاستمرار قيداً للحكم، بل يمكن إفادة ذلك

بقيد متّصل مثل «أكرم العلماء دائماً أو مستمراً»؛ إذ لا قصور في هذا القيد عن إفادة استمرار الحكم، وكذا لو لم يُصرّح بهذا القيد في الكلام، بل استفيد من الإطلاق ومقدمات الحكمة، ولو لم يكن في عبارته <sup>١</sup> لفظه «منفصلاً»، لأمكن أن يقال: إنّ مراده <sup>٢</sup>؛ هو أنّه بناءً على أنّ العموم الزماني قيد للمتعلّق، لم يحتاج إلى لحاظه في نفس الحكم، بخلاف ما لو جعل قيداً للحكم، فإنّ هذا الكلام صحيح، ولكنه من قبيل توضيح الواضحات.

وأما ما ذكره في الجهة الثانية للفرق بينها فهو أيضاً غير فارق؛ وذلك فإنّه لو صرّح المتكلّم بقيد الاستمرار أو العموم الزماني، مثل «أكرم كلّ عالم مستمراً أو في كلّ يوم» بنحو القضية الحقيقيّة، فلا ريب في أنّ موضوع الحكم بالاستمرار هو نفس وجوب إكرام كلّ عالم بنحو الإهمال وصرف وجوده عرفاً؛ لتبادر ذلك في أذهان العقلاء في مثل: (حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة)<sup>(١)</sup>، فإنّ موضوع الحكم بالاستمرار هو نفس الحليّة بنحو الإهمال، لا الحلال المستمرّ، وإلاّ يصير قضية ضروريّة وبشرط المحمول؛ لأنّ مرجعه حينئذٍ إلى أنّ الحلال المستمرّ مستمرّ، وإذا كان الموضوع للحكم في العامّ التحتاني هو صرف وجود الحكم بنحو الإهمال، لا المقيّد بالاستمرار، والمفروض أنّ القضية حقيقيّة أخذ موضوعها مفروض الوجود، فلا بدّ أن يتعلّق الحكم بالاستمرار في العامّ الثاني بالحكم المفروض الوجود، فلو شكّ في أصل ثبوت الحكم، كما لو شكّ في وجوب إكرام زيد العالم وعدمه، فراجع الشكّ المذكور هو العامّ الأوّل، أي «أكرم العلماء»، فيتمسّك به لإثبات وجوب إكرام زيد بنحو الإهمال، ثمّ بعد ثبوت أصل وجوب إكرامه في الجملة لو شكّ في استمراره وعدمه بأن احتمل عدم وجوب إكرام زيد يوم السبت، فراجع هذا الشكّ هو العامّ الثاني أو المطلق.

فيتمسك به لإثبات وجوب إكرامه يوم السبت أيضاً، وليس ذلك من قبيل إثبات الموضوع بالحكم؛ كي يرد عليه ما ذكره تتو : من أن الحكم لا يتكفل لإثبات موضوعه وإحرازه، إلا إذا فرض تقييد موضوعه بالاستمرار الذي يرجع إلى القضية بشرط المحمول، ولا ريب أن ما نحن فيه ليس كذلك؛ لما عرفت من أن الموضوع للحكم بالاستمرار في العام الثاني هو الحكم بنحو الإهمال، لا المقيّد بالاستمرار، وإلا يلزم عدم استفادة الاستمرار لحلال محمد عليه السلام من قوله عليه السلام : (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة)، واستفادته من الخارج، وهو كما ترى؛ لأن مفاده حينئذٍ هو أن حاله المستمر حلال إلى يوم القيامة، لا مطلق الحلال.

وكذلك الكلام فيما لو لم يصرح بقيد الاستمرار، بل استفيد من الإطلاق بمعونة مقدمات الحكمة؛ لأنه ليس موضوع مقدمات الحكمة في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(١)</sup> إلا نفس وجوب الوفاء بنحو الإهمال، لا المقيّد بالاستمرار؛ لاستفادة الاستمرار منه في مرتبة متأخرة عن ثبوت أصل وجوب الوفاء، فمع الشك في أصل وجوب الوفاء بعقد - كالعقد بالفارسيّة - يتمسك لرفعه بأصالة العموم في العام الأول، ومع الشك في خروج زمان خاص لعقد؛ لأجل احتمال التقييد بقيد، أو في مقداره مع العلم بأصل التقييد، يتمسك لرفعه بأصالة الإطلاق أو العموم الثاني بلا إشكال.

فتلخص : أنه لا مجال لاستصحاب حكم المخصّص فيما لو شك في ثبوت حكم العام فيما بعد الزمان المعلوم خروجه عن العموم أصلاً، بل لابد فيه من التمسك بالعموم الزماني أو إطلاق قيد الاستمرار مطلقاً.

## إشكال وتفصّيات

إن قلت : مقتضى ما ذكر - من تفرُّع العامّ الثاني أو الإطلاق على العامّ الأوّل، وأنّ التصرّف في كلّ واحد منها بالتخصيص ليس تصرّفاً في الآخر - هو التفصيل في المقام بما يخالف التفصيل الذي اختاره في «الكفاية»<sup>(١)</sup>، وهو التفصيل بين منقطع الأوّل وبين منقطع الوسط والآخر، بل التفصيل في منقطع الوسط أيضاً بوجه وبينه بوجه آخر؛ بالقول بجريان الاستصحاب في منقطع الأوّل، وفي قسم من منقطع الوسط، والتمسك بالعامّ في منقطع الآخر وفي قسم آخر من منقطع الوسط، فإنّه لو شكّ في منقطع الأوّل في أنّ هذا المصدق - كزيد العالم - ليس له حكم أصلاً؛ ليلزم التخصيص في العامّ الأوّل دون الثاني، أو أنّه ليس له حكم في خصوص هذا اليوم؛ ليلزم التخصيص في العامّ الثاني أو تقييد الإطلاق، دون العامّ الأوّل، فمقتضى هذا العلم الإجمالي - بخروج هذا المصدق عن هذا الحكم رأساً أو في هذا الزمان الخاصّ فقط - هو تعارض أصالتي العموم في كلّ من العامّين أو أصالة العموم في العامّ الأوّل وأصالة الإطلاق في الثاني، وتساقطهما، ولا ترجيح لإحديهما على الأخرى، فالمرجع هو استصحاب حكم المخصّص بالنسبة إلى ما بعد هذا الزمان، مثلاً لو قال: «أكرم العلماء من أوّل شهر رمضان إلى آخره في كلّ يوم منه»، وعلم بخروج الفسّاق منهم وعدم وجوب إكرامهم؛ إمّا رأساً بتخصيص العامّ الأوّل وبقاء العموم الثاني بحاله، أو خروج الفسّاق منهم في اليوم الأوّل منه؛ بتخصيص العموم الثاني بإخراجهم في اليوم الأوّل منه فقط، وإبقاء الأوّل بحاله، فأصالة العموم في كلّ منها جارية بالنسبة إلى ما بعد اليوم الأوّل، ولا ترجيح لإحديهما، فتتساقطان، والمرجع حينئذٍ استصحاب حكم



اليوم الأول القدر المتيقن خروجه.

وهكذا في منقطع الوسط فيما لو دار الأمر بين تخصيص العام الثاني؛ بخروج اليوم العاشر - مثلاً - فقط، دون ما قبله وما بعده، وبين تخصيص العموم الأول وخروجه مع ما قبل الوسط وما بعده، فإنّ الأمر حينئذٍ دائر بين المتباينين، ومقتضى القاعدة تساقط الأصلين من الجانبين والرجوع إلى استصحاب حكم المخصّص، بخلاف ما لو شكّ ودار الأمر بين خروج اليوم الوسط فقط؛ بتخصيص العموم الثاني، أو هو مع ما بعده، مع العلم بخروج ما قبل الوسط، فإنّ أصالة العموم الزماني أو الإطلاق محكّمة بلا معارض؛ للعلم بعدم تخصيص العام الأول، فمقتضى ما ذكرت هو التفصيل الذي ذكرناه، لا التمسك بالعموم الثاني أو الإطلاق مطلقاً.

قلت : يمكن التفصّي عن هذا الإشكال بوجوه لا يخلو بعضها عن الإشكال :  
الوجه الأول : أن يقال : حيث إنّ العموم الأول متقدّم على العموم الثاني بحسب الرتبة؛ لأنّ موضوع الثاني هو حكم العام الأول، فأصالة العموم في الأول جارية في رتبة متقدّمة على أصالة العموم في الثاني، وأنّها بلا معارض.

لكن يرد عليه - مضافاً إلى أنّ الرتبة العقلية غير ملحوظة عند العرف والعقلاء في باب تعارض الدليلين أو الأصلين، وأنّها عندهم متعارضان، وأنّ تقدّم أحدهما على الآخر بحسب الرتبة - : أنّ ذلك لا يفيد في صيرورة أصالة العموم في الأول بلا معارض؛ للعلم الإجمالي بإرادة خلاف الظاهر في أحد العمومين، فكما يحتمل إرادة خلاف الظاهر في العموم الثاني، كذلك يحتمل إرادته في الأول المتقدّم رتبة، وحينئذٍ فالأصل في الأول معارض معه في الثاني؛ لمكان العلم الإجمالي المذكور، فالتقدّم الرتبي لا يفيد ولا يثمر في رفع التعارض بينها، كما سيجيء - إن شاء الله - في باب الأصل السببي والمسببي.

الوجه الثاني : أنّا لا نسلّم دوران الأمر في المقام بين المتباينين، بل هو من قبيل

دوران الأمر بين الأقل والأكثر؛ للعلم بخروج يوم الجمعة والشك في خروج ما بعده من الأيَّام، والقدر المعلوم خروجه هو يوم الجمعة، فيتمسك بالنسبة إلى الزائد عنه من الأيَّام التي بعده بالعموم الثاني.

وبعبارة أخرى: ينحلّ العلم الإجمالي فيه إلى العلم التفصيلي بخروج يوم الجمعة، والشك البدوي بالنسبة إلى الزائد عنه من الأيَّام الآخر.

وفيه أيضاً: أنّه لا بدّ في دوران الأمر بين الأقل والأكثر أن يكون الأقل أقلّ ذلك الأكثر والأكثر أكثر ذلك الأقل، كما لو قال: «أكرم العلماء»، وعلم إمّا بخروج زيد فقط عنه، أو هو مع عمرو، فإنّ العلم الإجمالي فيه ينحلّ إلى العلم التفصيلي بخروج زيد، والشك البدوي في خروج عمرو، فيتمسك في المشكوك بالعموم.

وبالجملة: مسألة الأقل والأكثر التي ينحلّ العلم الإجمالي فيها؛ هي ما إذا كان هناك عامّ مخصّص بمخصّص مرّدّد بين الأقل والأكثر، وما نحن فيه ليس كذلك، فإنّ فيه عامّين علم إجمالاً بتخصيص أحدهما، ولا ترجيح في البين.

نعم لو علم بتخصيص العموم الثاني معيناً، ودار أمر مخصّصه بين الأقل والأكثر، فإنّه ينحلّ العلم الإجمالي فيه إلى العلم التفصيلي بخروج الأقل والشك البدوي بالنسبة إلى الأكثر، لكنّ المفروض في المقام دوران الأمر بين تخصيص هذا العامّ الأوّل، وإخراج فرد منه كزيد من بين أفرادها، وبين تخصيص العامّ الثاني وإخراج يوم الجمعة - مثلاً - من بين أفرادها، وهي قطعات الزمان أو الأيَّام، فهو من قبيل دوران الأمر بين المتباينين، والأصل في كلّ منهما معارض بالأصل في الآخر، فيتساقطان، ويرجع إلى استصحاب حكم المخصّص.

الوجه الثالث: أنّ المفروض في المثال: العلم بخروج إكرام زيد يوم الجمعة - مثلاً - تفصيلاً من وجوب إكرام العلماء، مع العلم بأنّه عالم، والشك إنّما هو بالنسبة إلى ما بعده من الأيَّام، فبالنسبة إلى خروج زيد يوم الجمعة من العامّ الثاني، يشكّ في

أنّه هل هو بنحو التخصيص له مع بقاء العموم الأوّل، أو بنحو التخصّص وخروجه موضوعاً بتخصيص العموم الأوّل؟ ولا يكشف بأصالة العموم في الثاني حال الفرد؛ وأنّ خروجه بنحو التخصّص بتخصيص العامّ الأوّل؛ لما تقدّم من أنّ بناء العقلاء على العمل بتلك الأصول، كأصالة العموم والإطلاق والحقيقة، إنّما هو فيما إذا علّم المعنى الحقيقي والمجازي، وشكّ في أنّ المتكلّم أيّهما أراد، أو فيما إذا شكّ في تخصيص العموم أو تقييد المطلق، فإنّه استقرّ بناؤهم على الاعتماد على تلك الأصول في مقام الاحتجاج، ويوم الجمعة بالنسبة إلى العامّ الثاني ليس كذلك؛ للعلم بخروجه، غاية الأمر دوران الأمر فيه بين التخصيص والتخصّص، وعرفت عدم جريان أصالة العموم فيه لاستكشاف حال الفرد؛ وأنّ خروجه بنحو التخصّص لا التخصيص، وحينئذٍ فأصالة العموم في الأوّل بلا معارض؛ لفرض الشكّ في تخصيص هذا العامّ، وحيث إنّ الشكّ في تخصيص العامّ الأوّل، فأصالة العموم فيه محكّمة مع العلم بمعناه الحقيقي.

وبعبارة أخرى: بناء العقلاء على العمل بهذه الأصول اللفظيّة والاحتجاج بها، إنّما هو فيما لو شكّ في تخصيص العامّ أو تقييد المطلق، وفي صورة الشكّ في المراد، لا فيما إذا علّم بخروج فرد وشكّ في أنّه بنحو التخصيص أو التخصّص والخروج الموضوعي، كما فيما نحن فيه بالنسبة إلى العامّ الثاني، فإنّ أصالة العموم فيه واستكشاف حال الفرد غير جارية، فلا معارض لأصالة العموم في العامّ الأوّل، فيتمسك بها للشكّ في تخصيصه مع العلم بأنّ زيداً - مثلاً - من أفرادها، ويتحقّق بها موضوع العامّ الثاني. هذا بالنسبة إلى يوم الجمعة المعلوم عدم وجوب إكرام زيد - مثلاً - فيه.

وأما بالنسبة إلى ما بعده من الأيام المشكوك خروجه وعدمه، فأصالة العموم في الثاني بلا معارض؛ لأنّه بعد جريان أصالة العموم في الأوّل بالنسبة إلى المصدق المعلوم خروجه، وهو يوم الجمعة في المثال، مع العلم بأنّه من العلماء، يتحقّق بها موضوع العامّ الثاني؛ أي وجوب إكرام زيد، وحيث إنّ علم بعدم وجوب إكرامه يوم

الجمعة بالدليل الخاص، فهو مخصّص للعام الثاني بالنسبة إلى يوم الجمعة، وأمّا ما بعده من الأيام المشكوك خروج زيد من وجوب الإكرام فيها، فلا مانع من التمسك للعام الثاني بالنسبة إليها.

الوجه الرابع: أنّه لا مجال لأصالة العموم في العامّ التحتاني بالنسبة إلى إكرام زيد يوم الجمعة؛ للعلم بخروجه فيه؛ لأنّه إن أريد منها حفظ العموم في العامّ الثاني وإثباته، يرد عليه: أنّه مضافاً إلى أنّ المفروض العلم بعدم وجوب إكرام زيد فيه، يلزم من وجودها عدمها؛ لاستلزام جريان أصالة العموم فيه وعدم تخصيصه التخصيص في العامّ الأوّل؛ بخروج زيد عن وجوب الإكرام رأساً، ومعه ينتفي موضوع الحكم في العامّ الثاني بالنسبة إلى زيد، وهو ما ذكرناه من المحذور، وهو ناش عن كون الحكم في العامّ الأوّل موضوعاً للعامّ الثاني، ولولا هذا الارتباط بينهما لم يلزم هذا المحذور، كما لو قال: «أكرم العلماء، وأكرم التجّار»، وعلم إمّا بخروج زيد التاجر من الثاني، أو زيد العالم من الأوّل، فإنّه لا محذور في جريان أصالة العموم في كلّ منهما، إلّا عدم الترجيح لإحداهما على الأخرى، بخلاف ما نحن فيه، فإنّ إثبات وجوب إكرام زيد يوم الجمعة؛ بإجراء أصالة العموم في الثاني يستلزم عدم وجوبه؛ لأنّ اللازم حينئذٍ ورود التخصيص على العامّ الأوّل، وخروج زيد عن هذا العامّ، وعدم وجوب إكرامه رأساً، فإذا لم تكن أصالة العموم بالنسبة إلى يوم الجمعة جارية، تصير أصالة العموم في العامّ الأوّل بلا معارض، وبها يتحقّق موضوع العامّ الثاني؛ أي وجوب إكرام زيد، وحيث إنّ يوم الجمعة خارج عنه بالدليل، فبالنسبة إلى ما بعده من الأيام لا مانع من جريانها في العامّ الثاني بالنسبة إلى زيد؛ للشكّ في خروجه منه، فيحكم بوجوب إكرامه فيها.

الوجه الخامس: أنّ أصالة العموم في العامّ التحتاني غير جارية بالنسبة إلى خصوص وجوب إكرام زيد؛ للعلم بعدم وجوب إكرامه فيه؛ إمّا بتخصيص العامّ

الثاني، أو تخصّصه بتخصيص العامّ الأوّل، فتكون أصالة العموم في العامّ الفوقاني بلا معارض، فيثبت بها في الثاني؛ وجوب إكرامه فيما بعد يوم الجمعة؛ من الأيّام المشكوك وجوب إكرامه فيها.

فتلخص: أنّه لا مجال للتمسك باستصحاب حكم المخصّص في شيء من الموارد.

### تذنيب: في أخذ الزمان بنحو الاستغراق أو الاستمرار

ذكر الشيخ الأعظم رحمته في خلال كلامه: أنّه إن أخذ الزمان في العامّ بنحو الاستغراق؛ بأن جعل كلّ قطعة من قطعاته موضوعاً للحكم، فلا مجال فيه لاستصحاب حكم المخصّص، بل يتمسك فيه بالعامّ؛ بحيث لو لم يكن عامّاً أيضاً لم يجر استصحابه، بل لا بدّ من الرجوع إلى سائر الأصول.

وإن أخذ بنحو الاستمرار تصريحاً، أو لاستفادته من مقدّمات الحكمة، فهو مورد التمسك باستصحاب حكم المخصّص لا العامّ؛ بحيث لو لا الاستصحاب لا يرجع فيه إلى العموم<sup>(١)</sup>.

أقول: كأنّه رحمته جعل المناط والملاك في جريان الاستصحاب، لحاظ حال العموم، وأنّه لا مجال للاستصحاب في الفرض، بخلاف الفرض الثاني.

ولكنّه ليس كذلك، بل المناط ملاحظة حكم المخصّص، فإن اتّحدت القضية المتيقّنة والمشكوكه فيه؛ بأن أخذ الزمان فيه بنحو الظرفيّة، فهو مورد جريان الاستصحاب، وإلاّ بأن أخذ مفرداً فلا.

ثمّ إنّ تقدّم البحث في استصحاب صحّة الأجزاء السابقة لوشكّ فيها، فلانعيده.



## التنبيه العاشر

### حول المراد من الشك في الأدلة

أنَّ الشكَّ المأخوذ في الاستصحاب أعمّ من المتساوي الطرفين وغيره؛ لأنَّ الظاهر أنَّ جعل الشكَّ مقابل الظنِّ والوهم مجرد اصطلاح ناشئ من المنطقيين<sup>(١)</sup>، وتبعهم فيه غيرهم من أرباب العلوم، وإلاَّ فهو في متن اللُّغة ليس كذلك؛ حيث إنَّه فسّر فيه بالارتياب<sup>(٢)</sup> ونحوه<sup>(٣)</sup> الأعمّ من متساوي الطرفين، وعلى فرض الإغماض عن ذلك وعدم ثبوته كذلك لغةً، لكن لا ريب في أنَّ المراد منه في باب الاستصحاب وأخباره هو المعنى الأعمّ؛ إمّا لما تقدّم عند التعرّض لاستصحاب مؤدّى الأمارات: من إقامة الشواهد من الأخبار وارتكاز ذلك في أذهان العرف والعقلاء ومناسبة الحكم والموضوع - على أنَّ المراد من اليقين والشكَّ المأخوذ في الاستصحاب في لسان الأخبار هو الحجّة واللاحجة، لا اليقين الاصطلاحي الجازم.

وإمّا لاستفادة ذلك من أخبار الاستصحاب، كما أفاده الشيخ الأعظم<sup>(٤)</sup>؛ حيث جعل الشكَّ فيها مقابلاً لليقين، وعدم نقضه إلاَّ بيقين آخر الظاهر في أنَّ المراد

١ - الإشارات والتنبيهات ١ : ١٢ - ١٣ .

٢ - مجمع البحرين ٥ : ٢٧٦ .

٣ - القاموس المحيط ٣ : ٣١٩ ، لسان العرب ٧ : ١٧٤ .

٤ - فرائد الأصول : ٣٩٨ سطر ١٧ .

منه عدم اليقين، وأنَّ حدَّ حرمة نقض اليقين إنما هو حصول يقين آخر، وكذلك قوله عليه السلام<sup>(١)</sup>: (لا، حتّى يستيقن أنّه قد نام) في جواب قول زرارة: (فإن حُرِّك في جنبه شيء)، مع أنّه أمانة ربّما يحصل منها الظنّ بالنوم؛ حيث جعل الغاية، حصول اليقين بالخلاف.

وكذلك مفروض السؤال في الرواية الثانية لزرارة<sup>(٢)</sup>؛ المفروض فيها كونه في معرض إصابة الدم للثوب، فيستفاد من مجموع ما ذكر أنّ المراد من الشكّ هو المعنى الأعمّ، ولا يحتاج إلى تجسّم الاستدلال بالإجماع التقديري؛ بمعنى أنّه لو كان المستند للجميع في حجّة الاستصحاب هو الأخبار، لأجمعوا على ذلك<sup>(٣)</sup>، فإنّ حجّة الإجماع إنّما هي لأجل كشفه عن رأي المعصوم المتوقّف على إجماع محقّق ثابت، ولا يكفي فيه وجوده التقديري، كما فيما نحن فيه؛ لعدم استنادهم فيه إليها إلى زمان والد الشيخ البهائي قده<sup>(٤)</sup>.

وكذلك الاستدلال: بأنّ الظنّ الغير المعتمد: إمّا لوجود الدليل على عدم اعتباره، أو لعدم الدليل على اعتباره، فعلى الأوّل فوجوده كعدمه، فيترتب عليه آثار عدمه، وعلى الثاني فرجعه إلى نقض اليقين بالشكّ<sup>(٥)</sup>، فإنّ ذلك كلّه تبعيد للمسافة بلا حاجة إليه.

١ - تهذيب الأحكام ١ : ٨ / ١١، وسائل الشيعة ١ : ١٧٤، كتاب الطهارة، أبواب نواقض الوضوء، الباب ١، الحديث ١.

٢ - تهذيب الأحكام ١ : ٤٢١ / ١٣٣٥، وسائل الشيعة ٢ : ١٠٥٣ و ١٠٦١، كتاب الطهارة، أبواب النجاسات، الباب ٣٧ و ٤١، الحديث ١.

٣ - فرائد الأصول : ٣٩٨ سطر ١٤.

٤ - نقل ذلك الشيخ الأنصاري عن محكي العقد الطهماسبي لوالد الشيخ البهائي في فرائد الأصول : ١١٩ سطر ١١.

٥ - أنظر فرائد الأصول : ٣٩٨ سطر ٢٢.



## خاتمة

يعتبر في جريان الاستصحاب أمور :

## الأمر الأول

### وحدة القضية المتيقّنة والمشكوكة

لا إشكال في اعتبار اتّحاد القضية المتيقّنة مع المشكوكة في الاستصحاب بحسب الموضوع والمحمول مطلقاً؛ سواء كان في اهليّات البسيطة أو المركّبة، وهو من القضايا التي قياساتها معها. وأمّا إحراز وجود الموضوع فلا يعتبر فيه.

توضيح ذلك : إنّ اليقين والظنّ والشكّ والوهم من المعاني التي لا يمكن تعلّقها بالمعاني التصوّرية، بل هي دائماً تتعلّق بالقضايا والمعاني التصديقيّة، وأمّا اليقين والشكّ في عدالة زيد - مثلاً - فرجعهما إمّا اليقين والشكّ بتحقّق عدالته على ماهو مفاد «كان» النائمة والهلّيّة البسيطة، أو كون زيد عادلاً على ماهو مفاد «كان» الناقصة والهلّيّة المركّبة، وإلّا فنفس العدالة ونحوها من المعاني التصوّرية لا يعقل تعلّق اليقين والشكّ بها، فالمستصحب دائماً من القضايا، ومعنى استصحابها هو البناء على وجودها المتيقّن في ظرف الشكّ.

## حول اعتبار بقاء الموضوع

فما يظهر من الشيخ الأعظم رحمته من أنه يعتبر في الاستصحاب بقاء الموضوع في الزمان اللاحق، وأن المراد به معروض المستصحب، فإذا أريد استصحاب بقاء وجود زيد أو قيامه، فلا بد من وجود زيد وتحقيقه في الزمان اللاحق على النحو الذي كان معروضاً للمستصحب في السابق؛ سواء كان تحققه في السابق بتقرّره ذهنياً أو بوجوده خارجاً، فزيد معروض للقيام في الخارج بوصف وجوده الخارجي، وللوجود بوصف تقرّره الذهني، لا بوجوده الخارجي<sup>(١)</sup>.

فيه أولاً؛ ما عرفت من أنه لا يمكن استصحاب نفس العارض بالمعنى التصوري؛ لعدم إمكان تعلّق اليقين والشكّ اللذين هما من أركان الاستصحاب به، بل المستصحب دائماً من المعاني التصديقية التي يمكن تعلّق اليقين والشكّ بها، فليس المستصحب في استصحاب العدالة، نفس العدالة بالمعنى العارض على زيد، وكذلك في استصحاب الوجود، فما ذكره رحمته خلطاً بين المستصحب ومحمول القضية، مع أن المستصحب هو القضية لا محمولها، فلو ترتّب الأثر على الكون المحمولى للعدالة - مثلاً - لترتّب عليه باستصحابه، وأما لو ترتّب الأثر على الكون الرابط، ككونه عادلاً بالنسبة إلى جواز الائتمام به وصحة الطلاق عنده ونفوذ شهادته تترتب تلك الآثار باستصحاب ذلك، لا باستصحاب تحقّق العدالة بنحو الكون المحمولى، إلا على القول بحجّة الأصل المثبت؛ ضرورة أن استصحاب تحقّق العدالة لا يثبت اتّصاف زيد بالعدالة.

وثانياً؛ فلأن إحراز الموضوع ووجوده غير ممكن في بعض الموارد، كما في

١ - فرائد الأصول : ٣٩٩ سطر ٢٠ .

استصحاب الوجود؛ لأنّه إن أريد إحراز موضوعه به - وهو زيد مثلاً - في الخارج والتصديق بوجوده فيه، فهو لا يجتمع مع الشك في وجوده واستصحابه.

وإن أريد إحراز وجوده في الذهن، كما صرح عليه السلام به، ففيه: أنّ الموضوع للوجود الخارجي الذي يُراد إثباته بالاستصحاب، ليس هو زيد المتقرّر في الذهن بالضرورة، بل الموضوع هو نفس هويّة زيد المتّحدة مع الوجود في الخارج، وإلاّ فلا يمكن اتّحاد زيد المتقرّر في الذهن مع الوجود الخارجي، ولعلّ هذا الاشتباه ناشٍ من قولهم: إنّ الوجود عارض الماهيّة ذهناً<sup>(١)</sup>، فتوهّم منه: أنّ المعروض هو زيد المتقرّر في الذهن، مع أنّ مرادهم ليس ذلك، فإنّ الوجود وإن لم يكن عارضاً عليه في الخارج، لكنّه متّحد معه فيه؛ لأنّ قولنا: «زيد موجود» حكاية عن الخارج والواقع.

وبالجملة: ظاهر كلامه عليه السلام غير مستقيم، إلّا أن يريد ما ذكرناه، ولكن ظاهر كلامه عليه السلام خلافه.

فتلخص: أنّه يعتبر في الاستصحاب اتّحاد القضية المتيقّنة مع المشكوك موضوعاً ومحمولاً، ولا يعتبر فيه إحراز بقاء الموضوع<sup>(٢)</sup>.

ثمّ إنّه عليه السلام قال: والدليل على اعتبار بقاء الموضوع في جريان الاستصحاب واضح؛ لأنّه لو لم يعلم تحقّقه لاحقاً، فإذا أريد إبقاء المستصحب العارض له المتقوّم به: فإمّا أن يبقى في غير محلّ وموضوع، فهو محال، وإمّا أن يبقى في موضوع غير الموضوع

١ - شرح المنظومة (قسم الفلسفة): ١٨ سطر ١٠.

٢ - الظاهر أنّ مرادهم من اشتراط بقاء الموضوع في الاستصحاب: هو إحراز موضوع القضية المستصعبة، وبقاؤه على نحو ما كان موضوعاً في الزمان السابق، فإن كان الموضوع في السابق هو وجوده الخارجي فلا بد من إحرازه كذلك، وإن كان نفس ماهيته فلا بد أن يكون في الزمان اللاحق كذلك... وهكذا، واتّحاد القضيتين فرع بقاء الموضوع وإحرازه كذلك.

[المقرّر حفظه الله].

السابق، فمن المعلوم أن هذا ليس إبقاء للعارض السابق، بل هو حكم بحدوث عارض مثله في موضوع جديد، والحكم بعدم ثبوت الحكم لهذا الموضوع الجديد ليس نقضاً للمتيقن السابق<sup>(١)</sup>. انتهى محصل كلامه عليه السلام.

وأورد عليه المحقق الخراساني رحمته الله بوجهين :

الأول : أن استحالة انتقال العرض من موضوع إلى آخر حقيقة وتكويناً، لا يستلزم استحالته تعبداً وتشريعاً - بمعنى الالتزام بآثاره شرعاً - حيث إن مرجع استصحاب الموضوعات هو الحكم بترتيب آثارها والبناء العملي على بقائها<sup>(٢)</sup>.

الثاني : ما أفاده في «الحاشية على الفرائد» : أن هذا الدليل أخص من المدعى، فإن المستصحب ليس من مقولة الأعراض دائماً، بل ربما يكون هو الوجود، وليس هو من المقولات العشر، فلا هو جوهر بالذات، ولا عرض وإن كان بالعرض.

إن قلت : نعم لكنه مما يعرض على الماهية كالعرض.

قلت : نعم إلا أن تشخصه ليس بعروضه، فيستحيل بقاءه مع تبدله، بل يكون بالعكس وإن تشخص معروضه به - كما حُقق في محله<sup>(٣)</sup> - بحيث لا تنلّم وحدته وتشخصه بتعدد الموجود وتبدله من نوع إلى آخر، فينتزع من وجود واحد شخصي ماهيات مختلفة حسب اختلافه نقصاً وكماً وضعفاً وشدة، فيصح استصحاب هذا الموجود عند الشك في بقاءه وارتفاعه؛ ولو مع القطع بتبدل ما انتزع عنه سابقاً من الماهية إلى غير ما ينتزع عنه الآن<sup>(٤)</sup>. انتهى.

١ - فرائد الأصول : ٤٠٠ سطر ٣.

٢ - كفاية الأصول : ٤٨٦، حاشية فرائد الأصول، المحقق الخراساني : ٢٣٠ سطر ٩.

٣ - الأسفار ٢ : ١٠.

٤ - حاشية فرائد الأصول، المحقق الخراساني : ٢٣٠ سطر ١٢.

### توجيه شيخنا الحائري رحمته كلام الشيخ الأعظم رحمته

وقال شيخنا الحائري رحمته ما حاصله : إنّ ظاهر كلام الشيخ رحمته وإن كان يوهم ما يرد عليه الاعتراض، إلّا أنّه يمكن توجيهه على وجه يسلم من المناقشة. وتوضيح ذلك يحتاج إلى بيان مقدّمة : هي أنّ القضايا الصادرة من المتكلم - سواء كانت من سنخ إنشاء الأحكام أو من قبيل الأخبار - مشتملة على نسب ربطيّة متقوّمة بالموضوعات الخاصّة، مثلاً قولنا: «أكرم زيدا» مشتمل على إرادة إيقاعيّة مرتبطة بإكرام زيد، وكذا قولنا: «زيد قائم» مشتمل على نسبة تصديقيّة جاكية متقوّمة بهذا الموضوع الخاصّ والمحمول كذلك، وحال هذه النسب في الذهن حال الأعراض في الخارج في الاحتياج إلى الغير في التحقق، وكذا في عدم إمكان انتقالها من محلّ إلى آخر، وهذا واضح.

إذا عرفت هذا نقول : لو فرضنا أنّ المتيقّن في السابق هو وجوب الصلاة، فالجاعل للحكم في الزمان الثاني: إمّا أن يجعل الوجوب للصلاة، وهو المطلوب هنا من لزوم بقاء اتّحاد الموضوع، وإمّا أن ينشأ هذه الإرادة الحتميّة الربطيّة من دون موضوع وهو محال؛ ضرورة تقوّمها في النفس بموضوع خاصّ.

وأما أن ينشأ لغير الصلاة : فإمّا أن ينشأ تلك الإرادة المتقوّمة بموضوع الصلاة لغيرها، وإمّا أن ينشأ إرادة مستقلّة، والأوّل محال؛ لاستحالة انتقال العرض، والثاني ممكن، لكنّه ليس إبقاءً لما سبق.

هذا في الشبهة الحكميّة.

وأما الشبهة الموضوعيّة : فلنفرض أنّ المتيقّن السابق هو خمرية هذا المائع الخاصّ، ففي الزمان الثاني لواقع تلك النسبة التصديقيّة المرتبطة بالخمرية وهذا المائع تعبّداً، فإن كان طرف النسبة المذكورة هذا المائع فقد ثبت المطلوب، وإلّا فإن لم يكن

لها طرف يلزم تحقق العرض - أعني هذه النسبة الربطية في النفس - من دون محل، وهو محال.

وإن كان لها طرف، فإن أوقع تلك النسبة المتقومة بطرف خاصّ لمحلّ آخر، فهو محال؛ للزوم انتقال العرض، وإن أوقعها لمحلّ آخر فهو ممكن، لكنّه ليس إبقاءً للحالة السابقة.

وأما الإشكال الثاني الذي ذكره رحمته ففيه: أنّ الوجود وإن لا يتشخص بالماهية، لكنّه يتشخص بمحدوده الخاصة، فإنّ وجود زيد ووجود عمرو وجودان متعدّدان قطعاً، وكذا السواد الضعيف المنتزع من حدّ خاصّ من وجود السواد، والسواد الشديد المنتزع من حدّ خاصّ منه، فإنّ انتزاعها منه يكشف عن اختلاف الوجودين اللذين هما منشأ انتزاعها؛ إذ لا يعقل اختلاف عنوان المنتزع من دون اختلاف في منشأ الانتزاع.

ومن هنا ظهر: أنّ استصحاب بقاء السواد فيما إذا قطع بتبدّله على تقدير البقاء مبنيّ على أحد أمرين: إمّا جواز استصحاب القسم الثالث، وإمّا القول بوحدة هذين الوجودين بنظر العرف وإن كانا متعدّدين في نظر العقل، فاحفظ ذلك<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: هذا التوجيه غير وجيه؛ وذلك لأنّه لو تعلّقت إرادة إيجابيّة - مثلاً - بوجوب صلاة الجمعة، فلا ريب في أنّه لا يراد بالاستصحاب جرّها إلى زمان الشكّ؛ بإيجاد إرادة واقعيّة في زمان الشكّ، بل الاستصحاب حكم ظاهريّ مفاده التعلّد بالبقاء، والحكم بترتيب الآثار منجّز للواقع على فرض الإصابة والعذر عند عدمها؛ من دون فرق فيه بين الشبهات الحكميّة والموضوعيّة، بل في الثانية أوضح؛ حيث إنّه لا معنى لاستصحاب الموضوعات إلّا الحكم بترتيب آثارها، وبناء على ما ذكره رحمته

يلزم أن يكون مؤدّى الاستصحاب حكماً واقعياً، وهو كما ترى، اما بناءً على ما ذكرنا فرجع مثل استصحاب الكَرَيَّة والطهارة ونحوهما إلى إسقاط شرطيتها للصلاة أو لتطهر الثوب النجس - مثلاً - على فرض عدم إصابة الواقع، لا جعل الطهارة والكَرَيَّة المستصحبتين مثل الطهارة والكَرَيَّة الواقعتين.

فإن قلت : هذا التوجيه وإن كان غير وجيه بناءً على المختار : من أن مفاد الاستصحاب هو مجرد الحكم بترتيب الآثار والبناء العملي على البقاء، لكنّه وجيه؛ بناءً على ما ذهب إليه المحقق الخراساني رحمته : من أن مفاده جعل الحكم المماثل<sup>(١)</sup>، فإنّه بناءً عليه لا يرد عليه الإشكال.

قلت : يبعد جداً إرادة صاحب الكفاية ذلك وإن عبّر به، بل الظاهر أن مراده من المماثل هو الحكم الظاهري بترتيب الآثار المماثلة لآثار الحكم الواقعي، لا أن مفاده حكم واقعي بتعلّق إرادة حتميّة واقعيّة به، فإنّ ذلك ممّا يبعد نسبته إليه رحمته، وإلاّ فيرد عليه إشكال أقوى من الإشكال المذكور، بل لنا أن نقبل الدليل على شيخنا الأستاذ الحائري رحمته؛ فنقول : لو كان للمولى إرادة حتميّة في الزمان السابق فتلك الإرادة؛ إمّا موجودة في الزمان اللاحق واقعاً أو لا، فعلى الأوّل فلم تحدث بالاستصحاب إرادة جديدة في الزمان اللاحق، وعلى الثاني فإنّ أحداث إرادة جديدة بالاستصحاب ليس إبقاءً للأولى، بل إحداث إرادة جديدة.

وبعبارة أخرى : الإرادة الحتميّة : إمّا متحقّقة في الزمان اللاحق وباقية فيه - لا أنّه تحدث إرادة جديدة أخرى - أو لا، بل يراد إيقاعها بالاستصحاب، فعلى الأوّل لا يحتاج إلى الاستصحاب، وعلى الثاني فليس ذلك إبقاءً للحالة السابقة، بل إيجاد إرادة أخرى وإحداثها.

وأما ما أفاده في الجواب عن الإشكال الثاني ففيه ما عرفت سابقاً: من أنَّ الموجودات المتدرّجة الوجود - كالزمان والحركة الاشتدادية وغيرها - واحدة بوحدة شخصيّة، وإلا يلزم المحال، وكذلك هي عند العرف، فإنّ تبدّل السواد الضعيف - مثلاً - إلى الشديد ليس تبدّلاً في الوجود بل الشديد المتبدّل إليه هو الضعيف السابق عرفاً بزيادة الاشتداد، لا أنّه موجود آخر يغيّر الأوّل، وقد تقدّم تفصيل ذلك، فراجع.

وتقدّم أيضاً: أنَّ استصحاب هذا القسم من الموجودات استصحاب للشخص، لا الكلي.

فتلخص: أنَّ ما أورده في «الكفاية» على الشيخ الأعظم قدّيرٌ حقٌّ وصحيح. مضافاً إلى أنّه لو فرض جواز انتقال العرض أو تحقّقه لا في موضوع كالعدالة، لكن استصحابه لا يفيد شيئاً؛ إذ لا يثبت بذلك اتّصاف الموضوع به، فلا يثبت بالاستصحاب المذكور أنَّ زيدا عادل.

ثمَّ إنّ اتّحاد القضية المتيقّنة مع المشكوك: إمّا محرّز بالوجدان، كما في الهيئات البسيطة، مثل استصحاب وجود زيد، فإنّ المحمول قد يترتّب على الموضوع بلا واسطة في ترتّبه، مثل حمل الوجود على زيد، فإنّه لا واسطة في ترتّبه عليه عقلاً ولا عرفاً، وقد يترتّب عليه بواسطة عقلية، كحمل المتنفّس والمتحرّك على زيد بواسطة الوجود والحياة، فإنّه ما لم يكن موجوداً حيّاً لا يصحّ حمل المتنفّس والمتحرّك عليه، لكن الموضوع لهما نفس زيد لا الموصوف بالوجود والحياة.

وقد يترتّب عليه بواسطة ليست قيداً للموضوع عرفاً، بل هو عندهم بنحو القضية الحقيقية، كتبوت العدالة لزيد بواسطة الوجود، فإنّه لا دخل للوجود في تحقّق العدالة له عند العرف بنحو التقييد، بل هو عندهم بنحو القضية الحينية، مثل «زيد عادل حين هو موجود» في جميع هذه الأقسام اتّحاد القضيتين محرّز بالوجدان، وأنّ



الموضوع في جميعها هو زيد، لا زيد الموجود، وهو بعينه الموضوع في القضية المشكوكة أيضاً.

ولا فرق في ذلك بين كون الشك في المحمول ناشئاً عن الشك في وجود الموضوع أو لا .

وقد بقيد الموضوع بقيد فالموضوع هو المقيّد بما هو مقيّد، مثل «زيد الحيّ عادل»، والقيد إمّا محرز بالوجدان ، كما لو علم بحياته بالوجدان، وشك في بقاء عدالته، فإنّه لا إشكال في صحّة استصحابها لاتحاد القضيتين.

### عدم كفاية الاستصحاب في إحراز موضوع القضية المستصحة

وإنّما الإشكال فيما إذا لم يُحرز القيد بالوجدان في ظرف الشك، فيقع الإشكال في أنّه هل يمكن إحراز بقاء جزء الموضوع - أي القيد - واتحاد القضيتين بالاستصحاب؛ بأن يستصحب أولاً حياته المشكوكة في ظرف الشك، ثمّ يستصحب عدالته، أو لا بل لابدّ من إحرازه بالوجدان في صحّة استصحاب عدالته، أو التفصيل بين ما إذا كان الشك في المحمول مسبباً عن الشك في الموضوع مطلقاً أو شرعاً، وبين ما إذا لم يكن كذلك، بل كان الشك في المحمول في عرض الشك في الموضوع، ومسبباً عن غير الشك في الموضوع؟ فيكفي إحراز بقاء الموضوع بالاستصحاب في الأوّل دون الثاني، فحطّ البحث والكلام هو هذا القسم فقط.

والحقّ: عدم كفاية الاستصحاب في إحراز الموضوع مطلقاً؛ من غير فرق بين كون القيد المأخوذ في الموضوع سبباً شرعياً للمحمول، مثل «الماء المطلق مطهر»، مع قطع النظر عن محكومة استصحاب المطهرية، وبين غيره؛ وذلك لما عرفت سابقاً؛ من أنّه يعتبر في استصحاب الموضوعات ترتّب أثر شرعيّ عليها، بل ليس استصحابها إلّا عبارة عن ذلك، والذي يترتّب على استصحاب الموضوع - كالحياة وإطلاق الماء

في المثاليين، ويراد إثباته به - هو اتحاد القضيتين وإحراز موضوع الاستصحاب الآخر، وهو ليس من الآثار الشرعية؛ ليصحّ بلحاظه استصحابها، كما أفاد الشيخ الأعظم رحمته في خلال كلامه: من أن صحة الاستصحاب الثاني ليست من الآثار الشرعية للمستصحب الأول، فلا مجال لجريانه بلحاظها<sup>(١)</sup> وإن كان كلامه رحمته في المقام لا يخلو عن الاختلال الناشئ عن الخلط بين ماهو محطّ البحث في المقام وغيره.

نعم استصحاب الحياة وإطلاق الماء في المثاليين لترتيب الآثار الشرعية عليها، مثل وجوب الإنفاق على زوجته أو مطهريّة الماء، صحيح ولا إشكال فيه، لكنّه خارج عن محطّ البحث؛ لأنّ المقصود استصحابها لترتب إثبات اتحاد القضيتين عليها.

وبالجملة: بعد تنقيح محطّ البحث لا يبقى إشكال على ما ذكرناه، وأنّه من القضايا التي قياساتها معها.

### الخلط الواقع في كلام بعض الأعظم

ومن هنا يظهر الإشكال فيما ذكره الميرزا النائيني رحمته؛ لوقوع الخلط في كلامه رحمته بين ماهو محطّ البحث وغيره؛ حيث إنّه رحمته ذكر - بعد تفصيل الكلام في ذلك - ما يرجع إلى ما ذكره الشيخ رحمته، وحاصله: أنّه لا مجال للإشكال في جريان الاستصحاب بالنسبة إلى الحياة في المثال؛ حيث إنّ الشكّ فيها وفي العدالة في عرض واحد، والموضوع لجواز التقليد مركّب من الحياة والعدالة، فكما يحرز كلّ واحد من جزئي الموضوع بالوجدان، كذلك يُحرزان بالاستصحاب، أو أحدهما بالاستصحاب والآخر بالوجدان، ويترتب عليها الحكم الشرعي، كجواز التقليد، كما في سائر

١ - فرائد الأصول: ٤٠٦ سطر ٤.

الموضوعات المركبة<sup>(١)</sup>. انتهى.

فإنه صحيح، لكنّه غير مربوط بما نحن فيه وخارج عن محطّ البحث؛ إذ ليس البحث فيما إذا ترتّب الأثر الشرعي على موضوع مركّب؛ ليقال: إنّه يمكن إحراز أحد الجزئين بالوجدان والآخر بالاستصحاب، بل الكلام في أنّه هل يمكن إحراز الموضوع لاستصحاب آخر بالاستصحاب، واتّحاد القضيتين بالجاري في الموضوع؛ ليرتّب عليه جريان الاستصحاب في جانب المحمول أو لا؟ وأين هذا ممّا فرضه؟ فالحقّ: عدم إحراز الموضوع واتّحاد القضيتين بالاستصحاب، بل لابدّ من إحرازه بالوجدان أو بقيام البيّنة عليه أو الأمانة؛ لما تقدّم من حجّة مبنّاتها.

### المناطق في تشخيص وجود الموضوع

ثمّ إنّ المناطق في تشخيص وجود الموضوع وصدق اتّحاد القضيتين، هل هو نظر العقل أو نظر العرف أو لسان الدليل؟ والفرق بينها واضح، فإنّه على الأوّل قلّمّا يتفق ذلك في الأحكام حتّى في احتمال النسخ؛ لأنّ الأحكام الشرعيّة إنّما تتعلّق بالموضوعات؛ لمكان اشتغالها على خصوصيّة هي الموضوعة لها عند العقل أو دخيلة في موضوعها، كالحرمة المتعلّقة بالخمر، ولا يمكن الشكّ في الحكم إلّا بتغيّر بعض حالات الموضوع وخصوصيّاته، وإلّا فع حفظ الموضوع بجميع حالاته وخصوصيّاته في الزمان اللاحق، امتنع الشكّ في حكمه؛ لأنّه لو احتمل زوال الحكم الأوّل، مع وجود الموضوع بجميع حالاته وخصوصيّاته، وتبدّل حكمه إلى حكم آخر كالإباحة في مثال الخمر، لزم أن يكون الحكم الأوّل جزافاً وبلا ملاك، فلا بدّ في فرض الشكّ فيه من طرؤ تغيّر في الموضوع في بعض حالاته وخصوصيّاته، ومعه فليس الموضوع باقياً

عقلاً، فلا تتحد القضيتان فيما لو احتمل دُخْل الزمان أو المكان في موضوع الحكم الأول، كما لو فرض حلّة شرب الخمر في ابتداء الإسلام؛ لعدم بسط يد الشارع كاملاً فيه، فع هذا الاحتمال في الزمان اللاحق ليس الموضوع فيه ذاك الموضوع؛ لانتفاء الزمان الأول فيه، فلو كان المناط في اتّحاد القضيتين هو نظر العقل، انسَدَّ باب الاستصحاب في الأحكام حتّى في الشكّ في النسخ؛ لما عرفت من احتمال دُخْل الزمان الأول في الموضوع عقلاً، المفقود في الزمان اللاحق، فلا تتحد القضيتان موضوعاً.

فإن قلت: خصوصيّة الزمان ملغاة في باب الاستصحاب.

قلت: مرجع ذلك: أنّ الملاك فيه ليس اتّحاد القضيتين عقلاً، وعدم اعتبار تحقّق الموضوع فيه عند العقل، وهكذا الكلام في كثير من الاستصحابات الموضوعيّة، فلو كان المناط فيها بقاء الموضوع بنظر العقل لزم عدم جريان تلك الاستصحابات، كما في استصحاب الكريّة عند نقصان قدر يسير منها في الحال اللاحق، فإنّ الموضوع بحسب الدقّة العقلية غير محفوظ، بخلاف ما لو قلنا: إنّ المناط فيه نظر العرف أو لسان الدليل، فإنّه لا يستلزم هذا الإشكال، وهو واضح لا إشكال فيه.

وإنّما الإشكال في الفرق بين كون الملاك هو نظر العرف أو لسان الدليل؛ حيث إنّ الأدلّة المتكفّلة لبيان الأحكام منزّلة على الفهم العرفي ونظر العقلاء.

ويمكن أن يقال: إنّ الفرق بينهما أيضاً واضح، فإنّه لو قلنا: إنّ الملاك هو لسان الدليل، فلا بدّ من ملاحظة الأدلّة الاجتهاديّة، وكلّ عنوان أخذ فيها موضوعاً فهو الموضوع بمعناه العرفي، فلا بدّ في حفظه من صدق ذلك العنوان عليه مثل عنوان «العالم» في «أكرم العالم» وصدق «العنب» في قوله عليه السلام: «العصير إذا نشّ أو غلا يحرم»<sup>(١)</sup> ونحو ذلك، فلو زال علم مصداق من العلماء أو صار العنب زبيهاً، فليس

١ - الكافي ٦: ٤١٩ / ٤، تهذيب الأحكام ٩: ١٢٠ / ٥١٥، وسائل الشيعة ١٧: ٢٢٩، كتاب

الأطعمة والأشربة، أبواب الأشربة المحرّمة، الباب ٣، الحديث ٤.

الموضوع المأخوذ في لسان الدليل محفوظاً في الفرض؛ لعدم صدق «العالم» على من زال علمه وصار جاهلاً، وكذا عنوان «العنب» على الزبيب، لكن هذا العنوان المتعلق للحكم في لسان الدليل، لو وُجد فرد منه في الخارج وانطبق عليه، مثل زيد أو هذا العنب الخاص الموجود فيه، يتعلّق بهما حكمهما بالانطباق عليهما، فتتحقق هنا قضايا متيقّنة، فإنّه كما يصدق عليه «أنّ هذا العالم يجب إكرامه»، يصدق «أنّ هذا المشار إليه يجب إكرامه، أو زيد يجب إكرامه»، فبعد زوال علمه وإن لم يصدق عليه «أنّ هذا العالم يجب عليه إكرامه»؛ لعدم انطباق العالم عليه حينئذٍ، لكن يصدق أنّ هذا الشخص كان واجب الإكرام، وشكّ في بقاء وجوبه، فإنّ الموضوع محفوظ عرفاً، وليس بمحفوظ بحسب لسان الدليل الاجتهادي، فلا يشمل الدليل الاجتهادي، لكن يشمل أدلّة الاستصحاب؛ لصدق نقض اليقين بالشكّ عليه لو لم يحكم عليه بما حكم عليه سابقاً؛ من جهة احتمال بقاء وجوب إكرامه وإن زال علمه؛ لاحتمال كون العلم واسطة في ثبوت وجوبه عليه؛ بحيث لا يدور الحكم مداره، وكذلك لو صار التراب خرفاً أو آجراً، فإنّه لا يصدق عليه عنوان التراب حينئذٍ، فلا يشمل قوله عليه السلام: (التراب أحد الطهورين)<sup>(١)</sup>، لكن موضوع دليل الاستصحاب باقٍ عرفاً؛ لأنّه يصدق أنّ هذا كان أحد الطهورين سابقاً، والآن كما كان.

والحاصل: إنّهُ إن اعتبر في بقاء الموضوع ملاحظة لسان الدليل فلا بدّ من بقاء العنوان المأخوذ فيه موضوعاً للحكم في الاستصحاب، فلا بدّ من بقاء ماهو المجعول موضوعاً في لسان الدليل الاجتهادي، بخلاف ما لو قلنا: إنّ المتّبع فيه نظر العرف، فإنّه حينئذٍ لا بدّ من ملاحظة أدلّة الاستصحاب؛ أي قوله: (لا ينقض اليقين بالشكّ)، فكلّما صدق على رفع اليد عن الحكم السابق أنّه نقض لليقين بالشكّ، جرى فيه

١ - الفقيه ١: ٦٠ / ٢٢٣، وسائل الشيعة ١: ٩٩، كتاب الطهارة، أبواب الماء المطلق، الباب ١،

الحديث ١، (مع تفاوت).

الاستصحاب؛ لبقاء الموضوع عرفاً، وإن لم يكن العنوان المأخوذ في لسان الدليل باقياً قطعاً، كما في الأمثلة المتقدمة، مع أنّ حصول اليقين السابق إنّما هو من الدليل الاجتهادي.

هذا بما أفاده العلامة شيخنا الحائري في درسه، لكن الظاهر من «الذّرر»<sup>(١)</sup> غير هذا البيان.

### كلام المحقق الخراساني وما يرد عليه

وقال في «الكفاية» في بيان الفرق بين الموضوع العرفي والمأخوذ في لسان الدليل ما حاصله: إنّ المتّبع في تعيين مدلول الدليل، وإن كان هو فهم العرف بحسب ما يركز في أذهانهم؛ بسبب ما تخيّلوه من الجهات والمناسبات بين الموضوع والحكم؛ فيجعلون الموضوع ذات المعنون لا بما هو معنون بالعنوان الذي أخذ موضوعاً للحكم، فالموضوع في لسان الدليل هو الحقيقي كالعنب بما هو عنب، والموضوع العرفي هو الموضوع الخيالي أي الأعمّ من العنب والزبيب.

ثمّ ذكر: أنّ هذا إنّما هو فيما إذا لم تكن تلك الجهات والمناسبات بمثابة تصلح قرينة على صرف الدليل عماً هو ظاهر فيه<sup>(٢)</sup>. انتهى محصّله.

ويرد عليه: أنّ القضية المتيقّنة الحاصلة من الدليل الاجتهادي موضوعها هو الموضوع الحقيقي كالعنب بما هو عنب، والقضية المشكوكة - بناءً على ما ذكره<sup>(٣)</sup> - موضوعها هو الموضوع التخيلي، لا الحقيقي، فاستصحاب الحكم حينئذٍ إسرائ للحكم من الموضوع الحقيقي إلى الموضوع التخيلي؛ أي من العنب بما هو عنب إلى الزبيب

١ - درر الفوائد : ٥٧٩ - ٥٨٠ .

٢ - كفاية الأصول : ٤٨٧ .

الغير المعنون بعنوان العنب الذي هو موضوع القضية المتيقنة، وهو كما ترى، مع أنه <sup>(١)</sup> صرح بعد ذلك: بأنّ المعتبر هو صدق بقاء الموضوع بنظر العرف <sup>(٢)</sup>، فيلزم أن يكون الاستصحاب دائماً إسراء الحكم من موضوع إلى آخر <sup>(٣)</sup>.

ثمّ إن الميرزا النائيني بعد تفصيل الكلام في المقام وتطويله ذكر في آخر كلامه: أنّه لا فرق بين القول بأنّ المعتبر هو أخذ الموضوع من الدليل والقول بأخذه من العرف، وإنّ مآل كلاهما إلى واحد؛ وذلك لأنّ الفرق بينهما إنّما هو في بدو النظر وبحسب الظهور الابتدائي، وإلا فبعد التأمل يعلم أنّه لا فرق بينهما؛ لأنّ خصوصيّة العنوان المأخوذ في لسان الدليل: إن كانت مُلغاة عند العرف بلحاظ الجهات والمناسبات بين الحكم والموضوع، فالموضوع في لسان الدليل أيضاً هو ذات المعنون حقيقة، ولا دخل للعنوان فيه، وإن لم تكن مُلغاة في نظر العرف، فالموضوع هو المعنون بما هو معنون عند العرف أيضاً، فعلى أيّ تقدير لا وجه للمقابلة بين الدليل والعرف <sup>(٣)</sup>. انتهى.

ومّا ذكرنا في بيان الفرق بينهما اتّضح عدم استقامة ما ذكره <sup>(١)</sup>، فإنّ الموضوع في لسان الدليل الاجتهادي، هو العناوين الكلّيّة التي تختلف باختلاف القيود وبانضمامها وعدمه، كالماء المتغيّر، بخلاف الموضوعات العرفيّة الشخصية، فإنّه كثيراً ما يتفق صدق بقاء الموضوع عرفاً مع عدم صدق بقاء العنوان المأخوذ في لسان

١ - كفاية الأصول : ٤٨٨ .

٢ - أقول : وإن وقع التعبير في كلامه بلفظ التخيل، لكن من الواضح أنّه ليس مراده الخيال بمعناه المشهور؛ - أي ما لا حقيقة له - بل الظاهر أنّ مراده: أنّ العرف والعقلاء يُدركون بتلك الجهات والمناسبات أنّ الموضوع بحسب الواقع هو الأعمّ من العنب والزبيب، فلا يرد عليه هذا الإشكال. [المقرّر حفظه الله].

٣ - فوائد الأصول ٤ : ٥٨٥ - ٥٨٦ .

الدليل، وقد عرفت أنَّ المناط : هو صدق نقض اليقين بالشك في محيط العرف ونظرهم.

ثمَّ إنَّه لا إشكال في أنَّ المناط في بقاء الموضوع واتِّحاد القضيتين هو نظر العرف، لا العقل ولا لسان الدليل؛ من غير فرق بين المفاهيم والمعاني الكلِّية أو تطبيقها على المصاديق، فإنَّه وإن لم يقيّد الموضوع في الأدلّة الاجتهاديّة والخطابات الشرعيّة بالعرفي منه، لكن من الواضح أنَّه ليس للشارع المقدّس طريقة خاصّة به في محاوراته وخطاباته المتضمّنة للأحكام الشرعيّة، المتوجّهة إلى عامة المكلفين في مقام جعل القوانين الكلِّية من العمومات والإطلاقات، ثمّ ذكر المقيّدات والمخصّصات بل هو في هذا المقام كأحد العرف في محاوراتهم وخطاب بعضهم بعضاً، كما أنَّ المتعارف بين العرف أيضاً جعل القوانين الكلِّية، ثمّ الإتيان بالمخصّصات والمقيّدات، وطريقة الشارع أيضاً هذه الطريقة العرفيّة بعينها، فكما أنَّ الألفاظ المستعملة في المحاورات والهيئات التركيبيّة منزلة على فهم العرف العامّ واللغة، كذلك الألفاظ المشتملة على الخطابات الشرعيّة؛ من غير فرق بين الآيات القرآنية المتضمّنة للأحكام الشرعيّة، وبين السُنّة النبويّة ﷺ والأحاديث الولويّة، ومن غير فرق في ذلك بين المفاهيم الكلِّية، وبين تشخيص مصاديقها الشخصيّة، فإنَّه أيضاً منزّل ومحوّل على فهم العرف والعقلاء، ومن غير فرق بين قوله ﷺ : (لا ينقض اليقين بالشك) وبين سائر الخطابات.

وربّما يطلق على ذلك التسامح العرفي في كلام بعض الأعظم<sup>(١)</sup>، ويريد به المعنى الحقيقي العرفي في قبال فهم العقل الدقّي البرهاني، أو المطالب المستكشفة بالآلات المخترعة الدقيقة التي لا يعرفها العرف العامّ.

وليس المراد التسامح في محيط العرف بأن يكون مصداقه الحقيقي العرفي غيره،



فإن التعبير بالتسامح العرفي إنما هو في قبال النظر الدقيق العقلي كالدم، فإنه يصدق على اللون الباقي في الجسم بعد زوال عينه عقلاً؛ لاستحالة بقاء العرض بدون المعروض، مع عدم صدقه عليه عرفاً حقيقةً، وكما في الأوزان والمقادير، فإن المراد هو الوزن العرفي المتعارف في كل زمان، وكما في مقدار الكر؛ وأنه ألف ومائتا رطل، وحد نصاب الغلات، ونحو ذلك، فإن المراد هو العرفي منها، كما أن المراد بالحنطة وغيرها هو المتعارف منها التي يشوبها مقدار من التبن وغيره، لا الخالص الحقيقي منها. نعم الخطابات المتضمنة للمطالب الدقيقة والحقائق اللطيفة والمعاني النفيسة - غير الأحكام الشرعية - من الآيات القرآنية الشريفة أو الأخبار والأدعية الواردة عنهم <sup>عليهم السلام</sup>، لا يمكن تنزيلها على الأفهام العرفية العامة؛ لأنها فوق فهمهم ولا يصل إليها أفكارهم وأذهانهم، بل ولا في أفهام الحكماء والفلاسفة أيضاً، فكيف يمكن حملها عليها؟!

## الأمر الثاني

### فعليّة اليقين والشك في الزمان اللاحق

مما يعتبر في الاستصحاب فعليّة اليقين والشك في الزمان اللاحق؛ بأن يكون متيقناً في الزمان اللاحق، بالمستصحب في الزمان السابق، مع تحقق اليقين منه في السابق، والشك في بقائه في الزمان اللاحق، وأما لو زال يقينه السابق بأن شك في تحقق المتيقن في السابق، مع كونه في السابق متيقناً به فليس هو مجرى الاستصحاب، بل مجرى قاعدة أخرى تسمى بـ«قاعدة اليقين والشك الساري».

حول أن أخبار الباب هل تختص بالاستصحاب أو تعمّ غيره؟

ولا إشكال في اعتبار فعلية اليقين والشك في الاستصحاب، وإنما الكلام في أنه هل يمكن أن يقال باستفادة اعتبارها من أخبار الاستصحاب أيضاً، كما يستفاد منها اعتبار الاستصحاب، بل واستفادة قاعدة ثالثة هي عدم نقض اليقين بالشك فيما لو تيقن بعدالة زيد - مثلاً - يوم الجمعة، ثم شك في عدالته يومها، وشك في بقائها على تقدير تحققها يوم الجمعة؛ بأن يقال: إنه يستفاد من أخبار (لا ينقض) ثلاث قواعد، وهي المذكورات، أو أنه لا يمكن ذلك؟

فالكلام فيه في مقامين :

أحدهما : في إمكانه ثبوتاً وعدم امتناع الجمع بين تلك القواعد الثلاث في استعمال واحد أو امتناعه.

ثانيهما : في استظهار ذلك وإمكانه إثباتاً بعد فرض إثبات إمكانه ثبوتاً.

أمّا المقام الأول : فذهب الشيخ الأعظم وأستاذنا الحائري رحمتهما والميرزا النائيني والمحقق العراقي: إلى عدم إمكانه ثبوتاً؛ لعدم إمكان الجمع بين القاعدتين في اللحاظ؛ لاختلاف المناط فيها بحيث لا يجتمعان، فإنّ مناط الاستصحاب اتّحاد متعلّق اليقين والشك مع قطع النظر عن الزمان؛ لأنّ المفروض فيه تعلّق الشك ببقاء ما تيقن به سابقاً، ويلزمه كون القضية المتيقّنة باقية على حالها في زمان الشك أيضاً مع قطع النظر عن الزمان، ومناط هذه القاعدة اتّحاد متعلّقيهما من جهة الزمان وبملاحظته، ومرجعه كونه في الزمان اللاحق شاكاً فيما تيقن به سابقاً بوصف وجوده في السابق؛ بمعنى زوال يقينه الحاصل أولاً، وإلغاء الشك في الاستصحاب؛ عبارة عن الحكم ببقاء المتيقن السابق في الزمان اللاحق من غير تعرّض لزمان حدوثه من حيث إنه متيقن به في السابق، والمناط في القاعدة هو الحكم بحدوث ما تيقن به سابقاً من غير تعرّض

للحكم في بقائه فلا يمكن إرادتهما بقوله: (لا ينقض...) إلى آخره وقوله عليه السلام: (فليمض على يقينه) ، فإنَّ المضيَّ بهذا المعنى يغير المضيَّ بذاك المعنى.

ثمَّ أورد على نفسه : بأنَّ معنى المضيَّ على اليقين عدمُ التوقُّف من أجل الشكِّ العارض، وفروضُ الشكِّ كعدمه، وهو يختلف باختلاف متعلِّق الشكِّ، فالمضيَّ مع الشكِّ في الحدوث بمعنى الحكم بالحدوث، ومع الشكِّ في البقاء بمعنى الحكم به.

وأجاب بما حاصله : أنَّ اليقين لا كثرة فيه في نفسه ولا تعدُّد، نعم يمكن تعدُّده باعتبار تعدُّد متعلِّقه، لكن متعلِّقه فيما نحن فيه واحد، وهو اليقين بعدالة زيد، لا متعدّد حتى يستلزم تعدُّد اليقين، وحينئذٍ فلا يمكن إرادتهما في استعمال واحد واجتماعهما في لحاظ واحد، فإن اعتبر المتكلِّم في كلامه الشكِّ في هذا المتيقَّن من دون تقييده بيوم الجمعة - مثلاً - فهو الاستصحاب، وإن اعتبر الشكِّ فيه مقيداً بيوم الجمعة، فالمضيَّ فيه عبارة عن الحكم بالحدوث، وهو القاعدة<sup>(١)</sup>. انتهى.

وذكر الميرزا النائيني في المقام : ما يرجع إلى كلام الشيخ عليه السلام ببيان آخر حاصله: أنَّ اليقين من حيث نفسه لا يتعدّد، ومتعلِّق اليقين في القاعدة والاستصحاب واحد غير متعدّد؛ لأنَّ متعلِّق اليقين في كليهما هو عدالة زيد يوم الجمعة - مثلاً - وانحفاظ اليقين في الاستصحاب وعدم انحفاظه في القاعدة لا يوجبان تغيُّر اليقين فيهما، فإنَّ الانحفاظ وعدمه من الطوارئ اللاحقة لليقين بعد وجوده، ولا يمكن أن يكون من مشخّصات أفرادهِ؛ حيث إنَّ اختلاف الأفراد إنّما هو باختلاف المشخّصات حال وجودها .

إلى أن قال : ولا يمكن الجمع بين القاعدتين في تلك الأخبار؛ لعدم إمكان الجمع بينهما في اللحاظ من جميع الجهات، لا من جهة اليقين ولا من جهة المتيقَّن، ولا من

١ - فرائد الأصول : ٤٠٤ سطر ١٧ .

جهة النقض، ولا من جهة الحكم:

أما من جهة اليقين : فلأن اليقين في الاستصحاب ملحوظ من حيث كونه طريقاً، وفي القاعدة من حيث نفسه؛ لبطان كاشفيته بعد تبدله بالشك.  
وأما من جهة المتيقن : فلأنه في الاستصحاب معرّى من الزمان غير مقيد به، وفي القاعدة لابد من لحاظه مقيداً بالزمان، فالشك في القاعدة إنما هو في العدالة في ظرف اليقين - أي يوم الجمعة - وفي الاستصحاب فيما بعده، وهو يوم السبت.  
وأما من جهة النقض : فلأن نقض اليقين في الاستصحاب، إنما هو باعتبار ما يقتضيه المتيقن من الجري العملي على طبق المتيقن، وفي القاعدة إنما هو باعتبار نفس اليقين.

وأما من جهة الحكم : فإن الحكم المجعول في القاعدة هو البناء العملي على ثبوت المتيقن في زمان اليقين، وفي الاستصحاب هو الحكم بالبناء العملي على بقاء المتيقن في ظرف الشك<sup>(١)</sup>.

وقال شيخنا الأستاذ الحائري رحمته ما حاصله : إن المتكلم بـ (لا ينقض) إما أن يلاحظ الزمان قيداً، وإما ظرفاً، وإما أن يهمل ذلك، فعلى الأول فهو لا يشمل الاستصحاب، وعلى الثاني لا يشمل القاعدة، وعلى الثالث فهو ينطبق على القاعدة، ولا يشمل الاستصحاب، ولا يمكن الجمع بينهما في لحاظ واحد<sup>(٢)</sup>.

وقال المحقق العراقي رحمته ما حاصله : إن في قوله عليه السلام : (لا ينقض) ضميراً مقدراً؛ أي بالشك فيه؛ أي في اليقين، ولا يمكن لحاظ القاعدتين في إرجاع هذا الضمير إلى اليقين : لأن رجوعه إليه في الاستصحاب إنما هو بضرب من العناية والمسامحة

١ - فوائد الأصول ٤ : ٥٨٨ - ٥٩٠ .

٢ - درر الفوائد : ٥٨٤ .

ورجوعه إليه في القاعدة إنما هو بالدقة العقلية وبلا مساححة، فلا يمكن الجمع بينهما<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول : أما ما ذكره الشيخ الأعظم والميرزا النائيني رحمهما، فرجعه هو أنه لا يمكن تطبيق القاعدتين على مورد واحد من شخص واحد في زمان واحد، كاليقين الحاصل لزيد بعدالة عمرو يوم الجمعة، وأنه على فرض تصوّر التعدّد في اليقين لا مانع من ذلك، وهذا صحيح؛ لأنه لو لم يكن لليقين إلا مصداق واحد فقط امتنع انطباق القاعدتين عليه.

ولكن يرد عليه : أنه لا يتحمّ فرض ذلك من شخص واحد في زمان واحد في مورد واحد، بل يمكن فرض ذلك من شخصين وأكثر وموردين وزمانين وأكثر، فلو كان شخص على يقين من عدالة زيد يوم الجمعة، وشكّ في بقائها يوم السبت، وشخص آخر على يقين من عدالته يوم الجمعة، ثم شكّ في عدالته يومها، وشكّ في بقائها إلى يوم السبت على تقدير ثبوتها يوم الجمعة، وثالث على يقين من عدالة زيد يوم الجمعة، ثم تبدّل يقينه إلى الشكّ فيها يوم الجمعة، فأيّ إشكال يرد على القول بشمول قوله عليه السلام : (لا ينقض اليقين بالشكّ) هذه الأفراد والموارد الثلاثة التي يكون كل منهم فيها على يقين وشكّ؟!

وتقدّم سابقاً أن الملحوظ في المطلقات هو نفس الطبيعة، دون العوارض اللاحقة للأفراد والمشخصات الفردية والخصوصيات المصادقية، فكما أن الملحوظ في قوله تعالى : ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾<sup>(٢)</sup> نفس طبيعة البيع، وعلّق الحكم بها من دون لحاظ الخصوصيات الفردية والعوارض المفردة، كذلك ليس الملحوظ في قوله عليه السلام : (لا ينقض اليقين بالشكّ) إلا نفس طبيعة اليقين والشكّ، فإن مفاده أن نفس طبيعة

١ - نهاية الأفكار (القسم الأول) ٤ : ٢٤٣، مقالات الأصول ٢ : ١٧٢ - ١٧٣ سطر ١٩.

٢ - البقرة (٢) : ٢٧٥.

اليقين من حيث إنه أمر مبرم مستحكم ، لابد وأن لا تنقض بطبيعة الشك التي ليست كذلك ، ولا مانع من انطباق ذلك على كل واحد من أفراد اليقين والشك ، فإن كل فرد من أفراد مغاير للفرد الآخر؛ لأن كل واحد من أفراد صفة نفسانية قائمة بشخص وإن اتحد متعلقها؛ أي عدالة زيد يوم الجمعة.

مضافاً إلى أنه يمكن فرض تعدد متعلقها من شخص واحد؛ كأن يكون على يقين من عدالة زيد يوم الجمعة ، ثم تبدل يقينه بالشك في عدالته يوم الجمعة ، وعلى يقين من عدالة عمرو يوم الجمعة وشك في بقائها يوم السبت ، فإنه لا يتوجه إشكال على القول بشمول إطلاقه (لا ينقض) لهذين الفردين من اليقين والشك إذا لم تلاحظ الخصوصيات الشخصية؛ ليرد عليه عدم إمكان الجمع بين اللحاظين ، وإلا فلو فرض وحدة متعلق اليقين والشك من شخص واحد ، فلا يحتاج في بيان عدم إمكان الجمع بين القاعدتين إلى ما ذكرناه ، فإن من الواضح أن اليقين في الاستصحاب موجود متحقق فعلي ، وفي القاعدة معدوم ، ومن الواضح عدم إمكان الجمع بينهما في واحد.

فتلخص : أنه ليس من ناحية اليقين والشك قصور عن الشمول لهما.

فإن قلت : قد أخذ اليقين في (لا ينقض اليقين) طريقاً ومراًة لمتعلقه في الاستصحاب ، ولا يمكن الجمع بين متعلقه في القاعدة وبينه في الاستصحاب.

قلت : تقدّم سابقاً : أن المراد باليقين فيه هو مفهومه ، ولا يحكي هو عن المتعلقات ، وعلى فرض طريقته فهو طريق إلى أفراد اليقين الحاصلة للمكلفين لا المتعلقات.

وأما الحكم بعدم النقض في الخبر فعناه : وجوب البناء العملي على عدم نقض اليقين الحاصل سابقاً بالشك من دون لحاظ الحدوث والبقاء ؛ لما عرفت : أن الملحوظ هو نفس طبيعة اليقين والشك ، ولكن الخصوصيات الغير الملحوظة مختلفة.

وأما ما أفاده الميرزا النائيني رحمته : من أن اليقين في القاعدة أخذ وصفاً لتبدله

إلى الشك.

ففيه ما لا يخفى ، فإنّ معنى طريقيّة اليقين هو طريقيّته في ظرف وجوده وتحقّقه، لا بعد زواله وانعدامه، وإلّا فع عدم وجوده وتبدّله إلى الشكّ، كيف يمكن أخذه وصفاً في القاعدة؟!

ومنه يظهر أيضاً: اندفاع ما يقال: من أنّ اليقين في الاستصحاب موجود متحقّق في الزمان اللاحق، وفي القاعدة معدوم ومفروض الانتفاء، ولا يمكن الجمع بين مفروض الوجود والتحقّق ومفروض العدم والانتفاء.

وذلك فإنّ عنوان اليقين كما هو مقسّم للموجود والمعدوم، ويقال: إنّه إمّا موجود وإمّا معدوم، ويراد منه طبيعة اليقين، وهو صادق عليها، كذلك هو صادق على الموجود فعلاً والموجود سابقاً مع انعدامه فعلاً فتلخّص أنّه ليس من ناحية اليقين والشكّ قصور عن شمولها للقاعدتين.

فإن قلت: إنّ اليقين في قوله <sup>الشيخ</sup> (لا ينقض) قد أخذ مرآة للمتعلّقات ولا يمكن الجمع بين متعلّقه في القاعدة وبين متعلّقه في الاستصحاب .

قلت: تقدّم سابقاً أنّ المراد من اليقين في قوله <sup>الشيخ</sup> (لا ينقض اليقين) هو طبيعة اليقين ولا تحكي هي عن المتعلّقات، وعلى فرض طريقيّته فهو طريق إلى أفراد اليقين الحاصلة للمكلّفين لا عن المتعلّقات، وأمّا الحكم بـ(لا ينقض) إلخ فعنايه الحكم بوجوب البناء العملي على عدم نقض اليقين السابق بالشكّ من دون لحاظ الحدوث والبقاء، فالمراد هو طبيعة اليقين غاية الأمر خصوصيات الموارد مختلفة.

ومما ذكر يظهر الجواب عمّا ذكره شيخنا الحائري <sup>رحمته</sup> فإنّه متفرّع على أنّ المراد من اليقين، المتيقّن وقد عرفت خلافه.

وأما ما أفاده المحقّق العراقي <sup>رحمته</sup> : ففيه:

أولاً: أنه لا يفترق في الحديث إلى تقدير الضمير؛ لعدم تبادر ذلك منه.  
وثانياً: على فرض تسليم تقديره فقد عرفت: أنَّ الملحوظ في قوله **عليه السلام**:  
(لا ينقض...) إلى آخره هو طبيعة اليقين، لا أفراده وخصوصياته، كما أنه لا يتبادر منه  
الزمان والمتعلقات ونحوها، سوى نفس طبيعة اليقين والشك، وإلا فلو لوحظ كل فرد  
من أفراد اليقين والشك مع خصوصياتها الفردية المشخصة لزم لحاظ أفراد غير  
متناهية للطبيعة وتحققها في الخيال المتناهي، فلا يمكن لحاظ الأفراد بخصوصياتها حتى  
في العمومات، فضلاً عن المطلقات، كما هو واضح.

وثالثاً: على فرض تسليم أنَّ لليقين فردين: أحدهما حقيقي، والآخر مساحي،  
لكن عرفت سابقاً: أنه لا إشكال في إمكان الجمع بين معنيي الحقيقي والمجازي في  
استعمال واحد؛ لأنَّ اللفظ في المجازات أيضاً مستعمل في معناه الحقيقي بالإرادة  
الاستعمالية، لا في غيره، لكن بدعوى تطبيقه على هذا المصداق المجازي، لا بدعوى أنَّ  
للأسد فردين: أحدهما حقيقي، والآخر مجازي، كما ذكره السكاكي<sup>(١)</sup>، بل بمعنى  
الطف<sup>(٢)</sup> ممَّا ذكره؛ لأنَّ الأسد على ما ذكرناه مستعمل في معناه الحقيقي، لكن ادَّعي بعد  
الاستعمال تطبيقه على زيد مثلاً، فتدبر جيداً.

فتلخص: أنه لا إشكال في إمكان الجمع بين القاعدتين ثبوتاً في استعمال واحد،  
وأنَّه لا مانع من شمول الإطلاقات لهما.

وأما الكلام في المقام الثاني: - وهو مقام الاستظهار من الأدلة - فلاريب في  
أنَّ الظاهر من الأخبار أنَّها بصدد بيان أمر واحد عرفاً: إمَّا الاستصحاب، وإمَّا

١ - مفتاح العلوم : ١٥٦ - ١٥٧ .

٢ - وهو الذي اختاره الإمام **عليه السلام** تبعاً لأستاذه في وقاية الأذهان : ١٠٣ - ١٠٤ .



القاعدة، حتّى رواية «الخصال»<sup>(١)</sup> الظاهر ذيلها من (أنّ اليقين لا يدفع بالشك)، أو (فإنّ الشك لا ينقض اليقين) في اتحاد مفادها مع مفاد سائر الكُبريات في سائر الأخبار، فمع أنّ المتبادر منها جميعاً عرفاً أنّها في مقام إفادة إحدى القاعدتين، ولا إشكال في أنّها الاستصحاب، لا قاعدة اليقين؛ لأنّ الظاهر منها إرادة اليقين والشك الموجودين بالفعل، كما في الاستصحاب، مضافاً إلى ورود الصحيحة الأولى<sup>(٢)</sup> والثانية<sup>(٣)</sup> لزراعة في مورد الاستصحاب.

نعم، قد يتوهّم: ظهور رواية «الخصال» - من قوله: (من كان على يقين فشكّ فليمض على يقينه، فإنّ الشك لا ينقض اليقين) - في القاعدة، وفرض صورة تبدّل اليقين السابق بالشكّ وزواله، وذيلها وإن كان ظاهراً في الاستصحاب وإرادة اليقين والشكّ الفعليين، لكنّه معارض بظهور الصدر في القاعدة، وظهور الصدر مقدّم على ظهور الذيل، وقرينة على التصرف في الذيل؛ لأنّه أقوى منه.

لكنّه مندفع: بأنّ هذا التعبير في صدرها موجود في الصحيحة الثانية لزراعة الواردة في مورد الاستصحاب، وهو قوله: (لأنّك كنت على يقين من طهارتك فشككت).

والسرّ في ظهور هذا التعبير في مورد الاستصحاب: هو أنّ زمان حدوث

١ - يوجد في المقام روايتان إحداها عن الخصال والأخرى عن إرشاد المفيد، وذيل الأولى:

«فإنّ الشك لا ينقض اليقين» وذيل الثانية: «فإنّ اليقين لا يدفع الشك» راجع الخصال: ٦١٩ /

١٠، الإرشاد، الشيخ المفيد: ١٥٩.

٢ - تهذيب الأحكام ١: ٨ / ١١، وسائل الشيعة ١: ١٧٤، كتاب الطهارة، أبواب نواقض

الوضوء، الباب ١، الحديث ١.

٣ - تهذيب الأحكام ١: ٤٢١ / ١٣٣٥، وسائل الشيعة ٢: ١٠٥٣ و ١٠٦١، كتاب الطهارة،

أبواب النجاسات، الباب ٣٧ و ٤١، الحديث ١.

الشك غالباً بعد زمان حدوث اليقين؛ لوضوح أن حصولها وتحققها في زمانٍ واحدٍ نادرٌ، فلا يستفاد من هذا التعبير عدم بقاء اليقين في زمان الشك. وعلى فرض تسليم المعارضة بينهما فهي لاتصلح للاستدلال بها للاستصحاب. ويكفي ظهور سائر الأخبار فيه.

## الأمر الثالث

### الشك في بقاء المتيقن

من الأمور المعتمدة في الاستصحاب: الشك في البقاء، فع إحراز بقاء الحالة السابقة أو عدمها، لا مجال للاستصحاب؛ سواء أحرزت بالعلم الوجداني، أو بقيام الأمانة عليه. وهذا ممّا لا إشكال فيه.

### المناط في تقديم أحد الدليلين

وإنما الإشكال في وجه تقديم أحد الدليلين عى الآخر؛ وذلك لأنّ الدليلين إذا عُرِضا على العرف: إمّا يتوقفون في تقديم أحدهما على الآخر؛ لمكان التعارض بينهما، كما لو ورد: «أكرم العلماء»، وورد أيضاً: «لا تكرم الفسّاق»، فإنّهما متعارضان في مادّة الاجتماع عرفاً، وإمّا لا يتوقفون، بل يقدّم أحدهما على الآخر عندهم، ولا يُعدّان متعارضين، كما لو ورد: «أكرم العلماء»، وورد أيضاً: «ما جعلت وجوب الإكرام للفسّاق»، أو «ما أردتهم»، أو «لا خير فيهم»، أو «لا صلاح في إكرامهم» ونحو ذلك، فإنّ العرف والعقلاء لا يتوقفون في تقديم الثاني على الأول، مع أنّ بينهما عموماً من وجه أيضاً.

وليس الملاك والمناطق في تقديمه على الأول، أظهرته في مدلوله من الأول؛ لما سيجيء - إن شاء الله - : من أن تقديم أحد دليلين لأجل أظهرته نادر جداً؛ حتى في الأعم والأخص المطلقين، ولوضوح أن الثاني ليس أظهر في مدلوله من الأول.

بل المناطق في تقديمه: إما ما كنت أظنه في سابق الزمان: وهو أن الثاني متعرض لإحدى مقدمات الآخر أو مؤخراته أو لموضوعه، والتصرف فيه بتضييق دائرته أو توسعته؛ وذلك لأن كل دليل له مقدمات كالتصور والتصديق بالفائدة والإرادة، ومؤخرات ولوزام كلزوم الإطاعة وحرمة المخالفة ووجوب الإعادة عند المخالفة ونحو ذلك، وموضوع يتعلق به الحكم، فإن لم يتعرض واحد منها لواحدة من هذه المذكورات، فهما متعارضان لو كان بين عنواني موضوعيهما عموم من وجه، مثل: «أكرم العلماء»، ولا تكرم الفساق»، وإن كان أحدهما متعرضاً لواحدة من الأمور التي ذكرناها، كما لو قال بدل الثاني: «ما أردت إكرام الفساق» أو «ما جعلت وجوب الإكرام للفساق» أو «لا صلاح فيه»، أو «النحوي ليس بعالم» أو «زيد عالم»، فإن الثاني حيث إنه متعرض للأول في بعض الجهات المتقدمة، فهو مقدم على الأول عند العرف، ولا يُعدّان متعارضين.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)<sup>(٣)</sup> بالنسبة إلى أدلة الأحكام الأولية، وقوله ﷺ: (لا شك لكثير الشك)<sup>(٤)</sup> بالنسبة إلى أدلة أحكام

١ - الحج (٢٢) : ٧٨ .

٢ - البقرة (٢) : ١٨٥ .

٣ - الكافي ٥ : ٢٩٢ و ٢٩٣ / ٢ و ٦، وسائل الشيعة ١٧ : ٣٧٦، كتاب الفرائض والمواريث، أبواب موانع الإرث، الباب ١، الحديث ١٠ .

٤ - الظاهر أنها قاعدة متصيدة من الأخبار، راجع وسائل الشيعة ٥ : ٣٢٩، كتاب الصلاة، أبواب

الشكوك، ومثل قوله عليه السلام: (لا تُعاد الصلاة إلا من خمسة)<sup>(١)</sup> بالنسبة إلى أدلة وجوب أجزاء الصلاة وشرائطها؛ حيث إنه متعرّض لوجوب الإعادة في الخمسة، وعدمه في غيرها، التي من الأحكام العقلية لوجوب الأجزاء، فتمام الموضوع والملاك في تقديم أحد الدليلين على الآخر، هو تعرّض أحدهما لما لم يتعرّض الآخر له في جميع موارد التقديم.

أو أنّ المناط في تقديم أحدهما مختلف في موارده، كما يبدو في النظر عاجلاً، وأنّ المناط في بعض الموارد لتقديم أحد الدليلين نفي أحد الدليلين لموضوع الآخر أو إثباته وتوسعته، مثل (لا شكّ لكثير الشكّ) بالنسبة إلى أدلة الشكوك، وقوله: «زيد عالم» بالنسبة إلى «أكرم العلماء»، فإنّ الدليل الثاني ينقّح موضوع الأوّل بتضيقه أو توسعته، والملاك في تقديم أدلة نفي العسر والحرّج هو نفي الإرادة الجدّيّة في الأحكام المجعولة في مواردها؛ حيث إنّ إطلاق أدلة الأحكام الأوّليّة، شامل لموارد استلزامها العسر والحرّج وتعلّق الإرادة الاستعماليّة بها في تلك الموارد، ولسان دليل نفي العسر والحرّج والضرر، نفي الإرادة الجدّيّة في موارد استلزامها لها، وأنّ إرادتها فيها صورتيّة لا جدّيّة، فالملاك في تقدّمها عليها عدم جريان أصالة تطابق الجدّ والاستعمال مع التصريح بعدم الجدّ، وهذا هو المناط في تقديم الخاص على العام في العام والخاص المطلقين على الآخر، مثل «أكرم العلماء، ولا تكرم الفسّاق منهم»؛ لأنّ الثاني ليس أظهر في مدلوله من الأوّل، فإنّ كلّ واحد من مفرداته مستعمل في معناه كما في الأوّل، فلا وجه لأظهريّة من الأوّل، فتقدّمه على الأوّل إنّما هو لعدم جريان أصالة تطابق الجدّ والاستعمال؛ لأنّ أصالة الجدّ في الأوّل، ضعيفة، بل المناط في التقديم في أغلب الموارد ذلك، ولا يُعدّ الدليلان كذلك متنافيين ومختلفين؛ لتعارف ذلك بين العقلاء في

→ الخلل الواقع في الصلاة، الباب ١٦ .

١ - الفقيه ١ : ١٨١ / ٨٥٧، تهذيب الأحكام ٢ : ١٥٢ / ٥٩٧ .

مقام جعل قوانينهم العرفية، ولهذا لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup> لم يعترض أحد على ذلك، مع وجود هذا النحو من الاختلاف في الكتاب المجيد في الآيات المشتملة على الأحكام.

نعم، في غير مقام جعل القوانين الكلية يعد ذلك اختلافاً وتنافياً، فإن السالبة الجزئية تناقض الموجبة الكلية.

وأما أدلة نفي العسر والحرج والضرر، فتقديمها على إطلاقات الأحكام أيضاً بهذا الوجه المذكور؛ حيث إنه ليس المراد من نفي الضرر والحرج : عدم تحققه ولزومه من إطلاقات أدلة الأحكام وعموماتها، بل المراد عدم تعلّق الإرادة الجدّية بها في تلك الموارد.

وبالجملة : يختلف السرّ والمناط في تقديم بعض الأدلة على البعض الآخر باختلاف الموارد، وأنّ التقديم في بعض الموارد إنّما هو بملاك خاصّ به ليس في الآخر، فقد يكون الوجه في تقديم الدليل الحاكم في موارد التقديم تعرّضه للجهات المتقدمة لدليل المحكوم، وفي كثير من الموارد الآخر مناط التقديم غير ذلك.

ولعلّ مراد الشيخ الأعظم رحمته مما ذكره : - من أنّ الدليل الحاكم لا بدّ أن يكون مفسّراً للدليل المحكوم وشارحاً له<sup>(٢)</sup> - هو ما ذكرناه أولاً : من تعرّض أحد الدليل لبعض مقدّمات الدليل الآخر أو مؤخراته ولو أزمه لا التفسير الاصطلاحي.

ومما ذكرناه ظهر الفرق بين التخصيص والحكومة؛ لأنّ التخصيص : عبارة عن سلب الحكم الذي دلّ الدليل العامّ على ثبوته لعنوان شامل لجميع الأفراد عن بعض أفرادهم بدليل خاصّ، بخلاف الحكومة.

ثمّ إنّ نتيجة الحكومة مختلفة، فقد تكون نتيجتها التقييد، مثل حكومة أدلة نفي

١ - النساء (٤) : ٨٢ .

٢ - فرائد الأصول : ٤٢٢ سطر ٦ .

المرج والضرر بالنسبة إلى إطلاقات الأحكام، وقد تكون نتيجتها التخصيص، مثل قوله: «الفاسق ليس بعالم» بالنسبة إلى قوله: «أكرم العلماء»، كما أنها قد تنتج التوسعة في موضوع المحكوم، وقد تنتج الورود، كما لو قلنا: إن مفاد (لا ينقض اليقين بالشك)؛ هو أنك على يقين في عالم التعبد، فإنه بالنسبة إلى أدلة البراءة الشرعية - مثل حديث الرفع<sup>(١)</sup> وقوله عليه السلام: (الناس في سعة ما لا يعلمون)<sup>(٢)</sup> - حاكم عليها، لكن نتيجة هذه الحكومة هو الورود؛ لزوال موضوعها به.

فظهر: أن تقسيم التقديم إلى الحكومة والورود وغيرهما غير صحيح، فإن الورود ليس قسماً للحكومة وقسماً خاصاً من التقديم في قبال الحكومة، بل في بعض الموارد نتيجة الحكومة هو الورود فتقسم التقديم إليه وإليها وإلى غيرهما فاقد لملاك التقسيم.

نعم لو بني على الاصطلاح بأن تسمى الحكومة في بعض الموارد بالورود، فلا مشاحة في الاصطلاح. هذا كله في الأدلة اللفظية.

وأما في الأدلة اللبئية: فقد يتحقق فيها ما هو شبه الورود، مثل بناء العقلاء على العمل بخبر الواحد بالنسبة إلى حكم العقل بقبح العقاب بلا بيان؛ لانتفاء موضوع هذا الحكم العقلي بقيام خبر الواحد تعبداً؛ على فرض بناء العقلاء على العمل به تعبداً وبنائهم عليه ابتداء؛ لأنه بيان، وليس ذلك حكومة؛ حيث إن الحكومة تحتاج إلى اللسان واللفظ، والمفروض عدمه في المقام، بخلاف الدليلين اللفظيين، فإن تقديم أحدهما على الآخر؛ إما من باب تقديم الأظهر على الظاهر، أو من باب الحكومة، كما

١ - التوحيد: ٣٥٣ / ٢٤، الخصال: ٤١٧ / ٩، وسائل الشيعة ١١: ٢٩٥، كتاب الجهاد، أبواب

جهاد النفس، الباب ٥٦، الحديث ١.

٢ - عوالي الآلي ١: ٤٢٤ / ١٠٩.

أنّ تقسيم الحكومة إلى الواقعيّة والظاهريّة - كما صنعه الميرزا الثاني قَدِيرُ<sup>(١)</sup> - تقسيم بلا وجه، فإنّ الحكومة في الأدلّة الظاهريّة ليست نحواً آخر غير نحو الحكومة في الأدلّة الواقعيّة، كيف ولو أوجب هذا النحو من الاختلاف اختلافاً فيها وفي أنحائها وتقسيمها إلى قسمين، لكثرت أقسامها أزيد من ذلك، فإنّ حكومة أحد الدليلين على الآخر قد تتحقّق في باب الطهارة، وقد تتحقّق في أبواب الصلاة... إلى غير ذلك، فيلزم كثرة أقسامها، وهو كما ترى؛ لما عرفت من أنّ للتقسيم ملاكاً، وهو أن يكون للمقسم نوعان مختلفان أو أكثر.

مضافاً إلى أنّ التخصيص أيضاً كذلك، فإنّه قد يتفق في أدلّة الأحكام الظاهريّة، وقد يقع في أدلّة الأحكام الواقعيّة، فلا وجه لتخصيص هذا التقسيم بالحكومة. هذا كلّ في بيان المناط في تقديم أحد الدليلين على الآخر بنحو الإجمال. وأمّا تفصيل ذلك في المقام وبيان نسبة أدلّة الاستصحاب إلى الأمارات وسائر القواعد والأصول الشرعيّة والعقليّة فنذكرها في المباحث الآتية.





نسبة أدلة الاستصحاب  
إلى الأمارات وسائر القواعد والأصول

ويبحث فيها في مقامات :

## المقام الأوّل

### في حال أدلة الاستصحاب مع أدلة الأمارات

إنّك قد عرفت سابقاً: أنّ العمدّة في أدلة حجّية الأمارات هو بناء العقلاء وإمضاء الشارع لها وعدم ردعه عنها، وأنها ليست تأسيسية أسسها الشارع - كما هو التحقيق ، وقد تقدّم تفصيله في محله - فلا بدّ من ملاحظة أدلة الاستصحاب - مثل قوله عليه السلام: (لا ينقض اليقين بالشك) - مع بناء العقلاء على العمل بخبر الثقة ، فإنّ النسبة لا بدّ وأن تلاحظ بين الدليلين، وقد تقدّم في أوّل التنبيهات : أنّ المراد من اليقين والشكّ المأخوذين في دليل الاستصحاب هو الحجّة والألحجة؛ لشواهد تدلّ على ذلك قد تقدّم بيانها، وحينئذٍ فتقديم الأمارات على الاستصحاب إنّما هو من قبيل التخصّص؛ لأنّ الأمارّة حجّة، فلا يلزم معها نقض الحجّة بالألحجة، وإن شئت سمّيت ذلك بالورود، فإنّه لا مشاخة في الاصطلاح.

وأما لو قلنا: إنّ الأمارات تأسيسية من الشارع المقدّس، كما لو بنينا على أنّ حجّية خبر الواحد مستفادة من مثل آية النّبأ<sup>(١)</sup>، فلا يبعد أن يقال: إنّ مفهوم الآية هو

أنّه لا يجب التبيّن في خبر العادل؛ لأنّه واضح ومبيّن في نفسه لا يحتاج إلى التبيّن، وأنّه ليس فيه إصابة بجهالة، لا أنّه إصابة بجهالة غير منهي عنها، وحينئذٍ فهذا المفهوم حاكم على قوله: (لا ينقض...) إلى آخره؛ لعدم وجود الشكّ معه على خلاف الحالة السابقة تعبدًا؛ بناءً على أنّ المراد من الشكّ هو الشكّ الاصطلاحي.

وكذلك هذا المفهوم حاكم على كلّ أصل أخذ الشكّ وعدم العلم في موضوعه، مثل حديث الرفع ونحوه، مثل (الناس في سعة ما لا يعلمون)، لكن نتيجة هذه الحكومة هو الورود؛ لانتفاء موضوع الدليل المحكوم وانعدامه حينئذٍ تعبدًا؛ لو أُريد من الشكّ في أدلة الاستصحاب ونحوه اللاّحظة، بخلاف ما لو أُريد منه الشكّ الاصطلاحي، فلا تكون نتيجتها الورود.

وأما بناءً على استفادة حجّة خبر الواحد من الأخبار، مثل قوله: (العمري ثقني ما يؤدّي عني فعني يؤدّي)<sup>(١)</sup>، ففاده إلغاء احتمال الخلاف في خبر الثقة، وهو حاكم على دليل الاستصحاب، ونتيجتها الورود؛ لأنّه إعدام للشكّ تعبدًا لو أُريد من الشكّ الحالة النفسانيّة، بخلاف ما لو أُريد منه اللاّحظة، فإنّه ليس نتيجتها حينئذٍ الورود.

### كلام شيخنا الحائري في المقام

وقال شيخنا الحائري رحمته في «الدّرر»: إنّ القول بتقديم الأمارات على الاستصحاب ونحوه من قبيل الحكومة، مبنيّ على أن يكون دليل حجّيتها متعرّضاً لحكم الشكّ، وأنّ مرجع قوله: «صدّق العادل» أو «اعمل بالبيّنة» أنّ هذا الشكّ ليس شكّاً عندي.

١ - الكافي ١ : ٢٦٥ / ١، وسائل الشيعة ١٨ : ٩٩، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي،

الباب ١١، الحديث ٤.

والإنصاف : أنه لم يدل دليل الحجية إلا على جعل مدلول الخبر واقعاً، وإيجاب معاملة الواقع معه، وأما أن حكم الشك لا يترتب على الشك الموجود، فليس هو مدلول دليلها، نعم هو لازم الحجية، كما أن لازم ترتب حكم الشك عدم حجية الأمانة الدالة على الخلاف، وهذا معنى التعارض<sup>(١)</sup>. انتهى.

لكن الذي يبالي أنه قال في درسه في توجيه ما ذكره الشيخ رحمته - من حكومة الأمارات على الأصول العملية<sup>(٢)</sup> - : إن أدلة حجية خبر الواحد وإن وردت في مورد الشك، وكذلك الاستصحاب وسائر الأصول العملية، لكن أدلة حجية خبر الواحد سبقت لإزالة الشك ورفعها، ولم يؤخذ الشك في موضوعها، بخلاف أدلة الاستصحاب ونحوه، فإن الشك مأخوذ في موضوعها، وحينئذ فتصح الحكومة. ولو أريد من الشك التحير كان ذلك وروداً. انتهى.

ونعم التوجيه الذي ذكره رحمته .

ثم قال في «الدرر» : والأقوى وفقاً لسيدنا الأستاذ طاب ثراه - السيد محمد الفشاركي - ورود الأدلة والأمارات على الاستصحاب وسائر الأصول التعبدية؛ لأنك قد عرفت في باب حجية القطع: أن العلم إذا أخذ في الموضوع : فتارة يعتبر على نحو الطريقة، وأخرى على 'نحو الصفية، والمراد من اعتباره بنحو الطريقة: أن المعتبر هو الجامع بينه وبين الطرق المعتبرة، كما أن المراد من اعتباره على الصفية: ملاحظة خصوصيته المختصة به - أي الكشف التام - دون سائر الطرق، والشك في مقابل العلم؛ يعني كما أن العلم المأخوذ في الموضوع: تارة يلحظ على وجه الطريقة، وأخرى على وجه الصفية، كذلك الشك قد يلاحظ بمعنى أنه عدم الطريق، وقد يلاحظ بمعنى صفة التردد القائمة بالنفس: فإن أخذ العلم طريقاً فعني الشك الذي في مقابله هو عدم

١ - درر الفوائد : ٦٢٠ - ٦٢١.

٢ - فرائد الأصول : ٤٣١ سطر ٢٠.

الطريق، وإن لوحظ صفة فكذا ذلك.

إذا عرفت ذلك نقول : إن ظاهر الأدلة الدالة على الاستصحاب وسائر الأصول أن العلم المأخوذ فيها أخذ طريقاً، فعني قولهم : (لا ينقض...) إلى آخره: أنه في صورة عدم الطريق إلى الواقع يجب إبقاء ما كان ثابتاً بطريق، وهكذا كل ما دل على ثبوت الحكم على الشك، فإن مفاده دوران الحكم مدار عدم الطريق، فإن دل دليل على حجّة دليل أو أمانة يرتفع موضوع الحكم الذي كان معلّقاً على عدم الدليل.

إن قلت : هب ذلك، ولكن ورود الطريق على الأصول موقوف على شمول دليل الحجّة لمواردها، وأي ترجيح لشمول دليل الحجّة على شمول أدلة الأصول، مع أن المورد قابل لهما من أول الأمر؟!

قلت : شمول أدلة الطريق لا مانع منه أصلاً لوجود موضوعها مطلقاً وعدم ما يدل على التخصيص، بخلاف أدلة الأصول، فإن موضوعها متوقّف على عدم شمول دليل حجّة الطريق، ولا وجه لعدمه.

وبعبارة أخرى : الأمر دائر بين التخصيص والتخصّص، والأول خلاف الأصل، دون الثاني<sup>(١)</sup>، انتهى ملخصه.

أقول : نسبة أدلة حجّة خبر الواحد، كآية النبأ<sup>(٢)</sup> وقوله عليه السلام : (ما يؤدّي عني فعني يؤدّي) مع دليل الاستصحاب - وهو قوله : (لا ينقض اليقين) - هي نسبة دليل إستصحاب الطهارة بالنسبة إلى قوله عليه السلام : (لا صلاة إلا بطهور)<sup>(٣)</sup>، ولأريب أن لسان دليل استصحاب الطهارة بالنسبة إلى قوله عليه السلام : (لا صلاة إلا بطهور)، لسان

١ - درر الفوائد : ٦٢١ - ٦٢٣.

٢ - الحجرات (٤٩) : ٦.

٣ - الفقيه ١ : ٣٥ / ١٢٩، وسائل الشيعة ١ : ٢٥٦، كتاب الصلاة، أبواب الوضوء، الباب ١،

الحديث ١ و ٦.

الحكومة؛ لأنّ مفاد الاستصحاب هو تحقّق الطهارة تبعداً، فهو حاكم على قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**:  
(لا صلاة إلّا بطهور)، فكذلك فيما نحن فيه؛ لما عرفت من أنّ مفهوم الآية: هو أنّ  
العمل بخبر العادل ليس جهالة، وأنّ خبره مبين بنفسه؛ لا يفتقر إلى التبيين، وكذا معنى  
قوله: (فعنّي يؤدّي) أو (فهو قوليّ)، فينتفي حينئذٍ موضوع دليل الاستصحاب. نعم قد  
تكون نتيجة الحكومة هي الورود كما عرفت، والمظنون أنّ مراد السيّد الأستاذ أيضاً  
ذلك.

## المقام الثاني

### وجه تقديم الاستصحاب على الأصول

وأما تقديم الاستصحاب على الأصول العقلية كالبراءة العقلية والاحتياط العقلي أو التخيير العقلي، فإنما هو لأجل انتفاء موضوعها بالاستصحاب؛ لأن الاستصحاب بيان، فليس العقاب في مورده بلا بيان، وهو مؤمن من العقاب من طرف الشارع، فترك الاحتياط في مورده والعمل به ليس بلا مؤمن، كما هو مورد حكم العقل بوجوب الاحتياط، وهو مرجح لأحد الاحتمالين، فليس الاحتمالان متساويين بدون ترجيح لأحدهما، كما هو مورد حكم العقل بالتخيير، ولا مانع من تسمية هذا التقديم بالورود؛ لأن حكم العقل في تلك الموارد معلق على عدم البيان وعدم الترجيح وعدم المؤمن، والاستصحاب بيان ومرجح ومؤمن من العقوبة، وحيث إنه لا لسان لحكم العقل في هذه الأصول، فلا يسمى هذا التقديم حكومة؛ لتقومها على اللسان واللفظ في كل واحد من الحاكم والمحكوم.

وأما تقديم الاستصحاب على الأصول الشرعية، فذهب الشيخ الأعظم رحمته إلى أنه بنحو الحكومة؛ وذلك لأن قوله عليه السلام: (لا ينقض اليقين بالشك) بالنسبة إلى

قوله عليه السلام: (كل شيء مطلق)<sup>(١)</sup> معمم لموضوعه، فإنه لو كان على يقين من حرمة شرب النبيذ، فشك فيها، ففاد (لا ينقض) هو بقاء النهي والحرمة في زمان الشك، فالغاية - أي النهي في قوله عليه السلام: (كل شيء مطلق...) إلى آخره - متحققة بالاستصحاب تعبدًا، وهو معنى الحكومة<sup>(٢)</sup>، انتهى.

أقول: ما أفاده مؤيدٌ مبني على أمرين:

أحدهما: أن يُراد من اليقين في قوله عليه السلام: (لا ينقض اليقين) المتيقن - كما هو مختاره مؤيدٌ<sup>(٣)</sup> - لأنه طريق.

وثانيهما: أن يراد من المتيقن ذاته بعنوانه الأولي الواقعي، لا بوصف أنه متيقن، وأن مفاد (لا ينقض اليقين) الحكم بجرمة نقض الحرمة - مثلاً - فيما لو علم بجرمة شيء وشك في بقائها، والحكم بإبقائها بعنوانها الواقعي في ظرف الشك، فرجعه إلى تحقق النهي تعبدًا حال الشك، الذي هو الغاية في (كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهى)، فإن الحكومة على هذا التقدير صحيحة.

لكن يرد عليه:

أولاً: أننا لا نسلم أن اليقين في (لا ينقض) بمعنى المتيقن، كما تقدّم.

وثانياً: على فرض تسليم ذلك لا نسلم إرادة المتيقن منه بعنوانه الواقعي؛ لا بما أنه متيقن، والمعتبر في ملاحظة النسبة بين الدليلين هو ملاحظة لسانها ومدلولها اللفظي، لا نتيجة الدليلين، والنهي في (لا ينقض) متعلق بنفس اليقين، هذا مضافاً إلى أن الدليل على البراءة الشرعية لا ينحصر في هذه المرسلة، بل العدة في أدلتها هو

١ - الفقيه ١ : ٢٠٨ / ٩٣٧، وسائل الشيعة ١٨ : ١٢٧، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي،

الباب ١٢، الحديث ٦٠.

٢ - فرائد الأصول : ٤٢٣ سطر ١٤.

٣ - فرائد الأصول : ٣٣٦ سطر ١٦.



قوله عليه السلام: (الناس في سعة ما لا يعلمون)، وحديث الرفع ونحوه مما علق الحكم بالبراءة فيه على عدم العلم، وما أفاده عليه السلام لا يستقيم في هذه الأدلة. فالتحقيق: أن يقال: إن لسان أدلة البراءة الشرعية هو تعيين الوظيفة للمكلفين عند الشك في الحكم الواقعي، ففادها أحكام ظاهريّة، كأصالي الحليّة والطهارة عند الشك فيهما وعدم العلم بالحكم الواقعي منهما، وليس مفادها الحكم الواقعي وتعيينه، كما في الأمارات.

وأما قوله عليه السلام: (لا ينقض اليقين...) إلى آخره، فإن قلنا: إن مفاده هو أن العلم واليقين متحقق وموجود تعبدًا، وأنه على يقين بحكم الشارع في ظرف الشك، فهو من أوضح أفراد الحكومة على البراءة الشرعيّة؛ حيث إن موضوعها - الذي هو الشك في الحكم الواقعي وعدم العلم به - يرتفع بالاستصحاب تعبدًا، وعلى تقدير إرادة عدم الحجة من الشك وعدم العلم في أدلة البراءة، فنتيجة هذه الحكومة هي الورود.

وإن قلنا: إن مفاد (لا ينقض) هو النهي عن النقض العملي وحرمة، والبناء العملي على بقاء ما كان، فإن استفيد منه عرفاً حرمة نقض ما كان بعنوانه الواقعي، لانفس عنوان اليقين، ولا المتيقّن بما هو متيقّن، فالاستصحاب حينئذ حجة على الواقع، فإن أريد من عدم العلم في أدلة البراءة، مثل (الناس في سعة ما لا يعلمون) هو عدم الحجة، فالاستصحاب حينئذ حاكم أيضاً على أدلة البراءة الشرعيّة، ونتيجة هذه الحكومة هي الورود أيضاً؛ لتحقيق الغاية المأخوذة في أدلة البراءة المتكفلة لبيان جعل الوظيفة، وهي عدم الحجة بالاستصحاب.

وإن أريد من عدم العلم في أدلة البراءة - مثل (ما لا يعلمون)<sup>(١)</sup> - العلم الوجداني لا عدم الحجة، فالاستصحاب حاكم على أدلة البراءة أيضاً، لكن ليس نتيجتها الورود؛ لعدم حصول العلم الوجداني بالاستصحاب.

١ - التوحيد: ٣٥٣ / ٢٤، الخصال: ٤١٧ / ٩، وسائل الشيعة ١١: ٢٩٥، كتاب الجهاد، أبواب

جهاد النفس، الباب ٥٦، الحديث ١.

## المقام الثالث

### في تعارض الاستصحابين

وفيه موضوعان من البحث : لأنّ الشكّ في مورد أحد الاستصحابين : إمّا ناشئ عن الشكّ في مورد الاستصحاب الآخر ومسبّب عنه بسببيّة شرعيّة، كسببيّة الكريّة لطهارة المغسول به، أو عاديّة، كسببيّة بقاء زيد إلى ثلاثين سنة لنبات لحيته، أو عقليّة، كسببيّة العلة وأجزائها للمعلول، كطلوع الشمس بالنسبة إلى وجود النهار، أو لا يكون الشكّ في أحدهما ناشئاً ومسبباً عن الآخر.

وعلى الأوّل : فقد يترتب الأثر الشرعي على المستصحب بلا واسطة، كصحّة الطلاق عنده المترتبة على بقاء عدالته ونفوذ شهادته، وقد تترتب بواسطة أو وسائط، مثل جواز تزويج المطلقة عنده من آخر ووجوب التبرّص على المطلقة عنده، فإنّ الأوّل مترتب أولاً على صحّة الطلاق، المترتبة على بقاء عدالته، وجواز تزويجها مترتب على مضيّ مدّة التبرّص، المترتب على صحّة الطلاق، المترتبة على بقاء عدالته، وكوجوب نفقتها على الزوج الثاني بعد نكاحها منه، ووجوب إطاعتها له، ونحو ذلك من الأحكام الشرعيّة المترتبة على بقاء عدالة زيد مع واسطة أو وسائط.

## حول ما كان الشكّ مسبباً عن الشكّ في الآخر

أمّا الموضع الأوّل : فالكلام فيه متمخّض في خصوص السببيّة الشرعيّة، ويظهر منه حكم بقيّة الأقسام:

فنقول : إذا كان الشكّ في مورد أحد الاستصحابيين ناشئاً عن الشكّ في الآخر؛ لسببيّة شرعيّة محقّقة أو محتملة، كما إذا غسل الثوب النجس بالماء المشكوك كرتيته مع سبق الكرتيّة، فإنّ الشكّ في بقاء نجاسة الثوب المذكور، مسبّب عن الشكّ في بقاء كرتيته، التي جعلها الشارع سبباً لطهارة المغسول به، فلا إشكال في تقدّم الاستصحاب السببي على المسببي، وإنّما الإشكال في وجه التقديم؛ لاختلاف أنظار الأعلام فيه<sup>(١)</sup>.

## المناط في تقديم الأصل السببي على المسببي

والتحقيق - كما أشرنا إليه سابقاً - هو أنّه ليس معنى الاستصحابات الموضوعيّة هو الحكم بترتيب الآثار، كما أفاده بعضهم<sup>(٢)</sup>، بل ليس مفادها إلاّ التعبّد ببقاء المتيقّن سابقاً، كما في الاستصحابات الحكميّة، فمعنى استصحاب العدالة هو الحكم ببقائها تعبّداً، وينقحّ به موضوع الأدلّة الاجتهاديّة المثبّته للتكاليف على عنوان العادل، كالدليل الاجتهادي الدالّ على جواز الطلاق عنده، وبه ينقحّ موضوع هذا الدليل، فهو حاكم على الدليل الاجتهادي؛ لعدم تعرّض هذا الدليل الاجتهادي لموضوع نفسه، وتعرّض الاستصحاب لذلك، كما أنّ مفاد استصحاب عدم على القول به إعدام

١ - فرائد الأصول : ٤٢٤ سطر الأخير ، كفاية الأصول : ٤٩٠ - ٤٩١ ، فوائد الأصول ٤؛

٦٨٢ - ٦٨٤ ، نهاية الأفكار (القسم الثاني) ٤ : ١١٢ - ١١٨ .

٢ - فرائد الأصول : ٤٠٠ سطر ٢٢ ، نهاية الأفكار (القسم الثاني) ٤ : ٨١ .

موضوعه فهو حاكم عليه.

وبالجملة : موضوع الدليل الاجتهادي : إمّا متحقق بالوجدان، وإمّا بالأمانة كالبيّنة، وإمّا بالتعبد من قبل الشارع به، كما في ما نحن فيه.

فظهر من ذلك : أنّ الأصل السببي ليس حاكماً على الأصل المسببي بلا واسطة، بل هو حاكم على الدليل الاجتهادي، والدليل الاجتهادي حاكم على الأصل المسببي ورافع للشك فيه، فالأصل السببي رافع للشك في الأصل المسببي بواسطة الدليل الاجتهادي الدالّ على خلاف الأصل المسببي، كاستصحاب نجاسة الثوب في المثال، ولا يرتفع الشك في بقاء كزّيّة الماء، إلّا أن يفرض هناك دليل اجتهادي يدلّ على أنّ كلّ ماء حكم ببقاء نجاسة المغسول به فهو ليس بكزّر، وليس في الشرع دليل اجتهادي كذلك.

فظهر أيضاً من هذا البيان : اندفاع الإشكال المتوجّه في المقام بالنسبة إلى الآثار المترتبة على المستصحب بواسطة شرعيّة أو وسائط، كترتب جواز تزويج المطلقة من الغير على خروجها عن العدة، المترتب على وجوب التريض عليها، المترتب على صحّة طلاقها، المترتبة على بقاء عدالة زيد الذي هو أحد الشاهدين العدلين، فإنّه بناء على أنّ مفاد (لا ينقض) في استصحاب الموضوعات هو الأمر بترتيب الآثار، يرد عليه الإشكال بالنسبة إلى الآثار مع الواسطة، فإنّه يلزم ترتّب تلك الآثار بلا وجه بدون تحقّق موضوعها؛ لا وجداناً ولا تعبدًا.

وتوهم : أنّ معنى ترتيب الأثر في مثل استصحاب العدالة، هو ترتيب أثرها مع جميع ما يلزمه ويتبعه من اللوازم والتوابع، فيشمل الآثار مع الواسطة أيضاً<sup>(١)</sup>.

مدفوع : بأنّه على هذا يلزم ترتّب الآثار العقلية والعادية أيضاً، ولا يلزم

١ - أنظر فوائد الأصول ٤ : ٤٨٩، ونهاية الدراية ٣ : ٩٨ السطر الأخير.

القائل بذلك به.

ولا يجري هنا ما أجيب به عنه مثل هذا الإشكال الذي أوردوه في الأخبار مع الوساطة أو الوسائط<sup>(١)</sup>، كخبر الصدوق عن الوليد عن الصفار مثلاً: بأن خبر الوليد ومن قبله من المصاديق التعبدية لخبر الواحد، بعد الحكم بوجوب تصديق خبر الصدوق الوجداني، فيشملة دليل حجّية خبر الواحد بنحو القضية الحقيقية؛ وذلك لأنّه ليس لسان (لا ينقض) هو التعبد؛ بأنّ المكلف على يقين من تلك الآثار مع الوساطة والمتأخّرة والشكّ فيها؛ ليشمله قوله: (لا ينقض) بنحو القضية الحقيقية؛ إذ ليس ذلك من مصاديقه التعبدية، كما هو واضح، بخلاف دليل حجّية خبر الواحد، فإنّ مقتضى وجوب تصديق خبر الصدوق الوجداني، هو أنّ الأخبار المتقدمة عليه من مصاديقه تعبدًا، والمفروض - فيما نحن فيه - أنّ المكلف ليس على يقين من تلك الآثار وأنّ الشكّ فيها متحقّق وجدانًا، فيلزم ترتّب تلك الآثار على استصحاب العدالة بلا وجه، وبدون تحقّق موضوعها لا وجدانًا ولا تعبدًا.

وأما بناء على ما اخترناه في وجه حكومة الأصل السببي على المسببي، فاندفاع هذا الإشكال بمكان من الوضوح؛ وذلك لما عرفت؛ من أنّ استصحاب العدالة في المثال حاكم على الدليل الاجتهادي الدالّ على صحّة الطلاق عند العادل، وينقّح به موضوعه، وهذا الدليل الاجتهادي منقّح لموضوع المتأخّر عنه، لا أنّ جميع تلك الآثار يترتّب على استصحاب العدالة، ويتحقّق موضوعها به، بل يتحقّق موضوع الدليل الاجتهادي الأوّل حسب.

وظهر أيضاً من هذا البيان: المناط والميزان في تقديم الأصل السببي على الأصل المسببي، وأنّه إنّما يقدّم إذا كان هناك كبرى شرعية يُنقّح موضوعها بالاستصحاب

١ - فرائد الأصول : ٧٥ سطر ٢، كفاية الأصول : ٣٤٢، فوائد الأصول ٣ : ١٧٩، نهاية الأفكار ٣ : ١٢٢.

السببي، وأما مع عدمها - بأن كان السببية بينهما عقلية أو عادية - فلا وجه لتقديم الاستصحاب السببي، كاستصحاب بقاء زيد بالنسبة إلى الشك في نبات لحيته وعدمه، ونحو ذلك.

وظهر أيضاً: اندفاع إشكال آخر: هو لزوم اتحاد الحاكم والمحكوم؛ بناء على حكومة الاستصحاب السببي على المسببي<sup>(١)</sup>، ولا يقتصر إلى الجواب عنه: بالتحلل قوله عليه السلام: (لا ينقض) إلى قضايا متعددة بعدد الموضوعات<sup>(٢)</sup>؛ وذلك لأن الأصل السببي - كما عرفت - حاكم على الدليل الاجتهادي، وهو حاكم على الأصل المسببي، لا أن الأصل السببي حاكم على الأصل المسببي بلا واسطة.

### نقل كلام الشيخ الأعظم رحمته ونقده

وذكر الشيخ الأعظم رحمته وجوهاً مختلفة لتقديم الأصل السببي على الأصل المسببي، لا يخلو بعضها عن الإشكال، فإنه رحمته استدلل في صدر كلامه على ذلك - بعد الإجماع - بأن قوله عليه السلام: (لا ينقض...) إلى آخره باعتبار دلالة على جريان الاستصحاب في الشك السببي مانع للعام عن قابليته وصلاحيته للشمول بالنسبة للشك المسببي؛ يعني يصير نقض اليقين فيه نقضاً باليقين، لا بالشك؛ لعدم بقاء الشك فيه حينئذٍ، فلا يشمل قوله عليه السلام: (لا ينقض اليقين بالشك).

واللزام من شموله للشك المسببي، نقض اليقين بالشك - في الشك السببي - لا لدليل شرعي يدل على ارتفاع الحالة السابقة فيه، فيلزم منه طرح عموم (لا ينقض) بالنسبة إلى الشك السببي من غير دليل مخصص، واللزام من إهمال (لا ينقض) في

١ - قوره في فوائد الأصول ٤ : ٦٨٥ - ٦٨٦ .

٢ - نفس المصدر : ٦٨٦ .

المسببي عدم قابلية العموم لشموله لهذا المورد، وهو غير منكر.  
ثم أورد على نفسه : بأنّ اليقين بالنجاسة في المثال المعروف أيضاً من أفراد العام، فلا وجه لطرحة وإدخال اليقين بطهارة الماء فيه.

وأجاب عنه بوجهين يرجع حاصل ثانيهما إلى ما اخترناه في وجه تقديم الأصل السببي؛ حيث قال:

وثانياً : أنّ نقض اليقين بالنجاسة إنّما هو بالدليل الدالّ على أنّ كلّ متنجس غسل بالماء الكرّ يطهر، وفائدة استصحاب الكرّية إثبات أنّ الماء كرّ، بخلاف نقض اليقين بالكرّية باستصحاب نجاسة الثوب، فإنّه بلا دليل ، فإنّه يوجب زوال الكرّية عن الماء.

ثمّ أعاد الإشكال الأوّل بعينه، وأجاب عنه بوجهين آخرين :  
الأوّل : أنّ شمول (لا ينقض) للشكّ المسببي دون السببي مستلزم للدور، فإنّ فريته له متوقّفة على خروج الشكّ السببي عن تحت العموم، المتوقّف على شموله للشكّ المسببي، وهو دور محال.

الثاني : أنّ الشكّ السببي في مرتبة متقدّمة على حكمه تقدّم الموضوع على حكمه، وعلى الشكّ المسببي تقدّم العلة على معلولها، فكلّ واحد من حكم العام والشكّ المسببي لازم لوجود الشكّ السببي في مرتبة واحدة ولازمان الملزوم ثالث، فلا يجوز لأحدهما أن يكون موضوعاً للآخر؛ لتقدّم الموضوع بالطبع<sup>(١)</sup>. انتهى ملخصه.

واختار الميرزا النائيني رحمته ما ذكره في صدر كلامه من الوجه الأوّل؛ حيث ذكر: أنّ الأصل السببي رافع ومُعِدِّمٌ للشكّ المأخوذ في المسبّب في عالم التشريع؛ لأنّ

التعبد بمؤدى الأصل السببي ببدلوله المطابقي، يقتضي إلغاء الشك المسببي، بخلاف التعبد بنجاسة الثوب في المثال، فإنه ببدلوله المطابقي لا يقتضي ذلك، نعم اللازم من بقاء النجاسة في الثوب هو نجاسة الماء، فإنه لو كان طاهراً لم تبق النجاسة في الثوب<sup>(١)</sup>.

واختار شيخنا الأستاذ الحائري رحمته ما ذكره في ذيل كلامه<sup>(٢)</sup> من اختلاف الرتبة؛ حيث قال: تقدّم الشك السببي على المسببي طبعي؛ لأنّ الثاني معلول للأوّل، ففي رتبة وجود الأوّل لم يكن الثاني موجوداً، وإنّما هو في مرتبة الحكم المترتب على الأوّل، فالأوّل في مرتبة وجوده ليس له معارض أصلاً، فإذا ثبت الحكم في الأوّل لم يبقَ للثاني موضوع<sup>(٣)</sup>، انتهى.

والصحيح المختار هو ما ذكره الشيخ رحمته في أواسط كلامه، وأمّا غيره فلا يخلو عن الإشكال:

أمّا ما ذكره في صدر كلامه، واختاره الميرزا النائيني، فلأنّ الحكم بطهارة الثوب المغسول بالماء المشكوك طهارته أو كرتيته، ليس معنىً مطابقاً لقوله عليه السلام: (لا ينقض) في الشك السببي، بل معناه المطابقي - على وجه - هو الحكم بطهارة الماء أو كرتيته، نعم يستلزم ذلك الحكم، الحكم بطهارة الثوب أيضاً، وحينئذٍ فالمعارضة إنّما هي بين لازم جريان الاستصحاب في السبب - وهو الحكم بطهارة الثوب - وبين لازم جريانه في المسبب، وهو نجاسة الثوب، ولا وجه لتقديم أحدهما على الآخر، فلأحد أن يقول بجريان الأصلين في كلّ واحد من الشك السببي والمسببي، والحكم بمعناهما المطابقي؛ أي طهارة الماء أو كرتيته ونجاسة الثوب وطرح لازم جريانه في الأصل السببي، فهذا

١ - فوائد الأصول ٤ : ٦٨٣ - ٦٨٤ .

٢ - في كون مرجع هذا الوجه إلى ما ذكره الشيخ رحمته في ذيل كلامه إشكال بل منع، نعم بعض كلماته قبل الذيل يشعر بذلك. [المقرّر حفظه الله] .

٣ - درر الفوائد : ٦٣٢ .



الوجه غير وجهه أي طهارة الثوب.

وأما ما ذكره في ذيل كلامه تتبع - أولاً في جواب الإشكال - : من لزوم الدور. ففيه : أنا لا نُسَلِّم توقّف فردية الشكّ المسببي للعام على عدم فردية الشكّ السببي له وخروجه عنه، بل لا تتوقّف فردية شيء لعامٍ إلا على وجدانه للعنوان المأخوذ في موضوع ذلك العام وانطباق العام عليه، ففردية مصداق لعموم (لا ينقض) لا تتوقّف إلا على تحقّق اليقين السابق والشكّ اللاحق فيه لا غير.

مضافاً إلى ما عرفت : من أنّه ليس التعارض بين حكم الشكّ السببي بمعناه المطابق وبين حكم الشكّ المسببي، بل التعارض إنّما هو بين لازميها، فعلى ما ذكره: من تقديم تقييد الإطلاق على تخصيص العموم، لو دار الأمر بينهما لزم رفع اليد عن الإطلاق في جانب السبب مع إبقاء عمومه على حاله، وإبقاء المسبب على عمومه أيضاً بإبقاء مصداقه الذاتي تحت عمومه، فيحكم بنجاسة الثوب في المثال وإن كان ما ذكره - من تقديم تقييد الإطلاق على تخصيص العام عند الدوران - محلّ إشكال. وأما ما ذكره ثانياً ففيه :

أولاً : أنّ الإطلاقات والعمومات الشرعية منزلة على الأفهام العرفية، والرتب العقلية غير ملحوظة فيها، وتقدّم الشكّ السببي على الشكّ المسببي، إنّما هو في الرتبة العقلية من حيث العلوية والمعلوئية.

وثانياً : على فرض الإغماض عن ذلك نقول: إنّ هنا ثلاث مراتب : الأولى : مرتبة الشكّ السببي.

الثانية : مرتبة حكمه - أي طهارة الماء أو كزيّته - والشكّ المسببي.

الثالثة : مرتبة حكم الشكّ المسببي، ولازم حكم الشكّ السببي؛ أي طهارة الثوب أو نجاسته.

والتعارض إنّما هو في المرتبة الثالثة بين لازم حكم الشكّ السببي وبين حكم

الشكّ المسبّي، وهما في رتبة واحدة لا تقدّم لأحدهما على الآخر، وليس التعارض بين حكمي الشكّ السبّي والمُسبّي، ففي مورد التعارض ومحلّه - وهو المرتبة الثالثة - لا اختلاف في الرتبة، وفي مورد الاختلاف في الرتبة ومحلّه - أي حكم الشكّ السبّي وحكم الشكّ المُسبّي - لا تعارض؛ لما عرفت من عدم التعارض بينهما.

فالحقّ في وجه تقديم الاستصحاب في الشكّ السبّي على المُسبّي؛ هو ما ذكرناه: من أنّه منقّح لموضوع دليل اجتهاديّ هو حاكم على الاستصحاب في المُسبّب. ويظهر به أمران :

الأمر الأوّل: الإشكال على ما ذكرناه في وجه طهارة الملاقي لبعض أطراف العلم الإجمالي بنجاسة بعض أطرافه : من أنّ الشكّ في طهارة الملاقي - بالكسر - وإن كان مسبّباً وناشئاً عن الشكّ في أنّ النجس هو هذا الطرف الملاقي - بالفتح - أو الطرف الآخر، لكن حيث إنّ الأصل في جانب السبب - أي الملاقي بالفتح - ساقط؛ لابتلائه بالمعارضة معه في الجانب الآخر، فلا مانع من جريانه في المُسبّب : أي الملاقي بالكسر<sup>(١)</sup>.

وجه الإشكال ما عرفت : من أنّ الأصل في جانب السبب إنّما يجري إذا كان هناك دليل اجتهاديّ ينقّح موضوعه بهذا الأصل، ويكون هذا الدليل الاجتهاديّ حاكماً على الأصل المُسبّي، وليس في المقام كبرى كلّية في الأدلّة الشرعيّة كذلك؛ إذ لم يرد فيها: أنّ كلّ ما لاقى طاهراً فهو طاهر؛ لينقّح بالاستصحاب في السبب موضوعها، وإنّما هو حكم عقليّ منشؤه حكم الشرع؛ بأنّ كلّ ما لاقى نجساً فهو نجس، ومع عدم وجود كبرى كلّية شرعيّة كذلك، لا يجري الأصل في جانب السبب - أي الملاقي بالفتح - لا أنّه يجري، ويسقط بالمعارضة.

١ - فرائد الأصول : ٢٥٣ سطر ٢٢، فوائد الأصول ٤ : ٨٢ - ٨٤، نهاية الأفكار ٣ : ٣٥٧ - ٣٥٨.

الأمر الثاني : اندفاع الإشكال المتقدم في الصحيحة الأولى لزرارة<sup>(١)</sup>؛ وهو أنه يظهر من بعض جملها : أن الجاري هو استصحاب الوضوء، وبعضها الآخر مشعر بأنه استصحاب عدم النوم، ومن الواضح أن الشك في بقاء الوضوء مسبب عن تحقق النوم وعدمه؛ فإن أريد استصحاب الوضوء فقط فهو مخالف لما تقرّر: من أن الأصل السببي مقدّم على الأصل المسببي، ولا مجال لجريان الأصل المسببي معه، وإن أريد جريانها معاً، فهو أيضاً مخالف لما تقرّر وثبت من أنهما لايجريان معاً.

وتقدّم الجواب عن هذا الإشكال عند التعرّض له: بأن الإمام عليه السلام في هذه الرواية في مقام بيان الحكم الشرعي ووظيفة الراوي، لا إعمال الصناعة العلمية والدقائق الأصولية.

ولكن يظهر ممّا ذكرنا هنا في المقام: اندفاع هذا الإشكال رأساً، فإن الأصل في جانب السبب إنّما يقدر إذا كان هناك كبرى شرعية ينقح به موضوعها، وهي مفقودة في المقام، فإنّه لم يرد في الشريعة: أنه كلّما لم يتحقّق النوم فالمكلف على وضوء، بل الوارد في الشريعة : أن النوم وغيره من الأحداث نواقض للوضوء، فما لم يعلم بتحقيقه فالوضوء باقٍ تعبدًا، فالأصل في جانب السبب - أي عدم النوم - لايجري أصلاً لعدم ترتّب الأثر الشرعي عليه.

### حول ما كان الشكّ فيهما ناشئاً عن ثالث

أمّا الموضع الثاني: فهو ما لو كان الشكّان في الاستصحابين مسببين عن ثالث، ولم يكن أحدهما مسبباً عن الآخر، كما لو علم بوقوع قطرة من البول في أحد

١ - تهذيب الأحكام ١ : ٨ / ١١، وسائل الشيعة ١ : ١٧٤، كتاب الطهارة، أبواب نواقض

الوضوء، الباب ١، الحديث ١.

الإبناءين، فله - على ما ذكره الشيخ الأعظم - أربعة أقسام: لأنه إما أن يستلزم من جريان الأصلين مخالفة عملية قطعية للعلم الإجمالي، كاستصحاب طهارة الإبناءين في المثال.

أو لا يستلزم ذلك، وحينئذٍ: فإما أن يقوم هنا دليل من إجماع وغيره على أن الحكم في المورد واحد، كالماء المتمم كراً مع نجاسة أحدهما واتصال أحدهما بالآخر، فإن مقتضى الاستصحاب طهارة هذا ونجاسة ذلك، لكن الإجماع قائم على أن حكمهما واحد بالاتصال.

أو لا، وحينئذٍ: فإما أن يترتب على كل من المستصحبين أثر شرعي، كاستصحاب طهارة أعضاء الوضوء من الخبث وبقاء الحدث فيما إذا توضحاً بمائع مردّد بين البول والماء، فإنه لم يقدّم دليل على وحدة الحكم فيه، فيمكن الحكم - في ظاهر الشرع - على طهارة البدن من الخبث وبقاء الحدث، ولا يلزم من جريان الاستصحابين مخالفة عملية قطعية أيضاً، أو يترتب الأثر الشرعي على أحدهما دون الآخر، كما لو اشترى الوكيل عبداً، وادّعى الموكل أنه وكله في شراء الجارية دون العبد، فإنه يترتب - على أصالة عدم توكيله لشراء العبد - فضوليّة هذا العقد أو بطلانه، بخلاف أصالة عدم توكيله في شراء الجارية<sup>(١)</sup>.

ولكن لا يخفى أن القسمين الأخيرين خارجان عن محط البحث في المقام؛ لعدم التعارض بين الاستصحابين فيهما:

أما في الأخير: فلعدم جريان الاستصحاب فيما ليس له أثر شرعي، فلا استصحاب الآخر - الذي له أثر شرعي - بلا معارض.

وأما الأول منهما: فلا تعارض بين الاستصحابين فيه؛ لعدم استلزامها المخالفة

العملية القطعية، وعدم الدليل على الخلاف، فيحكم بمؤداهما في ظاهر الشرع.  
فالبحث في المقام ممحّض في القسمين الأولين، فنقول :  
هل يمكن ترجيح أحد الاستصحابين فيها على الآخر بأحد المرجّحات، أو لا؟  
وعلى فرض عدم الترجيح فقتضى القواعد هو التساقط أو التخيير؟ وجوه:

### عدم جواز الترجيح لأحد الاستصحابين

أما الكلام في الترجيح : فالظاهر عدم وجود مورد يمكن ترجيح أحد  
الاستصحابين فيه على الآخر بمزية من المزايا؛ لأنّ الترجيح بها يتوقّف على أمور:  
الأول : جريان الأصلين في أنفسهما في أطراف العلم الإجمالي، كما أنّ الترجيح  
في الأمارات والأدلة أيضاً يتوقّف على حجّيتها في أنفسهما.  
الثاني : اجتماع المزية مع ذبيها والطرف الآخر المعارض في التحقق، وإلا فلو لم  
يمكن اجتماعها معها أو مع أحدهما، فلا يمكن الترجيح بها، كما لو كانت المزية ممّا ينعدم  
بوجود ذي المزية أو الطرف الآخر أو بالعكس؛ لأجل حكومتها عليه أو بالعكس.  
الثالث : اتّحاد مضمونها فلو اختلفا بأن يكون أحدهما طريقاً إلى الواقع،  
ومؤدّى الآخر حكماً ظاهرياً، فلا يمكن الترجيح بها.

ولأجل اشتراط الأمر الثاني والثالث المذكورين ينتفي الترجيح بحجّل المرجّحات  
أو كلّها في المقام؛ وذلك لأنّ ترجيح أحد الاستصحابين؛ إمّا بالأمارات والأدلة  
الاجتهادية، أو بالأصول الشرعية، أو العقلية المعتمدة، أو الظنّ الغير المعتمد شرعاً،  
كالقياس وخبر الواحد في الموضوعات؛ بناء على عدم حجّيته فيها.

أما الأدلة الاجتهادية فمع وجودها لا مجال لجريان الاستصحاب؛ لحكومتها  
عليه، كما لو قامت البيّنة على أنّ الطاهر من الإناءين هو هذا الطرف من أطراف العلم  
الإجمالي بنجاسة أحدها، فلا يجري واحد من الاستصحابين :

أما الاستصحاب الموافق لها : فلا تنفائه بقيام البيّنة والدليل، وعدم اجتماعها في التحقق.

وأما الاستصحاب المخالف لها : فلأنّ لازم تلك البيّنة أو الدليل الاجتهادي أنّ النجس هو الطرف الآخر، ويثبت بها ذلك لحجّة مثبتات الأمارات والأدلة الاجتهاديّة، فهي حاكمة عليه أيضاً.

وهكذا الكلام في الأصول الشرعيّة المقدّمة على الاستصحاب - كقاعدي الفراغ والتجاوز ونحوهما - فإنّ الكلام فيها ونسبتها إلى الاستصحاب، هو الكلام بعينه في الأدلة الاجتهاديّة ونسبتها إلى الاستصحاب.

وأما الترجيح بالأصل الشرعي فيكون الاستصحاب مقدّماً عليه، كأصالة البراءة والحليّة ونحوهما، فلا يمكن الترجيح بها أيضاً؛ لحكومة الاستصحاب عليها ولعدم تحقّقها وجريانها معه.

وأما الأصول العقليّة، كأصالة البراءة العقليّة وأصالة الصحّة ونحوهما، فالاستصحاب حاكم عليها أيضاً، فلا يجتمعان في التحقق والجريان.

وأما الظنّ الغير المعتبر شرعاً : فإن قلنا: إنّ مفاد (لا ينقبض) هو التعبد بالبناء العملي على بقاء اليقين، فهو أيضاً كذلك لا يمكن ترجيح أحد الاستصحابين به؛ لوجهين: أحدهما : اختلاف رتبتهما؛ بحيث لا يجتمعان في التحقق؛ لأخذ الشكّ في موضوع الاستصحاب، بخلاف الظنّ، فإنّه طريق إلى الواقع وإن لم يكن حجّة.

وثانيهما : اختلاف مضمونها ومفادها؛ حيث إنّ الظنّ وإن كان غير معتبر، لكن مؤداه بيان الواقع، بخلاف الاستصحاب على هذا التقدير، فإنّ مؤداه هو الحكم الظاهري والوظيفة العمليّة، فلا يمكن الترجيح به أيضاً.

وأما لو قلنا : إنّ الاستصحاب أصل محرز للواقع، فالحقّ إمكان ترجيح أحدهما به؛ لاعتضاد الاستصحاب الموافق له وتقويته به؛ لاجتماعها في التحقق واتّحاد مضمونها.

ومن هنا يظهر الإشكال فيما اختاره الميرزا النائيني رحمته : من عدم ترجيح به، مع أن الاستصحاب عنده رحمته من الأصول المحرزة<sup>(١)</sup>، مضافاً إلى المناقضة بين كلماته؛ حيث إنه ذهب إلى عدم جريان الاستصحاب في أطراف العلم الإجمالي مطلقاً؛ وإن لم يستلزم المخالفة العملية، وأنه كيف يُعقل التعبد بطهارة كل واحد من الإناءين مع العلم الإجمالي بنجاسة أحدهما؟<sup>(٢)</sup> فإنه مناقض لما اختاره هنا من عدم ترجيح أحدهما بالظن في المقام، فإنه لا وجه له إلا اختلافهما في المضمون.

بيان المناقضة : أن الظن مثل العلم في أنه طريق إلى الواقع، فإن مفاده بيان الواقع، غاية الأمر أن الفرق بينهما؛ هو أن العلم كاشف تام، والظن ناقص، فعدم جريان الاستصحاب في أطراف العلم الإجمالي، إنما هو لأجل مخالفة أحد الاستصحابين للعلم الإجمالي؛ لأن الاستصحاب عنده رحمته من الأصول المحرزة، والظن مثل العلم في ذلك؛ أي في مخالفته لأحد الأصلين، ولازم ذلك ترجيح الأصل الموافق له به؛ لاعتضاده وتقويته به واتحاد مضمونيها، فما ذهب إليه هنا - من عدم ترجيح أحدهما به - منافٍ لما ذكره؛ من عدم جريان الأصل في أطراف العلم الإجمالي أصلاً لأجل المناقضة بينهما، لكن الكلام في مناقضة العلم الإجمالي للاستصحاب في الأطراف، فإنه محل إشكال بل منع.

فتلخص : أن الترجيح لأحد الاستصحابين غير ممكن.

### بيان وجه تساقطهما

وحينئذٍ فقد يقال : إن مقتضى القاعدة هو تساقط الاستصحابين لا التخير؛

١ - فوائد الأصول ٤ : ٦٩١ - ٦٩٢ .

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٦٩٣ .

لأنّه ليس لقوله  $\text{لا ينقض...}$  (لا ينقض...) إلى آخره، مفادان: أحدهما حرمة نقض هذا الفرد بعينه وذاك الفرد بعينه، وثانيهما حرمة النقض في أحدهما تخييراً، بل ليس له إلا مفاد واحد، وهو النهي عن نقض اليقين بالشكّ وحرمة، ولا دلالة له على الحكم التخييري، والفرد المردّد ليس مصداقاً على جِدة سوى سائر المصاديق، فمع العلم بمخالفة أحد الأصلين للواقع، مع عدم الترجيح في البين، لابدّ من تساقطها<sup>(١)</sup>.

### حول وجهي التخيير والجواب عنهما

وقد يقال: إنّ مقتضى القاعدة هنا التخيير بينهما لوجهين:

الوجه الأوّل: أنّ عموم قوله  $\text{لا ينقض...}$  (لا ينقض) نظير سائر العمومات، مثل: «أنقذ كلّ غريق» ونحوه؛ في أنّه مع إمكان الامتثال في جميع الأفراد يجب الجمع بينهما؛ لوجود الملاك في كلّ واحد منها، ومع تعدّد الجمع بين الأفراد يسقط عموم هذا العامّ، لكن كما يستكشف من مثل «أنقذ كلّ غريق» حكم شرعيّ تخييريّ بوجوب إنقاذ هذا أو ذاك؛ لإمكان إنقاذ أحدهما مع تحقّق الملاك في كلّ واحد منهما، كذلك يستكشف فيما نحن فيه حكم شرعيّ تخييريّ بحرمة نقض اليقين بالشكّ إمّا في هذا المصداق أو ذاك<sup>(٢)</sup>.

وفيه: أنّه فرق بين قوله: «أنقذ كلّ غريق» وبين قوله  $\text{لا ينقض...}$  (لا ينقض...) إلى آخره؛ حيث إنّ الملاك لوجوب الإنقاذ متحقّق في إنقاذ كلّ واحد من الغريقين فعلاً، فالمقتضي لوجوبه في كلّ واحد من الغريقين موجود بالفعل، فمع تعدّد الجمع بينهما يستكشف خطاب شرعيّ تخييريّ، بعد فرض تمكّنه من إنقاذ أحدهما وبقاء الملاك، بخلاف ما نحن فيه، فإنّ المقتضي لحرمة نقض اليقين، وإن كان موجوداً في كلّ واحد

١ - أنظر فرائد الأصول: ٤٢٩ سطر ١٠، درر الفوائد: ٦٣٣.

٢ - قرّره في فرائد الأصول بعنوان ما ربّما يتوهم: ٤٢٩ سطر ١٦.



من أطراف العلم الإجمالي، لكن المفروض أن التكليف الواقعي المعلوم بالإجمال أيضاً يقتضي موافقته وامتناله، ومع احتمال أقوائية اقتضائه من اقتضاء ما في كل واحد من أطرافه من ملاك الاستصحاب، لا يستكشف الخطاب الشرعي التخييري في المقام.

مضافاً إلى أنه ليس للاستصحاب ملاك ذاتي نفسي يقتضي حرمة نقض اليقين، كسائر المحرمات كحرمة شرب الخمر ونحوها من الأحكام الفرعية، بل هو قاعدة أصولية جعل التعبد به لمراعاة الواقع وحفظه، كما في وجوب الاحتياط في الأعراض والنفوس، بل نعلم بعدم الملاك في أحد طرفي العلم الإجمالي لحرمة النقض واقعاً؛ للعلم الإجمالي بمخالفة أحدهما للواقع.

الوجه الثاني: أن لقوله <sup>(١)</sup> (لا ينقض) عموماً أفرادياً بالنسبة إلى أفراد اليقين والشك ومصاديقه الذاتية، وإطلاقاً أحوالياً؛ بمعنى أن كل واحد من المصاديق محكوم بجرمة النقض؛ سواء نقض اليقين بالشك في المصادق الآخر أم لا، والتعارض بينهما ناشئ عن الإطلاق المذكور؛ لأنه لو رفع اليد عنه، وقُيدت حرمة النقض في كل واحد من الطرفين بصورة جواز انتقاض اليقين بالشك في الطرف الآخر، لم يلزم منه محذور المناقضة، فترفع اليد عن الإطلاق، وحينئذٍ يصير مفاده حرمة نقض اليقين بالشك في كل واحد من أفراد العام مخيراً بينها<sup>(١)</sup>.

وفيه: أن قوله <sup>(٢)</sup> (لا ينقض اليقين بالشك) ليس عاماً له أفراد ومصاديق، بل مفاده الحكم بجرمة نقض طبيعة اليقين بطبيعة الشك، وأنها تمام الموضوع للحكم بدون قيد له، فلا إطلاق أحوالي له؛ لتوقفه على أن يكون عاماً له مصاديق وأفراد، يحكم فيه بجرمة نقض اليقين في كل واحد من الأفراد؛ سواء انتقض في الفرد الآخر أم لا، وليس كذلك، بل هو مطلق، وعليه فلا يتم البيان المذكور للتخيير، وتقدم سابقاً: أن

الموضوع في المطلق هو نفس الطبيعة، وهي عين الأفراد في الخارج، مثل طبيعة البيع في قوله تعالى: ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولا يراد من الإطلاق الأحوالي لحاظ أنه سواء كان كذا أو كذا، بل يراد أن معناه: أن تمام الموضوع للحكم بجرمة النقض هو طبيعة اليقين والشك، ومحذور المخالفة إنما يلزم من عدم تقيده عقلاً، وأمّا مع حكم العقل بتقييد الإطلاق المذكور فلا يلزم ذلك، فيقيّد بحكم العقل، هذا كلّ في تعارض الاستصحابين.

## المقام الرابع

### في تعارض الاستصحاب مع سائر القواعد

لابدّ - أولاً - من الكلام والبحث في نفس تلك القواعد؛ لأنّها في نفسها من القواعد الفرعيّة المهمّة التي لها فوائد كثيرة وفروع خطيرة؛ لعدم وقوع البحث عنها في غير هذا المقام وإن كان خارجاً عن المباحث الأصوليّة، ثمّ بيان حالها مع الاستصحاب؛ لا بنحو الإجمال المخلّ، ولا التفصيل الموجب للملال.

فنقول: يقع الكلام فيها في مباحث :

## المبحث الأول

### في قاعدة اليد

والكلام فيها في أمور :

#### الأمر الأول : في تحقيق معناها

وهي عبارة عن نحوٍ من السلطنة والاستيلاء الاعتباري لا الحقيقي، ومنشأ انتزاع هذا الأمر الاعتباري مختلف؛ لأنه إما لأجل مالكيّة ذي اليد لشيء لابس له، كالثوب من القميص والعمامة والرداء الذي لبسه فعلاً، فإنّ له الاستيلاء عليه.

أو لمالكيّته للأراضي والعقار ونحوها؛ بحيث يتوقّف تصرّف غيره فيه على إذنه، حتّى في مثل الدخول فيه والعبور عليه، وإمّا باعتبار مالكيّته للهواء المسامت لملكه، فإنّه نحو ملكيّة أخرى غير السابقة، ولذا لا يتوقّف بعض تصرّفات الغير فيه على إذنه، كعبور المراكب الجويّة كالطائرات.

وإمّا باعتبار مالكيّة أهل القرية لمراتعها ومرافقها فإنّها نحو آخر من الملكية، لا يتوقّف بعض تصرّفات غير أهل القرية فيها على إذن أربابها، نعم رعي غير أرباب القرية أغنامهم فيها يتوقّف على إذنه.

وإمّا باعتبار مالكيّة خاصّة أخرى سوى المتقدّمة كمالكيّة السلطان لمملكته، ولا يتوقّف جميع تصرّفات غيره فيها - حتّى العبور في جوّها - على إذن سلطانها.

وبالجملة : منشأ انتزاع ذلك الأمر الاعتباري مختلف.

وأما أنّ هذا المعنى لليد معنّى حقيقيّ لها، أو مجازي، ومعناها الحقيقيّ؛ هو اليد بمعنى الجارحة المخصوصة، فلا يهتّمنا التعرّض له بعد وضوح المراد منها في المقام.

## الأمر الثاني : في أن اليد من الأمارات العقلائية

لاريب في أن اليد من الأمارات العقلائية، لا الأصول العقلائية، كأصالة الصحة ونحوها.

والمراد من الأصول العقلائية : ما استقرّ بناؤهم على العمل بها تعبدًا يجعل منهم؛ لتوقّف بقائهم وبقاء نظامهم ومعاشهم ونظام العالم عليها، لكن لاريب في أن بناء العقلاء في الاعتقاد على اليد إنما هو لأنها طريق إلى الواقع عندهم، وأن ما بيد كل شخص ملك له؛ بحيث لا يلفتون إلى احتمال خلافه، إلا مع قيام البيّنة عليه، بل ليس فيما بين الأمارات ما هو بمثابة في اعتقاد جميع العقلاء عليها؛ من جميع أرباب الملل والأديان وغيرهم في جميع الأعصار والأمصار، حتّى قبل ظهور الإسلام.

نعم يحتمل أن تكون في الابتداء أصلاً من الأصول العقلائية وبناء البشر - في ابتداء خلقته وتمّذنه - على العمل بها تعبدًا؛ لعلّة عدم بقاء نظامهم ومعاشهم بدونها من دون أن يكون لها أماريّة عندهم للواقع، لكنّه مجرد احتمال عقليّ.

وعلى فرض كونها كذلك في الابتداء، فلاريب في أنها في هذه الأعصار أمارّة على الملكية والواقعية عندهم، بل وكذلك في الأعصار السابقة على الإسلام أيضاً؛ من غير فرق بين أن يكون منشأ اعتمادهم عليها إفادتها الظنّ النوعي، أو لغلبة مصادفتها للواقع، أو لبنائهم على العمل بها تعبدًا، بل المنشأ في ذلك غير معلوم، لا فيها ولا في سائر الأمارات العقلائية، ولا حاجة إلى معرفة ذلك.

## الأمر الثالث : في الأخبار الواردة فيها

وهي على ثلاث طوائف :

منها : ما يدلّ على أنها من الأمارات، وأنها قاعدة كليّة.

ومنها : ما يدل على مجرّد ترتيب آثار الملكية عليها من دون أن تدلّ على أماريتها أو غيرها.

ومنها : ما استدلّ به بعضهم على أنّها أصل لا أمانة.

فمن الطائفة الأولى : ما رواه<sup>(١)</sup> الشيخ تقي بإسناده عن عليّ بن الحسن، عن محمّد بن الوليد، عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله<sup>(عليه السلام)</sup> : في امرأة تموت قبل الرجل، أو رجل قبل المرأة.

قال<sup>(عليه السلام)</sup> : (ما كان من متاع النساء فهو للمرأة، وما كان من متاع الرجال والنساء فهو بينهما، ومن استولى على شيء منه فهو له)<sup>(٢)</sup>.

ويستفاد من هذه الرواية أمران :

أحدهما : أنّ اليد أمانة؛ حيث إنّ كون الشيء من متاع النساء أمانة على اليد، وهي أمانة على الملكية.

ثانيهما : أنّ اليد قاعدة كليّة؛ لدالتها على أنّ كلّ من استولى على شيء فهو له، ودالتها على الكليّة أقوى من دلالة رواية زرارة<sup>(٣)</sup> على كليّة قاعدة الاستصحاب.

ومنها : ما رواه محمّد بن يعقوب عن عليّ، عن أبيه ، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر<sup>(عليه السلام)</sup> ، قال : سألت عن الدار يوجد

١ - وهذه الرواية موثقة من غير جهة ابن الزبير الذي في سند الشيخ تقي إلى عليّ بن الحسن، وأمّا هو فهو وإن لم يوثق في كتب الرجال (رجال النجاشي : ٨٧ رقم ٢١١) ، لكن الظاهر وثاقته أيضاً بملاحظة رواياته في أبواب الفقه، وكونها معمولاً بها، فتدبر. [المقرّر حفظه الله].

٢ - تهذيب الأحكام ٩ : ٣٠٢ / ١٠٧٩ ، وسائل الشيعة ١٧ : ٥٢٥ ، كتاب الفرائض والموارث، أبواب ميراث الأزواج، الباب ٨ ، الحديث ٣.

٣ - تهذيب الأحكام ١ : ٨ / ١١ ، وسائل الشيعة ١ : ١٧٤ ، كتاب الطهارة، أبواب نواقض الوضوء ، الباب ١ ، الحديث ١.

فيه الورق؟

فقال: (إن كانت معمورة فيها أهلها فهي لهم، وإن كان خربة قد جلا عنها أهلها، فالذي وجد المال فهو أحق<sup>(١)</sup>).

وقريب منها روايته الأخرى<sup>(٢)</sup>، بل ورواية دعائم الإسلام<sup>(٣)</sup> في المستدرك<sup>(٤)</sup> في أبواب اللقطة، فإن الظاهر أن هذه الثلاثة رواية واحدة، وهي مع صحة سندها تدل على أمارية اليد، وأنها قاعدة كلية؛ لعدم خصوصية البيت والورق في ذلك عرفاً، بل الاستفادة منها: أن المناط في الحكم بملكية صاحب الدار والبيت، كونه صاحبهم ذا يد واستيلاء عليه، وأنه تمام الموضوع للحكم.

ومنها: ما رواه الكليني<sup>(٥)</sup>، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله<sup>(٦)</sup> قال: سألتني: هل يقضي ابن أبي ليلى بالقضاء ثم يرجع عنه؟ فقلت: بلغني أنه قضى في متاع الرجل والمرأة... إلى أن قال:

ثم قضى بقضاء بعد ذلك لولا أنني شهدته لم أرويه عنه، ماتت امرأة منّا، ولها زوج، وتركت متاعاً، فرفعته إليه، فقال: اكتبوا المتاع؟ فلما قرأه قال للزوج: هذا يكون للرجال والمرأة، فقد جعلناه للمرأة، إلا الميزان، فإنه من متاع الرجل، فهو لك. فقال<sup>(٧)</sup> لي: (فعلى أي شيء هو اليوم؟)

١ - الكافي ٥ : ١٣٨ / ٥، تهذيب الأحكام ٦ : ٣٩٠ / ١١٦٩، وسائل الشيعة ١٧ : ٣٥٤،

كتاب اللقطة، أبواب اللقطة، الباب ٥، الحديث ١.

٢ - تهذيب الأحكام ٦ : ٣٩٠ / ١١٦٥، وسائل الشيعة ١٧ : ٣٥٤، كتاب اللقطة، أبواب اللقطة،

الباب ٥، الحديث ٢.

٣ - دعائم الإسلام ٢ : ٤٩٧ / ١٧٧٤.

٤ - مستدرك الوسائل ١٧ : ١٢٨، كتاب اللقطة، أبواب اللقطة، الباب ٤، الحديث ١.

فقلت : رجع إلى أن قال بقول إبراهيم النخعي ؛ أن جعل البيت للرجل .

ثم سألته عليه السلام عن ذلك ، فقلت : ما تقول أنت فيه ؟

فقال عليه السلام : (القول الذي أخبرني أنك شهدته وإن كان قد رجع عنه) .

فقلت : يكون المتاع للمرأة ؟

فقال : (أرأيت إن أقامت بيّنة إلى كم كانت تحتاج) ؟

فقلت : شاهدين .

فقال : (لو سألت من بين لابتئها - يعني الجبلين ، ونحن بمكة - لأخبروك أن

الجهاز والمتاع يُهدى علانية من بيت المرأة إلى بيت زوجها ، فهي التي جاءت به ، وهذا المدعي ، فإن زعم أنه أحدث فيه شيئاً فليأت عليه البيّنة)<sup>(١)</sup> .

وهي أيضاً تدلّ على أن اليد أمانة الملكية ، وأن الحكم : بأن متاع البيت للمرأة

إنما هو لاستيلائها عليه ، وليعلم أن المراد من الحكم بأن المال لذي اليد - في هذه الرواية وغيرها من الروايات - أنه يحكم بذلك القاضي عند القضاء ، إلا أن يقيم غيره البيّنة ، لا مطلقاً .

ومنها : ما رواه الكليني ، عن عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد وأحمد بن

محمد جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن جميل بن صالح ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : رجل وجد في منزله ديناراً ؟

قال : (يدخل منزله غيره) ؟

قلت : نعم ، كثير .

قال : (هذا لقطة) .

قال : فقلت : رجل وجد في صندوقه ديناراً ؟

١ - الكافي ٧ : ١٣٠ ، ١ ، تهذيب الأحكام ٦ : ٢٩٧ / ٨٢٩ ، وسائل الشيعة ١٧ : ٥٢٣ ، كتاب

الفرائض والموارث ، أبواب ميراث الأزواج ، الباب ٨ ، الحديث ١ .



قال: (يُدخل أحد يده في صندوق غيره، أو يضع فيه شيئاً)؟

قلت : لا .

قال : (فهو له) <sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية موثقة من غير ناحية سهل، والأمر فيه سهل؛ بملاحظة متانة رواياته في أبواب الفقه وعمل الفقهاء بها، مضافاً إلى أنّ الشيخ <sup>(٢)</sup> رواها بسند صحيح عن ابن محبوب، وكذلك الصدوق <sup>(٣)</sup>، وهي تدلّ على اعتبار اليد، وأنّها من الأمارات.

ومن الطائفة الثانية: الروايات التي تدلّ على مجرد اعتبار اليد من دون أن تدلّ على أنّها أمانة أو أصل :

فمنها : ما رواه الشيخ <sup>(٤)</sup> بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن صفوان بن يحيى، عن العيص بن القاسم، عن أبي عبد الله <sup>(٥)</sup>، قال: سألته عن مملوك ادّعى أنّه حرّ، ولم يأت بيّنة على ذلك، أشتريه؟

قال <sup>(٦)</sup> : (نعم) <sup>(٤)</sup>.

وهي أيضاً موثقة .

ومنها : ما عنه، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن حمزة بن حران، قال: قلت لأبي عبد الله <sup>(٧)</sup> : أدخل السوق، وأريد أشتري جارية، فتقول: إني حرّة؟

---

١ - الكافي ٥ : ١٣٧ / ٣ ، وسائل الشيعة ١٧ : ٣٥٣ ، كتاب اللقطة ، أبواب اللقطة ، الباب ٣ ، الحديث ١ .

٢ - تهذيب الأحكام ٦ : ٣٩٠ / ١١٦٨ .

٣ - الفقيه ٣ : ١٨٧ / ٨٤١ .

٤ - تهذيب الأحكام ٧ : ٧٤ / ٣١٧ ، وسائل الشيعة ١٣ : ٣٠ ، كتاب التجارة ، أبواب بيع الحيوان ، الباب ٥ ، الحديث ١ .

فقال: (اشترها إلا أن يكون لها بيّنة)<sup>(١)</sup>.

ومنها: ما رواه الكليني رحمه الله عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام: رجل كانت له رحي على نهر قرية، والقرية لرجل، فأراد صاحب القرية أن يسوق إلى قريته الماء في غير هذا النهر، ويعطل هذه الرحي، أله ذلك أم لا؟

فوقع عليه السلام: (يتقي الله، ويعمل في ذلك بالمعروف، ولا يضر أخاه المؤمن)<sup>(٢)</sup>.

أقول: إن أراد عليه السلام من قوله: (بالمعروف) المتعارف بين الناس، فهي من قبيل الفرقة الأولى من الروايات في دلالتها على أمارية اليد؛ لأنّ المعروف بينهم ذلك، وإلا فتدلّ على مجرد اعتبار اليد، من دون أن تدلّ على أماريتها، والاستيلاء المفروض فيها لصاحب الرحي إنّما هو على الانتفاع بالماء، لا على أصل الماء؛ إذ لا فرق في ذلك بين الاستيلاء على عين أو على منفعة؛ في دلالتها على أنّ المستولى عليه للمستولي.

ومنها: ما رواه عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عثمان بن عيسى وحماد بن عثمان جميعاً، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث «فذك»: (أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لأبي بكر: أتحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟ قال: لا).

قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ادّعيْتُ أنا فيه، من تسأل البيّنة؟

١ - الكافي ٥: ٢١١ / ١٣، تهذيب الأحكام ٧: ٧٤ / ٣١٨، وسائل الشيعة ١٣: ٣١، كتاب

التجارة، أبواب بيع الحيوان، الباب ٥، الحديث ٢.

٢ - الكافي ٥: ٢٩٣ / ٥، تهذيب الأحكام ٧: ١٤٦ / ٦٤٧، وسائل الشيعة ١٧: ٣٤٣، كتاب

إحياء الموات، أبواب إحياء الموات، الباب ١٥، الحديث ١.

قال: إِيَّاكَ كُنْتُ أَسْأَلُ الْبَيْتَةَ عَلَى مَا تَدَّعِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

قال: فَإِذَا كَانَ فِي يَدِي شَيْءٌ فَادَّعَى فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، تَسْأَلُنِي الْبَيْتَةَ عَلَى مَا فِي يَدِي، وَقَدْ مَلَكَتُهُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَعْدَهُ، وَلَمْ تَسْأَلِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَيْتَةَ عَلَى مَا ادَّعَوْا عَلَيَّ، كَمَا سَأَلْتَنِي الْبَيْتَةَ عَلَى مَا ادَّعَيْتُ عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup> الْخَبْر.

فَإِنَّ الْمُرَادَ بِمَلَكَتُهُ الْمُسْلِمِينَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (فَإِنْ كَانَ فِي يَدِ الْمُسْلِمِينَ شَيْءٌ يَمْلِكُونَهُ) هِيَ الْمَلَكَتُ الْمُسْتَنْدَةُ إِلَى الْيَدِ، لَا الْمَلَكَتُ الْيَقِينِيَّةُ الْحُزْمِيَّةُ، بَلْ رُبَّمَا يُشْعِرُ ذَلِكَ بِأَنَّ الْيَدَ أَمَارَةً، فَتَكُونُ مِنَ الْفَرْقَةِ الْأُولَى مِنَ الرِّوَايَاتِ.

وَمِنَ الطَّائِفَةِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُؤْهِمُ دَلَالَتَهَا عَلَى أَنَّهَا أَصْلٌ لَا أَمَارَةٌ:

فَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الْكَلِينِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَاسَانِيِّ جَمِيعاً، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِذَا رَأَيْتَ شَيْئاً فِي يَدِي رَجُلٌ يَجُوزُ لِي أَنْ أَشْهَدَ أَنَّهُ لَهُ؟

قَالَ: (نَعَمْ).

قَالَ الرَّجُلُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ فِي يَدِهِ، وَلَا أَشْهَدُ أَنَّهُ لَهُ، فَلَعَلَّهُ لغيره؟

فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: (أَفِيحِلُّ الشَّرَاءَ مِنْهُ؟)

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: (فَلَعَلَّهُ لغيره فَمَنْ أَيْنَ جَازَ لَكَ أَنْ تَشْتَرِيهِ، وَيَصِيرَ مَلِكاً لَكَ، ثُمَّ تَقُولُ بَعْدَ الْمَلِكِ: هُوَ لِي، وَتَحْلِفُ عَلَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَنْسِبَهُ إِلَى مَنْ صَارَ مَلِكُهُ مِنْ قَبْلِهِ إِلَيْكَ؟)

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: (لَوْ لَمْ يَجْزِ هَذَا مَا قَامَتْ لِلْمُسْلِمِينَ سَوَقٌ)<sup>(٢)</sup>.

١ - تفسير القمّي ٢: ١٥٦، ذيل الآية ٣٧ من سورة الروم، وسائل الشيعة ١٨: ٢١٥، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ٢٥، الحديث ٣.

٢ - الكافي ٧: ٣٨٧ / ١، تهذيب الأحكام ٦: ٢٦١ / ٦٩٥، وسائل الشيعة ١٨: ٢١٥، كتاب

وحفص بن غياث من قضاة العامة، لكنّه موثّق، والرواية ضعيفة بقاسم بن يحيى، وحيث إنّهُ ادّعى في باب القضاء الإجماع على العمل بها<sup>(١)</sup>، فضعفها منجر به. ثمّ إنّهُ توهّم دلالة قوله عليه السلام : (لو لم يجر هذا لم يقر للمسلمين سوق) على أنّها أصل تعديّ جعل دفعاً لاختلال السوق؛ إذ لا يناسب هذا التعليل للأمرية<sup>(٢)</sup>. ويدفعه أنّ قوله : (أشهد أنّه في يده...) إلى آخره، يدلّ على خلاف ذلك؛ حيث إنّ الشهادة في جميع مواردّها - مثل الشهادة على رؤية الهلال ونحو ذلك - إنّما هي على الواقع وإخبار عنه، وليس معناه أنّ اعتبار اليد إنّما هو لحفظ النظام والسوق، فهذه الرواية أيضاً تدلّ على أمرية اليد، بل لا تقتصر في دلالتها على ذلك عن الروايات المتقدمة في الفرقة الأولى، وإنّما ذكرناها في هذا المقام لتوهّم دلالتها على أنّها أصل. ومنها : رواية مسعدة بن صدقة، رواها الكليني رحمه الله عن عليّ بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: (كلّ شيء هو لك حلال حتّى تعلم أنّه حرام بعينه، فتدعه من قبل نفسك، وذلك مثل الثوب يكون عليك قد اشتريته وهو سرقة، والمملوك عندك لعلّه حرّ باع نفسه، أو خدع ببيع قهراً، أو امرأة تحتك وهي أختك أو رضيعتك، والأشياء كلّها على هذا حتّى يستبين لك غيره، أو تقوم به البيّنة)<sup>(٣)</sup>.

ومسعدة بن صدقة وإن لم يوثّقه علماء الرجال، لكن الظاهر من متانة رواياته في أبواب الفقه وموافقتها للقواعد، وثاقته وحصول الاطمئنان برواياته.

→ القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ٢٥، الحديث ٢.

١ - رياض المسائل ٢: ٤٥١ سطر ٣٢.

٢ - فرائد الأصول: ٤٠٩ سطر ٨.

٣ - الكافي ٥: ٣١٣ / ٤٠، تهذيب الأحكام ٧: ٢٢٦ / ٩٨٩، وسائل الشيعة ١٢: ٦٠، كتاب

التجارة، أبواب ما يكتسب به، الباب ٤، الحديث ٤.

ثم إنَّ الكلِّية المذكورة في صدرها، وكذلك في ذيلها، لسانها لسان الأصل؛ لأنَّه طائِلٌ جعل تمام الموضوع للحكم بالحلِّية الشكِّ في الحلِّية، لكن الأمثلة المذكورة فيما بينهما غير مربوطة بهما، فإنَّ منها مثال الثوب والعبد يكون الشخص ذا يد واستيلاء عليهما، فلا يمكن جعلهما من أمثلة الكلِّية المذكورة؛ لأنَّ تمام الموضوع فيها هو الشكِّ لا غير، والمثالان ليسا كذلك، فإنَّ موضوع الحكم فيها هو كونه ذا يد واستيلاء؛ سواء جعلنا اليد أصلاً أو أمانة، فإنَّ لها دخلاً في موضوع الحكم فيها، فمع اختلاف موضوع الحكم في الكلِّية مع موضوعها لا يمكن جعلهما من أمثلتها.

وكذلك مثال الأخت والرضيعة؛ حيث إنَّ الحكم في حلِّية المحتمل كونها رضيعة؛ إمَّا لأجل أصالة الصلَّة في فعل المرأة، أو قاعدة الفراغ في فعلها، المقدمتين على أصالة الحلِّية، والموضوع في قاعدة الفراغ هو الشكِّ بعد الفراغ من العمل، لا مطلق الشكِّ.

وأما مثال الأخت : فإن قلنا بجريان استصحاب العدم الأزلي فالحكم بالحلِّية فيها مستند إليه، وهو مقدَّم على أصالة الحلِّية مع اختلاف موضوعيها؛ لأنَّ موضوع أصالة الحلِّية والإباحة هو الشكِّ المطلق، بخلاف الاستصحاب؛ لا اعتبار وجود اليقين السابق فيه.

وإن لم نقل بجريان استصحاب العدم الأزلي - كما هو المختار - فالحكم بالحلِّية فيها مستند إلى أصالة الصلَّة في فعل الغير - أي المرأة - أو قاعدة الفراغ في فعل نفسه؛ بناءً على عموميَّتها لغير الصلاة، وقد عرفت تقدُّمهما على أصالة الحلِّية.

فلعلَّ المراد من ذكر الأمثلة التنظير، وأنَّه كما يحكم بالحلِّية لأجل اليد أو أصالة الصلَّة ونحوهما من الأصول العقلانيَّة، كذلك أصالة الإباحة، فالأمثلة المذكورة إمَّا ذكرت لرفع وسوسة المخاطب، وحينئذٍ فلا تنافي بين هذه الرواية وبين سائر الروايات الدالَّة على أماريَّة اليد.

فتلخص : أنّ اليد أمانة على الملكية، لا أصل تعبدّي، وظهر منه وجه تقدّمها على الاستصحاب ؛ لحكومة الأمارات على الأصول الشرعيّة ، وورودها على الأصول العقليّة.

### الأمر الرابع : حكم اليد على المنفعة

الاستيلاء على شيء: إمّا استقلالي<sup>(١)</sup> كما في اليد على الأعيان الخارجيّة ، وإمّا تبعي كالاستيلاء على المنافع بتبع الاستيلاء على الأعيان، وكاستيلاء أهل القرية على مرافقها ومراتعها، وهي أيضاً أمانة على نحو من الملكية الخاصّة؛ لما عرفت في الأمر الأوّل : من أنّ للملكيّة عند العرف والعقلاء مراتب متفاوتة في الآثار.

ثمّ الاستيلاء على المنافع يتصوّر في مقام الثبوت على وجوه:

الأوّل : استقلاًّ - أي بالأصالة والذات - نظير الاستيلاء على الأعيان.

الثاني : الاستيلاء على المنافع ثانياً وبالعرض؛ تبعاً للاستيلاء على الأعيان أولاً وبالذات.

الثالث : أن يكون الاستيلاء على العين فقط، دون المنافع؛ لا بالأصالة ولا بالتبع، لكن فرض كشفها عن ملكيّة المنفعة في عرض كشفها عن ملكيّة العين.

الرابع : الاستيلاء على العين وكشفه عن ملكيّة العين أولاً وبالذات، وحيث إنّ المنفعة تابعة للعين، فاليد على العين كاشفة عن ملكيّة المنفعة ثانياً وبالعرض؛ أي كشفاً تبعياً في طول كشفها عن ملكيّة العين.

الخامس : أن لا يكون استيلاء على المنفعة؛ لا أصالة ولا تبعاً، ولا لأجل

١ - التعبير بالاستقلالي في مقابل التبعي لا يخلو عن مسامحة، فإنّ مقابل التبعي هو الأصلي، وكذلك فيما بعد ذلك . [المقرّر حفظه الله] .

الكشف عن ملكيتها لا بالأصالة ولا بالتبع.

ثم إن هنا إشكالاً عقلياً: وهو أن الاستيلاء من العناوين الإضافية التي تفتقر في تحققها إلى وجود المتضايفين - أي المستولي والمستولى عليه - كما في سائر العناوين الإضافية كالأبوة والبُنية، ولا يعقل تحققها بدون وجود المتضايفين، وحينئذٍ فلاستيلاء على الأعيان الموجودة متصور صحيح، لكنّه في المنافع غير معقول؛ لأنّها ليست من الأمور المتحققة الموجودة بالفعل؛ كي يتحقق الاستيلاء عليها، وعلى فرض كونها من الأمور الوجودية فهي متدرّجة الوجود، والوجود فعلاً هو جزء منها، وأما الأجزاء اللاحقة فهي معدومة فعلاً، وقد عرفت أنّه مع عدم وجود المستولى عليه - الذي هو طرف الإضافة - لا يعقل الاستيلاء عليه.

وفيه أولاً: النقض بملكية المنافع، فإنّها أيضاً من العناوين النسبية المفتقرة إلى المنتسبين في تحققها - أي المالك والمملوك - ومع عدم وجود المملوك وتحققه لا معنى لتحقق عنوان الملكية، فيلزم عدم مالكية مستأجر عينٍ لمنافعها؛ سواء قلنا: إنّ الإجارة: عبارة عن تسليط المالك للمستأجر على العين للانتفاع بها، أم قلنا: بأنّها عبارة عن تملك المنفعة ونقلها إلى المستأجر، أم قلنا: إنّها عبارة عن إيجاد إضافة - هي إضافة المالكية - بين المستأجر والمنافع، فيلزم عدم تحقق ملكيته للمنفعة.

وثانياً بالحل: وهو أن الاستيلاء في المقام ليس من المقولات الحقيقية ليرد عليه ما ذكر، بل هو أمر اعتباريّ يعتبره العقلاء، كما أن الملكية أيضاً من العناوين الاعتبارية التي يعتبرها العقلاء، والعناوين الاعتبارية الإضافية يكفي فيها اعتبار وجود طرف الإضافة، ولا يلزم فيها تحقق حقيقة، فكما يكفي في اعتبار الملكية تحقق المملوك في عالم الاعتبار، كذلك الاستيلاء على المنافع يكفي فيه وجود المستولى عليه في عالم الاعتبار، لا الوجود الحقيقي، فالإشكال غير وجيه.

هذا كله في مقام التصوّر والثبوت.

وأما في مقام الإثبات : فالوجه الخامس من الوجوه المتقدمة مخالف لما هو المرتكز في أذهان العقلاء : من اعتبار اليد والاستيلاء على المنافع، ومخالف لمذلول رواية محمد بن الحسين أبي الخطاب، المتقدمة في قضية الرحن، فإن مالك الرحن مستول على منفعة الماء، لا على أصله، وقد حكم الإمام عليه السلام بملكيته لتلك المنفعة. وكذلك الوجه الرابع؛ لأنه - مضافاً إلى أنه خلاف المرتكز في أذهان العقلاء - مخالف لإطلاق الأدلة الدالة على ملكية المنافع استقلالاً في بعض الموارد، مع أنه يستلزم عدم إمكان انفكاك ملكية المنافع عن ملكية الأعيان، مع أنه ليس كذلك؛ إذ لو استولى شخص على عين لها منافع، فادّعى شخص آخر أن منافعها له، فأقر مالك العين بذلك، فإنه يمكن ملكيته للمنافع فقط، بل يمكن ملكيته للمنافع ابتداءً؛ بأن يهب شخص ملكه لشخص ومنافعه مطلقاً، أو إلى مدة معينة لشخص آخر، فلا ريب في أنه يحكم في باب القضاء بملكية الثاني للمنفعة دون العين؛ أما ملكيته للمنافع فلاستيلائه عليها، وعدم ملكيته للعين فلاستيلاء الشخص الأول عليها، وبناءً على هذا الوجه لا بد أن لا يحكم بملكيتها للمنافع، وأنها تابعة للعين.

والظاهر من الوجوه الثلاثة الباقية هو الوجه الثاني؛ وهو أن الاستيلاء على المنافع يتبع الاستيلاء على الأعيان وفي عرضه، ولا يرد عليه لزوم إشكال عدم إمكان التفكيك بين ملكية العين والمنفعة في مثل إجارة الأعيان ونحوها؛ حيث إن استيلاء المستأجر على المنافع حينئذ ليس تابعا لاستيلائه على العين، ويده على المنافع ليست تابعة ليده على العين؛ لعدم ملكيته للعين.

وذلك لأنّ في الفرض المذكور يدين؛ إحداها يد مالك العين عليها، والثانية يد المستأجر عليها؛ لأنّ المستأجر مستول على العين لاستيفاء المنفعة منها، وتتبعها يده



على المنفعة، فيده واستيلاؤه على المنافع بتبع يده على العين<sup>(١)</sup>.

### الأمر الخامس : حول كون ذي اليد شاكاً في ملكيته

مقتضى إطلاقات الأدلة - والمرتكز في أذهان العرف والعقلاء - عدم الفرق في أمارية اليد على الملكية بين تصرف المستولي وتقلبه فيه وعدمه، فإن الكاشف عن الملكية هو مجرد الاستيلاء عليه، ولذا ترى أن العرف والعقلاء لا يتوقفون عند المعاملات في شراء ما بيد البائع على ثبوت تصرفه فيه وتقلبه. كما أن مقتضى الإطلاقات عدم اعتبار انضمام دعواه الملكية، بل يكتفون بالسكوت.

كما لا إشكال في عدم أماريتها مع إقراره بعدم ملكيته له، فإن إقراره مقدّم على يده، بل على سائر الأمارات والبيّنات.

وإنما الإشكال فيما لو كان ذو اليد شاكاً، ولم يعلم أنه ملكه أو لا، بالنسبة إلى حكم نفسه وغيره.

فقال النراقي رحمته الله في «العوائد»: الظاهر اشتراط انضمام عدم دعواه عدم العلم بالملكية؛ لأنّ الثابت من الأدلة في أمارية اليد على الملكية غير هذا المورد: أمّا الإجماع فظاهر.

وأما أخبار طلب البيّنة من المدّعي - كخبر يونس بن يعقوب<sup>(٢)</sup> ونحوه - فكذاك؛ لإمكان منع صدق الاستيلاء مع الشك في ملكيته له. مضافاً إلى رواية جميل المتقدمة؛ حيث إنه عليه السلام حكم فيها في الدينار الذي

١ - ويمكن أن يرد عليه: أن استيلاء المستأجر بالعين ليس كاشفاً عن ملكية العين؛ بل العين عند المستأجر عارية لاستيفاء حقه من المنفعة. [المقرّر حفظه الله].

٢ - تهذيب الأحكام ٩ : ٣٠٢ / ١٠٧٩، وسائل الشيعة ١٧ : ٥٢٥، كتاب الفرائض والموارث، أبواب ميراث الأزواج، الباب ٨، الحديث ٣.

وجده في داره مع دخول الغير فيه: أنه لقطة؛ وليس ذلك إلا لأجل شكّه في أنّه ملكه مع استيلائه عليه، وأيضاً علل الاستيلاء بالحكم: بأنّ ما وجد في صندوقه له؛ بما يفيد العلم بأنّه ليس لغيره من عدم إدخال غيره يده فيه.

وإلى رواية إسحاق بن عمار: عن رجل نزل في بعض بيوت مكّة، فوجد فيها نحواً من سبعين درهماً مدفونة، فلم تنزل معه، ولم يذكرها حتّى قدّم الكوفة، كيف يصنع؟

قال: (يسأل عنها أهل المنزل لعلّهم يعرفونها).

قلت: فإن لم يعرفوها؟

قال: (يتصدّق بها)<sup>(١)</sup>.

وذلك لأنّه لا شكّ في أنّ الدراهم كانت في تصرف أهل المنزل على ما عرفت، ولو أنّهم قالوا: إنّنا لا نعلم أنّها لنا أو لغيرنا، يصدق أنّهم لا يعرفونها، فلا يحكم بملكيّتها لهم، ومن ذلك يعلم أنّ اليد لا تكفي بمجرّدها في الحكم للملكيّة ذي اليد لما في يده إن لم يعلم بملكيّته له<sup>(٢)</sup>. انتهى ملخصاً.

أقول: أمّا دعواه<sup>(٣)</sup> عدم صدق الاستيلاء مع عدم علمه بملكيّته لما في يده، وعدم شمول قوله<sup>(٤)</sup>: (من استولى على شيء فهو له) في ذيل رواية يونس بن يعقوب في قضيّة متاع البيت، فهي غريبة، ولو أنّه ادّعى انصرافه عن مثل هذا الاستيلاء فله وجه، مع أنّه ممنوع أيضاً، فلاريب في شموله لما نحن فيه.

وأما رواية جميل: فتفصيل الإمام فيها بين دخول غير صاحب البيت فيه أيضاً وعدمه، ظاهر في اختلاف حكمي الشّقين، وأنّه مع دخول غيره فيه لا يتحقّق استيلاء

١ - تهذيب الأحكام ٦: ٣٩١ / ١١٧١، وسائل الشيعة ١٧: ٣٥٥، كتاب اللقطة، أبواب اللقطة،

الباب ٥، الحديث ٣.

٢ - عوائد الأيّام: ٢٦٥ سطر ١.

صاحب البيت على مثل الدرهم والدينار المطروحين فيه، مع أنَّ لهما مكاناً خاصاً بحسب المتعارف من الصندوق والكيس ونحوهما. نعم له الاستيلاء على مثل الفروش ونحوها، ولهذا حكم عليه : بأنَّ الدينار المطروح فيه لقطّة، بخلاف ما إذا لم يدخل غيره فيه، فإنَّ الظاهر أنَّه له، وأنَّ الحكم بأنَّه له لأجل استيلائه عليه مع دعواه عدم العلم بذلك، فهذه الرواية دليل عليه عليه لا له.

وأما التعليل المذكور فيها، فواضح أنَّ حكمه بأنَّ ما في الصندوق له مع شكّه فيه، إنّما هو لأجل استيلائه عليه، لا لعلمه به، وإلاَّ لما احتاج إلى السؤال والجواب؛ لأنَّه - حينئذٍ - ضروري.

وأما رواية إسحاق بن عمّار واستدلاله عليه بها لما اختاره، ففيه : أنَّ بيوت مكّة كانت مُعدّة لنزول الحجاج والمسافرين وإقامتهم فيها مدّة قليلة، ومعه يمكن منع تحقق استيلاء مالِكها على ما يوجد فيها مدفوناً، ولا أقلَّ من الشكِّ فيه، فإنَّ الظاهر أنَّه لا يراد من ذلك : أنَّها مثل الكنز تحت الأرض، وإلاَّ لم يطلع عليها النازلون فيها إلاَّ بعد حفرها بالأسباب والآلات، وليس ذلك متعارفاً بين المسافرين، بل الظاهر كونها مدفونة تحت تراب يسير ونحوه؛ بنحو يظهر بقلب التراب بالمرادة والمرور عليها، ومن المعلوم أنَّ أصحاب البيوت المذكورة لا يدفنون دنائيرهم فيها كذلك، بل ربّما يصنع ذلك المسافرون النازلون فيها، فالحكم بعدم كونه لصاحب البيت ليس مستنداً إلى دعوى عدم علمه ومعرفته به، بل لأجل عدم تحقق استيلائه ويده عليه، فهذه الرواية أجنبيّة عمّا نحن فيه.

### الأمْر السادس : حال اليدين على شيء واحد

أنَّ الحكم بالملكيّة مع انفراد اليد عليه لا إشكال فيه، وأمّا مع عدم انفرادها؛ بأنَّ استولى اثنان على شيء واحد، فهل هما متعارضتان، أو يحكم بملكيّته لهما

بالاشتراك؟ وجهان.

وتحقيق الحال في المقام : هو أن المفروض يتصور في مقام الثبوت على وجوه:  
الأول : أن يستولي كل واحد منها عليه استيلاء تاماً على تمام هذا الشيء.  
الثاني : أن يستولي كل واحد منها على تمام هذا الشيء استيلاء ناقصاً.  
الثالث : أن يستولي كل واحد منها استيلاء تاماً على نصفه المشاع.  
الرابع : أن يستولي كل واحد منها على نصفه المشاع استيلاء ناقصاً.  
فهذه أربعة أوجه :

وعلى الوجه الأول : فإما أن يكشف كل واحد من الاستيلاءين على تمامه عن الملكية التامة بلا معارضة، وأن هذا بتمامه ملك لهذا وللآخر.  
وإما كذلك مع المعارضة بينهما؛ لعدم إمكان الجمع بينهما، نظير ما لو قامت بينة على أنه لزيد، وبينة أخرى على أنه لعمر، فإنه لا يمكن الجمع بين مؤداهما، فتتعارضان.

وإما أن يكشف كل واحد من الاستيلاءين التامين على ملكية نصفه المشاع.  
وعلى الثاني : إما أن يكشف كل واحد من الاستيلاءين الناقصين على تمامه عن الملكية الناقصة لتمامه.

وإما أن يكشف عن ملكية النصف المشاع.

وهكذا على الثالث .

هذا بحسب مقام الثبوت والتصور.

حول كلام المحقق السيّد الطباطبائي رحمته الله وما يرد عليه

وأما بحسب مقام الإثبات : فذهب السيّد في ملحقات العروة إلى إمكان التصور الأول، بل وقوعه ، وهو أن يستولي اثنان كل واحد منها استيلاء تاماً على شيء

واحد ومالكاً له كذلك<sup>(١)</sup>.

وفيه : أن الملكية نحو إضافة بين المالك والمملوك يستتبعها الاختصاص عند العقلاء، والاختصاص من أحكامها العقلية، ولا معنى لاختصاص شيء واحد باثنين، فإنه ضد الاشتراك، فإن معنى الاختصاص هو أنه ملك تام له، ومعنى الاشتراك أنه ليس ملكاً تاماً له، فاجتماعها مستحيل، وإلا يلزم ثبوت الملكية التامة لشيء لأحدٍ وعدمها له في زمان واحد، وهو تناقض في عالم الاعتبار، وكما لا يمكن التناقض في التكوينية، كذلك لا يمكن في الاعتباريات؛ يعني لا يمكن اعتبار العقلاء لهما معاً في زمان واحد، ومجرد تصوّره في الواهمة وفرضه، غير اعتبار العقلاء له.

مضافاً إلى استنكار العقلاء ذلك، بل المتبادر عندهم من ملكية اثنين لشيء واحد هو اشتراكهما بنحو الإشاعة، لا ملكية كل واحد منهما له بتمامه.

ثم إنه قد ذكر لما ذهب إليه موارد ادّعى أنها من هذا القبيل:

منها : ما لو وصى بشيء لزيد وعمرو على أن يكونا مَصْرَفَيْنِ له، فإن كل واحد منهما مالك لتمامه، وكذلك الزكوات والأخماس، فإن كل واحد من الفقراء والسادات مالك لتمامه، ولذا يجوز إعطاؤه لواحد منهم حتى يستغني، ولا يجب البسط بين الأصناف، وكذلك الوقف العام والخاص، فإن كل واحد من الموقوف عليهم مالك لتمامه، فيما لو قصد الواقف كون الموقوف عليهم مَصْرَفاً له، بل يتحقق ذلك في الحقوق أيضاً، كما في إرث الخيار فيما لو تعدّد الوارث؛ بناءً على أن لكل واحد منهم الخيار، ومثل ولاية الأب والجَدُّ على الصغير ونحوه<sup>(٢)</sup>. انتهى حاصل كلامه عليه السلام.

لكن لا يستقيم ما أفاده في شيء من هذه الأمثلة؛ وذلك لأن المالك للزكاة ليس أشخاص الفقراء، مثل زيد وعمرو وغيرهما بخصوصياتهم الشخصية؛ لا بنحو

١ - العروة الوثقى ٣ : ١٢٣ .

٢ - نفس المصدر .

الاستقلال ولا بنحو الاشتراك، بل هي ملك للعنوان، وهو ينطبق على كل واحد من مصاديقه وأفراده، وهو عنوان الفقراء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾<sup>(١)</sup> الآية.

مضافاً إلى أنه قد يختلج بالبال أن الزكوات والأخماس مما تملكه دولة الإسلام، تصرف فيها وتصرفها فيما يراه ولي أمرها من مصالح الإسلام والمسلمين آية مصلحة كانت، وكذلك المنسوب من قبله خصوصاً أو عموماً، والفقراء والمساكين بالنسبة إلى تلك المصالح والمصارف يكفيهم أقل قليل من الزكوات التي أوجبها الله على المكلفين. وكذلك الخمس، فإن من مصارفه عنوان «في سبيل الله» العام لكل مصلحة يراها ولي الأمر، وحينئذ فقولهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ...﴾ إلى آخره، بيان لمصرفها، لا أنهم مالكون لها، بل المالك لها الدولة الإسلامية، نظير سائر الدول المستبدة وغيرها؛ حيث إن المالك للضرائب والمصارف فيها هو عنوان «الدولة»، ويجعل ولي أمرها أو أوليائها لها مصارف تُصرف فيها، ولذا يُفرق في أموال أولياء الأمر بين أموالهم الشخصية، فهي موروثة تنتقل إلى ورثتهم بعد موتهم، وبين أموالهم من جهة الولاية من الأخماس والزكوات، فإنها ملك للمنصب لا للشخص، ولا تنتقل إلى ورثتهم بعد موتهم، وبعده أمرها بيد ولي الأمر من بعده، وبهذا المضمون ورد بعض الأخبار<sup>(٢)</sup>، واستقرّ عليه عمل الفقهاء.

وأما الوقف العام؛ فهو أيضاً ليس ملكاً للموقوف عليهم، بل هم مصرفه، ولهذا لا يلزم بسطه عليهم، وكذا الوقف الخاص؛ بناءً على أن ذكرهم بيان لمصرفه، كما ذكره<sup>(٣)</sup>؛ لعدم اعتبار العقلاء ملكية كل واحد منهم له بتمامه.

١ - التوبة (٩) : ٦٠ .

٢ - الكافي ١ : ٤٥٣ / ٤، وسائل الشيعة ٦ : ٣٦٣، كتاب الخمس، أبواب قسمة الخمس،

الباب ٣، الحديث ١ .

والحاصل : أنَّ الموقوف عليه في الوقف الخاصّ: إمّا هو الجهة التي تنطبق على كلّ واحد من أفرادها، وإمّا هم بنحو الاشتراك، وأمّا ملكيّة كلّ واحد منهم له بتمامه فلأمعنى له.

وأما مثال الوصيّة، ففيه : أنَّ الوصيّة: إمّا تملكيّة، وإمّا عهديّة:  
والتملكيّة : هي تملك عين بعد الحياة لزيد أو غيره، كأن قال الموصي: «هذا المال لزيد وعمرو بعد حياتي»، فإن ذكرهما بنحو يكونان مصرفاً لها - كما ذكره هـ - فلا بدّ أن يكون ذلك تملكاً لجهة تنطبق عليها، وإلاّ فلا يمكن إلاّ باشتراكهما في ذلك المال.

والعهديّة : عبارة عن التوصية والعهد إلى الوصيّ بأن يملك عيناً أو غيرها لشخص أو أكثر، فإن لم يعمل الوصيّ بها، ولم يملكه إياها، لا يحصل الملك له.  
وأما ما أفاده هـ : من إمكان ذلك في الحقوق أيضاً؛ بأن يكون حقّ واحد، كحقّ الخيار لزيد، وهو بعينه لعمر، وأنّ لكلّ واحد منهما سلطنة تامّة على حلّ العقد وفسخه.

ففيه : أنَّ تلك الأمور ليست عقلية برهانية، بل عرفيّة عقلانيّة، لا بدّ من عرضها عليهم، فإن اعتبرت الملكيّة والحقّ عندهم بنحو واحد فما ذكره صحيح، وإلاّ فلا.  
فنقول : لا ريب في عدم اعتبار العقلاء ملكيّة اثنين لمال واحد؛ لكلّ واحد منهما ملكيّة تامّة لشيء واحد، ولهذا لو قامت البيّنة على أنّ هذا لزيد، وقامت بيّنة أخرى على أنّه بتمامه لعمر، تعارضت البيّنتان عرفاً، ولو أمكنت الملكيّة التامّة لكلّ واحد منهما لم تتعارض، فليس التعارض بينهما إلاّ لأجل استفادة الاختصاص من البيّنتين، فإنّ مفاد الأولى : أنَّ هذا لزيد دون عمرو، ومفاد الثانية: أنّه لعمر لا لزيد، بخلاف الحقوق، فإنّها على قسمين :

منها : ما هو مثل الملكيّة في استفادة الاختصاص من ثبوتها لشخص، مثل حقّ

التحجير والرهن ونحوهما، فلو قامت بيّنة على ثبوت حقّ تحجير لزيد، فمعناه أنّه له لا لغيره، وعلى فرض وقوع تحجير من اثنين فهما شريكان فيه، كما في المال، ولهذا تتعارض البيّتان لو قامت كلّ واحدة منهما على أنّه لشخص.

ومنها : ما ليست كذلك كحقّ خيار الشرط وغيره، فإن قلنا: إنّ حقّ قائم بالعين المبيعة أو العقد، فهو نظير القدرة على هدم البيت؛ يمكن ثبوته لأكثر من واحد لكلّ واحد مستقلاً، فلو قامت بيّنة على أنّ لزيد حقّ الخيار في معاملة، وأخرى لعمرو، لم تتعارض البيّتان فيه، وليس ذلك إلّا لأجل عدم استفادة الاختصاص منها عرفاً.

وإن قلنا : إنّ الخيار ليس حقّاً قائماً بالعين أو العقد، بل معناه الاختيار، فثبوته لاثنتين معناه: أنّ لكلّ واحد منهما حلّ العقد وفسخه، وأنّهما مختاران كلّ في فعل نفسه - كما ذكره <sup>(١)</sup> في حاشيته على المكاسب - فهنا خياران: أحدهما لزيد، والآخر لعمرو، لا خيار واحد لكلّ واحد منهما استقلالاً.

وأجاب بعض المحقّقين - الشيخ محمّد حسين في الحاشية - : بأنّ الوحدة قد تعتبر في العقد وقد تعتبر في الفسخ في وعاء الاعتبار، والأوّل موضوع حقّ الخيار، والثاني متعلّقه، ومن الواضح أنّ أحد الطرفين لا اعتبار الحقّ هو ذو الحقّ، والآخر هو حلّ الحقّ، والمقوم للحلّ المتعلّق به الاعتبار في أفق الاعتبار، هو العقد الكلّي بوجوده العنواني، لا بوجوده الخارجي، ووحدة طبيعيّ الحلّ لا توجب ورود حقّين على واحد شخصي، فالحلّ الصادر من أحدهما غير الصادر من الآخر <sup>(٢)</sup>. انتهى.

أقول : ما أفاده <sup>(٣)</sup> غير مفتقر إليه في المقام، مع عدم استقامته في نفسه؛ إذ لا ريب في أنّ الفسخ عند العرف والعقلاء هو حلّ العقد الخارجي وفسخه، لا العقد

١ - حاشية المكاسب، السيّد اليزدي : ١٤٦ - ١٤٧ سطر ٣٦.

٢ - أنظر نهاية الدراية ٣ : ٣٣٦ سطر ١٨.



الكلّي، وكلّ واحد من الفاسخين له أن يصدر منه حلّ العقد الواقع في الخارج.  
وأما ولاية الأب والجدّ على الصغير ونحوه: فهي عبارة عن جعل السلطنة لكلّ واحد منهما على التصرف في ماله وتدبير أموره، فلكلّ واحد منهما استيلاء على ذلك غير استيلاء الآخر، مثل وكالة كلّ واحد من زيد وعمرو على فعل واحد، لا أنّ هنا استيلاءً واحداً هو بتمامه للأب وبتمامه للجدّ، وحيثُ فلو سبق أحدهما في التصرف في مال الصغير نفذ، ولاتنا في ثبوت الاستيلاء لكلّ منهما، ولهذا لا تتعارض البيّتان لو قامت إحداها على ثبوت الولاية لأحد، والأخرى على ثبوتها لشخص آخر.  
ثم إنَّ السيّد قدّس سرّه أورد على نفسه في ذيل كلامه: بأنّ الاستقلال معنيّ متقومٌ بأمر ثبوتيّ؛ وهو أنّه له، وأمر سلبيّ؛ وهو أنّه ليس لغيره، فكيف يمكن استقلال اثنين بشيء واحد؟<sup>(١)</sup>

وأجاب عنه: بأنّ ما ذكرنا أيضاً نحو من الاستقلال يطلق عليه لفظه، كما في الواجب التخييري، فإنّه قسم من الواجب، والعينيّ قسم آخر منه<sup>(٢)</sup>.  
أقول: الكلام إنّما هو في معنى الاستبداد والاستقلال، والمدعى هو أنّه يستفاد من الاستقلال بشيء في الملكية: الاختصاص والتسلّط على منع الغير عن التصرف فيه، لا في الألفاظ، ومجرّد تسمية قسم آخر استقلالاً - أي ما كان الشيء ملكه، لكن ليس له منع الغير - لا يفيد فيما رامه، فالملكيّة الاستقلاليّة والغير الاستقلاليّة نوعان من الملكية، كما أنّ الواجب التخييري والتعيني نوعان من الواجب.

هذا كلّ في استقلال اثنين في ملكيّة شيء واحد، وقد عرفت امتناعه.  
وأما استيلاؤهما تاماً على شيء واحد فهو أيضاً لا يصحّ عند العرف والعقلاء، فإنّ الاختصاص وإن لم يكن مأخوذاً في مفهوم الاستيلاء، لكنّه عندهم منحلّ إلى أمر

١ - أنظر العروة الوثقى ٣: ١٢٣.

٢ - نفس المصدر.

وجودي: وهو استيلاؤه على ما في يده، وتسلّطه على جميع التصرفات فيه، وأمر سلبّي: وهو عدم استيلاء آخر عليه.

وبعبارة أخرى: الاستيلاء أمر اعتباري عقلائيّ يُنافيه مزاحمة الغير في التصرف في متعلّقه، ولهذا لا يتمّ للسلطان الاستيلاء التامّ على حومة مملكته، إذا لم يتمكنّ من منع السلطان الآخر من التصرف فيه قهراً.

وإذا عرفت عدم اعتبار العقلاء للاستيلاءين التامّين على شيء واحد لاثنتين، سقط الوجهان الأولان عن الاعتبار في مقام الإثبات، وهما فرض استيلاء كلّ واحد من اثنتين تامّاً على شيء واحد، وكشفه عن الملكية التامة لكل منهما لتامه؛ سواء كان بلا تعارض بينهما، كما في الوجه الأول، أم مع المعارضة بينهما، كما في الوجه الثاني، وأمّا احتمال استيلاء كلّ واحد منهما على النصف المشاع، فهو مبنيّ على بيان معنى الإشاعة، وتصور اليد على النصف المشاع، وأنّه هل يمكن أو لا؟ وعلى فرض عدم إمكانه يسقط احتمال بعض الوجوه المتقدمة، وهو احتمال استيلاء كلّ واحد منهما على النصف المشاع، وكاحتمال ملكيّة كلّ واحد منهما بنحو الإشاعة.

وابتنى بعض الأعظم - الميرزا النائيني رحمته - تصوّر الإشاعة على مسألة الجزء، وأنه إن قلنا بطلان القول بالجزء اللّائتجزّي فهي معقولة متصورة، وإلا فلا<sup>(١)</sup>.

بيان ذلك: أنّه بناءً على صحّة هذا القول وإمكان تركيب جزء من جواهر فردة لاتتجزّي، فينتهي تقسيماته إلى أجزاء غير قابلة للقسمة، ومع عدم قبولها للقسمة، لامعنى للشركة بنحو الإشاعة فيها.

بخلاف ما لو قلنا بطلان هذا القول، وأنّ كلّ جزء يفرض منها قابل للقسمة، فيمكن الشركة بنحو الإشاعة فيه.

١ - أنظر منية الطالب ٢ : ١٥٩ سطر ٦.

أقول : هذه المسألة عرفية عقلائية ليست مبتنية على تلك المسألة العقلية الدقيقة، التي لا يصل إلى فهمها الأكثرون، ولا ريب في أنّ المعتر هو نظر العرف في تصوّر الشركة بنحو الإشاعة في شيء واحد، كما لو مات شخص له ورثة، فإنّ أمواله وتركته مشتركة بينهم بنحو الإشاعة عند العرف، ولذا لو سُئل كلامي - قائل بالصحة في تلك المسألة - عن مثل تلك المسألة الشرعية، أجاب باشتراك الورثة في تركته بنحو الإشاعة، كما لا يخفى، فعلى فرض العجز عن تفسير معنى الإشاعة وتحليلها عقلاً، لاسبيل إلى إنكار مفهومها العرفي العقلاني الواضح، كما أنّ كثيراً من الموجودات كذلك؛ لاتصل أفهامنا إلى كُنْهها وحقيقتها مع وضوح معانيها العرفية ومفاهيمها العقلائية، كالنور والماء ونحوهما.

وأما تفسيرها فهي ليست من الحقائق الموجودة في الخارج، فليس الكسور التسعة من النصف والثلث وغيرها من الموجودات العينية بالضرورة؛ لأنّ الجسم موجود وحداني لا تحقّق لكسوره التسعة في الخارج، لأنّها مبهمة، والوجود يُنافي الإبهام، فلا يمكن وجود شيء في الخارج بنحو الإبهام، وليست أيضاً أمراً منتزعا من الوجود الخارجي؛ بأن يكون الموجود فيه منشأ انتزاعها؛ لعدم إمكان انتزاع معنى مبهم عن موجود معين، بل هي من الاعتباريات العقلائية الغير المتحقّقة في الخارج، ووعاء اعتبارها الذهن، لكنّها موجودة في الخارج عند العرف والعقلاء، لا أنّها موجودة فيه واقعاً وحقيقةً، نظير الإمكان ونحوه العارض على الممكن في الذهن، لا في الخارج لاستحالته، لكن يتّصف الموجود في الخارج به على وجه، ففيما نحن فيه يتّصف الثوب - مثلاً - بأنّه مملوك لزيد، وزيد مالكة، مع أنّ الملكية والمالكية ليستا من الحقائق المتحقّقة فيه، مع اتّصافه عند جميع العقلاء بالملكوكة لزيد في الخارج اتّصافاً اعتبارياً لا حقيقياً، وكذلك مثل الزوجية والولدية والحكومة المجعولة لشخص خارجي، فإنّها مع أنّها ليست من الحقائق العينية، يعتبر العقلاء اتّصاف الشخص بها

في الخارج، فاعتبار النصف والثلث ونحوهما لمثل الدار ونحوها وإن كان في وعاء  
الذهن، لكن المعتبر موجود في الخارج اعتباراً، يعني يعتبر العقلاء وجودها خارجاً  
فالييت المشترك بين اثنين نصفان مشاعان موجودان في الخارج اعتباراً.

هذا، ولكن ذكر بعض الأعظم عليه السلام - الشيخ محمد حسين في ملحقات الحاشية  
على الكفاية - في المقام ما لا يخلو عن الإشكال.

حاصله: أن الكسر المشاع يقابل الكلي في المعين، وأما إرجاعه إليه فإنما هو من  
باب الإلجاء وعدم الوقوف على حقيقته، بل الكسر المشاع جزئي.

ولأجله ربّما يشكل: بعدم اجتماعه مع السريان.

وقد غفل عن أن الموجود الخارجي على قسمين: قسم موجود بوجود ما  
بجذائه في الخارج؛ يعني: موجود بنفسه، وقسم موجود لا بذاته، وليس له ما بجذائه  
فيه، بل بوجود منشأ انتزاعه، فالموجود بالذات في هذا القسم هو منشأ الانتزاع، وأما  
الأمر الانتزاعي فوجود بالعرض والقوة، مثل وجود المقبول بوجود القابل.

ومفهوم النصف: إما من القسم الأول، وهو النصف المعين من العين، وإما من  
القسم الثاني؛ بأن كان عنواناً لموجود بالقوة، فهذا الموجود بالقوة جزئي بجزئية منشأ  
انتزاعه، وله شيوع وسريان باعتبار قبوله لتعينات كثيرة، ولأجله تكون القسمة  
تعييناً للامتعيين من دون لزوم مبادلة ومعاوضة بين أجزاء العين، وعليه فالمملوك  
بالذات لكل واحد من الشريكين - أولاً وبالذات - هو النصف المشاع، وليس لكل  
عين إلا نصفان على الإشاعة، بخلاف المالك لعين واحدة، فإن المملوك بالذات هو تلك  
العين، ويملك كسوره المشاعة بالعرض، عكس الأول<sup>(١)</sup>، انتهى محصله.

أقول : في كلامه مواقع للنظر والإشكال :

منها : ما ذكره رحمته : من أن الموجود على قسمين: أحدهما ما له مجزاء في الخارج، والثاني ما ليس كذلك، فهو صحيح لا غبار عليه، لكن النصف المعين ليس بما له ما مجزاء في الخارج؛ وذلك لأنه لو كان له ما مجزاء فيه: فإما أنه قبل القسمة ولو بالقسمة الوهميّة، أو بعدها، والأوّل : إما مستلزم للمحال، وإما للقول بالجزء وتركّب الجسم من الجواهر الفردة؛ وذلك لأنّ للجسم نصفاً ونصف نصف... وهكذا، فإن انتهى إلى ما لا يقبل التنصيف والتقسيم، فقد ثبت في محله بطلانه، وإن لم ينته إلى ما لا يقبل التقسيم والتنصيف، بل له نصف ونصف نصف .. وهكذا إلى غير النهاية، فهذه الكسور الغير المتناهية : إما أن يكون لها ما مجزاء في الخارج - أي في الجسم الخارجي - يلزم وجود موجودات غير متناهية فيه بالفعل في الجسم المحصور المتناهي بين حاصرين، وهو ظاهر الاستحالة.

وإن أراد أن للنصف المعين ما مجزاء في الخارج بعد قسمة الجسم ولو وهماً، فهو أيضاً محال؛ لأنه يلزم أن يكون لشيء واحد، كحبة حنطة - مثلاً - سوى ذاتيّاتها وصفاتها الذاتيّة أموراً كثيرة تقرب إلى ما لا نهاية له؛ وذلك لأنّ الحبة من الحنطة - مثلاً - نصف الاثنتين، وثلاث الثلاث، وربيع الأربع.. وهكذا يصدق عليها كسور تقرب إلى ما لا نهاية له؛ باعتبار إضافتها إلى غيرها من الحبات المختلفة بحسب العدد، فلو كان لجميعها ما مجزاء في الحبة الخارجيّة يلزم ما ذكر، وهو أيضاً ظاهر البطلان. ومنها : ما ذكره رحمته : من أن المالك للنصف المشاع مالك له بالذات، ومالك للعين بالتبع؛ على عكس مالكيته لتماحه.

ففيه أولاً: أنّه مخالف لما استقرّ عليه بناء العقلاء؛ من عدم الفرق بين ملكيّة تمام العين وملكيّة نصفها المشاع - مثلاً - في أن الشخص مالك للعين الخارجيّة تماماً أو بعضاً، لا أنّه بالنسبة إلى ما يملكه بتمامه مالك له بالذات، وإلى ما يملكه من النصف

مالك للعين الخارجية بالعرض؛ كيف ولو كان كذلك يلزم - فيما لو اشترى أحد الشريكين بنحو الإشاعة نصيب الآخر - تبدل ملكيته بالعرض والتبعية إلى الملكية الذاتية.

وهكذا لو باع مالك العين بتمامها نصفها المشاع يلزم تبدل ملكيته الذاتية إلى التبعية والعرضية، وهو كما ترى؛ لا يتبادر ذلك إلى أذهان العقلاء.

وثانياً؛ انتزاع الأمر المبهم واللامتعي من الموجود الخارجي المتعين غير معقول؛ للزوم التناسب بين المنتزع والمنتزع عنه من هذه الجهة.

ومنها؛ ما أفاده من أن التقسيم عبارة عن تعيين اللامتعي ... إلى آخره.

فإنه أيضاً ممنوع، فإن القسمة وإن لم تكن بيعاً، بل هي عنوان مستقل، لكن يلزمها المبادلة والمعاوضة بين أجزاء العين؛ لأن معنى الشركة بنحو الإشاعة: أن كل جزء من أجزاء تلك العين الخارجية مشترك بين المالكين لها، فتقسيمها - بتعيين أحد طرفيها مثلاً لأحدهما، والآخر للآخر - لا يمكن إلا بمبادلة ما له في هذا الطرف من نصف كل جزء منه بما للآخر في الطرف الآخر من نصف كل جزء منه، وهو واضح، فما ذكره <sup>قوله</sup> أيضاً غير مستقيم.

مضافاً إلى أن النصف بعد القسمة الوهمية معنى اعتباري، لا حقيقي؛ ليكون له ما بجزاء خارجي، وأما بعد القسمة الخارجية الواردة على الجسم، فإطلاق النصف على كل واحد من القسمين، إنما هو باعتبار أن كل واحد منهما نصف المجموع، فهو متقوم بالمجموع، والمجموع منها بعد القسمة أمر اعتباري متحقق باعتبار المتعبر، لا وجود له حقيقة بعد القسمة الخارجية؛ لأن الوجود يساوق الوحدة، وهو ليس كذلك، والمتقوم بالأمر الاعتباري اعتباري أيضاً، فليس النصف - بما أنه نصف - من الموجودات الحقيقية الخارجية؛ ألا ترى أن الواحد يصدق عليه النصف إذا اعتبر مع الاثنين، وإلا فهو ليس من صفاته الحقيقية الذاتية.

وأما ما أفاده؛ من أن المشاع موجود بالقوة، قابل لتعينات وتقسيمات كثيرة في

الجسم؛ باعتبار كثرة أنحاء التقسيم إلى الاثنين فيه.

ففيه : أنه إن أراد من القوة ما ذهب إليه المشاؤون : من أن في الجسم شيئاً به يقبل الانقسامات، وهي الهيولى، وإلا فالصورة الجسميّة بما هي غير قابلة للقسمة، فالإشاعة عبارة عن الهيولى<sup>(١)</sup>.

ففيه أولاً : أنه قد معترف بأنه ليس للجسم إلا نصفان مشاعان، فالجسم وإن أمكن تقسيمه إليهما بأجزاء عديدة، لكن بعد القسمة الخارجيّة إليهما، يصير اللامتعيّن متعيّناً، فعلى ما ذكره لو كان جسم مشتركاً - على الإشاعة - بين زيد وعمر، وانقسم بنفسه وبلا اختيار إلى قسمين، لزم أن يتعيّن نصف كلّ واحد منهما.

وثانياً : لو اشترك اثنان في صُبرة - مثلاً - على الإشاعة، ثمّ قسّمها إلى نصفين، فلا محلّ هنا للقوّة المذكورة تقوم به، فإنّ الصُبرة موجودات كثيرة حقيقةً، واحدةً اعتباراً، فحيث إنّ أجزاءها منفصلة ذاتاً ليس فيها قوّة قابلة للانفصال.

وكذا لو قسّم الورثة تركة مورّثهم، فأخذ كلّ واحد منهم عيناً من التركة، فإنّه يصير المشترك مفروزاً حينئذٍ بضرورة الفقه، مع أنه ليس هنا قوّة بين أفراد التركة قبل القسمة.

نعم ما أفاده صحيح في الكمّ المتّصل، لا يرد عليه هذا الإشكال؛ لأنّ الحقّ مع المشائين من وجود الهيولى، وأنّ الصورة تنعدم بالقسمة، وتوجد صورتان متعدّدتان. مضافاً إلى أنّ الهيولى جوهر ومحض القوّة، وليس فيها الإشاعة.

فالحقّ هو ما عرفت في معنى الإشاعة، وأنّ النصف المشاع ونحوه وإن لم يكن موجوداً بنفسه في الخارج حقيقةً، ولا بمنشأ انتزاعه، لكنّه موجود فيه اعتباراً؛ يعني يعتبر العقلاء وجوده فيه، والفرق بينه وبين الكلّي في المعيّن: هو أنه موجود في الخارج

١ - شرح المنظومة (قسم الفلسفة) : ٢١٤ - ٢١٨ سطر ٦.

اعتباراً، فهو جزئيّ، بخلاف الكلّي في المعين، فإنه كليّ، مثل سائر الكلّيات المقيّدة كالإنسان الأبيض.

إذا عرفت أنّ المشاع معنى متصوّر موجود في الخارج اعتباراً من العقلاء لا حقيقة، نقول: الأظهر في الأقسام الثلاثة الباقية المتصورة المذكورة - وهي ما لو استولى كلّ واحد منهما على النصف المشاع ناقصاً؛ سواء كان كاشفاً عن الملكية الناقصة له، أم عن ملكيّة النصف المشاع تماماً، وما لو فرض استيلاء كلّ منهما على نصف الشيء مشاعاً تاماً، سواء كان كاشفاً عن ملكيّة الناقصة، أم كاشفاً عن ملكيّة نصفه المشاع ناقصاً، وما لو استولى كلّ واحد منهما على النصف المشاع ناقصاً - هي الصورة الثالثة فيما تقدّم في صدر هذا المبحث، الثانية هاهنا؛ أي استيلاء كلّ منهما على النصف المشاع استيلاءً تاماً وكشفه عن ملكيّة كذلك؛ لموافقة العرف والعقلاء على ذلك؛ لأنّ التصرف الخارجي من كلّ واحد من الشريكين في المال المشترك، وإن يتوقّف على إذن الآخر، لكنّه ليس لأجل عدم استيلائه وسلطنته على ماله - أي النصف المشاع - بل لأنّه مستلزم للتصرف في مال الشريك الآخر، فيتوقّف على إذنه، ألا ترى أنّه يجوز له التصرفات الغير المستلزمة لذلك، كبيعته وهبته ونحوهما، فإنّها لا تتوقّف على إذن الشريك الآخر، ويكشف ذلك عن استيلائه التامّ على تمام نصفه المشاع، الكاشف عن ملكيّة التامة له، ولا معنى لاستيلائه على تمام العين الخارجية ناقصاً ولا ملكيّة لها كذلك؛ لوضوح عدم استيلاء الإنسان على مال غيره وملكيّة له ولو ناقصاً، كما في الوجهين الآخرين من الوجوه الثلاثة.

وحينئذ نقول: لو فرض استيلاء اثنين على عين خارجيّة، وأنّه يستأذن في مقام العمل كلّ واحد منهما من الآخر في التصرفات الخارجية فيها، وشكّ في أنّها شريكان فيها، أو أنّها لأحدهما، فالظاهر كشف استيلاء كلّ واحد منهما على نصفها المشاع عن ملكيّة للنصف كذلك؛ لأنّ كلّ واحد من اليمين أمانة على ملكيّة للنصف



المشاع؛ لما عرفت من أنه لا معنى لكشفه عن الملكية الناقصة لتام العين، ولا مجال للقول بعدم كشفها عن الملكية أصلاً، فلو ادّعى أحدهما ملكيته لتامها فعليه إقامة البيّنة على مدّعه - بالنسبة إلى نصفه المشاع، الذي يد الغير عليه - عند القاضي.

### الأمر السابع : في إقامة الدعوى على ذي اليد وفروعها

لو ادّعى أحد ملكية ما في يد الآخر، وعلم الحاكم بكونه مالكا له سابقاً، أو قامت البيّنة على ملكيته السابقة له، وسكت ذو اليد عنه، مع دعواه ملكيته له فعلاً فقط، فلا إشكال في أن يده مقدّمة عليها؛

أمّا تقدّمها على علم الحاكم : فلأنّ علمه بملكيتها في الزمان السابق لا يترتب عليه أثر، ولا يجوز له الحكم على ذلك؛ لأنّ ماهو المختلف فيه بين العلماء<sup>(١)</sup> من جواز حكم الحاكم على طبق علمه وعدمه، إنّما هو فيما إذا علم بصدق المدّعي للملكية فعلاً، والمفروض أنّ الحاكم لا يعلم بذلك.

وأما تقدّمها على البيّنة : فلعدم المنافاة بينها؛ لإمكان صدق البيّنة وذي اليد معاً، ولا مجال أيضاً لاستصحاب ملكيته السابقة؛ لما عرفت من تقدّم البيّنة وغيرها من الأمارات على الأصول. وهذا ممّا لا إشكال فيه.

وإنّما الإشكال : فيما لو أقرّ ذو اليد بملكيتها السابقة مع دعواه ملكيته نفسه له فعلاً، ولعلّ هذا هو المنشأ لوقوع البحث بين الأعلام في قاعدة اليد وفروعها. فنقول : يتصوّر في المقام أربع صور :

الأوّل : ما لو أقرّ ذو اليد بملكيتها السابقة مع دعواه انتقاله إليه بلا واسطة.

١ - جوّز القضاء بالعلم : السيّد في الانتصار : ٢٣٦ وابن إدريس في السرائر ٣ : ٥٤٢، وابن زهرة في الغنية، ضمن الجوامع الفقهية : ٥٦٢ سطر ١٦، والمحقّق في الشرائع ٤ : ٦٧. وممّن لم يجوّز ذلك: ابن الجنيّد على ما حكاه عنه في الانتصار : ٢٣٧.

### حول كلمات بعض الأعلام وما فيها

وأورد شيخنا الحائري رحمته بعد التفصيل بين أخذ الزمان بنحو العموم الاستغراقي، وجعل كل قطعة منه موضوعاً على حدة، وبين أخذه بنحو الاستمرار بالتمسك بالعام فيما عدا المخرج من الزمان قطعاً في الأول، دون الثاني - بقوله: إن قلت: كيف يتمسك بالإطلاقات بعد العلم بالتحديد؛ ويقتصر في عدم التمسك بها على المقدار الذي علم بخروجه؛ والحال أن مفادها واحد، وبعد العلم بالتحديد يعلم أنه ليس بمراد؟

قلت: فرق بين المطلق وما نحن فيه؛ لأن المطلق يعم ما تحته من الجزئيات في عرض واحد، والحكم إنما تعلق به بلحاظ الخارج، فاستقر ظهور القضية في الحكم على كل ما يدخل تحت المطلق؛ بدلاً أو على سبيل الاستغراق على اختلاف المقامات، فإذا خرج بالتحديد المنفصل شيء بقي الباقي بنفس ذلك الظهور الذي استقر فيه أولاً، بخلاف ما نحن فيه، فإن الزمان في حد ذاته أمر واحد مستمر، ليس جامعاً لأفراد كثيرة متباينة، إلا أن يقطع بالملاحظة، وجعل كل قطعة من قطعاته ملحوظاً في القضية مثل «أكرم العلماء في كل زمان»، وأما إذا لم يلاحظ هذا النحو، كما في قولنا: «أكرم العلماء» ومقتضى الإطلاق أن هذا الحكم غير مقيّد بزمان خاص، فلازمه الاستمرار من أول وجود الفرد إلى آخره، فإذا انقطع الاستمرار بخروج فرد كيوم الجمعة - مثلاً - فليس لهذا العام المفروض دلالة على دخول ذلك الفرد في يوم السبت؛ إذ لو كان داخلًا لم يكن استمراراً للحكم السابق، كما هو واضح<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: ما أفاده من أن الجزئيات التي تحت المطلقات مشمولة لحكم المطلق

بنحو البدليّة أو الاستغراق.

فيه : أنّه فرق بين العامّ والمطلق؛ لما تقدّم مراراً؛ من أنّ الأفراد ملحوظة في العامّ موضوعة للحكم بنفسها، بخلاف المطلق؛ لأنّ الإطلاق عبارة عن جعل الطبيعة نفسها تمام الموضوع للحكم من دون تقييدها بقيد، مثل «الرقبة» في «أعتق الرقبة»، وبالإتيان بأيّ فرد منها يتحقّق الامتثال، لا لتعلّق الحكم بالأفراد، بل لصدق الإتيان بالطبيعة المتعلقة للحكم، فالأفراد والمصاديق غير ملحوظة في المطلقات أصلاً؛ حتّى يكون لدليل المطلق ظهورات بعدد الأفراد، بل ليس له إلّا ظهور واحد في أنّ تمام الموضوع هو نفس الطبيعة بلا قيد، ولو قيّدت بعد ذلك بقيد فلا دليل على التقييد بالنسبة إلى سائر القيود الأخرى، فهو باقٍ على إطلاقه بالنسبة إليها، إلّا أن يقوم دليل عليه، ومع الشكّ في تقييده بقيد يتمسّك بإطلاقه بالنسبة إليه، فتقييد الاستمرار فيما نحن فيه - بإخراج زمان خاصّ منه - لا يخرج الاستمرار عن الصلاحية للاحتجاج به فيما بعد ذلك الزمان.

نعم لو أخذ الزمان بنحو العامّ المجموعيّ فله إطاعة واحدة؛ بالإتيان به في مجموع تلك الأزمنة، وتترتّب عليه مثوبة واحدة، ويتحقّق مخالفته بتركه ولو في جزء من مجموع الأزمنة وإن أتى به في الباقي منها.

فما ذكره صحيح في هذا الفرض فقط؛ لأنّ القطعة الثانية من الزمان ليست موضوعة للحكم أصلاً، لكن المفروض فيما نحن فيه أخذ الزمان بنحو الاستمرار كما في قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، فإنّ الزمان قد أخذ فيه بنحو الاستمرار بالضرورة؛ حيث إنّه لو كان مأخوذاً فيه بنحو العامّ المجموعيّ فهو يستلزم عدم وجوب الوفاء بالعقد في الزمان الثاني لو تخلف ولم يف به في الزمان الأوّل، ولو فرض قيام الدليل على عدم وجوب الوفاء به في زمان خاصّ، وشكّ في وجوبه بعد ذلك الزمان، فهو حجة يصلح الاحتجاج به بالنسبة إليه.

الثاني : كذلك مع دعوى انتقاله منه إلى ثالث، ثمّ منه إليه.

الثالث : لو أقرّ بذلك، وأدعى ملكيته فعلاً، ونفى انتقاله إلى ثالث.

الرابع : كذلك، لكن بدون نفي انتقاله إلى ثالث، بل سكت عن ذلك، واقتصر على دعوى ملكيته فعلاً، ففي انقلاب الدعوى بإقراره له أي للغير ملكيته السابقة في جميع تلك الصور الأربع، فيصير المدّعي منكرًا والمنكر مدّعيًا، فيصير ذو اليد مدّعيًا والآخر منكرًا، على عكس ما لو لم يقرّ بذلك، وعدمه في جميعها، وتبقى الدعوى مجالها، أو التفصيل بين الوجوه المذكورة؛ بانقلاب الدعوى في بعضها دون بعض آخر منها، وجوه.

ثمّ إنّه قد ورد مستفيضًا، بل متواترًا : (أنّ البيّنة على المدّعي واليمين على من ادّعى عليه)<sup>(١)</sup>، أو (من أنكر)<sup>(٢)</sup>، على اختلاف التعبير في الأخبار ، ولا اختلاف في ذلك بين الأصحاب أيضًا.

وإنّما الاختلاف في تشخيص المدّعي والمنكر: هل هو موكول إلى نظر العرف، كما في موضوعات الأحكام والخطابات الشرعيّة، إلّا فيما لو قام الدليل على تصرّف الشارع في الموضوع، كالسفر الموضوع لوجوب القصر ونحوه، أو أنّه ليس كسائر الموضوعات التي تشخيصها بنظر العرف؟

الحقّ هو الأوّل؛ لعدم الفرق بينه وبين سائر الموضوعات في الخطابات الشرعيّة، وعدم قيام الدليل على دخل الشارع وتصرّفه فيه. وأمّا تحديدهما : بأنّ المدّعي : هو الذي لو ترك ترك، والمنكر خلافه.

١ - الكافي ٧ : ٣٦١ / ٤ و ٨ ، و ٤١٥ / ١ و ٢ ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٧٠ ، كتاب القضاء،

أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، أنظر الباب ٣.

٢ - تفسير القمّي ٢ : ١٥٧ ، ذيل الآية ٣٨ من سورة الروم، وسائل الشيعة ١٨ : ٢١٥ ، كتاب

القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ٢٥ ، الحديث ٣.

أو أنّ المدّعي : هو الذي قوله مخالف للأصل - أي الحجّة الشرعيّة - والمنكر هو الموافق قوله له<sup>(١)</sup>.

فإن أريد التحديد العرفي منها فلا بأس به، لكن المرجع مع الاختلاف في بعض الموارد هو نظر العرف.

وإن أريد أنّ الملاك في تشخيصها هو ذلك - سواء وافقه العرف أم لا - فهو يحتاج إلى الدليل، وهو مفقود.

ثمّ إنّ المناط في تشخيص المدّعي والمنكر هو مصبّ الدعوى لا النتيجة، ويلزمه انقلاب الدعوى في الصورة الأولى بالإقرار المذكور، فيصير المدّعي منكراً، والمنكر - وهو ذو اليد - مدّعيّاً لانتقال المال إليه، ويلزمه حكم الحاكم على طبق دعوى الانتقال وإنكاره، لا دعوى الملكية الفعلية، وإنكارها.

بخلاف ما لو قلنا : بأنّ الميزان والمناط في تشخيص المدّعي والمنكر هي النتيجة، فإنّ الواجب على الحاكم الحكم على طبق دعوى الملكية الفعلية وإنكارها، ولا تتقلب الدعوى في شيء من الصور، لكن حيث إنّ المناط مصبّ الدعوى - لا النتيجة - تتقلب الدعوى بالإقرار المذكور في الصورة الأولى من الصور المتقدمة. هذا تمام الكلام في الصورة الأولى.

وأما الصورة الثانية : فلا تتقلب الدعوى فيها؛ لأنّ مصبّ الدعوى فيها : هو أنّ ذا اليد مدّعٍ لانتقاله منه إلى ثالث، ومن الثالث إليه، وليس لتلك الدعوى أثر؛ لأنّها للغير، ولا معنى لحكم الحاكم على طبقها، وحينئذٍ فاللّازم الحكم على طبق دعوى الملكية الفعلية وإنكارها، فالدعوى باقية بحالها؛ كما لو لم يقرّ بذلك.

وأما الصورة الثالثة : فانقلاب الدعوى فيها وعدمه مبنيان على أنّ لوازم

١ - شرائع الإسلام ٤ : ٩٧ ، المختصر النافع : ٢٧٦ ، قواعد الأحكام ٢ : ٢٠٨ سطر ٣ ، كفاية

الأحكام : ٢٧٤ ، العروة الوثقى ٣ : ٣٤ - ٣٥ .

الكلام هل هي دخيلة في تشخيص المدعي والمنكر عند العرف، وحينئذٍ فلازم إقراره له بالملكية السابقة، مع نفي انتقاله إلى ثالث، وسكوته عن انتقاله إليه - أي إلى نفسه - وهو أنه مدّعٍ لانتقاله منه إليه عرفاً، أو لا، فعلى الأول تنقلب الدعوى، وعلى الثاني هي باقية بحالها؟ فيه وجهان.

وأما الصورة الرابعة: فالدعوى فيها أيضاً باقية على حالها لا تنقلب.

فالحق هو التفصيل بين الوجوه المذكورة فما ذهب إليه الميرزا النائيني رحمته من انقلاب الدعوى بمجرد الإقرار له على الملكية السابقة بنحو الإطلاق، مع استناده إلى المحكي<sup>(١)</sup> عن المشهور: من انتزاع المال من ذي اليد وتسليمه إلى المدعي؛ لانقلاب الدعوى<sup>(٢)</sup>، غير وجيه.

### حول الاحتجاج في أمر فذك

وحينئذٍ فهنا إشكال فقهي متوجّه على القول بانقلاب الدعوى بالإقرار على الملكية السابقة للمدعي: بأنه ينافيه ما ورد من احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر في قصة «فذك»؛ حيث إنه عليه السلام قال له: (أحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين)؟

قال: لا.

قال عليه السلام: (إن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ادّعيْتُ أنا فيه من تسأل البيّنة)؟

قال: إياك كنتُ أسأل البيّنة على ما تدّعيه.

١ - الحاكي هو الشيخ الأنصاري في فرائد الأصول: ٤٠٩ سطر ١٢.

٢ - فوائد الأصول ٤: ٦١١.

قال عليه السلام: (فإذا كان في يدي شيء، فادّعى فيه المسلمون، تسألني البيّنة على ما في يدي وقد ملكته في حياة رسول الله ﷺ وبعده، ولم تسأل المؤمنين البيّنة على ما ادّعوا عليّ كما سألتني البيّنة) (١)؟

وذلك لأنّ فاطمة عليها سلام الله تعالى قد أقضت بأنّ فدكاً كانت لرسول الله ﷺ، وادّعت أنّها نحلة، فلو كان الإقرار موجباً للانقلاب، فمطالبة أبي بكر بالبيّنة منها عليه السلام في محلّها، مع اعتراض أمير المؤمنين على ذلك، فيظهر منه عدم انقلاب الدعوى بالإقرار.

والحقّ في الجواب عن الإشكال: ما أفاده الأستاذ الحاتري والفقهاء الهمدانيّين، وحاصله: أنّ هذا الإشكال إنّما يتوجّه لو كان أبو بكر منكراً لدعواها؛ ليقع المنكر في مقابل المدّعي، ولكنّه لم ينكر ذلك في تلك القضية ولا غيره من المسلمين؛ حتّى تلزمها عليه السلام البيّنة، بل ذكر أبو بكر عذراً آخر: بأنّه في المسلمين (٢)، وهذا نظير الدعوى على المورث مع إظهار الورثة عدم العلم بذلك، وحيث إنّ فالدعوى في تلك القضية باقية بحالها؛ كما كانت عليه أوّلاً لا تنقلب عنه.

وأجاب بعض الأعظميّين - الميرزا النائيني - عن الإشكال بما لا يخلو عن الإشكال، فإنّه عليه السلام ذكر: أنّ إقرار الصّدّيق عليه السلام بأنّ فدكاً كانت لرسول الله ﷺ،

١ - تفسير القمّي: ١٥٥ - ١٥٦، ذيل الآية ٣٧ من سورة الروم، علل الشرائع ١: ١٩٠ / ١، وسائل الشيعة ١٨: ٢١٥، كتاب القضاء، أبواب كيفيّة الحكم وأحكام الدعوى، الباب ٢٥. الحديث ٣.

٢ - والذي ببالي من الرواية: هو أنّ أبا بكر سكت عن ذلك، وقال عمر: (دعنا يا عليّ من كلامك، فإنّا لا نقوى على حجّتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلاّ فهو فيء للمسلمين)، وعليه فلا يتوجّه عليه الإشكال: بأنّ مرجع دعواه أنّه فيء - بعد دعواها عليه السلام أنّه نحلة - إلى الإنكار. [المقرّر حفظه الله].

لا يوجب انقلاب الدعوى، فإنه على فرض صحة الرواية عنه صلى الله عليه وسلم (نحن معاشر الأنبياء لانورث...) <sup>(١)</sup> إلى آخره، ليس إقرارها صلى الله عليه وسلم بإقرار ذي اليد بأن المال كان لمن يرثه المدعى، فإن انتقال الملك إلى المسلمين ليس كانتقال الملك من المورث إلى الورثة؛ لأنه إنما يكون بتبديل أصل الإضافة، نظير انتقال الملك من الواهب إلى المتهب، ومن الموصى إلى الموصى له.

توضيح ذلك : أن الملكيّة : عبارة عن الإضافة الخاصّة القائمة بين المالك والمملوك، فللملكيّة طرفان المالك والمملوك، وتبدّل الإضافة: إمّا من طرف المملوك، كما في عقود المعاوضات، فإنّ التبدّل في البيع إنّما هو من طرف المملوك فقط، مع بقاء المالك على ما هو عليه، غاية الأمر أنّه قبل البيع كان طرف الإضافة للمبيع وبعده للثمن.

وإمّا من طرف المالك كالإرث، فإنّ التبدّل فيه إنّما هو من طرف المالك، مع بقاء المملوك على ما هو عليه، غاية الأمر أنّه كان قبل موت المورث هو طرف الإضافة نفسه، وبعد موته يقوم الوارث مقامه.

وإمّا بتبديل أصل الإضافة؛ بمعنى أنّه تنعدم الإضافة القائمة بين المالك والمملوك، وتحدث إضافة أخرى للمالك، كما في الهبة، فإنّ انتقال المال فيها ليس مثل الإرث ولا مثل البيع، بل هي إعدام إضافة وإيجاد إضافة أخرى، وكذلك الوصيّة التملكيّة.

إذا عرفت ذلك نقول: انتقال ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين - بناءً على الخبر المجعول <sup>(٢)</sup> - ليس كانتقال المال من الوارث، بل هو أشبه بانتقال المال الموصى به إلى

١ - اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢ : ٢٣٥، البداية والنهاية ٢ : ١٥٤ .

٢ - المجعول هي الجملة التي في ذيل الخبر على نقل العامّة، وهي قولهم: (ما تركناه صدقة)،



الموصى له؛ ضرورة أن المسلمين لا يرثون المال من النبي ﷺ، غايته أن أمواله ﷺ بعد ارتحاله تُصرف إلى مصالحهم، فإن انتقال المال إليهم أسوأ حالاً من انتقاله من الموصي إلى الموصى له، ولا أقل من أنه مثله، ومن المعلوم أن إقرار ذي اليد بأن المال كان ملكاً لمن يرثه المدعي، إنما يوجب انقلاب الدعوى من حيث إن الإقرار للمورث إقرار للوارث؛ لقيام الوارث مقامه في طرف الإضافة.

وبالجملة: أن إقرارهم إنما يوجب انقلاب الدعوى إذا كان المسلمون يقومون مقامه ﷺ<sup>(١)</sup>. انتهى حاصله.

وظاهره عدم انقلاب الدعوى ولو مع فرض كون أبي بكر منكراً لدعواها.  
وفي كلامه **تبرئ** مواقع للنظر والإشكال :

منها : ما أفاده : من أن انتقال المال في الإرث عبارة عن قيام الوارث مقام المورث ونيابته عنه، كما ذهب إليه بعض من قبله، ولعل منشأه فرض مسألة أخرى: هي ما لو فرض أنه صار حياً بعد موته، فهل ترجع أمواله من الورثة إليه، أو لا؟ فلو صار المال منتقلاً إلى الورثة بموته، لزم عدم عوده إليه بعد حياته، مع أنه بعيد، فللذبت عن هذا الإشكال التزموا بعدم انتقال المال إلى ملك الورثة، بل هو باقٍ بحاله، وأن الوارث يقوم مقامه ونائب عنه، فمع فرض حياته بعد موته فهو المالك؛ لوجود المبدل والمنوب عنه، فلا يقوم البديل والنائب مقامه.

لكنه كما ترى مخالف للسان أدلة الإرث وارتكاز العرف والعقلاء، فالمتبع في

---

→ وإلا فالصدر - وهو قوله ﷺ : (إننا معاشر الأنبياء لا نورث درهماً ولا ديناراً) - مروي في طرقنا (الكافي ١: ٢٤ و ٢٦ / ٢ و ٢٦ / ١، مع اختلاف يسير في الألفاظ) أيضاً، ومفاده: أن شأن الأنبياء ليس جمع الدنانير والدراهم حتى يُورثوا كما هو شأن أبناء الدنيا، وإنما جعلوه وألحقوه بالخبر لغرض غصب فذلك بذلك لإغفال الناس. [المقرّر حفظه الله].

مثل تلك الموارد هو لسان الأدلة، وأدلة الإرث صريحة في انتقال المال إلى الورثة، مثل قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ...﴾<sup>(١)</sup> إلى آخره، وقوله ﷺ: (ما تركه الميت من حق أو مال فهو لوارثه)<sup>(٢)</sup>، فإنها تدل على أن الإرث مثل سائر المعاضات في انتقال المال إلى الوارث، وأنه يصير ملكاً له، لا فرق بينه وبينها في ذلك أصلاً؛ كيف ولو كان الأمر كما ذكره، لزم - فيما لو فرض تعدد الورثة للميت كالابن والبنت والزوجة مثلاً - نيابة الزوجة عن زوجها في ثمن ماله، والابن عنه في ثلثي الباقي، والبنت في باقيه، وهو أيضاً مخالف لما هو المرتكز في أذهان العرف والعقلاء ومستنكر عندهم.

ومنها: ما أفاده: من أن الوصية التمليلية والهبة: عبارة عن إعدام إضافة وإيجاد إضافة أخرى.

ففيه: أنه على ما ذكره رحمته يلزم إعدام تلك الإضافة قبل إيجاد الإضافة الثانية، وحينئذ يصير الواهب والموصي - بإعدام الإضافة التي بينه وبين ماله - أجنبياً صرفاً، لا يتمكن من إيجاد الإضافة الثانية بينه وبين المتهب والموصى له، فلامعنى محصل لما ذكره، ولو أنه رحمته قال: إنها عبارة عن نقل تلك الإضافة وانتقالها كان له وجه. ومنها: ما أفاده: من أنه إنما يلزم انقلاب الدعوى فيما نحن فيه بالإقرار لو كان المسلمون ورثة له صلوات الله وسلامه عليه.

وفيه: أنه إنما يتم لو كان إنشاء الدعوى على الميت إنشاء لها على ورثته، وأن مدعي دين على الميت مدع على الورثة عرفاً.

وهو ممنوع؛ لعدم الدليل على عموم تنزيل الوارث مقام المورث ونيابته عنه في جميع شؤونه؛ ليشمل مثل ذلك، مع أن الدعوى المذكورة دعوى على الميت عرفاً؛ لأنه

١ - النساء (٤): ٧.

٢ - بحار الأنوار ١٦: ٩٥ / ٢٩ و ٢٦٠ / ٤٩.

متصور عندهم، ولذا لو نذر شخص شيئاً لشخص آخر فوات، فإنه لا ينقلب المنذور له؛ بأن يصير المنذور له هو الوارث، وليس ذلك إلا لأجل عدم عموم التنزيل. ومنها: ما يظهر من كلامه عليه السلام: من عدم انقلاب الدعوى في الفرض ولو مع إنكار أبي بكر لدعواها عليه السلام النحلة.

فإنه أيضاً ممنوع؛ وذلك لأنه كما أن الأصل السبي مع ترتب الأثر الشرعي عليه مقدّم على الأصل المسببي، وينتفي معه موضوع الأصل المسببي؛ لأنه ينقح بالأصل السبي موضوع دليل اجتهادي حاكم على الأصل المسببي، فكذلك فيما نحن فيه بالنسبة إلى الدعويين، فإن إقرارها عليه السلام بأن فداً كانت ملكاً لرسول الله ﷺ، يوجب انقلاب دعوى الملكية وصيرورتها مدّعية لانتقاله منه ﷺ إليها عليه السلام، ومع إنكار الخليفة لذلك، وفرض ترتب الأثر عليه - على فرض صحة الرواية عنه ﷺ: (ما تركناه صدقة)<sup>(١)</sup> - يلزم أن يكون القول قوله، ويلزمه حكم الحاكم به، ويثبت كونه ملكاً له ﷺ، ويعمّه قول: (ما تركناه صدقة)، وينتفي بذلك موضوع الدعوى الأخرى؛ يعني دعواها عليه السلام الملكية، نظير ما لو ادّعى شخص على الميت ديناً، وأنكره الوارث، وحلف أنه ليس له على الميت دين، وحكم الحاكم بذلك، فإنه يثبت حينئذٍ أنه من تركه الميت، وتشمله الأدلة الاجتهادية الدالة على أن كل ما تركه الميت من مال أو حق فهو لوارثه.

وينتفي به موضوع دعوى أخرى: هي أن دعوى الوارث ملكيته له تحتاج إلى الحكومة فيها، نعم لو فرض عدم ترتب الأثر على الدعوى الأولى - التي هي بمنزلة الأصل السبي، كدعوى الوارث انتقاله إلى ثالث أجنبي ومنه إليه؛ لعدم دليل اجتهادي يدل على أنه لو لم يكن لأجنبي فهو للمدعي - تصل النوبة إلى الحكومة في الدعوى

١ - صحيح مسلم ٤: ٢٧ / ٤٩، سنن البيهقي ٦: ٢٩٩ باب بيان مصرف أربعة أخماس الفيء.

الثانية التي هي كالأصل المسببي، فتأمل جيداً.  
فالحق في الجواب عن الإشكال ما تقدّم بيانه.

### الأمر الثامن : في فروع العلم بسابقة اليد

لاريب في اعتبار اليد وأماريتها فيما لو لم يعلم عنوانها سابقاً، وأنها كانت مالكية أو لا، وأما لو لم تكن كذلك، فإن علم بأنها كانت سابقاً عادية وغاصبة، أو يد إعاره أو إجارة أو يد وقف؛ لكونه متولياً عليه، ففيه مقامات ثلاثة من البحث:  
المقام الأول : ما لو علم بأنها كانت سابقاً عادية، لكن احتمل ملكيته للعين فعلاً، فالظاهر عدم الإشكال في أنها ليست أمانة على الملكية؛ لعدم بناء العقلاء على الاعتماد عليها وإن ادعى ذو اليد ملكيتها فعلاً.

المقام الثاني : ما لو علم بأنها كانت سابقاً يد إعاره أو إجارة ، فهو يتصور على وجوه: لأنه إما أن تقترن يده بدعوى الملكية فعلاً، أو بفعل ما هو ظاهر في الملكية من التصرفات، أو لا تقترن بواحد منها، وعلى أيّ تقدير: إما أن يدعي أحد في مقابله ملكيته من أجنبي أو مالكة السابق أو ليس في مقابله من يدعي الملكية، وعلى أيّ تقدير: فالكلام إما قبل رفع الأمر إلى الحاكم، وإما بعده، وأن وظيفة الحاكم ما هي؟

فالأول : وهو ما لو علم بأن يده مسبوقه بيد عارية أو إجارة، ولا يدعي ذو اليد ملكيته أيضاً فعلاً، ولم يعمل فيها ما هو ظاهر في الملكية من التصرفات، فلا شك في أنها ليست أمانة على الملكية عند العقلاء، ولا في قصور الأدلة الشرعية عن شمولها لمثل هذا المورد؛ من غير فرق بين وجود من يدعي الملكية وعدمه.

والثاني : ما لو ادعى ذو اليد الملكية، أو صدر منه ما هو ظاهر في الملكية من التصرفات، مع وجود من يدعي الملكية في مقابله، ففي اعتبار اليد فيه وأماريتها - عند

العرف والعقلاء - على الملكية وعدمها وجهان .

الثالث : ما لو علم أنَّ يده كانت سابقاً يد عارية أو إجارة، وادَّعى هو ملكيته فعلاً، أو تصرّف فيه بما هو ظاهر في الملكية، ولكن ليس في مقابله من يدّعيها، فقتضى عبائرتهم هو عدم اعتبار اليد فيه؛ حيث إنَّهم ذهبوا إلى عدم أماريتها مع العلم بعنوانها سابقاً، وأنَّها كانت غير مالكية؛ من دون تفصيلهم بين الصور المذكورة، وبنائهم على العمل باستصحاب حال اليد سابقاً<sup>(١)</sup>.

قال بعض الأعاضم - الميرزا النائيني قدس سره - ما حاصله : إنَّ اليد إنَّما تكون أمانة على الملكية إذا جهل حالها السابق وكونها غير معنونة بعنوان الإجارة أو الإعارة، ومقتضى استصحاب حال اليد تعنونها بعنوان الإجارة أو الغصب، فلا تكون كاشفة عن الملكية، ولا سبيل إلى دعوى حكومة اليد على الاستصحاب بتوهم : أنَّ اليد أمانة على الملكية ، فلا يبقى موضوع للاستصحاب، فإنَّ اليد إنَّما تكون أمانة على الملكية لو جهل حالها السابق، فقابلها أي اليد التي علم حالها السابق، وأنَّها إجارة أو إعارة، فالاستصحاب رافع لموضوعها<sup>(٢)</sup>. انتهى.

أقول : ما ذكره من أنَّ اعتبار اليد إنَّما هو فيما لم تُعلم حالتها السابقة لمقابله هي اليد التي علم كونها يد إجارة أو إعارة سابقاً، لا المعنونة بعنوان الإجارة أو الإعارة واقعاً، كما أفاده قدس سره.

وكيف كان إن أراد أنَّ اليد إنَّما تكون يد إعارة مع عدم تعنونها بعنوان الإجارة أو الإعارة واقعاً وفي نفس الأمر، وأنَّ ما وقع في صدر كلامه مسامحة في التعبير، وحينئذٍ فيستصحب ذلك العنوان مع الاشتباه.

ففيه : أنَّ مرجع ذلك أنَّ اليد أمانة للملكية إذا كانت مالكية، لا يد إجارة

١ - أنظر فرائد الأصول : ٤٠٩ سطر ١٢ ، نهاية الأفكار (القسم الثاني) ٤ : ٢٢ .

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٦٠٤ - ٦٠٥ .

ونحوها، وهو كما ترى.

وإن أراد أن اليد إنما تعتبر مع الجهل بها، وأما مع العلم بها؛ بأن علم أنها يد إجارة أو إعارة، فهي غير معتبرة، وأن المساحة في ذيل عبارته، فالمانع عن حجيتها هو العلم بالإجارة، لا واقعها، كما هو ظاهر كلامه.

ففيه : أنه إن أراد أنه ليس للعقلاء البناء على العمل بقاعدة اليد أو عدم حجيتها في هذه الصورة، وأن بناءهم عليها إنما هو مع الجهل بها، فليس ذلك لأجل الاستصحاب، بل لقصور دليل اعتبار اليد عن الشمول لهذا المورد.

وإن أراد استقرار بنائهم على أمارية اليد على الملكية، لكن الاستصحاب في هذه الصورة رادع عن بنائهم المذكور.

ففيه : ما تقدّم : من أن مثل دليل الاستصحاب وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup>، غير صالح للردعية عن ذلك؛ لعدم الشك - بل الظن أيضاً - عند العقلاء مع وجود اليد، فلامعنى للاستصحاب مع عدمه.

مضافاً إلى أن الموضوع لعدم اعتبار اليد إن كان هو العلم بالإجارة ونحوها، فلا ينقح ذلك الموضوع بالاستصحاب؛ لعدم إفادته العلم، فلا ينقح به موضوعه، ولا يقوم مقامه.

نعم لو فرض بناء العقلاء على الاستصحاب وأنّ اعتباره لذلك - كما هو مذهب العامة<sup>(٢)</sup>، وذهب إليه بعض الخاصة من المتقدمين<sup>(٣)</sup> - وأنّ الدليل على اعتبار اليد هو قوله عليه السلام: (من استولى على شيء فهو له)<sup>(٤)</sup>، لا بناء العقلاء، فلما ذكره من تقدّم

١ - النجم (٥٣) : ٢٨ .

٢ - المحصول ٢ : ٥٥٩ .

٣ - نهاية الوصول : ٥٨٣ سطر ٢٣ .

٤ - تهذيب الأحكام ٩ : ٣٠٢ / ١٠٧٩ ، وسائل الشيعة ١٧ : ٥٢٥ . كتاب الفرائض

الاستصحاب على اليد وجه، لكنّ المبنائين المذكورين ممنوعان، فإنّ الدليل على اعتبار الاستصحاب هو الأخبار، والدليل على أماريّة اليد هو بناء العقلاء، فالاستصحاب حجة شرعيّة لا عقلائيّة، والأصل الشرعي لا يقوم مقام العلم الموضوعي في محيط العقلاء.

واحتال أنّ الدليل على اعتبار اليد هو قوله <sup>عليه السلام</sup> : (من استولى على شيء فهو له) فلا بدّ من تقييده: فإنّما أن يقيّد بعدم كونها إجارة أو إعارة واقعاً، فهو احتمال بدوي؛ لما عرفت من أنّه لا معنى محصّل له؛ لرجوعه إلى أنّ اليد إنّما تعتبر إذا كانت مالكيّة. وإن كانت مقيدة بصورة عدم العلم بأنّها عارية أو عادية؛ فإنّما أن يراد به تقييد الموضوع؛ بأن يقال: اليد المقيدة بعدم العلم بأنّها عارية أو عادية أمانة على الملكية، فيحتاج إلى قيام دليل يدلّ على ذلك.

وإنّما أن يراد أنّ العلم بالخلاف غاية للحكم بأماريّة اليد على الملكية، كما يدلّ عليه حكم العقل بذلك؛ لأنّ حجّته الأمارات إنّما هي مع عدم العلم بالخلاف وفي موارد الشكّ، فهو لا يختصّ باليد، بل جميع الأمارات كذلك. بقي احتمال ثالث: وهو أنّها ليست مقيدة بهذا ولا ذاك، بل المراد أنّ الاستيلاء على شيء أمانة على الملكية بنحو الإطلاق، وهو كما ترى.

لكن تقدّم: أنّ الدليل على اعتبار اليد هو بناء العقلاء، والأخبار الواردة فيها إمضاء لبنائهم، وليست تأسيسيّة.

والتحقيق: هو اعتبار اليد في هذه الصورة، وأنّها أمانة على ملكيّة ذي اليد مع دعواه الملكية؛ لبناء العقلاء على ذلك إذا لم يعارضه مدّع آخر لها، ومجرّد سبقها بالإجارة والإعارة لا يضرّ بذلك.

ولكن هل هو لأجل أنه مدّع بلا معارض، أو لأجل يده عليه المقترنة بدعوى الملكية؟

وجهان، أظهرهما الثاني .

فالحكم بملكيته إنما هو لأجل استيلائه المقترن بدعوى الملكية، أو دعواه الملكية المقترنة بالاستيلاء عليه.

وتظهر الثمرة فيما لو ادّعه شخص آخر: فإن كان المدّعي هو المالك الأول، فلا تظهر الثمرة بين الوجهين في عدم اعتبار اليد معه.

وأما لو ادّعه أجنبي: فإن كان الحكم بالملكية لأجل أنّ ذا اليد مدّع بلا معارض، يلزم عدم اعتبار يده حينئذٍ للمعارضة، وعلى الوجه الآخر فهي معتبرة، فالأجنبي حينئذٍ مدّع وذو اليد منكر عند العرف والعقلاء.

الرابع: لو ادّعى على ذي اليد أجنبي ملكية ما في يده، مع دعوى ذي اليد ملكيته أيضاً، فالظاهر اعتبار يده.

الخامس: لو ادّعى مالك العين سابقاً ملكيته ما في يد غيره فعلاً، فلا شك في عدم اعتبار يده حينئذٍ.

هذا كله قبل رفع الأمر إلى الحاكم، ويظهر حكم ما بعد رفعه إليه ممّا تقدّم؛ لأنّ المدّعي لما في يد الغير إن كان غير مالكة السابق فعلية البيّنة؛ لأنّه مدّع وذو اليد منكر، وإن كان هو مالكة السابق، فحيث إنّ لا اعتبار لليد فيه حينئذٍ فهو مدّع والآخر منكر، فمع عدم البيّنة للمدّعي ينتزع الحاكم العين من يده، ويعطيها للمالكة الأول.

المقام الثالث: لو علم أنّ العين التي تحت يده وقف فهو على وجهين:

أحدهما: ما لو علم أن ما تحت يده وقف وكونه متولياً عليه، وأنّ يده كانت يد تولية، لكن احتمال عروض المسوّغ لبيع الوقف، وأنّه اشتراه.



ثانيهما : ما لو لم يعلم أنّ يده كانت على الوقف، وعلم بوقفيّتها قبل يده واستيلائه عليها، واحتمل عروض المسوّغ لبيعه قبل استيلائه عليها، وأنّه اشتراها. وأنّ الاستيلاء عليها بعد زوال وقفيّتها بالبيع استيلاء مالكيّاً ابتداءً. وأمّا لو لم يعلم بوقفيّتها سابقاً، بل احتمل ذلك، فلا إشكال في اعتبار يده عليها، مع دعواه الملكية أو تصرفه فيها بما هو ظاهر في الملكية. لكن ظاهر كلام بعض الأعظم - الميرزا النائيني <sup>(١)</sup> - عدم اعتبارها في هذا القسم أيضاً، ولا أظنّ أن يلتزم به، ولعلّ الاشتباه في التقرير. وأمّا الوجهان الأوّلان فقد نقل <sup>(٢)</sup> عن السيّد <sup>(٣)</sup> - في ملحقات العروة - التفصيل بينهما: باعتبارها في الثاني دون الأوّل.

وقال الميرزا النائيني - على ما في تقارير درسه - في وجه اعتبارها في الثاني: إنّ العلم بوقفيّتها قبل استيلاء ذي اليد عليها، كالعلم بملكيّتها للغير قبله، لا أثر له في مقابل اليد، فإنّه ليس في البين إلّا استصحاب بقاء الوقفيّة، وهو كاستصحاب بقاء المال على ملكيّة الغير محكوم باليد.

وقال في وجه عدم اعتبارها في الأوّل : إنّ مقتضى استصحاب بقاء وقفيّتها ذلك وهو مقدّم على اليد <sup>(٣)</sup>.

والتحقيق هنا ما أشرنا إليه سابقاً : من أنّ المرجع والمحكّم في الأمارات العقلانيّة هو بناء العقلاء لا الأصول والقواعد الشرعيّة، فلا بدّ من ملاحظة بنائهم على اعتبارها في كلا الوجهين أولاً.

فنقول : لا يختصّ الوقف بشريعة الإسلام، بل لا يختصّ بسائر الشرائع أيضاً، بل

١ - فوائد الأصول ٤ : ٦٠٦.

٢ - أنظر نهاية الأفكار (القسم الثاني) ٤ : ٢٥، فوائد الأصول ٤ : ٦٠٦.

٣ - فوائد الأصول ٤ : ٦٠٦ - ٦٠٧.

هو معمول به وواقع في جميع الملل التي لا يلتزمون بدين وبشريعة، فهو كالبيع والإجارة ونحوهما واقع بين جميع الطوائف. نعم يحتمل جعله ابتداءً في شريعة من الشرائع، ثم تعارف بين جميع الناس والطوائف، فالوقف أمر عقلائي والمسوَّغ لبيعه؛ إمّا معدوم عند العقلاء، ولا مسوَّغ لبيعه عندهم، والثابت منه في شرع الإسلام أيضاً في غاية القلّة والندرة، فإن كثيراً من المسوّغات التي ذكرها محل إشكال ومنع.

وإمّا نادر وقليل جداً على فرض ثبوته عندهم، فلو تصرف أحد في المال المسبوق بالوقفية تصرفاً مالكيّاً يعترض عليه العقلاء.

وبالجملة: مع ثبوت أصل وقفية مال سابقاً فاليد عليه غير معتبرة عند العقلاء؛ سواء قلنا بعدم ثبوت المسوَّغ لبيعه عندهم، أم قلنا بثبوته لديهم نادراً بحيث يلحق بالمعدوم؛ لأن اعتبار اليد إمّا هو لحصول الظن النوعي والثوق بالملكية، وإمّا لأجل الغلبة، والظن بالوقفية في صورتين أقوى من الظن بالملكية، وقد عرفت أن الغالب في الوقف البقاء على الوقفية عند العقلاء؛ لندرة مسوّغات بيع الوقف على فرض ثبوتها عندهم.

فالأقوى عدم اعتبار اليد في كلتا صورتين، وهو مختار الميرزا النائيني رحمته وإن لا يخلو بيانه عن الاختلال والإشكال؛ حيث إنّه يظهر من صدر كلامه رحمته: أن اليد إمّا هي أمانة على الملكية في المال الذي قابل للنقل والانتقال طبعاً واقعاً وفي نفس الأمر، وهو موضوع أمارية اليد على الملكية.

ثم ذكر في أثناء كلامه ما يحتمل ذلك وغيره؛ ممّا هو ظاهر ذيل كلامه، فإنّه ذكر في الآثناء: أن اليد أمانة على أن المال قد انتقل من مالكه الأول بأحد أسباب النقل والانتقال على سبيل الإجمال، وذلك بعد الفراغ عن أن المال قابل للنقل والانتقال، والوقف ليس كذلك، فإنّه يحتمل أن يريد رحمته من قبوله للنقل والانتقال هو قبوله واقعاً، ويحتمل أن يريد إحراز ذلك بالأصول والقواعد، وذكر: أن استصحاب عدم

طرو ما يسوّغ بيع الوقف يقتضي سقوط اليد عن الاعتبار.

ويظهر من ذيل كلامه : أنّ المعتبر في قاعدة اليد إحراز كون الملك قابلاً للنقل والانتقال؛ حيث أورد على نفسه بالنقض باحتمال الحرمة في عبد يريد شراءه، مع أنّه ورد ما يدلّ على عدم سماع دعوى الحرّية<sup>(١)</sup>.

وأجاب عنه : بالفرق بينه وبين ما نحن فيه؛ للعلم بوقفية المال قبل استيلاء ذي اليد عليه، بخلاف العبد، فإنّه لم تعلم حرّيته قبل استيلاء ذي اليد عليه، نعم الأصل في الإنسان هو الحرّية، ولكنّه فيما لم يستول عليه ذو اليد، وأمّا معه فلا يجري هذا الأصل<sup>(٢)</sup>. انتهى حاصله.

أقول : إن أراد ماهو ظاهر صدر كلامه - من أنّ موضوع قاعدة اليد هو قبول المال للنقل والانتقال واقعاً - يلزم عدم اعتبار اليد في الموارد المشتبهة والمشكوكة له واقعاً؛ لأنّها شبهة مصداقية لقاعدة اليد، لا يصحّ الاستناد إليها فيها، ولا أظنّ أن يلتزم هوئيّاً به.

وإن أراد ماهو ظاهر ذيل كلامه : من أنّ المعتبر إحراز قابليّته للنقل والانتقال بالقواعد والأصول لا واقعاً.

يرد عليه : ما تقدّم سابقاً في المقام الثاني : من أنّ الاستصحاب لا يعارض بناء العقلاء على اعتبار اليد، ولا يصلح للرادعية عنه؛ إذ ليس الموضوع لقاعدة اليد إلّا الشكّ في الملكية، لا الملك القابل للانتقال أو إحراز ذلك، ولا مجال هنا للاستصحاب أصلاً.

فالحقّ : هو ما عرفت من أنّه لا بدّ من ملاحظة بناء العقلاء على الاعتماد على

١ - تهذيب الأحكام ٧ : ٧٤ / ٣١٧ و ٣١٨، وسائل الشيعة ١٣ : ٣٠، كتاب التجارة، أبواب

بيع الحيوان، الباب ٥.

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٦٠٦ - ٦٠٩.

اليد أو عدمه في أمثال ذلك، والحقّ عدم ثبوت بنائهم على الاعتماد عليها في أمثال ذلك.

ثمّ إنّه قد تقدّم - في أوائل هذا البحث - روايتان تدلّان على عدم قبول دعوى الحرّية من عبد أو جارية وقعا في معرض البيع والشراء، إلّا أن يقيما البيّنة على مدّعاهما، ولكنّه غير مرتبط بالمقام؛ لعدم العلم بالحرّية سابقاً، بل ولا الشكّ فيها، بل موضوع الحكم فيها: هو المملوك من عبد أو جارية وقعا في معرض البيع فادّعى الحرّية، وهو غير ما لو شكّ في المملوكيّة ابتداء؛ ليكون موضوع ذلك الحكم الشكّ في ذلك، فتأمّل جيّداً.

### الأمر التاسع: الشهادة على الملكيّة اعتماداً على اليد

هل تجوز الشهادة على الملكيّة اعتماداً على اليد، أو لا، وهكذا في موارد مؤدّي الأمارات والأصول ؟

فالمقول عن المشهور بين القدماء : هو الجواز<sup>(١)</sup> وإن ناقش فيه صاحب الجواهر<sup>(٢)</sup>.

وعن المشهور بين المتأخّرين : عدم الجواز<sup>(٣)</sup>.

ولابدّ أولاً من نقل الروايات الواردة في باب الشهادة، ثمّ استظهار الجواز أو عدمه منها، وهي على فرقتين :

الفرقة الأولى : ما تدلّ على اعتبار العلم الوجداني الجازم - الذي لا يحتمل الخلاف - في جواز الشهادة كالشمس في رابعة النهار، وأنّها لا تجوز بدون ذلك، مثل

١ - الخلاف ٢ : ٦١١، السرائر ٢ : ١٣٠، المهذب ٢ : ٥٦١، الكافي في الفقه : ٤٣٧.

٢ - جواهر الكلام ٤١ : ١٤٠ - ١٤٧.

٣ - كفاية الأحكام : ٢٨٤ سطر ٨.

ما رواه الكليني رحمته الله : عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن حسان، عن إدريس بن الحسن، عن علي بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (لا تشهدن بشهادة حتى تعرفها كما تعرف كفك) <sup>(١)</sup>.

وهي ضعيفة السند، ولا جابر لها؛ لما عرفت من نقل الشهرة بين القدماء على خلافها.

ومثل مرسلته المحقق في الشرائع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال - وقد سئل عن الشهادة -: قال (هل ترى الشمس؟ على مثلها فاشهد أو دغ) <sup>(٢)</sup>.

ونقلها في عوالي اللآلي بدون كلمة «هل» <sup>(٣)</sup>، ولا يصح الاعتماد عليها لإرسالها ولو عن المحقق رحمته الله، نعم لو كان قد عبر: بأنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أمكن الاعتماد عليها، لكنه نقلها بقوله: وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما الفرقة الثانية: فتدل على اشتراط العلم بدون اعتبار عدم احتمال الخلاف ونحوه، مثل ما رواه الكليني رحمته الله عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، قال: كتب إليه جعفر بن عيسى: - الظاهر أنه الحسين بن سعيد اليعقوبي والضمير في «إليه» راجع إلى الرضا عليه السلام - جعلت فداك جاءني جيران لنا بكتاب زعموا أنهم أشهدوني على ما فيه، وفي الكتاب اسمي بخطي قد عرفت، ولست أذكر

١ - الكافي ٧ : ٣٨٣ / ٣، تهذيب الأحكام ٦ : ٢٥٩ / ٦٨٢، وسائل الشيعة ١٨ : ٢٥٠، كتاب الشهادات، أبواب الشهادات، الباب ٢٠، الحديث ١.

٢ - شرائع الإسلام ٤ : ١٢١، وسائل الشيعة ١٨ : ٢٥٠، كتاب الشهادات، أبواب الشهادات، الباب ٢٠، الحديث ٣.

٣ - عوالي اللآلي ٣ : ٥٢٨ / ١، مستدرک الوسائل ١٧ : ٤٢٢، كتاب الشهادات، أبواب الشهادات، الباب ١٥، الحديث ٢.

الشهادة، وقد دعوني إليها، فأشهد لهم على معرفتي أن اسمي في الكتاب، ولست أذكر الشهادة، أو لاتجب الشهادة عليّ حتى أذكرها، كان اسمي في الكتاب بخطّي أو لم يكن؟ فكتب: (لاتشهد)<sup>(١)</sup>.

ومثل ما رواه عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (قال رسول الله ﷺ: لاتشهد بشهادة لاتذكرها، فإنّه من شاء كتب كتاباً، ونقش خاتماً)<sup>(٢)</sup>.

ومثل رواية «دعائم الإسلام»<sup>(٣)</sup>، وفيها: أنّه عليه السلام قال: (لاتشهد حتى تعلم أنّك قد أشهدت؛ قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾)<sup>(٤)</sup> في جواب السائل عن جيرانه الذين زعموا أنّهم أشهدوه، ولعلّ نظر صاحب «دعائم الإسلام» - في الاستدلال بهذه الآية - إلى هذه الرواية، وإلا فالآية أجنبية عن المقام؛ لأنّ المراد منها الشهادة في الأمور الاعتقاديّة، والرواية غير معتبرة أيضاً.

ومثل رواية زرارة: قال: (لاتشهد بما لا تعلم)<sup>(٥)</sup>، وهي أيضاً ضعيفة.

ومثل رواية الفقيه عن محمد بن الحسن الصفّار، رفعه إلى أبي محمد الحسن بن عليّ عليه السلام في رجل أراد أن يشهد على امرأة ليس لها بمحرم، هل يجوز أن يشهد عليها من وراء الستر، ويسمع كلامها، إذا شهد عدلان: أنّها فلانة بنت فلان التي تشهدك،

١ - الكافي ٧ : ٣٨٢ / ٢، تهذيب الأحكام ٦ : ٢٥٩ / ٦٨٤، وسائل الشيعة ١٨ : ٢٣٥، كتاب

الشهادات، أبواب الشهادات، الباب ٨، الحديث ٢.

٢ - الكافي ٧ : ٣٨٣ / ٤، تهذيب الأحكام ٦ : ٢٥٩ / ٦٨٣، وسائل الشيعة ١٨ : ٢٣٥، كتاب

الشهادات، أبواب الشهادات، الباب ٨، الحديث ٤.

٣ - دعائم الإسلام ٢ : ٥١٥ / ١٨٤٧، مستدرک الوسائل ١٧ : ٤٢٢، كتاب الشهادات، أبواب

الشهادات، الباب ١٥، الحديث ١.

٤ - الزخرف (٤٣) : ٨٦.

٥ - مستدرک الوسائل ١٧ : ٤١٤، كتاب الشهادات، أبواب الشهادات، الباب ٥، الحديث ٦.

وهذا كلامها، أو لا تجوز الشهادة عليها حتى تبرز ويبينها بعينها؟

فوقَع عَلَيْهِ : (تتنقّب وتظهر للشهود إن شاء الله).

وقال في الفقيه : (هذا التوقيع عندي بخطّه)<sup>(١)</sup>.

وفي قبالها ما رواه في الفقيه أيضاً عن عليّ بن يقطين، عن أبي الحسن الأول عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: (لا بأس بالشهادة على إقرار المرأة وليست بمسفرة، إذا عُرفت بعينها، أو يحضر من عرفها، ولا يجوز عندهم أن يشهد الشهود على إقرارها دون أن تُسفر، فينظر إليها)<sup>(٢)</sup>، وهي حاكمة على الأولى، وقرينة على أنّ الأولى صدرت تقيّة؛ لموافقتها للعامة، خصوصاً مع كونها مكاتبة.

وهذه الروايات كما ترى تدلّ على اعتبار العلم في الشهادة من دون اعتبار الجرم والقطع؛ بحيث لا يَحْتَمِلُ الخلاف، كالشمس في رابعة النهار.

إذا عرفت ذلك فاعلم : أنّ الفرقة الأولى من الروايات تدلّ على اعتبار العلم القطعي الجازم في موضوع الشهادة، لكنّها لا تصلح للاعتدال عليها؛ لضعفها بحسب السند وعدم الجابر له، لكن على فرض تسليم أنّ الموضوع لجواز الشهادة هو ذلك لهذه الروايات، هل تقوم الأمارات والأصول مقامه في جواز الشهادة بمؤدّاها أو لا؟ فيه قولان :

ذهب بعض الأعظم إلى الأوّل؛ لأنّ المأخوذ في موضوع الشهادة في الروايات وإن كان هو العلم الوجداني الجازم، لكن مقتضى أدلّة الأمارات تنزيلها منزلة العلم بتنزيل المؤدّي، أو تنزيل الشكّ منزلة اليقين، أو بتستيم الكشف، وحينئذٍ فتقوم

١ - الفقيه ٣ : ٤٠ / ١٣٢ .

٢ - الفقيه ٣ : ٤٠ / ١٣١ ، وسائل الشيعة ٢٧ : ٤٠١ ، كتاب الشهادات ، أبواب الشهادات ،

الباب ٤٣ ، الحديث ١ .

مقامه<sup>(١)</sup>.

وفيه ما لا يخفى؛ لما عرفت وتقدّم غير مرّة: أنّ الدليل على اعتبار جُلّ الأمارات، بل كلّها - مثل خبر الواحد واليد وأصاله الصّحّة ونحوها - هو بناء العقلاء. وأمّا الأخبار - مثل (العمرى ثقتي)<sup>(٢)</sup>، ومثل (ضع أمر أخيك على أحسنه)<sup>(٣)</sup>، ونحو ذلك - فليس مدلوله حجّيّة خبر الواحد وأصاله الصّحّة كما عرفت، وتوضيح الكلام في ذلك في محلّه.

وكذلك قوله عليه السلام: (من استولى على شيء فهو له)<sup>(٤)</sup> ليس المراد الحكم باعتبار اليد، بل هو إمضاء لبناء العقلاء على العمل بها. وأمّا اعتبار التعدّد في البيّنة على الموضوعات أو الشهادة في باب القضاء، فهو تحديد وتضييق لدائرة الأمر العقلائي، لا أنّه تأسيس لحكم جديد، وحيث إنّ فلا بدّ من ملاحظة بنائهم في العمل بالأمارات وأنّه هل هو مسبوق عندهم بتنزيلها منزلة العلم أولاً، وبنائهم على أنّها علم تعبداً، ثمّ العمل بها، أو أنّه ليس كذلك؟ لا شكّ في أنّه ليس لهذا التنزيل عندهم عين ولا أثر، بل الثابت هو مجرد البناء على العمل بها.

فبناء على اعتبار العلم الجازم في موضوع جواز الشهادة لا تقوم الأمارات

١ - أنظر فوائد الأصول ٣: ٢٩ - ٣٠.

٢ - الكافي ١: ٢٦٥ / ١، وسائل الشيعة ١٨: ٩٩، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ٤.

٣ - الكافي ٢: ٢٦٩ / ٣، وسائل الشيعة ٨: ٦١٤، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الباب ١٦١، الحديث ٣.

٤ - تهذيب الأحكام ٩: ٣٠٢ / ١٠٧٩، وسائل الشيعة ١٧: ٢٥٢، كتاب الفرائض والموارث، أبواب ميراث الأزواج، الباب ٨، الحديث ٣.



والأصول مقامه، ولا تجوز الشهادة على الملكية بقيام الأمانة - مثل اليد ونحوها - عليها، لكن عرفت: أن الأخبار الدالة على اعتبار العلم القطعي الجازم غير معتبرة بحسب السند.

وأما الفرقة الثانية منها: الدالة على اعتبار العلم بنحو الإطلاق في موضوع جواز الشهادة، فبناء عليها هل تقوم الأمارات مقامه أو لا؟

وجهان، أوجهها الأول، لا لما ذكره بعض المحققين - الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمته - من تنزيل الأمارات منزلة العلم<sup>(١)</sup>، بل لما ذكرنا: من أن المراد من العلم في الأخبار - الواردة في الأحكام بل الموضوعات - هو الحجة المعتمدة، كما يظهر ذلك بالتبعية في موارد استعماله، مثل قولهم عليه السلام: (العلماء ورثة الأنبياء)<sup>(٢)</sup>، وأن العلم ثلاثة، وقولهم عليه السلام: (من أفتى بغير علم)<sup>(٣)</sup>، فإن المراد من العلم فيها هو الحجة؛ إذ من المعلوم أنه ليس المراد منه العلم الضروري؛ لأن المستند في الفقه اما ظاهر الكتاب، أو السنة، وكلاهما لا يفيدان العلم القطعي.

وكذا في الموضوعات مثل قوله عليه السلام في أخبار الاستصحاب: (لا ينتقض اليقين بالشك، ولكن ينتقضه يقين آخر)<sup>(٤)</sup>، ولذا لا إشكال في اعتبار البيّنة لو قامت على طهارة الثوب المسبوق بالنجاسة، ولا يعدّ نقضاً لليقين بالشك وكذلك في خبر الجبن:

١ - أنظر نهاية الدراية ٢ : ١٩ - ٢١ سطر ٢٦ .

٢ - الكافي ١ : ٢٤ / ٢ .

٣ - الكافي ٧ : ٤٠٩ / ٢ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٩ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٤ ، الحديث ١ .

٤ - تهذيب الأحكام ١ : ٨ / ١١ ، وسائل الشيعة ١ : ١٧٤ ، كتاب الطهارة ، أبواب نواقض الوضوء ، الباب ١ ، الحديث ١ .

(كلّ ما كان فيه حلال وحرام فهو لك حلال حتّى تعرف الحرام بعينه)<sup>(١)</sup>.  
وفي روايته الأخرى : (الأشياء كلّها على هذا حتّى يجيء الشاهدان على خلافه)<sup>(٢)</sup>.

وكذلك الأخبار الواردة في لباس المصلّي<sup>(٣)</sup>، وأنّه يعتبر العلم بعدم كونها من الميتة، ومن المعلوم عدم اعتبار العلم الوجداني في ثبوت التذكية، ولذا يكفي فيها سوق المسلمين ويد المسلم.

وبالجملة : لا يخفى على المستبّع أن العلم المأخوذ في موضوعات الأحكام في الأخبار وغيرها، وكذلك المأخوذ في نفس الأحكام، لا يراد منه العلم القطعي الجازم، بل معنى أعمّ، يعمّ الأمارات المعتمدة، عكس ما ذكره المحقّق المذكور: من قيام الأمارات مقامه في تلك الموارد، فالمدعى هو أنّ المراد من العلم فيها هو الحجّة، ولذا ورد في رواية حفص المتقدمة: جواز الشهادة على الملكية بمجرد اليد والاستيلاء، وكذلك في جواز الشهادة على مؤدّى الاستصحاب، كما سيجيء نقلها؛ كيف ولو اعتبر العلم الوجداني في جواز الشهادة، ولم يكفّ قيام الأمارات على طبقها، لانسدّ باب الشهادة، واختلّ أمر القضاء، فإنّه قلما يتفق حصول العلم القطعي الجازم بملكيّة شخص لما في يده واقعاً.

ويدلّ على ما ذكرناه: ما رواه محمد بن يعقوب، عن حمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن عليّ بن النعمان، عن حمّاد بن عثمان، عن عمر بن يزيد، قال:

١ - الكافي ٦ : ٣٣٩ / ١ ، وسائل الشيعة ١٧ : ٩٠ ، كتاب الأطعمة والأشربة، أبواب الأطعمة المباحة ، الباب ٦١ ، الحديث ١.

٢ - الكافي ٦ : ٣٣٩ / ٢ ، وسائل الشيعة ١٧ : ٩١ ، كتاب الأطعمة والأشربة، أبواب الأطعمة المباحة ، الباب ٦١ ، الحديث ٢.

٣ - وسائل الشيعة ٣ : ٢٤٩ ، كتاب الصلاة، أبواب لباس المصلّي، الباب ١.

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يُشهدني على شهادة فأعرف خطي وخاتي، ولا أذكر من الباقي لا قليلاً ولا كثيراً؟

قال: فقال: (إذا كان صاحبك ثقة ومعه رجل ثقة فاشهد له) <sup>(١)</sup>.

وهي معمول بها، إلا الجملة الأخيرة منها.

وكذلك الأخبار الواردة في جواز الشهادة بالاستصحاب، مثل رواية معاوية بن وهب، قال: قلت له: يسألني الرجل يكون في داره، ثم يغيب ثلاثين سنة، ويدع فيها عياله، ثم يأتيها هلاكه، ونحن لاندري ما أحدث في داره، ونحن لاندري ما أحدث له من الولد إلا أننا لا نعلم أنه أحدث في داره شيئاً، ولا حدث له ولد، ولا تقسم هذه الدار على ورثته الذين ترك في الدار، حتى يشهد شاهداً عدل: أن هذه الدار دار فلان بن فلان، مات وتركها ميراثاً بين فلان وفلان، أفشهد على هذا؟

قال: (نعم)، الخبر.

مضافاً إلى أن جواز الشهادة أيضاً من الآثار الشرعية لليقين السابق، فعلى القول بأن المراد من قوله عليه السلام: (لا ينقض...) إلى آخره، وجوب ترتيب آثار اليقين السابق، فمن آثاره هو جواز الشهادة على طبقه وإن لم نقل بأن مفاده الحكم بإطالة عمر اليقين، كما زعمناه سابقاً.

هذا تمام الكلام في قاعدة اليد.

١ - الكافي ٧: ٣٨٢ / ١، وسائل الشيعة ١٨: ٢٣٤، كتاب الشهادات، أبواب الشهادات،

الباب ٨، الحديث ١.

٢ - الكافي ٧: ٣٨٧ / ٤، تهذيب الأحكام ٦: ٢٦٢ / ٦٩٨، وسائل الشيعة ١٨: ٢٤٦، كتاب

الشهادات، الباب ١٧، الحديث ٢.



## المبحث الثاني

### حال الاستصحاب مع قاعدتي التجاوز والفراغ

ولا إشكال في تقدّمهما على الاستصحاب، وإنّما الإشكال في وجه تقدّمهما، وأنّه لأجل حكومتهما عليه، أو لزوم لغويّتهما لولا تقدّمهما عليه، وحيث إنّ البحث عن القاعدتين من المباحث المهمّة، لا بأس بصرف عنان الكلام في تفصيل الأمور المبحوث عنها فيها، وقبل الشروع في ذلك لابدّ من بيان ماهو المدرك لهما، وبيان الأخبار الواردة فيها، فنقول وبه نستعين:

#### حول الأخبار التي تستفاد منها القاعدة الكلّيّة

روى الشيخ رحمته الله بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن صفوان عن ابن بكير، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (كلّما شككت فيه ممّا قد مضى فأَمْضِه كما هو)<sup>(١)</sup>.

---

١ - تهذيب الأحكام ٢ : ٣٤٤ / ١٤٢٦ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣٣٦ ، كتاب الصلاة، أبواب الخلل الواقع في الصلاة ، الباب ٢٣ ، الحديث ٣ .

لا إشكال في عمومها للصلاة وغيرها من المركبات المستقلة وعدم اختصاصها بالصلاة، بل الظاهر شمولها لأجزاء الصلاة وغيرها من الأعمال الغير المستقلة أيضاً؛ لصدق مدخول كل عليها، فهذه صحيحة سنداً، وواضحة دلالة، وعمامة لجميع الأفعال المستقلة وغيرها.

وبإسناده عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حماد بن عيسى، عن حريز بن عبدالله، عن زرارة قلت لأبي عبدالله عليه السلام: رجل يشك في الأذان وقد دخل في الإقامة؟

قال: (يمضي).

قلت: رجل شك في الأذان والإقامة وقد كبر؟

قال عليه السلام: (يمضي).

قلت: رجل شك في التكبير وقد قرأ؟

قال: (يمضي).

قلت: شك في القراءة وقد ركع؟

قال: (يمضي).

قلت: شك في الركوع وقد سجد؟

قال: (يمضي على صلاته).

ثم قال: (يازرارة إذا خرجت من شيء ثم دخلت في غيره فشككت ليس

بشيء)<sup>(١)</sup>، وفي نسخة الوافي: (فشككتك ليس بشيء)<sup>(٢)</sup> بدل «فشككت».

وهذه الرواية مع صحة سندها تشمل جميع الأفعال المركبة وغيرها، المستقلة

١ - وسائل الشيعة (الطبع الحجري) ١: ٥٢٦، سطر ٢٦.

٢ - الوافي ٢: ١٤١ السطر الأخير.

وغيرها، وذكر الموارد المسؤول عنها لا يصلح قرينة لاختصاص الذيل بأجزاء الصلاة، خصوصاً مع وقوع السؤال عن جميع أجزاء الصلاة، ولهذا اتفقوا على عدم اختصاص الاستصحاب بالوضوء<sup>(١)</sup>، مع أن السؤال في مورد روايتي زرارة - اللتين هما العمدة في دليل الاستصحاب - هو خصوص الوضوء.

ويأسنده عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن إسماعيل بن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: (إن شك في الركوع بعدما سجد فليمض، وإن شك في السجود بعدما قام فليمض، كل شيء شك فيه ممّا قد جاوزه ودخل في غيره فليمض عليه).

هكذا نقلها في الوسائل<sup>(٢)</sup>، وفي مواضع أخر منه - مثل أبواب السجود - عن أبي عبدالله<sup>(٣)</sup>، مع ظهور أنها رواية واحدة، ونقلها في الوافي كذلك<sup>(٤)</sup>، والظاهر أنه الصحيح دون الأول، والأمر سهل.

وهذه الرواية أيضاً عامّة شاملة للأعمال المستقلة وغيرها.

وعن المفيد عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن عبدالكريم بن عمرو، عن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إذا شككت في شيء من الوضوء وقد

١ - فرائد الأصول: ٣٣٠ سطر ٩، كفاية الأصول: ٤٤٢، نهاية الأفكار (القسم الأول) ٤: ٤٢،

درر الفوائد: ٥١٩ - ٥٢٠.

٢ - تهذيب الأحكام ٢: ١٥٣ / ٦٠٢، وسائل الشيعة ٤: ٩٣٧، كتاب الصلاة، أبواب الركوع، الباب ١٣. الحديث ٤.

٣ - وسائل الشيعة ٤: ٩٦٨، كتاب الصلاة، أبواب السجود، الباب ١٤، الحديث ١.

٤ - الوافي ٢: ١٤٢ سطر ٤.

دخلت في غيره، فليس شكك بشيء، إنما الشك إذا كنت في شيء لم تجزئه<sup>(١)</sup>. وهذه الرواية تشمل بإطلاقها جميع الأعمال المركبة المستقلة وغيرها، وتدل على حصر اعتبار الشك فيما إذا لم تجز محل المشكوك.

وبإسناده عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن أبان بن عثمان، عن بكير بن أعين قال: قلت له: الرجل يشك بعدما يتوضأ؟

قال: (هو حين يتوضأ أذكر منه حين يشك)<sup>(٢)</sup>.

ويستفاد منها أن تمام الموضوع للحكم بعدم اعتبار الشك هو الأذكريّة، ومن المعلوم - بمناسبة الحكم والموضوع عرفاً - عدم الخصوصية للوضوء في ذلك؛ أي الأذكريّة، كما لا دخل للتعبديّة فيها عرفاً، بل يفهم منها عرفاً أن أجزاء كل مركّب كذلك. فهذه الرواية أيضاً مما يستفاد منها القاعدة الكلّيّة في جميع المركّبات وأجزائها لو ترتّب أثر شرعيّ عليها.

ونظير هذه الرواية ما رواه الصدوق رحمته الله بإسناده عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (إذا شك الرجل بعدما صلى؛ فلم يدر أثلاثاً صلى أم أربعاً، وكان يقينه حين انصرف أنه كان قد أتم، لم يعد الصلاة، وكان حين انصرف أقرب إلى الحقّ منه بعد ذلك)<sup>(٣)</sup>.

يمكن تطبيقها على قاعدة اليقين، مع قطع النظر عن ذيلها، لكن قوله عليه السلام في

١ - تهذيب الأحكام ١ : ١٠١ / ٢٦٢ ، وسائل الشيعة ١ : ٣٣٠ ، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء،

الباب ٤٢ ، الحديث ٢.

٢ - تهذيب الأحكام ١ : ١٠١ / ٢٦٥ ، وسائل الشيعة ١ : ٣٣١ ، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء،

الباب ٤٢ ، الحديث ٧.

٣ - الفقيه ١ : ٢٣١ / ١٠٢٧ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣٤٣ ، كتاب الصلاة، أبواب الخلل الواقع في

الصلاة ، الباب ٢٧ ، الحديث ٣.



ذيلها: (حين انصرف...) إلى آخره، يدفع هذا الاحتمال؛ لأنه يستفاد منها أن المناط هو الأقربية، فلا تحمل إلا قاعدة الفراغ والتجاوز.

وقال الصدوق رحمته الله في «الهداية»: قال الصادق عليه السلام: (إنك إن شككت أن لم تؤذن وقد أقمت فامض، وإن شككت في الإقامة بعد ما كبرت فامض، وإن شككت في القراءة بعد ما ركعت فامض، وإن شككت في الركوع بعدما سجدت فامض، وكل شيء شككت فيه وقد دخلت في حالة أخرى فامض، ولا تلتفت إلى الشك إلا أن تستيقن)<sup>(١)</sup>.

وهذه وإن احتمل أنها هي رواية زرارة، لكنه لا يمنع عن التمسك بالكليّة المذكورة في ذيل هذه الرواية.

وقال في «المقنع»: ومتى شككت في شيء وأنت في حال أخرى فامض، ولا تلتفت إلى الشك<sup>(٢)</sup>. انتهى.

ولا يبعد استفادة هذا الحكم من روايتي الفضيل وزرارة عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: (متى استيقنت أو شككت في وقت فريضة أنك لم تصلّها، أو في وقت فوتها أنك لم تصلّها، صليتها، وإن شككت بعدما خرج وقت الفوت، وقد دخل حائل، فلا إعادة عليك من شك حتى تستيقن، فإن استيقنت فعليك أن تصلّيها في أيّ حالة كنت)<sup>(٣)</sup>.

قوله عليه السلام: (في وقت فوتها) يعني وقت الفضيلة بقرينة الذيل، وقوله عليه السلام: (صليتها) أمر بإتيانها، فيمكن أن يستفاد منها أن السرّ والنكته في عدم الاعتناء

١ - الهداية، ضمن الجوامع الفقهية: ٥٢ سطر ١٢.

٢ - المقنع، ضمن الجوامع الفقهية: ٣ سطر ١٧.

٣ - الكافي ٣: ٢٩٤ / ١٠، وسائل الشيعة ٣: ٢٠٥، كتاب الصلاة، أبواب المواقيت، الباب ٦٠،

الحديث ١.

بالشك هو وجود الحائل، وحينئذ فقاعدة الشك بعد الوقت ليست قاعدة أخرى برأسها سوى قاعدة الفراغ والتجاوز.

والحاصل : أنه يستفاد من هذه الأخبار : عدم اعتبار الشك في الشيء أو أجزائه بعد التجاوز عن محله بنحو الكليّة، لو ترتّب عليه أثر شرعيّ - سواء كان في العبادات أم المعاملات - إلا أن يدلّ دليل خاصّ على خروج شيء من هذه الكليّة. إذا عرفت ذلك فهنا جهات من البحث :

### الجهة الأولى : هل الكبرى المجعولة في القاعدتين واحدة أو متعددة؟

اختلفوا في أنّ الكبرى المجعولة في قاعدتي الفراغ والتجاوز واحدة، وأنّ الاختلاف إنما هو في المصاديق، أو متعدّدة بملاكين أو ملاك واحد<sup>(١)</sup>.

ولا إشكال في إمكان اتّحادهما في مقام الثبوت، وعدم امتناعه: من جهة عدم الجامع، ولزوم اجتماع المتنافيين، أو اللحاظين من الكليّة والجزئية، أو من جهة أنّ مورد قاعدة التجاوز هو الشك في وجود الجزء بنحو مفاد «كان» التامّة: بخلاف مورد قاعدة الفراغ، أو من جهات أخرى ذكرها الميرزا النائيني والمحقّق الاصفهاني قوله<sup>(٢)</sup>. وبالجملة : الإشكال في إمكان اتّحادهما من جهة عدم الجامع بينهما ضعيف جداً.

أما أولاً : فإنه إنّما يلزم لو أخذ جميع الخصوصيات الشخصية للأفراد في موضوع الحكم فيها، كالجزء بما أنّه جزء، والكلّ بما أنّه كلّ وغير ذلك، وليس كذلك، بل الموضوع في القاعدة هو الشيء بما أنّه شيء، فكلّمًا صدق عليه عنوان الشيء فهو

١ - فرائد الأصول : ٤١٤ سطر ٦، حاشية الفرائد، المحقّق الخراساني : ٢٣٧ سطر ٢٤، نهاية الأفكار (القسم الثاني) : ٤ : ٣٧.

٢ - فوائد الأصول : ٤ : ٦٢٠ - ٦٢١، حاشية الفرائد، المحقّق الاصفهاني : ١٠٨ سطر ٢١.

محكوم بهذا الحكم.

وأما ثانياً : فلأن اجتماع الحافظين ونحوه إنما يلزم لو كان الحكم المجعول فيها بيان وإطلاق واحد، وأما لو جعل الحكم فيها بإطلاقات متعددة فلا يلزم هذا المحذور في مقام الثبوت؛ بأن تكفلت بعضها جعل قاعدة الفراغ، وبعضها الآخر قاعدة التجاوز، وإن يلزم منه تعددهما في مقام الثبوت، لكن المقصود عدم توجه هذه الإشكالات والوجوه التي ذكروها لبيان عدم إمكان وحدتها في مقام الثبوت.

هذا، وهنا إشكال على القول بتعددهما : وهو أن أصالة الصحة - كما يستفاد من كلام الشيخ الأعظم رحمته <sup>(١)</sup> - عبارة عن جعل الشارع أمانة أو قاعدة أو أصلاً تعبدية على الصحة فيما لو شك في صحة الشيء وفساده، أو فيما لو شك بعد الفراغ من العمل؛ في أنه هل أتى بالمأمور به جامعاً للشرائط والأجزاء أو لا؟ وعلى أي تقدير لا معنى لجعل الحكم بالصحة أو الأمانة عليها؛ لوجهين :

الوجه الأول : أن الصحة والفساد أمران انتزاعيّان، منتزعان عقلاً من موافقة المأتي به للمأمور به وعدمها، وعلى أي حال فهما مما لاتناهما يد الجعل والوضع، ولا يعقل جعل الصحة في المقام؛ لأنه إما أن يبقى الجزء والشرط على جزئيته وشرطيته، فجعل الصحة أو وجوب البناء عليها بدون التصرف في جزئية الجزء وشرطيته الشرط، مستحيل.

وإما أن لا يبقيا على الجزئية والشرطيّة بالتصرف فيها بإسقاطهما عن الجزئية والشرطيّة في صورة فقد الجزء أو الشرط، وحينئذ ينتزع الصحة من المأتي به الفاقد للجزء أو الشرط، من دون افتقار إلى جعل الصحة بعد ذلك.

الوجه الثاني : أنه يلزم لغوية جعل قاعدة الفراغ وأصالة الصحة بعد جعل

قاعدة التجاوز؛ لأنَّ الشكَّ في الصَّحَّة والفساد في كلِّ مركَّب، مسبَّب عن الشكَّ في أنَّه هل أتى بالجزء أو الشرط أو القاطع والمانع أو لا؟ وحينئذٍ تجري قاعدة التجاوز، ومقتضاها الصَّحَّة، ففي جميع موارد قاعدة الفراغ والصَّحَّة تجري قاعدة التجاوز، ومقتضاها الصَّحَّة في مرتبة متقدِّمة على مرتبة قاعدتي الفراغ والصَّحَّة، فجعلها لغوً لا يترتَّب عليها أثر، فلا يحتاج إليها لانتزاع صحَّة الصلاة من جريان قاعدة التجاوز في الأجزاء والشرائط؛ لأنَّ الأصل السببي رافع للشكَّ المسببي.

إلَّا أن يقال: إنَّ بين موارد القاعدتين عموماً من وجه لتصادقهما وانطباقهما فيما لو شكَّ في صحَّة الصلاة بعدها، الناشئ عن الشكَّ في الإتيان بالجزء مثلاً.

وافتراق قاعدة التجاوز عن قاعدة الفراغ: فيما لو شكَّ في أثناء الصلاة في الإتيان بجزء من أجزائها وعدمه، بعد التجاوز عن محله، ولمَّا يفرغ من الصلاة.

وافتراق قاعدة الفراغ عن قاعدة التجاوز في موردين:

أحدهما: ما لو شكَّ في صحَّة الصلاة - مثلاً - وفسادها؛ من جهة احتمال الإخلال بشرط أو وصف أو إيجاد مانع بعد الصلاة، فإنَّه تجري فيه قاعدة الفراغ دون قاعدة التجاوز؛ لاختصاصها بالأجزاء.

وثانيهما: فيما لو شكَّ في الجزء الأخير للمركَّب، مع عدم تقوُّمه به، كالسلام مع كونه جالساً بعد الصلاة، فإنَّه تجري فيه قاعدة الفراغ بالنسبة إلى الصلاة، دون قاعدة التجاوز.

هذا، ولكنه فاسد:

أمَّا المورد الأوَّل: فلا وجه لعدم جريان قاعدة التجاوز في الشرائط والأوصاف والموانع، فإنَّ الشرط والوصف - كأداء الحروف من مخارجها - الاعتبارين في الصلاة، ممَّا لها محلٌّ مقرَّر من طرف الشارع في الصلاة، فمع التجاوز عن ذلك المحلِّ يصدق قوله ﷺ: (إذا خرجت من شيء وشككت فيه...) إلى آخره، وكذلك المانع

والقاطع، فلو شك في قول «آمين» بعد الحمد تشمله الرواية.  
وعلى فرض تسليم أنه ليس في أخبار قاعدة التجاوز لفظ يشمل ذلك،  
فلاريب في استفادة ذلك من سياقها عرفاً، ولأنه من المعلوم عدم الخصوصية للأجزاء  
في ذلك الحكم عرفاً.

وأما المورد الثاني : ففيه أن الجزء الأخير للمركب وإن لم يكن مقوّماً له -  
كالسلام بالنسبة إلى الصلاة؛ لصدق الصلاة بدونه، غاية الأمر أنها صلاة ناقصة - لكن  
لاريب في أنه ما لم يأت به المصلي وهو جالس مستقبل القبلة، يصدق أنه مشغول بها،  
ولم يفرغ بعد عنها عقلاً وعرفاً، فلو شك في تلك الحال في الإتيان به وعدمه، فهو  
شبهة مصداقية لقاعدة الفراغ، فلا تجري، كما لا تجري قاعدة التجاوز فيه.

وقد يقال في وجه تعدّد القاعدتين : إنه يعتبر في قاعدة التجاوز الدخول في  
الغير، دون قاعدة الفراغ، ومقتضى ذلك هو تعددهما، فلو شك المصلي بعد الإتيان  
بالجزء الأخير من الصلاة - أي السلام - في مراعاة صفة الجزء الأخير، أو في ماهو من  
شرائط جميع أجزاء الصلاة - أي مجموعها - كالستر، وهو جالس بهيئة المصلي، تجري  
فيه قاعدة الفراغ، دون قاعدة التجاوز؛ لعدم الدخول في الغير المعتبر فيها.  
وفيه أولاً : أن التحقيق عدم اعتبار الدخول في الغير في قاعدة التجاوز أيضاً،  
كما سيجيء إن شاء الله تعالى.

وثانياً : على فرض تسليم اعتبار ذلك فيها فهو لما في رواية زرارة ونحوها من  
قوله عليه السلام : (إذا خرجت من شيء ودخلت في غيره)، وهذا النحو من التعبير واقع في  
أخبار قاعدة الفراغ بنحو أكد، كرواية زرارة، وفيها : (فإذا قمت من الوضوء وفرغت  
منه، وقد صرت في حال أخرى في الصلاة أو في غيرها، فشككت في بعض ما

سمى الله ممّا أوجب الله عليك وضوءه، لا شيء عليك<sup>(١)</sup>.

ورواية ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام: (إذا شككت في شيء من الوضوء وقد دخلت في غيره، فليس شكك بشيء)<sup>(٢)</sup>، فلو دلّ ذلك على اعتبار الدخول في الغير في قاعدة التجاوز، دلّ على اعتباره في قاعدة الفراغ أيضاً، فلا فرق بينهما في ذلك.

وقال الفقيه الهمداني رحمه الله في وجه تعدّد القاعدتين: إنّ قاعدة الفراغ قاعدة سيّالة سارية في جميع الأبواب من العبادات والعقود والإيقاعات حتّى في الحدود والقضاء، بخلاف قاعدة التجاوز، فإنّها إمّا تختصّ بالصلاة، أو تعمّ الغسل والتميم أيضاً لو لم يلحقا بالوضوء<sup>(٣)</sup>.

وفيه: أنّ ذلك مجرّد دعوى تحتاج إلى الدليل عليه، فإنّ العمومات والإطلاقات في الروايات المتقدمة لقاعدة التجاوز تشمل جميع المركّبات، إلّا أن يقوم دليل خاصّ على الخلاف والمخرج منها، يختصّ تلك العمومات أو يقيد تلك المطلقات، وليس لنا دليل خاصّ لفظي، ولا لبّي كالإجماع فيما سوى الوضوء، ولذا قال في «الجواهر» في باب الوضوء: وربّما احتمل اختصاص مورد هذه الأخبار بالصلاة؛ لاقتضاء سياقها ذلك، وهو ضعيف جدّاً، بل هي قاعدة سارية محكمة في الصلاة وغيرها من الحجّ والعمرة وغيرها، نعم هي مخصّصة بالوضوء؛ لخروجه منها؛ لما سمعته من الأدلّة، فوجب الاقتصار عليه، ولا يتعدّى منه في هذا الحكم إلى الغسل مثلاً، وهو باقٍ على

١ - الكافي ٣: ٣٣ / ٢، تهذيب الأحكام ١: ١٠٠ / ٢٦١، وسائل الشيعة ١: ٣٣٠، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، الباب ٤٢، الحديث ١.

٢ - تهذيب الأحكام ١: ١٠١ / ٢٦٢، وسائل الشيعة ١: ٣٣٠، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، الباب ٤٢، الحديث ٢.

٣ - أنظر حاشية المحقّق الهمداني على الرسائل: ١٠٩ سطر ٢٧.

القاعدة من عدم الالتفات إلى الشك في شيء من أجزائه<sup>(١)</sup>. انتهى.  
فلو أنّ ذلك خلاف الإجماع أو الشهرة لما أفتى به مثل صاحب الجواهر<sup>(٢)</sup>، كما هو دأبه في أكثر المسائل.

هذا كله لو قلنا: إنّ قاعدة الفراغ هي أصالة الصحة في فعل نفسه بعينها، ولو قلنا: إنّها غيرها مجعولة في باب الشك في صحة الصلاة - مثلاً - بعد الفراغ منها، بخلاف قاعدة التجاوز، فإنّها مجعولة للشك في أجزاء الصلاة قبل الفراغ منها، فهي حينئذٍ غير قاعدة الفراغ.

وفيه: أنّه - بناء على هذا الوجه - وإن يرتفع بعض الإشكالات المتقدمة، كإشكال حكومة قاعدة التجاوز على قاعدة الفراغ، لكن الإشكال الآخر باقٍ على حاله؛ من حيث عدم الافتقار إلى جعل قاعدة الفراغ لخصوص الشك بعد الفراغ، وعدم قصور العمومات المتقدمة - في روايات قاعدة التجاوز - عن الشمول لما بعد الفراغ عن العمل.

فتلخص من جميع ما ذكرناه: أنّ القاعدتين واحدة، بل قاعدة الشك بعد الوقت أيضاً ليست قاعدة أخرى، بل هي أيضاً قاعدة التجاوز بعينها، بل وكذلك الشك بعد السلام، فإنّ جميع هذه القواعد قاعدة واحدة، لها ملاك واحد هو التجاوز عن المحل؛ لأنّ قوله عليه السلام: (كلّ شيء شك فيه ممّا قد مضى)<sup>(٣)</sup> ونحوه في الأخبار المتقدمة يحتمل بحسب مقام تصوّر وجوهاً:

الأوّل: أنّ المراد كلّ شيء شك في صحّته بعد إحراز أصل وجوده.  
الثاني: أنّ المراد الشك في صحّته من قبل الشك في وجود جزء أو شرط ونحوه.

١ - جواهر الكلام ٢: ٣٥٥.

٢ - تقدّم تخريجه.

الثالث : أنَّ المراد الشكَّ فيه نفسه؛ أي في وجوده.  
 أمّا الاحتمال الأوّل : فقد عرفت عدم إمكانه عقلاً، مضافاً إلى الشواهد الآتية -  
 من الأخبار - على عدم إرادة ذلك.  
 وأمّا الاحتمال الثاني : فهو - على فرض عدم رجوعه إلى الأوّل - من قبيل  
 الأكل من القفا، فهو خلاف الظاهر جداً.  
 وأمّا الاحتمال الثالث فهو المتعيّن، كما هو ظاهر صدر رواية زرارة وإسماعيل  
 بن جابر، وإن كان ظاهر ذيلها خلاف ذلك، وهو قوله عليه السلام : (إذا خرجت من شيء ثم  
 دخلت في غيره)<sup>(١)</sup>، لكن الصدر صالح للقرينة على التصرّف في الذيل، مضافاً إلى ما  
 عرفت من عدم إمكان إرادة الشكَّ في الصّحة.  
 وتدلّ عليه أيضاً رسالة الصدوق عليه السلام المتقدّمة في «الهداية»، قال: (إن شككت  
 أن لم تؤذّن...) إلى آخره، فإنّه كالصرّيح في إرادة الشكَّ في وجود الأذان، لا في صحّته،  
 وهو قرينة على إرادة ذلك من الفقرات التي بعده وإن احتمل وجه آخر فيها، لكنّها  
 أيضاً ظاهرة في الشكَّ في الوجود.  
 ويؤيّد ما في الفقه الرضوي عليه السلام : (ولا تلتفت إلى الشكَّ إلّا أن تستيقن، فإنك  
 إن استيقنت أنّك تركت الأذان...) <sup>(٢)</sup> إلى آخره.  
 ورواية محمد بن منصور، قال: سألت عن الذي ينسى السجدة الثانية من الركعة  
 الثانية، أو شكَّ فيها؟  
 فقال: (إذا خفت ألا تكون وضعت وجهك إلّا مرّة واحدة...) <sup>(٣)</sup> الخبر، فإنّه

١ - تهذيب الأحكام ٢ : ٣٥٢ / ١٤٥٩ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣٣٦ ، كتاب الصلاة ، أبواب الخلل  
 الواقع في الصلاة ، الباب ٢٣ ، الحديث ١ .  
 ٢ - الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا : ١١٦ .  
 ٣ - تهذيب الأحكام ٢ : ١٥٥ / ٦٠٧ ، الاستبصار ١ : ٣٦٠ / ٦ ، وسائل الشيعة ٤ : ٩٧٠ .



ظاهر - بل صريح - في الشك في وجود السجدة وتحققها، وحينئذ فهنا قاعدة كئيية هي عدم اعتبار الشك في وجود الشيء بعد التجاوز عن محلّه، ويشمل الشك في أصل الإتيان بالصلاة بعد الوقت أيضاً؛ لأنّه من أفراد تلك الكئيية، فليس هو قاعدة أخرى.

### الجهة الثانية: حول جريان القاعدة في الطهارات الثلاث

قال الشيخ الأعظم رحمته : قد خرج عن الكئيية المذكورة أفعال الطهارات الثلاث، فإنّهم أجمعوا على أنّ الشك في فعل من أفعال الوضوء قبل إتمام الوضوء، يأتي به وإن دخل في فعل آخر منه <sup>(١)</sup>.

وأما الغسل والتميم فقد صرح بذلك فيهما بعضهم على وجه يظهر أنّه من المسلّمات، وقد نصّ على الحكم في الغسل جمع ممّن تأخّر عن المحقّق، كالعلامة وولده والمحقّق الثاني رحمته <sup>(٢)</sup>، ونصّ غير واحد من هؤلاء على أنّ التيمم كذلك <sup>(٣)</sup>، وكيف كان، فستند الخروج - قبل الإجماع - الأخبار الكثيرة المخصّصة للقاعدة المتقدّمة.

إلا أنّه يظهر من رواية ابن أبي يعفور أنّ الحكم المذكور في الوضوء من باب القاعدة ومقتضاها، لا أنّه خارج عنها، وهي قوله عليه السلام : (إذا شككت في شيء من الوضوء وقد دخلت في غيره، فليس شكك بشيء، إنّما الشك إذا كنت في شيء لم

→ كتاب الصلاة، أبواب السجود، الباب ١٤، الحديث ٦.

١ - قواعد الأحكام : ١٢ سطر ٨، اللعة الدمشقيّة ١ : ٣٠ سطر ٢٣، جامع المقاصد ١ : ٢٣٧، مفتاح الكرامة ١ : ٢٩٢ سطر ١٧.

٢ - تحرير الأحكام : ١١ سطر ١٣، قواعد الأحكام : ١٢ سطر ٨، إيضاح الفوائد ١ : ٤٣، جامع المقاصد ١ : ٢٣٧.

٣ - جامع المقاصد ١ : ٢٣٧.

تجزئه<sup>(١)</sup> بناءً على عود ضمير غيره إلى الموضوع؛ لئلا يخالف الإجماع، وحينئذٍ فقولُه **عَلَيْهِ** : (إنما الشك...) إلى آخره، مسوق لبيان قاعدة الشك المتعلق بجزء من أجزاء العمل، وإنما يعتبر الشك إذا كان مشغلاً به غير متجاوز عنه.

هذا، ولكن الاعتماد على ظاهر ذيل الرواية مشكل؛ لأنّه يقتضي - بظاهر الحصر - عدم اعتبار الشك الواقع في غسل اليد - باعتبار جزء من أجزائه - إذا جاوزه.

مضافاً إلى أنّه معارض للأخبار السابقة فيما لو شكّ في جزء من أجزاء الموضوع، بعد الدخول في جزء آخر منه، قبل الفراغ من الموضوع...

إلى أن قال: ويمكن أن يقال لدفع جميع ما في الخبر من الإشكال: إنّ الموضوع بتمامه - في نظر الشارع - فعل واحد باعتبار وحدة مسببه - أي الطهارة - فلا يلاحظ كلّ فعل بحاله حتّى يصير مورداً لتعارض هذا الخبر مع الأخبار السابقة، وبه يندفع الإشكال الأول أيضاً، وليس حكم الموضوع حينئذٍ مخالفاً للقاعدة؛ إذ الشكّ في أجزاء الموضوع قبل الفراغ، ليس إلّا شكّاً واقعاً في الشيء قبل التجاوز عنه.

وفرض الموضوع فعلاً واحداً؛ لا يلاحظ حكم الشكّ بالنسبة إلى أجزائه، ليس أمراً غريباً، فقد ارتكب المشهور مثله في الأخبار السابقة بالنسبة إلى أفعال الصلاة<sup>(٢)</sup>؛ حيث لم يُجروا حكم الشكّ بعد التجاوز في كلّ جزء من أجزاء القراءة حتّى الكلمات والحروف، بل أظهر في الفاتحة أنّها فعل واحد، بل جعل بعضهم القراءة فعلاً واحداً<sup>(٣)</sup>، وقد عرفت النصّ في الروايات على عدم اعتبار الهويّ للسجود والنهوض

١ - تهذيب الأحكام ١ : ١٠١ / ٢٦٢، وسائل الشيعة ١ : ٣٣٠، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء.

الباب ٤٢، الحديث ٢.

٢ - السرائر ١ : ٢٤٩، شرائع الإسلام ١ : ١٠٤، المعتمد ٢٣١ سطر ١٥، مدارك الأحكام ٤ : ٢٤٩.

٣ - مدارك الأحكام ٤ : ٢٤٩، وقد نسب المحقق ذلك إلى الشيخ، راجع المعتمد ٢٣١ سطر ١٥.

للقيام.

ومّا يشهد لهذا التوجيه : إلحاق المشهور الغسل والتيمم بالوضوء<sup>(١)</sup>؛ إذ لا وجه له ظاهراً إلا ملاحظة أنّ الوضوء فعل واحد، يطلب منه أمر واحد هي الطهارة<sup>(٢)</sup>. انتهى كلامه.

أقول : لا بدّ أولاً من بيان ما يبدو للنظر في المقام، ثمّ التعرّض لما أفاده الشيخ<sup>(٣)</sup>، وما يرد عليه من الإشكال.

فنقول : روى الشيخ<sup>(٤)</sup> عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن أحمد بن إدريس وسعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر<sup>(٥)</sup>، قال: (إذا كنت قاعداً على وضوئك، فلم تدرِ أغسلت ذراعيك أم لا، فأعد عليهما وعلى جميع ما شككت فيه أنّك لم تغسله أو تمسحه؛ ممّا سمّى الله، مادمت في حال الوضوء، فإذا قمت من الوضوء، وفرغت منه، وقد صرت في حال أخرى في الصلاة أو في غيرها، فشككت في بعض ما سمّى الله؛ ممّا أوجب الله عليك فيه وضوءه لا شيء عليك فيه، فإن شككت في مسح رأسك، فأصبت في لحيتك بللاً، فامسح بها عليه)<sup>(٦)</sup> الخبر.

وقوله<sup>(٧)</sup> : (ممّا سمّى الله عليك) يراد به الفرائض التي فرضها الله في الكتاب المجيد بقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾<sup>(٨)</sup>، دون ما ثبت وجوبه بالسنة النبوية<sup>(٩)</sup>، نظير ما ورد

١ - قواعد الأحكام : ١٢ سطر ٨، جامع المقاصد : ١ : ٢٣٧.

٢ - فرائد الأصول : ٤١٢ - ٤١٣.

٣ - تهذيب الأحكام : ١ : ١٠٠ / ٢٦١، وسائل الشيعة : ١ : ٣٣٠، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء،

الباب ٤٢، الحديث ١.

٤ - المائدة (٥) : ٦.

في أخبار حكم الشكوك: أن الأولتين من كل صلاة مما فرضه الله ليس فيها السهو، دون الأخيرتين الثابتين بالسنة النبوية ﷺ<sup>(١)</sup>، فهذه الرواية إنما تدل على خروج غسل اليدين والوجه ومسح الرأس والرجلين عن القاعدة المذكورة، وأما أوصاف الوضوء وشرائطه وشرائط الماء الذي يتوضأ به ونحو ذلك، فلا تدل الرواية على خروجها، فهي باقية تحت القاعدة.

وأما رواية ابن أبي يعفور فالضمير في «غيره» فيها راجع إلى الشيء المذكور فيها، كما هو الظاهر أيضاً، وهو مطلق يمكن تقييده بما دلت رواية زرارة على خلافه، وهو الشك في غسل اليدين والمسحتين، وأما غير ذلك - مما عرفت من الأوصاف المعتمدة في الوضوء وشرائطه - فهو باقٍ تحت القاعدة؛ لعدم الدليل على خروجه، كما أن الغسل والتيمم كذلك؛ لعدم دليل يعتد به على خروجها عنها.

فتلخص: أنه لا إشكال في رواية ابن أبي يعفور إلا تقييدها بغير ما سمي الله تعالى من أجزاء الوضوء، ولا إشكال فيه، مع ندرة وقوع الشك فيه.

وأما ما أفاده الشيخ الأعظم ﷺ: من اعتبار الوضوء والغسل والتيمم عند الشارع فعلاً واحداً، فلا دليل على ذلك، بل الدليل على خلافه؛ من آية الوضوء، ورواية زرارة المتقدمة، وموثقة ابن أبي يعفور، فإنه فرض فيها للوضوء أجزاء، وأنه مركب منها.

فالحق: أن خروج الوضوء عن القاعدة لما ذكرناه، ولا وجه لإلحاق الغسل والتيمم به؛ لأن الوجه فيه: إما ما ذكره ﷺ من اعتبارهما شيئاً واحداً بسيطاً، وقد عرفت حاله.

وأما دعوى: قصور روايات قاعدة التجاوز عن شمولها لغير أجزاء الصلاة.

١ - وسائل الشيعة ٥ : ٢٩٩ ، كتاب الصلاة ، أبواب الخلل الواقع في الصلاة ، الباب ١ .

ففيه : أنّك قد عرفت : عدم قصور العمومات والإطلاقات الواردة فيها عن شمولها.

وأما دعوى : بدليّة التيمّم عن الوضوء، فهو محكوم بحكمه.  
ففيها أولاً : أنّ مقتضاه التفصيل بين التيمّم الذي هو بدل عن الوضوء، وما هو بدل عن الغسل؛ إلحاق الأول بالوضوء، دون الثاني.  
وثانياً : أنّه لا دليل على تنزيل التيمّم الذي هو بدل عن الوضوء، منزلته في جميع أحكامه وآثاره .

مضافاً إلى أنّه يمكن الاستدلال ببعض الروايات على أنّ الغُسل باقٍ تحت قاعدة التجاوز جريانها فيه، مثل رواية حريز، عن زرارة - بناءً على نقل الكافي - عن أبي جعفر عليه السلام، قال : قلت له : رجل ترك بعض ذراعيه أو بعض جسده في غسل الجنابة؟

فقال : (إذا شكّ ثمّ كانت به بِلّةٌ، وهو في صلاته، مسح بها عليه، وإن كان استيقن رجوع وأعاد عليه الماء ما لم يصب بِلّةً، فإن دخله الشكّ وقد دخل في حال أخرى، فليمضِ في صلاته)<sup>(١)</sup>.

قوله عليه السلام في الجملة الأولى : (مسح بها عليه) ظاهرٌ في الاستحباب، مضافاً إلى أنّ قاعدة التجاوز جارية في الغُسل إذا شكّ في أثناء الصلاة، والمقصود استثناءه فيما لو شكّ قبل الفراغ من الغسل.

وقوله عليه السلام في الجملة الثالثة : (وقد دخل في حال أخرى) فقد نقل في الوسائل - في باب (٤١) من أبواب غسل الجنابة - (في صلاته) بدل (في حالة أخرى)<sup>(٢)</sup>.

١ - الكافي ٣ : ٣٣ / ٢ .

٢ - وسائل الشيعة ١ : ٥٢٤، كتاب الطهارة، أبواب الجنابة، الباب ٤١ ، الحديث ٢ .

وحينئذٍ لا دلالة في الرواية على ما نحن فيه وبصده، لكن نقل الكافي أضبط من الوسائل، فالظاهر أن نسخة الوسائل اشتباه منه عليه السلام أو من النسخ.

مضافاً إلى استلزامه التكرار بعد ظهور الأولى في الاستصحاب، وحينئذٍ فقولته عليه السلام: (في حال أخرى) أعم من الصلاة وغيرها، فيشمل إطلاقها ما لو شك في غسل الجانب الأيمن بعد دخوله في الأيسر.

وأما دعوى الإجماع والشهرة على إلحاق الغسل والتيمم بالوضوء، فهي في غير محلها مع عدم وقوع المسألة مورد البحث قبل زمان المحقق.

### الجهة الثالثة: أن المراد من المحل هو المحل الشرعي

قد عرفت أن المراد من المضي والتجاوز عن الشيء هو التجاوز عن محله، فهل المراد هو خصوص المحل الشرعي الذي جعله الشارع محلاً له، فإن لكل كلمة من القراءة، بل لكل حرف من حروفها، محلاً معيّناً عند القراء، فأمر الشارع بالقراءة أمر بها في محلها، كما هو عند القراء، ووضع كل كلمة وحرف منها في محلها المقرر عندهم، أو أنه الأعم منه ومن المحل الشخصي العادي، كما لو فرض أن عاداته التوالي في غسل أعضاء الغسل، أو غسل المحل، والاستبراء عقيب البول، أو الأعم منه ومن العادي النوعي، كما لو فرض اعتياد نوع الناس غسل الأعضاء في الغسل متوالياً وجوه:

أما الوجه الثالث - أي المحل النوعي العادي - : فإن أريد منه ما هو كذلك نوعاً وإن كان عادة هذا الشخص على خلافها، كما أن المراد من الظن النوعي ما يفيد الظن لأكثر الناس وإن لم يحصل لذلك الشخص، فهو أسوأ حالاً من اعتبار المحل الشخصي؛ لأنه لا ريب في اعتبار المحل الشرعي في المقام، فالقول بإلحاق المحل الشخصي بالشرعي أولى من إلحاق المحل النوعي به؛ لأن قولته عليه السلام: (هو حين يتوضأ أذكر منه حين يشك)، لا يراد منه المحل النوعي العادي؛ وإن جرت عادة هذا الشخص على

خلافه، ولم يكن هو شخصه أذكر، كما لا يخفى.  
فما اختاره في «الدرر» - من اعتبار المحلّ العادي النوعي<sup>(١)</sup> - : فهو إمّا لأجل  
الأذكريّة، ففيه ما عرفت: من أنّه بناء عليه فالمحلّ الشخصي أولى بالإنحاق والاعتبار  
من النوعي.

وإمّا لدعوى شمول العمومات والإطلاقات له.  
فهي ممنوعة ، فإنّه لا يعدّ محلاً له عند الشارع.  
وإمّا لأجل دعوى تقديم الظاهر على الأصل، فهو أيضاً ممنوع.  
وأما المحلّ الشخصي بحسب عادة شخص هذا المكلف ، كما لو اعتاد الإتيان  
بالصلاة أوّل الوقت، أو أداء الدين في وقت معيّن، أو التوالى بين أجزاء الغسل، فقد  
يقال في وجه اعتباره وإنحاقه بالمحلّ الشرعي وعدم اعتبار الشكّ بعد المضيّ والتجاوز  
عنه: إنّ قوله عليه السلام: (هو حين يتوضّأ أذكر منه حين يشكّ) وإن كان مورده الوضوء،  
لكن خصوصيّة ملغاة عرفاً، وكما أنّه لا خصوصيّة للوضوء فيه، كذلك لا خصوصيّة  
لكونه حال الاشتغال بالعمل أيضاً، وحينئذٍ فالمعنى : أنّ كلّ ما بنى المكلف عليه  
واعتاد على إتيان عمل في وقت معيّن؛ بحيث لو لم يأت به فيه، فهو إمّا لغفلة منه، أو  
لغيرها من العوارض، إذا شكّ فيه بعد التجاوز عن ذلك المحلّ فلا يعتني بشكّه، فيشمل  
التجاوز عن المحلّ الشخصي أيضاً.

وفيه : أنّ إلغاء الخصوصيّة الثانية خلاف التفاهم العرفي، والأولى مسلّمة،  
مضافاً إلى أنّ قوله عليه السلام: (هو حين يتوضّأ أذكر) وإن كان حكمة للتشريع، لكنّه ليس  
تعليلاً؛ بل هو شبه التعليل.

ويمكن الاستدلال باعتبار المحلّ الشخصي برواية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام،

قال: (إذا كنت قاعداً على وضوئك، فلم تدرِ أغسلت ذراعيك أم لا، فأعد عليهما وعلى جميع ما شككت فيه أنك لم تغسله أو تمسحه - ممّا سمى الله - ما دمت في حال الوضوء، فإذا قمت من الوضوء، وفرغت منه، وقد صرت في حال أخرى في الصلاة أو في غيرها، فشككت في بعض ما سمى الله ممّا أوجب الله عليك وضوءه، لا شيء عليك فيه)<sup>(١)</sup>. الخبر.

وجه الاستدلال: هو أنه لا ريب في أنه ليس المراد من قوله ﷺ: (ممّا أوجب الله عليك وضوءه) خصوص الغسل، بل الأعم منه ومن المسح؛ ألا ترى أنه ﷺ قال في خبر آخر: (إنّ من أشدّ الناس حسرة يوم القيامة من يرى وضوءه على جلد غيره)<sup>(٢)</sup>؛ تعريضاً على العمّة؛ حيث إنهم يرون جواز المسح على الخفّ فأطلق فيه الوضوء على المسح، وقوله ﷺ: (في حال أخرى) يشمل بإطلاقه حال التمدل أيضاً مع بقاء المحلّ الشرعي؛ لبقاء نداوة الوضوء، فتشمل الرواية ما لو شكّ في الجزء الأخير من الوضوء - أي المسح على اليسرى - في حال التمدل؛ لصدق أنه صار إلى حال أخرى عليه، مع بقاء نداوة الوضوء بعد، فحيث إنّه تجاوز عن المحلّ العادي الشخصي فلا اعتبار بشكّه.

وفيه أيضاً: أنّ العناوين المأخوذة في متعلّق الأحكام ظاهرة في الواقعيّة منها، وحينئذٍ فعنى الرواية: «أنّك إن شككت وأنت في حال الوضوء واقعاً فكذا، وإن صرت في حال أخرى فلا اعتبار به»، وحال الوضوء بحسب متن الواقع هو ما لم يفرغ منه بالإتيان بالجزء الأخير، أو إبطاله، أو بفوت الموالاة، فهو في حال الوضوء وإن اشتغل بالتكلّم أو الذكر، فع الشكّ في الإتيان بالجزء الأخير مع بقاء البلّة وعدم

١ - الكافي ٣: ٣٣ / ٢، تهذيب الأحكام: ١٠٠ / ٢٦١، وسائل الشيعة ١: ٣٣٠، كتاب

الطهارة، أبواب الوضوء، الباب ٤٢، الحديث ١.

٢ - الفقيه ١: ٣٠ / ٩٦.



فوت الموالاة، فهو شبهة مصداقية للفراغ من الوضوء؛ لأنه لو حصل له العلم في حال التمدل بعدم الإتيان بالجزء الأخير، وجب عليه الإتيان به، فع الشك تكون الشبهة مصداقية، فلا يصح التمسك بالرواية فيه، ويتفرع عليه: أنه لو شك في الجزء الأخير لغسل الجنابة - مما أمكن الإتيان به - وجب إذا لم يصدر منه الحدّث بعد على احتمال.

### الجهة الرابعة: عدم اعتبار الدخول في الغير

اختلفوا في أنه هل يعتبر الدخول في الغير في جريان القاعدة أو لا<sup>(١)</sup>؟ ولا يتوهم: أن هذا البحث مستغنى عنه؛ حيث إنّ الدخول في الغير محقق للتجاوز عن المحلّ، ولا يصدق التجاوز بدونه.

لأنه يمكن تصوير التجاوز مع عدم الدخول في الغير؛ بناء على ما اخترناه من اتحاد القاعدتين، كما لو شك في الإتيان بما يعتبر في الجزء من وصف أو شرط بعد الإتيان به وقبل الدخول في الغير، فإنه قد تجاوز عن محلّ المشكوك؛ لأنّ محلّه الجزء، ولم يدخل بعد في الغير، نعم الدخول في الغير محقق للتجاوز في الشك في نفس الأجزاء.

وقبل الشروع في هذا البحث لابدّ من تقديم أمرٍ: وهو أنّ المستفاد من الروايات الكثيرة أنّ الحكمة والسّر في الحكم بعدم اعتبار الشك بعد التجاوز هو غلبة إتيان المكلف - الذي هو بصدد الامتثال - بجميع أجزاء المأمور به وشرائطه؛ لعدم ترتّب الآثار المطلوبة منه إلّا بذلك، وأنّ إرادة الإتيان بالمركب إرادة الإتيان بجميع أجزائه وشرائطه، لا لزوم العسر والحرّج من اعتبار الشك فيه، مثل قوله عليه السلام: (هو حين يتوضأ أذكر منه حين يشكّ)، وقوله عليه السلام في رواية أخرى: (هو حين يتوضأ

١ - فرائد الأصول: ٤١١ سطر ١٥، نهاية الأفكار (القسم الثاني) ٤: ٥٣، درر الفوائد: ٥٩٥.

أقرب إلى الحق حين يشكّ)، فإنّهما ظاهران في أنّ السرّ والنكتة في هذا الحكم هو حبيّة الأذكريّة حين العمل والأقريّة إلى الحقّ، وأنّه لا دخل للدخول في الغير في هذه الحيثيّة.

وكذلك رواية حمّاد بن عثمان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أشكّ وأنا ساجد، فلا أدري ركعت أم لا.

فقال: (قد ركعت امضيهِ)<sup>(١)</sup>.

ورواية فضيل بن يسار: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: استتمّ قائماً فلا أدري ركعت أم لا.

قال: (بلى قد ركعت فامض في صلاتك، فإنّما ذلك من الشيطان)<sup>(٢)</sup>.  
ورواية عبد الرحمن بن أبي عبد الله عليه السلام: قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل أهوى إلى السجود، فلم يدر أركع أم لم يركع؟  
قال: (قد ركع)<sup>(٣)</sup>.

فإنّ الحكم بأنّه قد ركع في هذه الروايات ظاهر فيما ذكرنا أضف إلى ذلك قوله عليه السلام: (كلّما شككت فيه ممّا قد مضى فشكّك ليس بشيء)<sup>(٤)</sup>، وكذلك

١ - تهذيب الأحكام ٢: ١٥١ / ٥٩٤، الاستبصار ١: ٣٥٨ / ١٣٥٦، وسائل الشيعة ٤: ٩٣٦،

كتاب الصلاة، أبواب الركوع، الباب ١٣، الحديث ٢.

٢ - تهذيب الأحكام ٢: ١٥١ / ٥٩٢، الاستبصار ١: ٣٥٧ / ١٣٥٤، وسائل الشيعة ٤: ٩٣٩،

كتاب الصلاة، أبواب الركوع، الباب ١٣، الحديث ٣.

٣ - تهذيب الأحكام ٢: ١٥١ / ٥٩٦، الاستبصار ١: ٣٥٨ / ١٣٥٨، وسائل الشيعة ٤: ٩٣٧،

كتاب الصلاة، أبواب الركوع، الباب ١٣، الحديث ٦.

٤ - الظاهر أنّ هذه الرواية ملفقة من بين روايتين لأنّ ما هو المنقول والقريب لما في المتن هكذا: «كلّ ما شككت فيه ممّا قد مضى فامضيهِ كما هو» راجع تهذيب الأحكام ٢: ٣٤٤ /

المطلقات، فإنّ جميع ذلك يدلّ على عدم اعتبار الدخول في الغير في جريان القاعدة. نعم قد يتوهم دلالة روايتي زرارة وإسماعيل بن جابر وصدر رواية ابن أبي يعفور على اعتبار الدخول في الغير؛ حيث قيّد الحكم فيها بالدخول في الجزء الآخر، لكن استفادة اعتبار ذلك من رواية زرارة في غاية الوهن؛ لأنّ التقييد به إنّما هو في سؤال الراوي، لا في جواب الإمام عليه السلام، وأنّه عليه السلام أجاب على طبق السؤال في الفرض الذي ذكره، وأمّا أنّ القيد معتبر أو لا، فلا دلالة في الجواب عليه.

ولعلّ السرّ في فرض الرواية الدخول في الغير في السؤال إنّما هو لحدوث شكّه عند ذلك، مع ما عرفت من نُدرة حدوث الشكّ قبل ذلك، حتّى أنّه أنكره بعضهم، فعدم استفادة القيدية من هذه الرواية أولى من عدم استفادته من قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

نعم رواية إسماعيل أولى بالاستدلال على ذلك؛ لأجل أنّ التقييد بالدخول في الغير وقع في كلام الإمام عليه السلام، لكن سيأتي إن شاء الله أنّه منزّل على الغالب؛ حيث إنّّه عليه السلام فرض الدخول في السجود في الشكّ في الركوع، مع أنّ الهويّ إلى السجود قبله، فلو اعتبر الدخول في الغير كان اللازم فرض الدخول في الهويّ في الشكّ في الركوع، فيظهر منه أنّ فرضه عليه السلام الدخول في السجود مبنيّ على الغالب؛ من حدوث الشكّ في الركوع في حال السجود، لا لأجل اشتراط الدخول في الغير، وإلاّ يلزم فرضه عليه السلام الدخول في الجزء الذي يتلوّه ويترتّب عليه، وهو الهويّ.

وأما موثقة ابن أبي يعفور، فمقتضى الجمع بين صدرها وذيلها هو القول بعدم اعتبار الدخول في الغير، وإلاّ فيتناقضان؛ من جهة التقييد بالدخول في الغير في

→ ١٤٢٦، وسائل الشيعة ٥ : ٣٣٦، كتاب الصلاة، أبواب الخلل الواقع في الصلاة، الباب ٢٣،

الحديث ٣.

١ - النساء (٤) : ٢٣.

صدرها، وعدم التقييد به في ذيلها الظاهر في عدم قيديته، مع أنه لابد من انطباق الكبرى - المذكورة في ذيلها - على الصدر الذي هو بمنزلة الصغرى لها، فمع ظهور الدليل في مقام التحقيق والحصر، لابد أن يكون هو المراد والمقصود، وقوله عليه السلام : (وقد دخلت في غيره) إنما هو بمنأى تحقق التجاوز، وأنه لا يتحقق غالباً بدونه، وهذه الرواية شارحة ومفسرة لسائر الروايات بنحو الحكومة.

والحاصل : لو كان شرط جريان القاعدة الدخول في الغير، لزم أن يعبر عليه السلام في الدليل بمثل : «إنما الشك في شيء إذا لم تدخل في غيره»، لا إذا لم تجزئه. فالحق الأقرب : هو عدم اعتبار الدخول في الغير في جريان القاعدة.

ثم على فرض اعتباره، فهل المراد من الغير خصوص الأركان، أو الأجزاء المستقلة بالتبويب في الفقه، أو مطلق الأجزاء الواجبة، أو مطلق ما يترتب على المشكوك - الأعم من الواجب والمندوب، سوى مقدمات الأفعال - أو الأعم من جميع ذلك حتى مقدمات الأفعال، كالهوي للسجود، والنهوض للقيام؟ وجود.

والعمدة من الاحتمالات : هو ما ذكره الشيخ الأعظم رحمته : من أن المراد به الأجزاء المستقلة لا مقدماتها، واستدل عليه برواية إسماعيل بن جابر<sup>(١)</sup> : حيث إن صدرها في مقام التحديد للغير، فلو كان هناك أقرب من المشكوك؛ مما لا يعتبر الشك بعد الدخول فيه، يتعين ذكره؛ لأنه عليه السلام ذكر ذلك مقدمة للكبرى المذكورة في ذيلها وانطباقها عليه، فلا بد من أن يكون المراد ذلك<sup>(٢)</sup>.

واختاره الميرزا النائيني رحمته، وأضاف إلى ما أفاده إليه الشيخ رحمته في وجهه؛ بأن المركبات قبل الأمر بها، وقبل تركيبها، كل جزء من أجزائها مستقل في الوجود،

١ - تهذيب الأحكام ٢ : ١٥٣ / ٦٠٢، الاستبصار ١ : ٣٥٨ / ١٣٥٩، وسائل النية ٤ : ٩٣٧.

كتاب الصلاة، أبواب الركوع، الباب ١٣، الحديث ٤.

٢ - فراند الأصول : ٤١١ سطر ١٩.

والمخرج لها عن الاستقلال هو التركيب، فتندك في الكلّ، فلا تلاحظ الأجزاء حينئذٍ شيئاً في عرض الكلّ، إلّا بالعناية والتنزيل لها منزلة الكلّ.

والدليل على التنزيل صحيحة زرارة ورواية إسماعيل بن جابر، وهما قاصرتان عن إثبات التنزيل سوى ما اشتمل صدرها عليه، وهو الأجزاء المستقلة بالتبويب؛ لأنّ الصدر قرينة على تضيق مصبّ دائرة الكبرى، فتتطبق على الأجزاء المستقلة فقط<sup>(١)</sup>.

أقول : أمّا ما أفاده الشيخ الأعظم رحمته من الاستدلال برواية إسماعيل بن جابر، ففيه: أنّه ليس في صدرها إلّا مثالين أحدهما الشكّ في الركوع وقد دخل في السجود، مع دلالة رواية عبد الرحمن بن أبي عبد الله على عدم الاعتناء بالشكّ في الركوع بمجرد الدخول في الهويّ إلى السجود الذي قبل السجود.

فيظهر من ذلك : أنّ الإمام عليه السلام في رواية إسماعيل ليس في مقام التحديد للدخول في الغير، وأنّ عدم ذكر الدخول في الهويّ، إنّما هو لأجل عدم تحقّق الشكّ في الركوع حال الهويّ إلى السجود إلّا نادراً.

وأما احتمال : أنّ المراد من الهويّ إلى السجود في رواية ابن أبي يعفور، هو نفس السجود؛ لأنّ للهويّ إليه مراتب يصدق هو على كلّ مرتبة من مراتبه؛ من ابتداء التقوّس إلى أن تصل الجبهة إلى الأرض، فيحمل على آخر مرتبة، وهي وضع الجبهة على الأرض.

ففيه: أنّه احتمال مرجوح جدّاً وخلاف المصطلح عليه، فإنّ الهويّ إلى السجود غير نفس السجود، وحينئذٍ فذكر الركوع والسجود في رواية إسماعيل إنّما هو من باب المثال، لا لخصوصيّة فيها؛ ليرد عليه : أنّه عليه السلام لم يذكّر الدخول في التشهد بدل

الدخول في القيام. ويجاب عنه : بأن المفروض فيها هي الركعة الأولى.

فما أفاده الشيخ رحمته غير وجيه.

وأوضح منه في عدم التمامية ما أفاده الميرزا النائيني رحمته، فإنه يرد عليه:

أولاً: النقض بالقراءة، فإن قوله: (رجل شك في التكبير وقد قرأ، أو شك في القراءة وقد ركع)<sup>(١)</sup>؛ إنما يشمل ويعم أبعاض القراءة أو لا، فعلى الأول يثبت المطلوب، فيلزم أن يكون أبعاض القراءة وأجزاء الأجزاء كذلك، وهو خلاف ما ذكره رحمته؛ من اعتبار الشك في آية بعد الدخول في الآية اللاحقة.

وعلى الثاني يلزم اعتبار الشك في الآية الأولى ما لم يدخل في الركوع، ولا يلزم هو به أيضاً.

وثانياً بالحل: بأن الشك دائماً يتعلق بالأجزاء لا الكل، وليس الشك في الأجزاء في عرض الشك في الكل، وعلى فرض تعلق الشك بالكل فإنما هو باعتبار الشك في الجزء، فلا تنزيل للأجزاء في البين.

والحاصل: أن الكل غير ملحوظ في هذا الحكم، نعم هو ملحوظ في مقام الأمر والبعث، فلا إشكال في أن الغير المعبر دخوله فيه فرضاً، يعم الأجزاء المستقلة وغيرها، ويدل عليه رواية عبد الرحمن بن أبي عبد الله، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل أهوى فلم يدرك ركع أم لم يركع؟

قال: (قد ركع)، فإنها في مقام بيان أحد جزئيات القاعدة، لا في بيان حكم تأسيسي على حدة بملاك على حدة.

نعم كل قاعدة قابلة للتخصيص، وهذه القاعدة أيضاً مخصصة في موضعين: أحدهما: الوضوء.

١ - أنظر تهذيب الأحكام ٢: ٣٥٢ / ١٤٥٩، وسائل الشيعة ٥: ٣٣٦، كتاب الصلاة، أبواب

الخلل الواقع في الصلاة، الباب ٢٣، الحديث ١.

ثانيهما : الشك في السجود وقد دخل في النهوض إلى القيام؛ لقيام الدليل على التخصيص في الموضوعين، ولذا لو شك في التشهد وقد دخل في النهوض إلى القيام، لا يعتني به، والفارق النص، كما ذكره في العروة<sup>(١)</sup>.  
وأما دعوى انصراف الروايات إلى الأجزاء المبوبة في الفقه مستقلاً، فهي غريبة جداً.

### الجهة الخامسة: أن الحكم بالمضي هل هو رخصة أو عزيمة ؟

إن الحكم بالمضي وعدم اعتبار الشك بعد التجاوز عن المحل هل هو رخصة أو عزيمة ؟

تظهر الثمرة في العبادات : فعلى الثاني تبطل الصلاة لو رجع وأتى بالمشكوك، دونه على الأول، ولا تظهر الثمرة بينهما في المعاملات.  
فذهب بعضهم إلى أن قوله عليه السلام : (يمضي في صلاته) كما في صحيحة زرارة، أو (امض في صلاتك)، ونحو ذلك من التعبيرات، ظاهر في وجوب ذلك، فهو على وجه العزيمة<sup>(٢)</sup>.

وأجيب عنه : بأن الأمر هنا في مقام توهم الحظر فلا يفيد الوجوب<sup>(٣)</sup>.  
وقال الفقيه الهمداني رحمته الله في صلاته : إنه على فرض تسليم أن الأمر في مثل هذا المقام لا يفيد إلا الجواز والرخصة، لكن يستفاد من قوله عليه السلام : (فشكك ليس بشيء) أنه بنحو العزيمة، فاستفادة العزيمة لا تتوقف على القول باستفادة الوجوب من الأمر بالمضي.

١ - العروة الوثقى ١ : ٦٥١ .

٢ - جواهر الكلام ١٢ : ٣٢٢ - ٣٢٣ ، نهاية الأفكار (القسم الثاني) ٤ : ٧٧ .

٣ - أنظر مصباح الفقيه ، الصلاة : ٥٥٨ سطر ٣٦ .

والحاصل : أنه بعد إلغاء الشك، والحكم بعدم اعتباره ، فالإتيان بالمشكوك بعد ذلك تشريع وزيادة عمدية مبطله<sup>(١)</sup>. انتهى حاصل كلامه رفع في الخلد مقامه.

أقول : في قوله عليه السلام : (فشكك ليس بشيء) احتمالان :

أحدهما : أنه بنحو الجواز.

ثانيهما : بنحو العزيمة.

إذ الظاهر أن قوله عليه السلام : (فشكك ليس بشيء) ليس إخباراً بأنه قد أتى بالمشكوك، بل هو أمرٌ بالبناء على وقوع المشكوك، وحينئذ فيمكن أن يقال: إن تقدم هذا على الاستصحاب ليس بنحو الحكومة؛ لعدم المضادة بينهما؛ لدلالته على جواز المضي، إلا أن يقال: إن حكومة القاعدة على الاستصحاب حينئذ إنما هي لأجل أن مقتضى الاستصحاب هو وجوب الرجوع والإتيان بالمشكوك، ومقتضى القاعدة جواز المضي وعدم الرجوع.

وأما أدلة إبطال الزيادة<sup>(٢)</sup> فهي قاصرة عن الشمول لما إذا شك في تحققها بالرجوع، نعم لو بنينا على أن القاعدة من الأمارات الشرعية الدالة على الإتيان بالمشكوك، أو قلنا: بأنها أصل محرز للواقع ، وأن مفادها الحكم بالبناء على وقوعه لزمه القول: بأن المضي على نحو العزيمة، كما لو قام سائر الأمارات على إتيانه به، فالإتيان به ثانياً زيادة عمدية، وكذلك لو قلنا بأنها أصل محرز، فإن مفادها حينئذ التعبد بالوجود: فيما أن نقول: مفادها التعبد بالوجود المطلق، فلو شك في الوضوء بعد تمام الصلاة فمقتضى قاعدة التجاوز هو أنه على وضوء، فيجوز له الشروع في الصلاة الأخرى بدون تجديد وضوء آخر.

أو نقول : مفادها الإحراز الحيثي، فلا يجوز له الشروع في صلاة أخرى، بل

١ - نفس المصدر : ٥٥٨ - ٥٥٩ .

٢ - راجع وسائل الشريعة ٥ : ٣٣٢، كتاب الصلاة ، أبواب الخلل الواقع في الصلاة ، الباب ١٩ .



يتوضاً لها؛ لأنّها حينئذٍ لا تثبت الوجود المطلق للطهور.

وعلى أيّ تقدير يصدق عليه عرفاً أنّه زاد في صلاته واقعاً، ويشمله قوله عليه السلام: (من زاد في صلاته فعليه الإعادة)<sup>(١)</sup>؛ لأنّ المراد منها واقع الزيادة؛ أيّ الوجود بعد الوجود، لا عنوان الزيادة.

نعم لو قلنا: إنّ المأخوذ في موضوع وجوب الإعادة هو صدق عنوان الزيادة، وهو المعنى الانتزاعي البسيط، فلا يثبت ذلك بالأصل.

لكن الظاهر أنّه ليس كذلك، وكذلك لو شكّ في السورة بعد التجاوز عن محلّها، فإنّ المنهيّ عنه العنوان الانتزاعي البسيط للقرآن بين السورتين، فلا يثبت ذلك بقاعدة التجاوز، لكنّ المراد من القرآن المأخوذ في موضوع الحكم بالإعادة، هو تعاقب السورتين واقعاً، وحينئذٍ تصدق عليه الزيادة لو رجع وأتى به ثانياً، فيترتب عليه ما يترتب على زيادة القرآن من الأحكام التكليفية والوضعية أيّ الحرمة والفساد للصلاة، لكن العزيمة هنا حينئذٍ بمعنى الفساد في المعاملات، لا الحرمة؛ كي يقال: إنّهُ يلزم حرمة إجراء صيغة النكاح ثانياً لو شكّ في صحّة النكاح السابق.

### الجهة السادسة: حول أنّ القاعدة من الأمارات أو الأصول؟

هل هذه القاعدة من القواعد العقلانية - أمانة أو أصلاً - قد استقرّ عليها بناء العقلاء، وأنّ الروايات المتقدمة إمضاء وتنفيذ لهذا البناء العرفي، أو أنّها قاعدة تأسيسية شرعية تختصّ بالصلاة، كما هو مختار الفقيه الهمداني رحمه الله، وقال: إنّها غير قاعدة الفراغ، وأنّ قاعدة الفراغ عقلانية - أمانة أو أصلاً - أو أنّ قاعدة الفراغ أيضاً ليست عقلانية.

١ - تهذيب الأحكام ٢: ١٩٤ / ٧٦٤، الاستبصار ١: ٣٧٦ / ١٤٢٩، وسائل الشيعة ٥: ٣٣٢،

كتاب الصلاة، أبواب الخلل الواقع في الصلاة، الباب ١٩، الحديث ٢.

بل شرعية تعبدية<sup>(١)</sup>؟

وعلى تقدير كونها أصلاً تعبدياً شرعياً فهل هي من الأصول المحرزة أو لا، بل تعبد محض كأصل البراءة؟

وعلى الأول فهل هي لإحراز الوجود المطلق، فيترتب عليه جميع أحكامه وآثاره، أو لإحراز الحيثي، كما يظهر من الشيخ الأعظم<sup>(٢)</sup>؟ وجوه.

أما ما أفاده الفقيه الهمداني<sup>(٣)</sup> : من أن قاعدة الفراغ عقلائية فقط، دون قاعدة التجاوز.

ففيه : أنه لابد وأن يكون ذلك بملاك، وهو الأذكريّة حين العمل، وأن المريد لامثال الأمر بالمركب يأتي بجميع أجزائه وشرائطه، ولا يتركها إلا مع الغفلة والسهو، وهما خلاف الظاهر لكن عنوان الفراغ من العمل ليس دخيلاً في هذا الملاك؛ بأن يثبت هذا الحكم لخصوص الشك بعد الفراغ من العمل بإتيان الجزء الأخير منه، وعدم ثبوته قبل الإتيان بالجزء الأخير، بل هذا الملاك موجود في أثناء العمل لو شك في الجزء السابق حال الإتيان بالجزء اللاحق.

لا يقال : إن اختصاص هذا الملاك بقاعدة الفراغ، إنما هو لتخلل الفصل الطويل بين الشك ومحل الجزء المشكوك المفقود في قاعدة التجاوز.

لأنه يقال :

أولاً : إنه لا دخل للفاصلة الطويلة في الأذكريّة .

وثانياً : إنه منتقض طرداً وعكساً، فإنه لو قرأ في الصلاة سورة طويلة - كسورة البقرة - وشك في التكبير ، لزم تخلل الفصل الطويل بين المشكوك والشك، فيتحقق الملاك حينئذٍ ، ويلزم على ما ذكر جريان قاعدة الفراغ؛ لوجود ملاكها - أي الفصل

١ - حاشية المحقق الهمداني على الرسائل : ١١٢ سطر ٢٣ .

٢ - فرائد الأصول : ٤١٣ سطر ١٨ .

الطويل - مع أنّه مَبْنِيٌّ لا يلتزم بذلك.

ولو شكّ بعد الفراغ والتسليم في الجزء السابق عليه كالشّهد الأخير، يلزمه عدم جريان قاعدة الفراغ حينئذٍ؛ لعدم وجود ملاكها؛ أي الفصل الطويل، ولا يلتزم هو مَبْنِيٌّ به أيضاً.

فالقول بانتساب قاعدة التجاوز إلى العقلاء أولى من انتساب قاعدة الفراغ إليهم.

والمتّبع في المقام ما يستفاد من الأخبار، ولسانها - كما تقدّم - مختلف:

ففي بعضها أنّه يمضي، أو الأمر بالمضي.

وفي بعضها : (إذا خرجت من شيء، ثم دخلت في غيره، فشكّك ليس بشيء) <sup>(١)</sup>.

وفي بعضها الوارد في الموارد الجزئية : (قد ركعت) <sup>(٢)</sup> ونحوه.

وفي الموثّقة : (هو حين يتوضّأ أذكر منه حين يشكّ) <sup>(٣)</sup>، أو (أقرب إلى الحق) <sup>(٤)</sup>.

وأخذ الشكّ في بعضها موضوعاً للحكم بعدم الاعتبار.

ولا إشكال في أنّ لسان الفرقة الأخيرة لسان الأصل لا الأمانة؛ لأنّها تدلّ

١ - تهذيب الأحكام ٢ : ٣٥٢ / ١٤٥٩ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣٣٦ ، كتاب الصلاة ، أبواب الخلل

الواقع في الصلاة ، الباب ٢٣ ، الحديث ١ .

٢ - تهذيب الأحكام ٢ : ١٥١ / ٥٩٤ ، الاستبصار ١ : ٣٥٧ / ١٣٥٤ ، وسائل الشيعة ٤ : ٩٣٦ ،

كتاب الصلاة ، أبواب الركوع ، الباب ١٣ ، الحديث ٢ و ٣ .

٣ - تهذيب الأحكام ١ : ١٠١ / ٢٦٥ ، وسائل الشيعة ١ : ٣٣١ ، كتاب الطهارة ، أبواب الوضوء ،

الباب ٤٢ ، الحديث ٧ .

٤ - الفقيه ١ : ٢٣١ / ١٠٢٧ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣٤٣ ، كتاب الصلاة ، أبواب الخلل الواقع في

الصلاة ، الباب ٢٧ ، الحديث ٣ .

على عدم الاعتبار بالشك مع بقاءه وبقاء احتمال الخلاف.  
وأما قوله عليه السلام: (فشكك ليس بشيء) ونحوه، فعناه أيضاً الحكم بعدم الاعناء بالشك مع حفظه وفرض وجوده، فهو أيضاً لسان الأصل، فجعل هذا التعبير من الشواهد على أمارية القاعدة - كما صنعه المحقق الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله - مما ياباه ظاهره.

وأما التعبير بنحو: (بلى قد ركعت) ونحوه، الذي جعله من أقوى الشواهد على أماريتها.

ففيه: أنه يحتمل فيه الحكم بالبناء على وجود المشكوك في عالم التعبد مع حفظ الشك وفرض وجوده، لا إلغائه؛ لتكون أماره، ففاده أنها أصل محرز.  
وأما قوله عليه السلام في الموثقة: (هو حين يتوضأ أذكر منه حين يشك) أو (أقرب إلى الحق)، ففيه احتمالان:  
أحدهما: أن مفاده إلغاء الشك واحتمال الخلاف، واعتبار الظن الحاصل من الغلبة.

ثانيهما: أن المراد منه بيان السرّ والحكمة ونكتة التشريع والحكم بالبناء على الوجود مع حفظ الشك.

والاحتمال الثاني أقرب من الأول؛ لأن الأماره - على فرضها في المقام - هو الظن الحاصل بالغلبة، وليس لسان الخبر إلغاء الشك واحتمال الخلاف، كما هو لسان الأمارية، فلسانها إلغاء احتمال الغفلة الموجبة لترك المشكوك ولو باعتبار أذكريته حين العمل أو أقربيته إلى الحق.

مضافاً إلى أنه - بعد ظهور الروايات الأخرى على أنها أصل لا أماره - لا تصلح

هذه الرواية للتمسك بها على الأماريّة.

وأما تقريب أماريتها : بأنّ الغالب فيمن يريد امتثال الأمر بمركب ذي أجزاء وشرائط، هو الجري على وفق إرادته، والإتيان بجميع أجزائه وشرائطه كلّ في محله، وإن لم يلتفت إلى الجزء تفصيلاً، ولم يقصده كذلك، وأنّ الإرادة المتعلقة بالكلّ هي بعينها إرادة الأجزاء، فهي محرّكة له إلى الإتيان بالأجزاء والشرائط، فهو يريد بها عين إرادة الكلّ، فهو لا يترك الأجزاء والشرائط إلّا مع الغفلة والسهو، وهما خلاف الظاهر<sup>(١)</sup>.

فهو - مضافاً إلى أنّه تبعيد المسافة؛ إذ لا احتياج إلى هذا التطويل - لا يخلو عن الإشكال أيضاً؛ لما قرّر في محله: أنّه لا تتولّد إرادة من إرادة أخرى، ولا يترشح بعث من بعث آخر<sup>(٢)</sup>، بل تقدّم في مسألة مقدّمة الواجب: أنّ لكلّ واحد من أجزاء المركّب إرادة خاصّة مستقلّة به لها مبادٍ خاصّة، غاية الأمر أنّها ارتكازيّة، لا تفصيليّة بتصور تفصيلي، أو تصديق بالفائدة كذلك، وحيث إنّ إدراك الإنسان سريع لطيف فقد يحتمل أنّ بعض أفعاله تصدر بلا إرادة، كجعل الإنسان يده حاجباً له حينما يتوجّه إليه ما يكاد يصيبه، أو من نور الشمس مع أنّه ليس كذلك.

فتلخص : أنّ الإرادة المتعلقة بالأجزاء ليست عين الإرادة المتعلقة بالكلّ ولا الأولى متولّدة من الثانية.

فالحقّ : أنّ المستفاد من الأخبار أنّ القاعدة من الأصول المحرّزة؛ لدلالة أكثرها على وجوب البناء على وجود المشكوك مع حفظ الشكّ.

نعم بعضها ساكت عن تلك الدلالة، لكنّها لا تنافي في دلالة الباقي عليه.

لكن هل تدلّ على الإحراز المطلق؛ بحيث يترتب عليه جميع الأحكام والآثار

١ - أنظر فوائد الأصول ٤ : ٦١٨، نهاية الأفكار (القسم الثاني) ٤ : ٣٦.

٢ - مناهج الوصول ١ : ٣٢٤.

المرتبة على وجود المشكوك، أو على الإحراز الحيثي؟  
ويظهر الفرق بينهما في ترتب سائر الأحكام عليه، كما لو شك في أثناء صلاة العصر في أنه صلى الظهر قبلها، أو لا؛ لاشتراط تقدّم صلاة الظهر على العصر، فمقتضى قاعدة التجاوز صحّة العصر؛ وأنّه أتى بالظهر تعبدًا، فإن قلنا: إنّ القاعدة محرّزة للوجود بنحو الإطلاق، لا يجب عليه الإتيان بصلاة الظهر بعد العصر.  
وإن قلنا: بأنّها حيثيّة وجب الإتيان بالظهر عقب العصر؛ لأنّ الحكم بوجود الظهر إنّما هو من حيث أنّ تقدّمها شرط لصحّة العصر، لا مطلقاً، فالظهر من حيث اشتراط تقدّمها لصحّة العصر؛ هي محكومة بالوجود، لا مطلقاً، فيجب عليه الإتيان بالظهر بعد العصر.

لا يقال: مقتضى حيثيّة الإحراز عدم جواز الدخول في الصلاة؛ فيما لو شك في جزء من أجزاء الطهارات الثلاث بعد الفراغ عنها، أو في شرط من شروطها، كطهارة محلّ الغسل من الخبث، وكذلك لو شك في ذلك بعد الصلاة، فيجب عليه إعادة الصلاة؛ لأنّ مقتضى القاعدة حينئذٍ صحّة الوضوء من حيث أنّه وضوء، لا من حيث اشتراط الصلاة به.

لأنّه يقال: ليس المراد أنّ القاعدة من جهة حيثيتها أيضاً حيثيّة، بل حيثيّة الوضوء وكذلك الغسل والتميم عين حيثيّة اشتراط الصلاة بها، فأحرازه إحراز لشرط الصلاة، فيجوز له الدخول في الصلاة بعد حكم الشارع بأنّه على وضوء، بخلاف مثال الظهر والعصر، فإنّ حيثيّة الظهر غير حيثيّة اشتراط العصر بتقدّم الظهر عليها، نعم لا تحرز بها طهارة محلّ الوضوء المشكوكة عن الخبث في المثال، فيجب عليه تطهيره منه.

ثمّ إنّ الحكم في الوضوء ونحوه من شرائط الصلاة في أثنائها بالنسبة إلى الأجزاء اللاحقة مبنيّ على ذلك، فعلى القول بأنّ مقتضى القاعدة هي المحرّزة المطلقة

أو الأمارية<sup>(١)</sup>، تصح الصلاة ويتمّها؛ لإحراز الشرط بالنسبة إلى الأجزاء اللاحقة؛ من غير فرق بين الشرائط التي محلّها قبل الصلاة كالطهور - على احتمال - وبين التي محلّها أثناء الصلاة واعتبر تحقّقها حال الصلاة كالاستقبال، فلو شكّ في أنّه مستقبل للقبلة في أثناء الصلاة، فجرد جريان القاعدة بالنسبة إلى الأجزاء الماضية، يُحرز أنّ الجهة التي استقبال فيها هي القبلة بالنسبة إلى الأجزاء اللاحقة، فيأتي بها كذلك، بخلاف ما لو قلنا بالمحرزية الحثيئة، فإنّه حينئذ يفرّق بين الشرائط التي محلّها قبل الصلاة، كالطهور - بناء على استفادة ذلك من الآية<sup>(٢)</sup> - فتصحّ الصلاة بالنسبة إلى الأجزاء اللاحقة أيضاً؛ للتجاوز عن محلّ الشرط المشكوك، بخلاف ما هو شرط للأجزاء، ومحلّه حال الإتيان بها كالاستقبال، فإنّه لا تنفيده القاعدة الجارية في الأجزاء السابقة بالنسبة إلى الأجزاء اللاحقة، ولا تُحرز شرائطها بها، بل لابدّ من الإحراز اليقيني، وإلاّ بطلت الصلاة.

هذا كلّ في مقام الثبوت .

### بيان أنّ القاعدة أصل محرر حيثي

وأما في مقام الإثبات والاستظهار من الدليل : فقد يتوهّم استظهار المحرزية المطلقة من قوله عليه السلام في رواية حماد ونحوها: (بلى قد ركعت)، وقوله عليه السلام في الموثقة: (هو حين يتوضأ أذكر)؛ بناء على عدم استفادة الأمارية منها. لكنّ أقول : إنّ قوله عليه السلام في أكثر الروايات: (إذا شككت في شيء ممّا قد مضى فشكّك ليس بشيء) ونحوه من التعبيرات، لا يستفاد منه إلّا الحكم بعدم

١ - فوائد الأصول ٤ : ٦١٨ .

٢ - وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ...﴾ . المائدة (٥) : ٦ .

الصحة في فعل الغير فالأخبار الواردة فيها إمضاء لطريقتهم وبنائهم ، لا تأسيس لها . ومنها : ما ليس من قبيل ذا ولا ذاك ، بل هي فيها شيء بينهم مرتكز في أذهانهم ، لكن لا بحيث يعتمدون عليها ، بل هي أمر يختلج ببالهم ويخطر في أذهانهم ، مثل قاعدة التجاوز ، فإنّ أذكرية الإنسان حين العمل وأقربيته إلى الحقّ أمر مرتكز في أذهانهم ، فبمجرد إلقاء الشارع لها تنطبق على ما في أذهانهم منها ، ويظنون أنّه السرّ في ذلك الحكم ، وتحقق هذا الأمر منها في أذهانهم مانع عن انعقاد الإطلاق أو العموم في الأخبار الملقى إليهم ، فع فرض عدم ذكر الأذكرية والأقربية إلى الحقّ في الأخبار ، أيضاً لا يمكن الأخذ بالإطلاق والعموم ؛ لما ذكرناه ، فضلاً عن ذكرهما فيها ، وكذلك قوله <sup>(١)</sup> : (بلى قد ركعت) مانع عن انعقاد الإطلاق وشموله لجميع الصور ، مثل : ما لو احتمل الإتيان بالمشكوك سهواً أو غفلة ، مع جهله بالحكم أو الموضوع أو معاً بسيطاً أم مركباً ، وكذلك صورة احتمال الموافقة للواقع اتفاقاً ، أو احتمال الترك عمداً ، وكذا صورة حفظه لصورة العمل وكيفيته وأنّه لم يجرّك الخاتم .

وحينئذٍ فالقاعدة تختصّ بصورة العلم بالحكم والموضوع ، لكن احتمال ترك جزء أو شرط سهواً ونسياناً مع عدم حفظه لصورة العمل ، كما هو مساق جميع الروايات ومصّبها ، مثل رواية زرارة : (رجل شكّ في الأذان وقد دخل في الإقامة...) <sup>(١)</sup> إلى آخره ، فإنّ ظاهرها فرض ذلك فيمن هو عالم بالحكم والموضوع ، لكن احتمال الترك لجزء أو شرط سهواً أو نسياناً ، مع عدم حفظه لصورة العمل ، وكذلك غيرها من الروايات ، لا أقول : إنّها مخصّصة أو مقيدة ، بل أقول : ليس لها عموم أو إطلاق ابتداءً ورأساً ؛ لما ذكرناه من المانع عنه .

١ - تهذيب الأحكام ٢ : ٣٥٢ / ١٤٥٩ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣٣٦ ، كتاب الصلاة ، أبواب الخل

الواقع في الصلاة ، الباب ٢٣ ، الحديث ١ .



## كلام بعض المحققين وما يرد عليه

لكن ذكر بعض المحققين - الفقيه الهمداني رحمته الله - : أنَّ قاعدة الفراغ بعد العمل في العبادات والمعاملات ممَّا استقرَّ عليها السيرة القطعية العقلية، وإلَّا لما قام للمسلمين سوق ولا نظام، وأنَّه لو بُني على الاعتناء بالشكِّ في الأعمال السابقة ولزوم إعادتها أو قضائها، يلزم الاختلال في النظام والمعاش والعسر والخرج الشديدان؛ لندرة العلم بصحة الأعمال السابقة، وكثرة الشكِّ في صحتها وغلبيته.

فظهر من ذلك : عدم انحصار النكتة والحكمة في الأذكريَّة والأقريَّة إلى الحقِّ؛ لعدم استفادة العليَّة المنحصرة من الأخبار، بل العدة هو لزوم العسر والخرج، وحينئذٍ فيؤخذ بالعمومات والإطلاقات الواردة في الأخبار، ويحكم بشمولها لجميع الأقسام، حتى صورة الجهل بالحكم والموضوع وسائر الأقسام المتقدمة<sup>(١)</sup>. انتهى ملخص كلامه رحمته الله.

أقول : قد ظهر ممَّا ذكرنا : الإشكال فيما ذكره رحمته الله؛ إذ ليس المراد تقييد المطلقات بذلك، بل المراد أنَّ ما ذكره : من الأذكريَّة والأقريَّة إلى الحقِّ - مع ارتكازهما في أذهان العرف والعقلاء - مانع عن انعقاد الإطلاق والعموم في الأخبار رأساً وابتداءً. وأمَّا لزوم العسر واختلال النظام فهو أيضاً ممنوع.

توضيح ذلك : أنَّ الوجوه المتصورة للشكِّ في الأعمال السابقة كثيرة، وعرفت أنَّ العدة منها هو أنَّ المكلف : إمَّا عالم بالحكم والموضوع حين العمل، ولكن يحتمل ترك جزء أو شرط سهواً أو غفلة، وإمَّا جاهل بهما أو بأحدهما حينه، وإمَّا يجهل حاله من العلم والجهل.

١ - حاشية المحقق الهمداني على الرسائل : ١١٢ سطر ٢٣.

وتقدّم: أنّ الصورة الأولى مشمولة للقاعدة، وهي القدر المتيقّن منها.

وأما الثانية فلا تعمّها القاعدة.

وأما من لا يعلم حاله حين العمل من العلم والجهل: فإمّا أن يكون ذلك في العبادات، وإمّا في المعاملات، وعلى الأوّل: فإمّا هو في العبادات الموقّعة، مثل صوم شهر رمضان والصلوات اليومية، وإمّا في غير الموقّعة كالخمس والزكاة. والعمل الغير العبادي، مثل المعاملات: إمّا صادر منه بالمباشرة، أو من غيره بالتوكيل.

### حال الشكّ في العبادات

أما العبادات الغير الموقّعة فلا يقع فيها الشكّ من المكلفين إلّا نادراً، وكذلك الصوم من الموقّعات؛ لأنّه أمر عديميّ فلا يقع فيه الشكّ غالباً. وأما مثل الحجّ فهو أيضاً كذلك؛ لاهتمام الناس في مقام امتثاله ومراعاة أحكامه، مع أنّ أكثر أعماله ممّا لا يُبطل الحجّ بالإخلال به، وما يفسد بالإخلال به لا يقع فيه الشكّ غالباً، كالوقوفين ونحوهما.

وأما مثل الصلاة من الموقّعات فالشكّ فيها وإن يكثر وقوعه فيها، لكن قلّما يوجد من المكلفين من يعلم بحاله حين العمل من العلم والجهل، والقاعدة لا تشمل مثل ذلك - كما عرفت - بل تختصّ بمن يعلم بالحكم والموضوع حين العمل، ويحتمل الإخلال بجزء أو شرط سهواً أو نسياناً.

وأما الجاهل بهما أو بأحدهما حين العمل فلا تشملها القاعدة، بل هو مجرى الاستصحاب.

وأما صورة من لا يعلم حاله حين العمل - من علمه بالحكم والموضوع أو جهله بهما أو بأحدهما - فهي شبهة مصداقيّة لقاعدة التجاوز، فلا يصحّ التمسك بها فيها.

وشبهة مصداقية للاستصحاب، فلا يصح التمسك بالاستصحاب فيها أيضاً.  
وأما قاعدة الاشتغال فلا يثبت وجوب القضاء عليه؛ لأنّ موضوع وجوب  
القضاء هو الفوت؛ أي عدم الإتيان بالصلاة في الوقت، وحيث إنّ القضاء بأمر جديد،  
فلا يثبت ذلك بقاعدة الاشتغال.

مضافاً إلى أنّ المختار هو شمول قاعدة «لاتعاد» للشبهات الحكمية أيضاً، وأنّها  
مقدمة على الاستصحاب، فما نحن فيه شبهة مصداقية لها أيضاً، فلا يجوز التمسك بواحد  
من هذه القواعد فيه.

بل على فرض اختصاصها بالشبهات الموضوعية فكذلك؛ لا يصح التمسك بها  
لاحتمال اعتبار الجهل بالموضوع في المفروض أيضاً؛ لأنّ الغالب عدم جهل المكلفين  
بأركان الصلاة، بل الغالب في المجهول هو غيرها من الخصوصيات المعتبرة في الصلاة  
من الأجزاء والشرائط.

والحاصل: إن قلنا بشمول قاعدة «لاتعاد» للشبهات الحكمية<sup>(١)</sup> فلا إشكال في  
المقام؛ لأنّها محكمة حينئذٍ، وإلا فكما لا يجوز التمسك بها، كذلك لا يجوز التمسك  
بالاستصحاب أيضاً؛ ليثبت به وجوب القضاء الذي يلزم منه العسر والحرج  
والاختلال في النظام، فليس في المقام إلا قاعدة الاشتغال، وهي كما عرفت لاتفيد  
وجوب القضاء. هذا كلّهُ في العبادات.

١ - الظاهر أنّ قاعدة «لاتعاد» مضروبة لما إذا علم المكلف بعد الصلاة بالإخلال ببعض أجزائها  
أو شرائطها سهواً، ولا تشمل ما لو لم يعلم بذلك، وشكّ فيه، فإنّ المضروب فيه هو قاعدة  
الفراغ، كيف ولو عمّت قاعدة «لاتعاد» صورة الشكّ منطوقاً ومفهوماً، لزم الإعادة لو شكّ بعد  
الصلاة في ركن من أركان الصلاة، فتعارض مع قاعدة الفراغ حينئذٍ.

### حال الشك في المعاملات

وأما المعاملات فالشك إما في المعاملات التي صدرت منه بالمباشرة مع بقاء العين المببوعة في الخارج، أو مع عدم بقائها بإتلاف منه أو بآفة سماوية، والثاني شبهة مصداقية بقسميه؛ لقوله عليه السلام : (من أتلّف مال الغير فهو له ضامن)<sup>(١)</sup> وقاعدة اليد واستصحاب عدم الانتقال، فلا يجوز التمسك بواحد منها؛ لاحتمال اعتبار علمه حين المعاملة بالحكم والموضوع، واحتمال الاختلال سهواً أو نسياناً، الذي هو مورد قاعدة التجاوز المتقدمة على قاعدة اليد وقاعدة «من أتلّف» واستصحاب عدم النقل والانتقال.

أما الأول - وهو فرض بقاء العين ووجودها بعينها - ففيه :  
 أولاً : أنه لا يلزم من تجديد المعاملة وإيقاعها ثانياً عسر ولا حرج.  
 وثانياً : العين الموجودة المذكورة مرددة بين كونها ملكاً له ولغيره، وهذا التردد والشك ناشئ عن صحة المعاملة الماضية وعدمها، لكن لا مانع من جريان قاعدة أصالة الحلّ هنا، نعم ذكر بعض عدم شمولها لهذا المورد، لكنّه لا يضرّ بعد تحقّق الإجماع عليه وعدم دليل آخر على خلافه. هذا في المعاملة المشكوكة الصادرة منه بالمباشرة.

وأما مع صدورهما من الغير وكالة عنه - كما هو الغالب في عقد النكاح والطلاق، بل وكثير من المبيعات والمعاوضات - فأصالة الصحة في فعل الغير فيه محكّمة بلا إشكال.

١ - هذه القاعدة المتداولة بين الأصحاب يبدو أنّها لا أساس لها بهذا النصّ في مصادرنا الروائية المعروفة بل هي مستفادة من عدّة روايات أوردها الإمام عليه السلام في كتابه البيع ٢: ٢٤١ - ٢٤٢ حيث أكّد هناك بأنّها مستفادة منها فراجع.

فانقده من جميع ما ذكرناه : عدم لزوم اختلال النظام والمعاش والعسر والخرج لو لم تعم قاعدة التجاوز والفراغ جميع الأقسام والصور المتقدمة واختصاصها ببعضها.

لا يقال : في جميع الموارد التي لا يعلم المكلف حاله حين العمل - من العلم والجهل حكماً أو موضوعاً أو معاً يوجد أصل يُحرز به كونه جاهلاً بذلك، وبه يندرج تحت الدليل؛ لأنّ كلّ مكلف مسبوق بالجهل حال صباه وعدم بلوغه، فباستصحابه يخرج المورد عن تحت قاعدة الفراغ، ويصير مورداً للاستصحاب؛ أي استصحاب عدم الإتيان بالمشكوك، ويلزم ممّا ذكر لزوم العسر والخرج.

فإنّه يقال : نعم لو لم يعلم إجمالاً بنقض الحالة السابقة، وهذا العلم الإجمالي بكونه عالماً بالحكم والموضوع في بعض أفعاله والأعمال الصادرة منه سابقاً متحقّق في كلّ مكلف، ومعه لا مجال للاستصحاب المزبور.

### كلام شيخنا الحائري رحمته في «الدرر»

ثمّ إنّه ذكر أستاذنا الحائري رحمته - في «الدرر» في بيان شمول الأخبار لصورة علم المكلف بكيفية العمل، وأنّه لم يحرّك خاتمه حين الضوء مثلاً وغفلته عن تحريكه - وجهين :

أحدهما : أنّ قوله عليه السلام : (هو حين يتوضأ أذكر) وإن كان مذكوراً في بعض الأخبار، لكن سائر الإطلاقات في الأخبار الآخر خالية عنه، مع أنّها في مقام البيان، فتشمل الفرض المذكور.

ثانيهما : ما رواه ثقة الإسلام عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عليّ بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخاتم إذا اغتسلت؟

قال: (حوّله من مكانه)، وقال في الوضوء: (تديره، فإن نسيت حتى تقوم في الصلاة فلا أمرك أن تعيد الصلاة)<sup>(١)</sup> فحكم الإمام عليه السلام بعدم وجوب إعادة الصلاة، وعدم اعتبار هذا الشك، مع فرض حفظه لصورة العمل، وأنه غفل عن إدارة الخاتم<sup>(٢)</sup>.

أقول: روى علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام في حديث، قال: سألته عن الخاتم الضيق لا يدري هل يجري الماء تحته إذا توضأ أم لا، كيف يصنع؟ قال عليه السلام: (إن علم أن الماء لا يدخله فليخرجه إذا توضأ)<sup>(٣)</sup>.

وتقييده عليه السلام بصورة العلم بعدم دخول الماء تحته، مع وضوح عدم جريان قاعدة التجاوز في صورة الشك أيضاً؛ لأجل كونه في أثناء الوضوء؛ لعلّه للردع عما استقرّ بناء العقلاء عليه من الاعتناء بالشك في مانعية الوجود، بخلاف الشك في وجود المانع، فيستفاد منها اختصاص ذلك - أي إخراج الخاتم - بصورة العلم، لا الشك مطلقاً؛ سواء كان في أصل وجود المانع، أم في مانعية الوجود، وحينئذ فمن المحتمل أن السر في عدم حكمه عليه السلام بإعادة الصلاة - في رواية حسين بن أبي العلاء - إنما هو لأجل ذلك، لا لجريان قاعدة التجاوز، فيحمل ما ذكره من إدارة الخاتم فيها في الصدر على الاستحباب، وحينئذ فلا يكشف بالرواية إطلاق روايات قاعدة التجاوز.

١ - الكافي ٣: ٤٥ / ١٤، وسائل الشيعة ١: ٣٢٩، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، الباب ٤١، الحديث ٢.

٢ - درر الفوائد: ٦٠٥ - ٦٠٧.

٣ - الكافي ٣: ٤٤ / ٦، وسائل الشيعة ١: ٣٢٩، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، الباب ٤١، الحديث ١.

## تنبيهان

### التنبيه الأول : اختصاص القاعدة بالشك الحادث

المستفاد من قوله عليه السلام : (إذا خرجت من شيء ودخلت في غيره...) <sup>(١)</sup> إلى آخره، وقوله عليه السلام : (كلما شككت فيه ممّا قد مضى) <sup>(٢)</sup>، ونحو ذلك من التعبيرات في المتفاهم العرفي، اعتبار حدوث الشك بعد الفراغ من المشكوك، فلو شك في أنّه هل توضّأ أم لا؟ قبل الشروع في الصلاة، لا يجوز له الدخول فيها؛ لعدم جريان قاعدة التجاوز حينئذٍ بالنسبة إلى الصلاة ويتفرّع على ذلك ما ذكره الشيخ الأعظم رحمته : من أنّه لو شك قبل الدخول في الصلاة في أنّه توضّأ أو لا، فهو مجرى استصحاب الحدث، ولو غفل عنه وصلى بعد الالتفات إلى الشك، فهو على وجهين:

الأول : أن يحتتمل مع ذلك بعد الصلاة أن يكون قد توضّأ قبل الصلاة.

الثاني : ألا يحتتمل ذلك.

ولا إشكال في جريان قاعدة التجاوز بالنسبة إلى الصلاة في الصورة الأولى. وأمّا الصورة الثانية : فهل المحكّم فيها الاستصحاب الجاري قبل العمل، دون قاعدة التجاوز؛ لعدم حكومة القاعدة على الاستصحاب الجاري قبل الصلاة، بل على الجاري بعده.

أو أنّه لا يجري الاستصحاب قبل العمل؛ أي حال الغفلة مطلقاً؛ لأنّ الظاهر من

١ - تهذيب الأحكام ٢ : ٣٥٢ / ١٤٥٩ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣٣٦ ، كتاب الصلاة ، أبواب الخلل

الواقع في الصلاة ، الباب ٢٣ ، الحديث ١ .

٢ - تهذيب الأحكام ٢ : ٣٤٤ / ١٤٢٦ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣٣٦ ، كتاب الصلاة ، أبواب الخلل

الواقع في الصلاة ، الباب ٢٣ ، الحديث ٣ .

الاعتناء بالشك بالنسبة إلى ما مضى وجاوزه، لا بالنسبة إلى ما لم يتجاوز عنه، ولذلك قال عليه السلام في بعضها: (إنما الشك في شيء لم تجزه)، فلاتدل تلك التعبيرات إلا على الإحراز الحيثي، وحينئذ فلا يفي التعبير المذكور في رواية حماد والموتقة بإثبات المحرزية المطلقة؛ لاحتياج ذلك إلى بيان أزيد من ذلك؛ لتطرق الاحتمال الآخر فيها؛ وهو الإحراز الحيثي، مع أنها في موارد خاصة.

فالحق: هو ما ذكره الشيخ الأعظم رحمته من أنه لا يستفاد من الروايات إلا المحرزية الحيثية، لا المطلقة<sup>(١)</sup>، لكن لا فرق بين الشرائط المعتبرة في الصلاة - وكذلك الأجزاء - بأي نحو من الاعتبار، فإنه يثبت بقاعدة التجاوز جميع هذه الحيثيات.

### الجهة السابعة: حول أنحاء الشكوك العارضة للمكلف

صور الشك فيما نحن فيه كثيرة، نذكر المهم منها، ويتضح منه الحكم في غيرها: لأن المكلف: إما حافظ لصورة العمل وكيفية وقوعه في ظرف الشك، كما لو علم بأنه قد صلى إلى تلك الجهة المشكوك أنها القبلة.

أو ليس حافظاً لها، كما لو لم يعلم أنه صلى إلى هذه الجهة أو تلك، وكما لو لم يعلم أنه حرّك خاتمه حال الوضوء؛ ليصل الماء تحته، أو لا.

وعلى الثاني - أي صورة عدم حفظه لصورة العمل - : فإما أن يكون الشك ناشئاً من جهة احتمال ترك جزء أو شرط - سهواً أو نسياناً - مع علمه بالحكم والموضوع، أو مع جهله بالحكم أو الموضوع، أو معاً.

والأخير يتصور على وجهين :

أحدهما: أن يكون معتقداً للضد مع الجهل بهما أو أحدهما، كما لو علم بأن القبلة



هي تلك الجهة وصلّى، ثمّ انكشف له خطؤه وعلم بأنّها هذه، لكنّه احتمل أنّه قد صلّى إلى القبلة غفلة أو نسياناً.

وكما لو اعتقد وجوب التمام على المسافر، ثم علم بالحكم، لكن احتمل الإتيان بها ركعتين حال السفر غفلة أو نسياناً.

ثانيهما: أن لا يعتقد بالخلاف، بل فرض جهله بسيطاً، كالإتيان اللذين اعتقد بأنّ أحدهما مضاف، فتوضّأ من أحدهما غفلة أو نسياناً، واحتمل مصادفته لغير المضاف منها من باب الاتفاق.

وأيضاً في الصورة التي هو حافظ لكيفيّة العمل وصورته، كما لو علم بعدم تحريكه الخاتم حال الغسل، قد يحتمل وصول الماء تحت الخاتم قهراً ومن باب الاتفاق.

وفي الفرض الغير الحافظ لصورة العمل قد يحتمل الترك عمداً. فهل المطلقات والعمومات تعمّ جميع هذه الصور، أو تختصّ بالثانية، أو مع غيرها من الصور؟

فنقول: إنّ العمومات والمطلقات المتقدّمة تعمّ جميع هذه الفروض في بادئ النظر، لكن مقتضى التأمل فيها خلافه؛ لأنّه إن كانت القاعدة تعبّداً محضاً، وعلم أنّ السرّ والنكته في جعلها؛ هو لزوم العسر والجرّ واختلال النظام لولاها، فلدعوى شمولها لجميع تلك الصور وجه، لكنّها ليست تعبّداً محضاً.

توضيحه: أنّ من القواعد ما ليس لها بين العقلاء اسم ولا رسم، بل تعبد محض، مثل قاعدة «لأتعاد الصلاة إلا من خمسة»<sup>(١)</sup> ونحوها.

ومنها: عقلائيّة محضة يعتمد عليها العقلاء في أمورهم، كقاعدة اليد وأصالة

١ - الفقيه ١: ٢٢٥ / ٨، تهذيب الأحكام ٢: ١٥٢ / ٥٩٧، وسائل الشيعة ٤: ٧٧٠، كتاب

الصلاة، أبواب القراءة في الصلاة، الباب ٢٩، الحديث ٥.

اليقين والشكّ المعتبرين في الاستصحاب الفعلَيان منها، والغافل ليس كذلك. وأما الاستصحاب بعد العمل فهو محكوم قاعدة التجاوز، فهو مورد قاعدة التجاوز.

أو أنّه لايجري واحد منها - أي استصحاب الحدث وقاعدة التجاوز - بل المحكّم فيه قاعدة الاشتغال؛ أمّا عدم جريان قاعدة التجاوز فلعدم حدوث الشكّ بعد العمل، بل هو بقاء ما حدث قبله.

وأما عدم جريان استصحاب الحدث فلعدم فعليّة اليقين والشكّ فيه، كما تقدّم؟ وجوه<sup>(١)</sup>.

أقول: الذهول عن الشيء يتصوّر على وجهين : أحدهما: الذهول عن الشيء بالكلية؛ بحيث يخرج عن خزانة النفس أيضاً، ولا يلتفت مع التنبيه.

ثانيهما: لا يكون كذلك، بل هو موجود في خزانة النفس؛ بحيث يلتفت إليه ويتذكّر بأدنى تنبيه.

فعلى الأوّل لا مجال لجريان الاستصحاب فيه قبل العمل، فالمحكّم حينئذٍ هو قاعدة التجاوز؛ لصدق حدوث الشكّ بعد الصلاة.

والثاني: مجرى استصحاب الحدث؛ لوجود اليقين والشكّ في خزانة ذهنه، غاية الأمر أنّه غافل عنها في الجملة، يرفع غفلته بأدنى تنبيه، نظير الاعتقادات التي يصير الإنسان بها مسلماً، فإنّه لا تضرّ غفلته عنها - في الجملة - في إسلامه مع بقائها في خزانة ذهنه، كما في حال النوم.



### التنبية الثاني : وجه تقدّم قاعدة التجاوز على الاستصحاب

فنقول : على القول بأنّها أمانة أو أصل مُحَرِّز تَعَبُّدِيّ، حكم فيها بإلغاء الشكّ، فلا إشكال في حكومتها عليه؛ لأخذ الشكّ في موضوع الاستصحاب ، ومفاد القاعدة إلغاء الشكّ ، فينبغي موضوعه بها.

وعلى القول بأنّها أصل تَعَبُّدِيّ صِرْف، والشكّ مأخوذ في موضوعها، لكن حكم فيها بعدم اعتباره، فتقدّمها عليه حينئذٍ ليس بنحو الحكومة؛ لحفظ الشكّ في موردّها، بل تقدّمها عليه : إمّا بتخصيص أدلّة الاستصحاب بأدلتها؛ لأنّ أدلتها أخصّ بحسب المورد مطلقاً من الاستصحاب ، وإمّا من جهة استلزام عدم تقدّمها عليه لغوئية القاعدة أو ماهو كاللغوئية؛ لندرة موردٍ لا يجري فيه الاستصحاب في موارد جريان القاعدة؛ بحيث يكون حمل تلك الإطلاقات على قاعدة التجاوز، حملاً على الموارد النادرة ومستهجناً.

وعلى أيّ تقدير لا إشكال في تقدّم القاعدة على الاستصحاب، ويدلّ عليه حكم الإمام عليه السلام بها في الموارد التي يجري فيها الاستصحاب، مثل الشكّ في الأذان والإقامة<sup>(١)</sup>، أو في أكثر موارد مع جريان استصحاب عدم الإتيان بها، إلّا أن يقال بعدم حجّية الاستصحاب في العدميّات، ولكن التحقيق وفقاً للأعلام خلافه.

١ - تهذيب الأحكام ٢ : ٣٥٢ / ١٤٥٩ ، وسائل الشيعة ٥ : ٣٣٦، كتاب الصلاة، أبواب الخلل

الواقع في الصلاة، الباب ٢٣، الحديث ١ .

## المبحث الثالث

### حال الاستصحاب مع أصالة الصحة في فعل الغير

ومن القواعد المتقدمة على الاستصحاب - بلا ريب وإشكال ولا خلاف - أصالة الصحة في فعل الغير وإن اختلفوا في وجه تقدّمها عليه<sup>(١)</sup>، وحيث إنّها من القواعد المهمّة التي يترتب عليها آثار مهمّة، لا بأس بتفصيل الكلام في الجهات المبحوث عنها فيها؛ تبعاً للأعلام، وهي أمور :

#### الأمر الأوّل : في دليل اعتبارها

واستدلّ لها الشيخ الأعظم رحمته بالآيات والأخبار والإجماع والعقل<sup>(٢)</sup>، مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾<sup>(٣)</sup> ونحوها<sup>(٤)</sup>، وقوله عليه السلام: (ضع أمر أخيك على

---

١ - فرائد الأصول : ٤٢١ سطر ٣، كفاية الأصول : ٤٩٣ ، نهاية الأفكار (القسم الثاني) ٤ : ٩٨ .

٢ - فرائد الأصول : ٤١٤ سطر ٢٤ .

٣ - الحجرات (٤٩) : ١٢ .

٤ - البقرة (٢) : ٨٣ ، المائدة (٥) : ١ ، النساء (٤) : ٢٩ .

أحسنه<sup>(١١)</sup>، لكن من الواضح - كما ذكره الشيخ رحمته <sup>(١٢)</sup> - عدم دلالة الآيات والروايات على تلك القاعدة.

وأما الإجماع فذكر الميرزا النائيني رحمته <sup>(١٣)</sup> أنه إن انعقد في مورد جزئي خاص، فلا يصح الاستدلال به على مورد آخر مختلف فيه، وإن كان منعقداً على الكلي صح الاستدلال به في المقام ولو في مورد الاختلاف، والإجماع على تلك القاعدة من قبيل الثاني<sup>(١٤)</sup>.

أقول : ففيه : أن القاعدة متفق عليها من العقلاء المسلمين منهم وغيرهم المنتحلين بالإسلام وغيرهم، فإنها مثل العمل بخبر الثقة وقاعدة اليد ونحوهما؛ مما استقرّ بناء كافة العقلاء عليه، ولذا يوكّلون الغير في أفعالهم وأفعالهم، ويبنون على صحة ما يأتي به الوكيل، والمسلم وغيره سواء في ذلك، والاستدلال بالإجماع إنما هو في مورد ليس فيه دليل من نص أو ظاهر أو بناء عقلائي، ولا ملازمات يمكن استناد القائلين عليها، وما نحن فيه ليس كذلك؛ لما تقدّم من استقرار سيرة العقلاء بما هم عقلاء عليها، بل السيرة فيها أسد وأتقن من سيرتهم على العمل بخبر الثقة ونحوه؛ لاستقرارها بينهم في جميع الأعصار والأمصار، حتّى في عصر النبي صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، ولذا كانوا يصلّون على الأموات بعد تغسيل غيرهم لهم، ولولا هذه القاعدة والحمل على الصحة، لزم عدم جواز الصلاة على الأموات في كثير من الموارد التي لم يعلم صحة تغسيل الغير لهم، ولذا لا ريب في سقوط الواجب الكفائي من الجميع بمجرد قيام واحد على فعله، ولولا أصالة الصحة لم يسقط عنهم بمجرد ذلك، بل

١ - الكافي ٢ : ٢٦٩ / ٣، وسائل الشيعة ٨ : ٦١٤، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة،

الباب ١٦١، الحديث ٣.

٢ - فرائد الأصول : ٤١٥ سطر ٤ و ١٠.

٣ - فرائد الأصول ٤ : ٦٥٤.

لابد من تحصيل العلم بها، وكذلك استتجار الغير للحج ونحوه، وكذلك الروايات الواردة في الحث على صلاة الجمعة والجماعة، مع احتمال بطلان صلاة الإمام من جهات شتى، وكذا توكيل الأئمة عليهم السلام في المعاملات، مثل قضية عروة البارقي<sup>(١)</sup> وغيرها.

وبالجملة: التأمّل في ذلك كله يقتضي حصول القطع بذلك في الجملة وإن لم يثبت عموم أو إطلاق في الروايات.

ثم إنه قد يتوهم: أن أصالة الصحة في فعل الغير ليست أصلاً مستقلاً برأسه، بل هي من أقسام أصالة الصحة، وقاعدة الفراغ في الأفعال السابقة أعم من الصادرة منه أو من غيره، وأن ملاكها هو ملاكها بعينه، والأدلة اللفظية تدعمها أيضاً.

ولكنه فاسد، فإنه لا دخل للفراغ من العمل في أصالة الصحة في فعل الغير، بل هي جارية حال الاشتغال بالعمل أيضاً، ولذا يؤتم بالإمام بمجرد الشروع في الصلاة، بخلاف قاعدة الفراغ، فيظهر من ذلك اختلاف ملاكها، وتقدّم أن قاعدة التجاوز شرعية لا عقلائية، بخلاف هذه، فإنه لا شبهة في أنها عقلائية، وأنه كالنار على المنار، والشمس في رائعة النهار، وأنه ليس لها دليل لفظي يتمسك بإطلاقه أو عمومها عليها.

### الأمر الثاني: حول المراد من الصحة

هل المراد من الصحة هي الصحة الواقعية، أو الصحة عند الفاعل، فلو خالف اعتقاد الفاعل اجتهاداً أو تقليداً؛ لاعتقاده في كيفية العمل، لكن احتمال أنه قد أتى به موافقاً للواقع، جرت فيه أصالة الصحة على الأول، دونه على الثاني؟ وجهان.

١ - مستدرك الوسائل ١٣ : ٢٤٥ ، كتاب التجارة ، أبواب عقد البيع وشروطه ، الباب ١٨ ، الحديث ١ ، صحيح الترمذي ٢ : ٣٦٥ / ١٢٧٦ ، سنن أبي داود ٢ : ٢٧٦ / ٣٣٨٤ .

فنقول : هذا مبني على أمر آخر : وهو أنّ السرّ في بناء العقلاء عليها، هل هو ظهور كون المكلف العاقل المرید للامتثال العالم بالأجزاء وشرائط العمل آتياً به صحيحاً، فإنّ تعمّد الخلاف خلاف فرض كونه في مقام الامتثال، وأمّا احتمال المخالفة سهواً أو غفلةً، فهو خلاف الأصل العقلاني، أو أنّ السرّ في بنائهم على الصّحة، إنّما هو لافتقارهم إليها في معاشهم بعد تمدّن البشر، فاستقرّ بناؤهم عليها تعبداً حتّى صارت عقلانيّة.

فعلى المبني الأوّل : لا بدّ أن يراد بها الصّحة عند الفاعل - لا الواقعيّة - أي على ما هو الصحيح باعتقاده، إلّا بصّحة ادّعاء آخر، وهو جريان أصالة الصّحة في الاعتقاد والاجتهاد أيضاً، فمع جريان الأصلين المذكورين في موارد الشكّ في موافقة عمل الغير للواقع وعدمه، يحكم بالصّحة وموافقته للواقع.

لكن جريان أصالة الصّحة في الاعتقاد والاجتهاد محلّ تأمل، بل منع؛ لعدم بناء العقلاء عليها مع كثرة آراء العلماء والمجتهدين واختلاف أنظارهم في الأحكام، فتجب السورة - مثلاً - عند بعضهم دون بعض... وهكذا.

نعم يمكن دعواها في بعض الموارد؛ لأجل خصوصيّات خارجيّة، مثل باب العقود والمعاوضات.

وأما على المبني الثاني : فمع إحراز أنّ بناء العقلاء عليها لأجل ذلك، فالمراد هي الصّحة الواقعيّة؛ لأنّها مراد الجاعل للقوانين والأحكام، وأمّا إذا لم يحرز هذا ولا ذلك، بل تردّد الأمر بين أن يكون السرّ - في بناء العقلاء على أصالة الصّحة في فعل الغير - هذا أو ذاك، فلا بدّ من ملاحظة أنّ بنائهم، هل هو على الصّحة الواقعيّة أو الصّحة عند الفاعل؟

فنقول : للشكّ في المقام صور:

الأولى : أن تعلم موافقة الفاعل لنا في الرأي والاعتقاد - اجتهاداً أو تقليداً - في



شرائط العمل وأجزائه وكيفيته.

الثانية : أن تعلم مخالفته لنا فيه، كما لو اعتقد الفاعل اشتراط العربية في صيغة العقد، واعتقدنا اشتراطه بالفارسية.

الثالثة : ما لو علّمت مخالفة اعتقاده لنا، لكن لم يكن اعتقاده مضاداً لاعتقادنا، كما لو اعتقد التخيير بين القصر والإتمام في مسجد الكوفة - مثلاً - مع اعتقادنا وجوب القصر فقط.

الرابعة : ما لم يعلم اعتقاده من حيث المخالفة والموافقة لاعتقادنا. لا إشكال في عدم اختصاص أصالة الصّحة بالصورة الأولى؛ بداهة أنّ القدر المتيقّن من بناء العقلاء عليها هي الصورة الرابعة أيضاً؛ لبنائهم عليها في معاملاتهم مع اليهود والنصارى، وكذا انتابهم بأئمة الجماعات مع عدم إحراز موافقة رأيهم لهم في الأجزاء والشرائط.

وأما الصورة الثانية فلا إشكال في عدم بنائهم على الصّحة فيها، بل وكذا في الصورة الثالثة؛ لعدم اعتنائهم باحتمال موافقة عملهم للواقع. وجريانها في الصورة الأولى والرابعة يرفع اختلال النظام.

### الأمـر الثالث : حول أقسام الشكّ في العمل وأحكامها

يتصوّر الشكّ في المعاملات والعبادات على وجهين :

أحدهما : ما لو شكّ في وجود الجزء أو الشرط المقومين لها؛ بحيث لو لم يكن ذلك لم يصدق عنوان تلك المعاملة أو العبادة، كالبيع بلا ثمن، أو عدم كون البائع مميزاً. ثانيهما : ما لو شكّ في سائر الأجزاء والشرائط، بعد إحراز ما هو المقوم لها؛ وما له دُخْل في صدق الطبيعة على المصداق الخارجي، وهو أيضاً على أقسام:

الأوّل : الشكّ في شرائط العوضين في البيع.

الثاني : أن يشكّ في تحقّق شرائط العقد.

الثالث : أن يشكّ في شرائط المتعاملين.

فالأوّل : مثل ما لو شكّ في قابليّة المبيع للنقل والانتقال، كما لو شكّ في أنّه خمر أو خلّ.

والثاني : مثل ما لو شكّ في اشتراط العريّة، أو الماضويّة، أو تقدّم الإيجاب على القبول بناء على اشتراطه.

والثالث : مثل ما لو شكّ في بلوغ البائع بعد إحراز تمييزه.

وهنا قسم آخر : وهو ما لو شكّ في أنّه هل اشترط فيه الشرط الفاسد أو لا؛ بناءً على مُفسدِيّته له.

لا إشكال في عدم جريان أصالة الصحّة في فعل الغير في القسم الأوّل - أي ما لو شكّ في تحقّق الشرط أو الجزء المقومين - لأنّ مرجعه إلى الشكّ في انعقاد العقد وتحقّقه وعدمها؛ لأنّه يعتبر في جريانها إحراز تحقّق عنوان المعاملة في الخارج، والمفروض عدم إحرازه.

وبعبارة أخرى : أصالة الصحّة لا تثمر وجود العقد وتحقّقه، بل هي لإحراز صحّة الموجود.

وأما الأقسام الأخر فذكر الميرزا النائيني تَبَيُّرُ في الأمر الأوّل من الأمور التي ذكرها: أنّ مبنى أصالة الصحّة هو الإجماع؛ حيث إنّ منعقد على أمر كليّ، صحّ التمسك بعمومه أو إطلاقه في موارد الشكّ.

وقال في الأمر الثاني : إنّ في باب العقود إجماعاً آخر - مضافاً إلى الإجماع الأوّل - على جريان أصالة الصحّة فيها.

ثمّ قال ما حاصله :

إنّه لا مجال لأصالة الصحّة في شرائط العاقد وشرائط العوضين لو شكّ فيها،

بل مجراها الشكّ في شرائط نفس العقد فقط، أو فيما لو شكّ في اختيار العاقد وعدمه، أو تفاضل أحد العوضين في الجنس الربوي وعدمه. واستدلّ عليه بالإجماع، وحيث إنّه لبيّ لا إطلاق فيه، فالقدر المتيقّن منه ما ذكرناه.

وبعبارة أخرى: إنّ شرائط المتعاملين أو العوضين قد أخذت في عقد الوضع لأصالة الصّحة، فلا تجري مع الشكّ فيه<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: يرد عليه:

أولاً: أنّ المسألة ليست ممّا تصلح للاستدلال عليها بالإجماع، بعد بناء العقلاء قاطبة عليها، فإنّ الإجماع حينئذٍ ليس دليلاً على حجة مضافاً إلى بناء العقلاء، وليس لهم بما هم عقلاء ارتباط بالشرع؛ لتكون بعض القيود عندهم شرعية مأخوذة في عقد الوضع لأصالة الصّحة.

وثانياً: لا معنى لدعوى الإجماع الثاني في المعاملات بعد تحقّق الإجماع الأوّل؛ لأنّه ليس إجماعاً آخر سوى الأوّل المنعقد على الأمر الكلّي بزعمه. وثالثاً: لو كان الإجماع الأوّل صالحاً وقابلاً لرفع الشكّ في الموارد المشكوكة، فلاضير في إهمال الثاني؛ لعدم الاحتياج إليه حينئذٍ.

فنقول: أمّا القسم الأخير - وهو ما لو شكّ في اشتراط الشرط الفاسد في العقد وعدمه - فهو على أنحاء؛ لأنّ الشكّ فيه تارة: في أنّه هل اشترط فيه ما يخالف الكتاب والسنة أو لا؟

وأخرى: ما يعلم باشتراط شرط فيه، لكنّه مردّد بين المفسد للعقد وعدمه، وهو أيضاً على قسمين:

لأنّه إمّا أنّه دائر بين الأقل والأكثر، كما لو علم بأنّه اشترط الكتابة في البيع، لكنّه لم يعلم أنّه شرط شرب الخمر أيضاً أو لا.  
وإمّا دائر بين المتباينين، كما لو علم بأنّه اشترط فيه إمّا الكتابة، وإمّا شرب الخمر.

أمّا الأوّل : فقد يقال : إنّ المرجع فيه هو استصحاب عدم اشتراط الشرط الفاسد في العقد.

وأورد عليه : بأنّه استصحاب للعدم الأزلي للشرط بنحو مفاد «كان» التامة، يراد به إثبات عدم اشتراط العقد به بنحو مفاد «كان» الناقصة، ومن المعلوم عدم إثباته به.

وفيه : أنّ الغالب ليس من هذا القبيل؛ لأنّ الاشتراط في عقد البيع - مثلاً - يوجد متدرّجاً ؛ لأنّه يقول في الإيجاب - مثلاً - : «بعت واشترطت عليك كذا»، فقلوه: «بعت» شروع في إيقاع البيع، وهو معلوم، وإنّما الشكّ في تحقّق الشرط الفاسد بعده وعدمه، والأصل عدمه، فقلوه: «بعت» حين صدوره منه لم يكن مقيداً به، ويشكّ في تقييده بالشرط وعدمه، فيستصحب عدمه، نظير ما لو علم بدخوله في الصلاة، ثمّ شكّ في إيجاد المفسد لها أو لا، ولا يرد عليه الإشكال المذكور.

نعم يرد عليه إشكال آخر: وهو أنّه ليس للمستصحب في هذا الاستصحاب أثر شرعي؛ لأنّ الأثر المترتب على المعاملة التي لم يشترط فيها الشرط الفاسد هي الصحّة، وهي - كما عرفت مراراً - ليست من الآثار الشرعيّة، فلا مجال للاستصحاب المزبور، وحينئذٍ لا مانع من جريان أصالة الصحّة فيه.

وأمّا المردّد بين الأقل والأكثر، فالكلام بالنسبة إلى الشرط الزائد، هو الكلام المذكور في الصورة السابقة.

وأمّا الثاني : - وهو الشرط المردّد بين المتباينين - فإمّا لا يجري فيه

رأساً، أو يجري ويتعارض مع أصالة الصحة ويتساقطان.  
فتلخص: أن أصالة الصحة جارية في جميع الأقسام المتقدمة سوى القسم الأول منها.

#### الأمر الرابع: اختصاص القاعدة بما إذا شك في تحقق الشيء صحيحاً

إن بناء العقلاء على الصحة في عمل الغير، إنما هو فيما إذا شك في صحة العمل الصادر من الغير، وأما لو علم بصدور العمل منه صحيحاً حين صدوره منه، لكن شك في عروض المفسد عليه - بعد وجوده وصدوره - وعدمه، فليس بنائهم على جريانها فيه، كما لو شك في عروض الرباء أو العُجب بعد الصلاة - بناء على إفساد الرباء بعد العمل أيضاً - فالمحكم هو سائر القواعد والأصول، لا أصالة الصحة، وكذا لو شك في حقوق القبول بالإيجاب الذي صدر صحيحاً من البائع وغيره، أو شك في حقوق الإجازة للعقد الفضولي، أو التقابض في المجلس في الصرف والسلم، ونحو ذلك، فإن أصالة الصحة في هذه لا تقتضي حقوق القبول والإجازة والتقابض في المجلس؛ لأن الصحة في كل شيء بحسبه - كما أفاده الشيخ الأعظم رحمته<sup>(١)</sup> - فأصالة الصحة في الإيجاب: عبارة عن كونه بحيث لو تعقبه القبول ترتب عليه أثر النقل والانتقال، وكذلك في العقد الفضولي لو شك في حقوق الإجازة به، فالصحة في أمثال ذلك عبارة عن الصحة التأهيلية، ولا دخل للحقوق القبول والإجازة فيها، بل هما من متمات سبب الانتقال.

نعم بعض أمثلة الشيخ الأعظم رحمته لا يخلو عن الإشكال، فإنه رحمته ذكر في الأمر

الثاني - في الجواب عن المحقق الثاني <sup>(١)</sup> - ما حاصله: أنه لو شك في بلوغ أحد المتعاقدين فهو على وجهين :

أحدهما : أن يكون العمل صادراً منه فقط بنحو الاستقلال، كالوقف والطلاق ونحوهما من الإيقاعات.

ثانيهما : أن يصدر منه لا بنحو الاستقلال في العمل، كالبيع ونحوه من المعاملات التي تفتقر في تحققها إلى المتعاقدين.

فقال : إن أصالة الصحة لا تجري في الأول دون الثاني، فلو كان الشك في صحة المعاملة وفسادها، ناشئاً عن الشك في بلوغ أحد المتعاقدين مع العلم ببلوغ الآخر، فإنها وإن لم تجر بالنسبة إلى فعل المشكوك بلوغه، لكنها جارية في فعل الآخر المعلوم بلوغه، المستلزمة لصحة فعل المشكوك بلوغه، فيترتب عليه آثار المعاملة الصحيحة <sup>(٢)</sup>. انتهى حاصله.

أقول : يرد عليه : أن ذلك منافٍ لما ذكره في الأمر الثالث: من أن صحة كل شيء بحسبه، مثلاً صحة الإيجاب: عبارة عن كونه بحيث لو تعقبه القبول لترتب عليه النقل والانتقال، فلو تجرد الإيجاب عن القبول فهو لا يوجب عدم صحة الإيجاب، فإنه معتبر في العقد، لا في الإيجاب، وغير ذلك مما تقدم من الأمثلة، فإن مقتضى ذلك عدم استلزام صحة كل من الإيجاب والقبول لصحة الآخر، فإنه لو استلزم عدم لحوق القبول أو فساده فساد الإيجاب للزوم لغويته فالعكس - أي القبول بدون تقدم الإيجاب أو فساده - أولى باللغوية والفساد، مع أنه لا معنى لأصالة الصحة في الطرف الآخر وهو البالغ؛ لعدم الشك في صحة فعله، ولا يراد جريانها في نفس المعاملة أيضاً.

١ - جامع المقاصد ٥ : ٣١٥، و ٧ : ٣٠٧ - ٣٠٨.

٢ - فرائد الأصول : ٤١٧ سطر ١٤.

وأما في فعل المشكوك بلوغه، فصريح هو <sup>١</sup>بعدم جريان أصالة الصحة فيه. وأما ما دفع به الميرزا النائيني <sup>٢</sup>التنافي بينهما؛ من أنه إنما هو فيما إذا توقف صحة فعل أحد الطرفين على صحة فعل الآخر، وما منع عنه في الأمر الثالث - وهو أن أصالة الصحة في فعل أحد الطرفين، لا تثبت صدور أصل الفعل من الآخر مع عدم توقفه عليه - فهو ليس بفارق <sup>٣</sup>.

### تذنيب: حول الشك في صحة بيع العين الموقوفة

ثم إنه لو شك في صحة بيع العين الموقوفة من المتولي على الوقف أو الناظر؛ من جهة الشك في عروض الجهة المسوغة لبيعه وعدمه، فذكر الشيخ الأعظم <sup>٤</sup>: أنه أولى بعدم جريان أصالة الصحة مما تقدم؛ لأن هذا العقد لو خُلّي وطبعه فاسد <sup>٥</sup>. وقال الميرزا النائيني <sup>٦</sup>: إن وجه الأولوية؛ هو أن الأمثلة المتقدمة مما تتصف بالصحة التأهيلية، مع عدم وجود ما يشك معه في صحته، بخلاف بيع الوقف، فإنه إما أن يقع مصاحباً للصحة الفعلية أو فاسداً <sup>٧</sup>. انتهى.

أقول: ما ذكره <sup>٨</sup>في وجه الأولوية فهو إنما يصلح لجريان أصالة الصحة فيه؛ وذلك لأنه يرد على الشيخ <sup>٩</sup>: بأن تفريع بيع الوقف على الأمثلة المتقدمة غير وجيه؛ للفرق بينهما، فإن أصالة الصحة في نفس الإيجاب وإن كانت جارية، لكنها لا تفيد ترتب النقل والانتقال وإثبات صحة البيع؛ لأنه مع الشك في وجود القبول يشك في تحقق البيع وعدمه، ومعه لا معنى لجريان أصالة الصحة، وبيع الوقف ليس كذلك؛

١ - فرائد الأصول: ٤١٨ سطر ٢٣.

٢ - فرائد الأصول ٤: ٦٦٢، هامش ١.

٣ - فرائد الأصول: ٤١٩، سطر ٤.

٤ - فرائد الأصول ٤: ٦٦٣.

لعدم اتصافه بالصحة التأهليّة؛ بأن يتوقّف ترتّب الأثر عليه على أمر آخر، فأمره دائر بين وقوعه صحيحاً فعليّاً، ترتّب عليه الأثر، وبين وقوعه فاسداً بالكليّة لا يترتّب عليه أثر، نظير الشكّ في صحة البيع من جهة الشكّ في سائر الشرائط، فإنّ اختلاف ما هو منشأ الشكّ لا يصلح للفارقة، ومجرّد وجود المقتضي للبطلان فيه لا يمنع عن جريان أصالة الصحة؛ لعدم اشتراط أصالة الصحة بعدم وجود المقتضي للبطلان في العقد.

وإن أراد أنّ أصالة الصحة وإن كانت جارية فيه، إلّا أنّ هنا أصلاً موضوعيّاً حاكماً عليها، وهو استصحاب عدم عروض المسوّغ لبيعته؛ للشكّ فيه. ففيه: أنّه إن قلنا: إنّ أصالة الصحة أمانة عقلائيّة أمضاها الشارع، فقيامها وجريانها في المسبّب رافع للشكّ في السبب أيضاً، كما لو قامت اليقنة على صحة هذا البيع، فإنّه لا مجال معها لجريان استصحاب عدم المسوّغ؛ أي السبب. وإن قلنا: إنّها أصل عقلائيّ، فليس هذا المورد مورد دعوى حكومة دليل الاستصحاب على دليل أصالة الصحة؛ لما عرفت سابقاً؛ من أنّ الحكومة تحتاج إلى لسان ودليل لفظيّ، ودليل أصالة الصحة لبّيّ هو بناء العقلاء، بل المورد مورد دعوى صلاحية الاستصحاب للرادعية<sup>(١)</sup> عن بناء العقلاء، وهو غير صالح لذلك؛ لاحتياجها إلى بيان واضح، وإلّا ففي جميع موارد أصالة الصحة يوجد مثل هذا الاستصحاب

١ - وفيه: أنّ دليل الاستصحاب - أي أخباره - لفظيّ، وهو كافٍ في حكومته عليها، وإلّا يلزم عدم حكومة الاستصحاب على البراءة العقلية وسائر الأصول الغير اللفظية، مع أنّه منقوض بحكومة خبر الواحد واليد ونحوهما من الأمارات العقلية - كما هو مبناه دام ظلّه في خبر الواحد واليد - على الأصول، مع أنّ الدليل عليهما غير لفظيّ، وحينئذٍ فيمكن أن يقال: إنّ الحاكم هو الذي يرفع موضوع الدليل المحكوم ويضيقه أو يوسعه وإن لم يكن لفظيّاً. [المقرّر حفظه الله].



الموضوعي، مثل استصحاب عدم النقل والانتقال، بل يرتفع الشك في موارد جريان أصالة الصحة عند العقلاء، مع أنه يشترط في الاستصحاب الشك في البقاء. وإن أراد ما ذكره الميرزا النائيني رحمته؛ من أن هذا الشرط - أي وجود المسوّغ في بيع الوقف - مأخوذ في عقد الوضع لأصالة الصحة، فلا بد من إحرازه في جريانها، فقد تقدّم ما فيه.

### نقل كلمات السيّد الطباطبائي رحمته وما فيها

ثمّ إنّه قال السيّد رحمته في ملحقات «العروة»<sup>(١)</sup> - في مسألة ٦٣ - : لو باع المتولّي الموقوف عليه أو الناظر العين الموقوفة، وشكّ في صحة البيع وعدمها، فلا تجري فيه أصالة الصحة، فهو نظير ما لو باع غير ذي اليد ملك غيره بدعوى إذنه فيه. وقال : لو ادّعى المتولّي أو الناظر وجود المسوّغ لبيعه وعروضه، لا يسمع منه، ويجوز للبطلان اللاحقة انتزاع العين من المشتري. ثمّ قال : ولا يجوز الاشتراء من الناظر أو المتولّي لو جعلها في معرض البيع، ومجرّد دعواه عروض المسوّغ، غير مسموعة، وكونه ذا يد عليها لا يفيد في استماع دعواه في تصرّفاته؛ لأنّ يده يد وقف، وتأثير يده هو وجوب حفظ العين الموقوفة ومصالحها، لا إفنائها، نظير يد الدّعي، فإنّها مؤثّرة في حفظ الوديعة ونحوه، لا في إفنائها، وحينئذٍ فلا بدّ من التمسك بأصل آخر سوى أصالة الصحة، وهو استصحاب عدم عروض المسوّغ.

وقال في مسألة أخرى: لو كانت العين الموقوفة في يد آخر - سوى المتولّي - وهو يعامل معها معاملة الملكية، فشكّ في صحة البيع الذي انتقلت به إليه، فهل تكون

يده غاصبة فتجب عليه إقامة البيّنة، أو مالكيّة، فلا بدّ أن يقيم مدّعي البقاء على الوقفيّة البيّنة؟ الأقوى الثاني<sup>(١)</sup>.

أقول: أمّا ما ذكره في المسألة الأولى: من أنّه ليست له يدٌ، بل يده يد وقف. ففيه: أنّ المتولّي - المنصوب من جانب الواقف أو الحاكم الشرعي - ذو يد عليه في جميع شؤونه ومصلحه من الإجارة وغيرها، ومنها بيعه عند عروض المسوّغ له، فإنّه لم يقل أحد بوجوب تصدّي غيره لبيعه عند عروض المسوّغ، وهو أيضاً معترف بذلك؛ حيث قال: يجوز الشراء منه لو علم بالمسوّغ، وحينئذٍ فهو ذو يدٍ عليه؛ بمعنى أنّه مستولٍ عليه في جميع تصرّفاتة السائغة له، ولا ينافيه عدم جواز بيعه عند عدم المسوّغ، فإنّ مثله متحقّق في اليد المالكيّة أيضاً؛ حيث لا يجوز للمالك بيع ماله ربويّاً ونحوه، فكما أنّه لا يُنافي يده، كذلك فيما نحن فيه، فكما يحكم بصحّة بيع المالك فيما لو شكّ في أنّه ربويّ أو لا؛ لأصالة الصحّة، فكذلك فيما نحن فيه؛ لما عرفت من عدم الفرق بينهما، إلّا باختلاف منشأ الشكّ، وهو لا يصلح للفارقة، فما أفاده - من أنّه مثل بيع غير ذي اليد؛ بدعوى إذنه فيه - ممنوع.

وأما قوله عليه السلام: إنّها ليست يداً مستقلّة، بل هي يد الواقف، فإن أراد أنّه ليس المتولّي ذا يدٍ على العين الموقوفة، وأنّ الواقف هو ذو اليد، كما أنّه قد يقال: إنّ الجهة مالكة.

ففيه: أنّه لا يعتبر العقلاء للواقف يداً على العين الموقوفة، وقد خرجت يده عنها بالوقف، فليس هو وليّ العين الموقوفة وغيره نائباً عنه، مضافاً إلى أنّه على فرض تسليم ذلك لو عرض المسوّغ لبيعه، فلا يصحّ أن يتصدّى الواقف له، بل يتصدّيه غيره من طرفه، وهو لا يلتزم به.

وإن أراد أن يده على العين الموقوفة مثل يد الودّعي، ففيه: أنّه دعوى لا دليل عليها؛ لما عرفت أنّه مُستولٍ على جميع شئونها وتصرفاتها، حتّى البيع عند المسوّغ، بخلاف الودّعي، فإنّ يده ليست كذلك، وحينئذٍ فإذا كانت للعين الموقوفة حالتان، يجوز بيعها في إحداها دون الأخرى، والمفروض استيلاؤه عليها في كلتا الحالتين، فلو باعها وشكّ في ذاك البيع من جهة الشكّ في وجود المسوّغ، فلا مانع من جريان أصالة الصّحة فيه.

وما ذكره رحمته : من جواز انتزاع البطون اللاحقة لها من المشتري، فهو خلاف ما يقتضيه موازين القضاء، بل لابدّ من رفع الأمر إلى الحاكم. وأما ما أفاده في المسألة الأخرى، فظاهره ينافي ما أفاده في المسألة الأولى؛ من جواز انتزاع البطون اللاحقة لها من المشتري؛ لمنافاته ما ذكره: من اعتبار يده على العين الموقوفة مع دعواه المالكية، فإنّه مع فرض العلم بكونها موقوفة سابقاً، فلا بدّ أن تكون ملكيّة لها لأجل شرائه لها من المتولّي بعد عروض المسوّغ، فمع الشكّ في عروضه لا مجال للحكم بالصّحة إلّا لقاعدة الصّحة، فلو فرض جريانها في هذه الصورة فالمسألة الأولى أيضاً كذلك.

والحاصل: أنّ يد المشتري عليها إن كانت أمانة على الملكية هنا، فلتكن كذلك في المسألة الأولى أيضاً.

نعم بين المسألتين فرق: وهو أنّ الذي له يد على العين، هو المشتري من المتولّي بلا واسطة، وهو غير معلوم في الثانية؛ لاحتمال وقوع الوسائط في البين، لكنّه لا يصلح فارقاً بينهما.

نعم تقدّم في باب اليد: عدم ثبوت بناء العقلاء على أماريّة اليد واعتبارها؛ فيما لو كان لأحد يدٌ على العين الموقوفة، ولم يعلم أنّها حصلت قبل زوال الوقفيّة أو بعدها، فيمكن أن يقال: إنّ ما نحن فيه من هذا القبيل، ففيما نحن فيه ليس في العقد

اقتضاء الصحة، بل فيه اقتضاء الفساد، وليس بناؤهم على الصحة فيه. لكن فرق بين المقام وبين ما تقدّم؛ حيث إنّه لا قصور ليد المتولّي واستيلائه على العين الموقوفة في جميع شؤونها والتصرّفات والتقلّبات فيها، غاية الأمر أنّه ممنوع شرعاً عن بيعها مع عدم المسوّغ، فالظاهر بناء العقلاء على الصحة هنا، بخلافه فيما تقدّم.

### الأمر الخامس : اعتبار إحراز اصل العمل في جريان أصالة الصحة

إنّما تجري أصالة الصحة في فعل الغير لو علّم أنّه أوجده وفعله بعنوانه؛ سواء علّم بذلك حين العمل أم بعده، وأمّا لو لم يعلم بذلك فلا، كما لو لم يعلم بأنّه قصد الإخبار من قوله: «بعت» أو الإنشاء، وكذا لو لم يعلم بأنّ العمل الفلاني الذي فعله، هل هو بعنوان الصلاة أو لا.

واختلفوا في فعل النائب : فقال الشيخ الأعظم رحمته : إنّ المشهور عدم جريان أصالة الصحة فيه.

ثمّ قال : ولو فرّق بين الصلاة على الميّت وبين النيابة عنه: بأنّا لا نعلم وقوع الصلاة من النائب - في مقام إبراء ذمّة المنوب عنه - والإتيان بالصلاة على أنّها صلاة؛ لاحتمال تركه لها بالمرّة، أو إتيانه بمجرد الصورة لا بعنوان أنّها صلاة عنه، اختصّ الإشكال بما إذا علّم من حاله: أنّه في مقام الصلاة عن الميّت إلّا أنّه يحتمل عدم مبالاته بما يحلّ بالصلاة... إلى أن قال : ويمكن أن يقال - فيما إذا كان الفعل الصادر عن المسلم على وجه النيابة عن الغير، الذي هو مكلف به أولاً وبالذات، كالعاجز عن الحجّ - : إنّ لفعل النائب عنوانين :

أحدهما : من حيث أنّه فعل من أفعال النائب، ولهذا يجب عليه مراعاة الأجزاء والشروط بحسب تكليفه ويترتب عليه آثاره، مثل استحقاق الأجرة ونحوه.

ثانيهما : من حيث إنّ فعل للمنوب عنه؛ حيث إنّ بمنزلة الفاعل بالتسبيب، وكأنّ الفعل بعد قصد النيابة قائم بالمنوب عنه، وهذا الاعتبار يُراعى فيه القصر والإتمام.

وبعبارة أخرى : إن كان فعل الغير يُسقط التكليف عنه من حيث إنّ فعل الغير، كفت أصالة الصّحة في السقوط، كما في الصلاة على الميت، وإن كان إنّما يُسقط التكليف من حيث اعتبار كونه فعلاً له ولو على وجه التسبيب، كما في استنابة العاجز عن الحجّ، لم تنفع أصالة الصّحة في سقوطه<sup>(١)</sup>.

أقول : لا بدّ من تصوير النيابة عند العقلاء، فإنّها كالوكالة والولاية من الأمور الاعتباريّة العقلانيّة:

أمّا الوكالة : فهي عبارة عن إيكال الأمر الذي له سلطنة عليه - من العقود والإيقاعات - إلى الغير أن يوقعه، والعمل إنّما هو للوكيل، فيعدّ صادراً منه، لا من الموكل، ونسبته إليه إنّما هي لأنّه فاعل بالتسبيب؛ من جهة إيكاله الأمر إلى الوكيل، فلا بدّ أن يكون متعلّقها ممّا يقبل التوكيل، كالعقود والإيقاعات.

وأما النيابة : فهي عبارة - عند العقلاء - عن اعتبار وجود النائب منزلة وجوب المنوب عنه، وأنّه هو، فلا بدّ أن يكون الفعل ممّا يعتبر فيه المباشرة أولاً وبالذات، كما في الحجّ ونحوه من العبادات، فالاستنابة إنّما هي في صورة عجز المنوب عنه عن العمل مباشرة، فوارد النيابة مغايرة لموارد الوكالة عندهم.

وأما الولاية: فليست هي من هذا القبيل ولا ذاك، بل هي عبارة عن جعل السلطة والألويّة بالتصرف على المولى عليه في أموره لقصوره. وكذلك النبوة: فليست هي نيابة ولا وكالة.

وحينئذٍ فلو شكّ في صحّة فعل الوليّ، فلا إشكال في جريان أصالة الصحّة فيه، وكذلك الوكيل؛ لأنّه فعله، لا فعل الموكل.

وأما النيابة : فالإشكال فيها إنّما هو من جهة توهم اعتبارها تنزيراً فعل النائب منزلة فعل المنوب عنه، فكأنّه صادر عنه لا عن النائب، فلا مجال لأصالة الصحّة فيه، لكن قد عرفت أنّه ليس كذلك، بل اعتبارها هو تنزيل وجود النائب منزلة وجود المنوب عنه، مع أنّ الفعل للنائب، فقول الشيخ عليه السلام : إنّ فعل قائم بالمنوب عنه، لا بالنائب؛ بحيث تجري قاعدة الفراغ.

ففيه : أنّه ليس كذلك، بل هو فعل النائب، فلا مانع من جريان أصالة الصحّة فيه، ومجرد تنزيل وجوده منزلة وجود المنوب عنه لا يمنع من جريانها.

وتوهم : أنّ القدر المتيقّن من بناء العقلاء غير تلك الصورة ، أيضاً ممنوع. ثمّ ما ذكره - من أنّه يمكن أن يكون للفعل جهتان ... إلى آخره - فهذان الاعتباران ممّا لا يجتمعان ، فإنّه لو اعتبر أنّ فعل النائب فعل للمنوب عنه، فكيف يمكن اعتبار أنّه فعله نفسه؟!

فالحقّ : أنّ الفعل للنائب، لكن اعتبر وجوده وجود المنوب عنه تنزيراً، ولهذا لا بدّ في الجهر والإخفات من مراعاة تكليف نفسه، وفي القصر والإتمام من مراعاة تكليف المنوب عنه.

وظهر بذلك ما في إشكال بعض : في الائتمام بمن يصليّ عن الميّت نيابة؛ لأنّه بمنزلة الميّت.

فإنّه في غير محلّه؛ إذ لا ريب في أنّ المصليّ هذا ليس بميّت، بل هو منزل منزلة الميّت، لا أنّه نفسه.

### الأمر السادس : عدم حجّية مثبتات أصالة الصحة

هل تكون أصالة الصحة من الأمارات العقلانيّة التي مثبتاتها حجّة، أو أنّها وإن كانت كاشفة عن الواقع عندهم، لكن ليست مثبتاتها حجّة، أو أنّها أصل تعبديّ عندهم؟

لابدّ من ملاحظة بناء العقلاء بالنسبة إلى لوازمها، فنقول: المعلوم من بنائهم هو الحمل على الصحة في نفس العمل، كما لو صلى أحد إلى جهة، وشكّ في صحّة صلاته؛ من جهة الشكّ في أنّ القبلة هي هذه الجهة التي صلى إليها أو لا، فإنّ تلك الصلاة عندهم محكومة بالصحة، وأمّا أنّ القبلة أيضاً هي هذه الجهة؛ ليرتّب عليها آثارها، فلا.

نعم لو فرض أنّ بناءهم عليها، إنّما هو لكشفها عن الواقع وإلغاء احتمال الخلاف، لزم القول بأنّها أمارّة، ومثبتاتها حجّة، لكن ليس كذلك؛ لعدم بنائهم فيها على ثبوت لوازمها العقلية والعادية وملزوماتها.

قال الشيخ الأعظم : لو دار الأمر بين كون الثمن في المعاملة الصادرة من الغير خمراً أو خلاً، فأصالة الصحة في نفس البيع جارية، لكن لا يحكم بأنّ الثمن خلّ، وأنّه منتقل إلى البائع؛ لاستصحاب عدم الانتقال<sup>(١)</sup>.

وأورد عليه الميرزا النائيني رحمته بوجهين :

الأوّل : قد تقدّم بيانه وعدم تماميّته .

الثاني : أنّه لا معنى لهذا التفكيك؛ إذ لو قلنا بعدم انتقال الثمن إلى البائع، ولا المثلن إلى المشتري، فلا فائدة في جريان أصالة الصحة في نفس البيع، وإن قلنا بانتقال

المثمن إلى المشتري، دون الثمن إلى البائع، يلزم وقوع البيع بلا ثمن<sup>(١)</sup>.  
أقول : لا مانع من التفكيك بين الآثار في عالم التعبد؛ ألا ترى أنه لو توضحاً  
بالماء المستصحب النجاسة غافلاً وصلي، فإن صلاته صحيحة؛ لقاعدة الفراغ، مع أن  
الماء محكوم بالنجاسة، وكذا أعضاء الوضوء، فلو دار الثمن بين الخمر والخل، فأصالة  
الصحة في البيع لا تثبت كون الثمن خللاً، ووقوع البيع بينه وبين المثمن؛ لأنه لازم عقلي  
لها، وحينئذ فيحكم بأن المبيع للمشتري، ولا يحكم بأن الخل للبائع.  
نعم العلم الإجمالي بأن أحد المالين للمشتري مطلب آخر.  
ثم لو ترتبت الآثار الشرعية على أصالة الصحة، كما لو طلق امرأته، وشك في  
صحة الطلاق، فإن مقتضى أصالة الصحة في طلاق الغير امرأته، هو الحكم بصحة  
الطلاق، ويترتب عليه وجوب العدة، ثم جواز تزويجها من غيره بعد العدة، ثم ترتيب  
آثار الزوجية الثانية... وهكذا. وقد تقدّم في باب الاستصحاب؛ أن ترتب جميع تلك  
الآثار ليس مستنداً إلى الاستصحاب، بل الاستصحاب إنما هو لإثبات مبدأ السلسلة،  
وأما الآثار المتأخرة عنه بواسطة أو وسائط شرعية، فإنما هي بالكبريات الشرعية  
الكليّة، فكذلك الكلام فيما نحن فيه، فإن أصالة الصحة إنما هي لإثبات مبدأ السلسلة،  
وأما الآثار الشرعية المتأخرة عنه، فإنما هي لأجل شمول الكبريات الكليّة الشرعية  
لها، كالأدلة الدالة على وجوب العدة على المطلقة صحيحاً، أو الدالة على جواز  
تزوجها بعد العدة وأما عدم ترتب الآثار العقلية والعادية، فهو لعدم الكبرى كذلك، لا  
أن بناء العقلاء على ترتب الآثار الشرعية، دون العقلية.



## الأمر السابع : حول تقدّم أصالة الصحة على الاستصحاب

هل تتعارض أصالة الصحة مع الاستصحاب مطلقاً، أو أنّه فرق بين الأصول الموضوعيّة والحكميّة في ذلك؟

قال الشيخ الأعظم رحمته ما محصله : لا إشكال في تقدّم أصالة الصحة على مثل استصحاب عدم النقل ونحوه، لو شكّ في صحّة البيع الصادر من الغير؛ لأنّها ترفع الشكّ في موضوع الاستصحاب المذكور تعبدًا؛ لأنّ الشكّ في الانتقال مسبّب عن الشكّ في صحّة العقد وعدمه، وأنّه جامع لشرائطها وعدمه، وبأصالة الصحة يُحرز ذلك.

وأما مثل أصالة عدم البلوغ أو عدم اختيار البائع، ففي تقديم أصالة الصحة عليه وعدمه إشكال؛ لأنّه كما يقتضي أصالة الصحة كون العاقد بالغاً، كذلك يقتضي استصحاب عدم البلوغ عدمه؛ لأنّ العقد أمر وجدانيّ، والشكّ إنّما هو في بلوغ العاقد، فيستصحب عدمه، ويترتب عليه عدم الانتقال، فيتعارضان.

ثمّ أورد عليه : بأنّ الموضوع للحكم بعدم الانتقال هو عدم صدور العقد من البالغ وهو مورد الاستصحاب، لا صدور العقد عن غير البالغ، فلا أثر لأصالة عدم البلوغ المقتضية لعدم سببيّة العقد المذكور للانتقال؛ حتّى تعارض أصالة الصحة المقتضية لسببيّة العقد للانتقال، وأصالة الصحة تثبت تحقّق العقد من البالغ، ولا معارضة في الظاهر بين عدم سببيّة هذا العقد - الذي هو مقتضى الاستصحاب - وبين وقوع العقد الصادر من البالغ الذي يقتضيه أصالة الصحة؛ لأنّه من قبيل معارضة المقتضي مع اللامقتضي<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول : لقائل أن يقول : إنَّ ما ورد في النصِّ والفتوى : هو أنَّ الصَّبِّيَّ عمده وسهوه سواء، وحينئذٍ فيمكن أن يقال : إنَّ الموضوع لأثر النقل والانتقال هو صدور العقد من البالغ.

ثمَّ ما أفاده : من استصحاب عدم صدور العقد من البالغ : إن أراد استصحاب أصل عدم بنحو الكلِّي فلا يفيد، وإن أراد به استصحاب عدم صدور هذا العقد الخاص من بالغ، فليس له حالة سابقة.

وأما ما أفاده أخيراً : من أنَّه من قبيل معارضة المقتضي مع اللامقتضي .  
ففيه : أنَّ الاستصحاب أيضاً مقتضى لعدم الانتقال، فهو من قبيل معارضة المقتضيين.

والتحقيق في المقام : ما عرفت سابقاً : من أنَّ الدليل على أصالة الصِّحة هو بناء العقلاء، وهو دليل لَبِّي لا لسان له، فليس المقام مقام الشكِّ السببي والمسببي، وملاحظة حكومتها على الاستصحاب أو العكس؛ لما تقدّم : من أنَّ ذلك مختصُّ بالدليلين اللفظيين، وما نحن فيه ليس كذلك.

وتوهم : اختصاص أصالة الصِّحة بالمتدينين بدين الإسلام في غاية الفساد؛ لما نشاهد بالعيان من بناء غير المتدينين عليها أيضاً، وإن لم تكن باسمها ورسمها فيما بينهم، فإذا كان الدليل على أصالة الصِّحة هو بناء العقلاء عليها، فالذي هو فيما بينهم هو ترتب آثار الصِّحة في فعل الغير من العقد وغيره، وأمَّا أنَّ بناءهم على ذلك مستند إلى تحقُّق السبب ووجوده أولاً، ثمَّ ترتب المسبَّب، فلم يثبت ذلك، بل الثابت بينهم هو مجرد ترتيب الآثار، وحينئذٍ فليس المقام مقام الشكِّ السببي والمسببي، وتقدّم بيان عدم الفرق - في جريان أصالة الصِّحة - بين أقسام الشروط وأجزاء العقد، سوى المقومة له منها، فبمجرد الشكِّ في الانتقال وعدمه - من جهة الشكِّ في اجتماع جميع شرائط العقد وعدمه - يجري أصالة الصِّحة، وبها يرتفع الشكُّ، ولا مجال

للاستصحاب - حينئذٍ - أصلاً حتى يقال: إنه معارض بأصالة الصحة في بعض الصور دون بعض، بل الذي يمكن أن يبحث عنه: هو أن استصحاب عدم الانتقال هل يصلح للرادعية عن هذا البناء العقلائي، أو لا؟

والحق: عدم صلاحيته لذلك؛ لافتقاره إلى بيان أوفى من ذلك، بل لا يبقى ظن ولا شك عند العقلاء في موارد جريان أصالة الصحة؛ حتى يجري فيه الاستصحاب، ولهذا لا يصلح قوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾<sup>(١)</sup> للرادعية عنها وعن مثل العمل بخبر الثقة واليد ونحوهما، ولا ينقدح ذلك في أذهان العرف والعقلاء.



## المبحث الرابع

### حال الاستصحاب مع قاعدة القرعة

ومما يمكن أن يعارض الاستصحاب من القواعد «القرعة»، وحيث إنها من القواعد المهمة أيضاً، لا بأس بتفصيل الكلام فيها في أمور :

#### الأمر الأول : في دليل اعتبارها

يقع الكلام في بيان مدركها، وأنه هل يستفاد العموم أو الإطلاق من الأخبار الواردة فيها، أو لا؟ وملاحظة أنه هل يوجد في مواردها الخاصة - التي وردت فيها النصوص - جامع هو مصبّ القرعة أو لا؟

والأخبار الواردة فيها؛ منها عامة، ومنها واردة في موارد خاصة:

فمن الأولى : ما رواه الشيخ رحمته الله بإسناده عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن موسى بن عمر، عن علي بن عثمان، عن محمد بن حكيم، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن شيء، فقال لي: (كل مجهول ففيه القرعة). قلت : إن القرعة تخطئ وتصيب.

قال : (كلّما حكم الله به فليس يخطئ)<sup>(١)</sup>.

وسند الشيخ إلى محمّد بن حكيم ضعيف، لكن للصدوق عليه السلام إليه طريقان<sup>(٢)</sup>، كلاهما صحيحان.

وأما محمّد بن حكيم فهو وإن لم يوثقه النجاشي<sup>(٣)</sup> والشيخ عليه السلام<sup>(٤)</sup>، لكن الظاهر أنّه ثقة؛ بملاحظة كثرة رواياته، وتقلّ كثير ممّن لا يروي إلّا عن ثقة عنه، مثل البرنطي وابن أبي عمير، مضافاً إلى فتوى كثير ممّن لا يفتي إلّا بمضمون الروايات قريباً من ذلك، كالشيخ في «النهاية» في باب «سماع البيّنات» حيث قال: وكلّ أمر مشكل مجهول يشتهه الحكم فيه، فينبغي أن تستعمل فيه القرعة لما روي عن أبي الحسن موسى عليه السلام وعن غيره من آبائه وأبنائه عليهم السلام من قولهم عليهم السلام : (كلّ مجهول ففيه القرعة). قلت له : إنّ القرعة تُخطئ وتُصيب.

فقال : (كلّ ما حكم الله به فليس بمخطئ)<sup>(٥)</sup>.

وعن الشهيد في «القواعد»: ثبت عندنا قولهم عليهم السلام : (كلّ مجهول ففيه القرعة)<sup>(٦)</sup>. وعن «الخلاف» : إنّ مذهبنا أنّ القرعة لكلّ أمر مجهول<sup>(٧)</sup>.

وادّعى الحليّ على ذلك الإجماع من الشيعة الإمامية، وتواترت به الأخبار والآثار<sup>(٨)</sup>. انتهى.

١ - تهذيب الأحكام ٦ : ٢٤٠ / ٥٩٣ ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٩ ، كتاب القضاء ، أبواب كيفية

الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١٣، الحديث ١١ .

٢ - الفقيه (شرح مشيخة الفقيه) ٤ : ٨٨ .

٣ - رجال النجاشي : ٣٥٧ / ٩٥٧ .

٤ - الفهرست : ١٤٩ .

٥ - النهاية : ٣٤٦ .

٦ - القواعد والفوائد ٢ : ١٨٣ .

٧ - الخلاف ٢ : ٦٣٨ المسألة ١٠ .

٨ - السرائر ٢ : ١٧٣ .

فلا إشكال في هذه الرواية من جهة السند.

وروى العامة : أنَّ القرعة لكل أمر مشتبه أو مشكل.

وعن «دعائم الإسلام» عن أمير المؤمنين وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام : أنهم أوجبوا القرعة فيما أشكل، قال أبو عبد الله عليه السلام : (وأي حكم في الملتبس أثبت من القرعة، أليس هو التفويض إلى الله)، ثم ذكر قصّة يونس وعبد المطلب<sup>(١)</sup>.

وعن الشيخ المفيد في «الاختصاص» بسنده عن عبد الرحيم ، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : (إنَّ علياً عليه السلام إذا ورد عليه أمر لم يجد فيه كتاب وسنة، ساهم فيه وأصاب) .

ثم قال : (يا عبد الرحيم تلك من المعضلات)<sup>(٢)</sup> يعني : القرعة واردة في الموارد المعضلة التي أشكل فيها الأمر، أو أنَّ تلك القضية منها .

ومنها ما في ذيل صحيحة أبي بصير بسند الصدوق : (ليس من قوم تقارعوا، ثم فوّضوا أمرهم إلى الله إلا خرج سهم المحق)<sup>(٣)</sup>.

وقريب منها رواية عباس بن هلال<sup>(٤)</sup>، ومرسلة فقه الرضا عليه السلام<sup>(٥)</sup>، ورواية

١ - دعائم الإسلام ٢ : ٥٢٢ / ١٨٦٤، مستدرك الوسائل ١٧ : ٣٧٣، كتاب القضاء ، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١١، الحديث ١ و ٢ .

٢ - الاختصاص : ٣١٠ ، مستدرك الوسائل ١٧ : ٣٧٨، كتاب القضاء ، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١١ ، الحديث ١٤ .

٣ - الفقيه ٣ : ٥٤ / ١١ ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٨ ، كتاب القضاء ، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ١٣ ، الحديث ٦ .

٤ - تهذيب الأحكام ٩ : ٣٦٣ / ١٢٩٨ ، وسائل الشيعة ١٧ : ٥٩٣ ، كتاب الفرائض والمواريث، أبواب ميراث الغرقى والمهدوم عليهم، الباب ٤ ، الحديث ٤ .

٥ - فقه الرضا : ٢٦٢ ، باب القضاء والأحكام، مستدرك الوسائل ١٧ : ٣٧٤ ، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ١١ ، الحديث ٤ .

أحمد بن محمد البرقي<sup>(١)</sup>، وابن طاووس<sup>(٢)</sup>، وفي جميعها : (أَيُّ قَضِيَّةٍ أَعْدَلَ مِنَ الْقُرْعَةِ إِذَا فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ؛ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾<sup>(٣)</sup>).

ومن الأخبار التي يمكن استفادة العموم منها - في خصوص باب تعارض البيّتين - رواية داود بن سرحان عن أبي عبد الله عليه السلام في شاهدين شهدا على أمر واحد، وجاء آخران فشهدا على غير الذي شهد الأولان عليه، واختلفوا، قال عليه السلام : (يُتْرَعُ بَيْنَهُم، فَأَيُّهُمَا قُرِعَ عَلَيْهِ الْيَمِينُ، وَهُوَ أَوْلَى بِالْقَضَاءِ)<sup>(٤)</sup>.

قوله عليه السلام : (أَوْلَى بِالْقَضَاءِ) يعني: يُحْكَمُ بِأَنَّهُ مُنْكَرٌ، وَالْآخِرُ مُدَّعٍ، وفي بعض الأخبار: (هُوَ أَوْلَى بِالْحَقِّ)<sup>(٥)</sup>، كما لا يخفى على من تتبّع اصطلاحات باب القضاء.

ومنها صحيحة عبد الرحمن بن أبي عبد الله البصري برواية الصدوق عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام إِذَا أَتَاهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ بِشُهُودٍ عَدْلُهُمْ سِوَاهُ وَعَدَدُهُمْ، أَقْرَعَ بَيْنَهُمَا عَلَى أَيُّهُمَا تَصِيرُ الْيَمِينُ، وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ أَيُّهُمَا كَانَ لَهُ الْحَقُّ فَأَدِّهِ إِلَيْهِ. ثُمَّ يَجْعَلُ الْحَقَّ لِلَّذِي يَصِيرُ عَلَيْهِ الْيَمِينُ إِذَا حَلَفَ)<sup>(٦)</sup>.

١ - المحاسن: ٦٠٣، وسائل الشيعة ١٨ : ١٩١، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١٣، الحديث ١٧.

٢ - فتح الأبواب، الباب الحادي والعشرون، بحار الأنوار ١٠١ : ٣٢٥ / ٥.

٣ - الصافات (٣٧) : ١٤١.

٤ - الكافي ٧ : ٤١٩ / ٤، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٣، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١٣، الحديث ٦.

٥ - تهذيب الأحكام ٦ : ٢٣٥ / ٥٧٧، الاستبصار ٣ : ٤٠ / ٨، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٥، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١٢، الحديث ١١.

٦ - الفقيه ٣ : ٥٣ / ٩ باختلاف يسير، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٣، كتاب القضاء، أبواب كيفية



وفي الفقه الرضوي عليه السلام : (وإذا لم يتهيأ فيها للإشهاد فلا بد من الرجوع إلى القرعة)<sup>(١)</sup>.

ومن الثانية: الروايات الواردة فيها في الموارد الخاصة المشتتة في أبواب الشهادات والقضاء والإرث وغيرها: مثل قضية الإشهاد على الدائبة<sup>(٢)</sup>، والإشهاد بالإيداع<sup>(٣)</sup>، ومورد اشتباه الولد<sup>(٤)</sup>، والإشهاد على الزوجة<sup>(٥)</sup>، وقضية الشاب الذي خرج أبوه مع جماعة ثم جاؤوا وشهدوا بموته<sup>(٦)</sup>، وقضية عتق ثلث العبيد<sup>(٧)</sup>، وقضية وصية ثلث أبيه<sup>(٨)</sup>، ومورد الاشتباه بين الولد والعبد

→ الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١٢، الحديث ٥.

- ١ - فقه الرضا : ٢٦٢ ، باب القضاء والأحكام، مستدرک الوسائل ١٧ : ٣٧٤ ، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ١١ ، الحديث ٤ .
- ٢ - تهذيب الأحكام ٦ : ٢٣٤ و ٢٣٦ / ٥٧٦ و ٥٨٢ ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٥ و ١٨٦ ، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ١٢ ، الحديث ١٢ و ١٥ .
- ٣ - الكافي ٧ : ٤٢٠ / ١ ، تهذيب الأحكام ٦ : ٢٣٥ / ٥٧٨ ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٣ ، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ١٢ ، الحديث ٧ .
- ٤ - تهذيب الأحكام ٨ : ١٦٩ و ١٧٠ / ٥٩٠ و ٥٩١ ، وسائل الشيعة ١٤ : ٥٦٦ ، كتاب النكاح، أبواب نكاح العبيد والإماء، الباب ٥٧ .
- ٥ - الكافي ٧ : ٤٢٠ / ٢ ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٤ ، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ١٢ ، الحديث ٨ .
- ٦ - الكافي ٧ : ٣٧١ / ٨ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٢٠٤ ، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ٢٠ ، الحديث ١ .
- ٧ - الفقيه ٣ : ٧٠ / ٢٣ ، تهذيب الأحكام ٨ : ٢٣٤ / ٨٤٢ و ٨٤٣ ، وسائل الشيعة ١٦ : ٦٥ ، كتاب العتق ، الباب ٦٥ .
- ٨ - الفقيه ٤ : ١٥٩ / ١٣ ، تهذيب الأحكام ٩ : ٢٢٠ / ٨٦٤ ، وسائل الشيعة ١٣ : ٤٦٤ ، كتاب الوصايا، الباب ٧٥ .

المحرّر<sup>(١)</sup>، ومورد اشتباه صبيّين أحدهما مملوك والآخر حرّ<sup>(٢)</sup>، ومورد الخنثى المشكّل<sup>(٣)</sup>، ومورد عتق أوّل مملوكه<sup>(٤)</sup>، ومورد اشتباه المعتق بغيره<sup>(٥)</sup>، ومورد عتق عبده في مرض الموت ولا مال له<sup>(٦)</sup>، ومورد اشتباه الغنم الموطوءة<sup>(٧)</sup>، ومورد قسمة أمير المؤمنين عليه السلام المال الذي أُعطي من إصبيان<sup>(٨)</sup>، وقضيّة مساهمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قريشاً في بناء البيت<sup>(٩)</sup>، ومورد استعلام موسى عليه السلام النّامّ بالقرعة<sup>(١٠)</sup>، ومورد مساهمة

١ - تهذيب الأحكام ٩ : ١٧١ / ٧٠٠ ، وسائل الشيعة ١٣ : ٤٢٧ ، كتاب الوصايا ، الباب ٤٣ ، الحديث ١ .

٢ - الكافي ٧ : ١٣٧ و ١٣٨ / ٤ و ٧ ، وسائل الشيعة ١٧ : ٥٩٢ ، كتاب الفرائض والموارث ، الباب ٤ .

٣ - تهذيب الأحكام ٩ : ٣٥٦ و ٣٥٧ / ١٢٧٣ و ١٢٧٧ ، وسائل الشيعة ١٧ : ٥٧٩ ، كتاب الفرائض والموارث ، الباب ٤ .

٤ - تهذيب الأحكام ٨ : ٢٢٥ و ٢٢٦ / ٨١٠ و ٨١٢ ، وسائل الشيعة ١٦ : ٥٨ ، كتاب العتق ، الباب ٥٧ .

٥ - الكافي ٦ : ١٩٧ / ١٤ ، تهذيب الأحكام ٨ : ٢٣٠ / ٨٣٠ ، وسائل الشيعة ١٦ : ٣٧ ، كتاب العتق ، الباب ٣٤ .

٦ - صحيح مسلم ٣ : ٤٩٠ / ٥٦ ، سنن أبي داود ٢ : ٤٢٢ / ٣٩٥٨ ، جامع الأصول ٨ : ٧١ - ٧٣ .

٧ - تحف العقول : ٣٥٩ ، تهذيب الأحكام ٩ : ٤٣ / ١٨٢ ، وسائل الشيعة ١٦ : ٤٣٦ ، كتاب الأطعمة والأشربة ، أبواب الأطعمة المحرّمة ، الباب ٣٠ ، الحديث ١ و ٤ .

٨ - الفارات ١ : ٥١ ، وسائل الشيعة ١١ : ٨٧ ، كتاب الجهاد ، أبواب جهاد العدو وما يناسبه ، الباب ٤١ ، الحديث ١٣ .

٩ - الكافي ٤ : ٢١٨ / ٥ ، مستدرك الوسائل ١٧ : ٣٧٦ ، كتاب القضاء ، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ١١ ، الحديث ١٠ .

١٠ - مستدرك الوسائل ١٧ : ٣٧٥ ، كتاب القضاء ، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ١١ ، الحديث ٥ .

رسول الله ﷺ بين أزواجه إذا أراد سفرًا<sup>(١)</sup>... إلى غير ذلك من الموارد الخاصة التي استعملت فيها القرعة.

## الأمر الثاني : القول في التخصيص المستهجن لعمومات القرعة

المشهور بين المتأخرين<sup>(٢)</sup>؛ أنه قد ورد في أخبار القرعة - عموماتها ومطلقاتها - تخصيصات كثيرة جداً؛ بحيث صارت مستهجنات لا يصدر من الشارع، فيكشف ذلك عن وجود قيود في أخبارها لم تصل إلينا، فلا بد من الاختصار في العمل بالقرعة على موارد عمل المشهور بها فيها، وإلا فلا يمكن الأخذ بعموماتها وإطلاقاتها، حتى أن ذلك صار من المسلمات بينهم، وذكره صاحب الوسائل<sup>(٣)</sup> أيضاً، ولكنه عبارة أخرى عن سقوط أخبار القرعة عن درجة الاعتبار.

لكن مقتضى التأمل والتبّع عدم استقامة ذلك، فإنه لا شك في وجود القرعة بين العقلاء واعتبارها عندهم، واستقرار بناؤهم عليها بما هم عقلاء، وإن لم يكونوا منتحلين بدين ومذهب في موارد المنازعة والاختصاص في مال أو حق، ولم يكن لهم طريق إلى الإصلاح ورفع المخاصمة بينهم، فإنهم يُقرعون في هذه الموارد، ومورد الآيتين هو مورد بناء العقلاء عليها فيه، لا لأجل كشفها عن الواقع كما في الإمارات، بل لمجرد الإصلاح ورفع النزاع والاختصاص بينهم، والقرعات المتداولة بين الناس في زماننا هذا أيضاً من أقسام القرعة، مع أنه ليس في كثير من موارد واقع معين عند الله تعالى مجهول عندنا، كما في تقسيم الأموال لتعيين سهم كل واحد من الشركاء فيها.

١ - الاختصاص : ١١٨، مستدرک الوسائل ١٧ : ٣٧٧، کتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم

وأحكام الدعوى، الباب ١١، الحديث ١٣.

٢ - كفاية الأصول : ٤٩٣، أجود التقريرات ٢ : ٤٩٤.

٣ - الفصول المهمة : ٢٨٠.

وكان بناؤهم عليها من سابق الزمان وقديم الأيَّام، مثل زمان يونس عليه السلام<sup>(١)</sup>، وفي قضية مريم عليها السلام وتعيين من يكفلها<sup>(٢)</sup>، واختلاف قريش في تعيين سهام بناء البيت الشريف<sup>(٣)</sup>.

وبالجملة : لاريب أن لها عند العقلاء مصباً خاصاً، هو باب تراحم الحقوق عند التنازع والتخاصم والاختلاف؛ سواء كان هناك واقع معلوم عند الله تعالى مجهول عندهم أم لا، وأمّا في غير ذلك فليس لهم بناء عليها، مثل استخراج الطاهر من الإبناءين اللذين علّم بنجاسة أحدهما إجمالاً، أو القبلة، ونحو ذلك.

وتقدّم أن عدم ردع الشارع عن العمل بها كافٍ في إمضاء بنائهم، والموارد الخاصة - التي تقرب من خمسين مورداً - كلّها من قبيل تراحم الحقوق، مثل مورد إرث الخنثى المشكّل، الذي هو مورد التنازع في المال، وكذلك اشتباه العيد المعتق بغيره، فالأخبار الواردة في القرعة ليست في مقام تأسيس حكم جديد، بل إمضاء لما استقرّ عليه بناء العقلاء.

نعم، قد يتوهم: أن أخبار القرعة في استخراج الشاة الموطوءة ليست من قبيل الحقوق، مثل صحيحة محمد بن عيسى عن الرجل عليه السلام : أنه سُئل عن رجل نظر إلى راعٍ نزا على شاة.

قال: (إن عرفها ذبحها وأحرقها، وإن لم يعرفها قسّمها نصفين أبداً حتّى يقع السهم بها، فتذبح وتُحرق، وقد نجت سائرهما)<sup>(٤)</sup>.

١ - الصّافّات (٣٧) : ١٤١ .

٢ - آل عمران (٣) : ٤٤ .

٣ - الكافي ٤ : ٢١٨ / ٥، مستدرک الوسائل ١٧ : ٣٧٦، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم واحكام الدعوى ، الباب ١١ ، الحديث ١٠ .

٤ - تهذيب الأحكام ٩ : ٤٣ / ١٨٢ ، وسائل الشيعة ١٦ : ٤٣٦ ، كتاب الأطعمة والأشربة،

ولكن يمكن إرجاع ذلك إلى باب تزاحم الحقوق في الحيوانات، مضافاً إلى أنه يمكن أن تكون الشياه لأشخاص مختلفة متعدّدة، فيصير من قبيل تزاحم الحقوق في الآدميين، مع أنّه على فرض استثناء هذا المورد تعبّداً لا يصحّ التعدي عنه.

والحاصل: أنّ مصبّ أخبار القرعة ومواردها الخاصّة، أيضاً هو مورد بناء العقلاء على استعمالها فيه، ويشهد لذلك رواية ثعلبة بن ميمون، - وبمضمونها روايات أخر<sup>(١)</sup> - عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سئل عن مولود ليس بذكر ولا أنثى؛ ليس له إلّا الذُّبُر، كيف يورث؟

قال: (يجلس الإمام، ويجلس عنده ناس من المسلمين، فيدعو الله، وتُجال السُّهام عليه على أيّ ميراث يورث؛ على ميراث الذكر أو ميراث الأنثى، فأبّي ذلك خرج عليه ورّثه.

قال: وأبّي قضيّة أعدل من قضيّة تُجال عليها السهام؛ يقول الله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾.

قال: (وما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله، ولكن لا تبلغه عقول الرجال)<sup>(٢)</sup>.

فإنّها تدلّ على أنّ القرعة أصلها من كتاب الله، مأخوذة منه، ولا ريب أنّ موردها في كتاب الله من باب تزاحم الحقوق، وكذلك قوله: (أبّي قضيّة) - أي قضاء - يدلّ على اختصاص القرعة بباب القضاء.

→ أبواب الأطعمة المحرّمة، الباب ٣٠، الحديث ١.

١ - أنظر وسائل السبعة ١٧ : ٥٧٩، كتاب الفرائض والموارث، أبواب ميراث الخنثى وما أنسبه، الباب ٤.

٢ - الكافي ٧ : ١٥٨ / ٣، تهذيب الأحكام ٩ : ٣٥٧ / ١٢٧٥، وسائل السبعة ١٧ : ٥٨٠، كتاب الفرائض والموارث، أبواب ميراث الخنثى، الباب ٤، الحديث ٣.

وفي كتاب العتق من المستدرك ما يدلّ على أنّ حكم القرعة منحصر بالإمام. مثل ما عن أحدهما عليه السلام، قال: (القرعة لا تكون إلّا للإمام)<sup>(١)</sup>؛ يعني وليّ أمر المسلمين، لا خصوص الإمام عليه السلام.

ويدلّ على اختصاص القرعة بباب التزاحم في الحقوق رواية جميل قال: قال الطيّار لزارة: ما تقول في المساهمة أليس حقّاً؟ فقال زارة: بلى هي حقّ. فقال الطيّار: أليس قد ورد: أنّه يخرج سهم المحقّ؟ قال: بلى.

قال: فتعال حتّى أدّعي أنا وأنت شيئاً، ثمّ نساهم عليه، وننظر هكذا هو. فقال زارة: إنّما جاء الحديث: (بأنّه ليس من قوم فوّضوا أمرهم إلى الله، ثمّ اقترحوا، إلّا خرج سهم المحقّ، فأما على التجارب، فلم توضع على التجارب). فقال الطيّار: رأيّت إن كانا جميعاً مدّعين ما ليس لهما من أين يخرج سهم أحدهما؟

فقال زارة: إذا كان كذلك جعل معه سهم مبيع، فإن كانا ادّعيا ما ليس لهما خرج سهم المبيع<sup>(٢)</sup>.

وأما رواية محدّد بن حكيم المتقدّمة، فحيث إنّ الشيء المذكور في السؤال ممّا لا يصلح أن يكون مورداً للسؤال، فلا بدّ أن يكون قد ذكر في السؤال ما يصلح أن يسأل عنه، قد أسقطه الراوي، وحيث إنّ الساقط في السؤال غير معلوم، فلعلّه كان ممّا يصلح للقرينية على عدم إرادة العموم في الجواب، فلا يصحّ التمسك بعموم الجواب.

١ - تهذيب الأحكام ٦ : ٢٤٠ / ٥٩٢، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٩، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١٣، الحديث ٩.

٢ - تهذيب الأحكام ٦ : ٢٣٨ / ٥٨٤، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٨، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١٣، الحديث ٤.

مضافاً إلى أنّه - بعدما عرفت : من أنّ المرتكز في أذهان العرف والعقلاء اختصاص القرعة بباب تزامم الحقوق ، والروايات المتقدمة كلّها متفقة على ذلك - لا يصحّ حينئذٍ رفع اليد عن تلك بمجرد هذه الرواية مع الاحتمال المتقدم ذكره فيها، مع أنّ هذه الرواية بعينها بمراءى ومنظر الشيخ عليه السلام والحليّ والشهيد عليه السلام، ومع ذلك لم يذكر واحد من هؤلاء الأعظم القرعة في غير باب تزامم الحقوق، كما تقدّمت عبائرهم. قال الشهيد عليه السلام : إنّ الضغائن والاختلافات تُرفع بها<sup>(١)</sup>، وعبارة «النهاية» المتقدمة - بمناسبة إيرادها في ضمن القضايا المشكلة في باب القضاء - ظاهرة في أنّ القرعة لكلّ أمر أشكل فيه الأمر عند القاضي، لا مطلقاً، والمراد بالحكم فيها هو حكم القاضي، لا حكم الله تعالى الواقعي، كما لا يخفى على من له أنس باصطلاحات باب القضاء.

قال في «الخلاف» - في تعارض البيّنات بعد اختيار القرعة - : دليلنا إجماع الفرقة على أنّ القرعة لكلّ أمر مجهول مشتبّه<sup>(٢)</sup>.

ولو عمّ الإجماع المذكور غير موارد التنازع في الحقوق أيضاً، لما افتقر العمل بالقرعة إلى الشهرة في كلّ مورد يتمسك بها من الموارد الخاصّة، كما ذكره المتأخرون. وكذلك ما ذكره ابن إدريس في باب سماع البيّنات : كلّ أمر مشكل يشتبّه فيه الحكم ففيه القرعة؛ لما روي عنهم عليهم السلام، وأجمعت به الشيعة الإماميّة... إلخ<sup>(٣)</sup>.

فالمراد بالحكم فيها هو حكم القاضي، فإنّه الذي تواترت به الأخبار، وأجمعت عليه الشيعة الإماميّة، لا حكم الله تعالى في الوقائع، فإنّه لم يرد فيه رواية، ولم يقل به أحد من الشيعة، وكذلك في الموضوعات، إلّا سعيد بن طاووس في مورد اشتباه

١ - القواعد والفوائد ٢ : ١٨٣ .

٢ - الخلاف ٢ : ٦٣٨ المسألة ١٠ .

٣ - السرائر ٢ : ١٧٣ .

القبلة<sup>(١)</sup>، وأفقي بها جميع الفقهاء في موارد التنازع في الحقوق وإن لم يرد فيه نص بالخصوص، بل ممّا هو شبيه بموارد النصوص، فراجع مسائل التنازع من أبواب النكاح، والطلاق، والتجارة، واللّقطة، والقضاء، والإجارة، والصلح، والوصيّة، والميراث، والعق، وكتاب الصيد، والذباحة، وإحياء الموات، والشّفعة، والإقرار، والغصب، وغير ذلك من كتب الفقه، وفتوى الفقهاء بها في موارد لم يرد فيها نص بالخصوص.

فظهر من ذلك: أنّ التخصيص في أخبار القرعة نادر جدّاً، كما في الدرهم الودعيّ ونحوه، فما ذكره المتأخرون مبنيّ على دعوى عموم أخبار القرعة لجميع موارد الشبهة حتّى في غير باب التنازع في الحقوق، وليس كذلك.

### الأمر الثالث: هل القرعة أمانة على الواقع أم أصل؟

لا ريب في أنّ القرعة ليست أمانة عند العقلاء؛ سواء كان هناك معلوم معيّن في الواقع أم لا.

أمّا في الثاني فواضح؛ لفرض عدم واقع معيّن فيه؛ حتّى يستكشف بالقرعة، كما في القرعة في مقام تقسيم الأموال المشتركة لإخراج السهام. وكذلك في الأول؛ لأنّها ليست عندهم على نحوين كاشفة عن الواقع في أحدهما دون الآخر، وهذا ممّا لا إشكال فيه.

وإنّما الكلام في أنّها كذلك عند الشارع أيضاً، أو أنّها أمانة عنده. وتقدّم: أنّ الظاهر الذي تطمئنّ به النفس: أنّ الشارع لم يؤسّس فيها شيئاً، كما



في قصة يونس عليه السلام<sup>(١)</sup> ومريم عليها السلام<sup>(٢)</sup>، فإنه إخبار من الله تعالى عن ذلك، لا أنه تشريع لأصل القرعة.

مضافاً إلى ما عرفت من أن الطريقة والأمارية ليست قابلة للجعل، وعلى فرض تسليم ذلك فهو غير ممكن بالنسبة إلى القرعة التي لا كاشفية لها أصلاً، ولذا لا يمكن جعل الشك طريقاً إلى الواقع، نعم يمكن التعمد فيه بأحد الطرفين، لكنه غير جعل الطريقة والكاشفية له، مع أن لسان الأخبار فيها ليس لسان جعل الطريقة؛ لأخذ الشك والجهل في موضوعها؛ لقوله عليه السلام: (القرعة لكل أمر مجهول أو مشتبهِ)<sup>(٣)</sup>، فهو نظير قوله عليه السلام: (رُفِعَ ما لا يعلمون)<sup>(٤)</sup>.

وأما الروايات الواردة في الموارد الخاصة حتى قولهم عليهم السلام فيها: (ما من قوم فوّضوا أمرهم إلى الله تعالى)<sup>(٥)</sup>، فإنها أيضاً لا تدل على أماريتها، بل هي ظاهرة في أن الله تعالى يوقع الحق على مستحقه بأسباب غيبية، لا أنها كاشفة بنفسها عن الواقع، كما في خبر الواحد واليد ونحوهما؛ ممّا هو بنفسه أمارة على الواقع، ولذا يبق الجهل والشك بحاله بعد القرعة أيضاً.

نعم يظهر من رواية مباحثة الطيّار مع زرارة المتقدمة: أنه فهم زرارة: أن القرعة أمارة، لكنه ليس حجة علينا.

١ - الصافات (٣٧) : ١٤١ .

٢ - آل عمران (٣) : ٤٤ .

٣ - تهذيب الأحكام ٦ : ٢٤٠ / ٥٩٣ ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٩ ، كتاب القضاء ، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ١٣ ، الحديث ١١ .

٤ - التوحيد : ٣٥٣ / ٢٤ ، الخصال : ٤١٧ / ٩ ، وسائل الشيعة ١١ : ٢٩٥ ، كتاب الجهاد ، أبواب جهاد النفس ، الباب ٥٦ ، الحديث ١ .

٥ - تهذيب الأحكام ٦ : ٢٣٨ / ٥٨٤ ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٨٨ ، كتاب القضاء ، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى ، الباب ١٣ ، الحديث ٤ .

وأما ما في بعض روايات التفويض من قوله عليه السلام: (خرج سهم المحق)<sup>(١)</sup> فعناه: أنه يجعل المحق من خرج اسمه، ولذا يفتقر إلى اليمين، ولو كانت أمانة لما احتاج إلى اليمين.

وكذلك قوله: (هو أولى بالحق)<sup>(٢)</sup> أو القضاء<sup>(٣)</sup>؛ أي: يجعل منكراً ويكلف الآخر بالبيّنة، كما فعل الإمام كذلك بعد القرعة.

وقوله عليه السلام في بعض آخر منها: (فهو صادق)<sup>(٤)</sup>، فهو في مقام الظاهر الذي يُراد منه: أنه في حكم المنكر الذي تكليفه اليمين، مع عدم إقامة الآخر البيّنة.

نعم يمكن أن يقال: إنّ رواية عباس بن هلال ظاهرة في أنها أمانة، وهي ما رواه الشيخ رحمه الله بإسناده عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن محمد بن الوليد، عن العباس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: ذكر أنّ ابن أبي ليلى وابن شهرمة دخلا المسجد الحرام، فأتيا محمد بن علي عليه السلام، فقال عليهما: (بما تقضيان)؟ فقالا: بكتاب الله والسنة.

قال: (فما لم تجدها في الكتاب والسنة)؟

قالا: نجتهد رأينا.

قال عليه السلام: (رأيكما أئتما؟! فما تقولان في جاريتين ترضعان صبيّين في بيت

١ - تهذيب الأحكام ٦: ٢٣٨ / ٥٨٤ و ٥٨٥، وسائل الشيعة ١٨: ١٨٨، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١٣، الحديث ٤ و ٥.

٢ - تهذيب الأحكام ٦: ٢٣٥ / ٥٧٧، الاستبصار ٣: ٤٠ / ٨، وسائل الشيعة ١٨: ١٨٥، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١٢، الحديث ١١.

٣ - الكافي ٧: ٤١٩ / ٤، تهذيب الأحكام ٦: ٢٣٣ / ٥٧٢، وسائل الشيعة ١٨: ١٨٣، كتاب القضاء، أبواب كيفية القضاء وأحكام الدعوى، الباب ١٢، الحديث ٦.

٤ - الكافي ٧: ٣٧١ / ٨، تهذيب الأحكام ٦: ٣١٦ / ٨٧٥، وسائل الشيعة ١٨: ٢٠٤، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ٢٠، الحديث ١.

وسقط عليهما، فماتتا وسَلِمَ الصبيّان) ؟

قالا : القافة.

قال : (القافة يتجهّم منه لهما) .

قالا : فأخبرنا .

قال : (لا).

قال ابن داود مولى له: جُعِلَتْ فداك بلغني أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام قال: (ما من قوم فوّضوا أمرهم إلى الله عزّ وجلّ، وألقوا سهامهم، إلّا خرج السهم الأصب) <sup>(١)</sup>.

وفيه أولاً: أنّ خروج السهم الأصب إنّما هو لأجل تفويض الأمر إلى الله تعالى، وبجعله تعالى ذلك، لا أنّ القرعة كاشفة عن ذلك، فإنّه - كما تقدّم - ليس لسان الأمانة: أي إلغاء احتمال الخلاف فيما يصلح لها.

وثانياً: هذه الرواية - مضافاً إلى ضعف سندها - غير واضحة الدلالة، ومن الممكن أن يكون الصادر من الإمام هكذا: «خرج سهم الحق»، كما في سائر الروايات المتقدمة، فنقله الراوي بالمعنى؛ لزعمه اتّحاد مفاد العبارتين، مع أنّها تقرير للإمام لا بيان .

ثمّ إنّ هذه الروايات - الواردة في الموارد الخاصّة - لا تعرّض لها لبيان مورد القرعة؛ وأنّها في أيّ مورد من الموارد، نعم الروايات العامّة متعرّضة لموردها، فلا بدّ أن تلاحظ النسبة بينها وبين الاستصحاب، لا الروايات الخاصّة، ولا ريب أنّ لسان الروايات العامّة لسان الأصل؛ لأخذ الشكّ والجهل والاشتباه في موضوعها، وحينئذٍ فالاستصحاب حاكم عليها؛ لارتفاع الجهل والشكّ الذي هو موضوعها به، نظير

١ - نهذيب الأحكام ٩ : ٣٦٣ / ١٢٩٨ . وسائل الشيعة ١٧ : ٥٩٣ . كتاب الفرائض والموارث،

أبواب ميراث الغرقى والمهدوم عليهم، الباب ٤ ، الحديث ٤ .

حكومته على أصالة الحِلِّ والإباحة والطهارة ونحوها.

نعم بين مؤداهما العموم من وجه، فمن حيث اختصاص القرعة بباب تزاحم الحقوق، هي أخص من الاستصحاب من هذه الجهة، ومن حيث اعتبار لحاظ الحالة السابقة في الاستصحاب فقط، فالاستصحاب أخص منها من هذه الجهة. فما أفاده الشيخ الأعظم رحمته من أنَّ بينهما العموم المطلق، وأنَّ مورد الاستصحاب أخص من مورد القرعة <sup>(١)</sup> - مبنيٌّ على عدم اختصاصها بباب تزاحم الحقوق، وعمومها لجميع موارد الجهل، لكن عرفت خلافه.

وقال الميرزا النائيني - على ما في التقريرات - : الظاهر عدم إمكان اجتماع القرعة مع الاستصحاب في مورد؛ حتّى تلاحظ النسبة بينهما؛ لأنَّ التعبد بالقرعة إنّما هو في مورد يشتبه فيه موضوع التكليف، ويتردّد بين الأمور المتباعدة، ولا محلّ للقرعة في الشبهات البدويّة؛ من غير فرق بين الشبهة التي هي مجرى أصالة البراءة والحِلِّ، وبين مجرى الاستصحاب <sup>(٢)</sup>. انتهى.

أقول : دليل القرعة وإن اختصّ بما ذكره رحمته - من موارد العلم الإجمالي - لكن الاستصحاب لا يختصّ بالشبهات البدويّة الحكميّة، بل يجري في كثير من موارد العلم الإجمالي، كما هو معترف بذلك <sup>(٣)</sup>، وصرّح بجريان استصحاب عدم عقد الأب إلى زمان وجود عقد الجدّ؛ فيما لو علم بوقوعها، وشكّ في المتقدّم والمتأخّر منها مع العلم بتأريخ عقد الجدّ <sup>(٤)</sup>، فإنّ في هذا المورد لو فرض عدم جريان الاستصحاب، أو لم نقل

١ - فرائد الأصول : ٤٢٢ سطر ٢٣ .

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٦٧٨ .

٣ - فوائد الأصول ٤ : ٦٩٦ - ٦٩٧ .

٤ - أنظر فوائد الأصول ٤ : ٥٠٨ ، حاشية المحقّق النائيني على العروة الوثقى ، كتاب النكاح ، فصل في أولياء العقد، المسألة ٩ و ٣٥ .

بتقدمه على القرعة، فلا مانع من جريانها، ومثله ما لو كان لأحد مال سابقاً، ثم تنازع فيه هو مع غيره مع فرض عدم اليد عليه لأحدهما، فإنه يستصحب ملكيته السابقة، وعلى فرض عدم تقدم الاستصحاب على القرعة يُقرع بينهما. وهذا ممّا لا إشكال فيه.

### الأمر الرابع: هل للأدلة العامة للقرعة إطلاق من جميع الجهات أم لا؟

في عمومات أخبار القرعة - مثل قوله عليه السلام: (القرعة لكل أمر مُشْكِل)<sup>(١)</sup> بحسب مقام الثبوت - احتمالات :

الأوّل : أن المراد : كلّ أمر له واقع معلوم عند الله تعالى مجهول عندنا، ففيه القرعة، كالمال المردّد بين كونه لزيد أو عمرو.

الثاني : أن المراد : كلّ مورد من موارد التنازع، اشتبه حكمه على القاضي - والتبس عليه ميزان القضاء؛ لعدم ما يميّز به المدّعي والمدّعى عليه - فيه القرعة لتشخيص ذلك، كما لو وطأ اثنان امرأة واحدة في طُهر واحد، فاحتبلت وأدّعاها كل واحد منهما، فإنه ليس فيه ما يميّز به المدّعي عن المنكر، فتختصّ بما إذا رُفِع الأمر إلى القاضي الشرعي، والتبس عليه أمر القضاء فيه.

الثالث : أن تعمّ مضافاً إلى ما ذكر - من المورد الثاني - ما لو رُفِع الأمر إلى الحاكم السياسي أيضاً في الأمور السياسيّة من الحدود ونحوها.

الرابع : أن لا تختصّ بالحاكم الشرعي والسياسي أيضاً، بل تعمّ جميع الموارد المشكلة في مقام رفع التشاح والتنازع في الحقوق بالنسبة إلى جميع المكلفين. هذا بحسب مقام الثبوت.

وأما في مقام الإثبات فنقول : فرق بين قوله عليه السلام: (القرعة لكلّ أمر مُشْكِل)

وبين قوله: (لكلّ أمر مجهول)، فإنّ الثاني إنّما يطلق فيما لو كان هناك واقع معلوم عند الله تعالى مجهول عندنا، ولا يُطلق فيما لم يكن هناك واقع معلوم أصلاً؛ حيث إنّ الظاهر من لفظ المجهول، هو تعلّق الجهل بنفس الشيء، فيقال: الواقع مجهول غير معلوم، بخلاف الأول، فإنّه إنّما يطلق فيما أشكل فيه حلّ التنازع ورفع، فعنى المُشكّل: أنّ حلّه مُشكّل وحكمه مُشكّل، لا نفسه، ولا اختصاص له بما إذا كان للشيء فيه واقع معلوم عند الله تعالى، بل هو عامّ يشمل جميع الاحتمالات المتقدّمة، إلّا أن يقوم دليل على الخلاف، لكن يستفاد من جُلّ الروايات الواردة في القرعة - لولا الكلّ - أنّ الحاكم هو الذي يقرع لتشخيص المدّعي والمدّعى عليه؛ لقوله عليه السلام: (فهو أولى بالحق)، أو (أولى بالقضاء)، أو (عليه اليمين) ونحو ذلك، وحينئذٍ فالمراد بالمُشكّل: الأمر الذي أشكل والتبس حكمه على القاضي في مقام القضاء.

ويشهد لذلك: ما في رواية «دعائم الإسلام»: أنّ الأئمة عليهم السلام أوجبوا الحكم بالقرعة فيما أشكل، وقال أبو عبد الله عليه السلام: (أيّ حكم في الملتبس أثبت من القرعة؟! ليس هو التفويض إلى الله)؟! ثمّ ذكر قصّة يونس ومريم وعبد المطلب<sup>(١)</sup>، فإنّه ليس في موارد هذه القصص الثلاث واقع معلوم عند الله تعالى مجهول عندهم، فارتفع بالقرعة إشكال التنازع في كفالة مريم وقصّة يونس وعبد المطلب، فهي تدلّ على شمول حكم القرعة للحاكم السياسي أيضاً، وكذلك رواية عبد الرحيم المتقدّمة في «الاختصاص»: قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إنّ عليّاً عليه السلام كان إذا ورد عليه أمر لم يجيء فيه كتاب، ولم تجر فيه سُنّة، وجم فيه؛ يعني ساهم). ثمّ قال: (يا عبد الرحيم تلك من المعضلات)<sup>(٢)</sup>، فهي أيضاً تدلّ على عدم

١ - دعائم الإسلام ٢: ٥٢٢ / ١٨٦٤، مستدرک الوسائل ١٧: ٣٧٣ و ٣٧٤، کتاب القضاء،

أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١١، الحديث ١ و ٢.

٢ - الاختصاص: ٣١٠، مستدرک الوسائل ١٧: ٣٧٨، کتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم

اختصاص القرعة بما له واقع معلوم مجهول عند المقرع، وعدم شمولها لجميع الأحكام الشرعية؛ لأنها كانت معلومة للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام.

مضافاً إلى أن قوله عليه السلام: (إذا ورد عليه أمر) اصطلاح خاص في باب القضاء ومختص بورود الأمر ورفعته إلى الحاكم عند التنازع، وكذلك قوله عليه السلام فيها: (لم يجيء فيه كتاب، ولم يجز فيه سنة)، لا يصلح في الأحكام الشرعية، فيظهر من هذه الرواية عدم عمومية أخبارها؛ لاشتباه الأحكام الشرعية التكليفية، بل تختص بباب المنازعات والمجادلات؛ سواء كان هناك واقع معلوم بحسب الواقع مجهول عندنا، أم لا. وأما ما ذكرنا - من ظهور لفظ المجهول فيما له واقع معلوم - فهو صحيح، لكن التعبير به إنما وقع في رواية محمد بن حكيم المتقدمة فقط لا غير، وتقدم أن السؤال فيها غير معلوم وغير مذكور، وحينئذ لا يصح الأخذ بظاهر الجواب فيها؛ لاحتمال أن ما وقع في السؤال مما يصلح قرينة لصرف الجواب عن ظاهره، كما لو فرض وقوع السؤال فيها عما ليس له واقع معلوم.

وتوهم : جريان أصالة عدم القرينة، ومقتضاها بقاء الجواب على ظاهره. مدفوع : بأنه إنما يصح إذا لم يعلم بسقوط شيء في السؤال مما يصلح للقرينية، وأما معه - كما هو المفروض - فلا، ولهذا جمع بين عنوان المجهول والمشتبه والمشكل في مثل عبارة الشيخ المتقدمة، وكذلك الشهيد والحلي رحمهما لم يفرقا بين تلك العناوين، مع وجود هذه الرواية عندهم.

وحينئذ فتقدم الاستصحاب على القرعة من باب الورود؛ لارتفاع الجهل والاشتباه بالقرعة<sup>(١)</sup>.

→ وأحكام الدعوى، الباب ١١، الحديث ١٤.

١ - لكن الظاهر أنه من باب الحكومة؛ لعدم ارتفاع موضوعها حقيقة بالاستصحاب، بل

←

## تتمّة

حيث إنّ المقصود من الفرعة ترتيب الآثار والأحكام عليها، كالحكم بالحرية والمملوكية والإرث ونحو ذلك من الأحكام التي تخالف القواعد والأصول، فلا بدّ إمّا من إحراز الإطلاق في روايات الفرعة؛ لتعمّ جميع موارد المنازعات وتزاحم الحقوق، مع عدم إمكان التصالح بين المتنازعين، أو إحراز عمل الفقهاء بها في جميع الموارد المذكورة بنحو الإطلاق، فع إحراز أحد هذين الأمرين، لا بدّ لمن يدّعي اشتراط الفرعة بكيفية خاصّة - أو سهام مخصوصة أو دعاء خاصّ أو مقرر خاصّ، كالإمام أو القاضي - من إقامة الدليل على دعواه؛ لفرض الإطلاق في الروايات، أو عدم اختصاص بناء العقلاء على ذلك، فالعمدة إحراز أحد هذين الأمرين.

أمّا رواية محدّد بن حكيم<sup>(١)</sup> فليست هي في مقام بيان شرائط الفرعة ومن يتصدّى لها، بل هي في مقام بيان موارد الفرعة ومصّبّها، وأنّها جارية في جميع موارد الجهل.

وأمّا الروايات التي عبّر فيها بقوله: (ما من قوم فوّضوا أمرهم إلى الله)<sup>(٢)</sup> أو ما يقرب من ذلك، فهي أيضاً ليست في مقام بيان كيفة الفرعة، بل في مقام بيان أنّه بالفرعة يخرج سهم الحقّ بالمعنى المتقدّم، خصوصاً التي عبّر فيها بخروج سهم

---

→ بالتعبّد، مثل (لا شكّ لكثير الشكّ) بالنسبة إلى أدلّة الشكوك، وهو معنى الحكومة. [المقرّر حفظه الله].

١ - تهذيب الأحكام ٦: ٢٤٠ / ٥٩٣، الفقيه ٣: ٥٢ / ٢، وسائل الشيعة ١٨: ١٨٩، كتاب

القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١٣، الحديث ١١.

٢ - تهذيب الأحكام ٦: ٢٣٨ / ٥٨٤ و ٥٨٥، الاستبصار ٣: ٣٦٩ / ٦، وسائل الشيعة ١٨:

١٨٨، كتاب القضاء، أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى، الباب ١٣، الحديث ٤ و ٥.



المُحَقَّق<sup>(١)</sup>، وفي بعضها: (يجلس الإمام ويقرعه)<sup>(٢)</sup> وفي آخر: (أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقرعه).

وبالجملة: أكثر الروايات التي تدلّ على أنّها من شؤون الإمام - وأنه يُقرعه لو اشتبه عليه ميزان القضاء - لا يستفاد منها: أن كلّ مورد اشتبه فيه الأمر يلزم المتنازعين أن يُقرعوا، بل لو رفعوا الأمر إلى القاضي، فهو يقرعه بينهم لو اشتبه عليه أمر القضاء وميزانه.

نعم يمكن دعوى عدم اختصاصها بالإمام في بعض الموارد الجزئية، مثل موارد قسمة الأموال المشتركة لإخراج السهام، وأمّا في مقام التنازع والتشاح فلا تصحّ دعوى عدم اختصاصها بالإمام القاضي؛ سواء كان إمام العصر عجل الله فرجه الشريف، وجعلنا لتراب مقدمه الفداء، أو غيره من الحكّام والولاة من قبلهم.

١ - المصدر السابق .

٢ - الكافي ٧ : ١٥٧ و ١ / ١٥٨ و ٣ ، تهذيب الأحكام ٩ : ٣٥٦ و ٣٥٧ / ١٢٧٤ و ١٢٧٦ ،

وسائل الشيعة ١٧ : ٥٧٩ ، كتاب الفرائض والموارث ، أبواب ميراث الخنثى وما أشبهه ،

الباب ٤ .



# مبحث التعارض واختلاف الأدلة

وقبل الورود في أصل المطلب لابد من ذكر أمور:



## الأمر الأول

### عدم تعارض العام والخاص

اختصاص الكلام في هذا الباب بتعارض الأخبار  
إنّ مبحث التعارض وإن كان بعنوانه أعمّ من عنوان تعارض الأخبار، وهو  
واضح، ولكن حيث إنّ الأغلب هو تعارض الأخبار خصوصاً عنوان البحث بهذا  
العنوان، دون تعارض قول اللّغويين ونحوه، والمذكور في جميع أخبار الباب هو  
عنوانان:

أحدهما: عنوان تعارض الخبرين كما في مرفوعة زرارة .  
ثانيهما: الخبران المتنافيان كما في سائر الروايات على اختلافها في التعبير.  
فيدور باب التعارض مدار هذين العنوانين، بل عنوان الخبرين المتخالفين؛ لأنّ  
مرجع العنوانين واحد، وهو اختلاف مضموني الخبرين، وحيث إنّ فهم المعاني  
وتشخيص موضوعات الأحكام الأصوليّة والفرعيّة، مثل (لا ينقض اليقين  
بالشك<sup>(١)</sup>)، أو الخبرين المتعارضين، منوط بنظر العرف والعقلاء، فلا بدّ من عرض هذا

---

١ - تهذيب الأحكام ١ : ٨ / ١١، وسائل الشيعة ١ : ١٧٤، كتاب الطهارة، أبواب نواقض  
الوضوء، الباب ١، الحديث ١.

العنوان - أي الخبرين المتنافيين - على العرف، وملاحظة أنه في أي مورد يصدق عليه هذا العنوان، وأي مورد لا يصدق فيه. وهذا مما لا إشكال فيه.

ولا إشكال أيضاً في أن الموجبة الجزئية والسالبة الكلية متنافيتان، وكذلك الموجبة الكلية والسالبة الجزئية، كما قرّر ذلك في المنطق<sup>(١)</sup>، ومع ذلك لا يعدّ العام والخاص المطلقان - الواردان في الكتاب والسنة - والمطلق والمقيّد متنافيين بلا إشكال، ولهذا لم يعترض بذلك أحد، مع أنه قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup> وأن هذا هو الاختلاف.

### لزوم فرض التعارض في محيط التشريع

والسرّ في ذلك : هو أنه فرق بين مقام جعل القوانين والأحكام الكلية وبين المتكلمين والمصنّفين في الأحكام الفرعية، فإنه لا ريب في تناقض العام والخاص المتنافيين في الثاني، كما لو قيل في موضع من كتاب: «كلّ ما يضمن بصحيحه يضمن بفاسده»، وقيل في موضع آخر منه: «إنّ المعاملة الكذائية تُضمن بصحيحها دون فاسدها»، فإنه يعدّ ذلك تناقضاً، ولا يجمع بينهما بالتخصيص، بخلاف المتكلم في المقام الأوّل - أي محيط التقنين وجعل الأحكام الكلية - سواء كان الجاعل هو الله عزّ وجلّ، أم غيره من الموالى العرفية، أو النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، فإنّ المتعارف في ذلك المقام هو جعل القوانين الكلية ابتداءً، ثمّ بيان المخصّصات والمقيّدات، وحيث إنّ ذلك متعارف بين جميع المقنّنين من الموالى الحقيقية والعرفية، لا يعدّ ذلك تناقضاً وتنافياً.

١ - شرح الإشارات ١ : ١٨١، شرح المطالع : ١٦٦ - ١٦٧، حاشية ملا عبدالله : ٩٣، شرح

الشمسية : ١١٤.

٢ - النساء (٤) : ٨٢.

وحينئذٍ فلا بدّ من تقييد عنوان تعارض الخبرين وتنافي الدليلين، بكونهما في مقام التشريع ومحيط جعل القوانين، وحينئذٍ يخرج كثير من الموارد عن دائرة هذا العنوان، كالحاكم والمحكوم، والوارد والمورود، والعام والخاص المطلقين، والمطلق والمقيّد - كما سيجيء إن شاء الله - من غير فرق بين كون العام قطعيّ السند وغيره. فالسرّ في تقديم ذلك كلّهُ إنّما هو لمكان هذا التعارف، لا من جهة أظهرية الخاص والمقيّد على العام والمطلق، ولا فرق أيضاً بين كون الخاص قطعيّ السند والدلالة أو ظنيّهما أو قطعيّ السند ظنيّ الدلالة، وبالعكس؛ كلّ ذلك لأنّ أصالة الجدّ في العام والمطلق ضعيفة؛ لا تقاوم أصالته في الخاص والمقيّد، ولذا لا يجوز التمسك بهما قبل الفحص عن المخصّص والمقيّد، بل بعد الظفر به أيضاً في عمومات الكتاب والسنة؛ لاحتمال وجود مخصّص آخر، بخلاف عمومات الكتب الفرعية، فإنّه يتمسك بعمومها ومطلقاتها بدون الفحص عنهما.

نعم، مع كون الخاص قطعيّاً سنداً ودلالة، فتقديمه على العام إنّما هو بالتخصّص - لا التخصيص - عند العرف والعقلاء؛ لأنّ أصالة العموم والظهور وأصالة الجدّ إنّما تجري في العام لو لم يقطع بالخلاف، ومعه لا تجري أصلاً.

وكذلك يخرج عن تحت التعارض، ما لو كان موضوع أحد الدليلين هو نفس الشيء بعنوانه الأوّلي، وموضوع الآخر هو بوصف أنّه مشكوك الحكم، مثل «الخمر حرام، والمشكوك الخمرية حلال»، وما ينفي أحد الدليلين موضوع الحكم في الدليل الآخر، مثل «لا شكّ لكثير الشكّ»<sup>(١)</sup> بالنسبة إلى الأدلّة المتضمّنة لأحكام الشكوك،

١ - هذه قاعدة مستفادة من عدّة روايات، وسائل الشيعة ٥ : ٣٢٩، كتاب الصلاة، أبواب الخلل

الواقع في الصلاة، الباب ١٦.

وكذلك الأدلة المتكفلة لأحكام العناوين الثانويّة، مثل أدلة نفي الضرر<sup>(١)</sup> والخرج<sup>(٢)</sup>، بالنسبة إلى الأدلة المتكفلة لأحكام الموضوعات بعناوينها الأوليّة، مثل وجوب الغسل والوضوء ونحوهما، ولهذا لا يوجد مورد يقدر فيه العامّ أو المطلق أو المحكوم على الخاصّ والمقيّد والحاكم.

## كلام المحقّقين في وجه تقديم الخاصّ على العامّ

وبالجملة: تقديم الخاصّ على العامّ ممّا لا إشكال فيه ولا خلاف، إنّما الإشكال والخلاف في وجه تقديمه، والسرّ فيه والوجه هو ما ذكرناه.

### كلام الشيخ الأعظم رحمته وما يرد عليه

قال الشيخ الأعظم رحمته ما حاصله: كما يتحقّق الورود والحكومة بين الأصول العمليّة والأدلة الاجتهاديّة، كذلك يتحقّقان في الأدلة الاجتهاديّة بالنسبة إلى الأصول اللفظيّة<sup>(٣)</sup>.

ثمّ ذكر: أنّه لو كان الخاصّ قطعياً من جميع الجهات، فهو وارد على أصالة العموم ونحوها من الأصول اللفظيّة. وإن كان ظنيّاً من حيث السند وقطعيّاً من حيث الدلالة: فإن قلنا: إنّ أصالة

١ - الكافي ٥ : ٢٩٢ - ٢٩٤ / ٢ و ٦ و ٨، الفقيه ٣ : ١٤٧ / ١٨، وسائل الشيعة ١٧ : ٣٤١،

كتاب إحياء الموات، أبواب إحياء الموات، الباب ١٢، الحديث ٣ - ٥.

٢ - الحج (٢٢) : ٧٨.

٣ - فرائد الأصول : ٤٣٢.



الظهور مبتنية على أصالة عدم القرينة فهو حاكم، ويحتمل الورود أيضاً.  
وإن قلنا: بابتنائها على عدم حصول الظنّ المعتر على الخلاف فذلك.  
وإن قلنا: بابتناء حجّيتها على الغلبة؛ أي الظنّ النوعي بإرادة الحقيقة الحاصل  
من الغلبة، فالظاهر أنّ الخاصّ وارد عليها وإن كان ظنّاً؛ لأنّ الظاهر أنّ دليل حجّية  
ذلك الظنّ - الذي هو مستند أصالة الظهور - مقيد بعدم وجود ظنّ معتر على خلافه،  
فإذا وجد ارتفع موضوع ذلك الدليل.

ويكشف عمّا ذكرنا: أنّا لم نجد ولا نجد من أنفسنا مورداً يقدر فيه العامّ من  
حيث هو على الخاصّ، وإن فرض كونه أضعف الظنونّ المعترّة، ولو كانت حجّية  
ظهور العامّ غير معلّقة على عدم الظنّ المعتر على خلافه، لوجد مورد يفرض فيه  
أضعف مرتبة الظنّ الخاصّ من الظنّ العامّ حتّى يقدر عليه، أو مكافئة له حتّى يتوقف.  
نعم لو فرض كون الخاصّ ظاهراً خرج عن النصّ، وصار من باب تعارض  
الظاهرين، فربّما يقدر العامّ<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: يرد عليه:

أولاً: أنّ ما ذكره مؤلّف - من أنّ الخاصّ القطعي من جميع الجهات وارد - خلاف  
الاصطلاح الجاري على ألسنة الأصوليين<sup>(٢)</sup>؛ لأنّه يسمّى تخصيصاً في اصطلاحهم، لا  
وروداً؛ لأنّ الورود هو خروج شيء عن موضوع الدليل الآخر تعبدّاً وجداناً، مثل  
ورود الأمارات الشرعية على حديث الرفع<sup>(٣)</sup>؛ بناءً على أنّ المراد من (مالا يعلمون)  
مالم يقم الحجة عليه، فمع قيام الدليل الشرعي يتبدّل الموضوع وينتفي وجداناً بإعمال

١ - فرائد الأصول: ٤٣٢ - ٤٣٣.

٢ - فوائد الأصول: ٤ / ٧١٩، نهاية الأفكار (القسم الثاني): ٤ / ١٣٩ - ١٤٠.

٣ - التوحيد: ٣٥٣ / ٢٤، الخصال: ٤١٧ / ٩، وسائل الشيعة ١١: ٢٩٥، كتاب الجهاد، أبواب  
جهاد النفس، الباب ٥٦، الحديث ١.

التعبد، بخلاف خروج زيد الغير العالم عن تحت «أكرم العلماء»، فإنه لا يسمّى وروداً، بل هو تخصّص، وما نحن فيه من هذا القبيل؛ لأنّ خروج الفرد الذي هو مورد الخاصّ القطعي تكويني؛ لعدم إعمال التعبد وعدم بقاء الشكّ حينئذٍ<sup>(١)</sup>.

نعم مع عدم قطعيّة الخاصّ من جميع الجهات، بل حجّيته بإعمال التعبد، فهو ورود لا حكومة، فمع فرض تعليق بناء العقلاء على أصالة الظهور على عدم القرينة، فع التّعبّد بوجود القرينة، فهي متحقّقة بالوجدان، والتّعبّد إنّما هو في السند.

وثانياً: ما أفاده: من أنّه لو كان حجّية الظواهر مستندة إلى حصول الظنّ النوعي من الغلبة، فالخاصّ وارد.

فيه: أنّه - بناءً على هذا التقدير - لا إشكال في أنّ تقديمه بنحو الحكومة لا الورود؛ لأنّ الاستناد إنّما هو على الظنّ المذكور، فلو تعبد بالخاصّ على الخلاف فذلك حكومة؛ إذ ليس حجّية الظهور مستندة ومعلّقة على أصالة عدم القرينة، كما فرضه<sup>(٢)</sup>.

وثالثاً - وهو العمدة -: أنّ ما أفاده: من أنّ وجه تقديم الخاصّ الظنيّ السند على العامّ الظنيّ، هو أنّه بنحو الحكومة؛ بمعنى تحكيم دليل اعتبار السند على دليل اعتبار الظهور.

فيه: ما أشرنا إليه سابقاً؛ من أنّ الحكومة تفتقر إلى اللسان واللفظ؛ أي الدليل اللفظي، والدليل على اعتبار السند هو بناء العقلاء على حجّية خبر الواحد، وهو دليل

---

١ - الظاهر عدم ورود هذا الإشكال على الشيخ الأعظم<sup>(رحمته الله)</sup>؛ وذلك لأنّ خروج الجاهل عن تحت «أكرم العلماء» تخصّص وأما خروج زيد العالم عنه بدليل خاصّ، مثل «لا تكرم زيد العادل»، وإن كان قطعيّ السند والدلالة، فليس خروجه تخصّصاً تكوينياً، فإنّه لولا هذا الدليل الخاصّ الشرعي لم يخرج عن تحت «أكرم العلماء»، وبقي تحته، بإخراجه بإعمال التعبد، فتدبر. [المقرّر حفظه الله].

لبيّ؛ لما تقدّم في محلّه من عدم ورود آية ولا رواية في مقام تأسيس جعل الحجّة لخبر الواحد، بل هي في مقام مطلب آخر، فبناء على أنّه لا بدّ في الحكومة أن يكون الدليل الحاكم مفسّراً وشارحاً للدليل المحكوم - كما ذكره هو عليه السلام - فيفتقر الدليل الحاكم إلى اللفظ، ولا معنى للحكومة بهذا المعنى في الأدلّة اللبّيّة، فكما أنّ الدليل على حجّة الظواهر، هو بناء العقلاء على العمل بها، كذلك الدليل على حجّة خبر الواحد، هو استقرار بنائهم على العمل به، والاستناد إليه؛ من غير فرق بينهما في ذلك، وحسبنا فلا نسلم أنّ دليل اعتبار السند هو مثل الأمانة، ودليل اعتبار الظواهر هو كالأصل، ومجرّد كون الخاصّ قطعيّ الدلالة، لا يفيد إلّا إذا اعتبر سنده، فلو كان التعارض بين دليل سند الأمانة وبين دليل حجّة ظهور العامّ، فالدليل على كليهما هو بناء العقلاء، فلا وجه للقول بحكومة أحدهما على الآخر.

وما أفاده - من أنّه لم ترّ بالوجدان ولا نرى مورداً يقدر فيه العامّ على الخاصّ - فهو لا يصلح دليلاً على أنّ وجه التقديم ما ذكره.

### كلام صاحب الكفاية ونقده

قال المحقّق الخراساني عليه السلام ما حاصله: إنّ وجه تقديم الخاصّ على العامّ؛ هو أنّ الخاصّ في مدلوله: إمّا نصّ، أو أظهر من ظهور العامّ في مدلوله، والنصّ والأظهر مقدّمان على الظاهر عند العرف<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: أظهريّة الخاصّ غالباً وبحسب النوع من العامّ ممنوعة، فإنّ دلالة كلّ واحد من مفردات قوله: «لا تكرم الفسّاق من العلماء» - هيئته وماذته - على مفاده ومدلوله، ليست أظهر من دلالة كلّ واحد من مفردات قوله: «أكرم العلماء» كذلك،

فإنّ دلالة هيئة الأمر على البعث والوجوب، مثل دلالة هيئة النهي على الزجر والحرمة، وكذلك مادّتهما، وليس للمجموع وضع آخر يوجب أظهرية الأول من الثاني، فلا فرق بينهما في ذلك.

توضيحه: إنّ دعوى أظهرية الخاصّ، مثل «لا تكرم فسّاق العلماء» من العامّ مثل «أكرم العلماء»: إمّا لدعوى أضعفية دلالة الألفاظ المستعملة في معانيها - أي كلّ واحد منها في مدلوله العامّ - من دلالة الألفاظ المستعملة في الخاصّ؛ كلّ على مدلوله الموضوع له مادّة وهيئة، فهو خلاف الضرورة؛ لأنّ هيئات الألفاظ المفردة في كلّ واحد من العامّ والخاصّ، على حدّ سواء في الدلالة على معانيها المفردة الموضوع لها؛ لأنّها مستعملة في الموضوع لها بالوضع النوعي، مثل هيئة الفاعل أو هيئة الأمر والنهي الموضوع لمعانيها بالوضع النوعي، فلا فرق بينهما من هذه الجهة.

وإمّا لدعوى ابتناء أظهرية دلالة الخاصّ على دعوى وضع على حدة لمجموع الجملة فيه، فلاجل هذا الوضع هو أظهر من العامّ.

ففيه: أنّا لا نسلّم ثبوت الوضع لمجموع الجملة سوى وضع مفرداتها، مع أنّه لافرق بينهما من هذه الجهة، فلو فرض ثبوت وضع آخر للجملة في الخاصّ فالعامّ أيضاً كذلك، ولا اختصاص له بالخاصّ؛ ليصير أظهر، وإمّا لأنّ العامّ؛ حيث إنّ أفراده أكثر من أفراد الخاصّ - أي الأفراد النفس الأمريّة للعام التي منها الفسّاق - فدلالة العامّ على وجوب إكرام الفسّاق أضعف من دلالة الخاصّ على حرمة إكرامهم؛ لقلة أفرادها بالنسبة إلى العامّ، المستلزمة لأقوائية دلالاته من دلالة العامّ على وجوب إكرامهم.

ففيه: أنّه لا دلالة للفظ العامّ على الأفراد، ولا الخاصّ على أفرادها؛ حتّى يقال: إنّ مدلول الأوّل أكثر من مدلول الثاني؛ لأنّ وضع المشتقات وكذلك الموضوع له فيها عامّ، وكذلك المستعمل فيه فيها، كما هو مذهبه عليه السلام، وصرّح به، فهي لم توضع للأفراد

كي تدلّ عليها.

وإن أراد من ذلك دلالة أداة الاستغراق، مثل لفظ «كلّ والألف واللام» على ذلك.

ففيه : أنّ شيئاً منها لم يوضع للأفراد، بل هما موضوعان للدلالة على الكثرة أي كثرة مدخولها.

وإن أراد به أنّ انطباق المعنى والمدلول على أفرادها الذاتية في العام، أضعف من انطباق معنى الخاص على أفرادها؛ لكثرة الأولى وقلة الثانية، فأوجب ذلك ضعف دلالة العام بالنسبة إلى الخاص وشموله لأفرادها، فهو أسوأ حالاً ممّا قبله؛ لأنّ انطباق المعنى على الأفراد أمر قهريّ عقليّ، لا دخّل له بمسألة الدلالة، التي هي مقام الظهور والأظهرية، فاللفظ إنّما يدلّ على معناه، والمعنى ينطبق على الأفراد، وهو غير دلالة اللفظ على الأفراد، ولذا يدلّ اللفظ على معناه الموضوع له؛ سواء وجد له مصداق في الخارج أم لا، ولا دخّل لكثرة الأفراد وقتلتها، وكونها متناهية أو غير متناهية، كثيرة أو قليلة؛ من غير فرق بينهما في دلالة اللفظ على معناه، فلفظ «العالم» دالّ على معناه الكلّي العام، وكذلك «العالم الفاسق»، ثمّ ينطبق المعنى في كلّ واحد منها على أفرادها.

كلام شيخنا الحائري رحمه الله وما يرد عليه

قال الأستاذ الحائري رحمه الله في «الدّرر» في وجه تقديم الخاص ما حاصله: إنّ دليل اعتبار السند في الخاص يجعل ظهور العام في الخاص بمنزلة معلوم الخلاف<sup>(١)</sup>.  
توضيحه : أنّ رتبة السند متقدمة على رتبة المتن في الروايات، ولهذا فلا مزاحم لدليل اعتبار السند في مرتبته، فدليل اعتبار سنده يحقّق القرينة، والمفروض أنّ

الخاصّ قطعيّ الدلالة، فيرفع به موضوع دليل اعتبار الظهور في العامّ، ويتنفي به. وهذا نظير ما ذكر في الشكّ السببيّ والمسبّي، فحيث إنّ الشكّ السببيّ متقدّم بالطبع على الشكّ المسبّي، يشمل قوله: (لا ينقض)<sup>(١)</sup> في مرتبة متقدّمة على شموله للشكّ المسبّي بلا معارض، ويرتفع به موضوع الدليل في الشكّ المسبّي<sup>(٢)</sup>. انتهى.

أقول: يرد عليه:

أولاً: أنّه لا وجه للقول بتقدّم رتبة السند على رتبة الدلالة طبعاً؛ لأنّ للتقدّم الطبيعي ملاكاً من العلّيّة والمعلوليّة أو جزئية شيء لشيء، وهذا الملاك مفقود فيما نحن فيه، فإنّ قوله: «حدّثني فلان» وإن كان متقدّماً في التحقّق والوجود - بحسب الزمان - على متن الحديث، لكن ليس فيه ملاك التقدّم الرتبي والطبيعي، كأجزاء الكلام الصادرة من المتكلّم تدريجاً، فإنّ بعض أجزائه متقدّم على البعض الآخر بحسب الزمان، لكنّه ليس متقدّماً عليه رتبة؛ لافتقار التقدّم الرتبي إلى ملاك مفقود فيه، ولهذا لا يقدر العامّ الصادر أولاً - قبل صدور الخاصّ - عليه، مع أنّه في أوان صدوره بلا معارض، وحينئذٍ فرق بين ما نحن فيه وبين الشكّ السببيّ والمسبّي؛ من حيث تأخّر مرتبة الشكّ المسبّي عن مرتبة الشكّ السببيّ؛ لنشوه عنه وعلّيّة الشكّ السببيّ له، فملاك التقدّم والتأخّر الرتبيين متحقّق فيهما، بخلاف متن الخبر وسنده.

وثانياً: سلّمنا أنّ رتبة السند متقدّمة على رتبة الدلالة - كما في الشكّ السببيّ والمسبّي - لكنّها موجودان في الخارج معاً، فلا تقدّم لأحدهما على الآخر في الوجود الخارجي في نظر العرف، ودليل الاعتبار منزّل على الفهم العرفي، فلا بدّ من ملاحظة الانتهامات العرفيّة في ذلك، ولا ريب أنّه لا تقدّم لأحدهما على الآخر في أنظار العرف

١ - تهذيب الأحكام ١ : ٨ / ١١، وسائل الشيعة ١ : ١٧٤، كتاب الطهارة، أبواب نواقض

الوضوء، الباب ١، الحديث ١.

٢ - درر الفوائد : ٦٣٩ - ٦٤٠.

والعقلاء، فالتقدم الرتبي لا يوجب شمول دليل الاعتبار للمتقدم رتبة فقط، كما تقدم نظيره في الاستصحاب السببي والمسببي، وقلنا: إن مجرد تقدم الشك السببي رتبة، لا يوجب شمول (لا ينقض) له وانطباقه عليه فقط وبلا معارض، بل التقدم الزماني أيضاً لا يوجب ذلك، ولذا يقدم الخاص على العام في جميع الموارد، مع أن الغالب تقدم صدور العام زماناً على الخاص.

وثالثاً: على فرض تسليم أن سند كل خبر متقدم في الرتبة على منته، وشمول دليل الاعتبار له قبل شمول دليل اعتبار ظهوره، لكن دليل سند الخاص ليس متقدماً على دليل اعتبار ظهور العام، ولو فرض أن ظهور العام في مرتبة ظهور الخاص ومعه، وسند الخاص في مرتبة سند العام، لكن سند كل خبر متقدم على ظهور ذلك الخبر، لا على ظهور خبر آخر.

نعم اشتهر بينهم: أن ما مع المتقدم متقدم على ما هو متأخر، وما مع المتأخر متأخر على ما هو متقدم، وذكر لذلك أمثلة، فإن من كان في عصر متقدم على من هو في عصر متأخر، متقدم عليه أيضاً، فمن هو في عصر الأول متقدم على من هو في عصر المتأخر، وغير ذلك من الأمثلة العرفية.

فيقال: إن دليل سند الخاص متقدم على ظهور العام؛ لأن ظهور العام في مرتبة ظهور الخاص المتأخر عن سند نفسه.

لكنه يصح في الأمثلة العرفية والتقدم الزماني، وأما التقدم الرتبي العقلي فلا تصح فيه تلك القاعدة؛ لما عرفت: من أن له ملاكاً خاصاً مفقود في المقام.

كلام الميرزا النائيني رحمته ونقده

وقال الميرزا النائيني رحمته في وجه تقدم الخاص على العام ما حاصله: إن أصالة الظهور في الخاص متقدمة دائماً على أصالة الظهور في العام؛ ولو فرض كون ظهور

العام أقوى من ظهور الخاص؛ لأن الخاص بالنسبة إلى العام كالقرينة بالنسبة إلى ذي القرينة، ولذا لو صدر العام والخاص في مجلس واحد، فالخاص قرينة على التصرف في العام عرفاً بلا إشكال، وظهور القرينة وإن كان ضعيفاً، فهو مقدّم عرفاً على ظهور ذي القرينة وإن كان قوياً، ولهذا يقدم ظهور لفظ «يرمي» في رمي النبل في «أسد يرمي» على ظهور «الأسد» في الحيوان المفترس، وإن كان الأول مستفاداً من الإطلاق والثاني من الوضع، فحيث إن العام والخاص كذلك يقدم الخاص عليه<sup>(١)</sup>، انتهى.

أقول : ما أفاده ينحلّ إلى دعويين :

إحداهما : دعوى أنّ الخاص بالنسبة إلى العام، مثل القرينة بالنسبة إلى ذي القرينة.

ثانيتهما : أنّ تقديم ظهور القرينة على ذي القرينة، ليس لأجل الأظهرية ونحوها، بل هو لأجل خصوصيّة كامنة في القرينة.

وكلّ واحدة من الدعويين محلّ نظر :

أمّا الدعوى الثانية : فلأنّ القرينة ليست مشخّصة معيّنة في الكلام ابتداءً عند العقلاء والانفهامات العرفيّة، فإنّه لو ألقي إلينا كلام، يتردّد الأمر فيه بين قرينتي كلّ جزء منه لصرف الآخر عن ظهوره؛ بأن يكون كلّ واحد من أجزائه صالحاً لذلك، فنأين تشخّص وتتميّز القرينة عن ذي القرينة، كالمثال المعروف «رأيت أسداً يرمي» مع قطع النظر عمّا هو المرتكز في الأذهان من أنّ «يرمي» قرينة، الناشئ عن كثرة فرض ذلك، فإنّ كلّ واحد من لفظ «الأسد» ولفظ «يرمي»، يصلح للقرينيّة لصرف الظهور عن الآخر، فلولا أظهرية أحدهما، وعدم لسان الحكومة في أحدهما على الآخر فيمّ يتعيّن لفظ «يرمي» قرينة، والآخر ذي القرينة، فتقدّم أصالة الظهور في



القرينة على أصالة الظهور في ذي القرينة يتوقف على تشخيص القرينة وتمييزها عن ذي القرينة، فإن تشخيص القرينة وتمييزها عن ذي القرينة بأصالة الظهور، يستلزم الدور الصريح، فلو لا جهة أخرى - توجب تقدّم ظهور أحد اللَّفْظَيْن على الآخر - لم يصلح ما ذكره تَبَيَّنَ لذلك.

وأما الدعوى الأولى: فهي أيضاً ممنوعة؛ إذ لا ريب ولا إشكال في تقدّم ظهور الخاص على ظهور العام؛ سواء كان في مجلس واحد أم لا، كما تقدّم وإنّما الكلام والاختلاف في وجه التقديم، وعرفت ما هو التحقيق فيه.

توضيحه: أن الكلام المُلَقَى من المولى إلى الرعية يحتاج إلى رفع الشكوك، وسدّ باب الاحتمالات المتطرّقة فيه، فإنّ منها احتمال التجوّز، إن لم ينصب قرينة عليه، كأن يحتمل استعماله للفظ «العلماء» في «أكرم العلماء» في فرقة خاصّة منهم، كالفقهاء فقط، أو بنحو الحقيقة الادّعاءيّة مع استعمال اللفظ في معناه الموضوع له؛ بادّعاء أن العلماء هم الفقهاء فقط، فالرافع لهذا الشكّ والاحتمال هو أصالة الحقيقة أو العموم أو عدم القرينة ونحوها.

ولو لم يحتمل المجازيّة بأحد النحويين المذكورين، ولكن فرض أن المتكلّم في مقام جعل القوانين، وعُلِمَ أنّ عاداته استعمال الألفاظ في معانيها، لكن قد تتعلّق إرادته الجدّيّة ببعث المكلفين نحو الإتيان بجميع الأفراد، وقد لا تتعلّق إرادته الجدّيّة كذلك، بل ببعثهم إلى الإتيان ببعض الأفراد، لكن لا يريد بيانه وإفهامه فعلاً لمصلحة، مع ظهور الكلام في العموم، مثل قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، فلو شكّ - في مورد - في موافقة الإرادة الجدّيّة، الاستعماليّة بعد الفحص واليأس عن المخصّص والمقيّد تجري فيه أصالة تطابق الجدّ والاستعمال، التي عبّر عنها القوم بأصالة الجهة، ويرفع بها الشكّ، وباب العام والخاص من هذا القبيل، ولا ارتباط له بباب المجازات مطلقاً.

## بيان أصالتي الحقيقة والجَدّ

فظهر من ذلك : أنَّ هنا أصليين : أحدهما أصالة العموم أو الحقيقة أو الظهور ونحوها، والثاني أصالة الجدّ، وأنَّ الأولى إنَّما تجري فيما لو شكَّ في استعمال اللفظ في غير ما وُضع له أوَّلاً، والثانية فيما لو شكَّ في تطابق جدّه مع الاستعمال؛ بعد فرض العلم باستعماله فيما وُضع له، لكن مرجع الأولى إلى أصالة عدم الغلط والاشتباه وعدم الإغراء بالجهل؛ حيث إنَّ استعماله في غير ما وُضع له، مع عدم نصب القرينة على ذلك؛ إمَّا لأجل احتمال الاشتباه والغلط في عدم نصب القرينة، أو لاحتمال تعمّده له؛ لقصد الإغراء بالجهل، وكلّ هذا مخالف للأصل، بل لا معنى لأصالة الظهور، إلَّا أن يقدَّر في الكلام مضاف، مثل «أصالة حجّيّة الظهور» أو إرادة الظهور التي مرجعها إلى أصالة الجدّ، وعلى الأوّل - أي أصالة حجّيّة الظهور - لا بدّ من ملاحظة مبنى الحجّيّة، ولا ريب في أنَّ مبناها أصالة عدم الغلط والاشتباه والإغراء بالجهل.

## الأمر الثاني

### في عدم شمول أخبار العلاج للعالم والخاص

فظهر من جميع ما ذكرناه : خروج الحاكم والمحكوم والعالم والخاص والمطلق والمقيّد عن تحت أخبار العلاج وتعارض الخبرين؛ لعدم صدق التعارض في الأوّل عرفاً أصلاً، وفي الأخيرين بعد التأمل، فإنّ الاستفادة من أخبار التعارض والعلاج؛ أنّ الترجيح بما ذكر منها إنّما هو إذا كان بين الخبرين تنافٍ في مضمونها، وتخيّر المكلف فيها، فع الجمع العرفي بينهما يخرجان عن تحت الأخبار وفاقاً للمشهور.

### كلام المحقّق الخراساني وشيخنا العلامة قزويني

لكن خالفه «صاحب الكفاية» و«صاحب الدرر»؛ حيث قال في الأوّل : قد عرفت سابقاً أنّه لا تعارض في موارد الجمع العرفي، ولا يشمل ما يقتضيه الأصل في المتعارضين؛ من سقوط أحدهما رأساً، أو كلّ منهما، فهل التخيّر أو الترجيح يختصّ أيضاً بغير موارد أو يعمّها؟

قولان :

أولهما : المشهور ، وقصارى ما يقال في وجهه: أنّ الظاهر من الأخبار العلاجيّة

– سؤالاً وجواباً – هو التخيير أو الترجيح في موارد التحير؛ ممّا لا يكاد يُستفاد المراد هناك عرفاً، لا فيما يستفاد ولو بالتوفيق، فإنّه من أنحاء طرق الاستفادة عند أبناء المحاورة.

ويشكل: بأنّ مساعدة العرف على الجمع وارتكازه في أذهانهم على وجه وثيق، لا يوجب اختصاص السؤالان بغير موارد الجمع؛ لصحّة السؤال بملاحظة التحير في الحال – أي الابتداء – لأجل ما يتراءى من المعارضة وإن كان يزول عرفاً بحسب المآل، أو للتحير في الحكم واقعاً – وإن لم يتحير فيه ظاهراً – وهو كافٍ في صحّة السؤال، مع إمكان أن يكون السؤال لاحتمال الردع شرعاً عن هذه الطريقة المتعارفة بين أبناء المحاورة، وجُلّ العناوين المأخوذة في أسئلة تلك الأخبار – لولا كلّها – يعتمها، كما لا يخفى.

اللّهم إلا أن يقال: إنّ الجمع في مثل العامّ والخاصّ والمطلق والمقيّد كانت عليه السيرة القطعية من لدن زمان الأئمة عليهم السلام، وهي كاشفة إجمالاً عمّا يوجب تخصيص أخبار العلاج.

أو يقال: إنّ لم يثبت بأخبار العلاج ردع عمّا هو عليه بناء العقلاء وسيرة العلماء؛ من التوفيق وحمل الظاهر على الأظهر<sup>(١)</sup>. انتهى.

وقال في «الدرر» ما حاصله: إنّ مجرد تقديم العرف الخاصّ على العامّ، لا يستلزم حمل الأسئلة الواردة في الأخبار على غير الموارد المذكورة... إلى آخر ما ذكره في «الكفاية»، أو يقرب ممّا ذكره.

ثمّ قال: ويؤيد عموم الأخبار ما رواه في مكاتبة الحميري إلى صاحب الزمان عليه السلام. إلى أن قال عليه السلام: (في الجواب عن ذلك حديثان: أمّا أحدهما: فإذا انتقل

- أي المصلّي - من حالة إلى أخرى، فعليه التكبير، وأمّا الآخر فإنّه روي إذا رفع رأسه من السجدة الثانية وكبّر، ثمّ جلس، ثمّ قام، فليس عليه في القيام بعد القعود تكبير، وكذلك التشهّد الأوّل يجري هذا المجرى، وبأيّهما أخذت من باب التسليم كان صواباً<sup>(١)</sup>.

وما روي عن علي بن مهزيار، قال: قرأت في كتاب لعبدالله بن محمّد إلى أبي الحسن عليه السلام: اختلف أصحابنا في رواياتهم عن أبي عبدالله عليه السلام في ركعتي الفجر في السفر، فروى بعضهم: صلّها في المحمل، وروى بعضهم: لا تصلّها إلّا على الأرض. فوقّع عليه السلام: (موسّع عليك بآية عملت)<sup>(٢)</sup>.

وجه التأييد: أنّه لا ريب في أنّ الحديث الثاني - الذي ذكره في الرواية الأولى - أخصّ من الأوّل، ومع ذلك حكم عليه السلام بالتخير، وأنّ الروایتين في الخبر الثاني من قبيل النصّ والظاهر؛ لأنّ الأولى نصّ في الجواز، والثانية ظاهرة في عدمه؛ لإمكان حملها على الأفضليّة، ومع ذلك حكم عليه السلام بالتخير.

ودعوى السيرة القطعيّة بالتوفيق بين العام والخاصّ والمطلق والمقيّد من لدن زمان الأئمّة عليهم السلام، وعدم رجوع أحد من العلماء إلى المرجّحات الآخر.

ممّا يمكن منعها، كيف؟! ولو كانت لما خفيت على مثل شيخ الطائفة، فلا يظنّ بالسيرة - فضلاً عن القطع بها - بعد ذهاب مثله إلى العمل بالمرجّحات في تعارض النصّ والظاهر، كما يظهر من عبارته المحكيّة عنه في «الاستبصار»<sup>(٣)</sup>.

١ - الاحتجاج: ٤٨٣، وسائل الشيعة ١٨: ٨٧، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي

الباب ٩، الحديث ٣٩.

٢ - تهذيب الأحكام ٣: ٢٢٨ / ٥٨٣، وسائل الشيعة ١٨: ٨٨، كتاب القضاء، أبواب صفات

القاضي، الباب ٩، الحديث ٤٤.

٣ - الاستبصار ١: ٤.

و«العدّة»<sup>(١)</sup>، وقد نقل العبارتين شيخنا المرتضى في رسالة التعادل والترجيح<sup>(٢)</sup>. انتهى.

### الإشكال على كلام العلمين رحمهما

أقول : أمّا ما أفاده في «الكفاية» ففيه : أنّه إنّما يتوجّه لو كان السؤال في الأخبار العلاجية عن خصوص العامّ والخاصّ، فإنّه حينئذٍ تتوجّه الاحتمالات التي ذكرها، لكن السؤال فيها إنّما هو عن تعارض الخبرين بعنوان كليّ، ومصّبّ جواب الإمام عليه السلام بما ذكره فيها، هو ما صدق عليه التعارض عرفاً، وأمّا مع عدم صدقه - كما في العامّ والخاصّ المطلقين - فلا يعمّه الجواب.

واحتّم أن السؤال فيها عن الحكم الواقعي في جميع الوقائع في المتعارضين، لا عن الحكم الظاهري فيها، كما ترى؛ لامتناع ذلك لعدم إمكان الجواب عن جميعها مع كثرة أفرادها؛ لإمكان وقوع التعارض في أغلب المسائل المتفرّقة من مسائل الفقه. نعم يحتمل أن يكون مراده عليه السلام من الحكم الذي وقع في السؤال، هو الحكم الواقعي؛ لتعارض الأخبار، مع وضوح حكمه الظاهري؛ أي الجمع العرفي في العامّ والخاصّ. لكن فيه : أن حكم المتعارضين حكم ظاهري لا واقعي؛ لأخذ الشكّ والتحير في موضوعه، فالسؤال إنّما هو عن حكمها الظاهري، لا الواقعي.

مضافاً إلى أن العناوين المسؤول عنها في أخبار العلاج، هو عنوان المتعارضين أو المختلفين ونحو ذلك، ولا تصدق هذه العناوين على الخبرين اللذين بينهما الجمع العرفي؛ لعدم صدق التعارض والاختلاف عليهما عند العرف والعقلاء.

فاحتمال أن المركوز في ذهن السائل، هو السؤال عن الحكم الواقعي

١ - عدّة الأصول : ٦٠ سطر ٨.

٢ - درر الفوائد : ٦٧٩ - ٦٨٠.

للمتعارضين، لا الحكم الظاهري لهما، وأن ذكر لفظ المتعارضين أو المختلفين في السؤال، وقع من السائل غفلة واشتباهاً، في غاية الوهن والضعف.  
وأما ما ذكره هـ من أن السائل احتمل الردع عن الجمع العرفي، والسؤال إنما هو لذلك.

ففيه : أنه مع مجرد هذا الاحتمال، لا يصح رفع اليد عن الأمر العرفي والطريقة العقلانية؛ من التوفيق بين العام والخاص والمطلق والمقيد.

ومما ذكرنا يظهر الجواب عما أفاده في «الدُّر» : من أن المرتكزات العقلانية حيث إنها مهمة غير مبيّنة، أمكن أن يقال: إن مراد السائل في الأخبار العلاجية هو السؤال عن العام والخاص، فإن مجرد هذا الاحتمال لا يفيد مع ظهور الجواب في غيرهما، ولا ترفع اليد عن ظهوره بمجرد هذا الاحتمال، كما لا ترفع اليد عنه بمجرد احتمال الاشتباه والخطأ في ذكر عنوان التعارض في موضوع السؤال.

وأما الروايتان : فالأولى - مضافاً إلى ضعف سندها؛ لعدم ثبوت صحة سند مكاتبات الحميري وإن صححها بعض - مع أن متنها لا يخلو عن إشكال؛ لأن السؤال فيها ليس عن عنوان المتعارضين، بل هو في خصوص التكبير في المورد المذكور فيها، وحينئذ فالجواب المذكور فيها لا يليق بشأن الإمام؛ لأن مثله إنما يصدر عن الغير العالم بأحكام الوقائع الواقعية، لا من الإمام العالم بالأحكام الواقعية.

مضافاً إلى أنه هـ كان يقول مراراً : إنه يُشكل عندي حمل المطلق الوارد في مقام البيان على المقيد؛ لأن ظهور الأمر والنهي في الوجوب والحرمة، ليس بمشابة لا يمكن رفع اليد عنه، حتى أنكره صاحب المعالم، وحينئذ يمكن حمل الأمر بالمقيد على الاستحباب، والنهي على الكراهة، لا تقييد المطلق لو دار الأمر بينهما، فتقييد المطلق بمجرد صدور المقيد مشكل عندي جداً.

فإن لنا أن نقول : بناء على ما ذكره هـ فالعام والخاص أيضاً كذلك، والروايتان

الواردتان اللتان ذكرهما الإمام في تكبيرة الصلاة من هذا القبيل، فيمكن أن يقال: إن ذكره الإمام عليه السلام في تلك الرواية من التخيير طريق آخر للجمع بين الروایتين، وحيث إن الأمر استحبائي - لا وجوبي - أجاب الإمام عليه السلام بالتخيير ومطابقته للواقع: أما أحدهما فلا أنه حكم ندي، وأما الآخر فلاجل أنه مرخص فيه، فإن الله تعالى كما يحب أن يؤخذ بعزائمه، يحب أن يؤخذ برخصه، ويمكن ترتب المثوبة على ترك المندوب بهذا القصد أيضاً، وحينئذ فهذه الرواية خارجة عن باب التعارض.

مضافاً إلى أن الإمام عليه السلام لم يذكر الروایتين بنحو التحديث، بل نقلهما بالمعنى، فمن الممكن أن المذكور في إحدى الروایتين، وجوب التكبير في كل واحد من موارد الانتقال من حالة إلى أخرى مفصلاً، فتصير مبينة للرواية الأخرى.

هذا، مع أن الرواية معرض عنها؛ لعدم فتوى المشهور باستحباب التكبير بعد التشهد الأول، وأما الرواية الثانية فذكرها في «الحقائق»، وزاد فيها: (فأعلمني كيف تصنع أنت لأقتدي بك في ذلك؟) <sup>(١)</sup>.

ويرد عليها بعض ما أوردناه في الأولى: من أن الجواب المذكور فيها لا يليق بالإمام عليه السلام؛ لأنه جواب من غير العالم بالحكم الواقعي، مضافاً إلى أن الإمام عليه السلام فيها في مقام بيان الحكم الواقعي، وهو جواز العمل بكل واحدة منها، فإن الحكم الواقعي في مورد السؤال هو ذلك، فهي أيضاً غير مربوطة حينئذ بباب التعارض.

وأما ما ذكره في الإشكال على السيرة بذهاب شيخ الطائفة رحمته ... إلى آخره. ففيه: أنه يظهر من ملاحظة عبارة الشيخ رحمته في «العدة» <sup>(٢)</sup> - التي نقلها الشيخ الأعظم في «الفرائد»: من أن المطلق والمقيّد خارجان عن تحت أخبار العلاج؛ لمكان

١ - الحقائق الناضرة ١ : ٩٥ .

٢ - عدة الأصول : ١٥٠ سطر ١٢ .



الجمع العرفي بينهما<sup>(١)</sup>، وغيرها من عباراته قَدْ يَزُورُ - خلاف ما ذكره قَدْ يَزُورُ ونسبه إليه، وترتفع شبهة التناقض في عبائره، ولذا لم يذهب إلى ذلك في كتبه الفقهية في جميع مسائل الفقه أصلاً.



## الأمر الثالث

### في إبطال قاعدة الجمع مهما أمكن ، أولى

نقل عن ابن أبي جمهور الإحسائي في «عوالي اللآلي» : أن كلَّ حديثين ظاهرهما التعارض ، يجب عليك البحث عن معناهما وكيفية دلالة ألفاظهما، فإن أمكنك التوفيق بينهما؛ بالحمل على جهات التأويل والدلالات، فأحرص عليه، واجتهد في تحصيله ، فإنَّ العمل بالدليلين مهما أمكن، خير من ترك أحدهما وتعطيله بإجماع العلماء، فإذا لم تتمكن من ذلك، ولم يظهر لك وجه، فارجع إلى العمل بهذا الحديث.

وأشار بهذا إلى مقبولة عمر بن حنظلة<sup>(١)</sup>، واستدلَّ تارة: بأنَّ الأصل في الدليلين الإعمال، فيجب الجمع بينهما مهما أمكن؛ لاستحالة الترجيح من غير مرجح. وأخرى : بأنَّ دلالة اللفظ على تمام معناه أصليّة، وعلى جزئه تبعيّة، وعلى تقدير الجمع يلزم إهمال دلالة تبعيّة، وهو أولى ممّا يلزم من عدمه، وهو إهمال دلالة أصليّة<sup>(٢)</sup>. انتهى.

١ - وسائل الشيعة ١٨ : ٧٥، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ١ .

٢ - عوالي اللآلي ٤ : ١٣٦ .

أقول : الظاهر أنّ مراده من الجمع المذكور هو العرفي العقلاني؛ لوجهين:  
الأول : تمسّكه بالإجماع، فلو أراد منه الجمع العقلي فالإجماع منعقد على خلافه، فكيف يصحّ دعوى الإجماع عليه؟!

الثاني : استدلاله الثاني - من أنّ دلالة اللفظ على تمام معناه أصليّة... إلى آخره - فإنّه إنّما يصحّ في مثل العامّ والخاصّ اللّذين بينهما الجمع العرفي، فإنّ دلالة العامّ - مثل «أكرم العلماء» - على تمام معناه - أي جميع أفرادها - أصليّة، وعلى خصوص الفساق منهم تبعيّة؛ لأنّ الظاهر أنّ مراده منها الدلالة التضمينيّة فلا يلزم من حمل العامّ على الخاصّ إلّا رفع اليد عن دلالة التبعيّة وطرحها، بخلاف طرح أحدهما رأساً، فإنّه طرح لدلالته الأصليّة.

وكيف كان، فإن أراد الجمع العرفي العقلاني فهو صحيح، وإلّا فهو ممنوع؛ للإجماع على خلافه.

وما استدللّ به على ذلك - من أنّ الأصل في الدليلين الإعمال - إن أراد أنّ الأصل هو ذلك؛ في كلّ واحد من المتعارضين في نفسه؛ مع قطع النظر عن ابتلائه بالمعارض، فهو صحيح، لكنّه غير مفيد.

وإن أراد ذلك مع ملاحظة ابتلائه بالمعارض، مثل (ثمن العذرة سُحت)<sup>(١)</sup>، و(لابأس ببيع العذرة)<sup>(٢)</sup>، فهو ممنوع، فإنّ المتّبع فيه الانفهامات العرفيّة وأنظار العقلاء.

ثمّ إنّ بعض ما أفاده الشيخ الأعظم في المقام لا يخلو عن الإشكال، مثل

١ - تهذيب الأحكام ٦ : ٣٧٢ / ١٠٨٠ ، وسائل الشيعة ١٢ : ١٢٦ ، كتاب التجارة ، أبواب ما

يكتسب به ، الباب ٤٠ ، الحديث ١ .

٢ - تهذيب الأحكام ٦ : ٣٧٢ / ١٠٧٩ ، وسائل الشيعة ١٢ : ١٢٦ ، كتاب التجارة ، أبواب ما

يكتسب به ، الباب ٤٠ ، الحديث ٢ و ٣ .

قوله ﷺ: أنه لو ورد دليلان مقطوعا الصدور - كآيتين أو خبرين متواترين - فلا يحصى عن التصرف في ظاهرهما والعمل بهما<sup>(١)</sup>.

فإنه ممنوع مع تعارضهما عند العرف والعقلاء، ولا دليل على وجوب العمل بهما ولو مع فرض مقطوعيّة صدورهما، غاية الأمر أنه لا يعلم وجه التخلّص من تعارضهما، فإنّه لا يوجب الجمع بينهما بحمل كلّ واحد منهما على بعض أفراد معانيهما؛ لإمكان الجمع بينهما بطريق آخر، كما ذكره العلامة المجلسي رحمه الله: من حمل (ثمن العذرة سُحِت)<sup>(٢)</sup> على الأمكنة التي لا يُنتفع بها، وحمل قوله: (لا بأس ببيع العذرة) على البلاد التي ينتفع منها، ونحو ذلك، فلا يتعيّن الجمع بينهما بما ذكره، وأمّا مقايضة ذلك بالعامّ والخاصّ والظاهر والأظهر، فهي واضحة الفساد؛ لوجود الجمع العرفي في المقيس عليه، بخلافه في المقام.

١ - فرائد الأصول : ٤٣٤ سطر ١٨ .

٢ - ملاذ الأخيار ١٠ : ٣٧٩ / ٢٠٢ .



## الأمر الرابع

### كلام الشيخ في موضوع الترجيح بحسب الدلالة وما فيه

ثمَّ إنه يظهر من الشيخ الأعظم - هنا وفي المقام الرابع - : أنَّ النصَّ والظاهر خارجان عن تحت الأخبار العلاجيَّة موضوعاً، وأنَّ مصبَّها غيرهما، بخلاف الظاهر والأظهر، فإنَّهما خارجان عنها حكماً مع دخولهما فيها موضوعاً؛ لأنَّ الجمع الدلالي مقدَّم على الترجيح بالمرجَّحات السنديَّة، فالجمع الدلالي من المرجَّحات في باب التعارض؛ ومرتبة هذا المرجَّح متقدِّمة على المرجَّحات السنديَّة<sup>(١)</sup>.  
ويظهر منه عليه السلام ومن غيره أيضاً مطلب آخر: وهو أنَّه فرق بين ترجيح النصِّ على الظاهر، وبين ترجيح الأظهر وتقديمه على الظاهر، وأنَّ الأوَّل بلا شرط، والثاني مشروط بكونه عقلاً يتبيَّن يستحسنه العرف في محاوراتهم<sup>(٢)</sup>.

وفي كلا الأمرين إشكال :

أما الأوَّل : فلأنَّ المراد من تعارض الخبرين في الأخبار: إمَّا التعارض البدوي - أي في بدو النظر - أو المستقر:

---

١ - فرائد الأصول : ٤٥١ سطر ١٨ .

٢ - نفس المصدر : ٤٥٣ سطر ١٢ .

فعلى الأول : فالنص والظاهر أيضاً داخلان تحت أخبار العلاج موضوعاً؛ ضرورة تحقق التعارض البدوي بينهما.

وعلى الثاني : فعلى فرض وجود الجمع العرفي بين الظاهر والأظهر، لا معارضة بينهما حيثئذ عرفاً، فهما أيضاً خارجان عنها موضوعاً، كالنص والظاهر. مضافاً إلى أنه لو فرض دخولهما موضوعاً تحت أخبار العلاج، فلا دليل على خروجهما عن حكمها؛ لا عقلاً ولا شرعاً. نعم مقتضى وجود الجمع العقلاني بينهما هو ذلك، الذي هو المراد من المحكمات في بعض الأخبار، الدالة على أن في أحاديثنا محكمات ومتشابهات، فاحملوا متشابهاتها على المحكمات، ومعه لا معارضة بينهما حتى يعد ذلك من قبيل المرجحات.

وأما ما أفاده من المطلب الثاني، ففيه : أنه لا فرق بين حمل الظاهر على النص، وبين حمل الظاهر على الأظهر؛ في أنه يعتبر فيهما أن يكون ذلك جمعاً عقلائياً وعرفياً، ولا يجوز حمل مطلق النص على مطلق الظاهر وإن لم يكن عقلائياً، ولذلك لا يجمع بين «صل في الحمام» و«لاتصل في الحمام» مع أن الأول نص في الجواز، والثاني ظاهر في عدمه، وكذلك مثل «أكرم العلماء»، و«لا تكرمهم».

وبالجملة : لم يرد دليل تعدي على وجوب تقديم النص على الظاهر، بل تقديمه في بعض الموارد إنما هو لأجل أنه عرفي عقلائي، وعدم المعارضة بينهما في المتفاهم العرفي، ولا فرق في ذلك بين حمل الظاهر على النص، وبين حمله على الأظهر.



## الأمر الخامس

### الموارد الخارجة عن أخبار العلاج

ثمَّ إنَّه لا بأس بصرف عنان الكلام إلى الموارد، التي ذكر الشيخ الأعظم والمحقّق الخراساني والميرزا النائيني خروجها عن التعارض وعدم شمول أخباره لها؛ لعدم صدق تعارض الدليلين عليها وإن كان خارجاً عن المباحث الأصوليّة؛  
فمنها النصّ والظاهر في مدلولهما، ومنها ما لو كان أحدهما بظهوره أو أظهريته،  
قرينةً عرفيّةً على التصرّف في الآخر.

### المبحث الأوّل

#### فيما يكون من قبيل النصّ والظاهر

وفيه موارد؛

منها؛ ما ذكره الميرزا النائيني رحمته، وهو ما لو كان لأحد الدليلين قدر متيقّن في مقام التخاطب، فإنّه وإن لم يصل إلى حدّ يوجب انصراف المطلق إلى المقيد فيقيده، إلّا أنّ وجود القدر المتيقّن ينفع في مقام رفع التعارض عن الدليلين، فإنّ الدليل المشتمل

على القدر المتيقن كالتصّ فيه، فيصلح للقرينية على التصرف في الدليل الآخر، كما لو ورد: «أكرم العلماء» و «لا تكرم الفسّاق»، ويعلم من حال الأمر أنّه يُبغض العالم الفاسق، ويكرهه أشدّ كراهته لسائر أفراد الفسّاق، فالعالم الفاسق متيقن الاندراج في عموم «لا تكرم الفسّاق»، وبمنزلة التصريح بجرمة إكرام العالم الفاسق، وحينئذٍ فلا بدّ من تخصيص «أكرم العلماء» بما عدا الفسّاق منهم<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: يرد عليه:

أولاً: أنّه لو علم وحصل اليقين باندراج الفسّاق من العلماء تحت «لا تكرم الفسّاق» في مقام التخاطب، أوجب ذلك انصراف «أكرم العلماء» عنهم، فقوله: وهو وإن لم يصل إلى حدّ يوجب الانصراف، يُنافي فرض حصول العلم بعدم إرادة الفسّاق منهم من «أكرم العلماء».

وثانياً: تقييد القدر المتيقن بكونه في مقام التخاطب لا وجه له، ولا دُخل له فيما ذكره؛ بناءً على ما ذهب هوّة إلى: من عدم إيجابه انصراف المطلق إليه، فإنّ تقديم «لا تكرم الفسّاق» - بناءً على ما ذكره - ليس لأجل أظهريته من الآخر، بل لأجل العلم بعدم إرادة الفسّاق من العلماء من قوله: «أكرم العلماء»، ولا فرق حينئذٍ بين وجوده حال التخاطب وبينه بعده.

وثالثاً: - وهو العمدة في الإشكال على ما ذكره - أنّه إن أراد حصول العلم الفعلي بجرمة إكرام العالم الفاسق، فرجعه إلى العلم بعدم شمول «أكرم العلماء» له، فهو ليس من التعارض كي يحتاج إلى الجمع بين الدليلين المتعارضين.

وإن أراد العلم التقديري - أي على تقدير صدور «لا تكرم الفسّاق»؛ لأنّ المفروض أنّه ظنيّ السند، وإرادة ظاهره جدّاً، يحصل له العلم المذكور؛ لعدم انفكاك

حرمة إكرام فسّاق العلماء عن حرمة إكرام فسّاق غير العلماء - فهو لا يُنتج ما ادّعاه: من التقديم الفعلي لقوله: «لا تكرم الفسّاق» على قوله: «أكرم العلماء».

وبعبارة أخرى: لو كان المتيقّن اندراج العالم الفاسق في «لا تكرم الفسّاق» في الحرمة التعليقيّة؛ - يعني على تقدير صدوره واقعاً - لا في الحرمة الفعلية لإكرامهم، فهو لا يوجب تقديم أحد الظهورين على الآخر؛ لأنّه كالنصّ، بل هما متعارضان؛ لا بدّ أن يعامل معهما معاملة المتعارضين، والرجوع إلى المرجّحات السندیّة وغيرها، أو التساقط مع عدم المرجّح لأحدهما.

فما ذكره من البيان لا يصلح دليلاً على مدّعاه: من أنّ تقديم «لا تكرم الفسّاق» على «أكرم العلماء» لأنّه كالنصّ، بل لا بدّ من الرجوع إلى المرجّحات، ومع عدمها التساقط.

ومنها: ما ذكره رحمته أيضاً: من أنّه لو كان أفراد أحد العامّين من وجه بمرتبة من الكثرة؛ بحيث لو خُصّص بما عداه لزم التخصيص المستهجن في العامّ الآخر، فيجمع بينهما بتخصيص ما لا يلزم منه ذلك، وإبقاء ما يلزم من تخصيصه ذلك على عمومته؛ لأنّ العامّ حينئذٍ - بالنسبة إلى المقدار الذي يلزم من تخصيصه الاستهجان - كالنصّ، فيقدّم على الآخر، كما لو قال: «بغ كلّ زُمانٍ في هذا البستان، ولا تبع كلّ رمان حامض»، وفرض أنّ جميع أفراد حامض إلّا واحداً، فإنّ تخصيص الأوّل بإخراج الحامض منه مستهجن<sup>(١)</sup>.

أقول: أولاً؛ لا ريب في أنّ النصوصيّة من أوصاف دلالة اللفظ، ومرتبطة بها، لا أنّها أمر خارج عنها، وما ذكره ليس مربوطاً بالدلالات، بل التقديم - في الفرض المذكور - إنّما هو بحكم العقل، لا لأنّ الأوّل نصّ في مدلوله، فإنّ دلالة قوله: «بغ كلّ

رمّان» على مدلوله، ليست أقوى من دلالة «لاتبع كلّ رمّان حامض» على مدلوله؛ ليكون نصّاً فيه، كما لا يخفى.

وثانياً: لا ينحصر طريق التخلّص من الاستهجان في تقديم الأوّل على الثاني؛ كي يستدلّ به عليه، إلّا إذا فرض دوران الأمر بين تقديم هذا أو ذاك، لكنّه ممنوع؛ لأنّ له طريقاً آخر، وهو الرجوع إلى المرجّحات؛ لأنّهما متعارضان، ومع عدم المرجّح يتساقطان، كما لو فرض أنّه قال: «أكرم العلماء» وورد: «أهّن العدول» من العلماء فلنظيره من العامّ والخاصّ المطلقين، وفرض أنّ أكثر أفرادهم عدول، فإنّ تخصيص العامّ بالخاصّ مستلزم لتخصيص الأكثر المستهجن، ومع ذلك هو لا يوجب تقديم الأوّل - أي العامّ - على الثاني؛ أي الخاصّ، بل يتعارضان؛ لأنّهما حينئذٍ كالمبتينين؛ لأنّ الجمع بينهما - بتخصيص العامّ - ليس عقلاً، فيتساقطان مع عدم الترجيح، ولا يلزم منه الاستهجان.

ومنها: ما ذكره رحمته : من أنّه لو كان أحد الدليلين وارداً مورد التحديدات والأوزان والمقادير والمسافة ونحو ذلك، فإنّ وروده في هذه الموارد يوجب قوّة الظهور في المدلول؛ بحيث يلحقه بالنصّ، فيقدّم على غيره عند المعارضة<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: هذا مجرد دعوى لا شاهد لها؛ لما تقدّم مراراً؛ من أنّ كلّ واحد من مفردات الجملتين في المتعارضين دالّ على معناه على حدّ سواء فيهما، وليس في الوارد مورد التحديدات والأوزان ما يوجب قوّة الدلالة على معانيها، وما هو المعروف من أنّ باب التحديدات ومقام بيان الأوزان والمسافات، مبنية على الدقّة، فالدليل القائم عليها كذلك، إن أريد به الدقّة العقلية بالبراهين القطعية الدقيقة فهو ممنوع؛ إذ لا ريب في بلوغ الشخص إذا كمل سنّه خمس عشرة سنة عرفاً؛ وإن بقي جزء من آلاف جزء

من الدققة بالدقة العقلية، مع أنَّ الدليل على ذلك وارد مورد التحديد.  
وإن أُريد منها الدقة العرفية فهو صحيح، لكن لا فرق في ذلك بين الأدلة  
الواردة في مقام التحديدات وبين غيرها، مضافاً إلى أنه لو سُلّم ذلك فهو يصير من  
قبيل الظاهر والأظهر، لا النص والظاهر.

ومنها : ما ذكره تتج أيضاً؛ من أنه إذا ورد أحد العامين من وجه في مورد  
الاجتماع مع الآخر، كما لو ورد: «كل مسكر حرام» جواباً عن السؤال عن حكم  
الخمر، وورد أيضاً: «لا بأس بالماء المتخذ من التمر»، فإن النسبة بينهما عموم من وجه،  
لكن لا يمكن تخصيص قوله: «كل مسكر حرام» بما عدا الخمر؛ لعدم جواز إخراج  
المورد؛ لأن الدليل نص فيه، فلا بد من تخصيص الآخر - أي قوله: «لا بأس بالماء  
المتخذ من التمر» - بما سوى الخمر<sup>(١)</sup>.

أقول : ما ذكره تتج على قسمين؛ لأن مورد السؤال والاجتماع - وهو الخمر في  
المثال - إن كان أخص من موضوع الدليل الآخر، وهو الماء المتخذ من التمر، فتقديمه  
على الثاني مسلّم، لكن لا لأجل أنه من قبيل النص والظاهر، بل من قبيل الأظهر  
والظاهر؛ لأن الدليل الأول أظهر في شموله للخمر - التي هي مورد السؤال - من دلالة  
الثاني على جوازه.

وأما لو كان بينهما عموم من وجه - كما في فرض كون الخمر أعم من المتخذ من  
العنب والتمر وغيرهما - فلا نُسَلّم تقديم الأول على الثاني، كما في سائر موارد العامين  
من وجه، بل لا بد من معاملة المتعارضين معهما كما لو صرح بقوله: «لا تشرب  
الخمر»؛ بناءً على عمومية الخمر للمتخذ من التمر والعنب، فإن بينه وبين قوله: «لا بأس  
بالماء المتخذ من التمر» عموماً من وجه، فيتعارضان، ولا يوجب ذلك تقديم الأول على  
الثاني.

## المبحث الثاني

### فيما عدّ من المرجّحات النوعيّة الدلاليّة

وأما الموارد التي ادّعي فيها تقديم أحد الدليلين على الآخر؛ لأنّه قرينة على التصرّف فيه:

#### تعارض العموم والإطلاق

فمنها: ما لو دار الأمر بين تقييد المطلق وتخصيص العامّ، فقالوا: إنّ تقييد المطلق أولى من تخصيص العامّ، اختاره الشيخ الأعظم، وتبعه الميرزا النائيني رحمهما (١)، وأنكره المحقّق الخراساني وشيخنا الحائري رحمهما (٢) وذكرنا: أنّه لا بدّ من ملاحظة خصوصيّات الموارد، فربّما يقدّم تخصيص العامّ على تقييد المطلق. والتحقيق في المقام: يتوقّف على توضيح محطّ البحث في المقام؛ لما يترأى من وقوع الخلط فيه في كلماتهم.

فنقول: العمومات والمطلقات يشتركان في أنّه لا يجوز العمل والاحتجاج بهما قبل الفحص عن المخصّص والمقيّد، فحجّية كلّ منهما معلقة على الفحص عنهما واليأس منهما، فالفحص واليأس متمّنان لحجّيتهما، والسّرّ في ذلك ما تقدّم: من بناء المقنّين على ذكر العمومات والمطلقات في مقام التقنين، وتأخير المقيّدات والمخصّصات عنهما، فلا بدّ

١ - فوائد الأصول: ٤٥٧ سطر ٦، فوائد الأصول ٤: ٧٢٩.

٢ - كفاية الأصول: ٥١٢، درر الفوائد: ٦٨٠.

أن يفرض فيما نحن فيه صدور العام والمطلق من المتكلم الذي ليس بناؤه على ذلك، أو فرض بعد الفحص واليأس عن المخصّص والمقيّد في كلّ منهما، وفرض دوران الأمر حينئذٍ بين تقييد المطلق وتخصيص العام.

وحينئذٍ فما استدللّ به الشيخ رحمته لما ذهب إليه - من أن حجّة المطلق معلقة على عدم التقيّد، فلا اقتضاء فيه للاحتجاج به مع وجود البيان والمقيّد، والعام صالح لذلك؛ بخلاف العام فإنه مقتضى، إلا أن يمنع مانع، وهو المخصّص، فالمطلق دليل تعليلي، والعام دليل تنجيزي، فع صدر العام لم يتحقّق المعلق عليه المطلق، فلا يعقل حينئذٍ تخصيص العام بالمطلق - المتوقّف على عدم العام - إلا بوجه دائر - غير مستقيم.

وأورد عليه في «الكفاية»: بأنه إن أريد أن المطلق معلق على عدم البيان إلى الأبد، فهو ممنوع، وإن أريد تعليقه عليه حال التكلم فهو ضروري، لكنّه خارج عن مورد البحث<sup>(١)</sup>.

أقول: لا إشكال في أن سنخ التعارض بين المطلق والمقيّد، غير سنخ التعارض بين العام والخاص، فإنّ الأولين متعارضان في مقام الدلالة اللفظيّة من حيث كشفها عن المدلول، لا مجرد اللفظ، بخلاف العام والخاص، فإنّ لفظ «كلّ» في «أكرم كلّ عالم» وإن لم يوضع للأفراد بخصوصياتها، بل هو مفيد للتكثير، لكنّه يدلّ بدلالة لفظيّة على وجوب إكرام جميع أفراد العلماء، وقوله: «لا تكرم الفسّاق منهم» يدلّ بالدلالة اللفظيّة على حرمة إكرام أفراد الفسّاق منهم، فيتعارضان في مقام الدلالة اللفظيّة.

بخلاف المطلق والمقيّد، فإنّ المطلق في مثل ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾<sup>(٢)</sup> موضوع لنفس الطبيعة، وهو دالّ عليها من غير فرق فيه بين كونه بعد تماميّة مقدّمات الحكمة والإطلاق وبينه قبلها، فلا يصير المطلق بعد تماميّة مقدّمات الحكمة عامّاً، فاللفظ فيه

١ - كفاية الأصول : ٥١٣ .

٢ - البقرة (٢) : ٢٧٥ .

لا يدلّ على الإطلاق، بل هو مستفاد من فعل المتكلم؛ حيث جعل تمام الموضوع لحكمه نفس الطبيعة، ولم ينصب قرينة على الخلاف، والمقيّد معارض له؛ من جهة أنّه أخذ الموضوع فيه الطبيعة المقيّدة بالقيّد المخالف لها، لا في دلالتها اللفظيّة، وحينئذٍ فلو ورد عامّ ومطلق، ولم يكن بينهما العموم والخصوص المطلق، كما لو قال: ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾، وقال: «كلّ معاملة ربويّة محرّمة فاسدة»، وفرض صدورهما من متكلم ليس بناؤه على تأخير المخصّصات والمقيّدات، أو فرض ذلك بعد الفحص واليأس عنها في كلّ واحد منها، فكما يصحّ الاحتجاج بالثاني - أي العامّ - كذلك يصحّ الاحتجاج بالأوّل - أي المطلق - من غير فرق بينهما إلّا في كيفيّة الاحتجاج؛ حيث إنّهُ يحتجّ في الثاني؛ بأنّه قال كذا، وفي الأوّل بأنّه فعل كذا؛ أي جعل تمام الموضوع لحكمه نفس الطبيعة مجرّدة، وليس للمولى أن يقول: كان المطلق معلّقاً على عدم البيان، والعامّ صالح للبيانيّة.

فما أورده في «الكفاية» على الشيخ الأعظم رحمته الله متين، ولم يظهر لي وضوح فساده ووجهه، كما زعمه الميرزا النائيني رحمته الله، فما ذكره الشيخ رحمته الله غير مستقيم. وبالجملة: موضوع المطلق نفس الطبيعة، ولا يدلّ إلّا عليها، ولا دلالة له على الأفراد، لكن حيث إنّها عين الأفراد في الخارج، ومتكثّرة بتكثّرّها فيه، يسري الحكم إليها، وهي محكمة بحكمها، بخلاف العامّ، فإنّه بلفظه دالّ على الأفراد. ويتّضح ممّا ذكرنا أمور:

الأوّل: أنّ الإطلاق الشمولي ممّا لا معنى له، بأن تكون الطبيعة مرآة لجميع الأفراد.

ومنشأ هذا التوهّم: وقوع الخلط والاشتباه بين صدق الطبيعة على الأفراد وكونها عينها في الخارج، وبين دلالتها عليها لفظاً، فإنّ الأوّل صحيح مسلّم - كما تقدّم - دون الثاني، فالبيع في ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ عين أفرادها في الخارج، فمع فرض أنّ



المتكلم في مقام البيان تمام مراده، وجعل تمام الموضوع لحكمه نفس الطبيعة مع عدم نصبه قرينة على الخلاف، فكلما وجد فرد من الطبيعة في الخارج وجد موضوع حكمه، بخلاف العام، فإنه بلفظه يدل على الكثرة؛ سواء كان في مقام البيان أم لا.

الثاني : ظهر أيضاً أنه لا سبيل إلى القول بأنّ تقديم العام على المطلق من باب تقدّم الأظهر على الظاهر؛ لأنه فرع دلالة المطلق لفظاً على الأفراد، وبعد الفراغ عنها، وليس كذلك، وإن كان العام كذلك.

الثالث : ظهر أيضاً أنّ حجّية المطلق ليست معلقة، بل حجّيته منجزة كالعام، والاختلاف إنما هو في كيفية الاحتجاج.

### وجه تقدّم العام على المطلق

إذا عرفت ذلك كلّ فاعلم : أنّه لو دار الأمر بين تقييد المطلق وتخصيص العام عند التعارض، بعد الفحص عن المخصّص والمقيّد في كلّ واحد منهما واليأس عنها، أو بعد فرض صدورهما من متكلم ليس بناؤه على تأخير المخصّصات والمقيّدات، يقدم تقييد المطلق على تخصيص العام، لا لما ذكره الشيخ الأعظم رحمته؛ من أنّ حجّية المطلق مقيّدة ومعلّقة على عدم البيان، والعام صالح للبيان؛ لما عرفت من عدم صحّته، وأنّ المطلق حجّة قبل الظفر بالبيان وبعده، بل لأنّ الاحتجاج بالمطلق مستقوّم بسكوت المولى؛ حيث جعل تمام الموضوع للحكم هو نفس الطبيعة وسكت، فإذا صدر العام انتفى السكوت.

والفرق بينه وبين ما ذكره الشيخ رحمته : هو أنّ المطلق قبل الفحص عن البيان ليس حجّة بناءً على ما ذكره رحمته؛ لأنّ حجّيته معلقة على عدم البيان عنده.

وأما بناءً على ما ذكرنا فهو حجّة مالم يظفر بالمقيّد والبيان، ومع الظفر بالبيان تنقطع حجّيته، وكلّ ما يستفاد من الإطلاقات - مثل حجّية مفهوم الشرط والوصف

وغيرهما - لو دار الأمر بين تقييده وتخصيص العام، فتقييد المفهوم أولى؛ لما ذكرناه.  
ولو تعارض بعض المطلقات مع بعض آخر منها - مثل تعارض مفهوم الشرط مع مفهوم الوصف المستفادين من الإطلاق - فلا تقدّم لأحدهما على الآخر.  
فما قيل : من إنَّ مفهوم الشرط مقدّم على مفهوم الوصف عند التعارض؛ لأنّه أقوى<sup>(١)</sup>.

ففيه : أنّ دلالة على دُخُل القيد في الحكم وإن كان أقوى، لكن المفهوم لا يستفاد منه، بل من انحصاره والانحصار لا يستفاد منه، بل من الإطلاق، مثل استفادته منه في مفهوم الوصف من غير فرق بينهما في ذلك.  
نعم مفهوم الغاية مقدّم على مفهوم الشرط والوصف؛ لأنّه أقوى؛ إذ هو من قبيل دلالة اللفظ، ولا فرق فيما ذكرنا بين الإطلاق الشمولي والبدلي؛ لاستفادة كلّ منهما من الإطلاق ومقدمات الحكمة.

### دوران الأمر بين النسخ والتخصيص

ومنها : ما لو دار الأمر بين النسخ والتخصيص .  
وقبل البحث فيه لابدّ من بيان ما تعرّض له الشيخ الأعظم وغيره في المقام؛ وهو أنّه يعتبر في التخصيص ورود المخصّص قبل حضور وقت العمل بالعام، كما أنّه يعتبر في النسخ ورود الناسخ بعد حضور وقت العمل بالمنسوخ، ولذا يقع الإشكال في التخصيصات الصادرة عن الأئمة عليهم السلام في العمومات النبويّة صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ فيها ثلاثة احتمالات :

أحدها : أنّها ناسخة للعمومات المذكورة.

ثانيها : أنّها كاشفة عن وجود مخصّصات متّصلة بالعمومات، وقد خفيت علينا، ووصلت إلينا هذه المخصّصات المنفصلة.

ثالثها : أنّها مخصّصة بنفسها حقيقة، وإنّما تأخّر بيانها لمصلحة في تأخيرها، وإنّما تُقدّم العمومات ليعمل بها ظاهراً إلى أن يرد المخصّص، اختاره الشيخ الأعظم<sup>(١)</sup>. واختار الميرزا النائيني الاحتمال الثاني<sup>(٢)</sup>.

ولكن جميع الاحتمالات المذكورة ضعيفة موهونة: أمّا الأخير الذي اختاره الشيخ<sup>ص</sup> فلاجل أن دعوى : وجود المصالح والمفاسد في تلك العمومات والعمل بها إلى زمان الصادقين<sup>عليهم السلام</sup> مثلاً، ثمّ إنّها تبدّلت في زمانها إلى غيرها في الواقع في جميع الأحكام من أوّل الفقه إلى آخره، كما ترى لا يمكن الالتزام بها.

وأما الاحتمال الثاني الذي أيّده الميرزا النائيني<sup>ص</sup> : بأننا نرى رواية العامّة بطرقهم كثيراً من المخصّصات المنفصلة، المروية من طرقنا عن الأئمة<sup>عليهم السلام</sup>، فيكشف ذلك عن اختفاء المخصّصات علينا.

ففيه : أن المخصّصات التي روتها العامّة والخاصّة ليست متّصلة بالعمومات نراها بالبيان والوجدان، فإنّه لم يكن النبي<sup>صلى الله عليه وآله</sup> يأتي بجميع المخصّصات كلّ واحدة منها متّصلة بعموماتها منضّمة إليها، كالكليّات المصدّرة بـ«لا»، مثل «لا بيع إلا في ملك»<sup>(٣)</sup> و «لا ضرر ولا ضرار»<sup>(٤)</sup> ونحوهما، والالتزام باتّصال جميع قيودها بها وقد

١ - فرائد الأصول : ٤٥٦ سطر ٧.

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٧٣٤.

٣ - عوالي اللآلي ٢ : ٢٤٧ / ١٦ ، مستدرک الوسائل ١٣ : ٢٣٠ ، کتاب التجارة ، أبواب عقد البيع وشروطه ، الباب ١ ، الحديث ٣.

٤ - الكافي ٥ : ٢٩٢ / ٢ و ٦ ، وسائل الشيعة ١٢ : ٣٦٤ ، کتاب التجارة ، أبواب الخيار ، الباب ١٧ ، الحديث ٣ و ٤.

خفيت علينا، ولم تصل إلينا - من جهة عدم ذكر الرواة لها، وغفلتهم عنها - كما ترى. مضافاً إلى عدم صحّة ذلك في العمومات الواردة في الكتاب المجيد، وما اختاره الشيخ عليه السلام، وإن كان أقرب من حيث الاعتبار، وبالنسبة إلى بعض الأخبار، فيمكن الالتزام به في بعض الموارد من الأحكام، لكن الكلام إنّما هو بالنسبة إلى جميع الأحكام في جميع أبواب الفقه، فإنّه يلزم منه إهمال آلاف قيود وعدم بيانها، مع أنّه عليه السلام قال في حجة الوداع: (ما من شيء يقربكم إلى الجنة، ويبعدكم عن النار، إلّا أمرتكم به، وما من شيء يقربكم إلى النار، ويبعدكم عن الجنة، إلّا وقد نهيتكم عنه)<sup>(١)</sup>، ومن الواضح عدم بيانه عليه السلام جميع القيود للمكلفين.

والذي يمكن أن يقال في المقام: هو أنّه لا ريب في أن أمير المؤمنين عليه السلام، كان ملازماً للنبي عليه السلام في الخلوات والجلوات، من لدن زمان البعثة إلى زمان وفاته عليه السلام في الأيام والليالي، وكان عارفاً بمقام النبوة ومعنى الوحي، حين كان أكثر الناس كالبهايم لا يعرفون شيئاً من ذلك ولا يشعرون، وكان عليه السلام شديد الاهتمام بحفظ كلّ ما يصدر عن النبي عليه السلام وضبطه؛ لعلمه عليه السلام بأنّ تلك الأحكام ثابتة لجميع المكلفين إلى يوم القيامة، ولم يشدّ عنها شيء، روى الكليني عليه السلام عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن ابن عيّاس عن سُلَيم بن قيس الهلالي، قال: قلت لأمر المؤمنين عليه السلام: إني سمعت من مقداد وسلمان وأبي ذرّ، شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن النبي عليه السلام، غير ما في أيدي الناس، ثمّ سمعتُ منك تصديق ما سمعتُ منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن وأحاديث عن نبيّ الله أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أنّ ذلك كلّ باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله متعمّدين، ويفسّرون القرآن بأرائهم؟

قال فأقبل عليَّ عليه السلام، ثم قال: (قد سألت فافهم الجواب: إنَّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كُذِبَ على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على عهده، حتَّى قام خطيباً، وقال: أيُّها الناس قد كثرت عليَّ الكذَّابة، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كُذِبَ عليه من بعده.

إنَّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس : رجل منافق يُظهر الإيمان، متصنِّع بالإسلام، لا يتأتَّى ولا يتحرَّج أن يكذب على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (...).

إلى أن قال : (ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يسمعه على وجهه، ووهَم فيه، ولم يتعمَّد كذباً، فهو في يده؛ يقول به، ويعمل به، ويروي به، فيقول: أنا سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلو علم المسلمون أنَّه وهم، لرفضوه، ولو علم هو أنَّه وهم لرفضه. ورجل ثالث سمع من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً أمر به، ثم نهى عنه، وهو لا يعلم، أو نهى عنه، ثم أمر به، وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه، ولم يحفظ الناسخ. فلو علم أنَّه منسوخ لرفضه، ولو علم الناس أو سمعوه منه أنَّه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله، مبغض للكذب خوفاً من الله، وتعظيماً لرسول الله، لم يسه، بل حفظ ما سمع على وجهه، وجاء به كما سمعه؛ لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ، ورفض المنسوخ، فإنَّ أمر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثل القرآن؛ منه ناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، ومحكم ومتشابه، وقد كان يكون من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الكلام له وجهان، وكلام عام وكلام خاص مثل القرآن...).

إلى أن قال: (فما نزلت على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آية إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ، فكتبتُها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وعامها وخاصها، ودعى الله أن يعطيني فهماً وحفظاً، فما نسيتُ آية من

كتاب الله، ولا علماً أملاه عليّ وأثبتته<sup>(١)</sup>.  
وقال : (ألا وعندي الجامعة، وما أدراك ما الجامعة؟! طولها سبعون ذراعاً  
فيها جميع أحكام الوقائع)<sup>(٢)</sup>.  
وبالجملة : لا إشكال في أنه ﷺ بين جميع الأحكام، وحفظها عليّ بن أبي  
طالب عليه السلام وضبطها، ولكن الناس منعوه عليه السلام أن يبينها لهم، وقالوا: حسبنا كتاب الله،  
وكذلك ابنه الحسن بن علي عليه السلام... وهكذا إلى أن وقعت الفرصة في زمن  
الصادقين عليه السلام، فبيننا عليهم السلام تلك الأحكام الكثيرة التي بأيدينا.  
ووجه آخر : وهو أن الأئمة عليهم السلام كانوا يفهمون من ألفاظ الكتاب والسنة ما  
لا يفهمه غيرهم، مثل استدلال الإمام أبي جعفر عليه السلام لزراعة على أن مسح الرأس في  
بعضه لا جميعه؛ لمكان الباء<sup>(٣)</sup>، ولذا أمر رسول الله ﷺ بالتمسك بهم والرجوع  
إليهم عليهم السلام في الأحكام باعتراف العامة؛ لرواية الثقلين المتواترة في طرق الفريقين<sup>(٤)</sup>،  
وفي بعض رواياتهم عليهم السلام : أنه يفتح منه ألف باب من العلم ومن كل باب ألف باب  
منه، ويؤيده أيضاً أنه كان الإمام الصادق والباقر عليه السلام يقولان: قال رسول  
الله ﷺ، مع عدم دركها له ﷺ.

### وجوه دوران الأمر بين النسخ والتخصيص

إذا عرفت هذا فلنرجع إلى الكلام في دوران الأمر بين النسخ والتخصيص،  
وهو يتصور على وجوه :

١ - الكافي ١ : ٥٠ (باب اختلاف الحديث).

٢ - الكافي ١ : ١٨٥ / ١.

٣ - الكافي ٣ : ٣٠ / ٤، وسائل الشيعة ١ : ٢٩٠، كتاب الطهارة، الباب ٢٣، الحديث ١.

٤ - الكافي ١ : ٢٣١ / ١، بحار الأنوار ٢٢ : ٤٦٥ / ١٩.

الأول : أن يتقدّم العام ويتأخّر الخاصّ عن وقت العمل بالعام، ودار الأمر بين أن يكون الخاصّ مخصّصاً ؛ بناء على جواز التخصيص بعد حضور وقت العمل بالعام؛ من جهة أنّ حكم العام حكم ظاهريّ، وحكم الخاصّ واقعيّ، وبين أن يكون ناسخاً للعام.

الثاني : أن يتقدّم الخاصّ مع صدور العام بعد حضور وقت العمل بالخاصّ، ودار أمر العام المتأخّر بين كونه ناسخاً لحكم الخاصّ المتقدّم وبين كونه مخصّصاً.

الثالث : ما لو جهل الحال من حيث تقدّم العام أو الخاصّ، ومن حيث صدور المتأخّر بعد حضور وقت العمل بالمتقدّم وعدمه، كما هو الغالب بالنسبة إلينا. وقبل الشروع في بيان ما هو الحقّ في المقام، لابدّ من بيان ما هو محطّ البحث والكلام هنا؛ لئلا يقع الخلط فيه، كما يترأى من كلمات بعض الأصوليين.

فنقول : محطّ البحث؛ هو ما إذا لم يكن دليل خارجيّ - من إجماع أو نصّ أو ظاهر دليلي - يدلّ على أحد الأمرين من النسخ أو التخصيص، ودار الأمر بينهما.

وحينئذٍ فما ذكره الميرزا النائيني رحمته الله؛ من أنّ أصالة الظهور في الخاصّ متقدّمة على العام، فيرتفع بها موضوع النسخ<sup>(١)</sup>، فهو خلط في محطّ البحث؛ لأنّ الكلام في المقام إنّما هو في دوران الأمر بين النسخ والتخصيص، لا في دورانه بين تقديم العام أو الخاصّ؛ كي يقال: إنّ أصالة الظهور في الخاصّ متقدّمة على العام، وإنّ مثل «أكرم العلماء» و «لا تكرم الفسّاق منهم» ، لا يصلح مثلاً لما نحن فيه، فإنّ العام يخصّص بالخاصّ فيه بلا إشكال، بل المثال لما نحن فيه؛ هو أن يفرض إجماع على حرمة إكرام الفسّاق من العلماء، بدل «لا تكرم الفسّاق منهم» ودار الأمر بين كونه ناسخاً ومخصّصاً. إذا عرفت هذا نقول : دوران الأمر بين النسخ والتخصيص ، متوقّف على

استفادة الدوام والاستمرار من الدليل الذي صدر أولاً؛ ليتصوّر فيه النسخ - الذي هو قطع دوام الحكم واستمراره الثابت أولاً - وإلا فلا يتصوّر النسخ فيه.

واستفادة الدوام والاستمرار للحكم الثابت للأفراد في الصورة الأولى - أي ما لو تقدّم صدور العام وتأخّر الخاصّ، وصدر بعد حضور وقت العمل بالعام - يمكن أن يتصوّر بأحد وجوه ثلاثة :

أحدها : أن يقال : إنّ العامّ الصادر أولاً، وإن كان قاصراً عن إفادة استمرار الحكم الثابت به للأفراد بالدلالة اللفظيّة، بل إنّما يدلّ على ثبوت الحكم للأفراد الموجودة في زمان الخطاب فقط، مثل ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(١)</sup>، ولا يدلّ على وجوب الوفاء على الأفراد المدومة في زمانه؛ من المكلفين في الأزمنة اللاحقة، ولكن يستفاد من إطلاقه المقامي استمراره ودوامه وثبوته للأفراد اللاحقة، التي توجد بعد زمان الخطاب إلى يوم القيامة؛ حيث فرض أنّ المتكلّم في مقام البيان مع سكوته عن ذلك، أو يستفاد ذلك من إطلاق موضوع الحكم، أو من إطلاق متعلّقه، أو من نفس الحكم؛ حيث جعله تمام الموضوع أو متعلّقه ذلك، ولم ينصب قرينة على خلاف ما يستفاد من إطلاقه بحسب الدوام والاستمرار.

ثانيها : أن يقال باستفادة الدوام واستمرار الحكم من نفس العامّ، مثل «أكرم العلماء»، وأنّه كما يدلّ على وجوب إكرام الموجودين منهم في زمان الخطاب بالدلالة اللفظيّة، كذلك يدلّ على وجوبه على الأفراد المدومة فعلاً والتي توجد لاحقاً؛ لعدم اختصاص الخطابات بالموجودين زمان الخطاب، بل تعمّ جميع العلماء إلى يوم القيامة بنحو القضية الحقيقيّة.

ثالثها : أن يقال باستفادة دوام الحكم الثابت للموجودين في زمان الخطاب،



واستمراره وثبوته للموجودين بعد زمان الخطاب بالدليل الخارجي. لا من إطلاق العموم، ولا من نفسه بالدلالة اللفظية، مثل قوله عليه السلام : (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة)<sup>(١)</sup>، و (حكمي على الأولين حكمي على الآخرين)<sup>(٢)</sup>، ونحو ذلك، أو الإجماع على الاشتراك في التكليف.

فعلى الوجه الأول - أي استفادة الاستمرار من الإطلاق المقامي - والوجه الثاني - أي استفادته من الإطلاق الكلامي اللفظي - لو صدر أولاً، مثل «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»، واستفيد من إطلاقه الدوام والاستمرار؛ لوجوب الوفاء بكل عقد إلى يوم القيامة، ثم ورد : (أن البيع الربوي حرام) بعد حضور وقت العمل بالأول، ودار أمر الثاني بين أن يكون مخصصاً للعام الصادر قبله؛ بخروج البيع الربوي عن العموم رأساً ومن الأول، وبين كونه ناسخاً، ويحكم بفساد البيع الربوي حين صدور الثاني؛ لا من الابتداء، وأن حكمه قبل صدور الخاص هو حكم العام، وهو وجوب الوفاء إلى زمان صدور الثاني؛ بتقييد إطلاقه المفيد للدوام والاستمرار؛ قطعاً لاستمرار حكمه. ففيه: وجهان .

والذي اخترناه سابقاً : هو أن المقام نظير دوران الأمر بين التقييد والتخصيص، الذي ذكرنا فيه : أن الحق هو تقديم تقييد الإطلاق على تخصيص العام؛ لأن دلالة العام لفظية، بخلاف دلالة المطلق، فإنها مستفادة من سكوت المتكلم وعدم البيان، وهي لا تقاوم الدلالة اللفظية، وما نحن فيه من هذا القبيل؛ لأن الأمر فيه دائر : بين تخصيص العام للأفرادي، وبين تقييد الإطلاق المفيد للاستمرار.

لكن الذي يقوى في النظر عاجلاً خلاف ذلك؛ وذلك للفرق بينها، فإن المفروض هناك تعارض العموم والإطلاق بالذات في مادة مثل «أكرم العلماء»

١ - الكافي ١ : ٤٧ / ١٩ .

٢ - الكافي ٥ : ١٨ / ١ .

و«لا تكرم الفاسق» ، وتقدّم فيّة: أنّ تقييد المطلق منه أولى من تخصيص العامّ، بخلاف ما نحن فيه، فإنّه نظير ما لو كان التعارض بين العموم والإطلاق عَرَضِيّاً لا بالذات، كما لو ورد: أنّه يجب الوفاء بالبيع، وورد: أنّ (الصلح جائز بين المسلمين)<sup>(١)</sup>، فإنّه لا تعارض بين عموم الأوّل وإطلاق الثاني؛ لعدم تصادقهما في مادّة، لكن لو ورد دليل ثالث، ودار أمره بين كونه مخصّصاً للعامّ المذكور، أو مقيداً لإطلاق الثاني، صاراً متعارضين؛ للعلم الإجمالي بأحدهما، ولا ترجيح هنا في البين، فإنّ هذا الدليل الثالث كما يصلح لتقييد الثاني وكونه بياناً له، كذلك يصلح لتخصيص الأوّل وكونه بياناً له، وكلّ منهما حجّة مستقلة، وحينئذٍ فلا يجري فيه ما ذكرناه في وجه تقديم تقييد الإطلاق على تخصيص العموم، ولا ما ذكره الشيخ الأعظم<sup>(٢)</sup>.

وقد يقال: إنّ الأمر في المقام دائر بين التقييد وبين تخصيص وتقييد، فإنّ تخصيص العموم المذكور يستلزم تقييد إطلاقه بالنسبة إلى الأفراد المخرجة، وقطع استمرار حكمها أيضاً.

وفيه: أنّ التخصيص يوجب ارتفاع موضوع التقييد للإطلاق، وانتفاء الإطلاق في الأفراد المخرجة، فإنّ الإطلاق في رتبة متأخّرة عن شمول العامّ للأفراد، فلا يوجب التخصيص ارتكاب خلاف ظاهر آخر.

وقد يقال: إنّ العلم الإجمالي - إمّا بتخصيص العامّ أو تقييد المطلق - ينحلّ إلى العلم التفصيلي بخروج الفساق من العلماء منذ صدور الخاصّ - إمّا لأجل نسخه للعامّ أو تخصيصه له - والشكّ في خروجهم قبل صدوره وبعد صدور العامّ، والعامّ حجّة بالنسبة إليهم قبل زمان صدور الخاصّ، فينتج ذلك تقديم التخصيص على النسخ عند الدوران.

١ - الكافي ٧: ٤١٢ / ١، وسائل الشيعة ١٨: ١٥٥، كتاب القضاء، أبواب آداب القاضي، الباب ١، الحديث ١.

وفيه أولاً: أن ذلك خروج عن محطّ البحث؛ لأنّ الكلام في المقام هو ما لو دار الأمر بين النسخ والتخصيص وعدم ما يعيّن أحدهما في الخارج، وما ذكر من تقديم التخصيص إنّما هو بملاحظة العلم الإجمالي، لا لمجرّد الدوران<sup>(١)</sup>.

وثانياً: أنّه قد تقدّم في مسألة الأقلّ والأكثر: أنّ العلم التفصيلي المتقوم بالعلم الإجمالي والمتولّد منه، لا يصلح أن ينحلّ به العلم الإجمالي المذكور.

والحاصل: أنّ العلم التفصيلي بخروج الفساق منذ صدور الخاصّ، أحد طرفي التردد في العلم الإجمالي، فلا يعقل إيجابه انحلاله.

وثالثاً: المعلوم بالتفصيل إنّما هو أصل خروج الفساق من زمان صدور الخاصّ المرّدّد بين كونه نسخاً أو تخصيصاً، وهو لا يوجب انحلال العلم الإجمالي إمّا بالخروج نسخاً أو تخصيصاً، إذ لا يتعيّن به أنّ خروجه بالنسخ.

هذا كلّ بناءً على استفادة استمرار حكم العامّ من الإطلاق.

وأما بناءً على استفادته من نفس العامّ - بدلالة لفظيّة بنحو القضية الحقيقيّة - فالأمر فيه دائر بين تخصيصين: أحدهما تخصيص عمومه الأفرادي، الثاني تخصيص عمومه الأزمانى وفي عمود الزمان، ولكن المخرّج بالأوّل أكثر منه في الثاني، فهو دائر بين الأقلّ والأكثر، والأقلّ معلوم الخروج تفصيلاً - أي خروجه من حين صدور الخاصّ - والأكثر مشكوك الخروج، فيحكم عليه بحكم العامّ، فينتج تقديم النسخ على التخصيص.

وأما بناءً على استفادة الاستمرار من دليل خارجي، مثل (حلال محدّد حلال إلى يوم القيامة) ونحوه، فالكلام فيه مبنيّ على الاختلاف في إفادة المفرد المضاف العموم وعدمها، فإن قلنا: أنّه يفيد العموم، فرجعه إلى دوران الأمر فيه بين تخصيص

١ - لا يخفى أنّ الدوران لا يتحقّق إلّا مع العلم الإجمالي؛ ضرورة عدم تصوّر الدوران بينهما إلّا به، فمع انحلاله ينتج ما ذكر. [المقرّر حفظه الله].

«أكرم العلماء»، وبين تخصيص عموم (حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة)، ولا ترجيح لأحدهما على الآخر، وإن كان أفراد أحدهما أكثر من الآخر؛ لأنّه ليس مرجّحاً.

وأما بناءً على القول بعدم إفادته العموم، بل يستفاد العموم من إطلاقه، فالكلام فيه هو الكلام في الفرض الأوّل.

هذا كلّه فيما لو تأخّر الخاصّ عن وقت العمل بالعامّ.

وأما لو تقدّم الخاصّ، وورد العامّ بعد حضور وقت العمل بالخاصّ، ودار الأمر بين كون الخاصّ المتقدّم مخصّصاً للعامّ المتأخّر، وبين كون العامّ المتأخّر ناسخاً للخاصّ المتقدّم، والكلام فيه مبنيّ على استفادة الاستمرار من إطلاق الخاصّ، أو من عمومه اللفظي، أو من الدليل الخارجي - بنحو ما عرفته في الصورة الأولى - وعدمه؛ فعلى الأوّل فمقتضى إطلاق الخاصّ حرمة إكرام الفساق من العلماء، ومقتضى عموم العامّ المتأخّر وجوب إكرامهم.

فيمكن أن يقال: إنّ ما ذكرناه: من تقديم تقييد الإطلاق في دوران الأمر بين تقييد الإطلاق وتخصيص العامّ على تخصيص الخاصّ؛ لأنّ حجّية الإطلاق مبنية على السكوت وعدم البيان، بخلاف حجّية العامّ جارٍ فيه أيضاً.

ولكن يرد عليه: أنّ ما ذكرناه: من أولوية تقييد المطلق إنّما هو في العامّين من وجه، الذي ليس فيه جمع عرفيٍّ، وأما في العامّ والخاصّ المطلقين فلا، فإنّه وإن لم يكن مثل ما لو صدر المتأخّر قبل حضور وقت العمل بالمتقدّم؛ في تعيّن التخصيص وعدم احتمال النسخ - لاحتمال النسخ فيما نحن فيه؛ لأنّ المفروض صدور الثاني بعد حضور وقت العمل بالأوّل - لكن لا فرق بينهما في وجوب الجمع العرفي بينهما بتخصيص العامّ، ومعه لاتصل النوبة إلى ما ذكرناه في وجه أولوية تقييد الإطلاق.

ولو استفيد استمرار الخاصّ من الدليل الخارجي - مثل (حلال

محمد ﷺ... إلى آخره فالأمر فيه دائر بين أن يكون العام المتأخر بياناً لقوله ﷺ: (حلال محمد...) إلى آخره، وبين أن يكون الخاص المتقدم مخصصاً للعام المتأخر؛ بمعنى أن إطلاق الخاص ظهير له، فيقوى به، فيخصص به العام. ولو استفيد استمرار الخاص المتقدم منه بدلالة لفظية، فقتضى الجمع العقلائي هو تخصيص العام المتأخر به.

وأما لو جهل الحال - من تقدم الخاص أو العام، ومن صدور المتأخر بعد حضور وقت العمل بالتقدم واقعاً أو قبله - فعلى فرض صدور الثاني قبل حضور وقت العمل بالآخر واقعاً يتعين التخصيص، وعلى فرض صدوره بعد حضور وقت العمل بالأول، يتردد الأمر بينه وبين النسخ، فيحتمل هنا صدور الخاص بنحو لا يحتمل فيه إلا التخصيص، وهو صدوره قبل حضور وقت العمل بالعام، ففي تقديم النسخ أو التخصيص وجهان.

لكن بملاحظة كثرة التخصيص في العمومات الشرعية، حتى قيل: «ما من عام إلا وقد خصّ، وما من مطلق إلا وقد قيد» ونُدرة النسخ فيها - وأنه قد يوجب الغلبة عدم اعتناء العقلاء بالاحتمال المخالف النادر، كما أن بناءهم على ذلك في الشبهة الغير المحصورة وأصالة الصحة في فعل الغير ونحو ذلك؛ مما يكون فيه احتمال الخلاف نادراً؛ بحيث لا يعتني به العقلاء - يُقدّم التخصيص على النسخ وعدم الاعتناء باحتمال النسخ في الفرض.

ويؤيده: أن مبنى الفقه والفقهاء على التخصيص والتقيد من أول الفقه إلى آخره، وقلما يوجد مورد حكموا فيه بالنسخ، مع أن الغالب عدم علمهم بالحال؛ من تقدم الخاص على العام أو بالعكس، وأن صدور الثاني هل هو بعد حضور وقت العمل بالأول أو قبله.

وأما ما أفاده شيخنا الحائري رحمته والميرزا النابيني رحمته؛ من أنه يعتبر في الغلبة أن

تكون بمثابة تصلح قرينة على التخصيص ، وما نحن فيه ليس كذلك<sup>(١)</sup>.  
ففيه : أنَّ ذلك لا يناسب لمبناها وغيرهما في الفقه من عدم احتمال النسخ في  
هذه الصورة.

### دوران الأمر بين تقييد الإطلاق وحمل الأمر على الاستحباب

ومن الموارد التي تُوهَّم أنَّها من قبيل تعارض الظاهر والأظهر: ما لو دار الأمر  
فيه بين تقييد المطلق وحمل الأمر على الاستحباب أو النهي على الكراهة، كما لو قال:  
«إن أفطرت فأعتق رقبة»، ثم قال منفصلاً: «إن أفطرت أعتق رقبة مؤمنة»، أو  
«لا تعتق رقبة كافرة»، فإنَّ الأمر فيه دائر بين تقييد الأوّل بالثاني، أو حمل الثاني على  
الاستحباب، أو النهي على الكراهة، وأنَّ المؤمنة أفضل الأفراد، فيصحّ في هذا الفرض  
ما ذكره شيخنا الحائري رحمته: من أنَّ تقييد المطلق فيه بمجرّد الأمر والنهي في غاية  
الإشكال؛ لغلبة استعمال الأمر في الندب، والنهي في الكراهة، حتّى أنكر صاحب المعالم  
حملة على الوجوب بمجرّده<sup>(٢)</sup>.

ولكنّه إنّما يتمّ لو صدر المطلق من الإمام عليه السلام - في مقام الفتوى - جواباً لمن  
سأله عمّا هو مبتلى به، فإنّه حينئذٍ لو سُمِعَ منه عليه السلام - أو من غيره من الأئمّة  
الأطهار عليهم السلام - الأمر بالمقيّد أو النهي بعد حضور وقت العمل بالمطلق، فتقييده  
مشكل، فلا بدّ من حمل الأمر بالمقيّد أو النهي على الندب والكراهة، وإلّا يلزم الإغراء  
بالجهل، وهو ممتنع من الإمام، أو الحمل على نسخ المطلق، وهو نادر جدّاً لا يلتزم به،  
فإنَّ حمل الأمر على الندب والنهي على الكراهة، أهون وأسهل منه ومن التقييد في

١ - درر الفوائد : ٦٨١، فوائد الأصول ٤ : ٧٣٨.

٢ - معالم الدين : ٤٨ - ٤٩.

الفرض المذكور.

وأما لو كان المتكلم في مقام جعل القوانين الكلّية - كما في كثير من الأوامر والنواهي الصادرة من الشارع - فيتعيّن فيه تقييد المطلق؛ لأنّ بناء المقتنين على ذكر العمومات والمطلقات - في مقام جعل القانون - وتأخير المقيّدات والمخصّصات وبيانها، ولا يلزم منه الإغراء بالجهل، ولا النسخ. هذا كلّ في تعارض الدليلين.

### المبحث الثالث

#### إذا كان التعارض بين أكثر من دليلين

وأما التعارض بين الأكثر من دليلين، ففيه صور نذكر أهمّها :

الصورة الأولى : إذا ورد عامّ وخاصّان كلّ واحد منهما أخصّ من الأوّل

لو ورد عامّ، وخاصّان كلّ واحد منهما أخصّ من الأوّل؛ سواء كان بين موضوعي الخاصّين عموم من وجه - مثل «أكرم العلماء»، و«لا تكرم الفسّاق منهم»، ولا تُكرم النحويّين» - أم لا.

والكلام فيها في مقامين :

الأوّل : الكلام في أنّه هل تجب ملاحظة النسبة بين العامّ وأحد الخاصّين وعلاج التعارض بينهما أوّلاً، ثمّ ملاحظة النسبة بينه وبين الخاصّ الآخر، فإنّه حينئذٍ ربّما تنقلب النسبة، كما لو خُصّص العامّ في المثال بقوله: «لا تكرم الفسّاق منهم»، فإنّ النسبة بين العامّ بعد التخصيص، وبين الخاصّ الآخر - أي لا تكرم النحويّين - حينئذٍ

هي العموم من وجه، أو أنّه لا يصحّ ذلك؛ لأنّ الخاصّين في عرض واحد؛ لا تقدّم لأحدهما على الآخر وملاحظته أولاً مع العامّ، ثمّ ملاحظة الآخر بعده، أو التفصيل بين كون المخصّصين لفظيّين، وبين كون أحدهما لفظيّاً والآخر لُبّيّاً، فلا تقدّم لأحدهما على الآخر في الأوّل، ويقدم اللبّي على اللفظي في الثاني، فيلاحظ النسبة بين العامّ بعد تخصيصه باللبيّ، ثمّ ملاحظة النسبة بينه وبين المخصّص اللفظي؟ وجوه.

الثاني: أنّه - بعد البناء على عدم تقدّم أحد الخاصّين على الآخر في ملاحظة النسبة بينه وبين العامّ؛ لأنّهما في عرض واحد، وأنّ مقتضى القاعدة تخصيص العامّ بكلّ واحد منهما - لو استلزم تخصيصه بهما استهجاناً، أو استيعاب جميع الأفراد وعدم بقاء شيء منها تحت العامّ، كما لو قال: «أكرم العلماء»، ثمّ قال: «لا تكرم الفساق منهم، ويكره إكرام عدوهم»، فإنّه لا يمكن تخصيصه بهما معاً، فهل يقع التعارض حينئذ بين العامّ وبين مجموع الخاصّين، كما ذهب إليه الشيخ الأعظم والمحقّق الخراساني والميرزا النائيني<sup>(١)</sup>، أو أنّ التعارض حينئذ بين الخاصّين؟

أمّا المقام الأوّل: فلا إشكال في أنّ الخاصّين اللفظيّين يردان على العامّ في عرض واحد، فيخصّص بهما معاً، ولا يلزم منه محذور؛ إذ لا وجه لملاحظة النسبة بينه وبين أحد الخاصّين أولاً، ثمّ ملاحظته مع الآخر؛ لعدم المرجّح فيما لو لم يعلم الحال من تقدّم أحد الخاصّين بحسب الصدور وتأخّره، كما هو الغالب، ولهذا قال الشيخ الأعظم رحمته - بعد ذكر توهم بعض تخصيص العامّ بأحد الخاصّين إذا كان لبّيّاً - أنّه لا أظنّ أن يلتزم هذا المتوهم بذلك في الخاصّين اللفظيّين<sup>(٢)</sup>.

هذا في الخاصّين اللفظيّين.

وأما لو كان أحد الخاصّين لبّيّاً والآخر لفظيّاً، فع كون اللبّي كالحافّ بالعامّ، كما

١ - فرائد الأصول : ٤٥٨ سطر ٢٢ ، كفاية الأصول : ٥١٦ ، فوائد الأصول ٤ : ٧٤٣ .

٢ - فرائد الأصول : ٤٥٨ السطر الأخير .



لو علم بجرمة إكرام الفسّاق من العلماء حين صدور «أكرم العلماء»، فلا إشكال في تخصيص العامّ به أولاً، ثمّ ملاحظته مع الخاصّ الآخر، ولا ينبغي عدّ ذلك من انقلاب النسبة، فإنّ فسّاق العلماء خارجون من العامّ ابتداءً ومن الأوّل، كما أنّه لو اتّصل أحد الخاصّين اللفظيّين بالعامّ، فهو أيضاً كذلك؛ لأنّه قرينة حافّة بالكلام.

وإنّما الكلام في اللَّبِّي الغير الحافّ بالكلام، فالحقّ فيه ما ذكره الشيخ الأعظم رحمته؛ من أنّه لا وجه لتقديم اللَّبِّي المذكور، وملاحظة النسبة بينه وبين العامّ أولاً، ثمّ ملاحظته مع الخاصّ اللفظي<sup>(١)</sup>.

وتبعه في «الدّر»<sup>(٢)</sup>، ولكن يبالي أنّه رحمته عدل عنه في الفقه؛ للفرق بينه وبين الخاصّين اللفظيّين؛ لأنّهما واردان على العامّ في عرض واحد، وأمّا اللَّبِّي فهو من قبيل تتمّة المقضي للعامّ، والمخصّص اللفظي من قبيل المانع فليس العام مع المخصّص اللَّبِّي في العموم من الابتداء.

لكن أقول: إن أراد رحمته أنّ حجّية العامّ معلقة على ذلك، وأنّه ليس حجة إلى زمان حصول القطع بالخلاف في بعض الأفراد الخارجة بالدليل اللَّبِّي، فلأنّسلم ذلك. وإن أراد أنّه مع وجود المخصّص اللَّبِّي كالقطع بالخلاف، يكشف عن عدم تعلّق الإرادة الجدّيّة بالنسبة إلى تلك الأفراد، التي علم عدم وجوب إكرامهم، فالمخصّص اللفظي أيضاً كذلك، فإنّ مقتضاه عدم حجّية العامّ حين الظفر بالخاصّ، وكشفه عن عدم تعلّق الإرادة الجدّيّة بالنسبة إلى أفراد الخاصّ، فلا فرق بين اللَّبِّي واللفظي في ذلك، مع حجّية العامّ بالنسبة إلى العموم قبل الظفر بالخاصّ.

فالحقّ هو ما ذهب إليه الشيخ الأعظم رحمته أولاً.

وأما المقام الثاني: أي ما لو استلزم تخصيص العامّ بكلا الخاصّين محذور

١ - فرائد الأصول: ٤٥٩ السطر الأوّل.

٢ - درر الفوائد: ٦٨٢.

الاستهجان، أو استيعاب أفراد العام، فقد يقال: إن مجموع الخاصين يعارض العام، فلا بد من ملاحظة المرجحات والرجوع إليها.

لكن ربما يرد عليه الإشكال فيما لو كان العام راجعاً على أحد الخاصين بحسب السند دون الآخر، أو وافق أحد الخاصين العامة دون الآخر.

والحق أن التعارض إنما هو بين الخاصين، لكنه تعارض بالعرض؛ وذلك لأن العام لا يعارض كل واحد من الخاصين منفرداً؛ لعدم لزوم محذور من تخصيصه بأحدهما، ووجوب الجمع العرفي بينهما، وإنما يلزم المحذور من تخصيصه بهما معاً.

وبعبارة أخرى: هنا ثلاثة أدلة: العام، مثل «أكرم العلماء»، وخاصان، مثل «لا تكرم الفساق منهم»، و «يكره إكرام عدوهم»، والعام لا يعارض الخاص الأول بنفسه مع قطع النظر عن الخاص الآخر، وكذلك الخاص الآخر بنفسه لا يعارض العام، ومجموع الخاصين ليس شيئاً يعارض العام، لكن يعلم إجمالاً بعدم صحة تخصيص العام بأحد الخاصين؛ وأنه لم يصدر أحدهما؛ للزوم المحذور من تخصيصه بهما معاً، فلا بد من الرجوع إلى المرجحات بين الخاصين، وعلاج التعارض بينهما، وإن قلنا بعدم شمول أخبار التعارض والعلاج للمتعارضين بالعرض، فمقتضى القاعدة تساقط الخاصين، فإما أن نقول بحجية العام ظاهراً؛ لعدم العلم التفصيلي بالخصص، أو لا؛ للعلم الإجمالي بتخصيصه بأحدهما.

هذا إذا لم يعلم بتلازم الخاصين في الحكم، وأما مع العلم به وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر، فيقع التعارض بين العام وبين كل واحد منهما؛ لأن المفروض استلزامه للخاص الآخر، فيلزم من تخصيصه به، وبلازمه الاستهجان.

ولو علم بالتلازم بين الأفراد في الحكم، لا بين الخاصين؛ بمعنى أنه لو وجب إكرام العلماء فجميع أفرادهم كذلك، وإن حرم إكرامهم فجميعهم سواء في هذا الحكم، وإن استحب إكرامهم فكذلك، وورد: «أكرم العلماء، ولا تكرم فساق العلماء، ويستحب

إكرام النحويين»، وقع التعارض بين الأدلة الثلاثة.

**الصورة الثانية : إذا ورد عام وخاصان بينهما عموم وخصوص مطلق**

لو ورد عام وخاصان، وبين الخاصين عموم وخصوص مطلق، مثل «أكرم كل عالم، ولا تكرم النحويين، ولا تكرم فساق النحويين». فقال بعض الأعظم رحمته : إنه يُخصّص العام بهما، كما في الصورة السابقة<sup>(١)</sup>، ولكنه يتصوّر على وجوه :

الوجه الأول : أن يتوافق الخاصان إثباتاً ونفيّاً، ويخالفان العام فيهما، كما في المثال المذكور، فإما أن يلزم من تخصيص العام بهما محذور من الاستهجان وغيره، أو لا.

والثاني أيضاً على قسمين :

أحدهما : أن تُحرز وحدة المطلوب من الخاصين.

ثانيهما : أن لا يُحرز ذلك.

فعلى الأخير يُخصّص العام بهما، فيخرج فساق النحويين في المثال من العام، وكذلك عدولهم؛ أي مورد افتراق الأعم من الخاصين، وعلى الأول أي فرض إحراز وحدة المطلوب من الخاصين، فيخصّص الأعم من الخاصين بالأخص منهما، فيخرج فساق النحويين من عموم «لا تكرم النحويين» ويبقى عدولهم تحته، ويصير نتيجة ذلك حرمة إكرام عدول النحويين، فيخرج ذلك عن العام، والنتيجة حينئذٍ وجوب إكرام العلماء سوى العدول من النحويين.

ولو لزم الاستهجان من تخصيص العام، فهو إما بسبب التخصيص بالخاص أو

الأخصّ ، أو بكلّ واحد منها منفرداً، فالأخير كما لو قال: «أكرم العلماء»، وفرض انحصارهم في الكوفيّين إلّا نادراً، وقال: «لاتكرم الفسّاق منهم»، وقال: «لاتكرم فسّاق الكوفيّين»، وفرض أنّهم فسّاق إلّا نادراً، فإنّه لو خُصّص بالأخصّ من الخاصّين - أي «لاتكرم فسّاق العلماء الكوفيّين» - يلزم تخصيص الأكثر المستهجن؛ لأنّه لا يبق حيتّذ تحت العامّ إلّا النادر منهم حسب الفرض.

وكذلك يلزم الاستهجان من تخصيصه بالخاصّ من الخاصّين بطريق أولى؛ لأنّ المفروض أنّ دائرته أوسع وأعمّ من الآخر، فإذا أخرج من العموم يلزم ما ذكر من الاستهجان، ولا مناص حيتّذ من أن يقال بتعارض الأدلّة الثلاثة، والرجوع إلى قواعد التعارض، ولو لزم الاستهجان من تخصيص العامّ بالخاصّ فقط - لا بالأخصّ - فقتضى الجمع العقلائيّ تخصيص الخاصّ بالأخصّ وتخصيص العامّ الفوقانيّ بالخاصّ المخصّص، وهو جمع عقلائيّ لا يستلزم الاستهجان، لكن يكشف ذلك عن وحدة المطلوب من الخاصّين؛ لعدم إمكان تعدّد المطلوب حيتّذ، وإلّا لزم الاستهجان. وأمّا فرض لزوم الاستهجان من تخصيص العامّ الفوقانيّ بمجموع الخاصّين فقط، فهو غير متصوّر لتداخلهما.

الوجه الثاني: ما لو كان الخاصّان متخالفين إيجاباً وسلباً، والأخصّ موافقاً للعامّ دون الخاصّ، مثل «أكرم العلماء، ولا تكرم الفسّاق منهم، وأكرم فسّاق النحويّين»، فقتضى الجمع العقلائيّ تخصيص الخاصّ بالأخصّ، ثمّ تخصيص العامّ الفوقانيّ بالخاصّ المخصّص، والنتيجة وجوب إكرام العلماء إلّا عدول النحويّين.

وعلى فرض لزوم الاستهجان من التخصيص، يقع التعارض بين الأدلّة الثلاثة المذكورة، وإن لزم الاستهجان من تخصيص العامّ الفوقانيّ بالخاصّ المخصّص دون تخصيصه - أي الخاصّ بالأخصّ - يقع التعارض بين العامّ والخاصّ، لكن لا مانع من تخصيص الخاصّ بالأخصّ.

الوجه الثالث : أن يكون كلّ واحد من الأدلة الثلاثة مخالفاً للآخر في الحكم، مثل «يجب إكرام العلماء، ويحرم إكرام الفسّاق منهم، ويُستحبّ إكرام النحوي من فسّاق العلماء»، فالحكم فيه كما تقدّم: من أنّه إن لم يلزم محذور من تخصيص العامّ بالخاصّ المخصّص بالأخصّ، فقتضى الجمع العقلائي تخصيص الخاصّ بالأخصّ، ثمّ تخصيص العامّ الفوقاني بالخاصّ بعد خروج الأخصّ منه، وتصير النتيجة في المثال وجوب إكرام جميع العلماء إلّا الفسّاق الغير النحوي منهم، والفسّاق الغير النحوي منهم محرم الإكرام والفسّاق من النحويين مستحب الإكرام.

### الصورة الثالثة : إذا ورد عامّ وخاصّان بينهما عموم من وجه

لو ورد عامّ وخاصّان بينهما العموم من وجه، والخاصّان إمّا متوافقان في الإيجاب والسلب ومخالفان للعامّ فيهما، نحو «أكرم كلّ عالم، ولا تكرم النحويين، ولا تكرم الصرّفيين»، فإن لم يلزم من تخصيص العامّ بهما محذور الاستهجان، خُصّص بهما معاً، وإلّا يقع التعارض بين الخاصّين بالعرض، نظير ما تقدّم في الصورة الأولى.

ولو اختلف الخاصّان في الإيجاب والسلب، ووافق أحدهما العامّ، فالخاصّان متعارضان في مورد الاجتماع، ويخصّص العامّ بالخاصّ المخالف له في مورد الافتراق، مثل «أكرم العلماء، ولا تُكرم النحويين وأكرم الصرّفيين»، فالخاصّان متعارضان في العالم النحوي الصرّفي، ويخصّص العامّ بغير النحوي المحض، ويبقى الصرّفي المحض والنحوي الصرّفي تحت العامّ، وتنقلب النسبة بين العامّ المخصّص بغير النحوي المحض، وبين «لا تكرم النحويين» المخصّص للعامّ بعد التخصيص، إلى العموم من وجه؛ لتصادقهما في النحوي الصرّفي، ويفارق العامّ في الصرّفي المحض، وتنفارق الخاصّ في النحوي المحض؛ لخروجه عن العامّ بالتخصيص له، وعدم إرادته بحسب الجدّ من العامّ، وعدم صلاحية العامّ للاحتجاج به بالنسبة إليه؛ لأنّ المناط ملاحظة النسبة بين

العامّ الذي هو حجة - وتعلّق الإرادة الجدّيّة به - والدليل الآخر، لا ما استعمل فيه العامّ وإن لم يوجب ذلك تعنون العامّ بذلك - أي العلماء الغير النحويين محضاً - لعدم إيجاب المخصّص المنفصل ذلك.

فما ذكره الميرزا النائيني رحمته - من صيرورة العامّ معنوياً بذلك؛ أي العلماء الغير النحويين محضاً؛ سواء كان الخاصّ متصلاً أم منفصلاً<sup>(١)</sup> - سهو من قلم المقرّر.

ولو اختلف الخاصّان في الحكم، مع عدم موافقة أحدهما للعامّ، كما لو قيل: «يجب إكرام العلماء، ويحرم إكرام النحويّين، ويستحبّ إكرام الصرّفيّين»، فالخاصّان متعارضان في مورد تصادقهما، وهو النحوي الصرّفي، ويُخصّص كلّ واحد منهما العامّ في مورد افتراقهما، فيخرج عنه النحويّ المحض والصرّفي المحض، فيصير مفاد العامّ وجوب إكرام العلماء، سوى النحوي المحض والصرّفي المحض، وتتعارض الأدلّة الثلاثة في النحوي والصرّفي، وتنقلب النسبة بين العامّ وبين كلّ واحد من الخاصّين - بعد تخصيصه بهما - إلى العموم من وجه؛ لتصادق العامّ وقوله: «يحرم إكرام النحويّين» في النحوي الغير المحض، وافتراق الخاصّ عن العامّ في النحوي المحض، وافتراق العامّ عن الخاصّ في الفقهاء مثلاً.

وكذلك بينه وبين قوله: «يستحبّ إكرام الصرّفيّين» بعد تخصيص العامّ عموم

من وجه.

#### الصورة الرابعة: إذا ورد عامّان بينهما عموم من وجه وخاصّ

لو ورد عامّان بينهما عموم من وجه - مثل «أكرم العلماء، ولا تكرم الفسّاق» - وخاصّ فقد يُخرج الخاصّ مورد اجتماعهما عن تحت العامّين، مثل «يستحبّ إكرام

فَسَّاق العلماء»، وحينئذٍ يرتفع التعارض بين العامّين المذكورين، وقد يخرج مورد افتراق أحدهما عن تحته، فتقلب النسبة بين العامّين من العموم من وجه إلى العموم المطلق، ولو ورد خاصّ آخر مُخْرِج لمورد افتراق العامّ الآخر عن تحته، انقلبت النسبة بينهما إلى التباين.

### الصورة الخامسة: إذا ورد عامّان متباينان وخاصّ

ما لو ورد عامّان متباينان - مثل «أكرم العلماء، ولا تُكرم العلماء» - وخاصّ، فالخاصّ يخصّص العامّ الأوّل، مثل «يستحبّ إكرام عدول العلماء»، انقلبت النسبة بينهما من العموم والخصوص المطلق إلى العموم من وجه؛ لاختصاص العامّ الأوّل حينئذٍ بالفَسَّاق من العلماء، ويعمّ العامّ الثاني لهم وللعُدول، ويفترق العامّ الثاني بشموله للعدول منهم دون الأوّل، ويتصادقان في العالم الفاسق. هذه هي عمدة الصُّور المتصوِّرة في المقام، ويمكن استنباط غيرها من الصور منها.

### تذنيب: هل تعمّ أخبار التعارض والعلاج العامّين من وجه أم لا؟

وممّا لا بدّ من تقديمه على الشروع في أصل المبحث، هو الكلام في أنّه هل تعمّ أخبار التعارض والعلاج العامّين من وجه، أم لا؟  
توضيحه: أنّ التعارض بين الخبرين؛ إمّا بالذات أو بالعرض، وعلى الأوّل فالمتعارضان؛ إمّا متباينان - مثل «أكرم العلماء، ولا تُكرم العلماء» - أو بينهما عموم من وجه، أو بينهما عموم مطلق، مع عدم وجود الجمع العرفي بينهما؛ للزوم الاستهجان في تخصيص العامّ، فإنّه أيضاً من قبيل التعارض بالذات؛ ضرورة تناقض الموجبة الكلّية مع السالبة الجزئية وبالعكس، غاية الأمر قد يكون بينهما الجمع العرفي العقلاني، فمع

عدمه يتعارضان.

وأما التعارض بالعرض : فهو إما لمكان العلم الإجمالي بمخالفة أحد الدليلين للواقع مع عدم تعارضهما وتنافيهما ذاتاً، مثل «يجب صلاة العيد، وأكرم العلماء» لو علم بمخالفة أحدهما للواقع، وليس متعارضين ذاتاً.

وإما لأنّ هنا عامّاً وخاصّين يلزم من تخصيصه بهما الاستهجان؛ لا بأحدهما، وقد يقع التعارض بين لازمي مضمون الدليلين، لا في نفس مضمونهما، وفي شمول أخبار العلاج - التي تقدّم أنّ موضوعها الخبران المتعارضان أو المختلفان - لجميع تلك الأقسام أو بعضها وجهان.

فنقول : لا إشكال في شمولها للمتباينين، والظاهر شمولها للعموم المطلق مع عدم الجمع العرفي بينهما؛ لتخالف مضمونيهما حينئذ.

وأما العامتان من وجه فعنوانا موضوع الدليلين فيها متغايران كالعالم والفاسق، لكنهما متصادقان في بعض الأفراد - أي العالم والفاسق - ويدلّ كلّ واحد منهما على حكم غير حكم الآخر، فلا إشكال في تعارضهما في مورد التصادق والاجتماع، لكن مقتضى سياق الأخبار العلاجيّة - سؤالاً وجواباً - خروج العامّين من وجه عنها؛ لأنّه يستفاد منها تقديم ذي المزيّة وترجيحه وطرح الآخر رأساً بتمام مضمونه.

وبعبارة أخرى : مقتضى الحكم فيها بطرح أحد الخبرين - لموافقته للعامّة، أو لمخالفة الكتاب، أو لأعدليّة راوي الآخر، أو أصدقيّته، ونحو ذلك - هو فرض وقوع التعارض بين تمام مضموني الخبرين، لا مثل العامّين من وجه؛ إذ لا وجه لطرح تمام مضمون غير ذي المزيّة فيها رأساً، حتّى في مورد الافتراق، وليس في هذه الأخبار ما يدلّ على جواز طرح بعض المضمون فقط، فالظاهر عدم شمول تلك الأخبار للعامّين من وجه.

وصرّح الميرزا النائيني رحمه الله - بعد نقل الأخبار الدالّة على أنّ ما يخالف الكتاب



زُخرف<sup>(١)</sup>، أو باطل<sup>(٢)</sup>، أو لم نقله - : بأن المراد بها المخالفة بتمام المضمون<sup>(٣)</sup>.  
وقال المقرّر لبحثه في ذيل هذا الكلام : إنه يؤيد ذلك ظهور أخبار العرض على الكتاب في إرادة المخالفة بقول مطلق، وهي المخالفة بنحو التباين؛ بخلاف الروايات الواردة في ترجيح أحد المتعارضين على الآخر بمثل الأخذ بموافقة الكتاب منها، فإنه يصدق على العامّين من وجه الغير الموافق أحدهما الكتاب، أنه مخالف له<sup>(٤)</sup>. انتهى.  
ولا يخفى التهافت بين كلامي المقرّر، فإنّ دعواه الظهور أولاً في أنّ المراد هي المخالفة بتمام المضمون تنافي ما ذكره أخيراً<sup>(٥)</sup>.

فالحقّ عدم شمول أخبار العلاج للعامّين من وجه موضوعاً، فضلاً عن المتعارضين بالعرض؛ لعدم صدق التعارض عليهما عرفاً، غاية الأمر أنّه يعلم عدم صدورهما معاً، وكذلك الخاصّان المتعارضان بالعرض؛ من جهة أنّ تخصيص العامّ بهما مستلزم للاستهجان، وكذلك التعارض بين لازمي الدليلين؛ لا في أنفسهما وفي مضمونهما.

نعم، بناءً على ما اختاره الشيخ الأعظم والمحقّق الخراساني<sup>رحمتهما</sup> : من أنّ التعارض فيه إنّما هو بين العامّ والخاصّين، يشمله أخبار التعارض؛ لما عرفت من

١ - الكافي ١ : ٥٥ / ٣ و ٤ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٧٨ - ٧٩ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات

القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ١٢ و ١٤ .

٢ - تفسير العياشي ١ : ٩ / ٧ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٩ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ،

الباب ٩ ، الحديث ٤٨ .

٣ - فوائد الأصول ٤ : ٧٩١ .

٤ - نفس المصدر ، الهامش ١ .

٥ - لعلّ نظر المقرّر في الأوّل إلى أخبار طرح المخالف للكتاب فقط، كما صرّح به، وفي آخر كلامه إلى أخبار الأخذ بما يوافق الكتاب وأنّه تصدق الموافقة على موافقة بعض مضمون أحد الخبرين. [المقرّر حفظه الله] .

صدقه على العامّ والخاصّ مع عدم الجمع العقلائي بينهما.

هذا، ولكن يمكن أن يقال: إنّ الأخبار العلاجيّة وإن لم تعمّ العامّين من وجه - وغيرهما ممّا تقدّم آنفاً - موضوعاً، لكن يمكن دعوى إلغاء الخصوصية العرفيّة في المقام؛ بأن يقال: إنّ حكم العقل والعقلاء بالتساقط في المتعادلين، أو الحكم بالرجوع إلى المرجّحات في الأخبار العلاجيّة، والتخيير مع عدم الترجيح في المتباينين ونحوهما؛ ممّا تشمله الأخبار موضوعاً، لا لخصوصيّة لهما فيه، فإنّ الحكم المزبور إنّما هو لعدم مطلوبيّة طرح الأخبار، ولزوم العمل بها مهما أمكن، فمع احتمال مطابقة أحدهما للواقع، يمكن العمل بأحدهما تخيراً مع التعادل، أو بذي المزيّة تعييناً مع وجود المرجّح، وأنّ الحكم بذلك في بعض الصور، يستفاد منه عرفاً أنّه كذلك في باقي الصور؛ ممّا لا تشملها الأخبار موضوعاً.

### هل المرجّحات السنديّة جارية في العامّين من وجه أم لا ؟

ثمّ على فرض عموم الأخبار العلاجيّة للعامّين من وجه، فهل تجري فيها جميع المرجّحات حتّى المرجّحات السنديّة، أو أنّه لا تجري فيها تلك المرجّحات؟ كما اختاره الميرزا النائيني رحمته؛ حيث قال ما حاصله: الظاهر أنّه لا يرجع فيها إلى المرجّحات السندية، بل لا بدّ فيها من الرجوع إلى المرجّحات الجهتيّة، ومع فقدها فإلى المضمونيّة؛ لأنّ التعارض فيها إنّما هو في بعض المضمون؛ أي مادة الاجتماع، وأمّا مادّة افتراقها فلا تعارض بينهما فيها، وحينئذٍ فلا معنى للرجوع فيها إلى المرجّحات السنديّة؛ لأنّه إن أريد من الرجوع إليها طرح أحدهما رأساً، والمعاملة معه معاملة مع الخبر الغير الصادر، فلا وجه له؛ لعدم ابتلائه بالمعارضة في مادة افتراقه، مع شمول أدلّة حجّيّة خبر الواحد له.

وإن أريد منه طرحه في خصوص مادة الاجتماع فهو غير ممكن، فإنّ الخبر

الواحد لا يقبل التبعض في بعض المدلول من حيث الصدور؛ بأن يقال: إنه صادر في بعض المدلول، وغير صادر في البعض الآخر.

وما يقال: من انحلاله إلى أخبار متعدّدة حسب تعدّد أفراد الموضوع، كما هو الشأن في جميع القضايا الحقيقيّة، فلا محذور في طرح أحد العامّين من وجهه في خصوص مادّة الاجتماع دون الافتراق.

واضح الفساد، فإنّ الانحلال المذكور لا يقتضي تعدّد الرواية، بل ليس في البين إلا رواية واحدة، رتب فيها الحكم على موضوعه المقدّر وجوده<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: ما أفاده - من أنّه لا معنى للرجوع إلى المرجّحات الصدوريّة فيها - إن أراد منه أنّ التّعبد بصدور خبر في بعض مدلوله دون بعض، ممتنع عقلاً، فهو ممنوع لأنّ الذي يابأه العقل هو صدوره وعدم صدوره تكويناً، فإنّه غير معقول، وأمّا شرعاً وفي عالم التّعبد - بمعنى الحكم بترتيب بعض الآثار فقط - فلا؛ لأنّ التّعبد باب واسع يمكن التّعبد بما هو ممتنع تكويناً، مثل التّعبد بوجود المعلول دون علته، وبالعكس، وبأحد المتلازمين عقلاً دون الآخر.

وإن أراد عدم إمكانه عرفاً - وإن كان ذلك خلاف ظاهر عبارته - بتقرير: أنّ أخبار العلاج بمرجّحات الصدور: هو إمّا التّعبد بالصدور، أو التّعبد بعدمه، ويبعد عند العرف التّعبد بالصدور من جهة، وعدمه من جهة أخرى، وإن لم يمتنع ذلك عقلاً.

ففيه: أنّ قوله <sup>الشيخ</sup> : (خذ بأوثقهما)<sup>(٢)</sup> ليس أمراً بالحكم بصدوره بتمام مضمونه؛ حتّى يقال: إنّ لازمه فرض تعدّد السند والصدور، بل ليس معناه إلا الأمر بترتيب الأثر عليه والعمل به؛ من حيث أنّه أحفظ وأضبط لقيود الكلام، وإنّه أقلّ

١ - فوائد الأصول ٤: ٧٩٢ - ٧٩٤.

٢ - عوالي اللآلي ٤: ١٣٣ / ٢٢٩، مستدرک الوسائل ١٧: ٣٠٣، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ٢.

اشتباهاً وخطأً من الآخر، فيؤخذ بتمام مضمون أحد الخبرين وبعض مضمون الآخر. وبالجمله: بعد العلم بخطأ أحدهما في النقل بالنسبة إلى مادّة الافتراق، يدور الأمر بين خطأ الأوثق في حفظ قيود الكلام وضبطها، وبين خطأ غيره، فلا مانع من التعبد بصدور خبر الأوثق بجميع مضمونه؛ بمعنى ترتب الأثر عليه والتعبد بصدور الآخر بالنسبة إلى بعض مضمونه.

فالحق: جريان جميع المرجّحات في العامّين من وجه؛ بناءً على شمول أخبار التعارض والعلاج لهما.

إذا عرفت ذلك كلّه فلنشرع في البحث في أصل المطلب في المقام، وفيه مقامان:

## المقام الأول

### في المتكافئين

فالكلام فيه : إمّا في بيان ما هو مقتضى القاعدة العقلية أو العقلانية فيها، وإمّا في بيان ما هو مقتضى الأخبار الواردة في الخبرين المتكافئين.  
وعلى الأول فالبحث فيه : إمّا بناءً على الطريقة في حجية الأمارات، وإمّا على السببية.

#### مقتضى الأصل على الطريقة

أمّا البحث في بيان مقتضى القواعد العقلية فيها بناءً على الطريقة، فعلى القول بأنّ مستند حجية الأمارات هو بناء العقل وإمضاء الشارع لها، لا تأسيساً من الشارع، فلا بدّ في صورة تكافئها من الرجوع إلى ملاحظة بنائهم في تلك الحال، فقد يقال: إنّ بناءهم على التساقط والتوقف لوجهين :

الأول: أنّه لا ريب في أنّ حجية خبر الواحد عندهم، إمّا هي من باب الطريقة لا السببية، وفي صورة تعارض الخبرين والعلم بمخالفة أحدهما للواقع، ليس واحد منهما كاشفاً عن الواقع، وليس بناؤهم على العمل بواحد منهما لتكاذبهما؛ لأنّ كلّ

واحد منها مستلزم لعدم كاشفيّة الآخر عن الواقع، فلا أماريّة عندهم لواحد منها، وهو معنى التساقط والتوقف.

الثاني: أنّه ليس احتجاج العقلاء بخبر الواحد لأجل حصول العلم بالواقع، بل لأجل عدم المؤنّن من العقاب على الواقع، وعدم معذوريّة العبد في مخالفة الواقع لو خالف الأمانة؛ أي المؤدّيّة إلى الواقع، والأمانة منجّزة للواقع عندهم إذا كانت واصله إليهم، فمع عدم الظفر بأمانة تدل على وجوب صلاة الجمعة - مثلاً - بعد الفحص عنها، فإنّه لا يصحّ للمولى الاحتجاج على العبد في ترك صلاة الجمعة، ولو فرض وجود الامارة عليه واقعاً ولكن لم تصل إليه؛ لعدم وجود ما يصلح للاحتجاج به عليه، ووجودها في الواقع غير صالح لذلك.

ولو قامت على وجوب صلاة الجمعة، وكان هناك أمانة أخرى أقوى منها على عدم الوجوب، ولكن لم تصل إلى المكلف بعد الفحص واليأس عنها، فإنّه يصحّ للمولى الاحتجاج على العبد بالأمانة الأولى، فلو فرض مصادفتها للواقع وترك العمل بها، فقد خالف الواقع بلا حجة وعذر؛ لفرض أنّ الأمانة الثانية - التي هي أقوى - غير واصله إليه، وحينئذٍ فهو مستحقّ للعقوبة.

والحاصل: أنّ الأمانة بوجودها الواقعي لاتصلح للاحتجاج بها، فكما أنّها بحسب وجودها الواقعي غير سالحة للاحتجاج بها، بل الحجة هي الأمانة الواصلة بالطرق المتعارفة، كذلك الأمانة الواصلة المبتلاة بأمانة أخرى معارضة لها ومكذّبة لها، فإنّها حينئذٍ أيضاً لاتصلح للاحتجاج بها. وبعبارة أخرى: الأمانة المعارضة بأمانة أخرى وليست واحدة منها حجة، وليس سواها شيء آخر هو الحجة.

هذا كلّّه بالنسبة إلى مضمونها المطابق.

وأما بالنسبة إلى لازم مضمونها المطابق؛ لو فرض لها لازم، كما لو قامت أمانة على وجوب صلاة الجمعة، الذي لازمه عدم استحبابها وعدم حرمتها وعدم كراهتها،

وقامت أخرى على حرمتها التي لازمها عدم وجوبها واستحبابها وكرهاتها، فإن كل واحدة منها وإن كانت معارضة للأخرى في الحرمة والوجوب، لكنها بالنسبة إلى نفي الاستحباب والإباحة والكرهه متفقتان، بل تدلان معاً عليه، لكن الحجّة على ذلك، هل هو كل واحد منها - كما هو مذهب بعض - أو أنّ الحجّة على تلك المدلولات الالتزامية هو أحدهما الواقعي الغير المعلوم لنا تعييناً، لا أحدهما المعين، أو أنّه ليس واحداً منها حجّة بالنسبة إلى تلك اللوازم أيضاً، وجوه.

قد يقال - والقائل هو الميرزا النائيني رحمته - بالأول؛ لأنّ تعارضها إنّما هو بالنسبة إلى مدلولها المطابق؛ أي الوجوب والحرمة في المثال، فيتساقطان فيه، وأمّا بالنسبة إلى مدلولها الالتزامي فلا يتعارضان ليتساقطا فيه، فكل واحد منها باقي على حجّيته بالنسبة إليه.

وتوهم: أنّ الدلالة الالتزامية تابعة للدلالة المطابقة، فلا مجال لبقائها بعد سقوطها بالنسبة إلى المطابقة<sup>(١)</sup>.

فاسد، فإنّ الدلالة الالتزامية فرع المطابقة في الوجود لا في الحجّية. وبعبارة أوضح: الدلالة الالتزامية للكلام تتوقّف على دلالة التصديقية؛ أي دلالاته على المؤدّي، وأمّا أنّ المؤدّي مراد فهو ممّا لا تتوقّف عليه الدلالة الالتزامية، فسقوط المتعارضين عن الحجّية والمؤدّي، لا يلزم سقوطها عن الحجّية في نفي الثالث<sup>(٢)</sup>. انتهى.

أقول: يرد عليه: أنّه رحمته إن أراد بقوله: - إنّها تابعة لها في الوجود لا في الحجّية - أنّه مع العلم بكذب الخبر في المدلول المطابق وعدم مطابقته للواقع، هو كاشف عن المدلول الالتزامي.

١ - كفاية الأصول: ٤٩٩، حاشية فرائد الأصول، المحقّق الخراساني: ٢٦٦ سطر ١١.

٢ - فوائد الأصول ٤: ٧٥٥ - ٧٥٦.

فهو كما ترى، فإنّهُ كيف يمكن وجود ما هو تابع لشيء بدون وجود المتبوع، وتقدّم سابقاً: أنّ الحقّ هو أنّ الدلالة الالتزامية ليست من الدلالات اللفظية، بل اللفظ لا يدلّ إلّا على معناه المطابق، لكن المعنى المطابق يكشف بوجوده عن المعنى الالتزامي، فاللازم لازم للمعنى، لا للفظ؛ كي يقال: إنّهُ ليس حجّة بالنسبة إلى المعنى المطابق عند المعارضة، وهو حجّة بالنسبة إلى المعنى الالتزامي، فمع عدم إرادة وجوب صلاة الجمعة بالإرادة الجدّية من قوله: «تجب صلاة الجمعة»، لا معنى لكشفه عن لازم الوجوب كعدم الإباحة والاستحباب والكراهة، فإنّ الانتقال إلى اللازم إنّما هو لأجل التضادّ بين الوجوب والاستحباب، وأنّهُ يعلم من ثبوت الوجوب لشيء عدم استحبابه، وأمّا مع عدم ثبوت الوجوب لشيء فأين ما يُنتقل به إلى عدم استحبابه؟! وبعبارة أخرى: إنّما يصلح خبر الثقة للاحتجاج به، بعد سدّ باب احتمال المجاز - واستعمال اللفظ في غير ما وضع له - بجريان أصالة الحقيقة، وبعد جريان أصالة الجدّ؛ لدفع احتمال عدم إرادة المعنى الحقيقي جدّاً.

والاستدلال به بالنسبة إلى المدلول الالتزامي، متوقّف على جريان أصالة الجدّ في الملزوم الذي هو المعنى المطابق، فلو لم تبرز الإرادة الجدّية بالنسبة إلى الملزوم، كوجوب صلاة الجمعة في المثال، لما صحّ الاحتجاج به بالنسبة إلى لازمه العرفي أو العقلي كعدم استحبابها، فليس موضوع للحجّة وصحّة الاحتجاج، مجرد دلالة اللفظ على المعنى بالإرادة الاستعمالية، بل هي مع جريان أصالة الجدّ، وحينئذٍ فلا يتمّ ما ذكره هـ: من أنّ الدلالة الالتزامية فرع المطابقة في الوجود لا في الحجّة، كما لا يخفى. هذا كلّ بناء على المختار؛ من أنّ مستند حجّة خبر الواحد هو بناء العقلاء.

وأما بناءً على أنّ المستند لها هي الأدلّة الشرعية من الآيات والروايات، ففيها احتمالات بحسب تصوّر العقلي:

أحدها: أنّها مهملة بالنسبة إلى حال التعارض، بل هي في مقام إثبات حجّة



خبر الواحد في الجملة.

ثانيها: أن مفادها حجّية خبر الواحد مقيّداً بصورة عدم التعارض.

وهذان الاحتملان مجرد تصوّر عقليّ، لا ينبغي تطويل الكلام والبحث عنهما.

ثالثها: أنّها تعمّ صور التعارض بالإطلاق اللحاظي؛ أي لحاظ الإمام عليه السلام أو الشارع حال التعارض أيضاً حال الحكم بالحجّية.

وفيه أنّه لو سلّمنا الإطلاق اللحاظي، فلا يمكن أن يراد به لحاظه وإرادته العمل بكلا الخبرين المتعارضين؛ لاستحالته؛ لعدم إمكان العمل بالضدين أو المتنافيين. وإن أريد منه أن الشارع لاحظ الخبرين وجعلها حجّة؛ ليقع بينها التعارض، ثمّ أهملها، فهو أيضاً ممّا لا معنى له لتنزّه مقام الشارع عن ذلك.

فلابدّ أن يراد منه أن الشارع لاحظهما في مقام جعل الحجّية أيضاً، وأنّه أحاله إلى حكم العقل والعقلاء عند التعارض، فكما أنّهم يحكمون بالتخير بينهما لو صرح: بأنّ هذا حجّة وذاك حجّة، كذلك لو لاحظهما في مقام جعل الحجّية لخبر الواحد، لكن تقدّم عدم تسليم الإطلاق اللحاظي.

وإن قلنا: بأنّ حجّية خبر الواحد مستفادة من إطلاق الآيات والأخبار ذاتاً؛ بمعنى أن الشارع جعل تمام الموضوع للحجّية نفس الطبيعة الشاملة لحال التعارض - كما هو كذلك - فهل تقتضي القواعد التوقّف أو التخير عند التعادل؟ وجهان.

فقد يقال: مقتضى القاعدة هو التخير؛ سواء قلنا بالطريقة في حجّية أخبار الآحاد، أم السببية؛ لشمول أدلّة حجّية خبر الواحد لجميع الأفراد بنحو العموم، والمفروض شمول إطلاقها الذاتي لحال التعارض، فمع عدم إمكان الجمع في العمل بها، فإنّما أن يطرحا ويترك العمل بهما معاً، أو يقيّد الإطلاق بما يرتفع المحذور، وحيث أنّه بحكم العقل يقتصر فيه على ما يرتفع به المحذور والعذر العقلي، وهو عدم إمكان الجمع بينهما في العمل، فتصير النتيجة وجوب الأخذ بهذا الخبر عند ترك العمل بالآخر

وبالعكس، وهو معنى التخيير، ولا سبيل إلى الأول - أي طرحها - فتعين الثاني.  
وقد يقال: إنَّ هذا البيان إنما يصحّ بناءً على السببية؛ لأنَّه مثل وجوب إنقاذ  
الغريق في تعلّق حكمٍ نفسيٍّ به، واشتغال كلّ واحد منهما على مصلحة مقتضية  
لمطلوبيّته ذاتاً، فإنَّ العقل يحكم بالتخيير فيه عند عدم إمكان الجمع بينهما، أو يكشف  
عن وجود قيد فيه.

وأما بناءً على الطريقيّة في حجّية خبر الواحد، فلا يستقيم هذا البيان لإثبات  
التخيير؛ لأنَّه بناءً على ذلك فالعمل بكلّ واحد منهما حينئذٍ ليس مطلوباً ذاتاً؛ لأنَّ  
وجوب العمل بخبر الواحد طريقيٌّ للوصول إلى الواقع، ولا يعقل كشف كلّ واحد  
منهما عن الواقع أيضاً، ولا يعقل كاشفيّة كلّ واحد منهما على تقدير طرح الآخر، الذي  
هو معنى التخيير أيضاً، فلا مناص حينئذٍ من التوقّف.

لكن يرد على البيان المذكور للتخيير بناءً على السببية أيضاً؛ بأنَّه إن أُريد من  
التقييد العقلي، تقييد العقل إرادة الشارع المطلقة أو العامّة، فلا معنى له؛ لأنَّ العقل ليس  
مشرّعاً، فلا بدّ أن يراد به أنَّ العقل كاشف عن وجود التقييد الشرعي واقعاً؛ بناءً على  
ما هو المشهور في المتزاحمين، أو أنَّ العقل يحكم بمعدوريّته مع شمول الدليل لهما معاً،  
وهو الحقّ، وحينئذٍ فالأمر فيما نحن فيه دائر بين تخصيص عموم «صدّق العادل» بغير  
صورة التعارض - وحينئذٍ فليس واحد منهما حجّة - وبين تقييد إطلاقه، وحينئذٍ  
فأحدهما حجّة بنحو التخيير، وتقدّم أنَّ تقييد الإطلاق إنما يقدّم على التخصيص عند  
دوران الأمر بينهما إذا كان التعارض بينهما ذاتيّاً، مثل «أكرم العلماء»، و«لا تكرم  
الفاسق»، فإنَّ العامّ يصلح للبيانّة، فلا يعارضه الإطلاق في المطلق، وأما مع عدم كونه  
ذاتيّاً، بل علم من الخارج إجمالاً؛ إمّا بورود قيد للمطلق، أو مخصّص للعامّ، كما فيما نحن  
فيه، فليس التقييد فيه أولى من التخصيص؛ لأنَّ كلّ واحد منهما صالح للاحتجاج به،  
فليس كشف العقل عن وجود قيد لإطلاق «صدّق كلّ عادل»، أولى من كشفه عن

وجود مخصّص لعمومه؛ حتّى ينتج التخيير.

هذا كلّه لو قلنا بأنّ الدليل على حجّية خبر الواحد هو الأدلّة الشرعيّة.

### مقتضى الأصل على السببيّة

وأما لو قلنا بأنّ المستند لها هو بناء العقلاء على السببيّة والموضوعيّة، فهي تتصوّر على وجوه:

الوجه الأوّل: أنّه ليس للوقائع حكم واقعيّ يشترك فيه العالم والجاهل، ولا مصالح ومفاسد واقعيّة، وأنّه تصحّ الإرادة الجزائيّة أيضاً - العباد بالله - فقيام الأمانة يحدث الحكم، فإن أريد منه أن متعلّق الأمانة حكم واقعيّ متعلّق بالشيء بعنوانه الواقعي، وأنّ صلاة الجمعة - مثلاً - بما أنّها صلاة الجمعة، واجبة واقعاً بقيام الأمانة عليها، ومحرمّة كذلك بسبب قيام الأمانة عليها.

ففيه: أنّه لا يمكن حجّية كلتا الأمارتين ولو قلنا بصحّة الإرادة الجزائيّة - تعالى الله عنها - للزوم التضادّ في الإرادة؛ وإرادة إيجاب صلاة الجمعة بعنوانها الواقعي وتحريمها كذلك، وحينئذٍ يعلم بكذب إحدى الأمارتين، ومقتضى القاعدة هو التوقّف. الوجه الثاني: أن يقال: أن لكلّ واقعة من الوقائع حكماً واقعياً يشترك فيه العالم والجاهل، لكن تترتب بقيام الأمانة مصلحة غالبية على مصلحة الواقع، فالحكم الفعلي تابع لقيام الأمانة، فتجري فيه الاحتمالات المذكورة في الوجه الأوّل:

فإن قلنا: إنّّه يوجد بقيام الأمانة مصلحة في مؤدّاها بعنوانه الواقعي، فيلزم في صورة تعارض الخبرين اجتماع مصلحتين أو مفسدتين متضادتين في شيء واحد بعنوان واحد، وهو محال، فيعلم بكذب أحد الخبرين، ومقتضى القاعدة هو التوقّف.

وإن قلنا: بأنّه يوجد بقيام الأمانة مصلحة في مؤدّاها بما أنّه مؤدّى الأمانة، لا بعنوانه الواقعي، وكذلك في الأمانة المعارضة لها، فلو وافقت إحدى الأمارتين الواقع

في مقام الثبوت، فهي الحجة فقط دون الأخرى، ومع مخالفتها للواقع فمقتضى القاعدة هو التخيير.

وأما في مقام الإثبات، فحيث إنه لا طريق لنا إلى تمييز الموافق للواقع من المخالف فمقتضى القاعدة هو التوقف.

نعم، بناءً على القول بوجود المصلحة في مؤدى الأمانة في صورة موافقتها للواقع أيضاً، فمقتضى القاعدة هو التخيير، لكنهم لا يلتزمون بهذا القول؛ أي وجود المصلحة في مؤدى الأمانة في صورة موافقتها للواقع.

الوجه الثالث: أن يراد من السببية أن أتباع خبر الثقة يوجب إيجاد مصلحة في متابعتها، وهو المراد من المصلحة السلوكية، ومقتضى القاعدة في تعارض الخبرين حينئذ التخيير.

هذا كله في بيان مقتضى القواعد العقلية في المتكافئين.

### مقتضى الأخبار الواردة في المقام

وأما مقتضى الأخبار الواردة في الباب فيه؛ بناءً على الطريقة، كما هو الحق، فذهب الشيخ الأعظم رحمته إلى أن مقتضى القاعدة فيها وإن كان هو التوقف، لكن مقتضى الأخبار المستفيضة أو المتواترة هو التخيير. وفيما ذكره رحمته إشكال، لأن كثيراً من الأخبار التي استدلل بها للتخيير لا ربط لها بباب التعارض.

### نقل أخبار التخيير

منها: ما رواه الطبرسي في «الاحتجاج» في جواب مكاتبة محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري إلى صاحب الزمان عليه السلام إلى أن قال: (الجواب عن ذلك حديثان:

أمّا أحدهما : فإذا انتقل من حالة إلى أخرى فعليه التكبير.  
وأمّا الآخر : فإنه روي : أنه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية وكبر، ثمّ جلس، ثمّ قام، فليس عليه في القيام بعد القعود تكبير، وكذلك التشهد الأوّل يجري هذا المجرى، وبأيهما أخذت من باب التسليم كان صواباً<sup>(١)</sup>.

وتقدّم أنّه لا ارتباط لهذه الرواية بالمقام، فإنّ الظاهر في السؤال هو السؤال عن تكليفه الواقعي، ولا يناسبه الجواب بالحكم الظاهري، وليس من شأن الإمام إلاّ الجواب عن الحكم الواقعي، لا الحكم الظاهري.

مضافاً إلى أنّه مع فرض تعارض هذين الخبرين، فليس الأخذ بكلّ واحد منها صواباً مطابقاً للواقع، كما يدلّ عليه الجواب، فالظاهر أنّه لا يصحّ بصدور بيان الحكم الواقعي، وحيث إنّ التكبير مندوب لا واجب، فالأخذ بالرواية الأولى صواب؛ لاستحباب التكبير على كلّ حال، وكذلك الثاني، لأنّ الله كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه يحبّ أن يؤخذ برخصه، كما في الخبر، فهو حينئذٍ أيضاً صواب مطابق للواقع، فلا ارتباط للرواية بباب التعارض.

مضافاً إلى الإشكال في سندها من جهة محدّد بن إبراهيم النوبختي، إلّا أن يقال: إنّ إملاء حسين بن روح عليه توثيق له<sup>(٢)</sup>.

ومنها : رواية علي بن مهزيار، قال: قرأت في كتاب لعبدالله بن محمّد إلى أبي الحسن عليه السلام: اختلف أصحابنا في رواياتهم عن أبي عبدالله عليه السلام في ركعتي الفجر في السفر: فروى بعضهم: صلّها في المحمل، وروى بعضهم: لا تصلّها إلّا على الأرض.

١ - الاحتجاج : ٤٨٣ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٧ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ،

الباب ٩ ، الحديث ٣٩ .

٢ - وسائل الشيعة ٢٠ : ٣١ ، خاتمة الكتاب ، في ذكر طرق الشيخ الطوسي ، الفائدة الثانية .

فَوَقَّعَ عَلَيْهِ : (موسَّع عليك بآيَةٍ عملت) <sup>(١)</sup>، وفي «الحدائق» في ذيلها: (فأعلمني كيف تصنع أنت؛ لأقتدي عليك) <sup>(٢)</sup>.

وهذه الرواية أيضاً غير مرتبطة بباب التعارض؛ لأنَّ المراد بركعتي الفجر هو نافلة الصبح، وحكمها الواقعي هو جواز الأمرين، كما في الرواية الأولى. ومنها: مرفوعة زرارة المنقولة عن كتاب «عوالي اللآلي»، وأرسلها عن العلامة، ورفعها العلامة <sup>(٣)</sup>، وفيها: (إذا جاءك حديثان متعارضان...)، ثم ذكر المرجحات... إلى أن قال عليه السلام: (فخذ بما فيه الحائطة لدينك، واترك ما خالف الاحتياط).

فقلت: إنَّهما معاً موافقان للاحتياط، أو مخالفان له، فكيف أصنع؟ فقال عليه السلام: (إذن فتخيّر أحدهما فتأخذ به وتدع الأخير). وفي رواية أنه عليه السلام قال: (إذن فأرجه حتّى تلقى إمامك فتسأله) <sup>(٣)</sup>. وفي هذه الرواية إشكالان:

الأوّل: في السند؛ لضعفها من جهة الإرسال والرفع فيه. وتوهم: النجبار ضعفها بعمل الأصحاب بها، كما ذكره شيخنا الحائري <sup>(٤)</sup>. مدفوع: بأنَّ ما هو الجابر هي الشهرة الفتوائية بين القدماء، وأن يكون عملهم على وجه الاستناد إليها، وليست الرواية كذلك، فإنَّ ابن أبي جههور كان في سنة

١ - تهذيب الأحكام ٣: ٢٢٨ / ٥٨٣، وسائل الشيعة ١٨: ٨٨، كتاب القضاء، أبواب صفات

القاضي، الباب ٩، الحديث ٤٤.

٢ - الحدائق الناضرة ١: ٩٥.

٣ - عوالي اللآلي ٤: ١٣٣ / ٢٢٩ و ٢٣٠، مستدرک الوسائل ١٧: ٣٠٣، كتاب القضاء،

أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ٢.

٤ - درر الفوائد: ٦٥٤.

تسعة، ولا يجدي عمل من بعده بها.

الثاني : في متنها، لأن في ذيلها قوله: (وفي رواية...) إلى آخره، فإنه يُنافي ما قبله، فيحتمل أن المراد في نسخة أخرى لرواية زرارة هذه، لا أنها رواية أخرى، ولا دافع لهذا الاحتمال، فلا يتكل عليها من هذه الجهة أيضاً، وحينئذ هي أجنبيّة عن باب التعارض.

ومنها : رواية الطبرسي عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إذا سمعت من أصحابك الحديث وكلهم ثقة، فموسع عليك حتى ترى القائم عليه السلام فتردّ عليه)<sup>(١)</sup>.

وفيه أولاً: أنها غير ظاهرة في تعارض الحديثين.

وثانياً: أنها تدلّ على جواز العمل، وأنّ المكلف في سعة في العمل الذي يجوز تركه، وهو غير ما نحن بصده، وهو وجوب العمل بأحدهما تخيراً.

إلا أن يقال : إنّها ناظرة إلى تعارض الخبرين بقرينة قوله عليه السلام: (موسع عليك)، وبناء العقلاء ودلالة الروايات الأخرى على وجوب العمل بخبر الثقات، وعدم عذر المكلف في مخالفتها، والحكم بالسعة أنّها هو لأجل كونه في زمان الحضور، الذي يتمكّن المكلف من السؤال من الإمام عليه السلام، وحينئذ فلا يتعيّن التخيير، بل له أن يسأل منه عليه السلام.

لكن الإنصاف : أن إرادة الخبرين المتعارضين من هذا التعبير بعيدة جداً، ولا تليق بمقام الإمام عليه السلام.

ومنها : رواية الطبرسي أيضاً - مرسلأ - عن الحسن بن الجهم، عن الرضا، قال: قلت له: تحيّننا الأحاديث عنكم مختلفة... إلى أن قال: قلت: يجيئنا الرجلان - وكلاهما

١ - الاحتجاج : ٣٥٧، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٧، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي،

الباب ٩، الحديث ٤١.

ثقة - مجديتين مختلفين، ولا نعلم أيهما الحق.

قال: (فإذا لم تعلم فموسع عليك بأيهما أخذت)<sup>(١)</sup>.

وهي تامة بحسب الدلالة، ولكنها ضعيفة السند بالإرسال، وتوهم الانحجار بعمل المشهور قد تقدم ما فيه.

ومنها: موثقة سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن رجل اختلف عليه رجلان من أهل دينه في أمر كلاهما يرويه: أحدهما يأمر بأخذه، والآخر ينهيه عنه، كيف يصنع؟

قال: (يرجئه حتى يلقي من يخبره، فهو في سعة حتى يلقاه).

قال الكليني رحمته الله: وفي رواية أخرى: (بأيهما أخذت من باب التسليم وسعك)<sup>(٢)</sup>.

ومنها: رواية فقه الرضا عليه السلام: (إن النفساء إذا رأت الدم عملت كما تعمل المستحاضة)، وقد روي (ثمانية عشر يوماً)، وروي (ثلاث وعشرون يوماً)، وبأي هذه الأحاديث أخذ من جهة التسليم جاز<sup>(٣)</sup>.

هذه هي الروايات التي استدلل بها على التخيير، وقد عرفت ممّا ذكر عدم ارتباط كثير منها بالمقام، ورواية زرارة ضعيفة السند لا يتكل عليها، ورواية الكليني أيضاً لم يثبت لنا أنّها غير رواية حسن بن الجهم، ولا ظهور لرواية حرث في المقام.

١ - الاحتجاج: ٣٥٧، وسائل الشيعة ١٨: ٨٧، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ٤٠.

٢ - الكافي ١: ٥٣ / ٧، وسائل الشيعة ١٨: ٧٧، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ٥ و ٦.

٣ - الفقد المنسوب للإمام الرضا عليه السلام: ١٩١، مستدرک الوسائل ٢: ٤٧، كتاب الطهارة، أبواب النفس، الباب ١، الحديث ١.



ولم يثبت اعتبار رواية فقه الرضا أيضاً.

بقي في المقام رواية واحدة تدلّ على التخيير هي رواية الحسن بن الجهم أو روايتان، وأين هذا من استفاضة الأخبار أو تواترها على التخيير؟! ولا يستفاد منها وجوب الأخذ بأحدهما أيضاً، بل حكم فيها بالتوسعة وجواز العمل بإحدهما. وتوهم: أنّه لا معنى لجواز العمل بإحدى الروایتين؛ لأنّها إن تصلح للاحتجاج بها وجب العمل بها، وإلاّ لم يجوز، وعلى أيّ تقدير لا معنى لجواز العمل بها. مدفوع: بأنّها إنّما تصلح لذلك لولا الابتلاء بالمعارض، وأمّا معه فمقتضى القاعدة العقلانيّة هو التوقّف لتساقطها، وحينئذٍ فلا مانع من تجويز العمل بإحدهما، وإن لم تصلح واحدة منها للاحتجاج حينئذٍ، بل لو فرض الأمر في هذه الرواية بالتخيير فلا يستفاد منه الوجوب؛ لأنّه في مقام الحظر العقلي، فلا تدلّ رواية زرارة - على فرض الإغماض عن سندها - على وجوب التخيير.

### نقل أخبار التوقّف

وأما الأخبار الدالّة على التوقّف :

فمنها : موثقة سماعة المتقدمة؛ حيث قال عليه السلام فيها: (يرجئ<sup>(١)</sup>)، والظاهر أنّ المراد الأمر بتأخير العمل بأحدهما، وأنّ المراد من قوله: (فهو في سعة) أنّه في أصل الواقعة في السعة في مقام العمل، ولا يستند إلى واحد من الحديثين. ومنها : ما رواه الطبرسي مرسلًا عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام : قلت: يرد علينا حديثان : واحد يأمرنا بالأخذ به، والآخر ينهانا عنه. قال : (تعمل بواحد منهما حتّى تلقى صاحبك فتسأله).

قلت : لا بدّ أن نعمل بواحد منها.

قال : (حُذِّبَ بما فيه خلاف العامّة) (١).

والظاهر اتّحادها مع رواية سماعة المتقدّمة، والاختلاف من جهة النقل بالمعنى.  
ومنها : ما في ذيل رواية مقبولة عمر بن حنظلة، قال : قلت : فإن وافق حكمّاهم  
الخبرين جميعاً؟

قال : (إذا كان ذلك فأرجئه حتّى تلقى إمامك، فإنّ الوقوف عند الشبهات  
خير من الاقتحام في الهلكات) (٢).

ولفظ «الشبهات» فيها ظاهر في الشبهات الحكميّة، فلا بدّ أن يريد من قوله:  
(فأرجئه) تأخير العمل بهما.

ومنها : ما رواه ابن إدريس في آخر «السرائر» نقلاً من كتاب «مسائل  
الرجال» لعليّ بن محمّد عليه السلام : أنّ محمّد بن علي بن عيسى كتب إليه، يسأله عن العلم  
المنقول إلينا عن آبائك وأجدادك عليهم السلام، قد اختلف علينا فيه، فكيف العمل به على  
اختلافه؟ أو الردّ إليك فيما اختلف فيه؟

فكتب عليه السلام : (ما علمتم أنّه قولنا فالزموه، وما لم تعلموا فردّوه إلينا) (٣).

وقريب منها في المضمون رواية الصّفّار (٤).

١ - الاحتجاج : ٣٥٧ - ٣٥٨ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٨ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ،  
الباب ٩ ، الحديث ٤٢ .

٢ - الكافي ١ : ٥٤ / ١٠ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٧٥ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ،  
الباب ٩ ، الحديث ١ .

٣ - مستطرفات السرائر : ٦٩ / ١٧ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٤ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات  
القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٣٦ .

٤ - بصائر الدرجات : ٥٢٤ / ٢٦ ، مستدرك الوسائل ١٧ : ٣٠٥ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات  
القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٩ .

وفي قوله عليه السلام: (فردّوه) احتمالان:  
أحدهما: السؤال منهم عليهم السلام، فيختصّ بحال الحضور.  
ثانيهما: ردّ علمه إلى أهله، وعدم الفتوى بمضمونه، والظاهر هو الثاني.  
ومنها: رواية الميثمي المفصلة، وستجيء إن شاء الله.

### جمع الشيخ الأعظم والمحقّق النائيّ وما فيه

هذه هي الروايات الواردة في المقام، ولا يخفى تعارض الأخبار الدالة على التوسعة مع الأمر بالإرجاء، فجمع الشيخ الأعظم رحمته بينهما: بحمل الدالة على التوسعة والتخير، على زمان لا يتمكّن المكلف فيه من لقاء الإمام عليه السلام، والدالة على التوقّف على زمان يتمكّن فيه من ذلك<sup>(١)</sup>، ووافقه الميرزا النائيني رحمته في ذلك، وقال في بيانه ما حاصله: إنّ الأخبار في المقام على أربع طوائف:  
منها: ما تدلّ على التخيير مطلقاً، كرواية الحسن بن الجهم.

ومنها: ما تدلّ على التخيير في زمان الحضور، كرواية الحرث بن المغيرة.  
ومنها: ما تدلّ على التوقّف في زمان الحضور، مثل ذيل مقبولة عمر بن حنظلة.  
وحُكي ما يدلّ على التوقّف مطلقاً وإن لم نقف عليه، والنسبة بين الأوليتين وإن كانت هي العموم المطلق، وكذلك الطائفتان الأخيرتان، إلّا أنّه لا تعارض بينهما؛ لعدم المنافاة بين التوقّف المطلق والتوقّف في زمان الحضور، وكذا بين التخيير المطلق وبين التخيير في زمان الحضور؛ لكونهما مثبتين لا يحمل فيهما المطلق على المقيد، فالتعارض إنّما هو بين ما دلّ على التخيير وبين ما دلّ على التوقّف، غاية الأمر وقوع التعارض بين ما دلّ على التخيير المطلق، وبين ما يدلّ على التوقّف المطلق، إنّما هو بالعموم من

وجه، وبين ما دلّ على التخيير في زمان الحضور والتوقّف فيه بالتباين، ولا مهمّ لبيان الجمع بين الأخيرين؛ لعدم ترتّب أثر عليه، وإنّما المهمّ هو بيان الجمع بين الأوّلين، وعرفت أنّ بينهما عموماً من وجه، لكن النسبة بين ما دلّ على التخيير المطلق، وبين ما دلّ على التوقّف في زمان الحضور، هي العموم المطلق، فلا بدّ من تقييد إطلاق الأوّل بالثاني، فتتقلب النسبة حينئذٍ - بين دليل التوقّف المطلق والتخيير المطلق - من العموم من وجه إلى العموم المطلق، فتحمل أخبار التوقّف المطلق على زمان الحضور، والتمكّن من ملاقة الإمام عليه السلام، فيرفع التعارض من بينهما، وتكون النتيجة هي التخيير في زمان الغيبة، كما عليه المشهور<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: يرد عليه:

أولاً: أنّه ليس بين دليل التوقّف المطلق، وبين دليل التخيير المطلق، عموماً من وجه، وهو واضح.

وثانياً: كما يقيّد دليل التخيير المطلق بأخبار التوقّف في زمان الحضور، كذلك يقيّد دليل أخبار التوقّف المطلق بأخبار التخيير في زمان الحضور؛ لأنّ خبر التخيير في زمان الحضور أخصّ ممّا يدلّ على التوقّف المطلق، فلا وجه لاختصاص حمل المطلق على المقيّد في الأوّلين، وحينئذٍ يقع التباين بين أخبار التوقّف المطلق وبين أخبار التخيير المطلق، كما تفتنّ المقرّر لهذا الإشكال.

وثالثاً: كيف يمكن تخصيص أخبار التخيير المطلق بأخبار التوقّف في زمان الحضور مع ابتلائها بالمعارض؛ أي أخبار التخيير في زمان الحضور، ولا يصلح واحد من المتعارضين الخاصّين لتخصيص العامّ بهما.

وأما الجمع الذي اختاره الشيخ عليه السلام، فالظاهر أنّه لما في بعض الأخبار من

الإشارة إلى ذلك، كالأخبار الآمرة بالإرجاء حتى تلقى الإمام عليه السلام.  
ولكن يرد عليه : أن ما أفاده إما بملاحظة مجموع الأخبار التي استدلل بها  
للتخير - مع الإغماض عن الإشكال في دلالتها - مع أخبار التوقف وإما بملاحظة  
خصوص رواية ابن الجهم التي تقدم أنها تدل على التخير فقط.  
فعلى الأول : فرواية الحرث بن المغيرة الحاكمة بالتوسعة مغنية برؤية الإمام،  
مع أنها من الروايات التي استدلل بها للتخير، فلا يمكن حملها على صورة عدم التمكن  
من لقاء الإمام عليه السلام.  
مضافاً إلى أنه إن أراد من التمكن فرض كون الإمام عليه السلام في بلد السائل، ومن  
عدم التمكن فرضه في بلاد بعيدة، فالأخبار آية عن الحمل على ذلك؛ لأن المفروض  
في أخبار التخير هو التحير؛ وعدم الطريق إلى معرفة الحكم أصلاً، ولذا قال الراوي  
في رواية الطبرسي: لا بد من العمل، وكذلك سائر روايات التوقف، فإنه لا يمكن حملها  
على عدم التمكن من لقائه عليه السلام؛ بمعنى عدم حضوره عليه السلام في بلد السائل، بل كان عليه السلام  
في بلد آخر.  
وإن أراد من التمكن التمكن من لقائه عليه السلام ولو بقطع مسافات بعيدة؛ لكونه عليه السلام  
في بلد آخر بعيد عنه، ومن عدم التمكن عدمه إلى آخر عمره.  
وبعبارة أخرى : أراد بهما زمني الحضور والغيبة، فكذلك أي الأخبار المذكورة  
آية عن الحمل على ذلك، مثل رواية ابن الجهم المطلقة، فإنها وإن لم تختص بزمان  
الحضور، لكن لم تختص بزمان الغيبة أيضاً؛ لإطلاقها وبعد اختصاصها بزمان الغيبة مع  
صدورها في زمان الحضور، فالجمع المذكور محل إشكال، خصوصاً مع ما في بعض  
أخبار التوقف من قوله: (حتى تلقى من يخبرك) الشامل لغير الإمام عليه السلام من الفقهاء.  
وأما بناءً على المختار من انحصار رواية التخير برواية ابن الجهم، فالإشكال  
الأول غير وارد، لكن يبقى الإشكال الثاني بحاله؛ أي بعد حمل أخبار التوقف على

زمان الغيبة، وإباء بعض رواياته عن ذلك.  
مضافاً إلى أنه لا يصحّح ما ذكره الشيخ: من حمل جميع أخبار التخيير على ذلك<sup>(١)</sup>.

### جمع العلامة الحائري رحمته وما يرد عليه

حمل شيخنا الحائري رحمته أخبار التوقّف على التوقّف في مقام الفتوى والاستناد إليها في الحكم، وأخبار التخيير على التخيير في مقام العمل.  
والشاهد على ذلك في حمل أخبار التوقّف: ارتكازه في أذهان العقلاء؛ لعدم بنائهم على حجّة أحد المتعارضين بنحو الاستناد إليه في مقام الفتوى؛ لا تعييناً ولا تخييراً، وحيث إنّ ذلك مرتكز في الأذهان؛ لا احتياج فيه إلى التأكيد وأوامر كثيرة، بخلاف تعيين مدلول أحد الخبرين بالظنّ، فإنّه أمر مرسوم عند العقلاء، وقد تصدّى الشارع لسدّ باب ذلك وردعهم بالحكم بلزوم التوقّف عند التعارض.  
والحاصل: أنّ أخبار التوقّف - بملاحظة ما ذكرناه - منصرفة إلى حرمة القول بالرأي في تعيين مدلول كلام الشارع، ولا ينافي ذلك التخيير في مقام العمل.  
ويؤيده أيضاً: بعد الأمر بالتوقّف في بعض الأخبار، قولهم عليهم السلام: (ولا تقولوا فيه بآرائكم)<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>. انتهى.

أقول: ما أفاده رحمته وإن أمكن تصديقه بالنسبة إلى بعض الأخبار، لكن ينافيه ما في رواية سماعة: (فأرجئه)، أو (لا تعمل بواحد منهما).

١ - فرائد الأصول: ٤٣٩ سطر ١٩.

٢ - عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٢١ / ٤٥، وسائل الشيعة ١٨: ٨١، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ٢١.

٣ - درر الفوائد: ٦٥٦ - ٦٥٧.

## وجه الجمع بين الأخبار

والتحقيق في المقام أن يقال : إن أخبار التخيير نص فيه، مثل قوله عليه السلام : (موسع عليك الأخذ بهذا أو ذاك)، وأخبار التوقف - مثل (أرجئه)، أو (لا تعمل بواحد منهما) - ظاهرة في وجوبه، فيحمل الظاهر على النص، فيجمع بين الأخبار بحمل أخبار التوقف على مطلق الرجحان، ولا ينافيه التصريح بالأخذ بأحدهما.

ويؤيد ذلك ذيل رواية عمر بن حنظلة، وهو قوله عليه السلام : (الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات)، المسبوق بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (الأمور ثلاثة...) (١) إلى آخره، فإنه إرشاد إلى أنه لو بنى الإنسان على ارتكاب الشبهات حتى يصير عادة له، وكذلك المكروهات، فربما يجترئ على ارتكاب المحرمات، وتهون عليه ارتكاب المعاصي الكبيرة، فكل واحدة من الشبهات وإن جاز ارتكابها، لكن نهى عنها لئلا يجترئ تدريجاً على ارتكاب المحرمات، فالمراد أن ارتكاب الشبهات ربما يصير سبباً لوقوع الشخص في مهلكة ارتكاب المحرمات، لا أن نفس ارتكاب الشبهة هلكة، كما زعمه الأخباريون، فهو شاهد على أن الأمر بالتوقف في تلك الأخبار إنما هو لرجحانه وإن لم يجب، كرجحان التوقف في الشبهات البدئية.

وأما سائر وجوه الجمع بين الأخبار في المقام - كحمل أخبار التخيير على حقوق الله، وأخبار التوقف على حقوق الناس، أو حمل الأولى على العبادات، والثانية على غيرها، أو حمل الأولى على حال الاضطراب والثانية على حال الاختيار - فهي مما لا شاهد ولا وجه لها، ومجرد ورود خبر في مورد لا يوجب اختصاصه بهذا المورد،

١ - الكافي ١ : ٥٤ / ١٠ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٧٥ و ١١٤ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات

القاضي ، الباب ٩ و ١٢ ، الحديث ١ و ٩ .

فإن المورد ليس مخصصاً.

وكالجمع يحمل أخبار التخيير على المتعارضين المتناقضين، وأخبار التوقف والإرجاء على غير المتناقضين من المتعارضين، فإن رواية سماعة بن مهران التي هي من أخبار التوقف وردت في المتناقضين بقوله فيها: (أحدهما يأمرني والآخر ينهاني). وكالجمع يحمل أخبار التوقف على الأحكام والتكاليف الإلزامية، لو تعارض فيها الخبران من الوجوب والحرمة، وأخبار التخيير على غيرها من المندوبات والمكروهات.

واستدل له برواية الميثمي، كما أنه استشهد بها لما اختاره شيخنا الحائري رحمته الله<sup>(١)</sup>: من الجمع الذي نسبه في «الحدائق» إلى المحقق المجلسي رحمته الله وبعض قدماء الأصحاب<sup>(٢)</sup>، وهي ما رواه الصدوق رحمته الله في «العيون» عن أبيه ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد جميعاً، عن سعد بن عبدالله، عن محمد بن عبدالله المسمعي، عن أحمد بن الحسن الميثمي: أنه سأل الرضا عليه السلام يوماً، وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه، وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الشيء الواحد، فقال عليه السلام: (إن الله حرم حراماً، وأحلّ حلالاً...) إلى أن قال بعد النهي عن الأخذ بما هو مخالف للكتاب في الفرائض وأحكام الحلال والحرام من الأخبار، وكذلك الأخبار المخالفة لأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونواهيه الإلزامية: (وإن الله تعالى نهى عن أشياء ليس نهى حرام، بل إعافة وكراهة، وأمر بأشياء ليس بأمر فرض ولا واجب، بل أمر فضل ورجحان في الدين، ثم رخص في ذلك للمعلول وغير المعلول، فما كان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى إعافة أو أمر فضل، فذلك الذي يسع استعمال الرخصة فيه إذا ورد عليكم عنا الخبر فيه باتفاق، يرويه من يرويه في

١ - درر الفوائد : ٦٥٦ - ٦٥٧.

٢ - الحدائق الناضرة ١ : ١٠٢.



النهي ولا ينكره، وكان الخبران صحيحين معروفين باتفاق الناقلة فيهما، يجب الأخذ بأحدهما، أو بهما جميعاً، أو بأيهما شئت وأحببت موسّع ذلك لك؛ من باب التسليم لرسول الله ﷺ والردّ إليه وإلينا، وكان تارك ذلك - من باب العناد والإنكار وترك التسليم لرسول الله ﷺ - مشركاً بالله العظيم، فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوه على كتاب الله، فما كان في كتاب الله موجوداً حلالاً أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن في الكتاب فاعرضوه على سنن رسول الله ﷺ، فما كان في السنّة موجوداً منهياً عنه نهياً حراماً، ومأموراً به عن رسول الله ﷺ أمر إلزامٍ فاتبعوا ما وافق نهى رسول الله ﷺ وأمره، وما كان في السنّة نهياً إعافه أو كراهة، ثم كان الخبر الأخير خلافه، فذلك رخصة فيما عافه رسول الله ﷺ وكرهه ولم يحرمه، فذلك الذي يسع الأخذ بهما جميعاً، وبأيهما شئت وسعك الاختيار؛ من باب التسليم والاتباع والردّ إلى رسول الله ﷺ، وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردّوا إلينا علمه، فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكفّ والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون، حتّى يأتيكم البيان من عندنا<sup>(١)</sup>.

والمسمعي ممّن ضعّفه الشيخ الصدوق<sup>(٢)</sup>، لكن قال في «الفقيه» إنّما نقلها من كتاب الرحمة لسعد بن عبد الله، وهو من الأصول المعتمد عليها<sup>(٣)</sup>.  
وأنت إذا تأملت في هذه الرواية، تعرف أنّه لا ارتباط لها بالمقام؛ يعني الحكم الظاهري بالتخيير في باب التعارض، فإنّها في مقام بيان الحكم الواقعي في أن

١ - عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ٢٠ / ٤٥ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨١ ، كتاب القضاء ، أبواب

صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٢١ .

٢ - عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ٢١ ، ذيل الحديث ٤٥ .

٣ - الفقيه ١ : ٤ .

الروايات المخالفة لكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ في التكاليف الإلزامية، ليست حجة، لا المخالفة لهما في التكاليف الغير الإلزامية من المندوبات والمكروهات؛ لإمكان ترخيصهم في ترك ما أمر الله به ندباً، أو ارتكاب ما نهى الله تعالى عنه أو رسوله ﷺ تنزيهاً، فإن قوله: (بأيهما شئت وأحببت؛ موسّع عليك) لا يراد منه ما يراد من الحكم بالتوسعة في رواية الكليني رحمه الله فإن الأول حكم واقعي؛ لجواز ترك المندوب وفعل المكروه واقعاً، بخلاف الثاني، فإنه حكم ظاهري بالتخيير عند تعارض الخبرين.

فظهر ممّا ذكرنا: أنّها لا تصلح شاهداً لما اختاره شيخنا الحائري رحمه الله من الجمع المتقدم منه عليه السلام، فإنّ قوله عليه السلام في ذيلها: (فردّوا إلينا علمه، ولا تقولوا فيه بأرائكم...) إلى آخره، وإن كان ردعاً عن العمل بالمرجّحات الظنّية الحاصلة بالرأي، لكنّها تدلّ على التخيير في الفتوى بأيهما شاء والاستناد إليه؛ اتّكالا على روايات التخيير والفتوى على طبق أحدهما.

## تنبيهات

### التنبيه الأول : في معنى التخيير في المسألة الأصولية

لا إشكال في أنّ مقتضى ظواهر الأخبار هو التخيير في المسألة الأصولية؛ لأنّه خيّر فيها بالأخذ بأحد الخبرين المتعادلين الذي هو حجة في الفقه. نعم يقع الكلام في أنّ أخبار التخيير، هل هي كاشفة عن جعل حجّية أحد الخبرين، بعد حكم العقل بتساقطها وعدم حجّية واحد منها، أو أنّها في مقام بيان الحكم الظاهري وجعل الوظيفة، كالأصول العملية؟ وجهان : أردوهما هو الوجه الأول؛ وذلك : فلما عرفت سابقاً: من أنّه لا معنى لجعل

الحجّة والأماريّة والطريقيّة لما ليس له ذلك، فكما لا يمكن جعل الحجّة والطريقيّة للشك، كذلك لا معنى لجعلها للخبر الفاقدها.

مضافاً إلى أنّه لو أريد كشفها عن جعل حجّة كلّ واحد من المتعارضين معاً.

ففيه : مضافاً إلى أنّه خلاف ظاهر أخبار التخيير، أنّه غير معقول.

وإن أريد كشفها عن حجّة أحدهما الغير المعين؛ يعني مفهوم أحدهما الغير

المعين، الصادق على كلّ واحد من الخبرين؛ إذ لا معنى لإرادة المبهم الواقعي.

ففيه : أنّه يلزم - فيما لو أخذ مجتهدان كلّ واحد منهما بأحدهما - كشفها عن

حجّة كلّ واحد من المتعارضين وطريقيّته إلى الواقع بالفعل، وهو أيضاً غير معقول؛

لعدم معقوليّة الطريقيّة الفعلية للخبرين المتعارضين معاً.

وأما الوجه الثاني ففيه أيضاً : أنّ مقتضاه عدم ترتّب اللوازم الغير الشرعيّة

والملازمات على أحد الخبرين الذي اختاره المجتهد؛ لعدم حجّة مثبتات الأصول

العملية، ولا أظنّ أحداً يلتزم به.

والتحقيق : أنّه لا يستفاد من أخبار التخيير حكم تأسيسي على حدة، سوى

وجوب العمل بالأخبار مهما أمكن وعدم جواز إهمالها، فكما أنّه يُستفاد من أخبار

الترجيح بما ليس مرجّحاً عند العرف ويتوقّفون فيه كالمتعادلين، عدم جواز إهمال

الأخبار ووجوب العمل بها مهما أمكن، فيقدّم ذو المزيّة على الآخر مع التعارض،

كالموافق للعامة والمخالف لهم، فيرجّح المخالف على الموافق، وأنّه ليس حكماً تأسيسياً

سوى وجوب العمل بالأخبار مهما أمكن، والردع عن توقّف العرف فيها، كذلك

أخبار التخيير مع التعادل لا يستفاد منها سوى وجوب العمل بالأخبار مهما أمكن،

وردد العرف عن التوقّف فيها، فهي في مقام جعل الوظيفة للمجتهدين.

لا أقول : إنّها في مقام جعل الوظيفة العملية، نظير الأصول العملية، بل جعل

الوظيفة للمجتهدين في المسألة الأصوليّة عند تعارض الخبرين، وهو وجوب الأخذ

بأحد الخبرين والطريقين ويترتب عليه حينئذٍ اللوازم والملزومات الشرعية وغيرها.

**التنبيه الثاني : في حكم تخيير القاضي والمفتي في عمله وعمل مقلديه**

لا إشكال في المقام بالنسبة إلى عمل المجتهد نفسه، وكذلك لا إشكال في أنه لا معنى لإفتاء القضاة بتخيير المتخاصمين؛ لعدم فصل الخصومة بذلك، بل يتعين عليه الأخذ بأحدهما، والحكم والقضاء على طبقه؛ لترفع الخصومة بقضائه.

وأما الإشكال والكلام بالنسبة إلى المفتي في مقام الإفتاء للمقلدين في أنه يختص الترجيح والتخيير بالمجتهدين، ولا حظ للمقلدين في ذلك - فهذه الخطابات ليست متوجهة إلى المكلفين قاطبة، وهكذا سائر القواعد الأصولية، كالاستصحاب والبراءة وحجية أخبار الآحاد - أو أنها خطابات عامة متوجهة إلى جميع المكلفين، غاية الأمر عدم إمكان تمييز موارد جريانها ومجراها لغير المجتهدين؟

قد يقال بالأول؛ لأنه لا معنى لتكليف من لا يمكن من الإتيان بالمأمور به، كالاستصحاب في الشبهات الحكيمة؛ لافتقاره وتوقفه على تشخيص مجراه؛ من اليقين السابق والشك اللاحق وعدم المعارض والحاكم عليه ونحو ذلك، وحينئذٍ فلا بد أن تختص تلك الخطابات بالمجتهدين، وإن كانت النتيجة الحاصلة من اجتهادهم - أي الحكم الفرعي المستنبط مشترك بين جميع المكلفين بل بعضها يختص بالنسوان وأحكامهن الخاصة بهن، كأحكام الحيض والنفاس، بل قد يقال بأن كثيراً من القواعد الفقهية أيضاً كذلك، كقاعدة اليد، وقاعدة «كل ما يضمن بصحيحه يضمن بفاسده» وبالعكس، وقاعدة لا ضرر ولا حرج، ونحوها مما لا يمكن العوام وغير المجتهدين من تمييز مواردنا وتشخيص مجراها، فهي مختصة بالمجتهدين، ولكن النتيجة الحاصلة من اجتهادهم؛ أي الحكم الفرعي المستنبط، مشترك بين جميع المكلفين.

ولكن الحق : هو الثاني؛ أي أن الخطابات كلها عامة متوجهة إلى جميع

المكلفين، فإنَّ عدم تمكُّن العوامِّ وغير المجتهد لما ذكر، واختصاص التمكن من ذلك بالمجتهد، لا يوجب اختصاص الخطابات بهم فقط، بل تعمُّ جميع المكلفين، غاية الأمر أنَّ العامِّي لا يتمكَّن من تمييز مجراها ومواردها وشرائطها، فيرجع في ذلك إلى المتمكَّن من ذلك، فيستصحب هو نفسه، وعدم حصول اليقين والشكَّ لبعض لا يوجب اختصاص خطابات الاستصحاب بغيره؛ ضرورة أنَّها متعلِّقة بالعناوين الكلِّية، وعدم صدق تلك العناوين على فرد، لا يوجب نقل تلك الأحكام عن موضوعاتها، كما أنَّ عدم قيام الأمانة عند أحد، لا يوجب اختصاص حجَّة الأمانة بغيره من الأفراد، وحينئذٍ فكما يجوز للمجتهد الأخذ بأحد الخبرين والفتوى على طبقه تعييناً، له أن يُعلم المقلِّدين نفس القواعد الأصولية، ويُفتي بالتخير في الأخذ بأحدهما؛ لعدم ظهور الأدلَّة في الاختصاص بالمجتهد، فلا يجب ولا يتعيَّن عليه الفتوى بمضمون أحد الخبرين معيَّناً، ولا الحكم بالتخير بين مفاد أحد الخبرين، بل هو مخيَّر بينهما وبين الحكم بتخيرهم في المسألة الأصولية؛ فإنَّ المجتهد من أفراد المكلفين المخاطبين بخطابات التخير، فيصحَّ له الحكم بالتخير في المسألة الأصولية، كما أنَّ له الحكم بالتخير في المسألة الفرعية، والحكم بمفاد أحد الخبرين تعييناً؛ لأنَّ وجوب الأخذ بأحد الخبرين طريقيٌّ.

### التنبه الثالث : في أنَّ التخير بدويٌّ أو استمراريٌّ

هل التخير ابتدائيٌّ، فلا يجوز اختيار الخبر الآخر بعد الأخذ بأحدهما مطلقاً، أو استمراريٌّ مطلقاً، فله الأخذ بالآخر بعد الأخذ بأحدهما، أو التفصيل بين التخير في المسألة الأصولية وبينه في المسألة الفرعية؛ ففي الأولى بدويٌّ، وفي الثانية استمراريٌّ، أو التفصيل بين القول باختصاص خطابات التخير بالمجتهد، وبين القول بعمومها لجميع المكلفين؛ ففي الأولى بدويٌّ وفي الثانية استمراريٌّ؟ وجوه:

ذهب الشيخ الأعظم إلى الأوّل؛ لعدم الإطلاق في الأخبار، وعدم جريان استصحاب بقاء التخيير بعد اختيار أحدهما؛ لاختلاف الموضوع، فإنّ موضوعه من لم يختار أحدهما بعد<sup>(١)</sup>.

فيمكن أن يقال في تقريب ما أفاده من إهمال الأخبار وعدم إطلاقها: إنّ الظاهر أنّ منشأ سؤال مثل الحسن بن الجهم عن تعارض الخبرين، هو الشكّ في الوظيفة عند تعارض الخبرين، والجواب أيضاً في مقام تعيين الوظيفة للشاكّ في مقام تعارض الخبرين، وأمّا الشكّ في كَيْفِيَّةِ التخيير بعد الحكم بالتخيير؛ وأنّه بدوِّيّ أو استمراريّ، فهو متأخّر عن الحكم بالتخيير، فهو مغفول عنه لدى السائل، فالأخبار مهملّة بالنسبة إلى بيان حكمه.

لكن أقول: إنّ السؤال في رواية الحسن بن الجهم - التي هي العمدة في روايات التخيير - وإن كان مسوقاً لما ذكر، لكن الظاهر من الجواب عنايته <sup>بالتفصيل</sup> والتفاتة إلى القيد المذكور في السؤال، وهو عدم العلم والشكّ، وأنّه إذا لم تعلم فوسّع عليك، مع أنّ المفروض في السؤال أيضاً هو ذلك، فيستفاد من تكراره في الجواب أنّ الحكم المذكور معيّن بعدم العلم، وأنّه ما لم يحصل العلم بكذب أحدهما المعيّن فهذا الحكم ثابت، وأنّ الموضوع للحكم بالتخيير هو عدم العلم بصدق أحدهما المعيّن، وبمجرّد اختيار أحدهما في واقعة لا يتغيّر الموضوع، وهو عدم العلم المذكور، وحينئذٍ فالجواب يدلّ بلفظه على بقاء التخيير واستمراره، فضلاً عن إطلاقه.

وتوهم: أنّه مع اختيار أحدهما يصير هو أمارّة على الواقع، فيعلم صدقه تعبدّاً، فالغاية حاصلّة حينئذٍ.

يدفعه: أنّ ذلك غير معقول؛ إذ ليس الحكم بالتخيير إلّا بمجرّد جعل الوظيفة

والحكم بترتيب الآثار، لا إثبات الحقيقة الواقعية للمختار تعبدًا، كما تقدّم استظهار ذلك من أخبار التخيير، فالغاية غير حاصلة تعبدًا أيضاً.

وأوضح منها رواية ابن المغيرة المتقدمة، وهي قوله عليه السلام: (إذا سمعت من أصحابك الحديث وكلّهم ثقة، فموسّع عليك حتّى ترى القائم، فتردّ إليه)، فإنّها ظاهرة في أنّ غاية الحكم بالسعة هي رؤية القائم، وأنّ الموضوع للحكم بالتخيير هو عدم العلم بصدق أحدهما المعيّن، ولو أراد عليه السلام منه التخيير الابتدائي لجعل الغاية عدم اختيار أحدهما، لا العلم بصدق أحدهما أو رؤية القائم عليه السلام، فلا إشكال في أنّ المستفاد منها هو التخيير الاستمراري؛ من غير فرق بين التخيير في المسألة الأصوليّة والفرعيّة.

وأما استصحاب بقاء التخيير فتوضيح الكلام فيه : هو أنّ في المقام صوراً ثلاثة:  
الأولى : أن يشكّ في بقاء التخيير وعدمه ولو في المسألة الأصوليّة.  
الثانية : الشكّ في بقائه وعدمه؛ من جهة الشكّ في أنّ التخيير هل هو في المسألة الأصوليّة، أو في المسألة الفرعيّة، بعد الفراغ والقطع بأنّه في المسألة الأصوليّة بدويّ، وفي المسألة الفرعيّة استمراريّ؟

الثالثة : أن يكون منشأ الشكّ هو الشكّ في أنّ الخطابات التخييريّة عامّة شاملة لجميع المكلفين، أو أنّها تختصّ بالمجتهدين، بعد الفراغ عن أنّها إن كانت عامّة فهو استمراريّ، ولو اختصّت بالمجتهدين فهو بدويّ قطعاً.

أمّا الصورة الأولى : ففي موضوع الحكم بالتخيير في الروايات احتمالات:  
الأول : أنّ الموضوع له هو ذات المكلف، وأمّا الشرط المذكور فيها - أي قوله: (إذا لم تعلم) - واسطة في إثبات التوسعة والتخيير للموضوع المذكور، نظير ما لو قال: «إن جاءك زيد فأكرمه».

الثاني : أنّ الموضوع عبارة عمّن لم يعلم بحقيقة أحد الخبرين.

الثالث : أنه عبارة عن المتخير في وظيفته.

الرابع : ما هو ظاهر عبارة الشيخ رحمته : من أنه عبارة عمّن لم يختار أحدهما<sup>(١)</sup>.  
فهذه احتمالات أربعة، فنقول:

بناء على الاحتمال الأول والثاني لا إشكال في بقاء الموضوع للاستصحاب،  
حتى لو قلنا بأن المناط في الموضوع هو لسان الدليل؛ لصدق عدم العلم بالحق بعد  
اختيار أحد الخبرين أيضاً وبقاء ذات المكلف وجداناً.

وأما على الأخيرين فالمفروض عدم قيام دليل اجتهادي على أحد الأمرين  
المذكورين، وعدم استفادة ذلك من أخبار التخيير، وقد تقدّم سابقاً عدم جريان  
الاستصحاب في الأحكام الكلية المتعلقة بالعناوين الكلية، وأنه إجراء الحكم من  
موضوع إلى موضوع آخر، لكن بعد تحقق الموضوع ووجوده في الخارج وانطباق ذلك  
العنوان عليه، يثبت له حكمه، فع الشك في بقاءه يجري استصحابه أيضاً، فإنّ المكلف  
بعد وجوده في الخارج وثبوت حكم التخيير له، لو شك في بقاءه بعد اختياره أحدهما،  
لا إشكال في صحّة استصحابه<sup>(٢)</sup>.

وأما على الوجه الثاني والثالث من وجوه الشك في بقاء التخيير، فالكلام فيهما  
هو الكلام في القسم الثاني من أقسام استصحاب الكلي؛ لدوران الأمر في المستصحب  
بين مقطوع البقاء المشكوك حدوثة وبين مقطوع الارتفاع.

لكن يمكن أن يفرّق في المقام بين استصحاب التخيير بنحو الكون الناقص - بأن  
يقال: إنّ القضية المتيقّنة هو كونه مخيراً - وبين استصحابه بنحو الكون التام؛ أي ثبوت

١ - فرائد الأصول : ٤٤٠ سطر ٢٤ .

٢ - أقول : هذا البيان إنّما يصحّ على الاحتمال الثالث، وأما على الاحتمال الأخير الذي هو  
ظاهر عبارة الشيخ - من أنّ الموضوع للحكم بالتخيير هو من لم يختار أحدهما - فالظاهر أنّه  
بعد اختيارهما لا يكون الموضوع باقياً، فلا يصحّ فيه ما أفاده دام ظلّه العالي.



التخير بعدم جريان الاستصحاب في الثاني؛ لما تقدّم بيانه في مسألة استصحاب الكلّي: من أنّه لا جامع - بين البعث إلى هذا وبينه إلى ذاك - يتعلّق به الحكم الشرعي؛ حتّى يكون من قبيل الاستصحابات الحكميّة، والمفروض عدم كونه موضوعيّاً أيضاً؛ لأنّ الكلام إنّما هو في استصحاب وجوب التخير، لا أمر آخر.

وبعبارة أخرى: التخير المجعول في المقام مرّدّد بين مقطوع الارتفاع لو كان الشكّ في المسألة الأصوليّة وبين مقطوع البقاء لو كان الشكّ في المسألة الفرعيّة، والكلّي الجامع بينهما ليس أمراً مجعولاً شرعيّاً ليجري استصحابه، بخلاف ما لو كان المستصحب هو كونه مخيراً؛ بنحو الكون الناقص.

وبالجملة: في الاستصحاب المذكور - بناءً على هذين الاحتمالين - إشكال، لكن لا إشكال في أصل المطلب، وهو أنّ التخير استمراريّ لظهور الأخبار في ذلك.

**التنبيه الرابع: في صور مجيء الخبرين المختلفين في الإخبار مع الواسطة**

لاريب في أنّ الموضوع لحكم التخير - أو الترجيح في الأخبار العلاجيّة - هو الخبران المتعارضان المتعادلان، أو مع المزيّة لأحدهما، لكن اختلاف الخبرين يقع على وجوه:

الأوّل: أن يختلفا في جميع مراتب سلسلتي سنديهما إلى أن ينتهي إلى الإمام عليه السلام؛ بأن يكون هناك سندان متغايران في جميع مراتب سلسلتيهما إليه عليه السلام.  
الثاني: أن يتّحد السندان إلى راوٍ واحد كزرارة، لكن المنقول عنه متعارضان.  
الثالث: أن يتغاير السندان في جميع مراتب سلسلتهما، إلّا في أوّلها أو وسطها أو آخرهما؛ بأن روى راوٍ واحد مشترك بين السندين في الأوّل فقط أو الوسط أو الأخير.

الرابع: مثل اختلاف شيخ الطائفة والكليني رحمهما في روايتهما عن أصل واحد؛

إمّا لاختلاف نُسَخ الأصل، أو لاختلافها في السماع عن مشايخها؛ بأن سمع الشيخ من شيخه نحوه، والكليني من شيخه نحوه آخر مغايراً للأول، وقد لا يحرز واحد من الأمرين، بل احتمال نشوء الاختلاف من هذا أو ذاك.

الخامس : أن يكون الاختلاف في نُسَخ الجوامع المتأخرة، كالكافي والتهديب والاستبصار والفقيه.

السادس : أن يعلم بأنّه لم يصدر من الإمام عليه السلام إلا رواية واحدة، لكن علم بخطأ أحد الرواة من السلسلة في النقل.

وهنا صور أخرى لا يهمنّا التعرّض لها، يظهر حكمها ممّا سيجيء.

فنقول : لا إشكال في صدق تعارض الخبرين واختلافهما في الوجه الأول والثالث، بل وكذا الثاني.

وتوهم الإشكال في صدق اختلاف الخبرين فيه؛ لأنّ المفروض اتّحاد جميع مراتب رواية سلسلتيهما، فلا يصدق عليه اختلاف الرجلين، وليس فيه رجлан مختلفان. مدفوع : بأنّه من المعلوم عدم الخصوصية في اختلاف الرجلين في هذا الحكم، فإنّ اختلاف امرأتين أيضاً كذلك، والمتبادر من خبر ابن الجهم هو ما يعمّ مثل ذلك، لأنّ هذا القسم ملحق بتعارض الخبرين من جهة تنقيح المناط، فالمقام من قبيل (رجل شكّ بين الثلاث والأربع) في أنّ خصوصيّة الرجوليّة ملغاة في نظر العرف في هذا الحكم.

مضافاً إلى أنّ في كثير من روايات الترجيح هو مثل قوله عليه السلام : (إذا جاءك الحديثان المختلفان)<sup>(١)</sup> ونحوه؛ ممّا لا إشكال في صدقه على هذا الوجه أيضاً. ومن المعلوم أنّ الموضوع في جميع هذه الأخبار واحد.

١ - تفسير العياشي ١ : ٩ / ٧، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٩، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي .

الباب ٩، الحديث ٤٨ .

وأما الإشكال في الوجه السادس، ففي صدق اختلاف الخبرين وتعارضهما عليه وعدمه وجهان، والأول منها لا يخلو عن وجه، فإن الحديث : عبارة عن نقل خبر ينتهي إلى الإمام عليه السلام، وكل واحد من الخبرين في هذا الوجه كذلك، وإن علم بكذب أحدهما؛ وعدم صدوره من الإمام عليه السلام، فإن ذلك لا يمنع من صدق الخبرين المختلفين عليه، وعلى فرض عدم شمول أخبار التعارض لهما في هذا الفرض موضوعاً ولفظاً، يمكن إلحاقهما بالخبرين المتعارضين حكماً؛ لأن الظاهر أن المقصود من الأخبار العلاجية، هو العمل بالأخبار مهما أمكن وعدم رضاهم عليهم السلام برفع اليد عن الأخبار المنسوبة إليهم وإهمالها، كما هو قضية الحكم بالتخير مع توقف العقلاء فيه.

وأما الوجه الرابع فالظاهر صدق تعارض الخبرين عليه أيضاً، فإن روايات الكافي والتهذيب - مثلاً - مما سمعها من مشايخها، فرجع اختلافها هو اختلاف مشايخها في نقل الرواية، فلا إشكال في صدق التعارض على هذا الفرض أيضاً.

وأما الوجه الخامس فلا إشكال في عدم صدق التعارض عليه؛ لأنه ناشئ عن اختلاف نسخ «الكافي» مثلاً، ومستند إلى اشتباه النسخ، ومثله لا يصدق عليه العنوان المذكور.



## المقام الثاني

### في الترجيح بمزية من المزايا

والكلام فيه: إمّا في مقتضى الأصل والقاعدة، وإمّا في مقتضى الأخبار الواردة فيه.

ويتمّ البحث في هذا المقام في ضمن أمور :

### الأمر الأوّل

#### في اقتضاء الأصل للتعين

فالكلام فيه : تارة على القول بمجّيئة الأخبار بنحو الطريقة، وأخرى على القول بالسببية.

وعلى الأوّل فقد تقدّم : أنّ مقتضى القاعدة العقلية في تعارض الخبرين، هو التساقط لو لم تكن مزية في أحدهما ممّا يعتني بها العقلاء، لكن الكلام هنا بعد الفراغ عن قيام الدليل الخارجى، علم عدم تساقطها، ووجوب الأخذ والعمل بأحدهما.

فنقول : لو بنينا على أن المجعول في الأخبار العلاجية - بعد حكم العقل بسقوط المتعارضين عن الحجية - هو الحجية وطريقة أحدهما؛ بنحو تتميم الكشف ونحوه، فيشك في المقام في أن المجعول هل هو حجة خصوص ذي المزية فقط تعييناً، أو حجة أحدهما تخييراً؟ فقتضى القاعدة فيه هو العمل بذي المزية تعييناً؛ لأن الخبر إنما يكون حجة إذا علم باعتبار الشارع له، ومع الشك في اعتباره فهو ليس حجة قطعاً، فالشك في جعل الشارع المقدس له الحجية، مساوق للقطع بعدم حجتيه، فالخبر الواحد للمزية معلوم الاعتبار شرعاً؛ إما تعييناً أو تخييراً بينه وبين الفاقدها، والفاقد لها مشكوك الاعتبار، المساوق لعدم الاعتبار.

هذا بناءً على ما هو المشهور : من أن المجعول هو الحجية والطريقة. وأما بناءً على ما هو المختار : من أن الاستفادة من الأخبار العلاجية هو وجوب العمل بأحد الخبرين، فهي مسوقة لبيان الوظيفة، لا جعل الحجية والطريقة، ففي وجوب اختيار ذي المزية تعييناً، أو تخييراً بينه وبين اختيار فاقدها، وجهان مبنيان على أن مقتضى القاعدة في دوران الأمر بين التعيين والتخير، هل هو التعيين أو التخير؟ فإن ما نحن فيه من جزئيات تلك المسألة، فيمكن أن يقال بالتخير؛ لعدم ثبوت إيجاب الشارع العمل بذي المزية تعييناً، بل الثابت من الشرع الذي دل عليه الدليل، هو عدم جواز إهمالهما كليهما؛ وترك العمل بهما، لكن المختار في تلك المسألة هو التعيين ووجوب اختيار المزية في المقام تعييناً.

وهذا بخلاف ما لو قلنا : بأن أخبار العلاج مسوقة لجعل حجة أحد المتعارضين، فإنه حينئذ ليس المقام من جزئيات مسألة دوران الأمر بين التعيين والتخير؛ لأنه لا أظن أن يلتزم أحد بالتخير حينئذ، وإن قال به في تلك المسألة.

هذا كله بناءً على القول بالطريقة في حجة الأخبار والأمارات.

وأما بناءً على السببية فمحمل الكلام فيه: أنهم قالوا: إن المقام حينئذ من قبيل

المتزاحمين.

لكنّه على إطلاقه مشكل؛ لأنّه إن أُريد من السببيّة ما هو المنسوب إلى الأشاعرة - من خلوّ الوقائع عن الأحكام الواقعيّة المشتركة بين العالم والجاهل، وأنّ الأحكام الواقعيّة تابعة لقيام الأمانة - فكون المقام من قبيل المتزاحمين، مبنيّ على الالتزام بتعلّق حكمين فعليّين بمؤدّي الأمارتين المتعارضتين بعنوانه الواقعي، وأنّه واجدٌ لمصلحتين تامّتين ملزمتين، ولا أظنّ أن يلتزم به عاقل، حتّى الأشعري القائل بالإرادة الجزافيّة؛ لاستحالة ذلك؛ لأنّ التزاحم : عبارة عن تعلّق حكم واحد - كالوجوب - بفعلين؛ لكلّ واحد منها حكم ذو ملاك، لكن لا يتمكّن المكلف من امتثالهما؛ بحيث لو أمكن الجمع بينهما في مقام الامتثال، وجب امتثالهما والإتيان بهما ودرك المصلحتين التامّتين، بخلاف ما نحن فيه.

وكذلك لو أُريد من السببيّة ما هو منسوب إلى المعتزلة : من أنّ الوقائع وإن لم تخلو عن الأحكام الواقعيّة المشتركة بين العالم والجاهل، لكن يوجد بقيام الأمانة المخالفة للحكم الواقعي مصلحة غالبية على مصلحة الحكم الواقعي، فيتبدّل الحكم الواقعي إلى ما هو مؤدّي الأمانة، فإنّه حينئذٍ ليس هناك إلّا حكم واحد، هو مؤدّي الأمانة المخالفة للواقع، فلا يكون أيضاً من قبيل المتزاحمين.

نعم على المعنى الثالث للسببيّة - وهو القول بالمصلحة السلوكيّة؛ بمعنى أنّ في سلوك الأمانة والعمل بها مصلحة، لا في مؤدّاها - يصير المقام من قبيل المتزاحمين وتزاحم الحكمين، والكلام فيه هو الكلام فيه.

هذا كلّّه بحسب مقتضى القواعد.

## الأمر الثاني

### في حال أخبار العلاج

وأما الكلام في بيان ما هو مقتضى الأدلة : فقد استدلل لوجوب ترجيح ذي المزية بوجوه ضعيفة، كالإجماع وغيره، لكن العمدة هي الأخبار الواردة في المقام.

#### حول إشكالي العلامة الحائري رحمته

وقد أورد على استفادة وجوب الترجيح بالمزايا من الأخبار بأمور: مثل أن مقتضى اختلاف الروايات في المرجحات وفي تقديم أيهما، هو أن الحكم بالترجيح فيها ليس إلزامياً، فإن المذكور في المرفوعة هو الترجيح بالشهرة أولاً، ثم الأعدلية والأفقهية والأورعية، ثم موافقة الكتاب ومخالفة العامة، ثم الحائطة في الدين، ثم الإرجاء.

والمذكور في المقبولة أولاً الأعدلية والأصديقية والأفقهية، ثم الأشهرية، ولم يذكر فيها موافقة الاحتياط، فيظهر منها أن الحكم المذكور فيها ليس مبنياً على الإلزام، نظير استفادة الاستحباب من أخبار منزوحات البئر؛ لأجل الاختلاف فيها والمسامحة في بيان مقدار النزح، ونظير استفادة استحباب تقدم الرجل على المرأة في الصلاة؛ لمكان الاختلاف في الأخبار الواردة فيه، فكذا في الأخبار الواردة في الترجيح بالمرجحات، فإن بين الحكم بالأخذ بموافق الكتاب بنحو الإطلاق، كما في بعض أخبارها، وبين الحكم بالأخذ بمخالف العامة بنحو الإطلاق، كما في البعض الآخر منها، عموماً من وجه مع تعارضهما في مادة الاجتماع.



ومثل أن تقييد أخبار التخيير - مع كثرتها - بالأخبار المتضمنة على الترجيح بالمرجحات، تقييد لتلك الأخبار المطلقة الكثيرة وتخصيصها بالفرد النادر، فإنه قلماً يوجد خبران متعارضان متعادلان من جميع الجهات المرجحة؛ من حيث السند والدلالة وجهة الدلالة، خصوصاً لو قلنا بالتعدّي إلى المرجحات الغير المنصوصة، فمع دوران الأمر بين هذا التقييد المستهجن، وبين حمل الأمر بالترجيح بالمرجحات على الاستحباب، فالثاني أولى، خصوصاً مع شيوع استعمال الأمر في الندب، وغير ذلك من الإشكالات<sup>(١)</sup>.

فلابدّ من ملاحظة روايات الترجيح وتعداد المرجحات أولاً؛ ليتّضح الحال في تلك الإشكالات.

فنقول : منشأ الإشكالات عدّ المرفوعة من روايات الترجيح، وقد تقدّم أنّها في غاية الضعف؛ للإرسال والرفع في سندها، مضافاً إلى ما طعن به صاحب الحقائق في كتاب «عوالي اللآلي»<sup>(٢)</sup>، فهي ضعيفة لاتصلح للحجّة، وساقطة عن درجة الاعتبار، ولا يجدي عمل المتأخرين في انجبار ضعفها.

والمنشأ الآخر للإشكالات : هو عدّ الشهرة أو الأشهرية من المرجحات، وكذا الأحديث؛ أي صدور أحد الخبرين بعد الآخر، وسيجيء - إن شاء الله - أنّه ليس كذلك، وأنّ المرجحات منحصرة بين اثنتين، مع عدم الترتيب بينها.

والمنشأ الثالث لها : هو عدّ المقبولة من روايات الباب، مع أنّها غير مرتبطة بالمقام.

والمنشأ الرابع : هو زعم أنّ أخبار التخيير متضافرة أو متواترة، وتقدّم انحصارها في رواية ابن الجهم، أو مع رواية أخرى، ولا يلزم من الترجيح بما ثبت أنّه

١ - درر الفوائد : ٦٦٥ - ٦٦٧.

٢ - الحقائق الناضرة ١ : ٩٩.

من المرجّحات إلّا تقييد أو تقييدان، فلا بدّ من ملاحظة الروايات.

### الكلام حول المقبولة

منها : مقبولة عمر بن حنظلة، وهو وإن لم يوثقه الأصحاب، لكن خصوص هذه الرواية متلقاة بالقبول، بل تدور رحي باب القضاء مدارها، ولاريب في أنّ صدرها إلى قوله: (فإن كان كلّ واحد اختار رجلاً من أصحابنا، فرضيا أن يكون الناظرين في حقّهما) غير مرتبط بالمقام، بل هو راجع إلى باب الحكومة والقضاء، وقوله: (وكلاهما اختلفا في حديثكم) يحتمل أن يريد منه أنّه استند كلّ واحد منها إلى حديث غير ما استند إليه الآخر، كما يحتمل أن يريد اختلافهما في معنى حديث واحد، وهو الأظهر.

وقوله عليه السلام : (الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث) ظاهر - بل صريح - في إرادة الأخذ بأعدل الحكمين وأفقههما، لا أعدل راويي الحديثين اللذين كلّ واحد منهما استند إليه، ولذا قال عليه السلام بعده: (ولا يلتفت إلى ما حكم به الآخر)<sup>(١)</sup>.

ويؤيد ذلك : رواية داود بن الحصين عن أبي عبد الله عليه السلام : في رجلين اتفقا على عدلين جعلاهما بينهما في حكم وقع بينهما فيه خلاف، فرضيا بالعدلين، فاختلف العدلان بينهما، عن قول أيّهما يمضي الحكم؟ قال عليه السلام : (ينظر إلى أفقههما وأعلمهما بأحاديثنا وأورعهما، فينفذ حكمه، ولا يلتفت إلى الآخر)<sup>(٢)</sup>.

١ - يحتمل أنّ هذه الجملة قطعة من رواية عمر بن حنظلة، أسندها داود بن الحصين إلى الإمام عليه السلام، ويحتمل كونها رواية مستقلة. [المقرّر حفظه الله].

٢ - الفقيه ٣ : ٥ / ١٧، تهذيب الأحكام ٦ : ٣٠١ / ٨٤٣، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٠، كتاب

وجه التأييد : أنه لم يتمسك أحد من الفقهاء بهذه الرواية لترجيح أحد الخبرين على الآخر، وهو في محله؛ لأنهما في مقام ترجيح أحد الحكمين، لا الراويين، ولا ارتباط لها بالمقام، والمقبولة أصرح منها في ذلك.

ورواية موسى بن أكيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن رجل يكون بينه وبين أخ منازعة في حق، فيتفقان على رجلين يكونان بينهما حكما، فاختلفا فيما حكما.

قال: (وكيف يختلفان) ؟

قلت : حكم كل واحد منهما للذي اختاره الخصمان.

فقال: (ينظر إلى أعدلهما وأفقههما في دين الله، فيمضي حكمه)<sup>(١)</sup>.

وبالجملة : هذه الروايات الثلاثة مضمونها واحد، وجميعها في مقام بيان تقديم أحد الحكمين بالصفات المذكورة فيها، ولا ارتباط لها بما نحن فيه من تقديم أحد الخبرين على الآخر.

ويدل على ما ذكرنا أيضاً : خلو جميع روايات الترجيح عن هذه الصفات، إلا مرفوعة ابن أبي جمهور التي تقدّم عدم حجّيتها.

ودعوى إلغاء خصوصيّة الحكمين، فتشمل الخبرين واضحة الفساد، والظاهر أنّ المفروض في الموضوع - في قوله: فقلت : فإنهما عدلان مرضيان عند أصحابنا لا يفضل واحد منهما على صاحبه.

قال: فقال : (ينظر إلى ما كان من رواياتهما - كما في بعض النسخ - أو روايتهما - كما في آخر - وروايتهم - كما في ثالث - عنّا في ذلك الذي حكما به،

→ القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٢٠ .

١ - تهذيب الأحكام ٦ : ٣٠١ / ٨٤٤ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٨ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات

القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٤٥ .

المجمع عليه عند أصحابك، فيؤخذ به من حكمهما - كما في جميع النسخ المختلفة إلا في نقل الطبرسي، فإن فيه: (من حكمنا) بناءً على نقل المستدرک - ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك، فإن المجمع عليه لا ريب فيه - هو الموضوع الأول، لكنّه إرجاع إلى مستند الحكمين؛ أي الروايتين.

إلى أن قال: (إنما الأمور ثلاثة: أمر بين رشفه فيتبع، وأمر بين غيبه فيجتنب، وأمر مُشكل يردّ حكمه إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: حلال بين، وحرام بين، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات، وهلك من حيث لا يعلم).

قلت: فإن كان الخبران عنكم مشهورين، قد رواهما الثقات عنكم. قال: (ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة، وخالف العامة، فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة، ووافق العامة).

قلت: جعلت فداك أرأيت إن كان الفقهاء عرفاً حكمه من الكتاب والسنة، فوجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة والآخر مخالفاً لهم، بأي الخبرين يؤخذ؟ قال: (ما خالف العامة، ففيه الرشاد).

فقلت: جعلت فداك فإن وافقها الخبران جميعاً. قال عليه السلام: (ينظر إلى ما هو إليه أميل حكمهم وقضاتهم، فيترك، ويؤخذ بالآخر).

قلت: فإن وافق حكمهم الخبرين جميعاً. قال: (إذا كان ذلك فأرجه حتى تلقى إمامك، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات)<sup>(١)</sup>.

١ - الكافي ١: ٥٤ / ١٠، الفقيه ٣: ٥ / ٢، تهذيب الأحكام ٦: ٣٠١ / ٨٤٥، الاحتجاج:

٣٥٥، وسائل الشريعة ١٨: ٧٥، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ١.

والحقّ: أنّ هذه الرواية غير مرتبطة بالمقام؛ سواء قلنا: إنّ المفروض فيها صدراً وذيلاً تعارض الحكمين واختلافهما، كما هو الظاهر من الرواية، أم قلنا: إنّ ذيلها في مقام تعارض الخبرين.

أمّا بالنسبة إلى الأدلّة والأصديّة والأفقيّة فواضح؛ لما عرفت من أنّها من مرجّحات الحكمين، كما جاء في صدر الرواية المذكورة، الذي هو مورد سؤال الراوي ومحلّ حاجته، لا من مرجّحات الروايتين المتعارضتين، وكذلك بالنسبة إلى الشهرة؛ بناءً على ما استظهرناه: من أنّ الرواية ليست في مقام علاج تعارض الخبرين، وكذلك بناءً على أنّ ذيلها في مقام علاج تعارض الخبرين؛ وذلك لأنّ ترجيح أحد المتعارضين، إنّما هو فيما لو كان كلّ واحد من المتعارضين حجةً في نفسه؛ مع قطع النظر عن ابتلائه بالمعارض، وأمّا مع عدم صلاحية أحد الخبرين للحجّة كذلك، فهو خارج عن باب ترجيح أحد المتعارضين، وحينئذٍ فالحكم بالأخذ بالآخر بإحدى الجهات، إنّما هو من باب تمييز الحجّة عن اللّاحجة.

ثمّ إنّّه لا ريب في أنّ المراد بالشهرة في الرواية، هي الشهرة الفتوائية لا الروائية؛ وذلك لأنّه لو فرض نقل جميع الفقهاء والرواة لرواية، لكن لم يعمل ولم يُفْتِ أحد منهم بمضمونها، كما لو فرض نقلهم روايات كثيرة في طهارة أهل الكتاب، وروى واحد أو اثنان ما يدلّ على نجاستهم، وكان عمل الجميع - أو المشهور - على وفق هذه طبقاً عن طبق، دون الروايات الكثيرة الأولى، فلا إشكال في أنّ العمل طُبِقَ الروايات الأولى بين الغيِّ، ولا ريب في غيِّها، لأنّ فيها الريب فقط؛ وإن اشتهر نقلها، وكثر ناقلها، لكن تركهم العمل بمضمونها يكشف عن خللٍ فيها، فهي من الشاذّ، كما أنّ المجمع على الفتوى بمضمونه بين الرشد، ولا ريب فيه، وهو المطلوب.

ويؤيّد ذلك قوله طيّباً: (إنّما الأمور ثلاثة): واحد منها مأمور بالأخذ به، وهو المجمع عليه بين الأصحاب؛ أي في مقام الفتوى والعمل، والآخر مأمور بالاجتناب

عنه، وهو المقابل للمجمع عليه؛ أي الشاذ النادر في مقام الفتوى والعمل وإن كان أشهر بحسب الرواية، والثالث يُردّ حكمه إلى الله، وهو غير الشاذ النادر في مقام الفتوى؛ أي الشبهات، ككون الخبرين موافقين للكتاب، أو مخالفين للعامة، أو موافقين للعامة، فذكر الشبهات إنما هو بملاحظة ذيل الخبر.

وحينئذٍ فالخبر المخالف للمشهور بين الغي والفساد، لا يصلح في نفسه للاحتجاج به ولو مع عدم ابتلائه بالمعارض، فإن أحد الضدين أو النقيضين إذا كان بين الرشد ومما لا ريب فيه، يستلزم عقلاً أن الطرف الآخر بين الغي لا ريب في غيه، لا أنه مشتبّه، فهذه الجملة من الرواية في مقام تمييز الحجة عن اللاحجة، لا ترجيح إحدى الحجّتين على الأخرى.

وأما موافقة الكتاب والعامة ومخالفتهما: فوردت فيها روايات كثيرة نتعرّض لها - إن شاء الله - وأنها من المرجّحات، وليس مستند القول بالترجيح بها هذه الرواية، وإذا عرفت أن المقبولة لا تنهض للاستدلال بها للترجيح بالأفقهية والأعدلية والأصديقية والشهرة، وكذلك مرفوعة زرارة؛ لضعفها سنداً مع تمامية دلالتها، تعلم اندفاع الإشكالين المذكورين بحذاقيرهما؛ لابتنائهما على عدّ هاتين الروايتين من روايات الترجيح.

وعرفت أيضاً انحصار رواية التخيير في رواية الحسن بن الجهم، التي وردت في صدرها الأمر بالأخذ بموافق الكتاب، وبقرينية الصدر يكون السؤال الثاني مفروضاً في غير صورة موافقة أحد الخبرين للكتاب، وحينئذٍ لا يلزم فيها إلا تقييد واحد وهو التقييد بغير صورة مخالفة إحداهما للكتاب للروايات المستفيضة الآتية إن شاء الله. مضافاً إلى أن لسان الأخبار الآمرة بالأخذ بما يخالف العامة وترك ما يوافقهم، لسان التحكيم، كقوله عليه السلام: (فإن الرشد في خلافهم)، ومثل قوله عليه السلام في مرسلته

الكليني: (دعوا ما وافق القوم)<sup>(١)</sup>، ولا ريب في أنّ تقييد خبر ابن الجهم بها أسهل. ومضافاً إلى إبقاء بعض أخبار الترجيح عن الحمل على النذب، مثل الأمر بالاجتناب عمّا وافقهم، فإنّه لا معنى لنذبه. وحينئذٍ فلا بدّ من ملاحظة الأخبار الواردة في الترجيح بموافقة الكتاب ومخالفة العامّة، فهنا موضعان من البحث :

### الموضع الأوّل : في حال الأخبار الواردة في موافقة الكتاب ومخالفته

فنقول : لا إشكال في أنّ الكلام في ترجيح أحد الخبرين، إنّما هو فيما إذا كان كلّ واحد منهما في نفسه - مع قطع النظر عن ابتلائه بالمعارض - حجّة، فلو لم يصلح أحد الخبرين للحجّة كذلك، فهو خارج عن محلّ البحث والكلام؛ سواء كان عدم حجّيته لعدم اعتناء العقلاء به، أو لورود نصّ عليه.

والأخبار الواردة في المقام على فرقتين :

الأولى : ما لم يفرض فيها تعارض الخبرين.

الثانية : ما وردت في خصوص مورد التعارض وعلاجه بموافقة الكتاب.

أمّا الفرقة الأولى فمنها : رواية السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال رسول الله ﷺ: إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صوابٍ نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه)<sup>(٢)</sup>.

وعنوان عدم الموافقة بحسب المفهوم أعمّ من عنوان المخالفة؛ لصدق عدم

١ - الكافي ١ : ٧، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٠، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ١٩.

٢ - الكافي ١ : ٥٥ / ١، وسائل الشيعة ١٨ : ٧٨، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ١٠.

الموافقة للكتاب في صورة عدم وجود الحكم في الكتاب أيضاً، لكن المراد من عدم الموافقة هنا هو المخالفة بالضرورة، كما هو المفهوم منه عرفاً، فإن كثيراً من الأحكام الفقهية - بل أكثرها - إنما تثبت بخبر الواحد، فلو أريد ما هو ظاهر مفهومها - أي الخبر الموافق للحكم الموجود في الكتاب واعتباره فقط - لزم تعطيل أكثر الأحكام، وهو خلاف ضرورة الفقه.

ومنها: صحيحة أيوب بن الحر: قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)<sup>(١)</sup>.

ومنها: رواية هشام بن الحكم وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام: (قال خطب النبي ﷺ بمنى، فقال: أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله)<sup>(٢)</sup>.

ومنها: رسالة ابن بكير، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث، قال: (إذا جاءكم عنّا حديث، فوجدتم عليه شاهداً أو شاهدين من كتاب الله، فخذوا به، وإلا فقفوا عنده، ثم ردّوه إلينا حتّى يستبين لكم)<sup>(٣)</sup>، ولا يبعد اختصاص هذه الرواية بزمان الحضور.

وغير ذلك من الروايات المنقولة، بعضها في «المستدرک» في باب القضاء، فراجع. وقد عرفت: أنّ المخالفة بنحو العموم المطلق أو الإطلاق والتقييد، لا تعدّ مخالفة.

١ - الكافي ١ : ٥٥ / ٣، وسائل الشيعة ١٨ : ٧٩، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ١٤.

٢ - الكافي ١ : ٥٦ / ٥، وسائل الشيعة ١٨ : ٧٩، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ١٥.

٣ - الكافي ١ : ١٧٦ / ٤، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٠، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ١٨.



لثبوت المخصّصات والمقيّدات الكثيرة في أخبار الآحاد لعمومات الكتاب ومطلقاته بالضرورة من الفقه.

وأما الفرقة الثانية : فبعض ما ذكره في هذه الفرقة وعدّوه منها، ينبغي أن يُعدّ من الفرقة الأولى، فإنّ السؤال فيه وإن كان عن اختلاف الحديث، لكن الجواب فيه مطلق، مثل رواية ابن أبي يعفور: قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث، يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به.

قال: (إذا ورد عليكم حديث، فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ، وإلا فالذي جاءكم به أولى به) (١).

وتقدّم أنّ محل الكلام هو تعارض خبر ثقتين؛ كلّ واحد حجّة في نفسه، وخبر غير الثقة ليس كذلك، كما هو المفروض في السؤال.

وكرواية الطبرسي عن الحسن بن الجهم، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: تبيّنا الأحاديث عنكم مختلفة.

فقال : (ما جاءك عنّا فقس على كتاب الله عزّ وجلّ وأحاديثنا، فإن كان يُشبههُما فهو منّا، وإن لم يكن يُشبههُما فليس منّا).

قلت : يبيّنا الرجلان - وكلاهما ثقة - بمحدثين مختلفين، ولا نعلم أيهما الحقّ.

قال : (فإذا لم تعلم فموسّع عليك بأيّهما أخذت) (٢).

فإنّ تغيير الإمام عليه السلام جواب السؤال الأوّل وبيانه إلى بيان قاعدة كلّية، ظاهر في عدم فرضه عليه السلام في الجواب تعارض الخبرين اللّذين كلّ واحد منهما حجّة في نفسه.

١ - الكافي ١ : ٥٥ / ٢ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٧٨ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب

٩ ، الحديث ١١ .

٢ - الاحتجاج : ٣٥٧ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٧ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب

٩ ، الحديث ٤٠ .

ومثل رواية العياشي في تفسيره عن سدير، قال: قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليه السلام: (لا تصدق علينا إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه ﷺ) (١).  
ورواية حسن بن الجهم عن العبد الصالح، قال: (إذا جاءك الحديثان المختلفان فقسهما على كتاب الله وأحاديثنا، فإن أشبههما فهو حق، وإن لم يُشبههما فهو باطل) (٢)، فإنها في مقام تمييز الحق عن الباطل، وكذا رواية الميثمي المتقدمة، التي تقدّم أنّها غير مرتبطة بالمقام، نعم رواية عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: قال الصادق عليه السلام: (إذا ورد عليكم حديثان مختلفان، فاعرضوهما على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه، فإن لم تجدوهما في كتاب الله فاعرضوهما على أخبار العامة، فما وافق أخبارهم فذروه، وما خالف أخبارهم فخذوه) (٣)، وصحّحها الشيخ رحمه الله ولكن لم يثبت ذلك لنا، ولكنها هي العُمدة من هذه الفرقة.

### التوفيق بين الأخبار

ثمّ وقع الكلام في الجمع بين الفرقتين من الأخبار :  
فذهب بعض إلى حمل الفرقة الأولى على المخالفة بنحو التباين الكلي،  
وأما الاختلاف بنحو العموم من وجه، فاللّازم هو إعمال قواعد التعارض بين الكتاب وبين هذا الخبر.

١ - تفسير العياشي ١ : ٩ / ٦ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٩ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٤٧ .

٢ - تفسير العياشي ١ : ٩ / ٧ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٩ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٤٨ .

٣ - بحار الأنوار ٢ : ٢٣٥ / ١٧ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٤ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٢٩ .

وحمل الفرقة الثانية على المخالفة والموافقة بنحو العموم من وجه، وأمّا الموافقة والمخالفة بنحو العموم المطلق فهي ليست من المرجّحات؛ لعدم المعارضة بين العام والخاص المطلقين.

ولكن لا شاهد لهذا الجمع بين الروايات المتقدمة.  
وربّما يقال : إنّ جميع تلك الروايات - من الفرقة الأولى والثانية - محمولة على المخالفة للكتاب بنحو التباين، لا العموم من وجه والمطلق، وإنّها في مقام تمييز الحجّة عن اللاّحجّة، لا ترجيح إحدى الحجّتين على الأخرى؛ لظهور سياق جميعها في إفادة مطلب واحد، ولا شاهد في واحدة منها على أنّها في مقام ترجيح أحد الخبرين المتعارضين على الآخر؛ بمخالفة أحدهما الكتاب بنحو العموم من وجه.

### تحقيق المقام

والتحقيق أن يقال : إنّ عنوان المخالفة عنوان ومفهوم عامّ يعمّ جميع أنحاءها، مع قطع النظر عن القرائن الخارجيّة، وكذلك عنوان الموافقة؛ ضرورة ثبوت التناقض بين الموجبة الكليّة والسالبة الجزئيّة وبالعكس، مع أنّ المخالفة بينهما في بعض المضمون لا تمامه، فلو قامت قرينة خارجيّة على خروج بعض أنحاء المخالفات فهي المتّبعة، كما في الخبرين المتعارضين بنحو العموم المطلق، وكذلك الخبر المخالف للكتاب كذلك في غير صورة ابتلائه بخبر معارض آخر، فإنّ الجمع العرفي العقلانيّ بينهما، قرينة على عدم إرادة المخالف للكتاب بنحو العموم المطلق من الفرقة الأولى؛ لاستقرار عمل الأصحاب - وسيرتهم المستمرة في الفقه - على العمل بالخبر المخالف للكتاب بنحو العموم المطلق، وثبوت مقبّلات ومخصّصات كثيرة لعمومات الكتاب وإطلاقاته في أخبار الآحاد، فهذا دليل قطعيّ على عدم إرادة المخالفة - بنحو العموم المطلق - للكتاب من الروايات الواردة في الفرقة الأولى.

وأما الفرقة الثانية فلم تقم فيها هذه القرينة العقلية والدليل، فتعمّ المخالفة المذكورة فيها جميع أنحاء المخالفة، حتّى بنحو العموم المطلق، وليس بناء العقلاء على العمل بالخبر الأخصّ من الكتاب مع ابتلائه بالمعارض، فلو تعارض خبران؛ أحدهما يخالف للكتاب بنحو العموم المطلق؛ أي كان أحد الخبرين أخصّ منه، فإنّه يرجّح الخبر الآخر الموافق لعموم الكتاب بذلك.

وبالجملة: لا مخالفة بين الفرقتين من الأخبار المتقدمة؛ لأنّ الفرقة الأولى محمولة على غير صورة المخالفة بنحو العموم المطلق بين الكتاب والخبر؛ للقرينة القطعية على ذلك كما عرفت، بخلاف الفرقة الثانية الواردة في بيان علاج الخبرين المتعارضين، كصدور رواية عبد الرحمن بن أبي عبد الله، فإنّه لا دليل على حمله على غير صورة المخالفة بنحو العموم المطلق، بل يبقى على إطلاقه الشامل لجميع أنحاء المخالفة، نعم مخالفة أحد الخبرين المتعارضين بنحو التباين، إنّما هي من باب تمييز الحجة عن اللاحجة، لا ترجيح إحدى الحجّتين على الأخرى.

ومن هنا يظهر: عدم اتحاد السياق في الفرقتين المذكورتين؛ لاختلاف الموضوع فيها، وأنّ موضوع الحكم في الفرقة الثانية تعارض الخبرين، بخلاف الفرقة الأولى، فلا وجه لرفع اليد عن إطلاق مصحّحة عبد الرحمن بن أبي عبد الله.

### مرجعية موافقة الكتاب والثمرة بين المرجعية والمرجعية

وتوهم: أنّ الترجيح بموافقة الكتاب غير مفيد، فإنّ عموم الكتاب أو إطلاقه هو المرجع بعد تساقط الخبرين وعدم الترجيح أيضاً.

مدفوع: بظهور الثمرة في بعض الموارد ممّا سيبيح، مضافاً إلى ظهور الرواية في أنّ الكتاب مرجّح، لا مرجع؛ للأمر بالأخذ بالخبر الموافق للكتاب، لا بالكتاب بعد تساقط الخبرين، كما لو ورد: «إن ظاهرت فأعتق رقبة مؤمنة»، وورد أيضاً: «إن

ظاهرت بحرم عليك عتق المؤمنة»، وفرض أن الخبر الأول موافق لعموم الكتاب أو إطلاقه، مثل «إن ظاهرت فأعتق رقبة»، فإن مقتضى عموم الكتاب أو إطلاقه جواز عتق الكافرة، ومقتضى الخبر الأول عدم جوازه؛ بناءً على القول بالمفهوم، أو استفادة وحدة المطلوب من السبب الواحد، وحيث إنه لا معارض له من هذه الجهة يخصص عموم الكتاب به، ويرجح على الآخر الدال على حرمة عتق المؤمنة بموافقة الكتاب، وتصير النتيجة وجوب عتق المؤمنة بخلاف ما لو جعلنا الكتاب مرجعاً بعد تساقط الخبرين، فإن مقتضاه جواز عتق الكافرة أيضاً.

وكذلك تظهر الثمرة فيما لو اشتمل الخبر الموافق للكتاب على حكم آخر، سوى الحكم الذي يتعارض هو مع الخبر الآخر فيه، فإن قلنا: إن الكتاب مرجح يؤخذ هذا الخبر مع ما يتضمنه من الحكم الآخر، بخلاف ما لو جعل الكتاب مرجعاً بعد تساقط الخبرين، فإنه يطرح هذا الخبر مع الحكم الآخر الذي يتضمنه.

وتظهر الثمرة أيضاً فيما لو كان التعارض بين الخبرين بنحو العموم من وجه؛ بناءً على عدم التفكيك بين مضامين خبر واحد، فإنه بناءً على أن الكتاب مرجع، يسقط الخبر الموافق أيضاً - بتمام مضمونه في مادتي الاجتماع والافتراق - مع الخبر الآخر جميعاً، ويرجع إلى الكتاب، بخلاف ما لو قلنا: إنه مرجح، فإنه يؤخذ بالخبر الموافق في تمام مضمونه.

## الموضع الثاني

### في حال الأخبار الواردة في مخالفة العامة

وأما الأخبار الواردة في الترجيح بمخالفة العامة: فهي أيضاً على طائفتين:  
الأولى: ما لم يفرض فيها تعارض الخبرين.

الثانية: ما وردت في خصوص الخبرين المتعارضين، وهي - أي الطائفة الثانية - كثيرة، فلا يضرّها ضعف سند بعضها أو كلّها، مضافاً إلى انجباره بعمل الأصحاب بها قديماً وحديثاً، والسيرة المستمرة القطعية على الترجيح بها:

أما الطائفة الثانية فمنها: ذيل مصحّحة عبد الرحمن المتقدمة: قال عليه السلام فيها بعد ذكر الترجيح بموافقة الكتاب: (فإن لم تجدوهما في كتاب الله فاعرضوهما على أخبار العامة، فما وافق أخبارهم فذروه، وما خالف أخبارهم فخذوه).

ومنها: رواية الحسن بن السري - وفي «الوسائل» الحسين بن السري، والصحيح ما ذكرنا - قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم)<sup>(١)</sup>.

ومنها: رواية الحسن بن الجهم، قال: قلت للعبد الصالح عليه السلام: هل يسعنا فيما ورد علينا منكم إلا التسليم لكم؟

فقال: (لا والله، لا يسعكم إلا التسليم لنا).

فقلت: فيروي عن أبي عبد الله عليه السلام شيء، ويروي عنه خلافة، فبأيّهما نأخذ؟

١ - بحار الأنوار ٢: ٢٣٥ / ٢٠، وسائل الشيعة ١٨: ٨٥، كتاب القضاء، أبواب صفات

القاضي، الباب ٩، الحديث ٣٠.

فقال : ( خذ بما خالف القوم، وما وافق القوم فاجتنبه )<sup>(١)</sup>.  
ومنها : ما رواه الطبرسي عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قلت : يرد علينا حديثان: واحد يأمرنا بالأخذ به، والآخر ينهانا عنه.  
قال : ( لا تعمل بواحد منهما حتى تلقى صاحبك فتسأله ).  
قلت : لا بد أن نعمل بواحد منها.  
قال : ( خذ بما فيه خلاف العامة )<sup>(٢)</sup>.  
ومنها : ذيل مقبولة عمر بن حنظلة المتقدمة؛ على تقدير أنه وارد في الخبرين المتعارضين، فلا إشكال في المقام.  
وأما الفرقة الأولى من الأخبار : فنها رواية علي بن أسباط، قال: قلت للرضا عليه السلام : يحدث الأمر لا أجد بداً من معرفته، وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك.  
قال: فقال: ( إئت فقيه البلد فاستفته من أمرك، فإذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه، فإن الحق فيه )<sup>(٣)</sup>.  
وهذه الرواية - كما ترى - لا ارتباط لها بباب المتعارضين، ولا فيما ورد خبر عن ثقة، بل المفروض فيها أنه أثبت بمسألة لم يجد من يسأله عنها، فجعل عليه السلام له هذا الطريق الظاهري عند الاضطرار.

- 
- ١ - بحار الأنوار ٢ : ٢٣٥ / ١٨ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٥ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٣١ .
  - ٢ - الاختجاج : ٣٥٧ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٨ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٤٢ .
  - ٣ - عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٧٥ / ١٠ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٣ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٢٣ .

ومن الواضح أنه لا يُراد من هذه الرواية - ومما سيحيى - ردّ كلّ خبر موافق لهم مع صحّة الخبر من جميع الجهات، فإنّه خلاف ضرورة الفقه. ومنها: رواية أبي إسحاق الأرجاني رفعه، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: (أندري لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامة)؟

فقلت: لا أدري.

فقال عليه السلام: (إنّ عليّاً عليه السلام لم يكن يدين الله بدين إلّا خالف عليه الأمة إلى غيره؛ إرادةً لإبطال أمره، وكانوا يسألون أمير المؤمنين عليه السلام عن الشيء الذي لا يعلمونه، فإذا أفتاهم جعلوا له ضدّاً من عندهم؛ ليلبسوا على الناس)<sup>(١)</sup>. وهذه الرواية في مقام بيان السرّ والعلة لهذا الحكم، وبما أنّ أيّ مورد لابدّ من الأخذ به فلا تعرّض له فيها.

ومنها: رواية عبيد بن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: (ما سمعته منّي يُشبه قول الناس فيه التقيّة، وما سمعت منّي لا يُشبه قول الناس فلا تقيّة فيه)<sup>(٢)</sup>. وهي أيضاً غير مرتبطة بالمقام، فإنّ بعض الأخبار ممّا فيه إشعار بصدورها تقيّة، مثل الروايات المتضمّنة على الحكم بالتعصّب وحرمة المتعة، ونحو ذلك من الفروع والأصول، فلا تدلّ على النهي عن الأخذ بكلّ خبر موافق لهم بنحو الإطلاق. ومنها: رواية حسين بن خالد عن الرضاء عليه السلام، قال: (شيعتنا المسلمون لأمرنا، الآخذون بقولنا، المخالفون لأعدائنا، فمن لم يكن كذلك فليس منّا)<sup>(٣)</sup>.

١ - علل الشرائع: ٥٣١ / ١، وسائل الشيعة ١٨: ٨٣، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ٢٤.

٢ - تهذيب الأحكام ٨: ٩٨ / ٣٣٠، وسائل الشيعة ١٨: ٨٨، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ٤٦.

٣ - صفات الشيعة: ٣ / ٢، وسائل الشيعة ١٨: ٨٥، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ٢٥.



فتلخص من جميع ما ذكرناه : أن المرجح في تعارض الخبرين ينحصر في أمرين: أحدهما موافقة الكتاب، الثاني مخالفة العامة.

وذكر عليه السلام في مصححة عبد الرحمن بن أبي عبد الله: أولاً الترجيح بموافقة الكتاب، ومع عدم وجوده فيه فالعرض على أخبار العامة، فتدل على الترتيب بينهما، وهي حاكمة على جميع الإطلاقات الواردة فيها، وينحل بها الإشكال المتقدم عن شيخنا الحائري رحمته من تعارض إطلاقي هاتين الفرقتين من الروايات.

وقد تقدم : أن خبر التخيير منحصر في خبر ابن الجهم، وهو بقريته ذكر الترجيح بموافقة الكتاب أولاً ثم الحكم بالتخيير، يدل على أن مورد التخيير هو غير صورة موافقة أحد الخبرين للكتاب، فلا يلزم فيه حينئذ إلا تقييد واحد، وهو تقييد الحكم بالتخيير بغير صورة مخالفة أحدهما للعامة وموافقة الآخر لهم.

نعم ذكر في ذيل المقبولة - بعد ذكر موافقة الكتاب وموافقة العامة - مرجحاً آخر، وهو ما كان حكاهم إليه أميل؛ بناءً على أن ذيلها وارد في الخبرين المتعارضين، فهو مرجح ثالث، فيقيّد به الحكم بالتخيير أيضاً، ولكن تقدم الإشكال في ارتباط ذيل المقبولة بالمتعارضين.

وورد في بعض الأخبار الأمر بالأخذ بأحدهما ونحو ذلك، لكن الظاهر أنه وأمثاله أيضاً غير مرتبط بباب المتعارضين والمرجحات في زمان الغيبة، بل هو إشارة إلى أنه قد يصدر منهم عليهم السلام ما ليس حكماً واقعياً، بل صدر تقيّة أو لاقتضاء بعض المصالح ذلك، ويؤيده: أن في بعضها قوله عليه السلام: (أبى الله إلا أن يعبد سرّاً)<sup>(١)</sup>، أو (التقيّة من ديننا)<sup>(٢)</sup>.

١ - الكافي ٢ : ١٧٣ / ٧ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٠ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ،

الباب ٩ ، الحديث ١٧ .

٢ - الكافي ٢ : ١٧٤ / ١٢ ، وسائل الشيعة ١١ : ٤٦٠ ، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر ، أبواب الأمر والنهي وما يناسبه ، الباب ٢٤ ، الحديث ٣ .

## الأمر الثالث

### هل يتعدّى من المرجّح المنصوص إلى غيره أم لا ؟

وإنما الكلام والإشكال في أنّه : هل يُتعدّى عن المرجّحات المنصوصة إلى كلّ مزية توجب أقربيّة أحد الخبرين ظناً إلى الواقع، أو أنّه يجب الاقتصار على المرجّحات المنصوصة والجمود عليها؟

ومن المعلوم أنّه على القول بالتعدّي يبقى بعض الإشكالات المتقدمة على حاله، مثل لزوم حمل أخبار التخيير على 'مورد نادر، فإنّ التخلّص عنه - كما تقدّم - مبنيّ على انحصار المرجّح في أمرين، فمع التعدّي فالمرجّحات كثيرة جدّاً، كالأعدليّة والأصديقيّة والأورعيّة... إلى غير ذلك، فيتوجّه الإشكال المذكور حينئذٍ، فلا بدّ من حمل أخبار الترجيح على الاستحباب.

وعلى أيّ تقدير، قال الشيخ الأعظم رحمته في المقام ما حاصله: إنّ التأمّل الصادق في أخبار التخيير، يقتضي كون التخيير في موردٍ لا يوجد فيه مرجّح أصلاً، وكذلك تدقيق النظر في أخبار الترجيح، يقتضي أنّ المراد هو الترجيحُ بكلّ ما يوجب أرجحية أحد الخبرين إلى الواقع<sup>(١)</sup>، ولم يذكره رحمته بيان تلك الاستفادة من أخبار التخيير وذكر الثاني - أي تدقيق للنظر - وجوهاً نتعرّض لها إن شاء الله تعالى.

أمّا أخبار التخيير فالذي يمكن الاستفادة ذلك - أي التعدّي إلى المرجّحات الغير المنصوصة - منه، مرفوعة زرارة، فإنّه ذكر فيها أولاً الترجيح بالشهرة والأعدليّة

والأصديّة وغيرها، حتى الحائطة في الدين، وحكم <sup>عائلاً</sup> في آخرها بالتخير، فيستفاد منها: أنّ الحكم بالتخير، إنّما هو فيما لم يوجد في أحد الخبرين المتعارضين، مزيّة توجب أقربيته إلى الواقع أصلاً.

ولكن تقدّم: أنّ هذه المرفوعة لاتصلح للحجّة، وأنّها ضعيفة جداً، وأمّا غيرها من روايات التخير فلا إشعار فيها بما ذكره <sup>هــ</sup>.

نعم لو قلنا بعدم الإطلاق اللفظي في أخبار التخير وأنّها مهملة، أو قلنا: إنّ المستند للتخير هو الإجماع المدّعى عليه والشهرة، لا الأخبار، فلما ذكره <sup>هــ</sup> من التعدي وجه؛ لأنّ القدر المتيقّن من موارد التخير، هو ما لم يوجد فيه مزيّة أصلاً، وتقدّم أنّ مقتضى القاعدة العقلية في مسألة دوران الأمر بين التعيين والتخير هو التعيين.

وهذا بخلاف ما لو كان المستند له - أي التخير - هو الأخبار، وقلنا إنّها مطلقة، فإنّ إطلاقها شامل لجميع موارد المتعارضين إلّا ما قام الدليل المعتبر على التقييد.

الوجه التي استدللّ بها الشيخ <sup>هــ</sup> على التعدي من المنصوص ونقدها

ثمّ إنّ المهمّ بيان ما ذكره الشيخ <sup>هــ</sup> من الوجوه التي ذكرها للتعدي، واستفادة ذلك من أخبار الترجيح:

أمّا الوجه الأوّل: فحاصله بتقرير منّا: أنّ اعتبار الترجيح بالأصديّة في المقبولة، والأوثقيّة في المرفوعة، ليس إلّا لأنّ خبر الأصدق والأوثق أقرب إلى الواقع؛ من حيث هو أقرب من غير مدخليّة لخصوصيّة سبب الأقربيّة، وليست الأصديّة والأوثقيّة كالأعدليّة والأفقيّة، اللتين يحتمل فيهما اعتبار الأقربيّة الحاصلة من سبب خاصّ، بخلاف الأصديّة والأوثقيّة، فإنّ الظاهر أنّ الملاك هو الأقربيّة إلى الواقع،

ولهذا يُتعدّى عنها إلى سائر صفات الراوي الموجبة لها، كالأحفظيّة والأضبطيّة، وحينئذٍ فيُتعدّى من صفات الراوي إلى صفات الرواية، الموجبة لأقربيّة الرواية إلى الواقع، كالخبر المنقول باللفظ الصادر من الإمام بالنسبة إلى المنقول بالمعنى، فإنّ الأوّل أقرب إلى الواقع.

ويؤيّد ذلك: أنّ الراوي بعد بيان الإمام عليه السلام الترجيح بمجموع الصفات، لم يسأل عن صورة وجود بعضها دون بعض وتخالفها في الخبرين، وإنّما سأل عن صورة تساوي الخبرين من حيث الصفات المذكورة، حتّى أنّه قال: (لا يفضل أحدهما على صاحبه بمزيّة من المزايا)، وليس ذلك إلّا لأجل أنّه فهم: أنّ كلّ واحدة من هذه الصفات وما يشبهها، مزيّة مستقلّة موجبة لأقربيّة الخبر إلى الواقع، وإلّا لم يكن وقع لهذا السؤال، بل كان المناسب أن يسأل عن حكم صورة عدم اجتماع هذه الصفات<sup>(١)</sup>. أضف إلى ذلك: أنّ الأعدليّة والأفقيّة أيضاً كذلك، فإنّ الظاهر أنّ الترجيح بهما أيضاً بمنّاط الأقربيّة إلى الواقع، فإنّ الأعدل لقوّة ورعه، والأفقه لقوّة فقهه، يهتّمان بنقل الحديث، ومراعاة صحّة النقل، والمواظبة عليه، وعدم النقل بالمعنى؛ خوفاً من تغيير المعنى واختلافه، بخلاف غير الأعدل، وكذلك الأفقه بمذاق الأئمّة عليهم السلام، فإنّه أزيد بصيرة وخبرة في تلقّي الحديث ونقله، وبملاحظة جودة فهمه وفقهه يكون خبره أقرب إلى الواقع.

وبالجملة: يستفاد من اعتبارهما عرفاً أنّ المناط هو أقربيّة الخبر إلى الواقع في الترجيح، وأنّ تمام حيثيّة الترجيح هو ملاك مطلق الأقربيّة، لا الحاصلة من سبب خاصّ.

أقول: فيه أولاً: أنّ ما ذكره فقيه تأييداً لما هو بصددّه، فهو على خلافه أدلّ، فإنّ

ظاهر الرواية أنّ هذه الصفات مرجّحة واحدة؛ حيث عطف كلّ واحدة منها على الأخرى بـ «الواو»، لا بـ «أو»، وظاهره عدم استقلال كلّ واحدة منها في الترجيح، إلّا أن يجعل «الواو» بمعنى «أو»، وهو خلاف الظاهر، ولم يفهم الراوي أيضاً منها إلّا ذلك، فلولا فهمه أنّ مجموعها مرجّح واحد، وأنّ كلّ واحد منها جزء السبب الموضوع للترجيح، لم يكن للسؤال المذكور فيها وقع، بل كان المناسب السؤال عن اختلاف الراويين في تلك الصفات؛ بأن يكون أحدهما عدل، والآخر أصدق، فعدم سؤاله عن ذلك يكشف عن أنّه لم يفهم من الجواب استقلال كلّ واحدة منها في الترجيح.

وثانياً؛ ما أفاده - من أنّ اعتبار الأصدقيّة ونحوها إنّما هو من جهة الأقربيّة إلى الواقع - فهو مجرد دعوى لا دليل عليها، ولا أظنّ أن يعتمد هوّة على هذه الاعتبارات، ولم يكن دأبه في الفقه على الاتكاء على هذه الأمور الاعتباريّة العقلية، خصوصاً بناءً على ما ذكره في من التفكيك بين الأصدقيّة والأوثقيّة وبين الأعدليّة والأفقيّة، وأنّ الترجيح بالأولتين بلاك الأقربيّة، بخلاف الأخيرتين؛ لأنّه - بناءً على احتمال الخصوصية في الأخيرتين - لا وجه للتعدّي.

نعم بناءً على ما ذكرناه في تقريب هذا الوجه - من أنّ جميع هذه الأوصاف إنّما جعلت مرجّحة بمنأى واحد جامع بينهما، وهو الأقربيّة فقط - فله وجه، بخلاف ما ذكره من التفكيك بين الأوصاف المذكورة، فلعلّ أصل الحكم بالتعدّي كان ثابتاً عنده؛ للإجماعات المدّعاة فيه والشهرة، وأيّده بما ذكره في هذا الوجه، وإلّا فهو ممّا لا يصلح للاعتداد عليه والتمسك به لذلك.

وثالثاً؛ قد عرفت أنّ المقبولة - خصوصاً صدرها المشتمل على تلك الصفات - إنّما هي في الحكمين فالتعدّي عنها إلى صفات الراوي، ومن صفات الراوي إلى صفات الرواية في غاية البعد.

الوجه الثاني ما حاصله : أنّ تعليقه على المقبولة - بأنّ المجمع عليه لاريب

فيه - لايراد منه عدم الريب حقيقة، وإلا لم يمكن فرض الخبرين مشهورين، كما في المقبولة، ولا الرجوع إلى صفات الراوي قبل ملاحظة الشهرة، فإن صفات الراوي من المرجحات الظنّية، فلو أريد من عدم الريب - في المجمع عليه - معناه الحقيقي - بمعنى أنّه قطعيّ - لزم تقديم القطعي على الظنيّ، بل المراد من عدم الريب عدمه بالإضافة إلى الشاذّ، فحاصل التعليل حينئذٍ: وجوب الترجيح بكلّ ما يوجب الأقربيّة إلى الواقع، وأضعفيّة احتمال مخالفته له<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً ما تقدّم: من أنّ المراد من الشهرة في المقبولة هي الشهرة الفتوائية، وأنّ عدم الريب فيها بمعناه الحقيقي، وأنّه بين الرشد، والطرف المقابل الشاذّ بين الغي؛ بقرينة جعل الأمور ثلاثة، وما أفاده: من أنّه لو أريد من عدم الريب معناه الحقيقي، كان اللازم تقديم الشهرة على الصفات، لا العكس، كما في المقبولة.

فيه: أنّ وجه التقديم: لعلّه لأجل أنّ المفروض فيها ترجيح أحد الحكّمين؛ لأجل عدم اعتبار حكم غير الأفقه والأصدق والأورع مع وجود الأفقه والأصدق والأورع، نظير عدم نفوذ حكم الفاسق.

والحاصل: أنّه لو قلنا بعدم نفوذ حكم من لم تجتمع فيه هذه الصفات مع وجود من اجتمعت جميعها فيه، لزم الترجيح بهذه الصفات أولاً، ومعه لاتصل النوبة إلى حكمها. ويؤيّد قوله عليه السلام: (ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر)، فمع فرض أنّ معنى «لاريب» عدم الريب حقيقة، فمقتضى القاعدة تقديم الترجيح بالصفات المذكورة على الشهرة المفيدة للقطع أيضاً؛ لأنّ حكم الحاكم له دخل في رفع الخصومة، حتّى أنّه اشترط بعضهم أن يقول: «حكمت» ونحوه، فيعتبر اجتماع هذه الصفات، وأمّا فرض الراوي؛ والسؤال عن حكم كونها مشهورين، فليس المراد من الشهرة هذه المجمع

عليه، بل مراده أن واحداً من الخبرين ليس شاذاً.

الوجه الثالث : تعليلهم عليهم السلام لترجيح الخبر المخالف للعامة - بأن الرشد والحق في خلافهم، وأنّ فيما وافقهم التقيّة - فإنّ هذه قضايا غالبية لا دائميّة، فيدلّ بحكم التعليل على وجوب الترجيح بكلّ ما عليه أمارّة الحق، وترك ما فيه مظنة خلاف الحق والصواب.

بل الإنصاف : أنّ مقتضى هذا التعليل كسابقه، وجوب الترجيح بما هو أبعد عن الباطل من الآخر؛ وإن لم تكن فيه أمارّة المطابقة للواقع، فلو فرض أنّ أحد الخبرين منقول باللفظ، والآخر منقول بالمعنى، وجب الأخذ بالأوّل وترجيحه؛ لعدم احتمال الخطأ في النقل فيه<sup>(١)</sup>.

وفيه ما تقدّم : من أنّ هذا التعليل المذكور في رواية علي بن أسباط الغير المرتبطة باب التعارض، وتقدّم أيضاً؛ أنّه لا يمكن الأخذ بعموم التعليل فيها، بل ما ذكره عليه السلام - في الفرض الذي ذكره السائل - حكم ظاهري، يختصّ بحال الاضطرار؛ وعدم وجود من يسأله من أهل دينه عن حكم الواقعة.

نعم في ذيل المقبولة : (ما خالف العامة ففيه الرشاد)، ولكن لم يذكر ذلك في مقام التعليل، وعلى فرض استفادة التعليل منه، كما في مرسلة الكليني عليه السلام وتسليم أنّها وردت في المتعارضين من الأخبار، لم يعلم أنّ النكتة والسّرّ في كون الرشد في خلافهم، ماذا.

نعم يحتمل أنّ السّرّ فيه : إصابة الخبر - المخالف لهم - غالباً للواقع، وعدم موافقة الموافق له، لكنّه مجرد احتمال، فلا يستفاد منه الترجيح بكلّ ما يوجب أقربيّة إلى الحق كالأفصحيّة مثلاً.

وبالجملة : سلّمنا أنّ الإصابة في المورد غالبية لا دائمية؛ لأنّ هذا التعبير إنّما يصحّ فيما لو كان عدم الإصابة نادراً؛ لا يعتني به العقلاء، فيطلق عليه: أنّه الحقّ وفيه الرشاد مجازاً بادّعاءٍ وتأويل، لكن هذا المجاز إنّما يصحّ إذا ندر الخلاف غاية النُدرة، وإلاّ فلا.

الوجه الرابع : أنّ قوله عليه السلام : (دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك) يدلّ على أنّه لو دار الأمر بين أمرين: في أحدهما ريب، ليس في الآخر ذلك الريب، وجب الأخذ به، وليس المراد نفي مطلق الريب، بل بالإضافة إلى الآخر<sup>(١)</sup>.

توضيحه : أنّه لو ورد خبران متنافيان أحدهما ممّا لا ريب في كذبه، فإنّه لا يعقل حينئذٍ وجود الريب في الآخر، بل لا ريب في صدقه، فجعل عدم الريب في مقابل الريب، يُعلم منه أنّه ليس المراد ممّا لا ريب فيه معناه الحقيقي، بل بالإضافة إلى الآخر، فيدلّ على أنّه كلّما دار الأمر بين أمرين - أحدهما بالإضافة إلى الآخر ممّا لا ريب فيه - يجب الأخذ به، ففيما نحن فيه الخبر المرجوح فيه ريب ليس في الآخر ذلك الريب، فوجب الأخذ بالثاني، وهو المطلوب.

وفيه : أنّ هذا التعبير وقع في روايتين ضعيفتين:

إحداهما : مرسلّة الشهيد في «الذكرى»، وهي قوله عليه السلام : (دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك)<sup>(٢)</sup>.

وثانيتها : رواية «كنز الفوائد» للكراجكي قوله عليه السلام : (دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك، فإنّك لن تجد فقد شيء تركته لله عزّ وجلّ)<sup>(٣)</sup>.

١ - فرائد الأصول : ٤٥١ سطر ٥ .

٢ - ذكرى الشيعة : ١٣٨ سطر ١٦ ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٢٧ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ١٢ ، الحديث ٥٦ .

٣ - كنز الفوائد ١ : ٣٥١ ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٢٤ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ،



وهما لا تصلحان للاعتداد عليهما، مضافاً إلى أنّه لا يظهر منها أنّها وردتا في الخبرين المتعارضين، بل لم يثبت ورودهما في مورد الأخبار أصلاً، فمن المحتمل قريباً أنّ المراد من (ما لا يُريبك) هي الشبهة التحريميّة البدويّة، والمقصود الأمر بالاجتناب عن الشبهات والأخذ بما لا ريب في إباحته، وأنّه لو فعل ذلك لله تعالى يُتاب عليه، كما يظهر من الثانية.

فتلخّص : أنّ المرجّح منحصر في موافقة الكتاب ومخالفة العامّة، لكن هذا مبنيّ على أنّ المستند في الحكم بالتخيير هو الأخبار، وتقدّم انحصارها في مرسلّة الطبرسي عن الحسن بن الجهم، فإن قلنا بانحياز ضعف سندها بعمل الأصحاب فهو، وإلاّ فلا ينحصر المرجّح بموافقة الكتاب وموافقة العامّة.

والإنصاف : إنّ إثبات أنّ المستند لحكم الأصحاب بالتخيير في المتعارضين هو الأخبار مشكل، فإنّهم لم يذكروها - أي المرسلّة - في كتبهم إلّا الكليني. مضافاً إلى أنّه يمكن أن يقال : إنّ الشهرة المذكورة إنّما هي بين المتأخّرين، فلا تصلح لانحياز سند المرسلّة بها، مع أنّه لو فرض استناد الأصحاب واعتمادهم في الحكم بالتخيير على الأخبار، فهي لا تدلّ على وجوب الأخذ بأحدهما، بل تدلّ على أنّه موشّع على المكلف الأخذ بأحدهما، وهو لا يدلّ إلّا على الجواز.

ودعوى مساوقة الجواز فيه للوجوب ممنوعة.

أضف إلى ذلك إشكالاً آخر: وهو أنّه ادّعى الإجماع في المقام على الترجيح بجميع المرجّحات، فلو ثبت وجوب الترجيح بكلّ مزية بهذه الدعوى ودعوى الشهرة عليه، مع الوجوه التي ذكرها الشيخ رحمته، بعد الإجماع على عدم سقوط المتعارضين، بل ضرورة الفقه، يقع الوهن في أخبار التخيير؛ للزوم اختصاصها حينئذٍ

بموارد نادرة، فيمكن أن يقال: إنّ مستند الأصحاب في وجوب الترجيح بكلّ مزية هو حكم العقل - كما هو كذلك - في كلّ مورد دار الأمر فيه بين التعيين والتخير، وقيام الإجماع على التخير بعد فقد جميع المرجّحات.

وحينئذٍ فالنتيجة هو ما اختاره الشيخ من وجوب الترجيح بكلّ مزية، لكن لا لما ذكره عليه السلام، بل لما ذكرنا، ولا ريب أنّه أحوط.

### خاتمة : في احتمالات موافقة الكتاب ومخالفة العامة

ثمّ إنّ في المقام احتمالات بحسب مقام التصرّو :

الأوّل : أنّها من المرجّحات السنديّة.

الثاني : أنّها من المرجّحات الجهتيّة.

الثالث : أن تختصّ موافقة الكتاب بالمرجّحات السنديّة، ومخالفة العامة بالجهتيّة.

الرابع : عدم اختصاص واحدة منها بهذه ولا بتلك، بل تصلح كلّ واحدة منها لكلّ واحدة منها؛ لأنّه إن كان السرّ الحكم بالترجيح بهما؛ هو عدم صدور بعض الأخبار منهم عليهم السلام، ودسّ المنافقين له في أخبارهم عليهم السلام وأنّ الأمر بالأخذ بموافق الكتاب ومخالف العامة أمّا هو لأجل ذلك، فهما من المرجّحات الصدوريّة.

وإن كان السرّ فيه صدور بعض الروايات منهم تقيّة واحتشاماً وخوفاً من بعض الخلفاء، فهما من المرجّحات الجهتيّة، كالمسح على الحفّين ونحوه، فإنّ الرواية المخالفة للكتاب صادرة منهم حينئذٍ، لكن لا لبيان الحكم الواقعي، بل تقيّة.

وإن كانت العلّة هما معاً - أي صدور بعض الأخبار تقيّة ودسّ المنافقين لبعضها الآخر - فلا تختصّ واحدة منها بواحد منها، بل يمتثل كلّ واحدة منها لكلّ واحد منها، فيمكن أن يقال: إنّ الأمر بطرح المخالف للكتاب أو موافق العامة بسبب

كلّ واحدة من الجهتين أو معاً.

وكذلك الشهرة لو قلنا بأنّها من المرجّحات أيضاً، أو سائر المرجّحات مثل الأصدقية والأوثقيّة وغيرهما، فإنّ هذه الاحتمالات آتية فيها أيضاً، فإنّهم عليهم السلام ربّما كانوا يبيّنون الأحكام الواقعية للأعدل والأوثق والأصدق؛ لكمال وثوقهم واطمئنانهم عليهم السلام بهم في عدم إبرازهم وإظهارهم لها للمنافقين وعدم إشاعتها، بخلاف غير الأوثق والأعدل ونحوهما.

وبالجملة : كلّ مرجّح يمكن أن يرجع إلى الصدور أو إلى جهة الصدور أو لهما معاً.

هذا بحسب مقام التصدّر والثبوت.

وأما بحسب مقام الإثبات والاستظهار، فلا يبعد دعوى ظهور الأخبار في أنّ موافقة الكتاب من مرجّحات الصدور - كروايي الحسن بن الجهم المتقدمين - لقوله عليه السلام : (فإنّ أشبههما فهو متّاً، وإن لم يُشبههُما فليس متّاً)، فإنّه ظاهر في عدم صدور المخالف للكتاب عنهم أصلاً، لا أنّه صدر منهم تقيّة.

كما أنّ روايات الترجيح بمخالفة العامّة وترك ما يوافقهم، ليس فيها - في نفسها - إشعار بأنّها من مرجّحات الصدور، أو من مرجّحات جهة الصدور، نعم يمكن أن يقال: بدلالة بعض الأخبار على أنّها من مرجّحات الصدور، وهي الدالّة على أنّ المنافقين دسّوا في أخبارهم عليهم السلام أخباراً مكذوبة.

ويمكن أن يقال أيضاً: إنّها من مرجّحات جهة الصدور؛ لأجل أنّه كثيراً ما تصدر الأخبار منهم عليهم السلام تقيّة، ولا يبعد ترجيح هذا الوجه على الأوّل.

وأما الكلام في تعارض المرجّحات نفسها : فإن قلنا بانحصار الترجيح بموافقة الكتاب ومخالفة العامّة، فلا إشكال في تقديم الترجيح بموافقة الكتاب على الترجيح بمخالفة العامّة؛ لدلالة مُصحّحة عبد الرحمن المتقدمة.

وإن قلنا بعدم انحصاره بهما، كما هو قضية دوران الأمر بين التعيين والتخير كما تقدّم، وقلنا: إن مستند التخير ليس هو الأخبار، فالمناط هو الأقربيّة إلى الواقع. وإيّا الكلام فيما ذكره بعض الأعاضم - الميرزا النائيني رحمته - أن المرجّح الصدوري - كالأعدليّة والأصدقيّة - مقدّم على المرجّح الجهتي والمضموني، والمرجّح الجهتي مقدّم على المضموني، ثمّ المضموني، كموافقة الكتاب<sup>(١)</sup>.

فيه: أن مستنده في ذلك: إمّا بناء العقلاء على ذلك، وأنّ بناءهم على التعبد بالصدور وإن لم تتمّ جهة الصدور ولم تثبت، فهو ممنوع؛ لأنّ بناءهم دائر بين العمل بخبر الواحد وعدم العمل به، فإن ثبت تمام جهات الخبر لهم - من الصدور وجهة الصدور - فبناءؤهم على العمل به، وإلاّ فليس لهم بناء على العمل به، وليس لهم في مورد من الموارد بناء على التعبد بالصدور، ثمّ الحمل على التقيّة، فليس لهم بناء على العمل بالخبر الذي لا ظاهر له.

ثمّ إنّّه لو فرض الترتيب بين التعبد بالصدور، ثمّ بالمضمون؛ في غير صورة تعارض الخبرين، فلا بدّ في المتعارضين من ملاحظة أدلّة المرجّحات، فإنّ المتبع هو الدليل.

والعجب أنّه رحمته اعترف<sup>(٢)</sup>؛ بأنّه ورد في مصحّحة عبد الرحمن بن أبي عبد الله<sup>(٣)</sup> تقديم الترجيح بموافقة الكتاب، مع أنّها مرجّحة مضمونيّة على مخالفة العامّة، مع أنّها مرجّحة جهتيّة، لكنّه قال: إنّ العمل بها مشكل<sup>(٤)</sup>.

١ - فوائد الأصول ٤ : ٧٨٠ .

٢ - فوائد الأصول ٤ : ٧٨٤ .

٣ - بحار الأنوار ٢ : ٢٣٥ / ١٧ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٤ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٢٩ .

٤ - فوائد الأصول ٤ : ٧٨٤ .

وليت شعري ما الإشكال في العمل بها مع صحّتها عنده.  
نعم بناءً على عدّ المقبولة من أخبار الترجيح في تعارض الخبرين، فهي ظاهرة  
في الترتيب الذي ذكره، لكن ذكر فيها موافقة الكتاب ومخالفة العامة في رتبة واحدة.  
وكيف كان، فالحقّ: هو الترجيح أولاً بموافقة الكتاب، ثمّ بمخالفة العامة، ثم  
التخير، والأحوط الترجيح بكلّ مزية بعدهما.  
هذا آخر الكلام والبحث في تعارض الخبرين.  
والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبيّه محمد وآله الطاهرين.



الخاتمة

## في الاجتهاد والتقليد

واشباع الكلام فيه يأتي في فصول :





## الفصل الأوّل

### ذكر شؤون الفقيه

إنّ هنا عناوين لا بدّ من البحث عنها وعن أحكامها، وهي ستّة :

الأوّل : فيمن لا يجوز له الرجوع إلى غيره في الأحكام الشرعيّة الفرعيّة.

الثاني : فيمن يجوز له العمل برأي نفسه أو يجب؛ بمعنى كونه مثاباً أو معذوراً.

الثالث : فيمن هو أهل الفتوى .

الرابع : فيمن حكمه نافذ في رفع الخصومات .

الخامس : فيمن حكمه نافذ في الأمور السياسيّة الإسلاميّة.

السادس : فيمن يجوز لغيره الرجوع إليه وتلقّي الأحكام الشرعيّة الفرعيّة منه.

ونحن نذكر هذه العناوين الستّة في ضمن أمور :

## الأمر الأوّل

### حكم من له قوّة الاستنباط فعلاً

إنّ الكلام فيمن له ملكة استنباط الأحكام الفرعية عن مداركها، وله قوّة استخراجها عن مأخذها، وبلغ في تحصيل مقدّمات الاجتهاد والاستنباط حدّاً ومرتبة، يقدر معها على ردّ الفروع إلى الأصول وإن لم يستنبطها بالفعل، فهل هو قبل الاستنباط جاهل بالحكم الشرعي الفرعي، لكن لا يجوز له الرجوع إلى غيره وتقليده؛ وذلك لأنّه لا دليل لفظي يدلّ على وجوب رجوع الجاهل إلى العالم بنحو الإطلاق؛ ليتمسك بإطلاقه في المقام، بل الدليل على جواز التقليد في الأحكام الشرعية الفرعية - كما سيجيء بيانه إن شاء الله تعالى - هو بناء العقلاء على الرجوع إلى أهل الخبرة في كلّ فنّ في جميع أمورهم، كما في الصناعات ونحوها، ومنها الأحكام الشرعية - الأولى والثانوية - حيث إنّها مشتركة بين جميع المكلفين وأنهم كلّهم مخاطبون بالخطابات الشرعية، ولا اختصاص لها بفرقة وطائفة دون فرقة وطائفة أخرى، وهذا البناء منهم إنّما هو فيما إذا لم يكن الشخص الجاهل بالفعل من أهل الخبرة، وله قوّة يمكنه بها تشخيص ما هو جاهل به بالفعل وحصول العلم به، فلا دليل على جواز رجوعه إلى الغير؛ لتكون فتوى الغير عذراً له مع الخطأ، مع تمكّنه من الرجوع إلى الأدلّة، ومعرفة الأحكام، واستنباطها من مداركها.

لا يقال: قد يرجع من هو أهل الخبرة في فنّ إلى غيره في أحكام ذلك الفن؛ لأنّ لا يتعب نفسه بالاجتهاد، أو لغيره من الأعذار العرفية، كالطبيب، فإنّه قد يرجع إلى طبيب آخر في الطبابة، وقضية ذلك جواز الرجوع إلى الغير فيما نحن فيه أيضاً.

لأنّه يقال : إنّ ذلك مسلّم في الأمور الراجعة إلى شخصه، والأغراض العائدة إلى نفسه، فيترك الاجتهاد في فنّ لغرض من الأغراض مساححة، وأمّا في الأمور المرتبطة بالمولى، والمطالب والأحكام الدائرة بين الموالى والعييد، فلا، ولم يثبت أيضاً أنّ السرّ في بناء العقلاء على أصالة الصحة في فعل الغير ونحوها من الارتكازيات العقلانيّة، كرجوع الجاهل إلى العالم، هو إلغاء احتمال الخلاف؛ لمكان مرجوحية حصول الوثوق الشخصي به؛ لانتفاضه بعدم استقرار بنائهم على ذلك في موارد آخر مع الشكّ في الصحة وعدم حصول الوثوق بها.

ودعوى تحقّق الوثوق النوعي تفتقر إلى ثبوت التعبد بها، وهو مفقود.

وحينئذ فمن المحتمل أن يكون السرّ في بناء العقلاء على رجوع الجاهل إلى العالم في كلّ فنّ، هو انسداد باب العلم فيه؛ بمعنى دخله في بنائهم على ذلك، أو لأجل لزوم اختلال نظامهم ومعاشهم بدونه، وافتقارهم في بقاء نظامهم إلى ذلك، مضافاً إلى أنّ الآراء في المحسوسات قليلة الاختلاف ومتقاربة، بخلافها في الأحكام الشرعيّة في غير الضروريات، فإنّه قلما توجد مسألة في غير الضروريات لا توجد فيها أقوال وآراء مختلفة بين الفقهاء، بل فقيه واحد في كتبه، ففي مثل ذلك لا تكون فتوى الغير عذراً بالنسبة إلى من يتمكّن من استنباطها بنفسه، بل يكفي في عدم الجواز والمعذوريّة عدم إحراز بناء العقلاء عليه في مثله.

فتلخص : أنّ جواز رجوع الجاهل إلى العالم ليس بنحو الإطلاق.

ومن عزّف الاجتهاد : بأنّه ملكة يقتدر بها على استنباط الأحكام الشرعيّة<sup>(١)</sup>، فهو صحيح بالنسبة إلى الشخص القادر على الاستنباط وإن لم يستنبطها فعلاً، ومنطبق عليه، وهو موضوع عدم جواز الرجوع إلى الغير.

ويتفرّع عليه عدم جواز الرجوع إلى الغير بالنسبة إلى من صدر له من المجتهدين الإجازات للاستنباط، وعبروا فيها: بأنّ له ملكة الاستنباط، ويحرم عليه الرجوع إلى الغير من غير فرق بين من له ملكة استنباط مطلق الأحكام وجميعها، ومن له ملكة استنباط بعضها؛ بناءً على جواز التجزّي في الاجتهاد، كما هو الحقّ، بل الواقع أيضاً، فإنّ تلك القوّة وإن قلنا إنّها بسيطة، لكنّها ذات مراتب تحصل تدريجاً. وما يقال: من إنّ مدارك الأحكام متشكّكة في جميع أبواب الفقه، فلا يمكن فرض قدرته على الاجتهاد في بعض أبواب الفقه فقط؛ لاحتمال وجود ما يصلح دليلاً على المسألة في باب آخر أو معارضاً.

مدفوع: بعدم صحّة ذلك وعدم استقامته في تلك الأزمنة التي جمع فيها مدارك كلّ باب وأخباره فيه؛ بحيث تطمئنّ النفس بعدم وجود ما يصلح للاستدلال به في ذلك الباب في باب آخر، كباب الطهارات بالنسبة إلى أبواب الحدود والديات. نعم مع الشكّ في تحقّق الملكة فالأصل عدمها، فلا بدّ من إحرازها.

## الأمر الثاني

### بيان مقدمات الاجتهاد

فلاريب في أنه بمجرد وجود ملكة الاستنباط لشخص لا يجوز الرجوع إليه وتقليده، بل له شرائط - بعضها دخيلة في نفس الملكة، وبعضها في جواز العمل برأيه - فمع عدم اجتماع تلك الشرائط لا يجوز الرجوع إليه، وليس معذوراً لو قلّده وعمل برأيه.

فمن الأمور التي هي دخيلة في حصول القوة وملكة الاستنباط : تحصيل العلوم العربيّة بمقدار يميّز به اصطلاحات العرب، ويفتقر إليها في فهم معاني الكلمات العربيّة وتراكيب الكلام العربي، فمع عدم ذلك ليس معذوراً في مخالفة الواقع لو ظنّ بالحكم الفعلي، بل ومع القطع به أيضاً.

ومنها : الأئس بالاصطلاحات المتداولة عند أهل اللسان واستقامة ذهنه وعدم اعوجاجه؛ لكثرة اشتغاله بالمطالب العقليّة والفلسفيّة وبعض مباحث الأصول والمطالب العقليّة الدقيقة في المعاني الحرفيّة، فإنّ كثيراً من هذه المطالب مانع عن الاستنباط الصحيح المستقيم. نعم بعض مباحث المنطق والكلام والأصول ممّا له دخل في الاستنباط، كمباحث الأقيسة ونحوها لتمييز الصحيحة عن السقيمة؛ وذلك لأنّ المخاطب بالخطابات الشرعيّة هم العرف العام، وأنّ المعيار فيها هو الانفهامات العرفيّة. ومنها : علم الأصول، وهو واضح، ولعلّ إنكار الأخباريّ له<sup>(١)</sup> ناشئ عن

زعمه: بأنّ ما ذهب إليه الأصوليون من حجّة الإجماع - مثلاً - يراد به ما هو حجّة عند العامّة: من حجّة اتّفاق العلماء وإجماعهم بما أنّه إجماعهم، وإلاّ فعلى مبنى الإماميّة رضوان الله عليهم - من أنّ حجّيته إنّما هي لأجل كشفه عن قول المعصوم عليه السلام - فلا سبيل له إلى إنكاره، وعدم كشف قول المعصوم عليه السلام به عنده، لا يوجب الطعن على من هو كاشف عنه عنده.

كما يحتمل أن يكون إنكاره القواعد الأصوليّة، ناشئ عن أنّ مثل العلامة والسيد المرتضى ونحوهما، قد يذكرون الاستحسانات والأقيسة الباطلة في مقام الاستدلال، ولكنّه غفل عن أنّ ذكرهم لها ليس على وجه الاستدلال بها للمسألة، بل ذكروها إلزاماً للمخالفين بمعتقدهم، بعد الفراغ عن ثبوت أصل المسألة على طبق مبانيها الصحيحة؛ ألا ترى أنّهم ربّما يستدلّون بالأخبار الواردة من طرق العامّة، مع وضوح عدم حجّيتها عندهم، فطعن الأخباري بذلك على الأصولي إنّما هو لعدم التفاته إلى ذلك، وإلاّ فلا مفرّ للأخباري عن العمل بكثير من المسائل والمطالب الأصوليّة، مثل حجّة الظواهر وأخبار الآحاد وظهور الأمر في الوجوب وأمثال ذلك. ومنها: علم الرجال، ما يميّز به الثقة عن غيره.

ومنها: العلم بالكتاب والسنة - وهو العمدة - فلا بدّ للمستنبط من ملاحظة الآيات في كلّ مسألة وحكم ومعرفة مورد نزولها، وكذلك الأخبار والغور فيها، وتحصيل الأنس بمذاق الأئمة عليهم السلام، وكيفية محاوراتهم.

ومنها: مراجعة أقوال الأصحاب خصوصاً المتقدّمين منهم الذين كانوا قريبي العهد بهم عليهم السلام؛ لأنّ لا يخالف فتواه إجماعهم، واحترازاً عن الفتوى بخلاف الشهرة بينهم.

وذكر المحقّق البهبهاني رحمه الله في «فوائده»: أنّ من شرط الاجتهاد حصول

القوة القدسيّة، وأطال الكلام في ذلك<sup>(١)</sup>، فراجع.  
ومع اجتماع هذه الشرائط يجوز له العمل برأيه بعد الفحص عن الأدلة ومعارضاتها.

ثمّ اعلم : أنّ هذا بعينه هو الموضوع لجواز الإفتاء؛ لعدم كونه من المناصب المفتقرة إلى الإذن والنصب، بل هو إظهار لرأيه الذي يجوز له العمل على وفقه، فما طعن به الأخباري ومنعه عن الاجتهاد والاستنباط<sup>(٢)</sup> اغتراراً ببعض الروايات<sup>(٣)</sup>، منشؤه توهم: أنّ المراد به هو ما عند العامة ومنه طريقتهم، وإلا فلا محيص للأخباري عن الاجتهاد وإعمال المرجّحات عند تعارض الأخبار، والقول بحجّة الإجماع الكاشف عن رأي المعصوم<sup>عليه السلام</sup> أو الإجماع الدخولي، كما أنّ المجتهد أخباري أيضاً؛ بمعنى أنّه يعمل على طبق الأخبار، فالنزاع بين الفريقين لفظي.

١ - الفوائد الحائريّة، المحقّق البهبهاني : ٣٣٧.

٢ - الفوائد المدنيّة : ٤٠، سفينة النجاة، ضميّة الأصول الأصيلّة : ٧٠.

٣ - وسائل الشيعة ١٨ : ٢٠، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٦.

## الأمر الثالث

### البحث حول منصب القضاء والحكومة

من العناوين المتقدمة: «مَنْ يَجُوزُ قِضَاؤُهُ وَيَنْفِذُ حُكْمَهُ وَفَصْلُ الْخُصُومَةِ بِحُكْمِهِ»، وهو المهم في هذا المقام، فلا بد من بسط الكلام فيه والبحث عنه، وقبل الخوض فيه لابد من تحرير مقتضى الأصل فيه.

فنقول: الأصل ومقتضى القواعد العقلية عدم سلطنة أحدٍ على أحد، وعدم نفوذ حكمه على غيره؛ لا في رفع الخصومات والمنازعات، ولا في الأمور السياسية التي يحتاج الناس إلى إقامتها، وإن كان نبياً ورسولاً من الله إليهم، وعالماً بعلوم الأولين والآخرين، فإنه لا ارتباط لباب فصل الخصومة والقضاء والسلطنة بكون الشخص عالماً عادلاً، بل ونبياً، بحيث يثبت له السلطنة على الناس من دون احتياج إلى الجعل من الله تعالى، فإن مجرد النبوة لا يستلزم عقلاً حكومته على الناس، وقاضياً يحكم بينهم؛ بحيث لم تجز لأحد مخالفته، وإن كان مُحَقِّقاً في الواقع وحكمه مطابقاً للواقع، بل يحتاج هذا المنصب إلى الجعل والنصب لينفذ حكمه، ولم تجز مخالفته وإن علم الخصم المنازع بأنه مُحَقِّق في الواقع، كما لو حلف المدعى عليه: أنه ليس بمديون لزيد المدعى، وحكم الحاكم الشرعي بذلك، فإنه لا يجوز لزيد أخذ المال المدعى به وإن علم بكونه مُحَقِّقاً في الواقع، فالقاضي يحكم من عنده، لا أنه يُخبر عن حكم الله تعالى، ولو أخبر بحكم الله في مورد المنازعة لم تنفصل به الخصومة.

وكذلك الكلام في نصب الولاية، فإن أمير المؤمنين كان ينصب الولاية في البلاد من قبل نفسه - بعد جعل النبي ﷺ الولاية والسلطنة له - لا عن الله تعالى



بالوحي أو الإلهام، فالذي يحكم به العقل هو سلطنة خالق الناس ووليّ جميع النعم؛ من حيث إنّ الكلّ مخلوقون له تعالى، وأمّا غيره تعالى فسلطنته على الناس محتاجة إلى الجعل والنصب.

لكن لا إشكال ولا ريب في ثبوت جعل السلطنة للنبي ﷺ للآيات الشريفة، مثل قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾<sup>(٢)</sup>، وهو من ضروريات دين الإسلام، وكذلك بالنسبة إلى أمير المؤمنين والأئمة من ولده بعده عليه السلام بضرورة من المذهب، ولا كلام فيه، وإنّما الكلام في ولاية غير النبي والأئمة عليهم السلام من الفقهاء في هذا العصر والزمان.

فنقول: لا ريب في أنّ نبوة نبيّنا ﷺ أكمل النبوات، وشريعة الإسلام أتمّ الشرائع وأكملها، ولا شريعة بعدها، وأنّه ﷺ بين وبلغ جميع الأحكام والآداب وأروش الجنایات، حتّى آداب الأكل والنوم ونحو ذلك، كما أخبر ﷺ بذلك في حجة الوداع.

### القضاء والحكومة في زمان الغيبة

ومن الواضح أنّ القضاء وفصل الخصومة، وكذلك الأمور السياسيّة التي نعلم بعدم رضا الشارع بإهمالها، وتحتاج إليها الرعيّة أشدّ الاحتياج، ولا يستظم بدونها نظامهم ومعاشهم، لا يمكن عقلاً للشارع إهمالها وعدم تعيينه لمن يتصدّى لها في زمان الغيبة، مع إخباره ﷺ عن حال الناس زمان الغيبة، وإلا يلزم النقص في الشريعة.

١ - الأحزاب (٣٣) : ٦ .

٢ - الأحزاب (٣٣) : ٣٦ .

وبالجملة : نعلم علماً قطعياً جازماً بجعل الشارع ونصبه من يتولّى هذه الأمور ويتصدّيه، وينفذ حكمه وتصرفاته في الأمور السياسيّة في هذا الزمان إجمالاً، فلا بدّ من ملاحظة أنّه من أيّ صنف من أصناف الناس، والقدر المتيقّن ثبوته للفقهاء الجامع للشرائط؛ للعلم بأنّه منصوب من قبلهم عليهم السلام : إمّا بالخصوص، وإمّا لأنّه من جملة المنصوبين بملاحظة الأخبار الواردة في تعريف العلماء، مثل قوله عليه السلام : (علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل)<sup>(١)</sup>، وقوله عليه السلام : (مجاري الأمور بيد العلماء بالله، الأمناء على حاله وحرامه)<sup>(٢)</sup> ونحو ذلك، وبعض هذه الأخبار ضعيف السند، لكن لا إشكال فيها بالنسبة إلى القدر المتيقّن، وهو الفقيه الجامع لكلّ ما يحتمل اعتباره في ذلك من الشرائط والأوصاف.

وهذا الذي ذكرناه قريب ممّا ذكره الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في رواية «العلل» عن الفضل بن شاذان، في مقام بيان احتياج الناس إلى نصب الإمام وجعل الوالي<sup>(٣)</sup>.

### الأخبار الدالّة على ثبوت منصب الحكومة والقضاء للفقهاء

وأما الأخبار الخاصّة الدالّة على ثبوت منصب الحكومة والقضاء للفقهاء:

فمنها : مقبولة عمر بن حنظلة، وفيها قوله : قلت : فكيف يصنعان؟

قال: (ينظران [إلى] من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا

١ - الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة : ١١٣ ، الفوائد الميسوعة : ٢٨٦ ، عوالي اللالي : ٤ :

٧٧ / ٦٧ .

٢ - تحف العقول : ١٦٩ ، بحار الأنوار : ٩٧ : ٧٩ / ٣٧ .

٣ - عيون أخبار الرضا : ٢ : ٩٩ - ١٠٠ / ١ .

فلم يقبل منه، فإنما استخفَّ بحكم الله، وعلينا ردّ...).

إلى أن قال : فإن كان كل واحد اختار رجلاً من أصحابنا، فرضياً أن يكونا الناظرين في حقهما، واختلفا فيما حكما، وكلاهما اختلفا في حديثكم؟

فقال : (الحكم ما حكم به أعدلهما وأقعهما وأصدقهما)<sup>(١)</sup> الخبر.

وحيث إنه عليه السلام في هذه الرواية في مقام البيان، وجب الأخذ بالقيود التي ذكرها عليه السلام، والحكم باعتبارها في القاضي:

فمنها : قوله عليه السلام : (منكم) فیدلّ على اعتبار كون القاضي إمامياً اثني عشرياً.

ومنها : قوله عليه السلام : (قد روى حديثنا) لا يبعد أن يراد منه من شُغله ذلك؛ أي كان محدثاً، فلا يشمل من روى حديثاً أو حديثين مثلاً، كما لا يبعد إرادة كونه فقيهاً لا مجرد نقل الأخبار؛ حيث إنّ المتعارف في الأزمنة السابقة نقل الروايات بنحو الفتوى، كما لا يخفى على من لاحظ كتب المتقدمين من الأصحاب، وهي تدلّ أيضاً على اعتبار الاجتهاد والاستنباط؛ لقوله عليه السلام : (نظر في حلالنا وحرامنا) ؛ أي الحلال والحرام اللذين نحن مبلغوها ومبينوها، فيظهر من ذلك اعتبار كون القاضي من أهل النظر والاجتهاد، فليس للمقلّد القضاء والحكومة ورفع الخصومة بين المتنازعين؛ لأنّه ينظر إلى فتوى مقلّده ومجتهده، وكذلك قوله عليه السلام : (وعرف أحكامنا)، فإنّ العرفان والمعرفة - لغة وعرفاً - إنّما يصدق إذا ميّز حكم الله عن غيره، كالصادر تقيّة ولو بالموازين الشرعيّة.

ويؤيد ذلك : فهم ابن حنظلة ذلك منه؛ حيث إنّه قال: (وكلاهما اختلفا في حديثكم) هو أراد الاختلاف في معنى حديث واحد أم أراد أن أحدهما أخذ بحديث منكم والآخر بحديث آخر، فإنّه فهم ممّا ذكره عليه السلام من القيود والشرائط اعتبار

١ - الكافي ١ : ٥٤ / ١٠، وسائل الشيعة ١٨ : ٩٨، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي،

الباب ١١، الحديث ١.

الاجتهاد والفقاهة في القاضي، ولذا سأل عن الفرض الذي ذكره.  
وكذلك قوله عليه السلام: (أفقههما) فجميع تلك الشرائط والقيود إنما تنطبق على  
الفقيه المجتهد، فلا إشكال في دلالة الرواية على ثبوت منصب الحكومة والقضاء للفقيه  
الجامع للشرائط فقط، مضافاً إلى الإجماع المحقق، بل تدلّ على ثبوت السلطنة  
والولاية له في الأمور السياسيّة أيضاً؛ لأنّ الراوي ذكر - في صدرها - عن رجلين  
بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى الطاغوت؛ أي إلى السلطان والقضاة،  
أيحجّل ذلك؟

قال: (من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل، فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وقد  
أمروا أن يكفروا به...) إلى آخره؛ حيث إنّ الأمور التي يرجع فيها عند العرف إلى  
السلطان والوالي، غير الأمور التي يرجع فيها إلى القاضي، والمنازعة في الدين  
والميراث قد يرجع فيها إلى القاضي، كما لو ادّعى عليه دين أو ادّعى أنّه وارث لفلان،  
فأنكره الآخر، فإنّه يرجع فيه إلى القاضي، وقد يرجع فيها إلى السلطان، كما لو امتنع  
عن أداء دينه أو ميراثه مع اعتراف الآخر به، فإنّه لا يرجع فيه إلى القاضي، بل إلى  
الوالي والسلطان، ولذا قال: (فتحاكما إلى السلطان وإلى القاضي)، ففي ذكر كلّ واحد  
منها إشعار بما ذكرنا، كما أنّ ذكر المنازعة في الدين والميراث أيضاً من باب المثال.

ويؤيد ذلك: أنّه عليه السلام قال: (من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فإنما تحاكم  
إلى الطاغوت)، فإنّ الطاغوت يناسب الولاية والسلطين الذين طغوا غاية الطغيان، لا  
القضاة الذين لا يصدر منهم إلّا الحكم والقضاء، لا الظلم والطغيان، فقوله عليه السلام: (إنّي  
جعلته حاكماً) ظاهر في أنّه جعله حاكماً مطلقاً في الأمور الراجعة إلى الولاية والقضاة  
جميعاً؛ لأنّه جواب عن سؤال ابن حنظلة: أنّه كيف يصنعان؟ بعد منعه عليه السلام عن  
الرجوع إلى سلطانهم وقضاتهم، ومقتضاه الرجوع إليهم في جميع الأمور.

نعم قد يتوهم: أنّ قوله عليه السلام: (فإذا حكم بحكمنا) ظاهر في الأحكام الشرعيّة،

فيختص بها.

لكنه في غاية السقوط، فإنه خلاف الظاهر، فلا يُصار إليه إلا مع قرينة على ذلك، بل هو ظاهر في إرادة حكمهم عليه السلام من حيث السلطنة، ويدل على ذلك: أنه حكم عليه السلام بأنّ الرادّ على الفقيه رادّ على رسول الله ﷺ، والرادّ عليه ﷺ رادّ على الله تعالى؛ لأنّه تعالى جعل السلطنة للرسول ﷺ وجعلها رسول الله للإمام عليه السلام، والإمام عليه السلام للفقيه، فلو أُريد منه حكم الله الشرعي، فالرادّ على الفقيه ليس رادّاً على الإمام والنبي، بل رادّ على الله.

وأما فرض الراوي السؤال عن اختلاف الحكمين في الحديث، فلا ينافي عموم صدور للقضاء والولاية، فإنه سؤال خاص عن اختلاف الحكمين في الحديث، ومن فروع الكلّية المذكورة أولاً، فلا يصلح قرينة على إرادة خصوص القضاء من صدور، فهذه الرواية مقبولة سنداً، وتامة دلالة على ثبوت منصب القضاء والولاية في الأمور السياسية للفقيه.

ومنها: ما رواه الشيخ قده بإسناده عن محمد بن علي بن محبوب، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن أبي الجهم، عن أبي خديجة، قال: بعثني أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابنا، فقال: (قل لهم: إياكم - إذا وقعت بينكم خصومة أو تدارى في شيء من الأخذ والعطاء - أن تحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق، اجعلوا بينكم رجلاً قد عرف حلالنا وحرامنا، فإنّي قد جعلته عليكم قاضياً، وإياكم أن يُخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر)<sup>(١)</sup>.

وفي سند هذه الرواية إشكال: وهو أنّه إن كان أبي الجهم هذا هو بكير بن أعين، وأنّ الحسين بن سعيد هو الأهوازي، ففي السند إرسال؛ لأنّ بكير توفي في عصر

١ - تهذيب الأحكام ٦: ٣٠٣ / ٨٤٦، وسائل الشيعة ١٨: ١٠٠، كتاب القضاء، أبواب صفات

القاضي، الباب ١١، الحديث ٦.

الإمام الصادق عليه السلام، والحسين بن سعيد من أصحاب الرضا عليه السلام، فيبعد روايته عنه بلا واسطة.

ويحتمل أن يكون الحسين بن سعيد هذا هو الحسين بن سعيد بن أبي الجهم، وأنه رواها عن جدّه، وهو أيضاً بعيد، لكن الرواية مشهورة حتى لُقبت بها، فيمكن جبر ضعف سندها بالشهرة.

والظاهر أن المراد بالقاضي هو معناه عند العرف واللغة، وهو الحاكم الأعظم من القاضي - المصطلح عليه في الفقه - والوالي، وتقدّم أن المرجع في بعض المنازعات هو القاضي في الاصطلاح الفقهي، وفي آخر منها الوالي والسلطان، فتدلّ على ثبوت منصب القضاء والولاية للفقيه.

ويؤيد ذلك: أنه عليه السلام نهى عن الرجوع إلى السلطان الجائر في ذيلها في الأمور الراجعة إليه، وهو قرينة على إرادة ذلك من الأمر بالرجوع إلى من له منصب الولاية أيضاً - أي الفقيه - فهي بحسب الدلالة مثل المقبولة.

ومنها: روايته الأخرى وهي أوضح دلالة على المطلوب، وهي ما رواها الصدوق عن أحمد بن العائد، عن أبي خديجة سالم بن مكرم الجمال، قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (إياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضائنا فاجعلوه بينكم قاضياً، فإني قد جعلته قاضياً، فتحاكموا إليه)<sup>(١)</sup>.

وبقرينة نهيه عليه السلام عن الرجوع إلى أهل الجور - الذي يعمّ الولاية - يراد من المأمور بالرجوع إليه الأعظم من القاضي والوالي.

وأما الروايات الأخر المستدلّ بها في المقام، فبعضها ضعيفة السند، وبعضها

ضعيفة الدلالة، وبعضها ضعيفة السند والدلالة:

فمنها : ما رواه في «أصول الكافي» في باب ثواب العالم والمتعلم عن القُدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال رسول الله ﷺ : من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم...). إلى أن قال : (إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظّ وافر)<sup>(١)</sup>. ومنها : رواية أبي البخري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنّما أورثوا أحاديث من أحاديثهم)<sup>(٢)</sup>.

وعبّر عنها النراقي رحمته بصحيحة أبي البخري<sup>(٣)</sup>، ولكنّه سهو لضعفها.

وتقريب الاستدلال بها : هو أنّ فيها احتمالين:

أحدهما : أنّ الإمام عليه السلام في مقام إنشاء جعل وراثته العلماء للأنبياء.

ثانيهما : أنّ ذلك إخبار عنها.

فعلى الأوّل : فقضيّة إطلاقها هو ثبوت مطلق ما للأنبياء من الشؤون والمناصب لهم سوى النبوة، إلّا ما دلّ الدليل على خلافه.

وأما قوله عليه السلام في الذيل : (ولكن ورثوا العلم والأحاديث) فلا يصلح قرينة على اختصاص الصدر بخصوص العلم والأحاديث فقط، فالحصر فيها إضافي قطعاً؛ من جهة إرث العلماء منهم في كثير من الأمور الأخر، كالزهد والتقوى وغيرها.

١ - الكافي ١ : ٢٦ / ١.

٢ - الكافي ١ : ٢٤ / ٢، وسائل الشيعة ١٨ : ٥٣، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب

٨، الحديث ٢.

٣ - عوائد الأيّام : ١٨٥ - ١٨٦.

وأما نقل الأحاديث والفتاوى فلا يحتاج إلى الجعل، بخلاف بعض شؤون الأنبياء ومناصبهم، كمنصب القضاء والسلطنة والخلافة ونحوهما.

وبالجملة : دلالتها على المطلوب - على هذا التقدير - واضحة.

وأما بناءً على أنه إخبار عن أمر واقع، فيمكن تقريب الاستدلال بها على المطلوب أيضاً: بأن الإخبار عن ورائة العلماء لهم عليهم السلام بقول مطلق، يكشف عن ثبوت إرثهم المناصب المجعولة للأنبياء؛ لأن صحة هذه الأخبار بقول مطلق، يكشف عن ثبوت شؤون الأنبياء - المفتقرة إلى الجعل - لهم، سوى الأمور التكوينية الموروثة منهم. وقوله عليه السلام في الذيل: (إنما ورثوا العلم) وأما اختصاصه بالذكر فهو من جهة أنه الفرد الجلي الكامل.

لكن يمكن الإشكال في دلالتها على المطلوب على هذا التقدير: بأن استفادة إرث العلماء منه لجميع شؤون الأنبياء محل تأمل؛ لصدق ذلك على إرثهم منهم بعض الأشياء، كالعلم وتبليغ الأحكام، كما أن مقتضى سياق الروايتين - خصوصاً الأولى التي ذكر فيها وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم - هو أن ذلك إخبار لا إنشاء، وحينئذٍ فهما لا تصلحان للاستدلال بهما في المقام.

ومنها: مرسلة الصدوق قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم ارحم خلفائي).

قيل: يارسول الله ومن خلفاؤك؟

قال: (الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي) (١).

تقريب الاستدلال بها: هو أن الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله عبارة عن ثبوت بعض المناصب الثابتة له صلى الله عليه وآله للخليفة أيضاً، وأما قوله صلى الله عليه وآله: (الذين يأتون من

١ - الفقيه ٤: ٣٠٢ / ٩٥، وسائل الشيعة ١٨: ٦٥، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي،

الباب ٨، الحديث ٥٠.



(بعدي) فهو معرّف لهم، وليس المراد أنّهم خليفته عليه السلام في نقل الأخبار فقط، فالظاهر تماميّة دلالتها على المطلوب، والظاهر اعتبارها سنداً؛ لأنّها وإن كانت مرسلة، لكنّ الصدوق عليه السلام أسندها إليه عليه السلام بنحو البتّ، لا بقوله: «وروي». ومنها: رواية فقه الرضا عليه السلام: (منزلة الفقيه في هذا الوقت كمنزلة الأنبياء من بني إسرائيل)<sup>(١)</sup>.

وهي واضحة الدلالة على عموم المنزلة، لكن الإشكال في سندها. ومنها: التوقيع المذكور في كتاب «إكمال الدين وإتمام النعمة» عن محمد بن محمد ابن عصام، عن محمد بن يعقوب، عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام: (أمّا ما سألت عنه - أرشدك الله وثبتك - ...) إلى أن قال: (وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم)<sup>(٢)</sup>.

وفيه أوّلاً: أنّها ضعيفة السند بإسحاق بن يعقوب، وما ذكره الشيخ الأعظم<sup>(٣)</sup> والميرزا النائي عليه السلام<sup>(٤)</sup> - من أنّه من أجلّة العلماء - غير ثابت. وثانياً: أنّ السؤال فيها غير معلوم، فمن المحتمل سؤاله عن الأحكام التكليفيّة، ومعه لا تنعمّ الحوادث المذكورة فيها جميع الوقائع والأمور غير الأحكام التكليفيّة مثل ما هو محلّ الكلام.

١ - فقه الرضا: ٣٣٨.

٢ - إكمال الدين: ٤٨٣ / ٤، وسائل الشيعة ١٨: ١٠١، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي،

الباب ١١، الحديث ٩.

٣ - المكاسب، الشيخ الأنصاري: ١٥٤ سطر ٢٨.

٤ - منية الطالب ١: ٣٢٦ سطر ٨.

ومنها: رواية «تحف العقول»: (مجاري الأمور بيد العلماء بالله، الأمناء على حاله وحرامه)<sup>(١)</sup>.

وفيه: أن سياقها شاهد على أنها في مقام الشكاية من الخلفاء الغاصبين لحقوقهم عليهم السلام، فالظاهر أن المراد من العلماء فيها أنفسهم عليهم السلام، مضافاً إلى ضعف سندها؛ لعدم اعتبار كتاب «تحف العقول».

ومنها: قوله عليه السلام: (علماء أمتي أفضل - أو - كأنبياء بني إسرائيل)<sup>(٢)</sup>، وهي ظاهرة في أن المراد من العلماء أنفسهم عليهم السلام، لكن لا إشكال في أصل المطلب.

لا يقال: إنه قد عبر في الروايات المذكورة - كالمقبولة - بقوله عليه السلام: (ونظر في حلalna وحرامنا، وعرف أحكامنا)، ومقتضاه العلم بالأحكام الشرعية، والفقهاء في هذه الأزمنة ليسوا كذلك، فلا تصلح هذه الرواية أيضاً لإثبات منصب القضاء لهم، فضلاً عن الولاية، فإنه يقال: إن سياق المقبولة شاهد على أن المراد بالأحكام: هي التي عرفها بالنظر والاجتهاد والفكر والاستنباط، ومن المعلوم عدم حصول العلم القطعي لأحد بالأحكام غالباً حتى من متلقي الأحكام من الأئمة عليهم السلام شفاهاً؛ لاحتمال التقيّة وغيرها، الذي لا دافع له إلا الأصول العقلية والموازين الاجتهادية، التي لا تنفد العلم.

مضافاً إلى أن المراد من العلماء - في الإطلاقات عرفاً - هم العالمون بالعلوم المتفرقة، الحاصلة من الطرق المتعارفة بالنظر والاجتهاد، الذي لا يفيد إلا الظن، لا العلم بالأحكام الواقعية.

ولا يحتاج في دفع هذا الإشكال أن يقال: إنه وإن كان ظاهراً بالحكم، لكنّه عالم بالوظيفة، بل لا يصحّ ذلك؛ لأنّ الظاهر أن المراد هو العلم بنفس الحكم.

١ - تحف العقول: ١٦٩، بحار الأنوار ٩٧: ٧٩ / ٣٧.

٢ - عوالي اللآلي ٤: ٧٧ / ٦٧، الدرر المنتثرة: ١١٣، السلسلة الضعيفة، الألباني: ٦٦٦.

## هل الاجتهاد المطلق شرط أم لا ؟

ثم إنه - بناءً على جواز التجزي في الاجتهاد - هل تعم الروايات للمتجزي أيضاً، أو لا؟

فنقول : قد يطلق الاجتهاد على الملكة المطلقة وقوة استنباط جميع الأحكام وإن لم يستنبطها بالفعل، والمتجزي حينئذ في مقابله من ليس له القوة على استنباط جميع الأحكام، بل في بعض الأحكام. وقد يطلق الاجتهاد ويراد منه العلم الفعلي بجميع الأحكام، وفعليّة استنباطها من مأخذها، والمتجزي في مقابله: من ليس له العلم الفعلي بجميع الأحكام، بل بعضها وإن كان له قوة ذلك وملكوته.

إذا عرفت ذلك نقول : ليس في الروايات ما يدلّ على اعتبار وجود الملكة المطلقة؛ وقوة استنباط جميع الأحكام، كما أنّه ليس هنا دليل على اعتبار العلم الفعلي بجميع الأحكام، بل الذي تدلّ عليه المقبولة ونحوها، هو اعتبار وجود قوة النظر والاجتهاد ومعرفة الأحكام، وحينئذ يرد هنا إشكال؛ وهو أنّ العمدة في الأخبار هي الرواية المقبولة، وهي ظاهرة في اعتبار العرفان في جميع الأحكام؛ لقوله عليه السلام: (ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا)؛ لأنّ المفرد والجمع المضافين يفيدان العموم، مع أنّه لا يوجد في هذه الأزمنة من الفقهاء من يعرف جميع الأحكام بالفعل.

لكن هذا الإشكال مندفع : بأنّه من الواضح أنّه عليه السلام لا يريد من قوله: (جعلته حاكماً) تعجيز المكلف وردعه عن الرجوع إلى أحد، بل هو في مقام جعل الفقيه حاكماً، فلا بدّ أن يريد عليه السلام من يصدق عليه أنّه عارف بالأحكام في الجملة بالنظر والاجتهاد؛ لعدم وجود العارف بجميع الأحكام بالفعل سوى الإمام عليه السلام، وعلى فرض وجوده ليس لنا طريق إلى إحراز ذلك.

مضافاً إلى أنّه في مقابل الردع عن الرجوع إلى المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام وولاية الجور، ومقابلهم الغير المنحرفين عنهم الآخذين من علومهم، ويشمل ذلك من عرف بعض الأحكام، نعم لا بدّ أن يعلم موازين القضاء ورفع الخصومة بمناسبة الحكم والموضوع، ولذا اعتبره الفقهاء إجماعاً.

وأما قوله عليه السلام في رواية أبي خديجة: (يعلم شيئاً من قضايانا) لا يراد منه العلم ببعض المسائل الغير المرتبطة باباب القضاء؛ وإن لم يعرف موازين القضاء بالضرورة. فتلخص: أنّه لا يستفاد من الروايات اعتبار الملكة المطلقة، ولا العلم الفعلي بجميع الأحكام، فتشمل المتجزّي الصادق عليه أنّه عارف بالأحكام بالنظر والاجتهاد، مع علمه بموازين القضاء كذلك.

### جواز تولّي العامّي القضاء وعدمه

هل يجوز للعامّي المقلّد تولّي القضاء وفصل الخصومة؛ لو تعلّم كيفة القضاء وخصوصياته على طبق فتوى مجتهد؛ في عرض ثبوته للمجتهد ونفوذه؛ بحيث لا يفتقر إلى إذن المجتهد أو إجازته، أو لا؟

ذهب صاحب الجواهر<sup>(١)</sup> ابتداءً إلى الأوّل، واستدلّ عليه بآيات وروايات، وذكر منها ما يمكن الاستدلال به له:

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾<sup>(٢)</sup>.

تقريب الاستدلال: أنّ إطلاق الحكم بوجوب الحكم بالعدل يعمّ غير المجتهد

١ - جواهر الكلام ٤٠ : ٤٩ .

٢ - النساء (٤) : ٥٨ .

أيضاً، فهو مأمور بالحكم بالعدل، ووجب حينئذٍ على غيره إنفاذ حكمه، وإلا يلزم لغوياً الأمر بالحكم بالعدل.

وفيه : أنَّ ظاهر الآية - مع قطع النظر عن الأخبار الواردة في تفسيرها - هو أنَّ من عنده أمانة فهو مأمور بأدائها، دون من ليس عنده أمانة؛ لأنَّه لا معنى له، وبمناسبة ذلك لا يُراد فيما بعده وجوب الحكم على كلِّ أحد.

مضافاً إلى أنَّ مفادها وجوب الحكم بالعدل على وليِّ الحكومة.

وبعبارة أخرى : الآية في مقام بيان كيفية القضاء، لا وجوب القضاء على كلِّ أحد. وأمَّا الروايات الواردة في تفسيرها، فهي ما رواه الصدوق عليه السلام عن مُعلّى بن خنيس، عن الصادق عليه السلام قال: قلت له : قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ قال: (عدل الإمام أن يدفع ما عنده إلى الإمام الذي بعده، وأمرت الأئمة أن يحكموا بالعدل، وأمر الناس أن يتبعوهم)<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى : (هذه الآية لنا، وقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ لكم)<sup>(٢)</sup>، والظاهر منها أنَّ المراد بالأئمة أنفسهم عليهم السلام، ويحتمل إرادة الأعمَّ منهم عليهم السلام، ومن الولاية من قبلهم، ولكنها لا تدلُّ على المطلوب، فإنَّها تدلُّ على وجوب متابعة الناس لهم، لا جواز حكمهم بين الناس، مضافاً إلى أنَّ المتعارف في جميع الأعصار عدم تصدّي كلِّ أحد لأمر القضاء، بل كان ذلك مختصّاً بعدّة خاصّة معيّنة، حتّى في ولاية الجور، فلا تدلُّ على المطلوب.

ومنها : مفهوم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

١ - الفقيه ٣ : ٢ / ٢ ، تهذيب الأحكام ٦ : ٢٢٣ / ٥٣٣ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٤ ، كتاب القضاء ،

أبواب صفات القاضي ، الباب ١ ، الحديث ٦ .

٢ - أنظر الكافي ١ : ٢١٧ / ١ .

الْكَافِرُونَ ﴿١﴾، وفي آية أخرى: ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢)، وفي ثالثة: ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣).

وفيه أيضاً: أَنَّ المستفاد من هذه الآيات الواردة في كتمان أحكام التوراة: أَنَّهُمْ كانوا يخفون كثيراً من تلك الأحكام، ويكتمونها، فنزلت هذه الآيات في مذمة ذلك وحرمة، وهو غير ما نحن بصدده، فَإِنَّ المراد منها الأحكام الشرعية التي أنزل الله تعالى، وحكم القاضي ليس مما أنزل الله.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ (٤).

وهي أيضاً لا تدلّ على المطلوب.

وأما الروايات التي استدلت بها على ذلك: فمنها مشهورة أبي خديجة المتقدمة - أي سالم بن مكرم الجمال - قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (إِيَّاكُمْ أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا، فاجعلوه بينكم، فَإِنِّي جعلته قاضياً، فتحاكموا إليه) (٥).

تقريب الاستدلال: أَنَّ إطلاق قوله: (يعلم شيئاً من قضايانا) شامل لعلم المقلد كيفية القضاء آخذاً من مجتهده.

وفيه: أَنَّ إضافة القضايا إلى أنفسهم تدلّ على إرادة العلم الحاصل بالاجتهاد

١ - المائدة (٥): ٤٤.

٢ - المائدة (٥): ٤٧.

٣ - المائدة (٥): ٤٥.

٤ - المائدة (٥): ٨.

٥ - الكافي ٧: ٤١٢ / ٤، تهذيب الأحكام ٦: ٢١٩ / ٨، وسائل الشيعة ١٨: ٤، كتاب

القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١، الحديث ٥.

من رواياتهم ، ولو أريد من القضايا الأحكام الشرعية، فالمراد الأحكام التي نحن وسائط في بيانها وتبليغها، ولو أريد منها الحكومة والقضايا المصطلح، فالمراد القضايا الصادرة منهم المنتشرة عنهم.

وبالجملة : لاتشمل الرواية علم المقلد بكيفية القضاء آخذاً من مجتهده.  
ومنها : رواية الحلبي، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ربّما كان بين الرجلين من أصحابنا المنازعة في الشيء، فيتراضيان برجل مثا. فقال : (ليس هو ذاك، إنّما هو الذي يجبر الناس على حكمه بالسيف والسوط)<sup>(١)</sup>.

ويمكن تقريب الاستدلال في موضعين منها على المطلوب.  
أحدهما: قوله : (فيتراضيان برجل مثا)؛ أي من الشيعة الاثني عشرية، فيشمل العامي أيضاً.

ثانيهما: قوله عليه السلام : (هو الذي يجبر الناس...) إلى آخره؛ من حيث حصره عليه السلام عدم جواز القضاء بمن يجبر الناس، فيدلّ على جوازه لمن ليس كذلك، الشامل للعامي أيضاً.

أقول : في قوله عليه السلام : (ليس هو ذاك) إجمال، ومن المعلوم أنّه إشارة إلى مطالب معهودة بينه عليه السلام وبين الحلبي، وهي غير معلومة، ومن الممكن أنّها تصلح للقرينة على المراد، مضافاً إلى أنّ كلمة «إنّما» في هذا الخبر ليست للحصر - على فرض دلالتها عليه في سائر الموارد - لانتقاضه طرداً وعكساً، فإنّ مقتضاه جواز القضاء من قضاة العامة إذا لم يكن لهم سوط وسيف، مع أنّه ليس كذلك، وعدم جوازه لإمام الحقّ إذا كان له سوط وسيف، كأمر المؤمنين عليه السلام، وهو ظاهر الفساد.

١ - تهذيب الأحكام ٦ : ٢٢٣ / ٥٣٢، وسائل الشيعة ١٨ : ٥، كتاب القضاء، أبواب صفات

القاضي، الباب ١، الحديث ٨.

وأما ما تمسك به صاحب الجواهر - من سائر الآيات والروايات - فلا دلالة لها على المطلوب أصلاً، فهي بالإعراض عنها أولى.

نعم أشار عليه السلام <sup>(١)</sup> - في خلال كلامه - إلى أمر نتعرض له بتوضيح منّا؛ وهو أنّ الاجتهاد المتعارف في هذا الزمان، لم يكن متداولاً في الصدر الأوّل وفي عصر الأئمة عليهم السلام، بل هو حادث من زمان الشيخ عليه السلام إلى هذه الأعصار، وحينئذ فالمراد من قوله عليه السلام في المقبولة: (ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا) هو معرفة الأحكام بالطريق المتعارف في ذلك العصر بتلقيها منهم عليهم السلام مشافهة، نظير علم المقلّدين في هذا العصر، آخذاً من مجتهده مشافهة، فيشمل علم المقلّدين أيضاً.

ولكن يدفعه ما سيجيء بيانه - إن شاء الله - : من أنّ الاجتهاد بهذا النحو المتعارف في هذا العصر كان محققاً ومتعارفاً في ذلك العصر أيضاً؛ لاختلاف الأقوال وتشتت الآراء فيه أيضاً، غاية الأمر أنّه لم يكن يفتقر إلى تلك المشقات الكثيرة الناشئة عن بُعد زماننا عنهم عليهم السلام وعن عصرهم؛ لأنّ الاختلافات والأقوال في هذا الزمان أكثر من عصرهم، فلا يتحقّق الاجتهاد في هذا العصر إلّا باستتبع الأدلّة ومعارضاتها والأقوال والإجماعات، بخلافه في ذلك العصر؛ لعدم احتياجه فيه إلى تلك المشقات الكثيرة، وإلّا فأصل الاجتهاد والنظر في الأحكام كان متحققاً فيه أيضاً، وإلّا يلزم عدم جواز القضاء لمثل زرارة ومحمد بن مسلم وأمثالهما، مع أنّ صدق معرفة الأحكام والنظر في الحلال والحرام بالنسبة إلى أمثالهم أوضح من صدقه على المجتهدين في هذه الأعصار.

وبالجملة : اختصاص منصب القضاء بالمجتهدين من المسلّمات، ولا يحتاج إلى إعتاب النفس وزيادة البحث والكلام فيه؛ للمقطع بعدم جواز القضاء للعاميّ المقلّد،



كما ذكر صاحب العروة<sup>(١)</sup>، وهذه المباحث مباحث علمية فقط.

### هل يجوز للفقهاء نصب العامي للقضاء أم لا ؟

ثم إنه بناءً على عدم جواز استقلال العامي للقضاء، فهل للفقهاء نصبه قاضياً، وينفذ حكمه بما أنه عامي، ويفصل بحكمه الخصومة، مثل حكم الفقيه المنسوب من قبل الأئمة عليهم السلام - بما أنه حكم الفقيه - أو لا يجوز ذلك؟ وجهان:

فيمكن أن يقال بالجواز لأمرين:

أحدهما: أنه للنبي ﷺ والأئمة نصب أي شخص يريدونه للقضاء حتى العامي؛ لثبوت الولاية التامة والمطلقة لهم.

ثانيهما: كل ما ثبت للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، فهو ثابت للفقهاء؛ لأدلة ولايته وتنزيله منزلتهم.

فينتج هذان الأمران أن للفقهاء أن ينصب العامي للقضاء، وينفذ حكمه حينئذ.

لا يقال: المقبولة تدل على خلاف ذلك.

لأنه يقال: كما أن للأئمة عليهم السلام نصب الفقيه للقضاء؛ لمصلحة اقتضت ذلك، فلو اقتضت المصلحة أن ينصب الفقيه العامي جاز له ذلك.

ولكن الإشكال في الأمر الأول الذي هو صغرى للاستدلال المذكور، فإنه لا إشكال في أن النبي ﷺ لو نصب العامي للقضاء، كشف ذلك جوازه له وثبوته، ولكن الكلام في أنه هل يجوز ذلك له ﷺ بحسب الحكم الشرعي الإلهي، أو لا يجوز له ﷺ ذلك كما في الأمر بالجور وجعل الفاسق إماماً؟

وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾<sup>(١)</sup> لا يدلّ على وجوب إطاعته لو أمر بشيء حتّى لو أمر فرضاً بإطاعة فاسق، ولا يدلّ أنّ له بحسب حكم الله ذلك، وحينئذ فيمكن دعوى القطع بعدم أهليّة العامي لمنصب القضاء؛ بملاحظة الأخبار الواردة في باب القضاء، مثل قوله عليه السلام في الصحيح لشريح: (جلست مجلساً لا يجلس فيه إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ)<sup>(٢)</sup> مع الأدلّة الدالّة على ثبوته للفقهاء أيضاً، وبملاحظة السيرة المستمرة - من لدن عصر النبي ﷺ إلى عصر الأئمة عليهم السلام والخلفاء - على اختصاص هذا المنصب بالفقهاء، ولا أقلّ من الشكّ في أهليّته بحسب حكم الله لذلك، المستلزم للشكّ في أنّ النبيّ جعله له أو لا، وهو كافٍ في المقام.

وأما الأمر الثاني الذي هو كبرى الاستدلال، فإن أريد منه أنّ كلّ ما ثبت للنبي ﷺ فهو ثابت للفقهاء، حتّى المختصّات به ﷺ، التي تبلغ نيّفاً وسبعين؛ بناء على ما ذكره العلامة في «التذكرة»<sup>(٣)</sup>، وكذلك كلّ ما ثبت للأئمة عليهم السلام وإن كان من مختصّاتهم، فهو واضح الفساد.

نعم لو أريد منه ثبوت كلّ ما ثبت للنبي ﷺ من الشؤون بما أنّه سلطان وحاكم - من الشؤون المربوطة بالسلطان والحاكم - للفقهاء، فلا سبيل إلى إنكاره، بل هو مقتضى المقبولة، وليس معنى الخلافة وتنزيل الفقيه منزلة الإمام إلّا ذلك.

ودعوى لزوم تخصيص الأكثر إنّما تصحّ لو أريد ثبوت جميع ما ثبت للنبي ﷺ للفقهاء أيضاً حتّى المختصّات، فإنّه مستلزم له حينئذ، بخلاف ما لو أريد منه ثبوت ما ثبت له ﷺ من شؤون السلطنة والحكومة فقط، وإلّا فيلزم هذا

١ - النساء (٤) : ٥٩ .

٢ - الكافي ٧ : ٤٠٦ / ٢ ، تهذيب الأحكام ٦ : ٢١٧ / ٥٠٩ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٦ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٣ ، الحديث ٢ .

٣ - تذكرة الفقهاء ٢ : ٥٦٥ فما بعدها .

الإشكال بالنسبة إلى الإمام أيضاً؛ لعدم ثبوت مختصات النبي ﷺ له عليه السلام، لكن الإشكال حينئذٍ في الأمر الأول.

### هل يجوز توكيل العامي للقضاء؟

ثم إنه بناءً على عدم جواز نصب العامي للقضاء - كما هو الحق - هل يجوز للفقهاء توكيله في ذلك؛ بمعنى نفوذ حكمه - بما أنه حكم موكله الفقيه - وفصله للخصومة، أو لا؟

والاستدلال لجوازه: بأن الوكالة من الأمور العقلانية، كما في مثل البيع والشراء ونحوهما، ويكفي فيها عدم ردع الشارع عنها؛ من دون افتقار إلى عموم أو إطلاق لفظي، وما نحن فيه من هذا القبيل.

مدفوع: أمّا أولاً: فلأن ملاحظة الروايات الدالة على اختصاص القضاء بالنبي والوصي والفقيه النازل منزلتها، مثل قوله عليه السلام: (جلست مجلساً لا يجلس فيه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي)، مع الروايات الدالة على تنزيل الفقيه منزلة الإمام<sup>(١)</sup>، وكذلك السيرة المستمرة من الخلف إلى السلف على تخصيص هذا المنصب بالفقهاء، يُشرف المتأمل على القطع بعدم أهلية العامي حتى بعنوان الوكالة والنيابة، وإن لم يعتبر في الوكالة تنزيل الوكيل منزلة الموكل كما في النيابة.

وثانياً: إنما يصح التمسك ببناء العقلاء مع عدم الردع عنه شرعاً؛ لو ثبت هذا البناء منهم في عصر الأئمة عليهم السلام، مع كونه بمرأى ومنظر منهم، مع عدم ردهم عنه، وما نحن فيه ليس كذلك؛ لعدم بنائهم على ذلك في عصرهم عليهم السلام، بل الثابت خلافه،

١ - الظاهر أنه ليس منقولاً باللفظ، بل إشارة إلى بعض ما ورد في الأحاديث مستفراً كخبر

أحمد بن إسحاق، راجع الكافي ١ : ٢٦٥ / ١، وسائل الشيعة ١٨ : ٩٩، كتاب القضاء،

أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ٤.

فلا يتم الاستدلال.

نعم، لو ثبت ووجد في أدلة الوكالة من الأخبار عموم أو إطلاق لفظيَّان، أمكن التمسك بهما في المقام، لكن ليس فيها ما هو كذلك، إلا رواية معاوية بن وهب وجابر بن يزيد جميعاً، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: (من وكل رجلاً على إمضاء أمر من الأمور، فالوكالة ثابتة أبداً حتى يعلمه بالخروج منها، كما أعلمه بالدخول فيها)<sup>(١)</sup>. ولكنها أيضاً ليست في مقام أن الوكالة جائزة في أي أمر، أو في كل أمر، بل في مقام بيان أن وكالة الوكيل بعد ثبوتها له، باقية إلى أن يعلمه بالعزل عنها. فتلخص: أن هذا المنصب يختص بالفقيه، ولا حظ للعامي فيه أصلاً بوجه من الوجوه؛ لا استقلالاً ولا وكالة ولا نيابة.

١ - الفقيه ٣: ٤٧ / ١، تهذيب الأحكام ٦: ٢١٣ / ٥٠٢، وسائل الشيعة ١٣: ٢٨٥، كتاب

الوكالة، الباب ١، الحديث ١.

## الأمر الرابع

### تشخيص مرجع التقليد والفتوى

يقع الكلام فيمن يجوز تقليده والرجوع إليه في أخذ فتواه والعمل بها، وأنه هل هو خصوص الأعلام، أو مطلق المجتهد المطلق، أو الأعم منه ومن المتجزّي؟ فإمّا أن يعلم بعدم مخالفة غير الأعلام للأعلام في الفتوى، أو المتجزّي للمجتهد المطلق، أو يعلم بالمخالفة، وإمّا أن يعلم ذلك إجمالاً في بعض فتاواه، وإمّا أن لا يعلم بالموافقة والمخالفة في فتاواه؛ لا تفصيلاً ولا إجمالاً.

وقبل الشروع في البحث لابدّ من تحرير الأصل في المسألة؛ ليرجع إليه عند عدم الدليل.

### مقتضى الأصل : وجوب تقليد الأعلام

فنقول : لا ريب في أنّ باب التقليد ليس من باب السببيّة، فلا طائل في البحث عنه على هذا الفرض؛ للقطع بأنّ فتوى المجتهد طريق للوصول إلى الأحكام الشرعيّة الواقعيّة، لا أنّه تتحقّق بها مصلحة ملزمة أو غير ملزمة فيما تعلّق به نظره واجتهاده بلا ريب ولا إشكال، فهو نظير رجوع المجتهد إلى خبر الثقة والعمل به في أنّه طريق إلى الواقع.

وحينئذٍ فيمكن تقرير الأصل؛ وأنّ مقتضاه الرجوع إلى الأعلام وتقليده تعييناً

بوجوه:

الأوّل : أننا نعلم بوجود أحكام واقعيّة مشتركة بين العالم والجاهل، لا تختصّ

بطائفة دون طائفة، ويجب موافقتها بحكم العقل بالامتنال العلمي، ولا أقل من الاطمئنان الذي يعدّ علماً عند العقلاء، فلاكتفاء بالظنّ والعمل بالأمارات يحتاج إلى دليل، ولكن وجوب الامتنال العلمي وتعيينه بالاجتهاد في الأحكام أو العمل بالاحتياط - أي الامتنال العلمي الإجمالي - خلاف الإجماع بل الضرورة؛ لاستلزامه الاختلال في النظام والمعاش والعسر والحرَج الشديدين، فيكفي تقليد الفقيه المجتهد في معرفة الأحكام، فإنّه ممّا وصل إلينا يبدأ بيد من زمن الأئمّة عليهم السلام وليس من الأمور الحادثة، بل كان متعارفاً في الأعصار السابقة، حتّى في عصر الأئمّة عليهم السلام، والقدر المتيقّن هو جواز الرجوع إلى الأعلّم والعمل بفتواه للعلم بجوازه إمّا تعييناً - كما قيل: إنّ وجوب تقليد الأعلّم ممّا تسالم عليه العلماء إلى زمان الشهيد الثاني رحمته الله <sup>(١)</sup> - أو تخيراً بينه وبين تقليد غير الأعلّم، كما ذهب إليه جمع ممّن تأخّر عنه <sup>(٢)</sup>، فالرجوع إلى الأعلّم وتقليده مجزّ قطعاً، والرجوع إلى غيره وتقليده مشكوك الجواز، فيحتاج إلى الدليل.

الثاني: أنّ المقام من قبيل دوران الأمر بين التعيين والتخير، بعدما ثبت أنّ حجّية فتوى المجتهد من باب الطريقيّة إلى الواقع، والمختار فيه هو التعيين، خصوصاً في صورة الشكّ في حجّية طريق؛ لاعتبار القطع بالحجّية للطريق المسلك في مقام الامتنال، وفتوى الأعلّم كذلك؛ للعلم بحجّيتها - إمّا تعييناً، أو تخيراً - واعتبار فتوى غير الأعلّم يحتاج إلى الدليل؛ لما عرفت من أنّه لا إشكال هنا في التعيين، وإن لم نقل به في سائر موارد دورانه بين التعيين والتخير، مع أنّ الحقّ فيها أيضاً ذلك.

والفرق بينه وبين الوجه الأوّل: هو أنّ الأوّل إنّما هو بمناء القدر المتيقّن ومن طريقه، بخلاف هذا الوجه، فإنّه بمناء الدوران المذكور.

١ - مطارح الأنظار: ٢٧٢.

٢ - مناهج الأحكام والأصول: ٣٠١، ضوابط الأصول: ٤١٣، القوانين المحكمة

٢: ٢٤٧ - ٢٤٨.

الثالث : تفريره بطريق الانسداد؛ بأن يقال: لو لم يحز الرجوع إلى الأعلّم في مقام الامتثال وتقليده، لزم إمّا إهمال الوقائع، وهو باطل بالضرورة، وإمّا الاحتياط، وهو مستلزم لاختلال النظام والمعاش، وإمّا الرجوع إلى غير الأعلّم فيلزم ترجيح المرجوح على الراجح، كما تقدّم في باب الانسداد، فإذا بطلت التوالي الثلاث ثبت المقدّم، وهو وجوب تقليد الأعلّم.

وفيه : أنّ إهمال الوقائع وإن كان خلاف الضرورة، وكذلك الاحتياط التام موجب لاختلال النظام والعسر والحرج، لكن التجزّي في الاحتياط لا يوجب ذلك، كالأخذ بأحوط أقوال المجتهدين؛ لعدم العلم بوجود التكاليف خارجاً عن دائرة أقوالهم.

وأما المقدّمة الأخيرة - وهو لزوم ترجيح المرجوح على الراجح - فإن أريد منه أنّ فتوى الأعلّم أقرب إلى الواقع من فتوى غير الأعلّم، فهو ممنوع؛ لأنّه كثيراً ما توافق فتوى غير الأعلّم فتوى الأعلّم من الفقهاء الماضين.

مضافاً إلى أنّ دليل الانسداد لا ينتج إلّا وجوب التبعض في الاحتياط، كما قرّره في الانسداد الكبير.

وقد يقال: الأصل عدم تعيّن وجوب تقليد الأعلّم؛ لأنّه لو فرض هنا مجتهدان متساويان في العلم ولا أعلم منهما، فالعقل يحكم بالتخير بينهما بعد بطلان وجوب الاحتياط، فلو صار أحدهما بعد ذلك أعلم من الآخر فيشكّ حينئذٍ في بقاء التخير وعدمه، فقضيّة استصحاب بقاء التخير هو التخير بينهما، وبعدم القول بالفصل بينه وبين سائر الموارد يثبت المطلوب؛ أي التخير مطلقاً.

وقد يعارض ذلك بما لو فرض وجود مجتهد واحد لا غير، فإنّه يتعيّن تقليده، فلو وجد مجتهد آخر بعد ذلك، لكنّ الأوّل أعلم من هذا، فيشكّ في بقاء تعيّن تقليد الأوّل الأعلّم وعدمه، يستصحب تعيّن تقليده، وبعدم القول بالفصل يثبت تعيّن

الرجوع إلى الأعلّم مطلقاً، وهو المطلوب.

وأورد الشيخ على الأوّل على ما في التقارير : بأنّ التخيير الثابت أولاً، إنّما هو مع القطع بتساويهما في العلم وعدم المرجّح لأحدهما، وأمّا مع وجود المرجّح فلا يجري الاستصحاب<sup>(١)</sup>.

وهذا الإيراد مع إجماله لا يصلح للجواب عنه.

وأجيب عنه أيضاً : بأنّ الحكم العقلي بالتخيير في صورة تساويهما مرتفع قطعاً، مع احتمال عروض المرجّح لأحدهما، فلا مجال لاستصحابه ؛ للعلم بارتفاعه. وأورد عليه : بأنّ الحكم العقلي وإن كان مرتفعاً لكنّ الحكم الشرعي المستكشف من هذا الحكم العقلي مشكوك البقاء، فيستصحب.

والتحقيق ما قدّمناه سابقاً : من أنّ الأحكام الشرعيّة المستكشفة من الأحكام العقليّة - بناءً على ثبوت الملازمة بينها - تابعة للأحكام العقليّة المستكشف بها، وأنّ موضوعها واحد، ولا يعقل اختلاف موضوعها في السعة والضيّق، فتعلّق حكم العقل هو العنوان الكلّي، مثل عنوان الظلم الذي يحكم العقل بقبحه، ويستكشف منه حكم الشرع بجرمته بما هو ظلم، ثمّ بعد انطباق هذا العنوان على المصادق الخارجي، يصير هو محكوماً بحكمي العقل والشرع المذكورين، فلو احتمل بعد ذلك انطباق عنوان آخر عليه لايحكم العقل معه بالقبح، مثل عنوان المفسد في الأرض، فبمجرّد هذا الاحتمال ينتفي حكم العقل بقبحه قطعاً، ويتبعه حكم الشرع المستكشف من حكم العقل لاتّحاد مناطهما، فيتلازمان في الوجود وعدمه، وما نحن فيه من هذا القبيل، فإنّ حكم العقل بالتخيير في تقليد المجتهدين المذكورين، إنّما هو بمنأى تساويهما في العلم، فيكشف به حكم الشرع بذلك بهذا المنأى، لا على الموضوع الأعمّ أو الأخصّ من موضوع حكم

١ - أنظر مطارح الأنظار : ٢٧٣ سطر ١٩ و ٢٣ .



العقل، فإنه غير معقول، فمع احتمال عروض الترجيح في أحدهما ينتفي حكم العقل بالتخير، ويتبعه حكم الشرع المستكشف منه.

نعم لو احتمل حدوث مناط آخر للحكم الشرعي مقارناً لارتفاع مناط الحكم الشرعي الأول، أمكن استصحاب الكلّي الجامع بينهما، ولكن لا مجال لاستصحاب شخص الحكم الشرعي - المستكشف من الحكم العقلي - بمجرد احتمال زوال المناط؛ لما عرفت من أنه تابع للحكم العقلي، وأن موضوعها ومناطها واحد، لكن لو شك في بقاء الحكم الشرعي، المستكشف بالحكم العقلي الكلّي بعد انطباقه على الخارج، واحتمل انطباق عنوان آخر عليه، وعروض انطباق مناط آخر عليه لشخص آخر من الحكم الشرعي - غير الشخص الأول منه - المستكشف من الحكم العقلي، فهو من قبيل القسم الثالث من أقسام استصحاب الكلّي، وتقدم: أن له أقساماً يجري في بعضها الاستصحاب، دون بعض آخر منها، وما نحن فيه مما لا يجري فيه استصحاب الكلّي؛ لأن التخير الكلّي الجامع بين هذا الفرد من الكلّي وبين ذاك، ليس حكماً شرعياً، ولا موضوعاً ذا حكم شرعي، بل جميع موارد استصحاب الجامع بين الحكمين كذلك؛ لأنه أمر منتزع منها، وهو ليس حكماً شرعياً بنفسه، ولا موضوعاً ذا أثر شرعي، وتقدم أنه يعتبر في الاستصحاب كون المستصحب حكماً شرعياً، أو موضوعاً يترتب عليه الأثر الشرعي؛ أي كبرى كليّة شرعية، وحينئذ فلا مجال لاستصحاب التخير في المقام أصلاً، مضافاً إلى المعارضة المتقدمة، مع أنه لا معنى لعدم القول بالفصل في تلك المسألة العقلية.

فتلخص: أن مقتضى الأصل الأولي هو وجوب تقليد الأعلام.

### حول الاستدلال ببناء العقلاء في التقليد

ثم إنه لا بد من تقديم أمر آخر: هو مبنى جواز رجوع الجاهل إلى العالم أو وجوبه، والعمدة فيه: هو بناء العقلاء بالفطرة على الرجوع في كل أمر عند الاحتياج

إلى أهل الخبرة فيه، والقبول منهم، والجري العملي على طبق رأيهم في الصناعات وغيرها في كل فن، كاستقرار بنائهم على العمل بخبر الثقة واليد وأصالة الصحة في فعل الغير وغير ذلك، وأدلة عدم جواز العمل بالظن - مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup> ونحوه على فرض تسليم عدم اختصاصها بأصول العقائد كما لا يبعد ذلك - لاتصلح للردع عن هذا البناء؛ لأن هذا البناء الثابت المستقرّ منهم يحتاج الردع عنه إلى بيان أوضح وأوفى من ذلك، بل لا ينقدح في ارتكازهم وأذهانهم أن ذلك من قبيل الظنون، بل هو علم عاديّ عندهم، ولا ينقدح أيضاً في أذهانهم أن ذلك ردع عن هذا البناء، كبنائهم على العمل بخبر الثقة واليد.

### الشبهة في الاستدلال ببناء العقلاء وجوابها

لكن هنا شبهة تتوقف استقامة هذا الدليل على دفعها، وإلا لم يتم ذلك، وهي أن الاستدلال ببناء العقلاء إنما يتم لو ثبت هذا البناء منهم في عصر الأئمة عليهم السلام بمراي ومنظرهم، فإنه حينئذ يصح أن يقال: إن عدم ردعهم عليهم السلام عن ذلك كافٍ في إضائهم عليهم السلام له، وما نحن فيه ليس من هذا القبيل، فإن رجوع العامي إلى الفقيه والمجتهد - بالاجتهاد المتعارف في هذه الأعصار - أمر مستحدث لم يكن في زمانهم عليهم السلام بل المحدثون في عصرهم عليهم السلام يتلقون الأحكام منهم عليهم السلام شفاهاً، ويروونها لغيرهم، وأين ذلك من الاجتهاد المتعارف في هذه الأعصار، المتوقف على مؤنات ومشقات كثيرة وإعمال الدقائق العلمية والعلوم المختلفة، كالعلوم الرياضية وغيرها؟!

وبالجملة: الاستدلال ببناء العقلاء فيما نحن فيه، إنما يتم لو ثبت أحد أمرين

على سبيل منع الخلوّ:

أحدهما: إثبات تحقّق الاجتهاد بهذا المعنى المتعارف في هذا العصر في عصرهم عليه السلام ورجوع الجهال بالأحكام إليهم.

الثاني: إثبات أنّ على الأئمة عليهم السلام الردع عن المباني العقلانيّة الحادثة في زمن الغيبة مع عدم رضا الشارع بها.

ومع عدم إثبات هذين الأمرين لم يتم الاستدلال.

لا يقال: إنّ ورد في بعض الروايات: إرجاعهم إلى مثل زرارة<sup>(١)</sup> والأسدي<sup>(٢)</sup> ونحوهما<sup>(٣)</sup> لأخذ الأحكام، وبإلغاء الخصوصية يتم المطلوب، وهو جواز الرجوع إلى الفقهاء في هذا العصر أيضاً.

لأنّه يقال: إنّ ذلك إنّما يصحّ لو ثبت الاجتهاد بهذا المعنى المتعارف في زماننا لأمثال زرارة والأسدي، والظاهر خلافه، بل لم يكن شأنهم إلّا مجرد نقل الرواية.

### تحقّق الاجتهاد المتعارف في عصرنا في زمان الأئمة عليهم السلام

ولكنّ الحقّ: أن يقال بتحقّق الاجتهاد بهذا المعنى المتعارف في عصرنا في زمان الأئمة عليهم السلام؛ وذلك لأنّ مبنى الاجتهاد في هذا العصر هو الكتاب والسنة وبعض القواعد العقلية والعقلانية، ولا دخل لكثير من المسائل الأصولية في الاجتهاد

١ - اختيار معرفة الرجال ٢: ٣٤٧ / ٢١٦، وسائل الشيعة ١٨: ١٠٤، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ١٩.

٢ - اختيار معرفة الرجال ٢: ٤٠٠ / ٢٩١، وسائل الشيعة ١٨: ١٠٣، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ١٥.

٣ - اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢٨ / ٦٢٠، وسائل الشيعة ١٨: ١٠٥، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ٢٤.

واستنباط الأحكام، ولا ريب في أن الاستنباط بهذا المعنى - أي من الكتاب والسنة وبعض القواعد، كالاستصحاب وقواعد التعارض، مثل عرض المتعارضين على الكتاب والسنة، واختيار ما وافقهما وما يخالف العامة، وطرح ما خالف الكتاب والسنة، والترجيح بالشهرة، ونحو ذلك - كان متعارفاً ومتحققاً في أعصار الأئمة عليهم السلام بلاريب وإشكال؛ لأنه من المعلوم عدم تمكن كل أحد في عصرهم عليهم السلام - كالذين في البلاد البعيدة عنهم عليهم السلام - من السؤال منهم والحضور عندهم، مع شدة احتياجهم إلى السؤال من أحكامهم ومعالم دينهم، ولم يمكن معرفتها حينئذٍ إلا بالتوغل في الأخبار المنقولة عنهم عليهم السلام، وملاحظة قواعد التعارض بينها، كما وقع السؤال فيها منهم عليهم السلام وإرجاعهم مواليتهم وشيعتهم إلى فقهاءهم في ذلك الزمان.

نعم الفروع في هذه الأزمنة أكثر من الفروع في ذلك العصر.

ويشهد لذلك - أي تحقق الاستنباط والاجتهاد بهذا المعنى في أعصارهم عليهم السلام - الأخبار الكثيرة الناهية عن الفتوى بغير علم<sup>(١)</sup>، فيستفاد منها جواز الفتوى بالعلم المستفاد من الكتاب والسنة، في مقابل الفتوى على وفق القياس والاستحسانات العقلية، لا العلم الوجداني، فيظهر منها تحقق الفتوى عن علم في زمانهم عليهم السلام، ولا يمكن الفتوى إلا بالاجتهاد والنظر.

ومنها: الأخبار الناهية عن الحكم بغير ما أنزل الله<sup>(٢)</sup>، فتدل على جواز الحكم بما أنزل الله، وتميز ما أنزل الله تعالى عن غيره لا يمكن إلا بالاجتهاد والنظر، وإلا فجزد نقل الحديث لا يفيد ذلك.

ومنها: ما رواه ابن إدريس في «آخر السرائر»، نقلاً عن كتاب هشام بن سالم،

١ - وسائل الشيعة ١٨ : ٩ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٤ .

٢ - الكافي ٧ : ٤٠٧ أنظر باب من حكم بغير ما أنزل الله ، وسائل الشيعة ١٨ : ١٧ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ٥ .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنما علينا أن نلقي إليكم الأصول، وعليكم أن تفرّعوا)<sup>(١)</sup>. ومنها: المنقول عن كتاب البرنطي، عن الرضا عليه السلام قال: (علينا إلقاء الأصول، وعليكم التفريع)<sup>(٢)</sup>.

فإن الاجتهاد ليس إلا عبارة عن ردّ الفروع إلى الأصول والقواعد المتلقاة منهم عليهم السلام مثل قوله عليه السلام: (لا ينقض اليقين بالشك)<sup>(٣)</sup>، و (على اليد ما أخذت حتى تؤدّيه)<sup>(٤)</sup> ونحو ذلك، وتطبيق تلك الأصول على مصاديقها وما يشملها إطلاقاتها. وبالجملّة: يظهر من هذين الخبرين تحقق الاجتهاد بهذا المعنى المتعارف في هذه الأعصار في أعصارهم عليهم السلام.

وأما ما ورد في بعض الأخبار من النهي عن الإفتاء والاجتهاد<sup>(٥)</sup>، فهي نظرة إلى فتاوى العامّة وفقهائهم بالقياس والاستحسانات، كما كان ذلك من دأب أبي حنيفة وغيره، لا الفتوى المستنبطة من الكتاب والسنة، كما هو ظاهر لمن له أدنى تأمل وتدبر. ومنها: مقبولة عمر بن حنظلة<sup>(٦)</sup>، فإنّها وإن وردت في خصوص القضاء، لكن

١ - مستطرفات السرائر: ٥٧ / ٢٠، وسائل الشيعة ١٨: ٤٠، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٦، الحديث ٥١.

٢ - مستطرفات السرائر: ٥٨ / ٢١، وسائل الشيعة ١٨: ٤١، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٦، الحديث ٥٢.

٣ - تهذيب الأحكام ١: ٨ / ١١، وسائل الشيعة ١: ١٧٤، كتاب الطهارة، أبواب نواقض الوضوء، الباب ١، الحديث ١.

٤ - مسند أحمد بن حنبل ٥: ٨، سنن ابن ماجه ٢: ٨٠٢ / ٢٤٠٠، سنن أبي داود ٢: ٣١٨ / ٣٥٦١.

٥ - وسائل الشيعة ١٨: ٢٠، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٦.

٦ - الكافي ١: ٥٤ / ١٠، وسائل الشيعة ١٨: ٧٥، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ١.

القدر المسلّم شمولها للقضاء في الشبهات الحكميّة، فإنّ اختلاف الحكمين في الحديث كما فرض فيها - لا يتحقّق إلّا بالاجتهاد والنظر في معنى الحديث، سواء أريد اختلافهما في معنى حديث واحد، أو في حديثين؛ بأن استند أحدهما في حكمه على حديث، والآخر على حديث آخر؛ ضرورة عدم نشوء اختلافهما عن الشهوات النفسانيّة والأُميال الشخصيّة وبلا ملاك ومناط.

وبالجملة: يظهر من المقبولة الأمران المتقدّمان؛ وهما وجود الناظر في الحلال والحرام العارف بالأحكام في عصرهم، وحكمهم عليهم بالرجوع إليه في المنازعات. ومنها: مشهورة أبي خديجة<sup>(١)</sup> بالتقريب المتقدّم في المقبولة.

ومنها: ما رواه الصدوق<sup>(٢)</sup> عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي حيّون مولى الرضا، عن الرضا<sup>(٣)</sup> قال: (من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم).

ثمّ قال: (إنّ في أخبارنا محكماً كمحكم القرآن، ومتشابهاً كمتشابه القرآن، فردّوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبّعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا)<sup>(٤)</sup>. ومن الواضح أنّ ردّ المتشابه من الكتاب والسنة إلى المحكم منها، لا يمكن إلّا بالاجتهاد.

ومنها: ما في معاني الأخبار بسنده عن داود بن فرق، قال: سمعت أبا عبد الله<sup>(٥)</sup> يقول: (أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا؛ إنّ الكلمة لتنصرف

١ - الفقيه ٣: ٢ / ١، وسائل الشيعة ١٨: ٤، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١، الحديث ٥.

٢ - عيون أخبار الرضا ٢: ٢٢٦ / ٣٩، وسائل الشيعة ١٨: ٨٢، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ٢٢.

على وجوه، فلو شاء إنسان لأصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب<sup>(١)</sup>، فإن فهم المراد منها لا يمكن إلا بالاجتهاد والأنس بمذاقهم عليه السلام، الحاصل بالتوغل والتفكر في معاني الأخبار وملاحظة سائر ما له دخل في معرفة الأحكام.

ومنها : رواية علي بن أسباط قال: قلت للرضا عليه السلام : يحدث الأمر لا أجد بداً من معرفته، وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك.  
قال : فقال : (إئت فقيه البلد، فاستفته من أمرك، فإذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه، فإن الحق فيه)<sup>(٢)</sup>.

ويستفاد منها الأمران المتقدمان؛ أي وجود الفقيه والفتوى في ذلك الزمان، واستقرار بنائهم على الرجوع إليه وأخذ الأحكام منه.

ومنها : رواية «نهج البلاغة» فيما كتب إلى قثم بن عباس: (واجلس لهم العصرين، فأفت للمستفتي، وعلم الجاهل، وذاكر العالم)<sup>(٣)</sup>، فإن أمره عليه السلام له بالإفتاء، يكشف منه أهليته له، وتمكّنه من معرفة الأحكام من الأدلة، لا مجرد نقل الحديث، فيعلم منه تحقق الاجتهاد المصطلح في ذلك العصر أيضاً.  
ومنها : قول أبي جعفر عليه السلام لأبان بن تغلب : (اجلس في المسجد وأفت الناس، فإنني أحب أن يُفتي من شيعتي مثلك)<sup>(٤)</sup>.

١ - معاني الأخبار: ١ / ١، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٤، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ٢٧.

٢ - عيون أخبار الرضا ١ : ٢١٤ / ١٠، تهذيب الأحكام ٦ : ٢٩٤ / ٢٧، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٢، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ٢٣.

٣ - نهج البلاغة : ٦٤٢، مستدرک الوسائل ١٧ : ٣١٥، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ١٥.

٤ - رجال النجاشي : ١٠ / ٧، مستدرک الوسائل ١٧ : ٣١٥، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ١٤.

ومنها: الرواية الطويلة ليونس<sup>(١)</sup>، المتضمنة لبيان طريق الاجتهاد في أبواب المستحاضة.

ومنها: الأمر بالمسح على المראה في رواية عبد الأعلى، وأنه يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله<sup>(٢)</sup>.

وكذلك استدلاله عليه السلام في بعض الأخبار لكفاية المسح على بعض الرأس<sup>(٣)</sup>؛ لمكان الباء في آية الوضوء<sup>(٤)</sup>، وغير ذلك.

وأما إرجاعهم مواليهم وشيعتهم إلى الفقهاء في ذلك الزمان، فهو ممّا لا ريب فيه أيضاً، مثل إرجاعه عليه السلام إياهم إلى زكريّا بن آدم في كلّ ما يحتاج إليه<sup>(٥)</sup>، وقوله عليه السلام: (عليك بالأسدي)<sup>(٦)</sup> أو (بهذا الجالس)<sup>(٧)</sup> مشيراً إلى زرارة، وتدللّ عليه المقبولة ومشهورة أبي خديجة وغيرها من الروايات المتقدمة، وما دلّ على أنّ العلماء أمناء

١ - الكافي ٣ : ٨٣ / ١، وسائل الشيعة ٢ : ٥٣٧، كتاب الطهارة، أبواب الحيض، الباب ٣، الحديث ٤.

٢ - الكافي ٣ : ٣٣ / ٤، تهذيب الأحكام ١ : ٣٦٣ / ١٠٩٧، وسائل الشيعة ١ : ٣٢٧، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، الباب ٣٩، الحديث ٥.

٣ - الفقيه ١ : ٥٦ / ١، تهذيب الأحكام ١ : ٦١ / ١٦٨، وسائل الشيعة ١ : ٢٩٠، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، الباب ٢٣، الحديث ١.

٤ - المائدة (٥) : ٦.

٥ - اختيار معرفة الرجال ٢ : ٨٥٨ / ١١١٢، وسائل الشيعة ١٨ : ١٠٦، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ٢٧.

٦ - اختيار معرفة الرجال ١ : ٤٠٠ / ٢٩١، وسائل الشيعة ١٨ : ١٠٣، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ١٥.

٧ - اختيار معرفة الرجال ١ : ٣٤٧ / ٢١٦، وسائل الشيعة ١٨ : ١٠٤، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ١٩.



الرُّسل، وخلفاء الله في أرضه، وأنهم لم يدخلوا في الدنيا، قال: وما الدخول فيها؟  
قال: (الدخول في أمر السلطان)<sup>(١)</sup>.

وهذا منه عليه السلام إنما هو لإرجاع الناس إليهم وأخذ الفتوى منهم.  
فتلخص: ثبوت الأمرين المتقدمين؛ أي تحقق الاجتهاد بالمعنى المصطلح في  
زمانهم عليهم السلام، وإرجاعهم الناس - أي مواليتهم - إلى المجتهدين في عصرهم.

### شبهة أخرى في الاستدلال على بناء العقلاء

هذا، ولكن هنا شبهة أخرى: هي أنه لا ريب في أن حجّة فتوى المجتهد ليست  
من باب السببية؛ بإيجاد نظره مصلحة في مؤدى فتواه جابرة لمصلحة الواقع، بل هي  
من باب الطريقية للوصول إلى الأحكام الواقعية، كما هو المرتكز في أذهان العرف  
والعقلاء في جميع موارد رجوع الجاهل إلى العالم، وحينئذ فهذا الاختلاف الشديد بين  
الفقهاء في هذه الأعصار في الفتاوى والآراء؛ بحيث يُخطئ كل الآخر في نظره، ولم يكن  
في عصر الأئمة عليهم السلام بين الفقهاء، مثل زرارة ومحمد بن مسلم وأمثالهما؛ لتكثّرهم من  
استكشاف الحال بالرجوع إليهم عليهم السلام، فقليلاً ما يصاب الواقع في عصرنا، بخلاف  
عصرهم عليهم السلام، فامضاهم عليهم السلام لبناء العقلاء في رجوعهم إلى الفقهاء في عصرهم،  
إنما هو لمكان إصابة أنظارهم للواقع دائماً أو غالباً، لا يفيد ولا يستلزم إمضاءهم  
للرجوع إلى الفقهاء في هذه الأعصار؛ لندرة إصابة أنظارهم للواقع، فمجرد عدم الردع  
عن بنائهم في الرجوع إلى الفقهاء في عصرهم، لا يكفي في الإمضاء بالنسبة إلى هذه  
الأعصار، إلا أن نلتزم بأن حجّة الفتاوى من باب السببية، فإنّه عليه لافرق بين

١ - راجع دعائم الإسلام ١ : ٨١، باب ذكر الرغائب في العلم والحضّ عليه وفضائل طالبه،  
مستدرک الوسائل ١٧ : ٣١٢، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ٥.

وجود الاختلاف الشديد بين آرائهم وعدمه، ولكنّه خلاف التحقيق.

وهذه الشبهة لا ترتفع إلاّ بإثبات الأمر الثاني المتقدّم، وهو إثبات رضا الشارع وإمضائه لرجوع العوامّ إلى المجتهدين في زمان الغيبة في تلقّي الأحكام منهم، مع شدّة احتياجهم إليه، وعلمهم ﷺ بابتلاء الناس بزمان الغيبة، وأنّه بعد الغيبة وختم الولاية الظاهريّة يتحقّق الاختلاف الشديد بينهم، طبعاً يقطع بذلك من تأمّل وتدبّر في ذلك؛ من دون احتياج إلى العلم بالغيب، وحينئذٍ فعوض أداء الأمر إلى ذلك، وعلمهم ﷺ بذلك، وتحقّق بناء العقلاء في جميع الأعصار على رجوع الجاهل إلى العالم، فعدم ردعهم عنه كافٍ في الإمضاء، وكاشف عن أنّ رجوع العوامّ إلى المجتهدين في ذلك الزمان مرضيٌّ لديهم، وإلاّ وجب عليهم الردع.

وأما ما ذكره شيخنا الحائريّ قنّ في دفع الشبهة بأنّ للأحكام مراتب: الواقعيّة الأولى، والواقعيّة الثانويّة، والأحكام الظاهريّة، والمطلوب في مقام الاحتجاج هي الأحكام الظاهريّة؛ لأنّ المقصود هو التخلّص من العقاب، والفقهاء كلّهم معسبون فيها وإن كثر الاختلاف بينهم جدّاً<sup>(١)</sup>.

ففيه: أنّه إنّما يصحّ بالنسبة إلى وظيفة المجتهد نفسه، لا بالنسبة إلى مقلّده العامّي، فإنّ المجتهد معذور لو خالف نظره الواقع، وأدّى إلى خلافه؛ لو استفرغ وسعه وبذل جهده في مقام الاستنباط، وأمّا العامّي فالألزام عليه؛ إمّا العمل بالواقع، وإمّا بما هو عذر، ومجرّد معذوريّة الفقيه لنفسه لا يستلزم معذوريّة الجاهل المقلّد له.

وكذلك ما أفاده في دفعها: من أنّ خطأ المجتهدين في الآراء والأنظار وإن كان كثيراً في نفسه، لكنّه بالنسبة إلى موارد الإصابة في غاية القلّة؛ بحيث يكون احتمال الخلاف والخطأ عند العقلاء في كلّ مورد مُلغى<sup>(٢)</sup>.

١ - البيع، الشيخ الأراكي ٢: ٤١١ - ٤١٢.

٢ - نفس المصدر.

فإنه أيضاً ممنوع؛ لكثرة الاختلاف في آرائهم وأنظارهم في هذه الأعصار غايتها، حتى أن لفقيه واحد أقوالاً في كتبه المختلفة، كالعلامة رحمته في كتبه<sup>(١)</sup>، ومع الالتفات إلى هذه الاختلافات فاحتمال الخلاف ليس ملغى عند العقلاء؛ ليمسك في المقام ببناء العقلاء، ولا ريب في أن بناء العقلاء على رجوع الجاهل إلى العالم، إنما هو لأجل أن نظر أهل الخبرة عندهم نادر التخلف عن الواقع؛ بحيث لا ينقدح احتماله في أذهانهم، كما في مثل بنائهم على اعتبار اليد وأصالة الصحة في فعل الغير ونحوهما، لا لأجل انسداد باب العلم واحتياجهم إلى معرفة الأحكام، مع بطلان وجوب الاحتياط؛ لعدم تمامية مقدمات الانسداد عند العقلاء؛ لإمكان الاحتياط وعدم لزوم العسر والحرج منه، وعلى فرض استلزام الاحتياط التام لهما، فلاريب في إمكان التجزّي في الاحتياط؛ لعدم استلزامه لهما.

وليس بناؤهم هذا لأجل تواطؤ رؤساء القوم وتوافقهم على جعل ذلك قانوناً كلياً؛ لمكان احتياجهم إليه واختلال نظامهم ومعاشهم بدونه، وأنه بقي ذلك معمولاً به حتى صار ارتكازياً في هذه الأعصار وإن لم يكن كذلك في الأول، كما تقدّم احتمال ذلك في مثل أصالة الصحة ونحوها، فإن هذا الاحتمال في غاية البعد، كالممتنع عادة.

فتلخص ممّا ذكرناه : حجّة فتوى الفقيه الجامع للشرائط، وأنها طريق إلى الواقع، وبناء العقلاء على ذلك، وإن كان ناشئاً عن مقدّمة خطائية، وهي زعمهم: أن هذا المورد مثل سائر موارد رجوع الجاهل إلى العالم؛ غفلة عن كثرة الاختلافات بين فتاواهم، بل يمكن البناء على كاشفيّة فتاويهم عن الواقع شرعاً أيضاً؛ لأنها كذلك عند

١ - كما في مسألة مقدار الكرّ بالمساحة حيث ذهب إلى القول بثلاثة أشبار ونصف في مثلها طولاً وعمقاً في قواعد الأحكام ١ : ٤، وتحرير الأحكام ١ : ٤، والتبصرة : ٣، ومنتهى المطلب ١ : ٧، واختار في المختلف القول بثلاثة أشبار في مثلها طولاً وعمقاً في مختلف الشيعة : ٣ - ٤، ومال إليه في النهاية ١ : ٢٣٢ - ٢٣٣.

العقلاء، والشارع أمضى بناءهم كما هي عندهم، فهي إمّا أمانة على الواقع أو كالأمانة، وتقدّم أنّ بناءهم إمّا هو على الرجوع إلى الفاضل مع الإمكان، وعدم الرجوع إلى المفضول؛ مع العلم باختلافهما في الرأي والفتوى تفصيلاً أو إجمالاً، أو مع احتمال ذلك إذا كان له منشأ عقلائيّ.

### كيفية السيرة العقلانيّة في حجّية قول المفضول

لكن في حجّية قول المفضول ذاتاً مع وجود الفاضل - فتقديم الأفضل حينئذٍ عليه من قبيل ترجيح إحدى الحجّتين على الأخرى، نظير تقديم خبر الأوثق على غير الأوثق؛ مع حجّية خبر الموثّق أيضاً ذاتاً لا فعلاً - أو عدمها أصلاً لا فعلاً ولا ذاتاً - وحينئذٍ فتقديم الفاضل على المفضول من قبيل تقديم الحجّة على اللاّ حجّة - وجهان:

أوجهها الأوّل؛ إذ لا ريب في وجوب الرجوع إلى المفضول مع عدم التّكّن من الرجوع إلى الفاضل، واستقرّ عليه بناء العقلاء في مراجعاتهم إلى أهل الخبرة من الأطبّاء وغيرهم، وهو دليل قطعيّ على ثبوت الأماريّة لفتوى المفضول ذاتاً والطرّيقية الذاتية لها، بل لا يعقل دُخْل وجود الفاضل وعدمه في ثبوت الحجّية الذاتية لفتوى المفضول وعدمها؛ وإن أمكن دُخْله في الحجّية الفعلية لها.

وبعبارة أخرى: لا ريب في إلغاء احتمال الخلاف عند العقلاء بالنسبة إلى كلّ واحد من فتوى الأفضل والفاضل، لكن يرجّح عندهم الأفضل مع الإمكان.

### هل ترجيح قول الأفضل لزوميّ أم لا ؟

نعم، يبقى في المقام أمر؛ وهو أنّه هل تقدّم فتوى الأفضل بنحو الإلزام؛ بأن يُقال: إنّ نظر الأفضل وفتواه كاشف عن خطأ الآخر في فتواه و على عدم أماريّتها، دون

العكس، أو أنه بنحو الاستحسان لا الحتم؟

الظاهر هو الثاني، كما يظهر ذلك من التصفّح والتأمل في مباني العقلاء في موارد رجوعهم إلى أرباب الصناعات، فإنّ الرجوع إلى الأعلّم - مع الإمكان وعدم العسر والرج - أمر مستحسن عندهم لا حتمي، وأمّا مع تعذّر الرجوع إلى الأعلّم وإن لم يكن من الأعدار العقلانيّة، فلاريب في رجوعهم إلى غير الأفضل، فالرجوع إلى الأفضل من باب الاحتياط ومستحسن عندهم، لأنّه متعيّن ومتحمّ، لكنّه إنّما هو فيما إذا لم يحتمل مخالفتها في الرأي احتمالاً معتدّاً به؛ لإلغاء احتمال الخلاف في فتوى كلّ واحد من الأعلّم وغير الأعلّم حينئذٍ، وأمّا مع الاحتمال العقلائي في مخالفة فتواه لفتوى الأعلّم أو العلم الإجمالي بذلك، فالرجوع إلى الأعلّم متعيّن عندهم؛ لأنّه لا يجتمع إلغاء احتمال الخلاف بالفعل في فتواهما مع العلم الإجمالي بالمخالفة بين قوليهما، بل ومع الاحتمال أيضاً إذا كان عقلائيّاً، ففي الموارد التي يترأى منها من رجوعهم إلى غير الأعلّم؛ مع التمكن من الرجوع إلى الأعلّم، لا بدّ أن يكون لأجل عدم حصول الاحتمال العقلائي بمخالفتها في الفتوى، فضلاً عن العلم الإجمالي بها.

نعم العلم الإجمالي بذلك في فتاوى غير محصورة، لا يمنع من الرجوع إلى غير الأعلّم.

فالحاصل: أنّ مقتضى القواعد هو تعيّن الرجوع إلى الأعلّم مع العلم بالمخالفة بين فتواهما ولو إجمالاً، بل ومع احتمالها إذا كان له منشأ عقلائي. هذا كلّّه بحسب الأصل الأوّل.

## أدلة جواز الرجوع إلى المفضل

ولكن استدلل لجواز تقليد غير الأعلم - وإن علم مخالفته للأعلم في الفتوى - بالآيات والروايات<sup>(١)</sup>:

### الآيات التي استدلل بها

أما الآيات : فمنها آية السؤال المذكورة في سورتي النحل<sup>(٢)</sup> والأنبياء<sup>(٣)</sup>، وهي قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وتقريب الاستدلال : أنه من الواضح اختلاف مراتب الفقهاء في العلم، وكذلك اختلافهم في الفتاوى وعدم تساوي الاثنين منهم في العلم واتفاقهما في الفتوى في غاية الندرة، ومن المعلوم أنه ليس المراد السؤال من جميع أهل الذكر، أو الواحد المعين منهم، فلا بد أن يراد السؤال من واحد منهم، والآية بحسب إطلاقها شاملة لما إذا علم بمخالفة الفاضل للمفضل في الفتوى وعدمه، ولا يصح تنزيل الآية على خصوص صورة العلم بتساويهما في المرتبة والفضيلة واتفاقهما في الرأي؛ لأنه حمل على المورد النادر، وحينئذ فمقتضاها جواز تقليد المفضل أيضاً.

هذا غاية ما يمكن أن يقال في تقريب الاستدلال، ولكن يرد عليه بوجوه:

الأول : أن ظاهر الآية - الشاهد عليه سياقها - أن المراد من أهل الذكر علماء

١ - أنظر ضوابط الأصول : ٤١٣ - ٤١٤ ، ومطارج الأنظار : ٢٧٤ .

٢ - النحل (١٦) : ٤٣ .

٣ - الأنبياء (٢١) : ٧ .

اليهود؛ لأنّ قبلها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup> الآية، فهي ردّ على من زعم أنّ الرسول لابدّ أن يكون ملكاً، فأمر الله تعالى عوام اليهود بالسؤال من علمائهم؛ لعلمهم بأنّ الرسل السابقين كانوا رجالاً لا ملائكة.

الثاني: مقتضى الأخبار الواردة في تفسيرها، أنّ المراد من أهل الذكر هم الأئمة عليهم السلام خاصة لا غير، مثل قوله عليه السلام: (نحن أهل الذكر)<sup>(٢)</sup>، ولسنا فعلاً بصدد تفسير الآية.

الثالث: أنّ الآية مرتبطة بأصول العقائد المطلوب فيها العلم والاعتقاد، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي فاسألوا منهم أوصاف النبي صلى الله عليه وآله؛ كي تعلموا أنّه النبيّ النذير المبشّر به من الله تعالى في التوراة والإنجيل، وهذا غير ما نحن بصدده من جواز تقليد المفضول؛ والرجوع إليه في المسائل الفرعية وإن لم يحصل العلم مع وجود الفاضل.

الرابع: على فرض الإغماض عن جميع ما ذكر، لكن لانسليم إطلاق الآية؛ بحيث تشمل صورة العلم بمخالفة المفضول للفاضل في الرأي والفتوى.

ومنها: آية التّفَرُّ، وهي قوله تعالى: ﴿قُلُوا لَا تَقْرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

والاستدلال بها لجواز تقليد المفضول - حتّى مع العلم بمخالفته للفاضل في الفتوى - يتوقّف على أمور:

١ - الأنبياء (٢١) : ٧.

٢ - الكافي ١ : ١٦٣ أنظر باب أنّ أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام، تفسير البرهان ٢ : ٣٦٩ ذيل الآية ٤٣ من سورة النحل، وسائل الشيعة ١٨ : ٤١، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٧.

٣ - التوبة (٩) : ١٢٢.

الأول : أن يجب النَّفَر على طائفة من المسلمين.

الثاني : كون التفقه غاية للنَّفَر.

الثالث : كون المنذر به من جنس ما يتفقه فيه.

الرابع : كون كل واحد من النافرين منذرًا.

الخامس : أن المنذر - بالفتح - كل واحد من القوم، لا مجموعهم.

السادس : أن يراد منها التفقه في الفروع أو الأعم منها ومن الأصول.

السابع : إرادة التحذير العملي من الآية.

الثامن : ثبوت الإطلاق للآية؛ بحيث تشمل صورتي حصول العلم بما أنذر به

وعدمه؛ سواء خالف قول المنذر وفتواه قول المنذر الآخر وفتواه، أم لا.

وكثير من هذه الأمور محل منع؛ وذلك لأن استفادة وجوب النَّفَر من كلمة

«لولا» التحضيضية مشككة، بل مقتضى سياق الآية أنها في مقام النهي عن نَفَر

الجميع؛ لقوله تعالى قبلها: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾، فهو نهى عن نَفَر

جميعهم باتفاق المفسرين<sup>(١)</sup>، كما يشعر به عدم نقل الطبرسي رحمته في «المجمع» الخلاف في

ذلك<sup>(٢)</sup>، مع أن دأبه في تفسيره ذلك.

وبعبارة أخرى: بناء على أن ما قبل الآية نهى عن نَفَر الجميع - كما هو الظاهر -

فقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ بعده في مقام توهم الحظر، فلا يستفاد منه الوجوب، كما

قرّر في محله. هذا بحسب تفسير المفسرين.

ولكن الذي يبدو للنظر : أن ما قبل الآية ليس نهياً عن النَّفَر العمومي، بل هو

إخبار عن أن النهي عن النَّفَر العمومي إنما هو لإيجابه اختلال النظام، وحينئذٍ فقوله

تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ حث على نَفَر البعض.

١ - تفسير البضاوي ١ : ٤٢٥ ، تفسير الميزان ٩ : ٤٠٤ .

٢ - مجمع البيان ٥ : ١٢٦ .



ثم لا نسلم كون المنذر به من جنس ما يُتفق فيه؛ لأنه خلاف ظاهر الآية؛ لأن ظاهرها أن غاية التفر أمران؛  
أحدهما: التفقه في الدين أولاً.  
ثانيهما: الإنذار بعده.

ولا يلزم حينئذ أن يكون المنذر به من جنس المتفق فيه، وأيضاً لا دليل على أن المراد من المنذر به هو الفتوى، بل هو خلاف ظاهر الآية، فالظاهر أن المراد تخويف الناس؛ بذكر الآيات والأخبار الواردة في الوعيد على مخالفة الله والرسول، كما هو دأب الواعظين.

لا يقال: إنه لا يناسبه حينئذ قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾؛ لإمكان الوعظ والتخويف من غير المتفق في مسائل الحلال والحرام.

لأنه يقال: وجه المناسبة؛ هو أنه لا يمكن الإنذار إلا من الفقيه البصير بالحلال والحرام وأصول العقائد ومباني الإسلام، ولا يختص بالفروع، بل يشمل أصول الدين، إلا أنه فيه مقيد لصورة حصول العلم، وإلا فربما يؤدي إنذاره إلى ما هو خلاف المطلوب.

مع أنه لا نسلم أيضاً أن المراد من التحذير وجوب التحذير العملي، بل ظاهر الآية أن المراد: لعله يوجد في أنفس القوم ما يوجب التذكّر والخوف من العقاب وزوال الغفلة، مثل قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾<sup>(١)</sup>.

وعلى فرض الإغماض عن جميع ما ذكر لا نسلم إطلاق الآية؛ بحيث يشمل صورة اختلاف المفضل للفاضل في الفتوى؛ لأنها ليست في مقام بيان ذلك. كما أنه لا نسلم إطلاقها الشامل لصورتي حصول العلم من إنذار المنذر وعدمه.

فالآية أجنبية عما نحن بصدد.

وأوضح منها في عدم الدلالة على المطلوب آية الكتان<sup>(١)</sup>، وغيرها بما استدلل بها في المقام.

### الروايات التي استدلل بها لجواز تقليد غير الأعلام

وأما الروايات : فاستدلل بعدة منها لجواز تقليد غير الأعلام.

منها : رواية الاحتجاج عن تفسير الإمام في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، قال الشيخ: (هذه لقوم من اليهود ...) إلى أن قال: (فإن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصريح وأكل الحرام وتغيير الأحكام، واضطروا بقلوبهم إلى أن من فعل ذلك فهو فاسق...) إلى أن قال: (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم، فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة، فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً)<sup>(٣)</sup> الحديث.

بدعوى شمول إطلاقها لتقليد من ثبت له هذه الأوصاف، واقتضائها جوازه ولو مع مخالفة رأيه لرأي الأعلام منه، خصوصاً مع كثرة مراتب الفقهاء في الفضل والعلم ونُدرة تساوي الاثنين منهم في الفضل والفتوى.

هذا، ولكن يرد على الاستدلال بها في المقام - مضافاً إلى ضعف سندها؛ لعدم

١ - البقرة (٢) : ١٥٩ .

٢ - البقرة (٢) : ٧٩ .

٣ - الاحتجاج : ٤٥٧ ، تفسير الإمام العسكري : ١٢٠ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٩٤ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب ١٠ ، الحديث ٢٠ .

ثبوت صحة نسبة التفسير المذكور إلى الإمام عليه السلام، بل كان بعض أساتيدنا يقول: إنّه مشتمل على أمور ومطالب يُعلم منها أنّه ليس من الإمام عليه السلام - أنّه قال في «البيان» بعد قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾<sup>(١)</sup> الآية: إنّه يستفاد من هذه الرواية: أنّ علماء اليهود ورؤساءهم كانوا ظانّين بنبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله وخلافة الإمام عليه السلام، وأنّ عوامّهم يقلّدونهم، وأنّ ذمّهم لتقليدهم علماءهم ليس لأجل أنّه تقليد في أصول العقائد، وهو غير جائز، بل لأجل أنّهم فسّاق، مع أنّ عدم جواز التقليد في أصول العقائد، من الضروريّات والبدهيّات لو لم يحصل العلم والاعتقاد، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَتَّبِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ولا يصحّ تقييد الرواية بغير أصول الدين؛ لأنّه موردها، فلا يجوز إخراجها عنها، مضافاً إلى منع الإطلاق في الرواية؛ وشمولها للرجوع إلى المفضول مع مخالفته للفاضل في الرأى والاجتهاد، بل ظاهرها أنّها في مقام بيان مطلب آخر، هو بيان جهة الاشتراك بين عوامّنا وعوامّهم وجهة الافتراق بينهما، فلا دلالة لها على المطلوب.

ومنها: ما استدللّ بها تارة لتعيّن تقليد الأعلّم، وأخرى لجواز تقليد غير الأعلّم، وهي مقبولة عمر بن حنظلة، وفيها: (ينظران إلى من كان منكم ممّن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا، فلم يقبل منه، فإنّما استخفّ بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله)<sup>(٣)</sup> الحديث.

تقريب الاستدلال بها على جواز الرجوع إلى المفضول وإن علم مخالفته للفاضل في الفتوى: أنّها وإن كانت في مقام أمر القضاء وصفات القاضي ومن يجوز

١ - البقرة (٢) : ٧٩.

٢ - البقرة (٢) : ٧٨.

٣ - الكافي ١ : ٥٤ / ١٠، تهذيب الأحكام ٦ : ٣٠١ / ٨٤٥.

التحاكم إليه، لكنّها ربّما تكون في الشبهات الحكميّة التي تشخيصها منوط بنظر الحاكم، فتدلّ الرواية على 'حجّية رأي من له الصفات المذكورة في الرواية في حقوق الناس، فيعلم أنّه كذلك في حقوق الله بالأولويّة، أو بإلغاء الخصوصية العرفيّة، أو بتنقيح المناط القطعي.

وهي تدلّ على اعتبار تشخيص العرف والعقلاء أنّه قد حكم بحكمهم؛ لقوله <sup>(عليه السلام)</sup>: (بحكمنا)، فلا بدّ من إلغاء احتمال الخلاف والخطأ في رأيه ونظره وفتواه عندهم، بعد إلغاء احتمال تعمد الكذب على الله تعالى؛ لفرض عدالته. مضافاً إلى أنّ الرواية متعرّضة لصورة اختلاف الحكمين في رأيها ونظرهما؛ لقوله: «وكلاهما اختلفا في حديثكم»، فيعلم منه شمول صدرها لصورة اختلافها في الفتوى، لكنّها تختصّ بباب الحكومة وشمولها لغيرها يحتاج إلى إلغاء الخصوصية العرفيّة هذا.

ولكن لا يخفى ما في هذا الاستدلال؛ لأنّ إلغاء الخصوصية إنّما هو فيما لو فهم العرف والعقلاء عدم دُخُل القيد عند الإطلاق، مثل «رجل شكّ في الأذان وقد دخل في الإقامة»، فإنّه لا يَحتمل في المتفاهم العرفي دُخُل الرجوليّة بخصوصها في هذا الحكم، فالمرأة كذلك عندهم، وأمّا لو احتتمل عرفاً دُخُل خصوصيّة للقيد في الحكم - كما فيها نحن فيه - فليست الخصوصية ملغاة عرفاً؛ للفرق بين باب القضاء وبين باب الفتوى، فإنّه لا مجال للاحتياط والصلح في الأوّل غالباً، بخلاف مقام الفتوى؛ لاحتمال مطلوبيّة الاحتياط أو التجزئة فيه، وحينئذٍ فيمكن نفوذ حكم غير الأعلم في مقام القضاء مع عدم حجّية فتواه في غيره. هذا أولاً.

وثانياً: قضية تنقيح المناط إنّما تصحّ لو علم المناط قطعاً في حجّية فتواه في الحكومة، لا فيما لم يعلم كما في المقام؛ لعدم معلوميّة مناط حجّية فتواه في الحكومة؛ حتّى يتمشّي فيه قضية تنقيح المناط.

وأما دلالة الرواية على إلغاء العرف احتمال الخلاف في فتواه، فهو إنما يسلم في الحكومة فقط، لا مطلقاً؛ حتى في سائر فتاواه في غير الحكومة.

وأما تعرض الرواية لصورة اختلاف الحكمين في رأيها، فهو على خلاف المطلوب أدل؛ حيث حكم عليه السلام بالرجوع إلى أفقهما والأخذ بقوله، فبدل على عدم اعتبار رأي غير الأفقه حتى في باب الحكومة، وكذلك الأصدق وغيره، فتدل على عدم جواز تقليد غير الأفقه والأصدق، وهكذا الكلام في مشهورة أبي خديجة استدلالاً ورداً.

ومنها: التوقيع لإسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً، قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: (أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك ...) - إلى أن قال -: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم)<sup>(١)</sup>.

تقريب الاستدلال: أن المراد بالحوادث الواقعة: إما خصوص الشبهات الحكمية التي لا بد من الرجوع فيها إلى أحكام الإسلام، أو الأعم منها ومن الشبهات الموضوعية، وعلى أي تقدير تشمل الشبهات الحكمية، ومن المعلوم أنه ليس مراده عليه السلام إرجاعهم إلى الرواة لمجرد تلقي الحديث وأخذه؛ لعدم حلّ المشكل به، ولا سبيل إلى إنكار إرادة الرجوع إليهم في حلّ الإشكال ورفع الشبهة؛ لأنه المناسب لقوله وتعليقه عليه السلام: (إنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم)، الظاهر في أن المراد أن أعمالهم وأفعالهم وأنظارهم كأفعاله وأعماله وأنظاره عليه السلام.

مضافاً إلى أن قوله عليه السلام: (وأنا حجة الله عليهم) مشعر بأنهم بمنزلته، فكما

١ - إكمال الدين: ٤٨٣ / ٤، الغيبة: ٢٩٠ / ٢٤٧، وسائل الشيعة ١٨: ١٠١، كتاب القضاء،

أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ٩.

أنه عليه السلام حجة الله في جميع شؤون الإسلام فكذلك هؤلاء، فلا بد من الرجوع إليهم في جميع شؤون الإسلام التي منها آراءهم وفتاواهم.  
هذا، لكن فيها إشكالان لا طريق إلى حلها:

أحدهما: أنها ضعيفة السند بإسحاق بن يعقوب، فإنه لا أثر له في الأخبار إلا نقل هذه الرواية والتوقيع، ومجرد نقل المشايخ العظام لتوقيعه لا يفيد في توثيقه واعتباره؛ لأنهم كثيراً ما ينقلون ما لا يعتمدون عليه في مقام الفتوى من الأخبار.  
وثانيهما: أنه لم يذكر فيها السؤال أنه عن أي شيء هو؟ فمن المحتمل أنه مما يصلح للقرينة على أن الجواب في خصوص باب الحكومة والقضاء، وهذا الاحتمال العقلاني لا دافع له، ومعه لم يستقم الاستدلال بها على المطلوب.

مضافاً إلى منع دلالتها على ثبوت جميع ما للإمام عليه السلام من شؤون الإسلام للفقهاء المفضلين أيضاً، وعلى فرض تسليمه منع شمولها لصورة مخالفته للمفاضل في الرأي والفتوى، مع أن الرجوع إلى المفضل حينئذٍ خلاف طريقة العقلاء، ولا يكفي هذا النحو من البيان للردع عن هذه الطريقة العقلانية، بل يحتاج إلى بيان أوفى وأزيد من ذلك.

وأيضاً من المحتمل أن المذكور في السؤال، ما يصلح قرينة على أن المرجوع إليه شخص خاص أو عدة معينة مخصوصة، لا يتأتى فيه إلغاء خصوصيتهم من جهة عدم اختلاف أنظارهم أو قلتهم، مع كثرة الاختلاف بين فقهاء هذا العصر.

ومنها: رواية الكشي عن موسى بن جعفر بن وهب، عن أحمد بن حاتم بن ماهويه، قال: كتبت إليه - يعني أبا الحسن الثالث - أسأله عن أخذ معالم ديني؟ وكتب أخوه أيضاً بذلك، فكتب عليه السلام إليهما: (فهمت ما ذكرتما فاصمدا في دينكما على كل

مسنٌ في حبنا، وكلّ كثير القدم في أمرنا، فإنّهم كافوكما إن شاء الله<sup>(١)</sup>.  
تقريب الاستدلال : أنّ مقتضى إطلاق الحكم فيها بالرجوع إلى من ثبت له  
إحدى هاتين الصفتين، هو جواز الرجوع إليهما وإن وجد الأفضل منها ولو مع المخالفة  
بينهم في الفتوى.

ولكنّها أيضاً ضعيفة السند، مضافاً إلى أنّ ظاهرها وأمثالها، أنّها في مقام توثيق  
عدّة من الرواة وتعريف أشخاصهم وتمييزهم، مع أنّ الرجوع إلى الثقة من المرتكزات  
في أذهان المسلمين بنحو العموم، فليست في مقام هذا الحكم الكليّ، مضافاً إلى عدم  
استفادة جواز الرجوع إلى كلّ فقيه وعالم منها، بل من ثبت له هاتان الصفتان في ذلك  
العصر، ومنع إلغاء الخصوصية عرفاً، كما تقدّم.

وأما الاستدلال للمطلوب ببعض الأخبار الآمرة بالرجوع إلى بعض  
الأشخاص المعيّنين من الرواة، مثل إرجاع ابن أبي يعفور إلى محمّد بن مسلم<sup>(٢)</sup>، ولذا  
قد يقال بدلالتها على جواز رجوع مجتهد إلى مجتهد آخر، وقد تقدّم خلافه؛ لما عرفت  
من افتقاره إلى إلغاء الخصوصية عرفاً، وهو أيضاً ممنوع.

وأما إرجاع ابن أبي يعفور إلى محمّد بن مسلم، فليس من قبيل إرجاع مجتهد  
إلى آخر في أخذ الفتوى وتقليده؛ لينا في ما ذكرناه سابقاً من عدم جواز ذلك، بل  
لأجل أنّه كان عنده علوم تلقّاها من الأئمة عليهم السلام، لا يمكن معرفتها له إلا بالرجوع إليه  
وتلقّيها منه، وهو أخذ الرواية منه مجرداً، دون فتواه.

وأما التمسك للمطلوب بالإجماعات المنقولة فهو أيضاً غير سديد؛ لأنّ

١ - اختيار معرفة الرجال ١ : ١٥ / ٧، وسائل الشيعة ١٨ : ١١٠، كتاب القضاء، أبواب صفات

القاضي، الباب ١١، الحديث ٤٥.

٢ - اختيار معرفة الرجال ١ : ٣٨٣ / ٢٧٢، وسائل الشيعة ١٨ : ١٠٥، كتاب القضاء، أبواب

صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ٢٣.

الاستدلال بالإجماع إنما يصح لو لم يكن في المسألة ما يحتمل استناد القائلين والمجمعين إليه؛ من بناء العقلاء أو حكم العقل، وفيما نحن فيه يحتمل استنادهم إلى بناء العقلاء أو حكم العقل، ومعه فليس الإجماع كاشفاً عن الحجية ووجود النصّ المعتمد.

## أدلة وجوب الرجوع إلى الأفضل

استدلّ لوجوب تقليد الأعلّم - مع مخالفته في الفتوى لغير الأعلّم - بالمقبولة<sup>(١)</sup>؛ حيث إنّه بعد فرض الراوي اختلاف الحكمين في الحكم، حكم <sup>بالأفضل</sup> بالرجوع إلى الأئمة والأعدل والأصدق، مع ظهور الرواية في الشبهات الحكيمة أو الأعمّ منها ومن الموضوعية، ومن المعلوم أنّ الحكم بتعيين نفوذ حكم الأئمة مستلزم لتعيين اعتبار رأيه ونظره؛ إذ لا يعقل عدم تعيين اعتبار فتواه - التي هي مستند حكمه - واعتبار حكمه ونفوذه فقط، وبعد إلغاء خصوصية الدين والميراث تشمل فتواه في غير باب القضاء، فتدلّ على اعتبار فتواه بما أنّها فتواه مطلقاً تعييناً.

وفيه أولاً: أنّ ظاهر المقبولة هو تقديم من اجتمعت فيه هذه الصفات أجمع؛ للعطف فيها بالواو، لا تقديم الأئمة فقط، كما هو المطلوب. وبعبارة أخرى: مقتضاها اعتبار اجتماع هذه الصفات كلّها في الترجيح، لا بمجرد الأئمة.

وثانياً: تعيين اعتبار حكمه في الشبهات الحكيمة وإن استلزم تعيين اعتبار فتواه في ذلك؛ لما تقدّم من أنّه لا يعقل تعيين اعتبار حكمه دون فتواه التي هي مستند حكمه، لكن لا ملازمة بينها في جانب السلب في فتوى المفضول وحكمه؛ بمعنى أنّ عدم

١ - الكافي ١: ٥٤ / ١٠، تهذيب الأحكام ٦: ٣٠١ / ٨٤٥.



اعتبار حكمه وقضائه لا يستلزم عدم اعتبار فتواه؛ لأنّه من المحتمل أنّ عدم اعتبار حكمه لانتفاء مقدّماته الآخر، لا لعدم حجّية فتواه، وهذا احتمال عقلائيّ.

وثالثاً؛ لا نسلم إلغاء الخصوصية بعد الفرق بين باب القضاء وبين باب الفتوى؛ لعدم تعقّل أمر القاضي المتخاصمين بالاحتياط أو التجزئة فيه في الأوّل دون الثاني، فقياس باب الفتوى عليه قياس مع الفارق.

الثاني ممّا استدللّ به لتعيّن وجوب تقليد الأعلّم: أنّ رأي الأعلّم أقرب إلى الواقع، وكلّ من هو كذلك تعيّن تقليده عقلاً، ينتج وجوب تقليد الأعلّم تعييناً. أمّا الصغرى؛ فلأنّ نظره أصوب وأقرب إلى الواقع لفرض أعلميّته، وهو أخبر بمجاري الأصول والقواعد ومواقعها، وتمييز الدليل الحاكم عن المحكوم ومجاري البرائة والاشتغال وغير ذلك، والمفروض أنّ نظره أقرب إلى الواقع وطريق إليه وكاشف عنه. وأمّا الكبرى؛ فلأنّه إذا لم تكن لأنظار المجتهدين موضوعيّة وسببيّة، بل هي طريق كاشف عن الواقع، وأنّ ما هو المطلوب هو الأحكام الواقعيّة، فع أقربيّة رأي الأعلّم إلى الواقع يتعيّن لزوم اتّباعه وأخذ الفتوى منه عقلاً.

### إشكال المحقّق الخراساني رحمه الله صغرياً

وأورد في «الكفاية» على الصغرى: بأنّ فتوى غير الأفضل ربّما تكون أقرب من فتوى الأفضل؛ لموافقة فتواه لفتوى من هو أفضل من هذا الأفضل من الأموات، فإنّ العقل لا يرى تفاوتاً بين الأقربيّة في الأمانة؛ لنفسها أو لأجل موافقتها لأمانة أخرى<sup>(١)</sup>.

وأورد عليه بعض المحقّقين - الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله - في الحاشية:

بأن اعتبار الظنّ الحاصل من فتوى المجتهد ليس لأنّه ظنّ مطلق بالواقع، بل لأجل أنّه ظنّ خاصّ حاصل من رأي المجتهد المستند على الأدلّة الشرعيّة. وحينئذٍ فما ذكره : من عدم الفرق بين الأقربيّة، لنفسه أو لموافقته لأمانة أخرى.

فيه : أن رأي الميّت في نفسه ليس حجّة، وضمّ الحجّة إليه لا يفيد شيئاً من القوة، فإنّ إلحاق الظنّ الغير المعتمد بالظنّ المعتمد كالحجر في جنب الإنسان، وحينئذٍ فالفرق بين المرجّحات الداخليّة والخارجيّة قوي<sup>(١)</sup>. انتهى حاصله.

أقول : هذا الإيراد - مع قوّة فهمه وتبرّك ودقّة نظره - عجيب منه، فإنّه يتبرّك خلط بين الصغرى والكبرى، وإشكال صاحب الكفاية إنّما هو على الصغرى؛ أي أنّ رأي الأعلّم أقرب إلى الواقع، فأشكال في «الكفاية» على ذلك بعدم عموميّة ذلك، أي كليّة الصغرى، وإشكاله يتبرّك في محلّه؛ لما أفاده؛ من أنّه ربّما يوافق رأي غير الأفضل رأي الأفضل من هذا الأفضل من الأموات، فقصوده يتبرّك من هذا الإشكال نفي الصغرى لا الكبرى، وهي حجّية ما هو أقرب إلى الواقع عقلاً؛ فلا يرد عليه ما ذكره : من الفرق بين المرجّحات الداخليّة والخارجيّة.

وبالجملة : إشكال «الكفاية» إنّما هو على الصغرى، والإيراد المذكور عليه إنّما هو راجع إلى الكبرى، فهو في غير محلّه.

### إشكال المحقّق الخراساني رحمه الله كبروياً

وأما الكبرى؛ فأورد عليها في «الكفاية» أيضاً بما حاصله بتقريب منّا؛ أن الكلام هنا ليس في بناء العقلاء على تعيّن تقليد الأعلّم، ولا لأنّه مقتضى الأصل

العقلي في دوران الأمر بين التعيين والتخير؛ للفراغ عن البحث فيها، بل المقصود هنا إقامة برهان مركّب من صغرى وجدائية وكبرى عقلية، فيرد على الكبرى: أن حكم العقل فيها: إن كان لأجل إحاطته بجميع ملاكات الأحكام الشرعية، فحكمه حينئذٍ قطعيّ جزمي؛ بحيث لو ورد في الشرع ما هو بخلافه تعيّن طرحه؛ لأنّه خلاف الحكم العقلي القطعي، فهو ممنوع؛ لأنّه لم يعلم أن ملاك حجّة رأي الغير تعبّداً - ولو على نحو الطريقة - هو القرب إلى الواقع، ولعلّه لملاك هو في الأفضل وغيره سيّان، ولم يكن لزيادة القرب في أحدهما دُخْل في الاعتبار.

وبعبارة أخرى: ليس مطلوب الشارع هو الأحكام الواقعية، وإلاّ تعيّن الاحتياط وإن استلزم العسر والمخرج واختلال النظام، ولما صحّ التعبّد بالأمارات والأصول، بل التعبّد بقول الأعلّم أيضاً؛ للعلم بعدم مطابقة جميع فتاواه للواقع دائماً، فدعوى أن مطلوب الشارع هو الأحكام الواقعية خلاف ضرورة الفقه؛ ضرورة ثبوت التعبّد بالأمارات والأصول، بل يعلم بعدم مطلوبيّة التجزّي في الاحتياط شرعاً أيضاً، بل المطلوب هي الأحكام الواقعية من طريق العمل بالأمارات والأصول وسلوكها، وحينئذٍ فللشارع أن يحكم بتخير المقلّدين بين تقليد الأعلّم وغيره، بل له التعبّد بتعيّن الرجوع إلى غير الأعلّم، فمع عدم امتناع ذلك لم تتمّ الكبرى المذكورة؛ لأنّ حكم العقل لا يجتمع مع احتمال الخلاف.

وإن أُريد أن الأقربيّة إلى الواقع هي تمام الملاك، فهو ممنوع.  
وإن أُريد أنّه يمكن دُخْل الأقربيّة إلى الواقع في تعيّن الرجوع إلى الأعلّم، مع قطع النظر عن الجهات الأخرى، فهو لا يفيد المطلوب<sup>(١)</sup>.

وأورد عليه المحقّق المذكور في الحاشية: بأنّه إن أراد عدم دُخْل القرب إلى

الواقع في حجية قول المفتي أصلاً، فهو منافٍ لطريقة رأيه إلى الواقع، مع اعترافه بأن رأي المجتهد حجة من باب الطريقة.

وإن أراد أنه ليس له تمام الدخّل فيها، بل جزؤه، وأنّ هنا خصوصية أخرى دخيلة في حجية رأيه أيضاً بنحو جزء الموضوع، فإمّا أنّ تلك الخصوصية جزء المقتضي للحجية، أو شرط لها.

والأوّل : لا ينافي وجوب تقليد الأعلّم تعييناً؛ لأنّه عليه يشترك رأي الأعلّم وغير الأعلّم في جميع الخصوصيات، لكن في رأي الأعلّم خصوصية أخرى هي جزء المقتضي لحجّيته، وهي الأقربيّة إلى الواقع المنتفية في رأي غير الأعلّم، وحينئذٍ يجب تقديم الأعلّم.

لا أقول : إنّّه يقدّم على غير الأعلّم في جميع الخصوصيات.  
بل أقول : إنّ تلك الخصوصية الموجودة في رأيه المفقودة في رأي غيره، أوجب تقديمه على غيره بنحو الإطلاق، أي كون الخصوصية شرطاً.

وعلى الثاني : فعدم منافاته لوجوب تقليد الأعلّم أوضح؛ لأنّ الخصوصية الزائدة لا دُخِلَ لها في قرب الآراء إلى الواقع ويُعدها عنه؛ لأنّ الملاك في القوّة والضعف في المقتضي، لا في الشرائط، والمفروض أنّ المقتضي في رأي الأعلّم أقوى، فوجب تقديمه، ولهذا لا مجال لمقايسة المقام على اعتبار البصر والكتابة في القاضي؛ لأنّها مع الفارق؛ لأنّ المعتبر في القاضي هو أصل البصر والكتابة، لا قوّة البصر وجودة الكتابة، بخلاف الفتوى ورأي المجتهد؛ حيث إنّّه طريق إلى الواقع، فيعتبر فيه قوّة النظر والرأي.

نعم لو قلنا بأنّ المراد بالأعلميّة قوّة نظره؛ - بمعنى عدم زوال رأيه بتشكيك المشكك، لا أنّ نظره أقرب إلى الواقع وأصوب - صحت المقايسة المذكورة.

ثمّ قال: ومن هنا يمكن إقامة دليل آخر على وجوب الرجوع إلى الأعلّم، وإن

فرض عدم أقرية رأي الأعلم إلى الواقع، أو قلنا بعدم دُخُل الأقرية إلى الواقع في المقام، وهو أنه إذا كان الأعلم أجود استنباطاً، وأخبر بمجاري الأصول وغيرها تعين الرجوع إليه عقلاً؛ لإذعان العقل بلزوم تقديمه وإدراكه له؛ لأن التسوية بينه وبين المفضل مثل التسوية بين العالم والجاهل، لا أن العقل متوقف في ذلك<sup>(١)</sup>. انتهى حاصله.

أقول: لا ريب في دُخُل القرب إلى الواقع في حجية رأي المجتهد؛ لما تقدّم من أن رأيه أمانة إلى الواقع، لكن المدعى هو أن علة جعل الأمانة شرعاً، لا تنحصر في وجود المقتضي وانتفاء المانع، وبعبارة أخرى: ليست العلة في جعل حجية الأمانات منحصرة بالمقتضي والمانع، بل يمكن وجود مصالح عامة هي العلة في جعل الأمانات، مع أنه كثيراً ما تخالف الواقع، كعدم لزوم العسر والهرج واختلال النظام، وإلا يلزم عدم كون الشريعة سمحة سهلة، فليس التعبد برجوع الجاهل إلى العالم وتقليد المجتهد في الأحكام الشرعية لخصوصية زائدة، بل لأجل مراعاة مصالح عامة، لا ينافي ذلك مطلوبة الأحكام الواقعية للشارع، نعم في موارد عدم إصابة الأمانة للواقع، لا بد وأن يرفع اليد عن الأحكام الواقعية.

فما ذكره<sup>(٢)</sup>؛ من أن القرب إلى الواقع إما جزء المقتضي لحجية فتوى المجتهد، أو شرط، غير صحيح، فليس الأمر دائراً بينهما.

وأما الوجه الأخير الذي ذكره لوجوب تقليد الأعلم، ففيه: أنه تقرب لأقرية فتواه إلى الواقع؛ حيث قال: إن الأعلم أجود استنباطاً، وهو صحيح. لكن ما ذكره<sup>(٣)</sup>؛ من إذعان العقل بعدم التساوي بينهما، وأن التساوي بينهما كالتساوي بين العالم والجاهل.

فيه : أنّ اللازم ممّا ذكره هو أنّه لو ورد التعبد بقيام أمانة أو دلالة آية على جواز تقليد غير الأعلم هو طرحه؛ لأنّه خلاف ما أذعن به العقل وحكم به، ولا أظنّ أن يلتزم هو <sup>(١)</sup> به.

فتلخص : أنّه لا دليل على تعيّن تقليد الأعلم، وما تقدّم من بناء العقلاء عليه، وحكم العقل بالتعيين في دوران الأمر بين التعيين والتخير، غير سديد فيما لو وافقت فتوى غير الأعلم فتوى الأعلم من هذا الأعلم؛ من الأموات أو من الأحياء الذي لا يجوز تقليده لفسقه ونحوه، بل الأمر حينئذٍ دائر بين التعيين والتخير، وكذلك بناء العقلاء، فإنّه غير مسلم في هذا الفرض الذي يكون رأي غير الأعلم أقرب إلى الواقع من جهة أخرى، فالحكم بتعيّن الرجوع إلى الأعلم بنحو الإطلاق غير سديد، وغاية ما في المقام: أنّ مقتضى الشهرة المدّعاة في تعيينه <sup>(٢)</sup> - بل الظاهر من المحقّق الثاني تسالم الأصحاب عليه وعدم النكير من أحد عليه <sup>(٣)</sup> - هو أنّه أحوط. هذا كلّ فيما لو علم بمخالفة المفضل للفاضل في الفتوى تفصيلاً، أو إجمالاً في الفتاوى المحصورة.

أمّا لو لم يعلم بمخالفتها في الفتوى أصلاً، أو علم إجمالاً بها في فتاوها غير المحصورة، فيمكن دعوى بناء العقلاء على جواز الرجوع إلى المفضل، وكذلك دعوى شمول إطلاق الأخبار الآمرة بالرجوع إلى الفقهاء له، إن لم نقل بشموله للصورتين الأولتين، فإنّ إطلاق الأمر بالرجوع إليهم - مع احتمال المخالفة بينهما في الفتوى - دليل على الجواز. هذا كلّ في المتفاضلين في العلم.

١ - مطارح الأنظار : ٢٧٦ .

٢ - قاله في حاشيته على الشرائع على ما نقله عنه في الوافية : ٣٠١ ، وراجع مطارح الأنظار : ٢٧٥ .

## في حال المجتهدين المتساويين في الفضل

أمّا المجتهدان المتساويان في الفضل فالأقسام المتقدمة متصورة فيه أيضاً؛ من أنه إما أن يعلم بمخالفتها في الفتوى تفصيلاً، أو إجمالاً في المحصور والغير المحصور، أولاً؛ بل يحتمل ذلك، أو يقطع بموافقتها فيها.

توضيح الكلام فيه : أن مقتضى القاعدة عقلاً وعرفاً في صورة العلم بالمخالفة تفصيلاً أو إجمالاً في المحصور هو التساقط؛ لما تقدّم؛ من أن حجّة فتوى الفقيه إنما هي على الطريقيّة والكاشفيّة عن الواقع، لا الموضوعيّة والسببيّة، ومع تعارضهما يستحيل الكشف عن الواقع. نعم لا مانع من العمل على وفق أحدهما الموافق للاحتياط، كما لو كان رأي أحدهما وجوب صلاة الجمعة وفتوى الآخر جوازها، فإنه لا مانع من العمل بالأوّل والإتيان بها، لكن ليس أحدهما أقرب إلى الواقع، فإنّ الاحتياط حسن لامتعيّن.

هذا كلّ الكلام على وفق القواعد الأوّليّة.

وأما ما هو مقتضى الأدلّة الاجتهاديّة والأخبار، فقد يقال: إنّ حكم العقل بتساقطها في الفرض ليس إلزامياً حتمياً؛ بأن يمتنع التعبد بأحدهما شرعاً، بل يمكن وقوع التعبد بذلك، وحينئذٍ فيمكن الاستدلال لجواز ذلك بالأخبار، مثل ما في التوقيع: (وأمّا الحوادث الواقعة...) إلى آخره<sup>(١)</sup>، وقوله عليه السلام: (فاصمدا في دينكما على كلّ ميسرٍ في حبنا...) إلى آخره<sup>(٢)</sup>، وأمثال ذلك.

١ - إكمال الدين : ٤٨٣ / ٤، الغيبة : ٢٩٠ / ٢٤٧، وسائل الشيعة ١٨ : ١٠١، كتاب القضاء ،

أبواب صفات القاضي ، الباب ١١ ، الحديث ٩ .

٢ - اختيار معرفة الرجال ١ : ١٥ / ٧، وسائل الشيعة ١٨ : ١١٠، كتاب القضاء ، أبواب صفات

تقريب الاستدلال - على ما نقل عن شيخنا الحائري رحمته (١) - : هو أننا وإن لم نقل بشمول الأخبار - الواردة في اعتبار خبر الثقة - لما نحن فيه، لكن لا مانع من شمول إطلاق الأخبار - الدالة على اعتبار فتوى الفقيه - لصورة تعارضها؛ للفرق بين المقامين؛ لأن أخبار الثقات كثيرة متشعبة في أبواب الفقه، وقد أمرنا بالأخذ بكل واحد منها تعييناً؛ لأن مفادها أن كل واحد منها حجة كذلك، والحجة التعيينية ممتنعة في المتعارضين؛ لامتناع حجية كل واحد من المتعارضين تعييناً، بل لا بد أن يكون بنحو التخيير، ولا يمكن شمول دليل واحد لكلتا صورتين؛ يعني دلالة على حجية كل خبر في غير صورة التعارض تعييناً، وفي صورة التعارض تخييراً، بخلاف ما نحن فيه؛ لأنه ليس مفاد الأخبار الدالة على اعتبار فتوى الفقيه، اعتبار رأي كل فقيه تعييناً بالنسبة إلى كل فتوى من فتاويه، فإن لكل فقيه أن يفتي من أول الفقه إلى آخره، ولا معنى للأمر بأخذ فتوى كل واحد من المجتهدين، فلا بد أن يكون المأمور بالأخذ منه هو صرف وجود الفقيه، لا كل واحد، وقوله عليه السلام : (كل مسن في حبتنا) لا يراد منه كل واحد منه عرفاً، بل المراد صرف وجوده، وحينئذ فيمكن دعوى شمول إطلاق تلك الأخبار لاعتبار فتوى صرف وجود الفقيه؛ سواء وافقت فتواه فتاوى سائر الأفراد، أم لا.

أقول : أمّا ما أفاده رحمته أولاً : من عدم إمكان شمول الأخبار الدالة على اعتبار خبر الثقة لصورة التعارض .

ففيه أولاً : أنه يمكن أن يقال : إن مفاد الأخبار هو حجية كل واحد من أفراد الثقة تعييناً، وإحالة حكم صورة التعارض إلى حكم العقل، كما تقدّم نظير ذلك في المتزاحمين.

→ القاضي ، الباب ١١ ، الحديث ٤٥ .

١ - أنظر البيع ، الشيخ الأراكي ٢ : ٤٦٧ - ٤٦٨ .



وثانياً؛ على فرض تسليم الفرق بين ما نحن فيه وبين باب التزاحم؛ لوجود لمقتضي في المتزاحمين معاً، بخلاف ما نحن فيه؛ بناءً على الطريقيّة كما هو الحق، لكن تقدّم في باب الاشتغال؛ بيان إمكان شمول قوله عليه السلام؛ (كلّ شيء حلال) <sup>(١)</sup> لأطراف العلم الإجمالي والشبهات البدويّة معاً، مع أنّ شموله للشبهات البدويّة بنحو التعيين، ولأطراف العلم الإجمالي بنحو التخيير، مع أنّه دليل واحد، وأنّه يمكن الترخيص في كلّ واحد منهما بدليل واحد؛ لوجوه نذكر واحداً منها، وهو أنّ لقوله عليه السلام (كلّ شيء حلال) عموماً أفرادياً بالنسبة إلى كلّ واحد من المصاديق وإطلاقاً أحوالياً بالنسبة إلى حالات الأفراد، ففاده أنّ كلّ فرد من أفراد المشكوك حليّته حلالٌ مطلقاً؛ أي مع ارتكاب الآخر وعدمه، لكن يقيّد الإطلاق المذكور في أطراف العلم الإجمالي بما إذا لم يرتكب الطرف الآخر مع بقاء العموم بحاله، والنتيجة حينئذٍ الترخيص في كلّ واحد من أفراد الشبهة البدويّة تعييناً، وفي أطراف العلم الإجمالي تخييراً؛ من دون استلزامه لحاظ حكيمين مختلفين في دليل واحد، فيمكن جريان هذا البيان في دليل حجّية خبر الثقة، وشموله لصورة تعارض الخبرين بنحو التخيير.

وأما ما ذكره من إمكان ذلك فيما نحن فيه، ففيه؛ أنّ مجرد الإمكان لا يفيد في ثبوت وقوعه.

ودعوى شمول إطلاق الأمر بالرجوع إلى الفقيه لصورة العلم باختلاف الفتاوى أيضاً، مع كثرة الآراء المختلفة لهم.

ممنوعة؛ لما تقدّم من أنّ قوله عليه السلام؛ (اصمدا في دينكما على كلّ مسنّ في حبتنا...) إلى آخره، ليس في مقام إيجاب الرجوع إلى الفقيه؛ لأنّه أمر مرتكز في أذهان العقلاء ومعلوم، بل هو وأمثاله في مقام تشخيص من يرجع إليه وتعيين مصداقه، نظير

١ - الكافي ٥ : ٣١٣ / ٤٠، تهذيب الأحكام ٧ : ٢٢٦ / ٩٨٩، وسائل الشيعة ١٢ : ٦٠، كتاب

التجارة، أبواب ما يكتسب به، الباب ٤، الحديث ٤.

ما تقدّم في الأخبار التي استدللّ بها لحجّة خبر الثقة، بل لا تعرّض في الرواية للفقهاء، فإنّ المراد من قوله **عليه السلام**: (كلّ مسنّ في حبنا...) إلى آخره، هو اعتبار التشييع الراسخ فيه في المرجوع إليه، فلا إطلاق لها يشمل ما نحن فيه، نظير أمر المريض بالرجوع إلى الطبيب، فإنّه لا إطلاق له يشمل صورة العلم باختلافهم في الأنظار.

واستدلّ لذلك أيضاً بالمقبولة<sup>(١)</sup>؛ حيث إنّهُ يستفاد - من حكمه **عليه السلام** بترجيح قول الأئمة في صورة الاختلاف - أنّ مناط الحجّة موجود في قول غير الأئمة أيضاً، إلّا أنّه يرجّح قول الأئمة بالأفقيّة، وهو مستلزم للتخيير عند تساويهما في الفقه<sup>(٢)</sup>.

وفيه: أنّ الرواية دالّة على تقديم حكم الأئمة، وأنّه لا يلتفت إلى الآخر، ثمّ الأخذ بالأشهر، وترك الشاذّ النادر؛ لأنّ الأوّل بيّن الرشد، والآخر بيّن الغي، ثمّ بترجيح ما يخالف العامة؛ لأنّ الرشد في خلافهم، فمن أين يستفاد منها حجّة قول كلّ واحد منها، ووجود ملاك الحجّة في غير الأئمة والأشهر، ولكن يرجّح الأئمة بالأفقيّة على الآخر، مع الحكم فيها بعدم الالتفات إلى الآخر وترك الشاذّ النادر؛ فمن أين يستكشف منه وجود ملاك الحجّة في الآخر؛ ليستلزم التخيير عند التساوي؟!

ويشهد لما ذكرنا: أنّه **عليه السلام** حكم بالاحتياط عند فقد المرجّحات، لا التخيير بينهما، مضافاً إلى أنّ ذلك إنّما يصحّ بناءً على الموضوعيّة والسببيّة في حجّة فتوى الفقيه، لا على الطريقيّة، وتقدّم أنّ الحقّ هو اعتبار فتوى الفقيه على الطريقيّة، وحينئذٍ فلا يستفاد - من الأمر بتقديم حكم الأئمة - وجود الملاك في الآخر أيضاً.

واستدلّ<sup>(٣)</sup> أيضاً: بما رواه الكليني **قوله** عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عثمان

١ - الكافي ١ : ٥٤ / ١٠، تهذيب الأحكام ٦ : ٣٠١ / ٨٤٥، وسائل الشيعة ١٨ : ٧٥، كتاب

القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ٩، الحديث ١.

٢ - درر الفوائد ٤ : ٧١٤، البيع، الشيخ الأراكي ٢ : ٤٦٦.

٣ - درر الفوائد ٤ : ٧١٤.

ابن عيسى والحسن بن محبوب جميعاً، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن رجل اختلف عليه رجلان من أهل دينه في أمرٍ، وكلاهما يرويه: أحدهما يأمر بأخذه، والآخر ينهاه عنه، كيف يصنع؟

قال: (يُرجئه حتّى يلقي من يخبره، فهو في سعة حتّى يلقاه).  
قال الكليني رحمته الله: وفي رواية أخرى: (بأيهما أخذت من باب التسليم وسعك) <sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى لسماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قلت: يرد علينا حديثان: واحد يأمرنا بالأخذ به، والآخر ينهانا عنه.

قال: (لا تعمل بواحد منهما حتّى تلقى صاحبك فتسأله).

قلت: لا بدّ أن نعمل بواحد منها.

قال: (خذ بما فيه خلاف العامة) <sup>(٢)</sup>.

وتقدّم احتمال اتّحادهما مع ما قبلها.

تقريب الاستدلال بها - على ما حكى عن شيخنا الحائري رحمته الله - : هو أنّ اختلاف الرجلين في أمر، ليس في مجرد نقل ألفاظ الرواية من دون رأي الناقلين لها، فإنّه لا يصدق عليه الاختلاف في الأمر، بل لا بدّ أن يراد منه الاختلاف في الأمر، بل لا بدّ أن يراد منه الاختلاف في نظريهما ورأييهما المستنديين إلى الروايتين، مضافاً إلى أنّ قوله: «أحدهما يأمرنا، والآخر ينهانا»، أيضاً ظاهر في اختلافهما في نظريهما المستنديين إلى الروايتين.

١ - الكافي ١ : ٥٣ / ٧ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٧٧ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب

٩ ، الحديث ٥ و ٦ .

٢ - الاحتجاج ٣٥٧ : ٣٥٧ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٨٨ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ،

الباب ٩ ، الحديث ٤٢ .

وعلى فرض تسليم عدم صدق ذلك في اختلاف رأي المجتهدين المستنديين إلى الرواية، نقول: إنَّ قوله في مرسله الكليني عليه السلام: (بأيُّهما أخذتَ من باب التسليم...)، تعليل للحكم بالتخير، وإنَّ العلة له هو التسليم والانقياد، وهذا التعليل جارٍ في اختلاف آراء المجتهدين المستندة إلى الأخبار أيضاً<sup>(١)</sup>. انتهى المحكّي عنه عليه السلام.

أضف إلى ذلك دعوى إلغاء الخصوصية العرفية، فإنَّها كما تعم الخبرين المنقولين بالمعنى كذلك الآراء المستندة إليهما.

ولكن لا ينفى ما فيه، فإنَّه عليه السلام أمر بالإرجاء والتأخير إلى ملاقة الإمام، وقوله عليه السلام: (في سعة) ظاهر في أنَّه في السعة في أمر الواقعة، لا العمل بأحد الخبرين والتخير في الأخذ بأحدهما، ولهذا قال عليه السلام في روايته الأخرى: (لا تعمل بواحد منهما)، فهذه الرواية على خلاف المطلوب أدلّ، على فرض شمولها لاختلاف الآراء وعدم اختصاصها باختلاف الروايات.

وأما مرسله الكليني عليه السلام فعلى فرض الإغماض عن ضعف سندها، لا يفهم منها تعليل أصلاً، وليت شعري من أين يستفاد منها: أنَّ علة التخير هو التسليم لأمر الله؛ حتّى يتعدّى عن موردها إلى اختلاف المجتهدين في الفتوى، وأن يقال: كلٌّ ما فيه التسليم لأمر الله ففيه التخير، مع أنَّ التسليم في الروايات غير التسليم في الفتاوى، فلا وجه للتعدّي إليها.

وأما قضية إلغاء الخصوصية فقد تقدّم: أنَّه إنَّما يُسلم لو فهم ذلك المعنى من اللفظ، مثل «رجل شكّ بين الثلاث والأربع»، الممنوع في المقام.

وأما رواية الصلاة في المحمل<sup>(٢)</sup> فقد عرفت: أنَّ السؤال فيها إنَّما هو عن الحكم

١ - راجع درر الفوائد : ٧١٤ - ٧١٥.

٢ - تهذيب الأحكام ٣ : ٢٢٨ / ٥٨٣، وسائل الشيعة ٣ : ٢٤٠، كتاب الصلاة، أبواب القبلة،

الباب ١٥، الحديث ٨.

الواقعي، وهي بمعزل عن مسألة التخيير.

وأما الاستدلال بسائر أخبار التخيير فقد تقدّم سابقاً: أننا استقصينا الأخبار فلم نجد ما يصلح للاستدلال به سنداً ودلالة، إلا رواية واحدة أو روايتين، والواضحة الدلالة منها - رواية عوالي اللآلي<sup>(١)</sup> مرفوعاً عن زرارة - تختص باختلاف الروايات، لا الفتاوى، فإنّ المناط هو الانفهام العرفي من الأخبار، لا الدقائق العقلية، والاختلاف في الرأي في الانفهام العرفي غير اختلاف الخبرين والحديثين.

١ - عوالي اللآلي ٤ : ١٣٣ / ٢٢٩ ، مستدرک الوسائل ١٧ : ٣٠٣ ، کتاب القضاء ، أبواب

صفات القاضي ، الباب ٩ ، الحديث ٢ .



## الفصل الثاني

### حول شرط الحياة لمرجع التقليد

اختلفوا في اشتراط الحياة في المجتهد الذي يرجع إليه وتتخذ فتواه للعمل بها على أقوال : ثالثها التفصيل بين التقليد الاستمراري والابتدائي؛ بالاشتراط في الثاني دون الأول<sup>(١)</sup>.

والمشهور بين أصحابنا الاشتراط مطلقاً<sup>(٢)</sup>، بل ادّعى في «جامع المقاصد» عليه الإجماع<sup>(٣)</sup>، وحكى عن الشهيد<sup>(٤)</sup> أنّه قال: إني تفحصت كليات الفقهاء، ولم أجد من ذهب إلى عدم الاشتراط<sup>(٥)</sup>.

والقول الثاني في خيرة الأخباريين<sup>(٥)</sup> وبعض أهل الفتوى من أصحابنا ،

---

١ - الفصول الغروية : ٤٢٢ سطر ٢٨ ، العروة الوثقى ١ : ١٠ ، مسألة ٩ .

٢ - معالم الدين : ٢٤٢ ، مناهج الأحكام والأصول : ٣٠٢ ، مطارح الأنظار : ٢٥٢ ، كفاية الأصول : ٥٤٤ - ٥٤٥ .

٣ - أنظر مطارح الأنظار : ٢٥٣ سطر ١٦ .

٤ - نفس المصدر .

٥ - الفوائد المدنية : ١٤٩ - ١٥٠ ، الأصول الأصلية : ١٥٠ ، ونقله عنهم في مطارح الأنظار :

كالمحقق القمّي قَيِّمٌ<sup>(١)</sup>.

### مقتضى الأصل في جواز تقليد الميّت

وقبل الشروع في البحث لابدّ من بيان مقتضى الأصل والقاعدة الأولى في، فقد يقال: إنّ مقتضى الأصل عدم جواز تقليد الميّت، وإنّ الجواز يفتقر إلى الدليل. توضيح ذلك: أنّ الذي تتحقّق به براءة الذمّة وفراغها عن التكاليف الواقعيّة، ويوافقه حكم العقل هو الإتيان بها قطعاً بالعلم التفصيلي، أو الإجمالي بالاحتياط، وأمّا ما وراء القطع من الأمارات والأصول، فبراءة الذمّة بالعمل بها يحتاج إلى الدليل إمّا تأسيساً من الشارع المقدّس، أو إمضاء والأمر في المقام دائر بين تقليد الحيّ والرجوع إليه من بين المجتهدين، وبين جواز الرجوع إلى الميّت منهم أيضاً، والأوّل مقطوع الجواز؛ لقيام الدليل عليه، والثاني مشكوك فيه، وتقدّم مراراً: أنّ مقتضى حكم العقل - لو خُلّي وطبعه - في دوران الأمر بين التعيين والتخيير، هو التعيين. ويرد عليه ما تقدّم أيضاً - في الإشكال على هذا الأصل في مسألة وجوب تقليد الأعلّم - من أنّه بهذه الكليّة ممنوع، فإنّه وإن صحّ في صورة تساوي المجتهدين الحيّ والميّت في الفضل والعلم والورع والصدق؛ لدوران الأمر حينئذ بين التعيين والتخيير، فإنّ احتمال اشتراط الموت في مرجع التقليد مقطوع بعدم، بخلاف اشتراط حياته، ولكنّه في صورة أفضليّة الميّت من الحيّ - أو أوعيته وأصدقيته منه - لا يتم؛ لاحتمال تعيّن الرجوع إلى الأعلّم الميّت شرعاً؛ لفرض أنّه أجود استنباطاً للأحكام الواقعيّة من الحيّ، وأصوب نظراً، وأحسن إدراكاً منه، فيحتمل تعيّن الرجوع إليه

→ ٢٥٢، وكفاية الأصول: ٥٤٤.

١ - قوانين الأصول ٢: ٢٧٣.



شرعاً؛ لأنّ المفروض أنّ رأيه أمانة وطريق إلى الأحكام الواقعية، كما يحتمل تعيين الرجوع إلى الحيّ؛ لاحتمال اشتراط الحياة في المقلّد، وحينئذٍ فهو من قبيل دوران الأمر بين التعيينين، لا بين التعيين والتخير.

نعم يمكن تقرير الأصل بنحو آخر : وهو أنّ الإجماع قائم على عدم تعيين الرجوع إلى الميت؛ وإن كان أعلم وأفضل وأصدق؛ لعدم ذهاب أحد من الفقهاء إلى تعيينه، بل الأقوال بين تعيين الرجوع إلى الحيّ، وبين التخير بينه وبين الرجوع إلى الميت، فبملاحظة هذا الإجماع والاتفاق نقطع بعدم تعيين الرجوع إلى الميت مطلقاً، مع احتمال تعيين الرجوع إلى الحيّ.

وبعبارة أخرى : احتمال تعيين الرجوع إلى الميت الأعم من الحيّ وإن كان متحققاً - لو خُلينا وأنفسنا - لكنّه منيّ قطعاً بملاحظة الإجماع المنقول متكرراً على تعيين الرجوع إلى الحيّ، مع ما تقدّم من عدم ذهاب أحد من العلماء إلى تعيين الرجوع إلى الميت، كما تقدّم عن الشهيد رحمته، وحينئذٍ فالمقام من قبيل دوران الأمر بين التعيين والتخير.

### التمسك بالاستصحاب على جواز تقليد الميت

لكن استدلال جواز تقليد الميت ابتداءً واستدانة حتّى بالنسبة إلى غير الموجودين في زمان حياة ذلك المجتهد بالاستصحاب، وقُرّر هذا الاستصحاب بوجوه مقاربة:

الأوّل : استصحاب حكم المجتهد، فيقال: إنّه كان جائز التقليد لكلّ مكلف عامّي في زمان حياته، ويشكّ في بقاء الجواز بعد موته، والأصل بقاء الجواز.

الثاني: استصحاب حكم العامّي المستفتي؛ بأن يقال: كان يجوز له تقليد هذا المجتهد في زمان حياته؛ والرجوع إليه والعمل على طبق فتواه؛ مثلاً : كان لكلّ مكلف الرجوع إلى العلامة رحمته في عصره، وأخذ فتواه والعمل بها ، ويشكّ في بقاء الجواز بعد موته، فيستصحب.

الثالث : استصحاب حجّية رأيه - الثابتة في حياته - بعد موته.

الرابع : الاستصحاب التعليقي؛ بأن يقال: إن كان هذا المكلف مدركاً لزمان حياته كان تقليده إتياء جائزاً، فالآن كما كان.

الخامس : استصحاب الأحكام الفرعية الثابتة بفتوى الميت في زمان حياته؛ حيث إنّها طريق معتبر إلى الأحكام الواقعية.

السادس : استصحاب الحكم الظاهري الذي هو مؤدّى الأمارات بناءً على القول بجعل المائل... إلى غير ذلك من التقريبات المتقاربة.

### الإشكالات التي أورد على الاستصحاب

وأورد عليها بوجوه :

الوجه الأوّل : أنّه لا يخلو: إمّا أن يراد استصحاب الحكم الثابت في زمان حياته بنحو القضية الخارجية: أي للموجودين في زمان حياة المجتهد، وإمّا بنحو القضية الحقيقية؛ بأن يقال - كما ذكروا - : كلّ مكلف لو وجد في زمان حياته، فهو بحيث لو وجد فيه جاز له الرجوع إليه وتقليده، والآن كما كان.

فعلى الأوّل : فهو وإن صحّ بالنسبة إلى الموجودين في زمان حياته، لكنّه لا يصحّ بالنسبة إلى المعدومين فيه، الذي هو المطلوب.

وعلى الثاني : فإن أريد استصحاب الحكم الثابت في زمانه بنحو القضية الحقيقية منجزاً، فلا حالة سابقة له بالنسبة إلى من لم يدرك زمان حياته؛ لأنّه لم يثبت بالنسبة إليه حكم منجز فعليّ بجواز تقليده ليستصحب.

وإن أريد استصحابه بنحو التعليق ففيه : أنّ الاستصحاب التعليقي إنّما يصحّ فيما لو كان التعليق شرعيّاً، لكن التعليق فيما نحن فيه ليس كذلك، بل هو عقليّ؛ حيث إنّ الحكم المذكور إنّما ورد في الشرع منجزاً، غاية الأمر أنّ للعقل إرجاعه إلى

التعليق؛ لحكمه بأنه على تقدير وجود هذا المكلف في زمان حياة هذا المجتهد، جاز له تقليده، فيستصحب هذا الحكم التعليق العقلي، ومثل هذا الاستصحاب لا يثمر ثمرة، ولا ينتج حكماً.

أقول : هذا الإشكال غير متوجّه؛ وذلك لأنه لا إشكال في أن كلّ واحدة من القضايا الحقيقية والخارجية، من القضايا البتية لا الشرطية، وكما أن الحكم الثابت في الأولى متعلّق بعنوان كليّ، كذلك في الثانية، غاية الأمر أن العنوان في الخارجية مقيد بقيد، لا ينطبق إلا على الأفراد الموجودة محققاً، وليس الحكم فيها متعلقاً بذات الأفراد وأشخاصها الخارجية، وليس مفاد القضية الحقيقية - مثل: «كلّ نار حارّة» - كلّها لو وجد كان ناراً، فهو بحيث لو وجد كان حارّاً، بل إنّما ذكروا ذلك في مقام التقريب إلى أذهان المتعلّمين، وإلاّ فهو في غاية الوضوح من الفساد، وكلّ قضية - سواء المحصورات، أم المطلقات التي هي في حكم المحصورات الإخبارية والإنشائية - هي قضية واحدة؛ وإخبار واحد، أو إنشاء واحد، فكما أن قولنا: «كلّ نار حارّة» إخبار واحد عن عنوان قابل الانطباق على الكثير، لا أنّه إخبارات متعدّدة بعدد مصاديق ذلك العنوان، ولذا لو قال: «كلّ نار باردة» فهو كذب واحد، لا أكاذيب متعدّدة، كذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup> إنشاء وجعل واحد لوجوب الحجّ على عنوان المستطيع القابل للصدق على كثيرين، لا أنّه إنشاءات متعدّدة.

إذا عرفت ذلك نقول : إنّ نظير هذا الإيراد المزبور، وارد على استصحاب عدم النسخ المتفق عليه بين العلماء؛ بأن يقال: إن أريد استصحاب الحكم الثابت أولاً على المكلفين بنحو القضية الخارجية، فلا يفيد بالنسبة إلى الغير الموجودين في الزمان السابق.

وإن أُريد استصحابه بنحو القضية الحقيقية : فإما أن يراد استصحاب الحكم المنجز، فلم يكن هذا الحكم منجزاً بالنسبة إلى المعدومين في الزمان السابق الموجودين في هذا الزمان، أو يراد الاستصحاب التعليقي فلا مجال له في التعليقات العقلية.

فكما يجاب عنه فيه : بأن المقصود استصحاب الحكم المنجز الثابت على العنوان الكلي؛ لاحتمال زواله عن هذا العنوان باحتمال النسخ، ويترتب عليه بقاء وجوب الحج على عنوان المستطيع مثلاً، فيجب على كل من استطاع إليه سبيلاً في هذا الزمان، كذلك يجاب عن الإيراد المذكور فيما نحن فيه: بأن المراد هو استصحاب الحكم الفعلي المنجز، المتعلق بعنوان كلي في زمان حياة المجتهد، وهو جواز تقليد كل مجتهد جامع للشرائط - المنطبق على العلامة عليه السلام مثلاً - بالنسبة إلى كل مكلف، أو استصحاب حكم المجتهد؛ لقوله عليه السلام : (أما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه)<sup>(١)</sup>، فإنه لا إشكال في جريان استصحاب هذا الحكم الفعلي المنجز - المتعلق بالعنوان الكلي في زمان حياته - في هذا الزمان أيضاً، لو شك في بقاءه، فكما أنه لو وجد المكلف في زمان حياته، وانطبق عليه عنوان متعلق الحكم، وجب عليه تقليده، كذلك في هذا الزمان، فإنه نتيجة هذا الاستصحاب، وليس مثبتاً، وإلا يلزم سد باب الاستصحاب رأساً، فهذا الإيراد غير متوجه.

الوجه الثاني من الإيرادات : ما أورده المحقق صاحب الكفاية، وحاصله: أنه يعتبر في الاستصحاب بقاء الموضوع، والمناطق في بقاءه وعدمه هو نظر العرف، لا الدقة العقلية، وليس الموضوع فيما نحن فيه - وهو رأي المجتهد وظنه بعد موته - باقياً عرفاً؛

١ - الاحتجاج : ٤٥٧ ، تفسير الإمام العسكري : ١٢٠ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٩٤ ، كتاب القضاء ،

أبواب صفات القاضي ، الباب ١٠ ، الحديث ٢٠ .

لأنَّ الموت عرفاً عبارة عن انعدام من مات مع رأيه وظنّه، وحشره وبعثه يوم القيامة إنّما هو من قبيل إعادة المعدوم في نظر العرف، وإن لم يكن كذلك حقيقة؛ لبقاء النفس الناطقة التي هي الموضوع حقيقة لتجردها، لكنّ المناط في الاستصحاب بقاء الموضوع عرفاً، ومع عدم بقاء الشخص والرأي عرفاً لا مجال للاستصحاب المذكور<sup>(١)</sup>. انتهى محصّله.

وأورد عليه المحقّق الأصفهاني في «الحاشية»<sup>(٢)</sup> بما لا يصلح للإيراد على ما ذكره ههنا: من إثبات تجرّد النفس الناطقة، وأنّها تستكمل بمرور الدهور والأيام، وأنّها وإدراكاتها موجودة باقية، وكذلك رأيها واعتقاداتها، وأطال الكلام في ذلك. ومن الواضح اعتراف صاحب الكفاية بذلك، كما صرّح هو ههنا به<sup>(٣)</sup>، ولكن مدّعه أنّ المناط في بقاء الموضوع في الاستصحاب، هو نظر العرف، لا الحقيقة، والموضوع للاستصحاب في المقام غير باقي عرفاً، فلا يرد عليه هذا الإشكال. وهذا الإشكال على الاستصحاب، قريب ممّا ذكره الشيخ الأعظم ههنا على ما في التقريرات، ومحصّله: أنّ الأحكام الشرعيّة على قسمين: واقعيّة متعلّقة بالعناوين الأوّليّة، ولا دَخُلَ لرأي المجتهد فيها، وظاهريّة هي مؤدّى الطرق والأمارات، التي لرأي المجتهد وظنّه دَخُلَ في موضوعها، وليس متعلّقة العنوان الأوّلي الواقعي، بل هي بما أنّها مظنونة الحكم متعلّقة، والظنّ واسطة في ثبوت هذا الحكم، فالموضوع لوجوب اتّباع المجتهد أو جوازه هو العصير المظنون الحرمة مثلاً، لا العنوان الأوّلي للعصير، ولا أقلّ من الشكّ في ذلك، وحيث إنّ الميت لا ظنّ له ولا رأي، فلا مجال للاستصحاب المذكور لاعتبار بقاء الموضوع فيه.

١ - كفاية الأصول: ٥٤٥ - ٥٤٦.

٢ - نهاية الدراية ٣: ٢١٧.

٣ - كفاية الأصول: ٥٤٥ و ٥٤٦.

ثم أورد على نفسه : بأننا لا نسلّم دُخْل ظنّ المجتهد في الموضوع، بل الدخيل فيه هو قوله، وهو باق.

وأجاب عنه : بمنع ذلك؛ لأنّ أدلّة جواز الرجوع إلى المجتهد من الإجماع والسُنّة وغيرهما؛ إمّا ظاهرة في اعتبار حياته، مثل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾<sup>(١)</sup>، أو لا إطلاق لها يشمل حالة الموت الذي ينعدم به ظنّه أيضاً، وقوله حينئذٍ ليس مستنداً إلى الظنّ، فلا مجال حينئذٍ للاستصحاب؛ لاحتمال أن يكون الظنّ قيّداً للموضوع، لا واسطة في ثبوت الحكم للموضوع، وهو كافٍ في عدم جريان الاستصحاب<sup>(٢)</sup>، انتهى حاصله.

أقول : لا بدّ في المقام من ملاحظة أدلّة جواز التقليد أو وجوبه، والعمدة منها هو بناء العقلاء، وأمّا الآيات والروايات فبعضها ضعيفة الدلالة، وبعضها ضعيفة السند.

وحينئذٍ نقول : للعلم والظنّ ونحوهما الحاصل للمجتهد حيثيّتان :

الأولى : أنّه صفة خاصّة قائمة بالنفس، نظير سائر أوصاف النفس، كالشجاعة والسخاوة والعفة ونحوها، وهي من الأوصاف النفسانيّة.

الثانية : حيثيّة الأماريّة والكاشفيّة عن الواقع.

ولا إشكال في أنّ اعتبار قول مثل الطبيب ونحوه - ممّن نظره طريق إلى الواقع - إمّا هو من الحيثيّة الثانية، فإذا حكم في واقعة بشيء فنظره متّبع عرفاً ما لم يرجع عن نظره؛ من غير فرق بين زمان حياته أو موته، حتّى فيما لو زال علمه بمرض وهرم ونحوهما، ولا يحتل عند العرف والعقلاء دُخْل حياته وتأثيرها في كاشفيّة نظره عن الواقع، بل ظنّه ورأيه بنفسه كاشف عن الواقع حتّى بعد مماته، وأنّه تمام الموضوع للكاشفيّة عنه في مقام العمل.

وبالجملة : لا إشكال في استقرار بناء العقلاء على العمل برأي أهل الخبرة

١ - النحل (١٦) : ٤٣.

٢ - مطارح الأنظار : ٢٥٩ - ٢٦٠.

والعلم من كلّ صناعة بعد الموت أيضاً، وإنما الكلام في احتمال تصرف الشارع في هذا البناء العقلائي؛ لاحتمال اشتراطه الحياة في تقليد المجتهد الذي يرجع إليه لمكان مصلحة فيه، وحينئذ يشكّ في بقاء جواز الرجوع إليه بعد موته، وبالأستصحاب يحكم ببقائه؛ لأنّ القضية المتيقّنة عين القضية المشكوكة، والموضوع باقي أيضاً، وهو رأي الميت في كتابه مثلاً، فتستصحب حجّيته.

سلمنا أنّ الحكم متعلّق بالمظنون، ولا أقلّ من احتمال ذلك - أي المقيّد بالظن - نظير الحكم بنجاسة الماء المتغيّر، فإنّ الموضوع له هو المقيّد بالتغيّر، ومع زواله لا يبقى الموضوع، فلا يجوز استصحاب حكمه، لكنّه إنّما هو فيما إذا أريد إجراء حكم المتغيّر - بالاستصحاب - إلى الماء الغير المتغيّر بعنوانه الكلّي، فإنّه إسرائاً للحكم من موضوع إلى موضوع آخر، لكنّ المقصود ليس ذلك، بل الماء المتغيّر إذا وجد في الخارج، وانطبق عليه هذا العنوان الكلّي، وحكم عليه بالنجاسة، وزال تغيّره بنفسه، وشكّ في بقاء نجاسة هذا الموجود وعدمه، فإنّه يشار إلى هذا الماء<sup>(١)</sup>، ويقال: إنّ كان نجساً قطعاً، فالآن كما كان، والموضوع - وهو هذا الماء - باقي قطعاً، وإنّما تغيّر بعض حالاته وأوصافه، ولم يعلم من الدليل حال زوال التغيّر بمجرد تقيّد الموضوع الكلّي للحكم، فكذلك يقال فيما نحن فيه: إنّ الدليل على حجّية رأي المجتهد، وإن لم يعلم شموله لما بعد موته، لكن بعد قيام الدليل على حجّية مظنونات المجتهد بنحو الكلّي، ووجد في الخارج مجتهد كالعلامة عليه السلام، وتعلّق ظنّه بحكم بموضوع، وانطبق عليه موضوع الدليل المذكور، تتحقّق هناك قضية متيقّنة، وهي أنّ ظنّ العلامة عليه السلام في كتابه «القواعد» - مثلاً - حجة، ثمّ يشكّ في بقاء حجّيته بشخصه بعد موته، فلا مانع من جريان

١ - لا يخفى أنّ المشار إليه في هذه القضية وموضوعها، ليس هو ذات الماء، بل الماء الموجود مع جميع خصوصيّاته وأوصافه، التي منها صفة التغيّر، فبعد زوال التغيّر لا يصحّ أن يقال: هذا الماء كان نجساً، فالآن كما كان. [المقرّر حفظه الله].

استصحابه، والموضوع - وهو ظنّه في واقعة خاصّة - باقي قطعاً، فيستصحب.  
ويمكن تقريب الإشكال المذكور هكذا: إنّ ظنّ المجتهد موضوع للحكم بجواز التقليد، وقد زال بالموت جزماً عرفاً، ولا أقلّ من الشكّ في بقاءه وزواله، وهو كافٍ في عدم جريان الاستصحاب لاشتراط إحراز بقاء الموضوع فيه، بل يمكن أن يقال: إنّ الموضوع للحكم المذكور ليس هو الظنّ بالحكم، بل هو ظنّ المجتهد الحيّ؛ إمّا لظهور الأدلّة في ذلك، مثل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، أو لأنّه القدر المتبقّن من الإجماع وغيره من الأدلّة، وحينئذٍ فلا يجري الاستصحاب بعد موته ولو مع العلم ببقاء ظنّه بعد موته.

وبعبارة أخرى: من المحتمل أنّ الموضوع هو العنوان المقيّد؛ أي ظنّ المجتهد الحيّ، كما يحتمل أنّه ظنّ المجتهد حال حياته؛ بأن لم تكن الحياة قيداً داخلياً في الموضوع، بل من حالاته، فكلّ واحد من الاحتمالين هنا ممكن متحقّق؛ لأنّ الدليل عليه لبيّ ليس موضوعه مبيّناً، فعلى الاحتمال الأوّل لا يكون الموضوع باقياً قطعاً، وعلى الثاني فهو باقي، ومع الشكّ في ذلك لا مجال لجريان الاستصحاب؛ لاعتبار إحراز بقاء الموضوع فيه، وليس بمحرز في المقام.  
أقول: يرد عليه:

مضافاً إلى ما ذكرناه: أنّ الموضوع للحكم المذكور هو ذات المظنون والرأي - لا من حيث أنّه مظنون بوصف الظنّ - وهو باقي قطعاً.

توضيحه: أنّه لو تعلّق ظنّ المجتهد بحكم من الأحكام، فهنا ثلاثة أشياء:  
الأوّل: ظنّ المجتهد بما أنّه ظنّ وصفة قائمة بنفس المجتهد، مع قطع النظر عن متعلّقه.

الثاني: ظنّ المجتهد مع ملاحظة إضافته إلى متعلّقه؛ أي المظنون بما هو مظنون.  
الثالث: ذات المظنون لا بما هو مظنون، وهو رأي المجتهد الموجود في كتابه.



وليس الموضوع للحكم المذكور أحد الأولين؛ لعدم تعلّق العمل بهما كي يقال: بأنّه مرتفع بالموت جزماً، بل الموضوع له هو الثالث؛ لتعلّق العمل به، وهو باقٍ قطعاً. والإشكال المذكور ناشٍ عن الخلط بين الموضوع في القضية والدليل الاجتهادي - إدالّ على اعتبار فتوى المجتهد وحجّية رأيه - وبين موضوع الاستصحاب، فإنّ موضوع الأوّل هو ظنّه الاجتهادي بما أنّه ظنّ وصفة، بخلاف الثاني، فإنّ موضوعه ذات المظنون؛ أي رأيه الموجود في كتابه، فيقال: هذا الرأي الموجود في الكتاب مظنون العلامة عليه السلام - مثلاً - وكلّ مظنونه حجّة؛ للدليل الاجتهادي الدالّ عليها، وحجيّته كونه مظنوناً تعليليّة لا تقيديّة، وكذا على فرض كونها تقيديّة، وفرض عدم المفهوم للقيّد في الدليل الاجتهادي، فإنّه حينئذٍ لا إشكال في بقاء الموضوع، فيستصحب حكمه.

ثمّ إنّ ذكر الشيخ الأعظم عليه السلام في خلال كلامه ما حاصله: إنّّه لو فرض أنّ رأي المجتهد عبارة عن نقل الخبر بالمعنى، فللاستصحاب حينئذٍ مجال، لكنّه ليس كذلك، فإنّ رأيه وظنّه غير نقل الخبر بالمعنى<sup>(١)</sup>، انتهى.

أقول: لا يتفاوت الحال في جريان الاستصحاب وعدمه بين خبر الواحد وفتوى المجتهد؛ وذلك لأنّ حجّية الخبر إنّما هي فيما إذا أخبر به جزماً، فأخباره الجزمي سبب لحجّية خبره، لا قطعه وجزمه، وأمّا لو أخبر ظناً، أو بنحو التريديد، فليس خبره حينئذٍ حجّة، فلو أخبر بشيء جزماً، ثمّ مات، فلا ريب في بقاء حجّية خبره مع العلم بزوال جزمه وقطعه بالموت؛ لعدم زوال كاشفيّة خبره عن الواقع بالموت، وكذلك لو مرض أو هرم مالم يعرض له التريديد، بل ومع حصول التريديد لمرض أو هرم؛ بحيث لا يعتني بتريديده العقلاء لهرمه ونحوه.

وأما الفتوى فقد تقدّم مراراً : أنَّ حجَّيتها إنّما هي من باب الطريقيّة، وحينئذٍ فجزم المجتهد بحكم في واقعة سبب لكاشفيّة رأيه عن الواقع، فلو علم عدم اعتبار الشارع شيئاً آخر - كالحياة - في حجَّيته، لما احتجنا في إثبات حجَّيته رأيه بعد موته إلى الاستصحاب ؛ للعلم حينئذٍ ببقاء حجَّيته؛ لبقاء كاشفيّة رأيه عن الواقع بعد الموت أيضاً، فالاحتياج إلى الاستصحاب إنّما هو لاحتمال اعتبار الحياة في كاشفيّة رأيه وحجَّيته فتواه، ولو احتمل ذلك في حجَّية الأخبار أيضاً افتقر إلى الاستصحاب فيها أيضاً، فباب الأخبار والفتوى كليهما من وادٍ واحد، وأنّ الجزم سبب لحجَّية كلّ واحد منهما، غاية الأمر أنّه يعلم ببقاء حجَّية الخبر بعد موت المخبر جزماً من دون الافتقار فيها إلى الاستصحاب؛ للعلم بعدم اعتبار الحياة فيها، بخلاف الفتوى لمكان هذا الاحتمال فيها، ولذا احتجنا إلى الاستصحاب في بقاء حجَّيتها، ويثبت به بقاء حجَّيتها بعد الموت.

الوجه الثالث من الإيرادات على الاستصحاب المذكور : أنّه يعتبر في الاستصحاب أن يكون المستصحب حكماً شرعياً أو موضوعاً ذا أثر شرعيّ، وما نحن فيه ليس كذلك؛ لأنّه لو أفتى الفقيه بوجوب صلاة الجمعة - مثلاً - ففيه أمور؛ الأوّل : أنَّ فتوى الفقيه أمانة على الحكم الواقعي.

الثاني : نفس الحكم الواقعي.

الثالث : حجَّيتها العقلانيّة.

الرابع : حجَّيتها الشرعيّة.

الخامس : جواز العمل بفتواه.

السادس : الحكم الظاهري المجعول على طبق الأمانة المماثل للحكم الواقعي، نظير أصالتي الطهارة والحليّة الظاهرتين، وحينئذٍ فإنّ أريد استصحاب الأمارية العقلانيّة لفتوى الميّت، فهي ثابتة ومتحقّقة بعد أيضاً لا شكّ في بقائها حتّى تستصحب.

وإن أُريد استصحاب حجّيتها الشرعيّة، فقد تقدّم مراراً: أنّ الحجّية ليست  
مجمولة شرعاً، بل هي من الأمور الانتزاعيّة العقلانيّة.

وإن أُريد استصحاب جواز العمل على 'طبق فتواه شرعاً، فقد تقدّم: أنّ الأدلّة  
على اعتبار فتوى الفقيه والرجوع إليه إمضائيّة، لا تأسيسيّة.

وإن أُريد استصحاب الحكم الواقعي المستكشف من فتواه، فليس الشكّ هنا في  
بقاء الحكم الواقعي؛ من جهة احتمال النسخ، أو لفقدان ما احتملت شرطيّة له،  
كالخضور بالنسبة إلى وجوب صلاة الجمعة، بل الشكّ إنّما هو في بقاء حجّية فتوى  
المجتهد بعد موته.

وتوهم: أنّ ذلك يوجب سدّ باب الاستصحاب في الأحكام التي هي مؤدّى  
الأمارات.

مدفوع: بأنّا لا نمنع من استصحاب مؤدّى الأمارات لو احتمل ارتفاع الحكم  
الثابت بالأمانة؛ من جهة احتمال النسخ، أو لانتفاء ما احتملت شرطيّة له، أو لعدم  
إحراز استعداد بقاءه إلى زمان الشكّ، وما نحن فيه ليس كذلك.  
وإن أُريد استصحاب الحكم الظاهري المجهول على طبق فتوى المجتهد؛ بناءً  
على القول بجعل المماثل.

ففيه: أنّه لا دليل على جعل الحكم المماثل في مؤدّى الأمارات، كما عرفت في  
محلّه، بل الوجه في حجّية الأمارات هو أنّها طريق إلى الواقع.  
إن قلت: إنّ مقتضى وجوب الجزم بالنية في العبادات هو الالتزام بجعل المماثل؛  
ليتمكّن المكلف منه، وإلّا لا يمكنه الجزم بها.

قلت أولاً: أنّه لا دليل على وجوب الجزم بالنية في العبادات، والقدر المسلّم  
الثابت هو أصل النية والقربة فيها.

وثانياً: على فرض تسليم وجوبه فيمكن الجزم بها هنا؛ لعدم احتمال الخلاف

في أذهان العقلاء في مثل فتوى الفقيه ونظر أهل الخبرة وغيرهما؛ مما استقرّ عليه بناؤهم، مثل اليد ونحوها، فيتحقّق الجزم بها.

وثالثاً؛ الالتزام يجعل المائل لا يوجب حصول الجزم بالنيّة وتحققه؛ بأن يصير سبباً ومنشأً له؛ لعدم التفات العقلاء إلى هذا الجعل.

هذا، ويمكن دفع الإشكال المتقدّم على الاستصحاب؛ بأنّه قد يستكشف الحكم الشرعي - بمعنى تحقّق الإرادة الجدّيّة من الشارع لا الأمر الشرعي - من موارد حكم العقل؛ بناءً على الملازمة بين حكم العقل والشرع؛ إذ ليس المراد منها استكشاف أمر الشارع بذلك، بل استكشاف الإرادة الشرعيّة الجدّيّة التي هي أصل الحكم وروحه، أو من وجوب المقدمات، أو من الأمر بالشيء بناءً على اقتضائه النهي عن ضده، فإنّه ليس مراد القائل به اقتضاء الأمر الإنشائي نهياً متعلّقاً بضده، بل المراد استكشاف إرادة جدّيّة زجريّة بضده، التي هي الحكم حقيقة، والأوامر المتعلّقة بالعناوين، أيضاً إنّما تعدّ حكماً من جهة أنّها كاشفة عن إرادة جدّيّة هي الحكم حقيقة، ولهذا لا يجب الامتنال لو أمر بشيء علم بعدم تعلّق إرادته الجدّيّة به، وعلى فرض الإتيان به فهو لا يعدّ امتثالاً يوجب المثوبة، ولا تركه مخالفة تترتّب عليها العقوبة، ولو علم بتعلّق إرادة المولى الجدّيّة بشيء، ولكن لم يأمر به لغفلته، مع العلم بأنّه مطلوب إلزاميّ له، كإنقاذ ابنه الغريق؛ بحيث لو التفت إليه أمره به، فإنّه يجب تحصيل غرضه عقلاً وسرّفاً. وبالجملّة؛ لو استكشف الحكم الشرعي - بمعنى الإرادة الجدّيّة - كشفاً جزئياً، ثمّ شكّ في بقاءه، فلا مانع من شمول أدلّة الاستصحاب له، كما يجري لو استكشفت الإرادة الجدّيّة من الأمر والإنشاء اللفظي، وحينئذٍ في موارد استقرار بناء العقلاء على شيء، كاليد وأصالة الصحّة في فعل الغير والعمل بخبر الواحد ورأي المفتي، مع سكوت الشارع عنه، مع كونه بمرأى ومنظر منه، يستكشف أنّه مرضيّ للشارع وأنّه تعلّقت إرادته الجدّيّة به، كشفاً جزئياً، وإلاّ فليس بناء العقلاء - بما هو - معتبراً

وحجة، ثم بعد عرض ما يحتمل دُخْلُ عدمه في بقاء تلك الإرادة المنكشفة - كموت المجتهد المذكور - لآمانع من جريان الاستصحاب فيه.

ويمكن الجواب أيضاً في بعض موارد جريان الاستصحاب : بأنه لا ريب في أنه يُستكشف من اتفاق العلماء وإطباقهم على التخيير - في المجتهدين المختلفين في الفتوى المتساويين في الفضل في تقليد أيهما شاء، مع أن مقتضى حكم العقل جزءاً والقاعدة العقلانية، هو التساقط، كما في كل حجة معتبرة من جهة الطريقتين والكاشفة عن الواقع - وجود نص معتبر عندهم عليه، أو وصول هذا الحكم من الأئمة عليهم السلام يداً بيد، كشفاً جزئياً، ولذا حكموا بالتخيير، لا وجوب الاحتياط، مع عدم جواز الرجوع إلى البراءة، وبعد موت هذين المجتهدين يشك في بقاء التخيير الشرعي المستكشف من إجماعهم وعدمه، فيستصحب ؛ سواء أخذ فتوى أحدهما في زمان حياتها وعمل به، أم لا ولكن أدرك زمان حياتها، فينتج ذلك التفصيل بين ما لو أدرك زمان حياتها - أي المجتهدين المتساويين في العلم - وعدمه؛ بجريان الاستصحاب في الأول فقط، دون الثاني، فيجري الاستصحاب المذكور في قسم واحد من الابتدائي، وهو ما إذا أدرك زمانها، إلا أن الإجماع قائم على عدم جواز تقليده الابتدائي مطلقاً.

والتحقيق الذي يمكن الاعتماد عليه في مقام التصديق والإثبات : هو هذا التفصيل؛ لاقتضاء الاستصحاب المذكور له، أو أنه لا بد من ملاحظة أدلة المسألة، والعمدة منها - كما عرفت - هو بناء العقلاء، وإلا فلا دليل لفظي من الآيات والروايات يصلح للاستناد عليه في المقام؛ ليلاحظ مقدار دلالاته.

والإجماع المدعى لجواز تقليد الميت - الذي تطمئن النفس بتحقيقه فيه - إنما هو ما ذكرنا؛ أي ما لو أدرك زمان المجتهدين المتساويين، وأما في غير ذلك فلا.

وأما بناء العقلاء فلا ريب في أن الثابت المرتكز في أذهانهم، عدم الفرق بين الحي من ذوي الخبرة في كل فن، وبين الميت منهم؛ في الرجوع إليهم ابتداء واستدامة،

بعدما عرفت: من أن رأيهم ونظرهم طريق إلى الواقع، كما لا فرق بين حال نومهم ويقظتهم وبين حال الهرم وغيره، إلا إذا تبدّل رأيهم ونظرهم عن علم واجتهاد، فلا يعتبر رأيه الأول حينئذٍ عند العقلاء، فلو علم بعدم اعتبار شيء آخر سوى ذلك، لم يفتقر إلى الاستصحاب وغيره، ولكن المفروض أن اعتبار بناء العقلاء وحجّيته إنما هو بسبب إمضاء الشارع له، ولا إشكال فيه بالنسبة إلى التقليد الاستمراري في المسائل التي عمل بها المكلف، ثم مات ذلك المجتهد، فإنه يمكن الاطمئنان بتحقيق إمضاء الشارع لبنائهم فيه، ولا ينقدح خلافه في أذهانهم، فإنه لا يعدّ بالموت من الجاهلين بالأحكام، ولا يخرج به عن ذوي أهل الخبرة فيها، بخلاف التقليد الابتدائي، بل يمكن أن يقال بعدم تعارف الرجوع إلى الميت ابتداءً بين العقلاء، فالحق هو التفصيل بين الابتدائي والاستمراري.

## الفصل الثالث

### في جواز العدول من مجتهد إلى آخر

هل يجوز العدول من مجتهد إلى آخر مساوٍ له في العلم والفضل مع اختلافهما في الفتوى؟

في المقام صور كثيرة نتعرض لبعضها :

الأولى : ما لو التزم بتقليد أحدهما وأخذ الفتوى منه؛ ليعمل على وفقها ولم يعمل بعد، وأراد العدول إلى الآخر؛ بناءً على القول بأن التقليد : عبارة عن الالتزام وعقد القلب على العمل على طبق فتوى المجتهد.

الثانية : لو عمل بفتوى أحدهما في واقعة، وأراد العدول إلى الآخر في تلك الواقعة، كما لو قلّد أحدهما القائل بعدم وجوب السورة في الصلاة، فصلّى الظهر بلا سورة، ثمّ أراد الرجوع إلى الآخر، والإتيان بصلاة الظهر مع السورة في ذلك اليوم ثانياً على طبق فتوى الآخر.

الثالثة : العدول بعد الأخذ بفتوى أحدهما والعمل بها في واقعة إلى الآخر في غير تلك الواقعة من الوقائع المتأخّرة.

الرابعة : العدول بعد الأخذ بفتوى أحدهما والعمل بها في باب من أبواب الفقه

ـ كباب الصلاة ـ إلى الآخر في غير هذا الباب كباب الصوم.

وأما الصورة الأولى : فذهب شيخنا الحائري رحمته إلى عدم جواز العدول فيها؛ لأنّ مستند التخيير؛ إمّا إطلاقاته، مثل: (بأيّهما أخذت من باب التسليم وسعك) <sup>(١)</sup> ونحوه؛ بناء على استفادة التخيير منها في المقام أيضاً، أو لأنّه مقتضى الاستصحاب. فعلى الأوّل؛ فعدم جواز العدول واضح؛ لأنّ الأمر فيها متعلّق بصرف الوجود للتخيير، وقد سقط بمجرد الالتزام بتقليد أحدهما، والأمر بالتخيير بعد ذلك من قبيل الأمر بتحصيل الحاصل، نظير الإتيان بصلاة الظهر بعد الإتيان بها بقصد الامتثال. ثمّ أورد على نفسه : بأنّه كما لا يلزم تحصيل الحاصل في مثل «لا تشرب الخمر»؛ حيث إنّهُ يقيّد بكلّ زمان لا بنحو الظرفيّة، فكذلك يمكن التخيير في المقام بأن يؤخذ كلّ زمان قيّداً له، فلا يلزم منه الأمر بتحصيل الحاصل.

وأجاب عنه : بالفرق بينهما؛ حيث إنّ الأمر التخييري هنا متعلّق بإحداث التقليد إمّا على طبق رأي هذا المجتهد أو ذاك، والعقد القلبي ـ الذي هو عبارة عن الالتزام والبناء على الأخذ بفتوى المجتهد ـ من الأمور الممتدّة الباقية، التي لا حدوث آخر لها بعد ذلك، بل وجوده بعد ذلك بقاء للأوّل، مثل وجود زيد في الأزمنة المتأخّرة عن زمان حدوثه، وما هو مفاد الدليل ومدلوله هو جواز الأخذ بفتوى هذا أو ذاك، لا الأخذ في زمان كذا وكذا؛ لعدم دُخُل الزمان في ذلك، والمفروض حصوله بالالتزام بالعمل على طبق رأي أحدهما، فالالتزام به على طبق رأي الآخر تحصيل للحاصل.

ثمّ قال : نعم يمكن أن يرد دليل آخر بلسان آخر، يدلّ على التخيير بين الاكتفاء بهذا وبين الالتزام بالعمل ثانياً على طبق رأي المجتهد الآخر، لكن لا يمكن ذلك بالدليل الأوّل، نظير عدم إمكان الجمع بين قاعدة الطهارة واستصحابها في

١ ـ الكافي ١ : ٥٣ / ٧، وسائل الشيعة ١٨ : ٧٧، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي.

الباب ٩، الحديث ٦.



قوله <sup>الثاني</sup> : (لا ينقض اليقين بالشك)؛ من جهة عدم إمكان الجمع بين اللحاظين.

هذا لو استند في التخيير إلى إطلاقات أدلة التخيير .

وإن استند فيه إلى الاستصحاب فكذاك؛ لعدم جريانه في المقام؛ لأنه إن أريد استصحاب المعنى التخييري وحكمه فهو معلوم الانتفاء؛ لسقوطه بالالتزام بالعمل على فتوى أحدهما.

وإن أريد حكم آخر فلا حالة سابقة له، فإن المتيقن السابق ليس إلا التخيير. ثم أورد على نفسه : بأنه لا يفتقر في المقام إلى استصحاب التخيير، بل هنا استصحاب آخر، وهو الاستصحاب التعليقي بأن يقال : إنه لو كان قد قلّد المجتهد الآخر كان قوله حجة، والآن كما كان، فيستصحب هذا المعنى التعليقي.

وأجاب عنه : بأن ما هو الثابت المتيقن في السابق هي الحجية المبهمة الغير المتعينة، وإنما تعين بالأخذ بفتوى أحدهما، نظير الملكية المشاعة في الأموال المشتركة، فإن الإشاعة ترتفع بالإفراز والتقسيم. هذا كله بالنسبة إلى الصورة الأولى.

وأما الصورة الثانية : أي العدول من مجتهد - بعد الأخذ برأيه والعمل به - إلى آخر في الوقائع الأخر المستقبلية، كما لو صلى الظهر بلا سورة على طبق هذا المفتي، وأراد العدول منه إلى مجتهد آخر وتقليده بالصلاة مع السورة غداً، فالحكم فيها بجواز العدول وعدمه مبني على أن المستفاد من أدلة التقليد مثل (وأما الحوادث الواقعة) <sup>(١)</sup>، وأدلة التخيير مثل قوله <sup>الثاني</sup> : (وبأيتهما أخذت من باب التسليم وسعك)، هو أن التقليد؛ عبارة عن الالتزام بالعمل على فتوى المجتهد والعقد القلبي عليه، أو أنه عبارة عن العمل برأيه.

فعلى الأول : فالكلام فيها هو الكلام في الصورة الأولى؛ لحصوله وتحققه

١ - إكمال الدين : ٤٨٣ / ٤، الاحتجاج ٢ : ٥٤٢ / ٣٤٤، وسائل الشريعة ١٨ : ١٠١، كتاب

الفضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ٩.

بالالتزام بتقليد الأول، فالعدول منه إلى الثاني تحصيل للحاصل.  
وعلى الثاني: كما هو ظاهر قوله عليه السلام في رواية أخرى: (بأيّهما عملت من باب التسليم...) <sup>(١)</sup> إلى آخره، فلاستصحاب بقاء التخيير حينئذٍ بالنسبة إلى الوقائع المتأخرة مجال، ويمكن شمول إطلاق أدلة التخيير له أيضاً، وعلى فرض الإشكال في شمول إطلاق الأدلة، فلاستصحاب المذكور كافٍ في المطلوب وإثبات بقاء التخيير <sup>(٢)</sup>. انتهى ملخص كلامه تعالى.

أقول: أمّا ما ذكره - من أنّه من قبيل الأمر بتحصيل الحاصل - ففيه: أنّه إنّما يصحّ لو كان الحكم التخييري نفسياً، كالتخيير في خصال الكفّارات الثلاث، أو بين الظهر والجمعة، فإنّه بعد الإتيان بأحد أفراد الواجب المحيّر يسقط الأمر التخييري، ولا معنى للامتنال حينئذٍ ثانياً بالإتيان بالفرد الآخر له؛ سواء قلنا بأنّ الأمر في الواجب التخييري متعلّق بالجامع بين أفراد، وأنّ ذكر الأفراد إنّما هو للإرشاد إليه، أم قلنا بأنّه سنخ خاصّ من الواجب، ولكن ما نحن فيه ليس كذلك، فإنّ الأمر بالأخذ بالطرق والأمارات التي منها فتاوى المجتهدين ليس من جهة أنّها مطلوبات نفسية، بل من جهة أنّها طريق إلى الواقع وكاشفة عنه، فإن كان المستفاد من أدلة التخيير هو الحكم بالأخذ بأحدهما عند التعارض، وأنّ هنا حكمين: أحدهما التخيير بينهما، والثاني عدم جواز الجمع بينهما، فلايجوز العدول حينئذٍ بعد الأخذ بأحدهما وتقليده؛ لعدم إمكان تبديل ما صدر منه أولاً - بالالتزام بالعمل على طبق رأي الأول - عمّا هو عليه وجعله بمنزلة العدم.

وأما لو قلنا بأنّه لا يستفاد من أدلة التخيير إلّا التوسعة على المكلف؛ بجواز

١ - تهذيب الأحكام ٣: ٢٢٨ / ٥٨٣، وسائل الشريعة ١٨: ٨٨، كتاب القضاء، أبواب صفات

القاضي، الباب ٩، الحديث ٤٤، مع اختلاف في اللفظ.

٢ - البيع، الشيخ الأراكي ٢: ٤٧١.

الأخذ بأيهما شاء، فعلى القول بالإجزاء فيما لو قلّد أحدهما وإن خالف رأيه الواقع، فلا إشكال في عدم جواز العدول إلى الآخر أيضاً؛ لسقوط الأمر الواقعي بذلك، وإن قلنا بعدم الإجزاء فيما لو خالف رأيه الواقع. وإن كان المكلف معذوراً في مخالفة الواقع، فأراد العدول إلى الآخر في الوقائع المتأخّرة، فلا يصدق مفهوم العدول ولا التخيير عليه؛ لأنّ تقليد المكلف لمجتهد آخر في فعل آخر لا يعدّ عدولاً، لكن لو أراد العدول في تلك الواقعة بعينها؛ بالإتيان بفرد آخر من ذلك الفعل بتقليد مجتهد آخر؛ لكونه أفضلها، فهل يجوز ذلك أو لا؟ نظير ما لو أمر المولى بإتيان الماء، فأتاه بماء في آنية، ثمّ أراد الإتيان بماء أعذب منه في آنية أخرى أجود من الأولى، فهل يصحّ ذلك؛ وأنّ الله يختار أحبّها إليه، أو لا؟

لكنّ الظاهر أنّ ما نحن فيه ليس كذلك؛ لما عرفت من الفرق بين التكاليف النفسية والطرقيةّة؛ لأنّ المطلوب في الأولى نفس المأمور به، وليس وراءه شيء آخر هو المطلوب، بخلاف التكاليف الطرقيةّة، فإنّ المطلوب فيها هو الواقع والإتيان به، وإنّما أمر بالعمل بالطريق للإيصال إليه، وإلاّ فنفس الطريق ليس مطلوباً بذاته، فبناء على القول بعدم الإجزاء لو خالف تقليده الأوّل الواقع، فلا مانع من الإتيان بالمأمور به ثانياً على طبق رأي المجتهد الثاني وتقليده؛ لمجرد احتمال عدم موافقة الأوّل للواقع<sup>(١)</sup>، كما لو صلى الظهر بلا سورة؛ لعدم وجوبها عند أحد المجتهدين، وأراد الإتيان بها ثانياً مع السورة بتقليد المجتهد الآخر؛ لاحتماله بقاء التكليف الواقعي، وإن لم يجب ذلك عليه لأجل هذا الاحتمال وإن كان معذوراً، وليس من التشريع المحرّم، نعم على القول بالإجزاء لا يصحّ العدول، ولا يجري هذا البيان.

وأما قياسه بغيره ما نحن فيه بالملكيّة المشاعة التي هي من الأمور الواقعيّة في

١ - ولا يخفى عدم صحّة هذا البيان فيما لو وافق رأي المجتهد الأوّل - الذي عمل على وفق

رأيه - للاحتياط. [المقرّر حفظه الله].

وعاء الاعتبار، فقد ظهر ما فيه، بعدما عرفت من الفرق بين التكاليف النفسيّة وبين الطريقيّة، وعدم المانع من الإتيان بالعمل ثانياً على رأي المجتهد الثاني؛ من جهة احتمال بقاء التكاليف الواقعي في الثانية وإن لم يجب ذلك عليه، دون الأوّل، فإنّ الملكية المشاعة من الأمور الواقعيّة كالتكاليف النفسيّة، فإذا أفرزت بالتقسيم زالت الإشاعة حقيقة، وليس وراءها شيء آخر، بخلاف فتوى المجتهد، فإيّها طريق إلى الواقع وكاشفة عنه، الذي هو المطلوب، وهو - مع مخالفة فتواه للواقع - باقي بحاله؛ بناء على القول بعدم الإجزاء، فله الإتيان على رأي المجتهد الثاني، وإن لم يجب.

وأما ما أفاده: من التفصيل - في الصورة الثانية - بين القول بأنّ التقليد: عبارة عن الالتزام والعقد القلبي على تقليد المجتهد، وبين القول بأنّه عبارة: عن العمل الخارجي على رأي المجتهد... إلى آخره.

ففيه: أوّلاً: أنّه على الأوّل يبقى التفصيل بين الالتزام المذكور ابتداءً؛ بتقليد فقيه في واقعة والالتزام بتقليد الآخر في سائر الوقائع المتأخّرة، وبين الالتزام في الواقعة الحاضرة بتقليد أحدهما وعدم الالتزام بتقليد الآخر في الوقائع المتأخّرة، أو عزم على عدم التقليد له فيها؛ حيث إنّ لا معنى للتخيير في الأوّل بالنسبة إلى الوقائع المتأخّرة؛ لما ذكره فقهُرُ: من أنّه من قبيل تحصيل الحاصل، وأمّا على الثاني فإنّه لا مانع من شمول إطلاقات أدلّة التخخير له، لكنّه إحداث للتخخير، لا استدامة للأوّل.

وثانياً: لو التزم بتقليده في الوقائع المتأخّرة أيضاً، وعزم على ذلك، لكن رجع عن هذا العقد القلبي وعزمه الباطني، فلا مانع حينئذٍ من الرجوع إلى الآخر؛ لانعدام الموضوع برجوعه عن عزمه الأوّل، فتشمله الأدلّة الدالّة على تخييره بين تقليد هذا أو ذاك بناءً على إطلاقتها، وليس هو مثل ما لو عمل برأيه في واقعة شخصيّة، وأراد الرجوع إلى الآخر في تلك الواقعة.

وأما ما ذكره: من أنّ التقليد لو كان عبارة عن العمل الخارجي على طبق رأي

مجتهد، فما لم يعمل بعدُ على رأي أحدهما فالتخير باقٍ للاستصحاب.  
 ففيه: أن هذا إنما يتم لو كان الدليل على التخير هو الإطلاقات والأدلة  
 اللفظية، مثل قوله <sup>(١)</sup>: (بأيّهما أخذت من باب التسليم وسِعك) <sup>(٢)</sup>.  
 وأما لو قلنا: إن الدليل عليه هو الإجماع ونحوه من الأدلة اللبّية - التي لا  
 إطلاق لها القاصرة عن بيان كيفية التقليد - فالأزام هو الأخذ بالقدر المتيقّن - أي  
 التقليد في الوقائع المتأخّرة - من المجتهد الأوّل الذي قلّده وعمل بفتواه في الواقعة  
 الماضية، لا لأجل أنه تقليد ابتدائيّ للميت بالنسبة إلى الوقائع المتأخّرة، بل لأجل أنه  
 نافذ على أيّ تقدير؛ لدوران الأمر فيه بين تعيين تقليده فيها، وبين تخيره بينه وبين  
 تقليد الآخر، والقدر المتيقّن هو الأوّل؛ لاحتمال عدم جواز الثاني.  
 وأما الاستصحاب الذي ذكره: فإن أراد استصحاب الجامع بين التخير  
 الابتدائي والاستمراري، يرد عليه ما تقدّم؛ من أن الجامع بين الحكمين ليس حكماً  
 شرعيّاً، ولا موضوعاً يترتّب عليه أثر شرعيّ، ويعتبر في الاستصحاب أحد هذين  
 الأمرين، فلا مجال لاستصحابه.  
 وإن أراد استصحاب خصوص التخير الابتدائي أو الاستمراري، فالمفروض  
 أنه لم يثبت بالأدلة أن التخير بدويّ أو استمراريّ، فإن التخير على الأوّل هو حكم  
 واحد بالتخير بين تقليد هذا في جميع الوقائع، أو ذاك كذلك في الابتداء؛ بحيث لو  
 عمل على رأي أحدهما في واقعة سقط التخير، وعلى الثاني فعناه أن المكلف مخير في  
 كلّ واقعة في تقليد أيّهما شاء، فله تخيرات؛ أي أحكام تخيرية متعدّدة بعدد الوقائع،  
 وحيث إنّه لم يعلم أنه بدويّ أو استمراري، فلا مجال لاستصحاب أحدهما؛ لعدم العلم  
 بالحالة السابقة.

١ - الكافي ١ : ٥٣ / ٧ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٧٧ ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي.

الباب ٩ ، الحديث ٦ .

ثم قال رحمه الله : هذا في مقام الثبوت، وأمّا في مقام الإثبات والتصديق، فأدلة التخيير ظاهرة في أنّ التقليد: عبارة عن العمل الخارجي على طبق رأي المجتهد استناداً إليه، وحينئذٍ ففقتضى الأدلة والاستصحاب جواز العدول في الوقائع المتأخّرة إلى المجتهد الآخر<sup>(١)</sup>.

وفيه ما تقدّم: من أنّه لا دليل لفظي في مسألة التقليد، والأدلة اللفظية التي استدللّ بها فيها، مثل: (بأيهما أخذت من باب التسليم وسعك)، لا دلالة له في المقام، بل الدليل على رجوع المقلّد العامي إلى المجتهد هو الإجماع، وهو دليل لبيّ لا إطلاق له، ولا مجال للاستصحاب فيه أيضاً.

## الفصل الرابع

### في اختلاف الحيِّ والميِّت في مسألة البقاء

لو قلّد مجتهداً ثمّ مات ذلك المجتهد؛ فإنّما أن يكون رأيه موافقاً لرأي المجتهد الحيِّ في مسألة البقاء على تقليد الميِّت - جوازاً أو وجوباً - أو في وجوب الرجوع إلى الحيِّ، فلا إشكال، وكذا لو اختلفا، وكان فتوى الميِّت فيها جواز البقاء، وفتوى الحيِّ وجوب العدول إلى الحيِّ، فلا إشكال أيضاً؛ حيث إنّ القدر المتيقّن هو الرجوع إلى الحيِّ. وإنّما الكلام والإشكال فيما لو كان رأي الميِّت وجوب الرجوع إلى الحيِّ، وفتوى الحيِّ وجوب البقاء، فإنّ فيه إشكالاً عقليّاً؛ لأنّه لو رجع إلى الحيِّ في تلك المسألة، وبقي على تقليد الميِّت، لزم من حجّية فتوى الميِّت في المسائل الفرعية عدم حجّيتها؛ لأنّ من فتاواه هي فتواه بوجوب الرجوع إلى الحيِّ وعدم حجّية فتاواه بعد موته، وهذا نظير الإشكال المعروف في حجّية خبر الواحد<sup>(١)</sup>؛ حيث إنّ مقتضى أدلّة حجّيته هو حجّية إخبار السيّد الإجماع على عدم حجّية خبر الواحد، فإنّه أيضاً من أخبار الآحاد، ويلزم من حجّية عدم حجّية أخبار الآحاد التي منها خبر السيّد،

١ - أنظر فرائد الأصول : ٧٤، وفوائد الأصول ٣ : ١٧٧، ونهاية الأفكار ٣ : ١١٨.

فيلزم من حجّية خبر السيّد عدم حجّيته.

وأجاب عنه الشيخ الأعظم عليه السلام في مبحث حجّية خبر الواحد: بأنّ هذا المحذور العقلي ناشٍ عن حجّية خبر السيّد فقط، فيطرح خبره؛ لعدم حجّيته حينئذٍ، فتبقى سائر الأخبار خالية عن الإشكال<sup>(١)</sup>.

### كلام العلامة الحائري عليه السلام

وأورد عليه شيخنا الأستاذ الحائري عليه السلام بأنّه عليه السلام قد دقّق النظر في الجواب عن الإشكال، ولكن النظر الأدقّ يقتضي عدم صحّة هذا الجواب؛ وذلك لأنّ خبر السيّد بعدم حجّية خبر الواحد ينحلّ إلى أخبار متعدّدة، فإنّ مفاده: عدم حجّية خبر زرارة، وخبر محمّد بن مسلم... وهكذا خبره هذا عن الإجماع على عدم حجّية خبر الواحد والذي يلزم منه المحذور هو حجّية خبره هذا بالنسبة إلى هذا الخبر نفسه، وأمّا مفاده بالنسبة إلى سائر الأخبار فلا يلزم منه محذور، وحينئذٍ فيحكم بعدم حجّية خبره هذا بالخصوص، لا خبره بعدم حجّية سائر الأخبار، فإنّه لا يلزم منه محذور.

وبعبارة أخرى: إنّما يلزم المحذور من إطلاق خبر السيّد بعدم حجّية خبر الواحد الشامل لخبر نفسه، لا من أصل خبره بتمام مفاده، فخبره هذا بالنسبة إلى سائر الأخبار حجّة، فيقع التعارض بين خبره وبين أدلّة حجّية خبر الواحد، واللازم طرح خبر السيّد في مقام المعارضة، وترجيح الأدلّة الدالّة على حجّية خبر الواحد؛ لأنّه لو رُجّح خبر السيّد على أدلّة حجّية خبر الواحد، يلزم التخصيص المستهجن في أدلّة حجّية خبر الواحد.

مضافاً إلى أنّه حينئذٍ يصير أشبه بالمعمّى واللّغز؛ وبيان عدم حجّية أخبار



الآحاد بلسان حجيتها ، وهو استهجان آخر، فلا بد من ترجيح أدلة حجية خبر الواحد وطرح خبر السيد<sup>(١)</sup>.

وهذه المطالب - إشكالاً وجواباً - جارية فيما نحن فيه أيضاً؛ لأنه يرد الإشكال؛ بأنه يلزم في مفروض المسألة من حجية فتوى الميت عدمها، ويتوجه عليه جواب الشيخ<sup>عليه السلام</sup>؛ بأن ما يلزم منه المحذور هو حجية خصوص فتواه بعدم جواز تقليد الميت، فتطرح تلك الفتوى، ويؤخذ بسائر فتاواه في المسائل الفرعية.

ويرد عليه إشكال شيخنا الأستاذ الحائري<sup>عليه السلام</sup>؛ بأن المحذور إنما يلزم من بعض مفاد هذه الفتوى، لا من تمام مفادها، فإن فتواه هذه تتحلل إلى فتاوى متعددة؛ لأن معناها ومفادها عدم حجية فتواه في الوضوء، وعدم حجيتها في الصلاة... وهكذا كل واحدة من فتاواه في الفروع، التي منها فتواه هذه؛ أي حرمة البقاء على تقليد الميت، والذي يلزم منه المحذور هو شمول هذه الفتوى لنفسها، فليست هي حجة بالنسبة إلى نفسها، لا بالنسبة إلى سائر مفادها في عدم حجية فتاواه في سائر الأحكام، وحينئذ فينزل المجتهد الحي نفسه منزلة المقلد في إجراء الاستصحاب، ويقع التعارض بين استصحاب حجية فتواه في تلك المسألة الأصلية - أي عدم جواز البقاء على تقليد الميت في الفروع - وبين استصحاب حجية فتواه في سائر المسائل الفرعية؛ للتنافي بينهما، فلا أحد أن يذهب إلى التخيير كما في المجتهدين المتساويين.

ثم قال: إن الاستصحاب المذكور في المسائل الفرعية؛ إما غير جارٍ، أو محكوم للاستصحاب في المسألة الأصلية؛ أي استصحاب عدم حجية فتواه في مسألة البقاء؛ لأنه إن أريد من استصحاب فتاواه في الفروع، هو استصحاب الأحكام الواقعية من الواجبات والمحرمات المستكشفة من فتواه، فهو غير جارٍ؛ لأنه وإن شك في بقائها،

لكن لا حالة سابقة متيقنة لها في ظرف الشك: أمّا العلم الوجداني فواضح، وأمّا القطع التنزيلي فكذلك؛ لعدم تحقق الحجّة في ظرف الشك على الواقع؛ للشك في حجّة فتواه بعد موته، فيرتفع القطع التعبدي الحاصل في زمان حياته بعد موته.

وإن أريد استصحاب الحكم الظاهري الفرعي؛ أي جواز العمل بفتواه ورأيه في المسائل الفرعية، فإن كان الموضوع لهذا الحكم الظاهري هو رأي ذلك المجتهد بنحو الإضافة إليه، فأركان الاستصحاب متحققة؛ للعلم بجواز العمل بفتواه في زمان حياته، والشك في جوازه بعد مماته، فيجري فيه الاستصحاب، لكن الاستصحاب الجاري في المسألة الأصلية حاكم على هذا الاستصحاب؛ لأنّ الشك في جواز العمل برأيه في الفروع بعد مماته، ناش عن الشك في حجّة رأيه في تلك المسألة الأصلية؛ في عدم حجّة قول الميت وفتواه في الفروع، وباستصحاب فتواه في تلك المسألة الأصلية، يرتفع الشك في جواز العمل بفتواه في الفروع؛ لأنّ موضوع الحكم الظاهري هو المشكوك بما أنّه مشكوك، بخلاف الحكم الواقعي، والأوّل في مرتبة متأخّرة عن الثاني، فلا يجري مع جريانه في الأوّل، وليس مثبتاً؛ لأنّ أثره أعمّ من الواقعي والظاهري.

وإن أريد استصحاب ذات قوله ورأيه من دون إضافته إليه، بل إضافته إليه جهة تعليلية له، كان جواز العمل بهذه الفتاوى ثابتاً في الزمان السابق - أي زمان حياته - لأنّها رأيه وفتواه، وإمّا أن تعتبر عليّته في الزمان السابق لجواز العمل، فالمفروض انتفاؤها بالموت، وإمّا المعلوم عليّته في الزمان السابق - أي زمان حياته - والشك في حجّة فتواه بعد الموت، وإمّا أن تعتبر عليّته له في الزمان اللاحق الذي هو ظرف الشك، فالمفروض عدمها أيضاً؛ لقطعه بخلافه من جهة التنافي بين فتوييه في تلك المسألة<sup>(١)</sup>. انتهى.

### الإيراد على مختار العلامة الحائري رحمته الله

أقول : يرد عليه رحمته الله :

أولاً : أن الشك في بقاء الحكم الواقعي إنما يتحقق إذا احتمل نسخه، أو انعدام ما احتمل شرطيته له، كالخضور بالنسبة إلى وجوب صلاة الجمعة، أو وجود ما يحتمل اعتبار عدمه فيه، مع عدم وجود الحجّة والأمانة التي يستكشف بها الحكم الواقعي في ظرف الشك، وأما إذا لم تتحقق هذه الأمور الموجبة للشك في بقاء الحكم الواقعي، فبمجرد احتمال عدم حجّة رأي المجتهد بعد موته، لا وجه للشك في بقاء الحكم الواقعي.

نعم ما ذكره رحمته الله صحيح بناءً على السببية في فتوى المجتهد، ولكنه فاسد. وثانياً : ما أفاده : من حكومة الاستصحاب في المسألة الأصلية عليه في المسائل الفرعية - بالنسبة إلى الحكم الظاهري - لو أخذ الموضوع قول المجتهد بنحو الإضافة؛ من جهة أن الشك في الثانية ناشئ عن الشك في الأولى، فع جريان الاستصحاب الحاكم - أي استصحاب رأيه بعدم جواز البقاء - يرتفع الشك في بقاء جواز العمل بفتاواه في سائر الفروع.

ففيه أولاً : أن الشك في الثانية ليس ناشئاً ومسبباً عن الشك في الأولى، بل الشك في كليهما ناشئ ومسبب عن ثالث هو الشك في اعتبار حياة المجتهد في جواز تقليده وعدمه.

وثانياً : سلّمنا ذلك، لكن قد تقدّم في باب مسألة الشك السببي والمسببي: أن المناط في التقديم هو أن يكون الأصل الجاري في السبب، منقحاً لموضوع دليل اجتهاديّ حاكم على الأصل الجاري في المسبب، وفي الحقيقة لاتنافي بين الأصل السببي والأصل المسببي حتى يقال: إن أحدهما حاكم على الآخر، فإن تقدّم

استصحاب الكربة على استصحاب بقاء نجاسة الثوب المغسول بذلك الماء، إنما هو لأجل أنه منقح لموضوع دليل اجتهادي شرعي، يدل على أن كل كز مطهر، وهذا الدليل حاكم على الأصل المسبي، ومع عدم دليل اجتهادي كذلك - ينقح موضوعه بالأصل السبي - فجزد نشوء شك عن شك لا يوجب التقديم، فاستصحاب السبب لترتب المسبب من الأصول المثبتة وإن كانت السببية شرعية؛ بأن جعل الشارع هذا سبباً لذلك؛ لأن ترتب المسبب عليه عقلي، لا شرعي، كما فيما نحن فيه، مع أن السببية فيه ليست شرعية أيضاً.

ثم قال رحمه الله: نعم يحتل بقاء الحكم الواقعي، لكنه غير مفيد في إثبات الحكم الظاهري لاختلاف رتبتهما؛ لأن موضوع الأول هو العنوان الواقعي، وموضوع الثاني هو المشكوك بما أنه مشكوك الحكم الواقعي، فالثاني في مرتبة متأخرة عن الأول، فليس بقاء الحكم الواقعي بقاء للحكم الظاهري، نعم الجامع بين الحكم الظاهري والواقعي كان معلوم الوجود سابقاً، فلا بأس باستصحابه هنا؛ بناء على جريان الاستصحاب في القسم الثالث من أقسام استصحاب الكلي<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول: فيه ما تقدم من عدم جريان الاستصحاب في الجامع بين القسمين؛ لأنه ليس حكماً شرعياً، ولا موضوعاً ذا أثر شرعي، ولا بد في الاستصحاب من أحد الأمرين.

مضافاً إلى أنه رحمه الله صرح: بأن فتوى المجتهد في ظرف الشك ليس حجة على الواقع؛ أي بعد موته، وحينئذٍ فهنا حكم ظاهري، وحكم واقعي تابع للحكم الظاهري؛ لأنه كاشف عنه، ومع فرض جريان الأصل في جانب السبب - وهي المسألة الأصلية - يرتفع جواز العمل بفتواه الذي هو حكم ظاهري، ويتبعه زوال

الحكم الواقعي أيضاً؛ لأنه تابع له، واستصحاب الجامع إنما يصح مع قطع النظر عن الإشكال المتقدم، إذا لم يكن أحد الفردين تابعاً للفرد الآخر في الزوال، كما لو علم بأنه لو لم يكن البق لم يكن الفيل، فإنه لا يجري استصحاب الجامع بين الفردين فيه أيضاً، وما نحن فيه من هذا القبيل؛ لأن المفروض أنه مع زوال الحكم الظاهري الكاشف، يتبعه الحكم الواقعي المكشوف عنه في الزوال، فلا يصح استصحاب الجامع بينها.

ثم قال رحمته : وإن أريد استصحاب حجّة فتواه في المسألة الأصلية، فالشك في حجّة فتواه في سائر الفروع ناشئ عن الشك في بقائها في تلك المسألة الأصلية - أي فتواه في مسألة البقاء لعدم جواز البقاء على تقليد الميت - ومع جريان الاستصحاب في جانب السبب يرتفع الشك في جانب المسبب، ومقتضى جريان الاستصحاب في السبب عدم حجّة فتواه في سائر الفروع، وليس هذا الاستصحاب مثبتاً؛ لأن أثره أعم من الواقعي والظاهري<sup>(١)</sup>. انتهى.

وفيه أيضاً: - مضافاً إلى ما تقدّم من الكلام في استصحاب السبب - أن الحجّة غير قابلة للجعل، كما تقدّم مراراً، فلا يجري استصحابها ولا استصحاب عدمها. ثم إنه رحمته عدل عن جميع ما ذكر، وقال: إن حكومة الاستصحاب في المسألة الأصلية عليه في المسائل الفرعية، إنما هي على تقدير الجريان، لكنه لا مجال لجريانه فيها؛ لأنه يعتبر في الاستصحاب الموضوعي ترتب أثر شرعي على المستصحب، ولا يترتب عليه في المسألة الأصلية أثر شرعي، بل نقيضه، فإنه تستصحب حجّة فتواه؛ ليرتّب عليه سقوط فتواه في الفروع عن الحجّة، ويتفرّع عليه وجوب العدول إلى الحي، نظير قول السيّد: «خبر الواحد ليس بحجّة إلا خبر زيد، وأخبر زيد بأن كلّ خبر حجّة»، فلا يمكن شمول الأدلة لخبر السيّد حينئذ؛ لأنه ينتج نقيضه، وما نحن فيه

كذلك؛ لأنه يراد من استصحاب حجّية فتوى الميّت في المسألة الأصلية - أي مسألة البقاء على تقليد الميّت - العدول إلى الحيّ القائل بحجّية فتوى الميّت، فمرجه إلى استصحاب عدم حجّية فتواه ليرتّب عليه إثبات حجّية فتواه.

ثمّ أورد على نفسه :

أولاً : بأنّ فتوى الميّت في المسألة الأصلية، هي عدم جواز الاتكال على فتواه في الفروع استقلالاً، لا مع فتوى الحيّ به.

وثانياً : ليس المقصود من إجراء الاستصحاب في المسألة الأصلية، إثبات حجّية فتواه في الفروع، بل المقصود إثبات عدم حجّية فتواه فيها، وحينئذٍ يرجع المقلّد إلى الحيّ حسب ارتكازه، بعدما يصير متحيّراً لا بالاستصحاب؛ ليلزم التناقض في مفاده.

وأجاب : بعدم الفرق في ذلك بين كون ذلك جزء مفاد الاستصحاب، وبين كونه لازماً له؛ في عدم إمكان التعبد بذلك بالاستصحاب، وحينئذٍ فلا مجال للاستصحاب في المسألة الأصلية، بخلافه في المسائل الفرعية<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول : مرجع ما أفاده إلى اعتبار ترتّب الأثر الشرعي الفعلي على موضوع يراد استصحابه، وأنّه لا بدّ أن ينتهي الاستصحاب إلى العمل في كلّ موارد، ولازم ذلك عدم جريان الاستصحاب في جانب المسبّب أصلاً، لا أنّه جارٍ لكنّه محكوم للاستصحاب السببي، وكذلك لازمه عدم جريان الاستصحاب في مورد تعارض الاستصحابين، لا أنّها جاريان ويتساقطان؛ وذلك لعدم انتهاء الاستصحاب فيها إلى العمل؛ لأنّ نتيجتهما هو سقوطها أو حكومة أحدهما على الآخر، ولا أظنّ أن يلتزم هو الآخر ولا غيره بذلك.

فلا إشكال في أنَّ المعْتَبَر في الاستصحاب هو ترتّب الأثر عليه ذاتاً وإن لم ينتهِ إلى العمل؛ لأنَّ الاستصحاب قاعدة كَلِيَّة أو حكم مطلق، لم يلاحظ فيه الموارد الشخصية وترتّب الأثر الفعلي في كلِّ واحد من موارد، وإلا يلزم المحذور المذكور، فيكفي فيه ترتّب الأثر عليه ذاتاً، كما فيما نحن فيه، فإنّه يترتّب الأثر على استصحاب حجّة فتواه في المسألة الأصليّة في نفسه وذاتاً، ولكن مع تحيّر المكلف ورجوعه إلى الحيّ القائل بوجوب البقاء، ينتج حجّة فتواه في الفروع، ولا مانع منه.

ثم قال رحمته : التي يرجع فيها أولاً إلى الحيّ بعد موت مقلّده، إنّما هي المسألة الأصليّة؛ أي في جواز البقاء على تقليد الميت، لا المسائل الفرعيّة، ولذا صحّ له الحكم بجواز البقاء على تقليده في الأحكام الفرعيّة وإن خالف فتواه فيها.

نعم لو سئل في الأحكام الفرعيّة - كحكم صلاة الجمعة - لم يصحّ له الحكم بما يوافق فتوى الميت فيها لو خالف رأيه فيها رأي الميت، لكنّ المسؤول فيه عن الحيّ أولاً ليس ذلك<sup>(١)</sup>، انتهى.

أقول : فرق بين وظيفة المجتهد الحيّ لنفسه وبين بيان وظيفة الغير، وما أفاده رحمته إنّما يصحّ بالنسبة إلى وظيفة نفسه، وأمّا بالنسبة إلى الغير فحيث إنّ يرى أنّ فتوى مجتهد الميت، كانت حجة له في زمان حياته، مع شكّ المقلّد في بقائها، فينزل نفسه منزلة المقلّد - كما ذكره رحمته - فمع تحقّق اليقين السابق في حجّة فتاوى الميت والشكّ اللاحق، يجري الاستصحاب ، نظير ما لو تمّت وكملت أركان الاستصحاب في الموضوعات عند المقلّد دون المجتهد، فله إعلام المقلّد بأنّ وظيفته الاستصحاب.

والذي ينحسم به الإشكال ويمكن حلّه به، هو أن يقال: بعدما التفت المقلّد إلى أنّ فتوى مجتهد في المسألة الأصليّة، هو عدم جواز البقاء على تقليد الميت، يرجع بعد

موته - حسب ارتكازه إلى المجتهد الحيّ غفلة عن الشكّ في بقاء حجّية فتواه وعدمها، ومن دون الالتفات إلى هذا الإشكال في المسألة، كما هو الحال في كثير من العوالم الخالية أذهانهم عن هذه المطالب العلميّة الدقيقة، فيعمل على 'طبق فتوى المجتهد الحيّ، وهي أمانة له، فلا كلام فيه.

وأما المقلّد الملتفت إلى هذا الإشكال، فحيث إنّه يرى أنّ مجتده الذي مات، لم يجوّز البقاء على 'تقليد الميت حتّى' في تلك المسألة الأصليّة، وسقوط فتواه في تلك المسألة عن الحجّية، فلا مناص له من الرجوع إلى الحيّ في تلك المسألة الأصليّة، ولا يجوز للحيّ الحكم ببقائه على تقليد الميت في تلك المسألة الأصليّة؛ لعدم جريان الاستصحاب؛ لا في حقّ نفسه، ولا في حقّ مقلّده:

أمّا في حقّ نفسه فواضح؛ لعدم تحقّق الشكّ اللاحق - المعتبر في الاستصحاب - له في الجواز، كما هو مفروض المسألة.

وأما في حقّ المقلّد فلأنّ المفروض رجوعه في تلك المسألة إلى الحيّ، وفتواه أمانة له، ومع قيام الأمانة لأبجال للاستصحاب، وحيث فلا وجه للبقاء على تقليد الميت في تلك المسألة، نعم للحيّ التجويز له بالبقاء في سائر المسائل الفرعيّة.



## الفصل الخامس

### في تبدّل رأي المجتهد

لو اضمحلّ الرأي السابق لمجتهد وتبدّل رأيه إلى آخر فإنّه يقع الكلام :  
تارة : في تكليف ذلك المجتهد نفسه بالنسبة إلى أعماله السابقة على طبق  
رأيه الأوّل.

وأخرى : في تكليف مقلّده بالنسبة إلى أعماله السابقة على طبق فتواه الأوّل  
بعد الفراغ عن عدم الإشكال في وجوب العمل على طبق رأيه الحادث بالنسبة إليه  
وإلى مقلّده.

وقبل الشروع في البحث لابدّ من تحرير محلّ الكلام، فنقول :  
الكلام هنا في بيان مقتضى القواعد الأوّليّة، مع قطع النظر عن الدليل الخاصّ؛  
من إجماع أو مثل قاعدة «لاتعاد»<sup>(١)</sup> ونحو ذلك، فإنّه خارج عن محلّ الكلام هنا،  
وكذلك محطّ البحث إنّما هو فيما لو أتى بالمأمور به المركّب - الذي له أجزاء وشرائط  
وموانع - على طبق قطعه أو الأمانة القائمة عليه من حيث كيفة العمل، ثمّ تبدّل رأيه

---

١ - الفقيه ١ : ٢٢٥ / ٨ ، الخصال : ٢٨٤ / ٣٥ ، وسائل الشيعة ١ : ٢٦٠ ، كتاب الطهارة ،

أبواب الوضوء ، الباب ٣ ، الحديث ٨ .

بظهور إخلاله بشرط أو جزء له أو مع مانع بحسب نظره اللاحق، فلو لم يأت بالمأمور به أصلاً، أو قطع بوجوب الصلاة فأقْبَى بها، ثُمَّ ظهر له وجوب الصوم لا الصلاة - مثلاً - فهو ليس محلّ الكلام في الإجزاء وعدمه، ولم يقل به فيه أحد، فحلّ الكلام إنّما هو فيما لو أتى بالمأمور به على طبق قطعه أو الأمانة القائمة لديه؛ من حيث الأجزاء والشرائط والموانع، فظهر الخلاف من حيث كَيْفِيَّة المأمور به في الأجزاء والشرائط. إذا عرفت ذلك فهنا مقامان من الكلام :

## المقام الأوّل

### في تكليف المجتهد بالنسبة إلى نفسه

وتفصيل الكلام فيه : هو أنّ تبدّل رأيه يُتصوّر على وجوه؛ من حيث إنّ مستند رأيه السابق: إمّا هو القطع؛ بأن قطع أولاً بعدم جزئية السورة - مثلاً - فصلّي بلا سورة، ثُمَّ تبدّل رأيه وزال قطعه.

وإمّا أمانة عقلائية أمضاها الشارع .

أو أمانة شرعية تأسيسية من الشارع .

وإمّا أصل عقلائيّ تعبدّي أمضاه الشارع.

وإمّا أصل شرعيّ.

وكذلك مستند رأيه اللاحق: إمّا القطع، أو أمانة عقلائية، أو أصل عقلائيّ، أو

أمانة شرعية، أو أصل شرعيّ.

والأصل الشرعي : إمّا من الأصول المحرّزة، مثل قاعدة التجاوز ونحوها، وإمّا

غيرها ممّا أخذ الشكّ في موضوعه، مثل أصالة الحلّ والبراءة، ويرتقي الحاصل من

ضرب الستة في مثلها إلى ستة وثلاثين صورة.

### حال الفتوى المستندة إلى القطع

فالأولى : ما لو كان مستند حكمه السابق هو القطع بحكم، ثم تبدل قطعه إلى القطع بالخلاف، وعلم بمخالفة قطعه السابق للواقع، فلا إشكال في عدم الإجزاء فيه؛ لأنَّ حجيّة القطع ذاتيّة، ولم يتصرّف الشارع في طريقيّته أصلاً، بعد الفراغ عن أنّه طريق محض إلى الواقع، وأنّه بالقطع لا يتغيّر الواقع عمّا هو عليه، فقتضى القاعدة فيه عدم الإجزاء ووجوب الإعادة أو القضاء؛ لبقاء المأمور به الواقعي بحاله.

### حال الفتوى المستندة إلى الأمارات العقلانيّة

الثانية : ما إذا كان مستند حكمه السابق أمانة عقلائيّة معتبرة، كظاهر كتاب أو سنّة ونحوهما من الأمارات العقلانيّة التي أمضاها الشارع، ثمّ قطع بالخلاف، فقتضى القاعدة فيه أيضاً عدم الإجزاء؛ لأنَّ حجيّتها عند العقلاء من باب الطريقيّة والكشف عن الواقع مع بقاء المأمور به على ما هو عليه في الواقع بحاله وعدم تغييره بقيام الأمانة، غاية الأمر أنّه معذور مع قيامها ما لم ينكشف الخلاف، وأمّا مع الانكشاف فلا.

### حال الفتوى المستندة إلى الأمارات الشرعيّة

الثالثة : ما لو كان المستند في فتواه الأولى أمانة شرعيّة تأسيسيّة من الشارع، ولسان الدليل الدالّ عليها لسان الكاشفيّة والطريقيّة إلى الواقع، كما لو فرض أنّ حجيّة خبر الواحد كذلك، ثمّ ظهر الخلاف بالقطع، فقتضى القاعدة أيضاً عدم الإجزاء، فإنّ المفروض أنّ اعتبارها شرعاً إنّما هو لأجل أنّها طريق إلى الواقع، جعلها

تسهيلاً على المكلفين؛ لأنَّ إيجاب الاحتياط موجب للعسر والهرج واختلال النظام، وهي لا تتغير الواقع عما هو عليه، بل هو باقي بحاله، فع حصول القطع بكذبها، يعلم بقاء المأمور به بحاله لم يتغير عما هو عليه في الواقع، فوجبت الإعادة أو القضاء والإتيان بالمأمور به الواقعي، نعم هي عذر للمكلف مالم يقطع بالخلاف، وأمّا مع انكشاف الخلاف فلا.

هذا، ولكن استدللّ للإجزاء في هاتين الصورتين بوجوه :

الوجه الأول : أن إمضاء الشارع للأمانة العقلية، أو جعله لها حجة تأسيساً، يستلزم عدم مطلوبة الأحكام الواقعية على كل حال للشارع، وعدم تعلّق إرادته الجدّية بها كذلك، وإلّا لم يصحّ جعلها أو إمضاءها، مع أنّها ربّما لا تصادف الواقع، بل يلزم إيجاب الاحتياط حينئذٍ لحفظ الواقع؛ ولو أوجب العسر والهرج الشديدين واختلال النظام، فجعل الشارع لأمانة، أو إمضاءه بناء العقلاء على العمل بها، يستلزم رفع اليد عن الأحكام الواقعية عند عدم إصابة الأمانة للواقع وعدم جزئية الجزء أو الشرط، مع قيام الأمانة على عدمها، فصلّى كذلك، ثمّ انكشف الخلاف، وهو المراد من الإجزاء، بخلاف ما لو كان مستند الحكم الأول هو القطع؛ حيث إنّهُ لا يتصرّف فيه الشارع، ولا يمكنه الردع عن الجري العملي على طبقه.

أقول : المرجع في المقام هو نظر الموالي العرفية في أوامرهم التأسيسية أو الإيضائية، ولاريب في أنّ حجّة الأمارات عندهم، إنّما هي لضعف احتمال الخلاف فيها وإلغائه وعدم الالتفات إليه، وأنّ مؤدّاها عندهم هو الواقع، فمع ظهور الخلاف وعدم موافقتها للواقع، لا يُجزي المأثريّ به على طبقها عن الواقع، ومسلك الشارع أيضاً هذا المسلك في الأمارات التأسيسية والإيضائية، فإنّ الواقعيّات مطلوبة للشارع ومرادة له جدّاً، لكن حيث إنّهُ عارضت المصلحة الواقعية مفسدة إيجاب الاحتياط، أوجب العمل بالأمانة لا الاحتياط؛ لغلبة مطابقتها للواقع، فالحكم الواقعي باقي على

مطلوبيته له في صورة المخالفة أيضاً، لكن يلزم رفع اليد عنها في هذه الصورة؛ في تلك الحال حيث إنه لا سبيل له سوى ذلك، نظير رفع اليد عن وجوب إنقاذ أحد الغريقين، مع بقاء مطلوبيته وبقاء مصلحته؛ حيث لا محيص عنه، ولذا لو تمكّن بعد ذلك من إنقاذه وجب، ومقتضى ذلك هو وجوب الإعادة أو القضاء؛ والإتيان بالتكليف الواقعي عند انكشاف الخلاف.

الوجه الثاني : أن الظاهر من الأدلة الدالة على اعتبار الأمارات - تأسيساً أو إمضاء - هو الإجزاء، فإن لسانها كلسان أدلة الأصول، فكما أن مفاد أدلة الأصول هو ترتيب آثار الطهارة والحليّة على مؤدّاها، كذلك أدلة اعتبار الأمارات، فإن إيجاب العمل بها وإن كان طريقيّاً، لكن مرجعه إلى إيجاب المعاملة معها معاملة الواقع، وأن كيفة العمل بالعبادة هو ما أدّت إليه الأماره، فلو قامت الأماره المعتبرة على عدم مانعيّة لبس غير المأكول لحمه، فرجع إيجاب العمل بها عدم مانعيّة ذلك في الصلاة واقعاً تعبدّاً، وأن الصلاة معه مصداق تعبدّي لها.

أقول : لو فرض ورود دليل تعبدّي شرعيّ دالّ على إيجاب العمل بأماره - مثل خبر الثقة - مثلاً تأسيساً، فالمتبادر منه - في المحيط الذي لا يكون اعتباره فيه، إلّا لأجل أنه كاشف عن الواقع ولو كشفاً ناقصاً - هو أن اعتباره وإيجاب العمل به من الشارع، إنّما هو لجهة كشفه عن الواقع وحيثيّة طريقيّته إليه، لأجل تحصيله، لا أنّه تصرّف في الواقع وتبديل له عمّا هو عليه، أو لأنّه تعبد محض، وحيثنذ فع كشف الخلاف فالواقع باقي على ما هو عليه، ومقتضاه الإعادة أو القضاء ووجوب الإتيان به، وهو المراد من عدم الإجزاء في المقام. هذا بحسب الفرض.

لكن تقدّم مراراً : أنّه ليس في الأدلة الشرعيّة والأخبار، ما يدلّ على حجّيّة مثل خبر الواحد تأسيساً، بل ليس مفادها إلّا إمضاء طريقة العقلاء وبنائهم على العمل به، وأنّ مثل قوله عليه السلام : «فلان ثقة» لا يدلّ على التأسيس، وآية النبأ وأمثالها

ردع عن العمل بخبر الفاسق، ولا تدلّ على إيجاب العمل بخبر العادل.  
نعم قد وقع في الشريعة المقدّسة بعض التحديدات في بنائهم، مثل اعتبار التعدّد في الموضوعات، لكنّه أمر آخر.

الوجه الثالث : ما أفاده شيخنا الأستاذ الحائري رحمته، وحاصله : أنّ الأحكام الشرعيّة على ثلاثة أقسام:

الأوّل : ما يكون تحقّقه بالإنشاء بالأمر أو النهي.

الثاني : الأحكام الواقعيّة التي كشف عنها الشارع، كالطهارة والنجاسة.

الثالث : الأحكام العقلائيّة التي أمضاها الشارع، كالبيع والصلح ونحوهما.  
فلو تبدّل رأي المجتهد في أحد الأوّلين بقيام أماره عليه، ثمّ انكشف الخلاف، فقتضى القاعدة عدم الإجزاء؛ حيث إنّ للحكم الشرعي واقعاً محفوظاً - وإن كانت واقعيّته بنفس الإنشاء - وهو باقٍ لم يأت به بعد، فلا وجه للإجزاء حينئذ.  
وأما القسم الثالث : فهو أيضاً على قسمين : قسم له واقع محفوظ أيضاً، كما لو قلنا: إنّ للبيع والنكاح واقعاً محفوظاً لا يتغيّر، فهو كذلك ومقتضى القاعدة فيه عدم الإجزاء.

وأما لو قلنا : إنّ الأسباب العقلائيّة غير مستقلّة في التأثير، بل هي جزء السبب، والجزء الآخر المتمم للسبب هو إمضاء الشارع لها، نظير إجازة المالك في البيع الفضولي، فقتضى القاعدة فيه هو الإجزاء؛ وذلك لأنّ المفروض صحّة اجتهاده على طبق الموازين الشرعيّة، ولم يتبيّن خطؤه فيه بعد، لكن بعد الظفر بأماره على الخلاف - من باب الاتفاق في غير مظاهرها مثلاً - تبدّل الموضوع إلى موضوع آخر، والحكم الظاهري وإن كان طريقاً محضاً إلى الواقع بتنزيل مؤدّي الأماره منزلة الواقع، لكن تنزيل الشارع مؤدّاها منزلة الواقع حقيقي واقعي، مع عدم كون مؤدّي الأماره حقيقيّاً. وبالجملة : هنا أمران :

أحدهما : قول زرارة - مثلاً - الذي هو مؤدى الأمانة.

ثانيهما : قول الشارع بتنزيل الشارع له منزلة الواقع.

والثاني حكم حقيقي، والأول تنزيلي، والذي تبين خطأه هو الأول لا الثاني، وبالثاني نقول بالإجزاء ونفوذ المعاملة؛ لأنّ نفوذها غير مقيد بزمان خاص، ولا يحتاج في بقائها إلى سبب آخر، بل يكفي السبب الأول، نظير حصول الطهارة بوضوء الجبيرة؛ حيث إنّها ليست مقيدة بزمان وما دام العذر.

فإن قلت : إنّ تلك الإجازة مقرونة بالرد؛ لأنّ المفروض أنّ الأمانة الثانية أقوى من الأولى ، فهي ردع عن بناء العقلاء، والإجازة المقرونة بالرد غير مؤثرة. قلت : لانسلم الردع عنها، فإنّه لو أفتى المجتهد أولاً بجواز العقد بالفارسيّة؛ بالاجتهاد الصحيح على طبق الموازين الشرعيّة؛ لأمانة قائمة عليه، ثمّ تبدل رأيه إلى اعتبار العربيّة لأمانة أخرى دالة عليه، ظفر بها في غير مظانّها، راجحة على الأولى بحسب القواعد الاجتهاديّة، فلا تنافي بين الأمرين؛ حيث إنّ مفاد هذه اعتبار العربيّة في ذات العقد مع قطع النظر عن الطوارئ، لا بطلان العقد بالفارسيّة مطلقاً، ومفاد الأمانة الأولى عدم اعتبار العربيّة فيه مع الطوارئ ، وهي في صورة الشك في الاعتبار، ولا تنافي بينهما، وحينئذ في الشرع عقدان: حقيقي، وهو الذي اعتبرت فيه العربيّة بحسب الحكم الواقعي الأولي، وعقد لا يعتبر فيه ذلك بحسب الحكم الظاهري، وكل واحد منهما مؤثر في النقل والانتقال.

فإن قلت : هذا نظير العقد الفضولي لو أمضاه غير مالكة بتخيّل أنّه المالك، ثمّ بان أنّه غيره، فكما أنّه لا يمكن أن يقال بتأثير هذا الإمضاء، كذلك العقد بالفارسيّة بالاجتهاد الأول الذي تبين خطأه.

قلت : هذا خروج عن موضوع البحث؛ لأنّ المفروض أنّ الاجتهاد الأول كان صحيحاً تاماً على طبق الموازين الاجتهاديّة، ولم يتبين خطؤه فيه، بل تبدل

الموضوع إلى موضوع آخر بعد ظفره بالدليل على الخلاف، فالاجتهاد الأول أيضاً صواب<sup>(١)</sup>. انتهى.

أقول : وقع الخلط في كلامه رحمته بين المعذورية وعدمها وبين الخطأ والصواب، فإنّ المفروض أنّه تبين خطأه في الاجتهاد الأول، بعد الظفر على الدليل على الخلاف وإن كان معذوراً فيه؛ لأنّ المفروض أنّه جدّ واجتهد واستفرغ وسعه، وأنّ الظفر بالدليل على خلاف العادة، ولم يكن مقصراً في الاجتهاد الأول، وهذا لا ينافي معذوريته في خطأه في الواقع، وحينئذ نقول: إنّ المفروض صحّة اجتهاده السابق على طبق الموازين الاجتهادية، لكن حجّيته إنّما هي لأجل بناء العقلاء، وإمضاء الشارع له أيضاً إنّما هو لأجل أنّه كاشف عن الواقع وطريق إليه، فالأمر بالعمل به حقيقي، لكنّه طريق، لا أنّه مطلوب نفسي، وبعدما كشف الخلاف - وعدم الأمر به واقعاً، بل تحيّل أنّه مأمور به - فلا أمر حتّى يُبحث عن اقتضائه الإجزاء وعدمه، فلا الاجتهاد السابق موافق للواقع، ولا الأمر بالأخذ بمؤداه.

فالظاهر أنّ ما أفاده رحمته ناشئ عن الخلط بين المعذورية والصواب.

الوجه الرابع : تفصيل آخر نسب إلى السيّد الجليل صاحب العروة الوثقى، وربما يظهر من «الفصول» الميل إليه<sup>(٢)</sup>، وهو التفصيل بين ما لو كان الاجتهاد الأول ظنيّاً مستنداً إلى الأمارات، ثمّ تبدّل رأيه بالاجتهاد الظني، وبين ما لو تبدّل بالقطع بالخلاف؛ بعدم الإجزاء في الثاني والإجزاء في الأول؛ أمّا عدم الإجزاء في الثاني فلتبين خطأه وبقاء الواقع عمّا هو عليه فوجب امتثاله.

وأما الإجزاء في الأول فلعدم الترجيح بين الاجتهادين؛ حيث إنّ كلّ واحد

١ - البيع ، الشيخ الأراكي ٢ : ٤٣٣ - ٤٣٥ .

٢ - الفصول الغروية : ٤٠٩ سطر ١٠ .



منها ظني، ولأنه لا تأثير للاجتهاد الثاني فيما قبله من الأعمال، بل المؤثر فيها هو الاجتهاد الأول<sup>(١)</sup>.

وأورد عليه عليه السلام أكثر من تأخر عنه ممن تعرض لما ذكره، والإيراد عليه في محله؛ لأنّ المفروض ظهور خطأه في الاجتهاد الأول؛ وتبين عدم موافقته للواقع بحسب الاجتهاد الثاني، فلو كان رأيه السابق جواز الصلاة في وتر ما لا يؤكل لحمه، وصلى فيه، ورأيه اللاحق عدمه، مع فرض ظهور خطأه في الاجتهاد الأول؛ لظفره بأمانة معتبرة عليه، ففاد هذه الرواية ومقتضاها فساد الصلاة المذكورة بنحو الإطلاق؛ من دون اختصاصه بزمان دون زمان، فهو معذور في اجتهاده الأول؛ لأنّ المفروض أنّه بذل تمام جهده فيه، لكن تبين خطأه فيه من الأول، فلو لا ترجيح لأحد الاجتهادين على الآخر للزم جواز العمل على طبق اجتهاده الأول في الأعمال اللاحقة أيضاً، وهو عليه السلام لا يلتزم به، فالحكم بتعين العمل على وفق الاجتهاد الثاني، إنّما هو لأجل بطلان اجتهاده الأول وفساده.

### حال الفتوى المستندة إلى الأصول

الرابعة : أن يكون مستنده في رأيه السابق هو الأصول الشرعية، كأصالة الطهارة - بناء على شمولها للشبهات الحكيمة - وأصالة الحلّة وأصالة البراءة والاستصحاب، لا العقلية منها، ثم انكشف الخلاف، فالظاهر هو الإجزاء، كما هو مقتضى ملاحظة أدلة الأصول المذكورة، والجمع العرفي بينها وبين أدلة الأحكام الواقعية.

فإنّ قوله عليه السلام : (لا صلاة إلّا بطهور) يدلّ على بطلان الصلاة في النجس

١ - حاشية المكاسب، السيّد البيدي : ٩٣ سطر ٥ - ٩، مبحث الإيجاب والقبول.

الواقعي، وكذلك قوله عليه السلام: (لا تصل في وبر ما لا يؤكل لحمه)، يدل على أنها في وبره وجلده ولحمه فاسدة، وأنه بحسب وجوده الواقعي مانع للصلاة، وهكذا أدلة سائر الشرائط والأجزاء.

وقوله عليه السلام: (كل شيء طاهر حتى تعلم أنه قذر) - بناء على شموله للشبهات الحكيمية - لا يراد منه أن الطهارة الواقعية مقيّدة بالعلم بها؛ للزوم التصويب المحال أو المجمع على بطلانه، فليس المراد منه جعل الطهارة الواقعية.

ولا إشكال أيضاً في الفرق بين لسان هذا الدليل وبين لسان دليل الأمارات؛ حيث إنّ للأمارات طريقتين ناقصة إلى الواقع، وصالحة للكشف الناقص عنه، مثل خبر الواحد، بخلاف أدلة الأصول، فإنّه ليس لموضوعها - أي الشك - أمارية وطريقة إلى الواقع، ولا صلاحية الطريقة، ونفس أدلتها أيضاً لا تدلّ على ذلك، وليست أيضاً مثل إيجاب الاحتياط للتحقق على الواقع، بل لسانها لسان جعل الوظيفة عند الشك في الحكم الواقعي، ووجوب ترتيب الآثار، فالجمع العرفي بينها وبين أدلة الأجزاء والشرائط، هو أنّه تجب المعاملة مع الشك في الطهارة الواقعية، معاملة الطهارة الواقعية في تحقق مصداق الطبيعة؛ بإتيانها مع الطهارة الظاهرية وتحقيق الامتثال بها، ففادها التوسعة في الطهارة التي هي شرط للصلاة، وهو المراد من الإجزاء، نظير حكم الشارع بالصلاة مع التيمم مع فقدان الماء، الذي لا يتصور فيه انكشاف الخلاف، كما لا يتصور ذلك في الأصول الشرعية، بخلاف الأمارات؛ حيث إنّ أدلتها إنّما تدلّ على وجوب العمل بها على أنّها طريق إلى الواقع، وأنّ مؤدّاها هو الواقع، فلا وجه للإجزاء فيها مع كشف الخلاف، وهكذا الكلام في حديث الرفع؛ حيث إنّ المراد رفع الجزئية والشرطية واقعاً عند الشك فيهما؛ ليلزم التصويب المحال أو المجمع على بطلانه، بل المراد جعل الوظيفة عند الشك في التكليف، وترتيب الآثار، وتحقيق مصداق المأمور به بدون الجزء لو شك في جزئيته، وذلك توسعة في الأجزاء

والشرائط، ومرجعه إلى تقييد أدلة الأجزاء والشرائط بالعلم، ولا يلزم التصويب أيضاً، بخلاف تقييد الواقعيّات بصورة العلم بها.

وهكذا الكلام في أدلة الاستصحاب؛ حيث إنّه ليس المراد من قوله <sup>عليه السلام</sup>؛ (لا ينقض اليقين بالشك) أنّ اليقين السابق أمارّة على الواقع في ظرف الشك؛ إذ لا معنى لأماريّة اليقين السابق في زمان الشك، وليس المراد الأمر بالبناء على وجود المتيقّن الواقعي في ظرف الشك، بل هو نهي عن نقض اليقين بالشك، فلا بدّ أن يراد به ترتيب آثاره؛ لانتفاضه حقيقة وتكويناً بتحقيق الشك، ومقتضاه الأجزاء بالتقريب المتقدّم.

ومّا يدلّ على الأجزاء قوله <sup>عليه السلام</sup> في رواية زرارة: (لأنّك كنت على يقين من طهارتك فشككت) بعد قول زرارة: «ولمّ ذلك»؟ حيث يدلّ على أنّ ذلك كافٍ في صحّة الصلاة.

فالحقّ فيما لو تبدل رأيه المستند إلى الأصول الشرعيّة، هو الأجزاء بملاحظة لسان أدلتها، وأمّا أنّ المصلحة الواقعيّة متداركة أو لا، أو أنّ المصلحة الظاهرية وافية بالغرض أو لا، وأنّهما من جنس وسنخ واحد أو متعدّد، فمّا لا وجه للبحث عنه؛ إذ لا طريق لنا إلى معرفة ذلك ليبحث عنه.

نعم الذي يقتضيه مذهب العدليّة ويحكم به العقل، هو أنّ الأحكام الشرعيّة تابعة للمصالح والمفاسد النفس الأمريّة، وأمّا أنّها متداركة في موارد الأصول الشرعيّة أو لا، فلا سبيل لنا إلى معرفته، والمتّبع هو ظهور الدليل.

هذا كلّّه بالنسبة إلى وظيفة المجتهد نفسه.

## المقام الثاني

### في تكليف المقلد مع تبدل رأي مجتهد

وأما بالنسبة إلى مقلده : فإن قلنا : إن المناط في الأمارية والأصولية في مستند الحكم، هي الأمارية والأصولية عند المجتهد - حيث نُزِّل منزله - فالكلام هو الكلام في التفصيل الذي ذكرناه بالنسبة إلى وظيفة المجتهد نفسه.

وإن قلنا : إن فتوى الفقيه مطلقاً أمانة للمقلد، فمستند المقلد في جميع الأحكام هو الأمانة؛ سواء كان مستند الفقيه فيها أيضاً الأمانة أو الأصول الشرعية، كما هو المناط في رجوع العقلاء إلى أرباب الصنائع؛ لعدم اليقين والشك بالنسبة إلى المقلد، وحينئذٍ فقطضى القاعدة - عند تبدل رأي مجتهد - هو عدم الإجزاء؛ ووجوب الإعادة أو القضاء بالتقريرات المتقدمة في الأمارات.

هذا تمام الكلام في مباحث الألفاظ والأصول  
العملية والتعادل والترجيح ومباحث الاجتهاد والتقليد؛  
تقريراً لأبحاث الأستاذ الأكبر والقائد الأعظم وآية الله  
العظمى سماحة الحجة الحاج آغا روح الله الموسوي  
الخميني، أدام الله أيام إفاداته وإفاضاته، ومتّع الله  
المسلمين بطول بقائه.

والحمد لله ربّ العالمين على ما وفّقني لتقرير هذه  
المطالب النفيسة العميقة الأنيقة من البدو إلى الختم، مع  
ضعف الحال وقلة البضاعة العلمية، وتشتت الأحوال،  
وعدم فراغ البال، والشكر له، والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين.

وقد تمّ الفراغ من تقريره يوم الجمعة السادس  
عشر من شهر ذي القعدة الحرام - سنة ١٣٧٧ - سبع  
وسبعين بعد الثلاثمائة والألف من السنين الهجرية  
القمريّة على مهاجرها آلاف الثناء والتحية، بيد العبد  
الفاني حسين بن يحيى التقوي الاشتهادي عفي عنهما.



# فهرس الموضوعات





## الاستصحاب

٧	..... فصل في تعريف الاستصحاب
٧	..... الاحتمالات التي في الباب
١٠	..... الاستصحاب ليس من الأدلة الأربعة
١٢	..... ضابط المسألة الأصولية في كلام الشيخ الأعظم ونقدها
١٣	..... فصل : التفصيل بين الحكم الثابت بالدليل الشرعي والعقلي
١٤	..... الإشكالات الواردة على الشيخ الأنصاري وجوابها
١٧	..... تحقيق الحال في المقام
٢١	..... فصل حول التفصيل بين الشك في الرفع والمقتضي
٢٢	..... ذكر أخبار الاستصحاب
٢٣	..... منها : الصحيحة الأولى لزرارة
٢٤	..... بيان الاحتمالات التي في الرواية
٢٩	..... تقرّيبات الأعلام في اختصاص حجّة الاستصحاب بالشك في الرفع ..
٣٩	..... هل الاستصحاب أمانة شرعية أم أصل عملي ؟
٤٢	..... منها : الصحيحة الثانية لزرارة
٤٤	..... مورد الاستدلال بالرواية واحتمالاته

- الاستدلال بالجملة الواقعة في ذيل الرواية ..... ٥٠
- منها : الصحيحة الثالثة لزراعة ..... ٥٤
- الاحتمالات التي في مفاد الرواية ..... ٥٦
- منها : رواية إسحاق بن عمار ..... ٦٠
- منها : رواية محمد بن مسلم ..... ٦٣
- منها : مكاتبة علي بن محمد القاساني ..... ٦٤
- منها : صحيحة عبدالله بن سنان ..... ٦٦
- منها : روايات الحلّ والطهارة ..... ٦٧
- فصل : الأحكام الوضعية وتحقيق ماهيتها ..... ٧٣
- الأمر الأول : تقسم الحكم إلى التكليفي والوضعي ..... ٧٣
- الأمر الثاني : أن وعاء وجود الأشياء إما الخارج أو الذهن ..... ٧٥
- الأمر الثالث : في جعل الجزئية والشرطية والسببية استقلالا ..... ٧٧

### تنبيهات

- التنبيه الأول : اعتبار فعلية اليقين والشك وأخذهما بنحو الموضوعية ..... ٨٥
- التنبيه الثاني : حول جريان الاستصحاب في مؤدّى الأمارات ..... ٩١
- التنبيه الثالث : في أقسام استصحاب الكلي ..... ٩٥
- القسم الأول : من استصحاب الكلي ..... ٩٧
- القسم الثاني : من استصحاب الكلي ..... ١٠٠
- اعتراضات وأجوبة ..... ١٠١
- القسم الثالث : من استصحاب الكلي ..... ١١٢
- نقل كلمات بعض الأعظم وما فيها ..... ١١٣

٧٠٧	فهرس الموضوعات
١٢١	تذليل: حول أصالة عدم التذكية
١٢٢	بيان أنحاء الشبهة في المقام
١٢٥	بحث: حول استصحاب عدم الأزلي
	وفيه أمور:
١٢٥	الأمر الأول: النسبة في القضايا
١٢٧	الأمر الثاني: مناط الصدق والكذب في القضايا
١٢٨	الأمر الثالث: وجود الموضوع في القضايا
١٢٩	الأمر الرابع: عدم رجوع السالبة إلى المعدولة
١٣١	تحقيق المقام
١٣٤	المختار في أصالة عدم التذكية
١٣٦	نقل كلمات الأعلام وما فيها
١٤٣	التنبيه الرابع: جريان الاستصحاب في الأمور التدريجية
١٤٣	استصحاب الزمان والحركة
١٤٨	استصحاب الزماتيات
١٥٢	شبهة المحقق النراقي
١٥٤	أجوبة الأعلام عن شبهة المحقق النراقي
١٦٣	التنبيه الخامس: الاستصحاب التعليقي
١٦٥	تحقيق المقام
١٦٦	كلام بعض الأعاضم وما يرد عليه
١٧٢	تذنيب: في معارضة الاستصحاب التعليقي مع التنجيزي
١٧٥	حكومة الاستصحاب التعليقي على التنجيزي
١٧٧	التنبيه السادس: استصحاب أحكام الشرائع السابقة

- التنبيه السابع : في الأصول المثبتة ..... ١٧٩
- حول مثبتات الأمارات ..... ١٨٠
- حال مثبتات الأصول ..... ١٨١
- تذليل : حول الوسائط الخفية ..... ١٨٦
- حال الأمثلة التي ذكرها الشيخ الأعظم ..... ١٨٨
- تذنيب : حول ما أفاده صاحب الكفاية في تنبيه الثامن ..... ١٩١
- وفيه أمور :
- الأمر الأول: إن استصحاب العنوان المنطبق على الخارج ليس بمثبت ..... ١٩١
- الأمر الثاني: استصحاب الأحكام الوضعية ..... ١٩٣
- الأمر الثالث: في الأثر المترتب على الأعم من الوجود الواقعي والظاهري ..... ١٩٨
- التنبيه الثامن : في أصالة تأخر الحادث ..... ٢٠١
- ضابط اتصال زمان الشك باليقين ..... ٢٠٣
- إشكال المحقق الخراساني في مجهولي التأريخ وجوابه ..... ٢٠٦
- حول ما كان أحدهما معلوم التأريخ ..... ٢١١
- هنا فرعان :
- الفرع الأول : في تعاقب النجاسة والطهارة ..... ٢١٢
- الفرع الثاني : في تعاقب الكرية والملاقاة ..... ٢٢٠
- التنبيه التاسع : في موارد التمسك بالعموم واستصحاب حكم المخصص ..... ٢٢٣
- تحقيق في المقام ..... ٢٢٦
- حول كلمات بعض الأعلام وما فيها ..... ٢٢٨
- إشكال وتفصيلات ..... ٢٣٤
- تذنيب : في أخذ الزمان بنحو الاستغراق أو الاستمرار ..... ٢٣٩

التنبیه العاشر : حول المراد من الشكّ في الأدلّة ..... ٢٤١

### خاتمة

يعتبر في جريان الاستصحاب أمور :

الأمر الأول : وحدة القضية المتيقّنة والمشكوكة ..... ٢٤٣

حول اعتبار بقاء الموضوع ..... ٢٤٤

توجيه شيخنا الحائري لكلام الشيخ الأعظم ..... ٢٤٧

عدم كفاية الاستصحاب في إحراز موضوع القضية المستصحبة ..... ٢٥١

الخلط الواقع في كلام بعض الأعظم ..... ٢٥٢

المناط في تشخيص وجود الموضوع ..... ٢٥٣

كلام المحقّق الخراساني وما يرد عليه ..... ٢٥٦

الأمر الثاني : فعلية اليقين والشكّ في الزمان اللاحق ..... ٢٥٩

حول أنّ أخبار الباب هل تختصّ بالاستصحاب أو نعم غيره؟ ..... ٢٦٠

الأمر الثالث : الشكّ في بقاء المتيقّن ..... ٢٦٨

المناط في تقديم أحد الدليلين ..... ٢٦٨

### نسبة أدلّة الاستصحاب إلى الأمارات وسائر القواعد والأصول

يبحث فيها في مقامات :

المقام الأول : في حال أدلّة الاستصحاب مع أدلّة الأمارات ..... ٢٧٦

كلام شيخنا الحائري في المقام ..... ٢٧٧

المقام الثاني : وجه تقديم الاستصحاب على الأصول ..... ٢٨١

المقام الثالث : في تعارض الاستصحابين ..... ٢٨٤

- ٢٨٥ ..... حول ما كان الشكّ مسبباً عن الشكّ في الآخر
- ٢٨٥ ..... المناط في تقديم الأصل السببي على المسببي
- ٢٨٨ ..... نقل كلام الشيخ الأعظم ونقده
- ٢٩٣ ..... حول ما كان الشكّ فيها ناشئاً عن ثالث
- ٢٩٥ ..... عدم جواز الترجيح لأحد الاستصحابين
- ٢٩٧ ..... بيان وجه تساقطهما
- ٢٩٨ ..... حول وجهي التخيير والجواب عنهما
- ٣٠١ ..... المقام الرابع : في تعارض الاستصحاب مع سائر القواعد  
يقع الكلام فيه في ضمن مباحث :
- ٣٠٢ ..... المبحث الأول : في قاعدة اليد  
وفيه أمور :
- ٣٠٢ ..... الأمر الأول : في تحقيق معناها
- ٣٠٣ ..... الأمر الثاني : في أنّ اليد من الأمارات العقلانيّة
- ٣٠٣ ..... الأمر الثالث : في الأخبار الواردة فيها
- ٣١٢ ..... الأمر الرابع : حكم اليد على المنفعة
- ٣١٥ ..... الأمر الخامس : حول كون ذي اليد شاكّاً في ملكيّته
- ٣١٧ ..... الأمر السادس : حال اليدين على شيء واحد
- ٣١٨ ..... حول كلام المحقّق السيّد الطباطبائي؛ وما يرد عليه
- ٣٣١ ..... الأمر السابع : في إقامة الدعوى على ذي اليد وفروعها
- ٣٣٤ ..... حول الاحتجاج في أمر فذك
- ٣٤٠ ..... الأمر الثامن : في فروع العلم بسابقة اليد
- ٣٤٨ ..... الأمر التاسع : الشهادة على المملكيّة اعتماداً على اليد

٣٥٧	المبحث الثاني : حال الاستصحاب مع قاعدتي التجاوز والفراغ
٣٥٧	حول الأخبار التي تستفاد منها القاعدة الكلّية
	هنا جهات من البحث :
٣٦٢	الجهة الأولى : هل الكبرى المجعولة في القاعدتين واحدة أو متعددة ؟
٣٦٩	الجهة الثانية : حول جريان القاعدة في الطهارات الثلاث
٣٧٤	الجهة الثالثة : أن المراد من المحلّ هو المحلّ الشرعي
٣٧٧	الجهة الرابعة : عدم اعتبار الدخول في الغير
٣٨٣	الجهة الخامسة : أن الحكم بالمضيّ هل هو رخصة أو عزيمة ؟
٣٨٥	الجهة السادسة : حول أن القاعدة من الأمارات أو الأصول ؟
٣٩١	بيان أن القاعدة أصل محرز حيثي
٣٩٢	الجهة السابعة : حول أنحاء الشكوك العارضة للمكلف
٣٩٥	كلام بعض المحقّقين وما يرد عليه
٣٩٦	حال الشكّ في العبادات
٣٩٧	حال الشكّ في المعاملات
٣٩٩	كلام شيخنا الحائري في «الدرر»
	تنبيهان :
٤٠١	التنبيه الأول : اختصاص القاعدة بالشكّ الحادث
٤٠٣	التنبيه الثاني : وجه تقدّم قاعدة التجاوز على الاستصحاب
٤٠٥	المبحث الثالث : حال الاستصحاب مع أصالة الصحّة في فعل الغير
	بسط الكلام فيه في ضمن أمور :
٤٠٥	الأمر الأول : في دليل اعتبارها
٤٠٧	الأمر الثاني : حول المراد من الصحّة

- الأمر الثالث : حول أقسام الشك في العمل وأحكامها ..... ٤٠٩
- الأمر الرابع : اختصاص القاعدة بما إذا شك في تحقق الشيء صحيحاً ..... ٤١٣
- تذنيب : حول الشك في صحة بيع العين الموقوفة ..... ٤١٥
- نقل كلمات السيّد الطباطبائي وما فيها ..... ٤١٧
- الأمر الخامس : اعتبار إحراز أصل العمل في جريان أصالة الصحة ..... ٤٢٠
- الأمر السادس : عدم حجّية مثبتات أصالة الصحة ..... ٤٢٣
- الأمر السابع : حول تقدّم أصالة الصحة على الاستصحاب ..... ٤٢٥
- المبحث الرابع : حال الاستصحاب مع قاعدة القرعة ..... ٤٢٩
- وفيه أمور :
- الأمر الأوّل : في دليل اعتبارها ..... ٤٢٩
- الأمر الثاني : القول في التخصيص المستهجن لعمومات القرعة ..... ٤٣٥
- الأمر الثالث : هل القرعة أمانة على الواقع أم أصل ؟ ..... ٤٤٠
- الأمر الرابع : هل للأدلة العامة للقرعة إطلاق من جميع الجهات أم لا ؟ ..... ٤٤٥
- تنمّة ..... ٤٤٨

### مبحث التعارض واختلاف الأدلة

وقبل الورود في أصل المطلب لابدّ من ذكر أمور :

- الأمر الأوّل : عدم تعارض العامّ والخاصّ ..... ٤٥٣
- لزوم فرض التعارض في محيط التشريع ..... ٤٥٤
- كلام المحقّقين في وجه تقديم الخاصّ على العامّ ..... ٤٥٦
- كلام الشيخ الأعظم وما يرد عليه ..... ٤٥٦
- كلام صاحب الكفاية ونقده ..... ٤٥٩



- ٤٦١ ..... كلام شيخنا الحائري وما يرد عليه
- ٤٦٣ ..... كلام الميرزا النائيني ونقده
- ٤٦٥ ..... بيان أصالتي الحقيقة والجدّ
- ٤٦٧ ..... الأمر الثاني : في عدم شمول أخبار العلاج للعالم والخاصّ
- ٤٦٧ ..... كلام المحقّق الخراساني وشيخنا العلامة
- ٤٧٠ ..... الإشكال على كلام العلمين
- ٤٧٥ ..... الأمر الثالث : في إبطال قاعدة الجمع مهما أمكن ، أولى من الطرح
- ٤٧٩ ..... الأمر الرابع : كلام الشيخ في موضوع الترجيح بحسب الدلالة وما فيه
- ٤٨١ ..... الأمر الخامس : الموارد الخارجة عن أخبار العلاج
- وفيه مباحث :
- ٤٨١ ..... المبحث الأوّل : فيما يكون من قبيل النصّ والظاهر
- ٤٨٦ ..... المبحث الثاني : فيما عدّ من المرجّحات النوعيّة الدلاليّة
- ٤٨٦ ..... تعارض العموم والإطلاق
- ٤٨٩ ..... وجه تقدّم العامّ على المطلق
- ٤٩٠ ..... دوران الأمر بين النسخ والتخصيص
- ٤٩٤ ..... وجوه دوران الأمر بين النسخ والتخصيص
- ٥٠٢ ..... دوران الأمر بين تقييد الإطلاق وحمل الأمر على الاستحباب
- ٥٠٣ ..... المبحث الثالث : إذا كان التعارض بين أكثر من دليلين
- فيه صور نذكر أهمّها :
- ٥٠٣ ..... الصورة الأولى : إذا ورد عامّ وخاصّان كلّ واحد منهما أخصّ من الأوّل ..
- ٥٠٧ ..... الصورة الثانية : إذا ورد عامّ وخاصّان بينهما عموم وخصوص مطلق .....
- ٥٠٩ ..... الصورة الثالثة : إذا ورد عامّ وخاصّان بينهما عموم من وجه .....

- الصورة الرابعة : إذا ورد عامتان بينهما عموم من وجه وخاص ..... ٥١٠
- الصورة الخامسة : إذا ورد عامتان متباينتان وخاص ..... ٥١١
- تذنيب : هل تعمّ أخبار التعارض والعلاج العامّين من وجه أم لا ؟ ..... ٥١١
- هل المرجّحات السندیّة جارية في العامّين من وجه أم لا ؟ ..... ٥١٤

يقع الكلام في مقامين :

المقام الأوّل : في المتكافئين

وفيه بحثان :

- البحث الأوّل : في مقتضى الأصل ..... ٥١٧
- مقتضى الأصل على الطريقيّة ..... ٥١٧
- مقتضى الأصل على السببيّة ..... ٥٢٣
- البحث الثاني : في مقتضى الأخبار الواردة في المقام ..... ٥٢٤
- نقل أخبار التخيير ..... ٥٢٤
- نقل أخبار التوقّف ..... ٥٢٩
- جمع الشيخ الأعظم والمحقّق النائيني وما فيه ..... ٥٣١
- جمع العلامة الحائري وما يرد عليه ..... ٥٣٤
- وجه الجمع بين الأخبار ..... ٥٣٥

تنبيهات :

- التنبيه الأوّل : في معنى التخيير في المسألة الأصوليّة ..... ٥٣٨
- التنبيه الثاني : في حكم تخيير القاضي والمفتي في عمله وعمل مقلّديه ..... ٥٤٠
- التنبيه الثالث : في أنّ التخيير بدويّ أو استمراريّ ..... ٥٤١
- التنبيه الرابع : في صور مجيء الخبرين المختلفين في الإخبار مع الوساطة ... ٥٤٥

## المقام الثاني : في الترجيح بمزية من المزايا

وفيه أمور :

- الأمر الأول : في اقتضاء الأصل للتعين ..... ٥٤٩
- الأمر الثاني : في حال أخبار العلاج ..... ٥٥٢
- هنا موضعان من البحث :
- الموضع الأول : في حال الأخبار الواردة في موافقة الكتاب ومخالفته ..... ٥٥٩
- التوفيق بين الأخبار ..... ٥٦٢
- تحقيق المقام ..... ٥٦٣
- مرجحية موافقة الكتاب والتمرة بين المرجعية والمرجحية ..... ٥٦٤
- الموضع الثاني : في حال الأخبار الواردة في مخالفة العامة ..... ٥٦٦
- الأمر الثالث : هل يتعدى من المرجح المنصوص إلى غيره أم لا ؟ ..... ٥٧٠
- الوجه التي استدلل بها الشيخ على التعدي من المنصوص ونقدها ..... ٥٧١
- خاتمة : في احتمالات موافقة الكتاب ومخالفة العامة ..... ٥٧٨

## الخاتمة : في الاجتهاد والتقليد

واشباع الكلام فيه يأتي في فصول :

- الفصل الأول : ذكر شؤون الفقيه ..... ٥٨٥
- وفيه أمور :
- الأمر الأول : حكم من له قوة الاستنباط فعلاً ..... ٥٨٦
- الأمر الثاني : بيان مقدمات الاجتهاد ..... ٥٨٩
- الأمر الثالث : البحث حول منصب القضاء والحكومة ..... ٥٩٢
- القضاء والحكومة في زمان الغيبة ..... ٥٩٣

- الأخبار الدالة على ثبوت منصب الحكومة والقضاء للفقهاء ..... ٥٩٤
- هل الاجتهاد المطلق شرط أم لا ؟ ..... ٦٠٣
- جواز تولي العامي القضاء وعدمه ..... ٦٠٤
- هل يجوز للفقهاء نصب العامي للقضاء أم لا ؟ ..... ٦٠٩
- هل يجوز توكيل العامي للقضاء ؟ ..... ٦١١
- الأمر الرابع : تشخيص مرجع التقليد والفتوى ..... ٦١٣
- مقتضى الأصل : وجوب تقليد الأعلم ..... ٦١٣
- حول الاستدلال ببناء العقلاء في التقليد ..... ٦١٧
- الشبهة في الاستدلال ببناء العقلاء وجوابها ..... ٦١٨
- تحقق الاجتهاد المتعارف في عصرنا في زمان الأئمة عليهم السلام ..... ٦١٩
- شبهة أخرى في الاستدلال على بناء العقلاء ..... ٦٢٥
- كيفية السيرة العقلانية في حجية قول المفضل ..... ٦٢٨
- هل ترجيح قول الأفضل لزومي أم لا ؟ ..... ٦٢٨
- أدلة جواز الرجوع إلى المفضل ..... ٦٣٠
- الآيات التي استدلت بها ..... ٦٣٠
- الروايات التي استدلت بها لجواز تقليد غير الأعلم ..... ٦٣٤
- أدلة وجوب الرجوع إلى الأفضل ..... ٦٤٠
- إشكال المحقق الخراساني صغرياً ..... ٦٤١
- إشكال المحقق الخراساني كهرويأ ..... ٦٤٢
- في حال المجتهدين المتساويين في الفضل ..... ٦٤٧
- الفصل الثاني : حول شرط الحياة لمرجع التقليد ..... ٦٥٥
- مقتضى الأصل في جواز تقليد الميت ..... ٦٥٦

٦٥٧	..... التمسك بالاستصحاب على جواز تقليد الميِّت
٦٥٨	..... الإشكالات التي أُورِد على الاستصحاب
٦٧١	..... الفصل الثالث : في جواز العدول من مجتهد إلى آخر
٦٧٩	..... الفصل الرابع : في اختلاف الحيِّ والميِّت في مسألة البقاء
٦٨٠	..... كلام العلامة الحائري
٦٨٣	..... الإيراد على مختار العلامة الحائري
٦٨٩	..... الفصل الخامس : في تبدل رأي المجتهد
	فيه مقامان :
٦٩٠	..... المقام الأول : في تكليف المجتهد بالنسبة إلى نفسه
٦٩١	..... حال الفتوى المستندة إلى القطع
٦٩١	..... حال الفتوى المستندة إلى الأمارات العقلية
٦٩١	..... حال الفتوى المستندة إلى الأمارات الشرعية
٦٩٧	..... حال الفتوى المستندة إلى الأصول
٧٠٠	..... المقام الثاني : في تكليف المقلد مع تبدل رأي مجتده
٧٠٣	..... فهرس الموضوعات















